مجلـــة
دراسات في التاريخ والآثار
مجلة علمية محكمة

رئيس التحرير :أ.د. رفاه جاسم حمادي

مدير التحرير : أ.د. عادل شابث جابر

اعضاء هيئة التحرير

ا.د. محمود عبد الواحد القيسي كليـــــة الآداب / جامعة بغداد

أ.د. بـاسمـــــة جليل عبـــد كليـــــة الآداب / جامعة بغداد

أ.د. أنعـــــام مهـــدي علي كليـــــة الآداب / جامعة بغداد

أ.د. سهيلـــــــة مـزبـــان كليـــــة التربية / ابن رشـــد

أ.د. سالـــم الحـاج محمـــود كلية التربيـــة / جامعة المستنصرية

أ.د.علي ياسيـــــن الجبـــوري كليـــــة الآثـار / جامعة الموصل

أ.م.د. فـــــاروق محمـــد علي كليـــــة الآداب / جامعة بغداد

ا.د. طـــــــارق منصـــــــور كليـة الآداب / جامعة عين شمس

أ.د. خـــديجـــــة نشـــــار معهـــــــــد الآثار / الجزائر

مجلة دراسات في التاريخ والاثار –جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد

العدد (٧٤) لشهر اذار لسنة ٢٠٢٠

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٦٥) لسنة ٢٠٠٢

الترقيم الدولي : ISSN:2075-3047

البريد الالكتروني: jasha@coat.uobaghdad.edu.iq

مجلة دراسات في التاريخ والاثار – جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد
العدد (٧٤) لشهر اذار لسنة ٢٠٢٠
عدد الصفحات : ٦١٤ صفحة

تصميـــم واخـــراج
علا الحسنـــــاوي



دار ومكتبة كلكامش للطباعة والنشر
بغداد – باب المعظم -شارع المكاتب
07729093707 – 07736558370
ola.algarah88@gmail.com

رئيس الهيئة الاستشارية

أ.د. طالب منعم حبيب / جامعة واسط – كلية الآداب

أعضاء الهيئة الاستشارية

أ.د. زكيـــــــة حسن إبراهيم	جامعـــــــــــة بغداد / كلية الآداب
أ.د. سعاد هادي حسن الطائي	جامعـة بغداد / كلية التربية / ابن رشد
أ.د. عادل تقـــــي البلداوي	الجامعـــــة المستنصرية/ كلية التربية
أ.د. سعد عبـــــــود سمار	جامعـــــــــــة بغداد/ كلية التربية
أ.د.علاء طـــــــــه ياسين	جامعـــــــــــة تكريت/ كلية التربية
أ.د. عبد الكريـــــم الياسري	جامعـــة بغداد / كلية التربية/ ابن رشد
أ.د. نوالـــــــه أحمد المتولي	جامعـــــــــــة بغداد / كلية الآداب
أ.م.د. كاظم عبد الله الشمري	جامعـــــة بغداد / كلية التربية للبنات

التصحيح اللغوي : م.د. عبد الحسين موسى

مسؤول الموقع الالكتروني والبريد الالكتروني : م.م. هدى هادي علوش

سكرتير تحرير المجلة : م. هدى هادي علوش

شروط النشر في المجلة

١. أن يكون متسماً بالجدة والموضوعية ويدخل ضمن الاختصاصات التي تختص بها المجلة .

٢. إعتماد الاسلوب العلمي في كتابة الموضوع سواء بما يتعلق بالهوامش أو الأمانة العلمية.

٣. سلامة البحث من الاخطاء اللغوية والمطبعية وخاضعاً للتقويم العلمي .

٤. أن تكون طباعة الهوامش في نهاية البحث .

٥. أن يكون حجم البحث معقولاً ولا يتجاوز الخمسين صفحة .

٦. أن لا يكون البحث مستلاً من رسالة أو اطروحة جامعية لغير طلبة الدراسات العليا .

٧. يقدم الباحث نسخة مطبوعة مع قرص مدمج للمادة المقدمة للنشر- مع مبلغ خمسين ألف دينار للباحثين داخل العراق ومائة دولار للباحثين من خارج العراق.

٨. يفضل أن يحتفظ الباحث بنسخة أخرى من القرص المدمج .

٩. يفضل أن ينتهي البحث بخلاصة باللغة الانكليزية .

١٠. المجلة غير مسؤولة عن إرجاع البحوث المنسوخة أو الاقراص المدمجة .

فهرس العدد (٧٤)

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
١.	نظرة جديدة في اله السماء ان/انو في معتقدات العراقيين القدماء البداية، التسمية، الاثر	أ. د. سجى مؤيد عبد اللطيف	٣-١٢
٢.	أنظمة الري ووسائل التخزين في كتاب المخصص لابن سيده (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م)	أ.م.د محمد علي حسين	١٣- ٣٠
٣.	حادثة ماركوبولو وأثرها على التوسع الياباني في الصين (تموز ١٩٣٧- تشرين الأول ١٩٣٨) "دراسة تأريخية"	أ. م.د. وسام هادي عكار	٣١- ٦٦
٤.	باشوية بغداد ومرتكزات نظام الادارة العثماني ١٨٣١-١٨٦٩	ا.م.د احمد عبدالواحد عبدالنبي	٧٦-٩٢
٥.	نهر النيل في العلاقات المصرية الكونغولية ١٩٥٢-١٩٨٠م	أ.م.د نصير محمود شكر الجبوري	٩٣- ١٢٢
٦.	عزيز جاسم الحجية وآثرهُ في توثيق التراث البغدادي	أ.م.د كمال رشيد خماس العكيلي	١٢٣- ١٥٤
٧.	كتابة التاريخ الاسلامي في المدينة والعراق مقارنة بين مدرستين	أ.م.د. طه جميل احمد النعيمي	١٥٥- ١٧٢
٨.	فلسفة السياسة الامريكية قي نهاية القرن العشرين	د. عبد حسين عبد محسن سوسه	١٧٣- ٢١٦
٩.	نبوية موسى ودورها في الحركة النسوية في مصر (١٨٨٦- ١٩٥١) (دراسة تاريخية)	أ.م. وفاء خالد خلف	٢١٧- ٢٣٤
١٠.	الصحابي عباد بن بشر الأنصاري ﷺ سيرته وأثره في الإسلام	م. سماح نوري فاضل	٢٣٥- ٢٥٤
١١.	نقد مؤرخي كتب التاريخ العام الشاميين للحكام والوزراء خلال القرن الثامن الهجري	الطالب :شمخي يابر عويد أ.د.فاضل جابر ضاحي	٢٥٥- ٢٨٠
١٢.	الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في مدينة أردبيل	الطالبة : رباب فاخر حرفش أ.م.د. نوال ناظم محمود	٢٨١- ٣٠٢

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
١٣.	هاشمية الانبار أول عاصمة عباسية رسمية في العراق- الموقع والتسمية	الطالب: عدي دحام حماد الهيتي أ.م. د. حيدر فرحان الصبيحاوي	٣٠٣-٣٣٤
١٤.	طرق اعتناق وانتشار المسيحية في شمال شبه الجزيرة العربية وفق طروحات المستشرقين دائرة المعارف الإسلامية انموذجا	الطالبة :هديل شكري محمد العاني ا.د ليث شاكر محمود	٣٣٥ -٣٤٨
١٥.	نوري عبدالحميد العاني ومنهجه وفكره التاريخي	الباحثة:مروة حسين علي علوان الجنابي أ.د منسي شرموط محمد المسلط	٣٤٩- ٣٦٦
١٦.	موقف جريدة الأهرام من ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨	الباحث: ليث نعمة موسى الخفاجي أ. د. أُسامة عبد الرحمن الدوري	٣٦٧-٣٩٠
١٧.	قانون الأول من حزيران عام ١٩٧٢ لتأميم شركة نفط العراق (I.P.C)	الباحث. صفاء كاظم عباس أ.م.د. علي خيري مطرود	٣٩١ -٤١٢
١٨.	ميناء الجار في العصر النبوي (١-١١هـ/٦٢٢-٦٣٢م)	طالب : علي فلاح جوحي أ.م.د. وفاء عدنان حميد	٤١٣ -٤٢٨
١٩.	نماذج مختارة من المباخر المعدنية الاسلامية (المحفوظة بالمتحف العراقي)	الباحث: عمار شاكر عبيد أ.م. د. فاروق محمد علي	٤٢٩ -٤٤٢
٢٠.	واقع التعليم في لبنان(١٩٤٣-١٩٥٨)	الطالبة: رئام صاحب علي أ.د. سعد نصيف جاسم	٤٤٣ -٤٧٨
٢١.	الفن القصصي عند العرب قبل الإسلام	رواء عبد الستار علي هديل غالب عباس	٤٧٩- ٥٠٦
٢٢.	الاكل الحرام في الماضي والحاضر دراسة مقارنة	الباحثة: سمر عباس عبد الكريم	٥٠٧ -٥١٢
٢٣.	الاصول التاريخية للتركمان	الباحث: محمد خيري رزا أ.م.د. عبد صالح محمد	٥١٣-٥٢٤

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
٢٤.	زعامة صموئيل آدمز لحفلة شاي بوسطن عام ١٧٧٣	الباحثة: رواء حيدر صالح أ.د.هاشم صالح التكريتي	٥٢٥-٥٤٠
٢٥.	الكتاتيب والمكتبات في العصر الايوبي ٥٦٧هـ-٦٤٨هـ/ ١١٧٢-١٢٥٠م	الباحث: فرات محمود ميران أ.د. قصي اسعد عبد المجيد الراوي	٥٤١- ٥٧٠
٢٦.	العيني ومنهجيته في النقل من المصادر في كتابه" عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان" عن عصر سلاطين الايوبيين(٥٦٥-٦٢٨هـ/ ١١٦٩ - ١٢٣٠م)	الباحث: فياض احمد زعيان أ.م.مثنى فليفل سلمان الفضلي	٥٧١-٦١٤

نظرة جديدة في اله السماء ان/انو في معتقدات العر اقيين القدماء البداية، التسمية، الاثر

أ. د. سجى مؤيد عبد اللطيف
جامعة بغداد/كلية الآداب/قسم الاثار

نظرة جديدة في اله السماء ان/انو
في معتقدات العراقيين القدماء البداية، التسمية، الاثر

أ. د. سجى مؤيد عبد اللطيف

الملخص :

تعد الوحدانية أي عبادة الاله الواحد من المفاهيم الدينية التي قام على بحثها العديد من الباحثين والعلماء لاسيما في الحضارات القديمة ومنها العراق القديم ، ولهذا سنحاول هنا القاء نظرة او فكرة جديدة عن اصول تواجد الوحدانية في ديانة العراقيين القدماء متمثلة في عبادة اله السماء ان AN عند السومريين و انوanu عند الاكديين نطرحها على طاولة البحث العلمي علّها تؤتي ثمارها . ان الذي شجعنا في ذلك هو الدور المهم لإله السماء ان/انو في معتقدات العراقيين القدماء، فهو ابو الالهة وعظيمهم، وهو الاول في ثالوث الالهة السومرية او دولة الالهة ، ان لفظة اسم اله السماء المعروفة ب ان AN عند السومريين وانو anu عند الاكديين, كُتبت بالعلامة , وهي ايضا نفسها اللفظة العامة للإله المعروفة بīlu عند الاكديين ان تلك الأهمية ولأسباب اخرى شجعنا على طرح اعتقاد جديد في محاولة للتقريب بين اسم الجلالة الله وبين تسمية الاله ان AN سنقوم على طرحها في هذا البحث العلمي.

Abstract:

Monotheism, that is, the worship of the one God, is one of the religious concepts that many researchers and scholars have researched, especially in ancient civilizations, including ancient Iraq, and for this we will try here to take a new look or idea about the origins of the existence of Monotheism in the religion of the ancient Iraqis, represented in the worship of the God of Heaven who is called AN by the Sumerians and Anu by Akkadian, What encouraged us is the important role of the God of Heaven / Anu in the beliefs of the ancient Iraqis, he is the father of the gods and their greatness, and he is the first in the trinity of the Sumerian goddess or the state of the gods, who is written with the sign DINGIR also it is the same general word

for the deity known as īlu for the Akkadian, that importance and for other reasons encouraged us to put on a new belief in an attempt to bring the name of God Almighty closer to the name of God AN, which we will present in this scientific research

تعد الوحدانية أي عبادة الاله الواحد من المفاهيم الدينية التي قام على بحثها العديد من الباحثين والعلماء لاسيما في الحضارات القديمة ومنها العراق القديم وعلى رأسهم لامبرت و سيمو باربولا الذين نادوا على تواجدها لاسيما في نهايات العصر الاشوري الحديث كتطور للديانة في الحضارة القديمة متمثلة بالإله اشور الذي يبزغ من بين الالهة كإله رئيس وكقوة لا يستهان بها استنادا الى بعض التراتيل او الطقوس الدينية للملك اشوربانيبال ، إلا ان هناك من وجد أن ما ذُكر في التراتيل لا يمثل الوحدانية وإنما كان يقتصر على كونه تمجيدا للإله اشور، و ان فكرة التعددية لا يمكن استئصال وجودها في ديانة العراقيين القدماء [١]، وهنا سنحاول القاء نظرة او فكرة جديدة عن اصول تواجد الوحدانية في ديانة العراقيين القدماء متمثلة في عبادة اله السماء ان AN عند السومريين و انوanu عند الاكديين نطرحها على طاولة البحث العلمي علّها تؤتي ثمارها .

البداية :

يعد اله السماء ان/انو الأكثر اهمية في معتقدات العراقيين القدماء، لأنه ابو الالهة وعظيمهم[٢]، وهو الاول في ثالوث مجمع الالهة السومري او دولة الالهة ، تعود تاريخ اثاره الى عصر العبيد [٣]، وهو صاحب المكانة الاولى في ديانة العراقيين القدماء لأنه الذي يمنح شارات الحكم الموجودة على دكته او يعين الملوك فهو صاحب السلطة المطلقة[٤]، يسكن السماء السابعة كما جاء في قصة ايتانا : " **ياصديقي ، رائعة هي المناطق السماوية، هيا سأحملك نحو سماوات انو**"[٥].

كانت قراراته تتخذ بالأجماع ويكون البت النهائي فيها اي مصادقتها من الاله انو [٦]كما جاء على لسان الاديب البابلي :" يا انو كلمتك هي المسموعة ، من يستطيع ان يقول لا..."[٧]، وفي اسطورة ادبا : "ومن منهم من يستطيع ان يجعل امره يفوق امر انو "[٨]. وقد صنف اله السماء الاول في اسطورة الطوفان لاتراخاسيس البابلية وعلى رأس الالهة السبعة مقررة المصائر(انو ، انليل ، ننخرساك ، انكي ، ننار ، اوتو ، اننا)[٩]، و ان قائمة الالهة

التي تبدأ اولا باله السماء an=anum قد جاءت نسختها الواضحة من العصر الاشوري الحديث، الا ان اصولها تعود الى العصر البابلي القديم(١٠). والاله ان/انو هو الذي يقرر مصائر الكون والالهة والبشر وهو خالق الخلق طبقا للأساطير وملك الالهة و ملك السماء وملك الاراضي ومن القابه الراعي والامير(١١). وتتضح مكانة الاله في قصص الخليقة الموجودة في النصوص المسمارية, ففي القصص السومرية تتعدد ادوار ان كاله خالق للسماء , ففي قصة كلكامش وانكيدو والعالم الاخر نقرأ:

"وبعد ان اخذ الاله ان السماء "

"وبعد ان اخذ الاله انليل الارض"

وفي قصة اخرى مثل اسطورة الماشية والغلة :

"ولد الاله ان(اله السماء) الالهة انوناكي "(١٢)، وهو من العناصر الاساسية التي يتالف منها الكون (السماء، الارض، الجو ، البحر)(١٣)

فلكيا فقد قسمت السماء الى ثلاثة اقسام كل قسم كان قد ارتبط بإله , دعيت هذه الاقسام بدروب السماء فهناك درب الاله انو والذي يكون موقعه في الدائرة الكونية المركز, يليه درب الاله انليل في الوسط , ثم الاله ايا في الدائرة الاخيرة ، وكل درب من هذه الدروب الثلاث يضم ١٢ مجموعة نجمية(١٤).

كان شأن إله السماء رفيعا في بداية عصر فجر السلالات في الالف الثالث ق.م ، إلا انه بدأ بالانحسار بعد ذلك ليحل الاله انليل اله الرياح محل ابيه الاله ان او انو اله السماء، وبلغ ذروة انحساره فيما بعد لاسيما في العصر البابلي القديم اي في الالف الثاني ق.م ، اما في العصور الاشورية المتأخرة فحلّ محله الاله اشور كإله مركزي في الامبراطورية الاشورية(١٥)، و هو ابن كل من الالهين انشار AN–Ŝar2 اله الكون وكيشار KI–Ŝar2 الهة الارض، و ان اصل علامات الاله اشور في العصور الاشورية المتأخرة هي $an–šar_2$ ومعناها "سماء الكون" او "اله الكون"، ومما يظهر ان جزء منها طبقا لاعتقاد الباحثين قد ارتبط بإله السماء ، وان انشار هو النظير الذكري للإلهة الارض، لهذا يجد بعض الباحثين ان الاله انشار موازيا لأله السماء ولا فرق بينهما،(١٦) وفي الوقت التي تذكر المصادر البابلية وبالتحديد اسطورة الخلق البابلية ان انو قد جاء من انشار وكيشار(١٧) ، على الرغم

ان اسطورة "انليل وسودsud" السومرية تذكر ان انليل قد وُلد من اله السماء انشار[١٨]...., لهذا فهو الاله الخالق لجميع عناصر الكون المتمثلة بالهواء والماء والتراب , وهو الاله الوالد لإلهة الكون الرئيسة انليل وانكي واناانا، والاله اشكر / ادد اله الرعد، والهة الكتابة نيسابا، واله العالم الاخر نركال و والدا ايضا لعدد من الجن والعفاريت و الهة الشر السبعة التي تدعى "سيبيتو"[١٩]. اما زوجته فهي اوراش في السومرية وانتوم في الاكدية وعرفت بالقاب اخرى مثل ننخرساك او ننماخ ننتو وجميعهم يعدون من الالهة الام، اما ابناؤه فهم انليل اله الهواء، وانكي اله الماء،[٢٠].

ان لفظة اسم اله السماء المعروفة ب ان AN عند السومريين وانوanu عند الاكديين, كُتبت بالعلامة [٢١] , وهي ايضا نفسها اللفظة العامة للإله المعروفة بīlu عند الاكديين .

ان الملفت للانتباه في اله السماء ان او انو اقتصار علامته على العلامة الدالة على الالوهية[٢٢] dingir ، وهي العلامة التي تسبق جميع اسماء الالهة ما خلا اله السماء اذ يقتصر اسمه على علامة الالوهية بمفردها، وهي العلامة ذاتها التي تشير الى جهات الكون[٢٣]، وتعد احدى رموز الاله التي تظهر على الاثار الفنية مثل الاختام الاسطوانية والمسلات واحجار الكودورو مع رموزه الاخرى مثل العصا والصولجان وحزمة القصب المعقوفة[٢٤]، اما التاج المقرن فهناك شك في كونه رمزا من رموزه المعروفة كشارات للحكم يقلد بها الملوك، وجميعها تعود الى عصور قديمة اقدمها جاء من عصر الوركاء او جمدة نصر[٢٥]، اما رقمه بين الالهة فهو ٦٠ فيكون بذلك الحائز على المرتبة والرقم الاعلى في مجمع الالهة، والرقم ٦٠ هو الذي يعتمد عليه النظام الرياضي الستيني في العراق القديم[٢٦]. وهو الذي تتباهى الملوك على اختياره لهم حتى نهاية العصر البابلي الحديث , على الرغم من انحسار دوره ابتداء من الالف الثالث قبل الميلاد وحلول كل من الاله انليل واشور ومردوخ كآلهة مهمة فيما بعد.

ان تلك الأهمية وتلك البداية ما تشجعنا الى اعتقاد جديد هو محاولة التقريب بين اسم الجلالة الله وبين تسمية الاله ان AN اعتقادا منا بان هناك وجود فكرة لعبادة الاله الواحد في معتقدات العراقيين القدماء من خلال البحث في اصل تسمية إله السماء AN او anu التي

ربما تقترب من اله الوحدانية للعبرانيين والاراميين وغيرها من الاديان آخرها الاسلام ,التسمية التي تقترب من اسم الجلالة **الله** اعتمادا على العديد من المعطيات ومنها اولا البداية والاهمية كما ذكرنا، وثانيا تسمية الاله وثالثا الاثر كما سناتي عليه لاحقا , اذ نلاحظ الاشتراك اللفظي بين الصوتين N في AN و L او اللام في الله والتي اصلها **ال** طبقا لتفنيد سيبويه وهذان الصوتان N وL يشتركان في صفة صوتية هي صفة الاذلاق,[٢٧] وهي احدى الصفات الصوتية التي تمتاز بها الحروف فضلا عن المخارج الصوتية، والاصوات المشتركة اما في المخرج او الصفة بالإمكان تبادلهما، لاسيما وان هناك في اللغة السومرية مثل هذا التبادل في كلماتها والمصطلحات بين الصوتين N و L كما في $NU.KIRI_6$ "رجل البستان= البستاني" , $NU.BANDA_3$ "الرجل الصغير = المشرف "حيث ان اصل NU هي LU_2 بمعنى "رجل" في كلا المصطلحين , وكذلك هناك التغير الصوتي لأداة النفي NU اذا جاءت قبل ادوات الجملة BA وBI, اذ تتحول الى LA قبل BA و الى LI بعد BI, و هناك العديد من الامثلة باللغة السومرية ما يثبت ذلك, لهذا نرجح ان اصل الكلمة السومرية AN هي AL وفي الاكدية alu "، لاسيما وان اللفظة العامة للإله هي ilu في الاكدية وتحمل نفس العلامة 𒀭 الدالة على اله السماء[٢٨]. وبهذا نكون وقد اقتربنا من اللفظة العربية "الله" ، وكما اشرنا ان اصل لفظ الجلالة " الله" عند بعض اللغويين العرب القدماء مثل سيبوية وغيره هو "اله" او " الاه" وهو اسم مشتق، أصله "الإله"، أُختلف في أصل هذا الاسم بين أصحاب اللغة، فمنهم من قال: إنه اسم مشتق، ومنهم من قال: إنه اسم جامد، ولكل منهم حُجته ، وفي الاشتقاق حذفوا الهمزة، وأدغموا اللام في اللام، فصارتا لامًا واحدةً مشددةً مفخمة "الله"[٢٩] ، وعلى هذا نرجح قراءة الاسم بدلا عن **ان** او **انو**، **ال** او **ال'**، استنادا الى القاعدة الصوتية الاذلاق المشار اليها ليكون متطابقا مع التسمية الاكدية العامة للإله ، فيقترب ذلك كله من الترجيح الى وجود الوحدانية متمثلة بالإله **ان** التي تطورت ربما فيما بعد الى التعددية الشركية .

من الاشياء المهمة التي تدل على تفرد اله السماء هو إحتمالية انعدام تمثيله على النماذج الفنية الا من خلال رموزه[٣٠]، فضلا عن الاسماء والالقاب المهيبة مثل " ملك الملوك "، " الملك العظيم" ،"ملك الالهة"، "ملك الاراضي"، كذلك تتضح صفاته في الاسماء

الشخصية مثل "الرحيم" كما وصف ب"المحي" و"الرؤوف" "الحكيم" وغيرها الكثير من الصفات(٣١)، كما له من الاسماء والالقاب المهيبة مثل " ملك الملوك "، " الملك العظيم"،"ملك الالهة"، "مللك الاراضي", فضلا عن تباهي الملوك بتحقيق العدالة التي منحت اياهم عن طريق اله السماء مع اله الرياح انليل , وقد اهتم المجتمع العراقي بأكمله على إقامة الطقوس والقرابين اليه حتى عصور متأخرة , وديمومة واستمرارية هذا الاهتمام منذ عصور قديمة وحتى النهاية في العراق القديم , كل ذلك يطرح فكرة الوحدانية على طاولة المناقشة . ومن الامور الاخرى التي من المهم الانتباه عليها اقدمية معبده في الوركاء المعروف بالمعبد الابيض الذي يعود في طبقاته الى عصر العبيد اربعة٤٠٠٠-٤٥٠٠ ق. م (٣٢)، وليس هناك اقدم منه الا معابد اريدو للإله انكي التي تعود الى عصر العبيد في طبقاته المبكرة، الا ان هناك احتمالات الوصول الى طبقات تعود بقدمها الى اولى طبقات المعابد في اريدو الا ان التنقيبات لم تصل اليها بعد .

اما دوره في المجتمع فيتمثل بتحقيقه العدالة وتتمثل من خلال القوانين التي يصدرها الملوك برعاية الاله **ان** يشاطره فيه الاله **انليل** ومن اهم القوانين قانون اورنمو وقانون حمورابي : ففي قانون حمورابي يذكر : "ان الالهين العظيمين انو العظيم سيد ملائكة الارض والسماء ، وانليل رب السماء والارض .... قد انتدباني... لنشر العدل والقضاء على الشر والغش...."

اما الطقوس والقرابين فكانت قرابينه يومية فضلا عن الشهرية فاليومية كانت تشمل الصباحية والمسائية وكانت عبارة جرار من شراب الجعة وكذلك وجبات من اللحم والخبز فضلا عن الحلويات المتمثلة بالتمر والزيوت(٣٣).

واما الطقوس فقد تعددت مثل طقس غسل الفم وهي تلك الطقوس التي ترافق اعداد تماثيل الالهة والتي تجري من لدن كاهن معبد الاله في الليل وعلى ضوء المشاعل الى ضفة النهر حيت تصب السوائل وتتلى التعويذ والرقى وفي الصباح يتم ارجاعه الى المعبد(٣٤).

وكان له دوره ايضا في احتفالات راس السنة الجديدة اكيتو المقام في نهاية شهر اذار بداية نيسان وقد شملت مدن كثيرة ،وكان لأغلب الالهة دورهم في هذه الاحتفالات لاسيما اله

السماء الذي يقام في الوركاء وفي بيت خاص بالإلهة مثل الاله انو، يستمر لأيام وتقدم فيه الاضاحي وتتلى الصلوات للإله ويكون بحضور الملك وحاشيته [٣٥].

ونلاحظ الاثر الذي تركه **اله السماء** في السياسة في اثناء تتويج الملك البابلي ريم سين احد ملوك سلالة لارسا(١٨٢٢-١٧٦٣ق.م) قال الملك ما يلي:" عسى ان يضع (انو)التاج المقدس على رأسك"[٣٦]، ولما اعطى انليل السيادة الى مردوخ في العصور البابلية اعطاها وكأنه الحاكم فقط اما السيادة المطلقة فبقت بيد الالهين انو وانليل، فهو الذي ينظر في القضايا التي تعرض على البشر مثل اختياره قائد الالهة في منازلة قوى الشر تيامت ، فضلا عن اختياره ننورتا في منازلة الطائر زو لسرقته الواح القدر في اسطورة زو ، وقرار عقوبة الاله انليل جزاء اغتصابه الالهة ننليل ، وقرار موت انكيدو بعد قتله حارس الغابة خمبابا في ملحمة كلكامش الذي اتخذه بالإجماع مع الالهة في مجمع الالهة .[٣٧] ، كما كانت تنسب الى انو في العصور الاشورية قرارات الملوك في حملاتهم العسكرية التي ماهي إلا اوامر إلهية تُنسب الى الآلهة مثل اله السماء فضلا عن اعمال مختلفة كانت قد نسبت اليه لاسيما في عهد الملك شمشي ادد الاول (١٨١٣-١٧٨١ق.م)[٣٨].

كل هذه الاسباب التي ذُكرت اعلاه تُرجح حقيقة النظرية المطروحة على تفرد إله السماء **ان** عند السومريين و**انو** عند الاكديين من بين الهة العراق القديم والذي يقترب في صفاته للإله الذي عرفته ديانات التوحيد وكذلك الديانة الشركية في الجزيرة.

الاشكال والصور

نموذج رقم(١)



يوضح الشكل احد احجار الكودورو التي تظهر في الاعلى احد رموز اله السماء ان/انو المتمثل بالتاج المقرن[٣٩]

نموذج رقم(٢)



نموذج بنائي يوضح واجهة معبد اله السماء ان في مدينة الوركاء[٤٠]

الهوامش والمصادر:

[1]Barbara N.p. ,One god or Many ,New York,2000.pp.229,165,256,269.

[٢] فوزي رشيد ، حضارة العراق ، بغداد ، ١٩٨٥، ص١٤٩.

[٣] عامر سليمان ،"جوانب من حضارة العراق القديم ،العراق في التاريخ، بغداد، ١٩٨٥ ، ص٢١١-٢١٤.

[٤] الطعان ، عبد الرضا ، الفكر السياسي في العراق القديم، بغداد ، ١٩٨ص ، ٣٦٥-٣٦٦.

[٥] لابات ، لابات، رينيه، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين مختارات من النصوص البابلية ، ترجمة البير بونا ووليد الجادر، بغداد، ١٩٨٨، ص٣٥٩-٣٦٠.

[٦] المشكور جنان عبد الرضا عبد الحسين ،الاله (ان/انو)في حضارة بلاد الرافدين، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد،٢٠١٤ ، ص٥١.

[7] Hallow W.,& Van Dijk ,The Exalting of Inna ,New Haven,1968,pp. 35

[8] Speiser E.A., "Adope " ,Ancient Near East,,p.101-102

[٩] : كريمر ، صموئيل نوح ، السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم ، ترجمة فيصل الوائلي ، بيروت ، ١٩٧٣، ص ١٦٣.

[10] Barbara N.p.,Op.Cit , pp.220-221

[١١] المشكور، جنان، المصدر السابق، ص ١٥

[١٢] كريمر , صموئيل نوح , من الواح سومر , تر: طه باقر , بغداد , ١٩٥٧ , ص ١٦٠ ، سجى مؤيد عبد اللطيف،" الاصل الفلكي للنظام الستيني "، مجلة دراسات في الاثار والتاريخ،٣٥(٢٠١٣)، ص٢٨٢

[١٣] عامر سليمان ،"المصدر السابق ، ص٢١١-٢١٤.

[١٤] فون زودن , مدخل الى حضارات الشرق القديم , ترجمة : د فاروق اسماعيل , مراجعة , احمد رحيم هبو , تعز , ١٩٩٩ ، ص١٨٨.

Black J. ,Green A. , Gods .Demons and symbols of ancient Mesopotamia, Britain, 1992 ,p. 30

[١٥] فاضل عبد الواحد علي ، عادات وتقاليد الشعوب ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ١١٠

[16] Barbara N.p.,Op.Cit , pp. 338-339

[١٧] لابات، رينيه، مصدر سابق ،ص ٣٤

[18]The Electronic Text Corpus of Sumerian Literature,C.1.2.2 http://etcsl.orinst.ox.ac.uk/cgi-bin/etcsl.cgi?text=c.1.2.2

[١٩] فوزي رشيد ، المصدر السابق ، ص١٤٩.

[٢٠] فوزي رشيد ، المصدر نفسه، ص١٥٠-١٥١ ; ينظر ايضا:.Black J., OpCit,p.30

[21]Labat M.,Materail for the Assyrain Dictionary,Chicago,1952,13

[٢٢] جاكبسون ، جاكبسون ، ثوركيلد واخرون ، ما قبل الفلسفة ، ترجمة : جبر ابراهيم جبرا ، بغداد ، ١٩٦٠ ، ص٢٠١

[٢٣] المصدر نفسه ،١٥٠ص، كريمر ، صموئيل نوح ، مصدر سابق، ١٩٧٣، ص ٤٣٣.

[٢٤]ساكز، هاري، عظمة بابل ، ترجمة عامر سليمان ، ط١، الموصل، ١٩٧٩، ص ٣٦٧-٣٦٨

[٢٥] جاكبسون ، المصدر السابق، ص ٢٠٢

[٢٦] سجى مؤيد عبد اللطيف، المصدر السابق ، ٢٨٢ص.

[٢٧] سميت مجموعة اصوات بالذلقية نسبة الى صفة المخرج الذي يأتي من طرف اسلة اللسان والشفتين وهي احرف سته ، الراء واللام والنون والفاء والباء والميم .ينظر:

الصيغ ، عبد العزيز ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، دمشق، ١٩٩٨.

[28]Labat M.,Materail for the Assyrain Dictionary,Chicago,1952,13

[٢٩] روي عن سيبويه أنه اسم مشتق، فكان في الأصل "إلاه" مثل "فعال"، فأدخل الألف واللام بدلاً من الهمزة ، مثل: الناس الذي أصله: أناس ، وقال غيره: أصله في الكلام "إله"، وهو مشتق من أله الرجل يأله إليه والوله المحبة الشديدة، واشتقاقه من الوله لان قلوب العباد توله نحوه، إذا فزع إليه من أمر نزل به، فآلهة؛ أي: أجاره وآمنه، ومن اله يأله اذا تحير ، لان العقول تتحير عند التفكير في عظمة الخالق ، ومن أله يأله اي تعبد لان التأله التعبد، ومن لاه يلوه اذا احتجب او ارتفع ثم إنه لما كان اسمًا لعظيم ليس كمثله شيء، أرادوا تفخيمه بالتعريف الذي هو الألف واللام، لأنهم أفردوه بهذا الاسم دون غيره، فقالوا: الإله، واستثقلوا الهمزة في كلمة يكثر استعمالهم إياها، وللهمزة في وسط الكلام ضغطة شديدة، فحذفوها فصار الاسم كما نزل به القرآن، وقال الكسائي والفراء: أصله الإله، حذفوا الهمزة، وأدغموا اللام الأولى في الثانية، وعلى هذا، فالصحيح أنه مشتق من أله . اما الرأي الذي اعطي على انه اسم جامدو مرتجل، ليس بمشتق ألبته، ، وقالوا: إن اسم "الله" غير مشتق؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادةً يُشتق منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادة له، فيستحيل الاشتقاق. وفي الحقيقة ان الغالبية مع الاشتقاق ينظر :

احمد مختار عمر ، اسماء الله الحسنى ، دراسة في البنية والدلالة ، القاهرة ,١٩٩٧، ص٤٢.

[٣٠] بارو ، اندريه ، سومر فنونها وحضارتها ، ترجمة عيسى سلمان و سليم طه التكريتي ، بغداد، ١٩٧٩، ص٢٤١

[٣١] المشكور ، مصدر سابق ،١٦٥-١٧٢

[٣٢] علي محمد مهدي ، دور المعبد في المجتمع العراقي القديم من دور العبيد حتى نهاية دور الوركاء ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ،١٩٧٥، ص٧١

[٣٣] الراوي ، شيبان ثابت ، الطقوس الدينية في بلاد الرافدين حتى نهاية العصر البابلي القديم، اطروحة دكتوراه غير منشورة ،جامعة بغداد ٢٠٠١، ص ٤٣-٤٤

[٣٤] المصدر نفسه ، ص٣٨-٤٠

[٣٥] المشكور، المصدر السابق ، ص٦٣-٦٤.

[36] Postgate J.N.Early Mesopotamia,London,1994,P.261

[37] Jacbson TH.,Toword Image of tammuz and other essays on Mesopotamia history and culture ,137-138

[٣٨]ساكز، المصدر السابق ، ص ٣٩٧

[٣٩] الشاكر فاتن موفق فاضل علي، رموز اهم الالهة في العراق القديم دراسة تاريخية، رسالة ماجستير ، جامعة الموصل، ٢٠٠٢،شكل ٦٥

[40] Harris R, "Inanna-Ishtar as Paradox and a Coincidence of Opposites," History of Religions 30, no. 3 (Feb., 1991): 261-278.

أنظمة الري ووسائل التخزين في كتاب المخصص لابن سيده (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م)

أ.م.د محمد علي حسين
قسم التاريخ / كلية التربية للعلوم الإنسانية
Dr.mohammadali1977@gmail.com

أنظمة الري ووسائل التخزين في كتاب المخصص لابن سيده (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م)

أ.م.د محمد علي حسين

الملخص :

يشكل النشاط الزراعي اهمية اقتصادية على مر العصور فهو عصب الحياة لأي مجتمع من المجتمعات ، وهو العامل الاساس في بناء اي حضارة لذلك فان قيام وازدهار الحضارات القديمة كان معتمداً على الزراعة ولا عجب في بروز اقدم القوانين والشرائع التي نظمت حياة السكان المعتمدين على الزراعة والري ، لذا سعت الدراسات التاريخية وبمختلف جوانبها الى ابراز ذلك النشاط بغية الاستفادة منه ومنذ اقدم العصور فهو بحق احد الدعائم الاساسية المهمة وبنهوضه وتطوره يتطور الاقتصاد وبالتالي تتطور الجوانب الاخرى.

وعلى الرغم من قلة المعلومات المتوفرة عن انظمة الزراعة والري ووسائل تخزين المياه إلا انها شكلت واحداً من المواضيع المهمة التي تم دراستها ومنذ عهود طويلة وسعى المؤرخون بشكل عام وكتب الفلاحة بشكل خاص الى كتابة كل ما يتعلق بها من طرق الارواء والآلات المستخدمة فيها وتبيانها في ابسط طرقها .

Abstract

Irrigation systems and storage means in a book dedicated to his son
(D 458 AH / 1065 AD)

Prof. Dr. Mohammed Ali Hussein Abbadi
Department of History / Faculty of Education for Humanities

Early historians sought to take care of the agricultural activity, and paid special attention to it. The book contains many agricultural terms that carry in their connotations and interpretation of many meanings, as between many irrigation systems and their methods and irrigation methods and described accurately and clearly and organized systems commensurate with the importance of the importance of agricultural activity, The research includes two subjects, the first of which dealt with the biography and life of Ibn Sayyidah and briefly to be addressed in other studies. The narratives and storage methods addressed by Ibn Sayyidah in his book dedicated and the descriptions

of the narrative descriptive and accurate are not necessarily available in most of the country or historical literature.

المقدمة :

لا شك إن الزراعة عصب الحياة الاقتصادية لذا اهتم بها الانسان على اعتبارها مصدراً اساسياً من مصادر الثروة وسعى الى استغلال العوامل الطبيعية والبشرية لصالح نشاطه الزراعي من اجل سد حاجته الطبيعية من الغذاء ، وهذا ما فعله الانسان منذ ادراكه بان الله تعالى ملكه الارض من اجل ان يستغلها ويستثمرها على احسن وافضل حال.

ولان النشاط الزراعي قد مثل اهم مقومات الحياة لدى الانسان فقد سعى المؤرخون الاوائل ومنهم على سبيل المثال لا الحصر ممن ألفوا في الزراعة ، ابي سعيد عبد الملك الاصمعي(ت٢١٦هـ/٨٣١م) وضع كتابين عن النبات والشجر ، وابن بصال (ت٤٩٩هـ/١١٠٥م) مؤلف كتاب الفلاحة وغيرهم الكثير الى العناية والاهتمام بذلك النشاط واولوها عناية خاصة وسخروا جل ما استطاعوا من طاقاتهم وامكانياتهم في الكتابة عنه بغية الاستفادة منها ، وكان لمصادر ومعاجم اللغة جزء من هذا الاهتمام فجاء كتاب(المخصص) لابي الحسن علي بن سيده(ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م) خير مثال لذلك إذ احتوى على العديد من المصطلحات الزراعية التي تحمل في دلالاتها وتفسيرها للعديد من المعاني ، كما بين الكثير من انظمة الري ووسائلها وطرق الارواء ووصفها وصفاً دقيقاً وواضحاً ونظمها تنظيماً يتناسب مع حجم الاهمية التي كان يعتليها النشاط الزراعي ، إذ تناول كل لفظ ومشتقاته وابان معناه واعطى الدلالة السائدة عليه حينذاك مما يسر لنا الوقوف على المعنى الدلالي للمصطلحات الواردة في البحث .

يتضمن البحث مبحثين تناول الاول منه سيرة وحياة ابن سيده وبشكل موجز لتناولها في دراسات اخرى ، والمبحث الثاني خصص عن انظمة ووسائل والري وطرق الارواء ووسائل التخزين التي تناولها ابن سيده في كتابه المخصص وما تضمنه من روايات وصفية ودقيقة لا تتوافر بالضرورة في جل المؤلفات البلدانية او التاريخية.

المبحث الاول (سيرة ابن سيده)

أسمه:

هو علي بن اسماعيل[١] وكنيته ابو الحسن[٢] إلا ان اشهر كناه التي اشتهر بها وشاع ذكرها عنه هي (ابن سيده)[٣] ، ومن المؤرخين من نسبه الى مدينة مرسية[٤] فقال (المرسي)[٥] ، ومنهم من نسبه الى الاندلس فقال عنه(الاندلسي)[٦].

ولادته ونشأته :

على الرغم من ان المصادر التي تحدثت عن ابن سيده كانت قد اغفلت الكثير من المعلومات من حيث الاسم والنسب ، نجد انها لم تشر الى ولادته متى كانت؟ وفي اي سنة؟ واين؟ وكل ما ذكر عنه في هذا الصدد اثناء الحديث عن وفاته إذ قيل انها كانت سنة ثمان وخمسين واربعمائة وله من العمر ستون عاماً[٧] وإذا ما اردنا احتساب سنة ولادته من سنة وفاته يكون مولده هو سنة ثمان وتسعون وثلاثمائة ، اما عن مكان ولادته فذكرت المصادر انه نشأ في مدينة مرسية مع والده ، فتكون مدينة مرسية مكاناً لولادته .

كان ابن سيده ومنذ طفولته قد نشأ كفيفاً ومع ذلك لم يمنعه فقد بصره من تمكين نفسه ومواصلة مسيرته وبناء شخصيته التي احبها ابناء مدينته ، حتى ذكر انهم قدموه عليهم بعد ان قدم ابو عمر الطلمنكي(ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)[٨] عليهم المدينة في توثيق سماعهم للغريب المصنف[٩] ، وان دل ذلك على شيء فإنما يدل على ان فقده لبصره الذي كان ملازماً له زاده فطنةً وذكاءاً حتى تميز عن ابناء مدينته ، ومثلما سكتت المصادر ولم تسعفنا عن الكثير من المعلومات عن ابن سيده وحياته وافراد اسرته لم تقدم لنا ايضاً المعلومات الكافية التي اهلت ابن سيده وجعلته في مقدمة اهل العلم والعلماء.

وإذا ما اردنا التعرف على ثقافته ونشأته العلمية لم يسعفنا في ذلك سوى ارجوزته التي افصح فيها عن الكثير من المعلومات الخاصة به ولأنها بينت ثقافته واساتذته ومعارفه التي قرأها ، ومما جاء فيها انه في سن الرابعة من عمر قد بدأ في حفظ القران الكريم الذي اتمه في سنتين[١٠] ، وبعد حفظ القران الكريم اتجه نحو اكمال علومه الاخرى فقرأ كتب الحديث النبوي وكتب ابن عباس ايضاً[١١] ، كما كان للكتب اللغوية والنحوية النصيب الاوفر لديه ،

إذ شرع في دراستها فقرأ العديد منها ، فقد قرأ كتب سيبويه ، وكتب ابي سعيد الرماني وابي علي الفارسي وابي الفتح بن عثمان الجني كما ذكر ذلك هو[١٢].

كما اعتنى ابن سيده بدراسة المنطق ، حتى عده ابن صاعد الاندلسي انه ممن اعتنى بالمنطق عناية طويلة والف فيها تأليفاً كبيرا واتقن العربية وآدابها وفاق اصل زمانه فيها[١٣] .

اقوال العلماء فيه :

احتل ابن سيده مكانة مرموقة بين علماء عصره لما تمتع به من ذكاء وفطنة وقوة في الذاكرة حتى اعجب به العلماء واشادوا بمدحه والثناء عليه المؤرخون حتى اسهبوا اسهاباً كثيرا وعدوه فريد عصره ، وفي هذا الصدد قال فيه ابو عمر الطلمنكي (ت٤٢٩هـ /١٠٣٧م)" دخلت مرسية فتشبث بي اهلها ليسمعوا علي غريب المصنف فقلت لهم انظروا من يقرأ لكم ، فاتوا برجل اعمى يعرف بابن سيده ، فقرأ علي من أوله الى اخره من حفظه فعجبت منه"[١٤].

اما ابن صاعد الاندلسي(ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) فقد قال فيه:" وهو بعد هذا اعلم اهل الاندلس قاطبة بالنحو واللغة والاشعار واحفظهم لذلك حتى انه ليستظهر كثيراً من المصنفات فيها كغريب المصنف واصلاح المنطق"[١٥] ، وقال فيه الحميدي(ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م):" هو امام في اللغة العربية حافظاً لهما على انه كان ضريراً وقد جمع في ذلك جموعاً"[١٦] ، وذكر فيه ابن سعيد المغربي(ت٦٨٥هـ/١٢٥٦م):"لا يعلم بالاندلس اشد اعتناء من هذا الرجل باللغة ولا اعظم تواليف تفخر مرسية به اعظم فخر ، طرزت به برد الدهر وهو عندي فوق ان يوصف بحافظ او عالم"[١٧].

وفاته :

مر بنا سابقاً اثناء البحث عن السنة التي ولد فيها ابن سيده رواية ابن صاعد الاندلسي الذي قال فيها عن وفاته " كانت سنة ثمان وخمسين واربعمائة وله من العمر ستون عاماً"[١٨] إذ تعد هذه الرواية اصدق ما نقل عن سنة وفاته ، كما وصف ابن خلكان حالة ابن سيده عند وفاته بالقول:" وتوفي يوم الاحد لأربع بقين من شهر ربيع الاخر سنة ثمان وخمسين واربعمائة وعمره ستون سنة او نحوها وراجت على ظهر مجلد المحطم بخط بعض فضلاء الاندلس ان ابن سيده المذكور كان يوم الجمعة قبل يوم الاحد المذكور صحيحاً سوياً الى

وقت صلاة المغرب فدخل المستوضأ فأخرج منه وقد سقط لسانه وانقطع كلامه فبقي على تلك الحال الى العصر من يوم الاحد ثم توفي رحمه الله تعالى"[١٩].

المبحث الثاني(أنظمة ووسائل الري وطرق تخزين المياه)

على الرغم من ان النشاط الزراعي يعتمد على مصادر مختلفة من المياه تتمثل بـ(مياه الامطار ومياه الانهار والخلجان والبحيرات والعيون والابار) إلا اننا في بحثا هذا سنقتصر فقط على ذكر مياه الابار وذلك لسببين الاول لكي لا نبتعد عن موضوعنا الاساس وهو انظمة الري ووسائل التخزين والثاني لسعة هذه المواضيع فقد تناولها ابن سيده بشكل مفصل ودقيق ستكون بحثاً لاحقاً بعنوان(مصادر الري وانظمة الزراعة عند ابن سيده في كتابه المخصص) ، لذا سنمهد لأنظمة الري ووسائل التخزين بالحديث عن الابار لارتباطها بطرق الري التي تستخدم بري الاراضي الزراعية .

اولاً : الابار

١- الآبار اسماءها كما ذكرها ابن سيده

البئر: مفرد وجمعها أبْؤرٌ ، وأبار والعرب تقلب همزتها وتكون آبار[٢٠] ، والبئر هو الحفيرة إذ يقال: بأرت بئراً[٢١] اي حفرت بئراً .

وقد ذكر ابن سيده العديد من التسميات للآبار التي اختلفت باختلاف طريقة حفرها وانواعها ومن هذه الاسماء التي ذكرها ،البْئر والركية[٢٢] والقليب[٢٣] ،وقد جمع هذه الاسماء الثلاثة واطلق عليها تسمية الشبكة ، والشبكة هي الابار المتقاربة في العدد وقيل هي الارض الكثيرة الابار[٢٤] .

ومن الاسماء الاخرى التي ذكرت في الآبار هو الرس[٢٥] ، وجمعها رساس وهي البْئر القديمة العادية[٢٦] ، ومن اسماء الآبار الاخرى ايضاً هو البود[٢٧] ، ومن الاسماء ايضاً الفقير[٢٨] وهو البئْر القريب من فم القناة[٢٩] الذي اتخذ حديثاً.

والكظامة[٣٠] اسم لبئْر الى جنبها بئْر وبينها مجرى في بطن الارض[٣١] ومن اسماء الابار الجب[٣٢] وَجمعه جِبَبَةٌ وأَجْبَابٌ وجِبابٌ وهي البئْر غير المطوية وقيل هي الكثيرة الماء البعيدة[٣٣]، وكذلك يعني الجد وجمعه اجداد[٣٤]، والزغربة هي البئْر كثيرة الماء[٣٥]، ويسمى

البئْر كثير الماء بـ(الجم والنقيع والعيلم والخسف)[٣٦] ، اما الابار ذات الماء القليل فيقال لها الفروع[٣٧].

٢- ادوات حفر الابار

إذا ما علمنا بان الماء الموجود في باطن الارض والذي يعرف بالمياه الجوفية تتكون مصادره من مياه الامطار ومن ذوبان الثلوج بعد تساقطها فتتسرب الى باطن الارض ، حيث يتم الاستدلال على وجود هذه المياه وكميتها وطعمها وقربها وبعدها عن طريق القنقن[٣٨] او عن طريق ما يسمى جواب الفلاة او العياف[٣٩]

اما ادوات الحفر فقد كانت هنالك العديد منها التي تم استخدامها في الحفر، ومنها الفأس ذات الحد الواحد التي تسمى بـ(الكردين)[٤٠] ، اما الفأس ذات الرأسين فيذكر ابن سيده انها تسمى الحداة[٤١] ، ومن الادوات الاخرى ما يعرف باسم المخدة وهي عبارة عن حديدة تستخدم في شق الارض[٤٢] ، والمعول وهو فأس عظيمة يطلق عليه تسمية الصاقور، يذكر ابن سيده انه يستخدم في اصلاح الارض وتعدينها[٤٣] والمحفار وهي عبارة عن حديدة تستخدم في حفر الارض[٤٤] ، والمدق الذي يستخدم لتكسير الحجارة وتفتيتها ، ويسميه ابن سيده بالمنحاز ويستخدم لدق الاشياء وتكسيرها[٤٥].

ثانياً: الآلات التي تستخدم لرفع مياه الري كما اوردها ابن سيده

ذكر ابن سيده وسائل وآلات عدة تستخدم في توفير المياه سواء ما كان منها للشرب او في ري المزروعات اعتمد عليها في ذلك ، منها:

١- الدولاب[٤٦] : وسمي الدولاب ايضاً بالناعور لنعيره[٤٧] ، ويكون الدولاب على شكل دائري يسند على مسندين ويكون كل مسند مجموع من طرفاه ويكون بينهما كيزان كالدلاء الصغار من خوص قد قيرت ويقال لتلك الكيزان العصامير، يوضع المسندان امام مجرى الماء بعد تقدير المسافة من موضع مصب الماء ، فاذا دار الدولاب اصعد الدلاء من جانب وهبطت التي تقابلها من الجانب الاخر فاغترفت الفارغة وعلت المملؤة حتى تنكس وتفرغ ما فيها من ماء في الجداول[٤٨].

٢- الدالية : وهي جذع طويل يركب تركيب مداق الارز وفي راسه مغرفة كبيرة مقيرة بخوص تأخذ ماءً كثيراً ، ويجعل ما يلي المغرفة من الجذع اقصر ، اما المؤخرة فتكون

اطول حيث يمشي عليها الرجال الى مؤخرة الجذع لترتفع مقدمة الدالية اي المغرفة بعد ان تمتلئ بالماء فيمضي الماء في الجدول ليسقي الارض المزروعة[٤٩]

٣- البكرة : وهي من اهم الادوات التي تستخدم لتسهل عملية نزول الدلو وصعوده وعرفها ابن سيده بالقول بانها" خشبة مستديرة في وسطها محز للحبل وفي جوفها محور تدور عليه"[٥٠] ، وإذا كانت البكرة من خشب سميت بـ(قعو) ، واذا ما كانت من حديد سميت خطاف[٥١] ، وتسمى الحديدة التي تدور عليها البكرة بالمحِوْرَة[٥٢].

٤- العوادق : وهي من انواع الحدائد التي تستخدم في استخراج الدلاء من الابار[٥٣].

٥- الدلاء : ويقال جمع الدلو الدلاء ، وادليتها ارسلتها في البئر[٥٤] ، وقيل ايضاً ادليت الدلو إذا ارسلتها فب البئر لتملائها ودلوتها ادلوها دلواً ، إذا اخرجتها وجذبتها من البئر[٥٥] ، وقد استخدمت الدلاء لسحب ونقل الماء من الابار ذات القعر البعيدة عن طريق دلو كبير له حبال كثيرة إذ يسمى الحبل(الرشا) ، ويذكر ابن سيده لأجل المحافظة على نظافة الابار يكون بإخراج التراب(النثيلة)[٥٦].

ومن التسميات التي اطلقت على الدلاء هي الحوأب ، والحوأب الدلو العظيمة[٥٧] ، والتي توصف بانها ذات الغروف الكثيرة الاخذ بالماء[٥٨].

ثالثاً: وسائل التخزين

اقدم الانسان ومنذ ازل العصور على اتباع الوسائل التي من شانها ان توفر له المياه لما لها من اهمية عظمى في حياتهم خصوصاً في تلك المناطق التي تعاني من قلة توفر المياه وبعد حاجة الانسان وزيادة رغبته في احياء الاراضي الزراعية سعى الى توفير المياه عن طريق حجزها في قنواتها واوديتها من اجل الاستفادة منها في الزراعة ، وهكذا عرفت السدود والخزانات منذ عهود بعيدة وسنسلط الاضواء على اهم الوسائل والاساليب المستخدمة في تخزين المياه وكما اوردها ابن سيده في كتابه المخصص وهي كالاتي:

١. السد : بالفتح ومعناه الجبل الحاجز[٥٩] ، وكل حاجز يوضع بين الشيئين والبناء في مجرى الماء ليحجزه يعرف بالسد[٦٠] ، وقد وردت لفظة السد بمعنى المنع في القران الكريم بقوله تعالى(وجعلنا من بين ايديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا

يبصرون)[٦١] ، ويعرف السد عند ابن سيده بالعرمة او المسناة التي يعترض بها الوادي فتسد به وجمعها العرم[٦٢] ، ويسمى السد ايضاً الردم لأنه يسد به[٣].

٢. الصهاريج : ومفردها صهريج وجمعها صهاريج ، وهي كالحياض يجتمع فيها الماء[٦٤] ، وقد عثر على صهاريج عديدة في جزيرة العرب إذ كان يستفاد منها في خزن المياه وهي مصنوعة من الصخور وبعضها من المرمر الابيض يكون البعض منها مغطى والاخر مفتوح على هيئة حوض ، ولها اهمية خاصة في اوقات الحروب وبنيت كذلك في البيوت والمعابد اضافة الى اتخاذها من قبل اهل المدن[٦٥].

٣. المَصنُعة : بفتح الميم وضم النون وفتحها وهي كالحوض يجمع فيه ماء المطر[٦٦] ، ويذكرها ابن سيده انها الموضع الذي يتخذ ويحفر فيه بركة يحتبس فيها الماء[٦٧].

٤. الحباس : ويكون مثل المصنعة مفردها حبس والجمع احباس ، وهو سد يعترض به الوادي ليحتبس الماء[٦٨] ، وقيل انها حجارة تبنى في مجرى الماء لتحبسه للشاربة فيسمى الماء حبساً[٦٩].

٥- – القنوات : وهي مجرى مائي تحت الماء وجمعها قنى[٧٠] او قناقن[٧١] وتكون بمثابة نهر باطن يجري تحت الارض نتيجة وفرة المياه الجوفية[٧٢] وهي ما يحفر تحت الارض يجري فيه الماء ، ويقال لمجاري ماؤها القصب[٧٣] لقد كان نظام الاقنية الجوفية منتشراً في مدن العالم الاسلامي فكان يدعى في الجزيرة العربية بـ (الكظائم) وهي قناة تجري تحت الارض[٧٤] وكما يبدو من النصوص التاريخية التي تشير إلى القنوات انها كانت على نوعين أما طبيعية وهي الغالبة أو صناعية من عمل الانسان.

٦- العيون : مفرد والجمع اعين وعيون[٧٥] وهي مياه تنبع من الارض وتعلوا الى سطح الارض ثم تسرح في قنى حفرت لها[٧٦] وتستعمل في عملية الارواء كما يعتمد عليها في الشرب ، وقد ذكر شيخ الربوه[٧٧] ان وقوع الاندية في الشتاء اكثر منه في الصيف وفي الجبال اكثر منه في السهل ، فاذا وقعت فيها وسال ما سال بالسيول غاض الباقي في المجاري التي في تجاويف الجبال وخزن هناك ، ثم يأخذ في الخروج عن المنافذ التي تسمى(العيون) .

٧- المصانع : وهي عبارة عن موضع يتخذ ويحتفر فيه بركة يحتبس فيها الماء وتعرف بالمصنعة او الاصناع[٧٨] ، ويذكر الزبيدي[٧٩] بانها عبارة عن ماسكات لماء السماء يحفرها الانسان لتمتلئ بالمطر وهي كالأحواض او تشبه الصهاريج ، اما ياقوت الحموي[٨٠] فيذكر انها برك صممت ليشرب منها الحجاج ، وتمتاز المصانع احياناً بكبرها الذي يتجاوز كبر الصهاريج[٨١] .

- الاحباس : ومفردها حبس وجمعها أحباس ، وهي حجاره تبنى على مجرى الماء ليحتبس الماء فيشرب الناس منه ويسقوا مواشيهم[٨٢] ، والحبس هو المنع[٨٣] وتكون ايضاً بمثابة السد الذي يعترض به الوادي ليحتبس الماء[٨٤] ، ويمكن الاستفادة من هذه المياه والتحكم بها عن طريق فتحات جانبية تغلق وتسد حسب الحاجة إليها[٨٥].

الاستنتاج :

بعد ان انتهينا من كتابة البحث بعون من الله وتوفيقه لابد ان نوضح ما يمكن تلخيصه لبيان اهمية وسائل الري ومعرفة الآلات المستخدمة ووسائل التخزين في النشاط الزراعي باعتبارها الاساس الذي تقوم عليه الزراعة ، وقد توصلنا الى نتائج يمكن اجمالها بما يأتي :

- يعد كتاب المخصص من أوائل المعاجم اللغوية التي اهتمت بميادين النشاط الاقتصادي بشكل عام وبالنشاط الزراعي بشكل خاص ، فهو من الكتب التي لا يمكن الاستغناء عنها لما يحتويه من معلومات علمية شاملة وقيمة للمؤرخين وللمهتمين بالنشاط الزراعي إذ انه بين الكثير من الوسائل الاروائية المستخدمة في سقي الاراضي الزراعية وطرق استعمالها.
- ان دراسة الجانب الزراعي مرتبط بعوامل عديدة اهمها وجود المياه ووفرتها كي تساعد عن البحث عن الوسائل المستخدمة في الري وكيفية سقي الاراضي ، وهذا ما اشار اليه كتاب المخصص فيما يتعلق بوسائل الري الطبيعية والآلات التي تستخدم في رفع المياه واستعمالها في الشرب وري المزروعات .

- حوى كتاب المخصص على معلومات مهمة ساهمت في التعرف على اساليب الري وطرق السقي وقدمها بأسلوب واضح وبسيط بما يخدم العمل الزراعي ويعمل على تطويره في هذا الجانب باعتبار ان الزراعة تعتمد بشكل اساسي على المياه .
- شكلت المعلومات الوارد ذكرها في كتاب المخصص مادة مهمة للمشاريع الاروائية مثل الآلات المستخدمة في رفع المياه وكذلك بناء السدود والقنوات واقامة المصانع والاحباس لتسهيل وصول المياه الى الاراضي الزراعية وايجاد طرق جديدة في الارواء والسقي .
- لقد كان للكثير من المصطلحات الاروائية التي ذكرها ابن سيده ما هي إلا دلالة على تنوع اساليب الري والطرق المتبعة في عملية ارواء الاراضي الزراعية وكثرة وسائل التخزين المعتمدة في النشاط الزراعي .

الهوامش :

(١) ابو القاسم صاعد بن احمد ، طبقات الامم ، تحقيق: حسين مؤنس ، دار المعارف ،(القاهرة – ١٩٩٣م) ، ص٩٩.

(٢) ابن حجر ، احمد بن علي العسقلاني(ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ، لسان الميزان ، ط٢ ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،(بيروت – ١٣٩٠هـ) ، ج٤ ، ص٢٠٥.

(٣) ابن ماكولا ، ابو نصر علي بن هبة الله(ت٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م) ، الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الاسماء والكنى والالقاب ، تحقيق : نايف عباس ، دار الكتاب الاسلامي ،(القاهرة – د.ت) ، ج٥ ، ص٢١٩.

(٤) من مدن الاندلس وتقع الى الشرق منها ، بناها الامير عبد الرحمن بن الحكم ، تبعد عن قرطبة عشرون ميلاً. الحميري ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله(ت٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م) ، صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق: ليفي بروفنسال ، دار الجيل ،(بيروت – ١٩٨٨م) ، ص١٨١.

(٥) ابن فرحون ، ابراهيم بن نور الدين المالكي(ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م) ، الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب ، تحقيق: مأمون بن محيي الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٩٦م) ، ص٣٢

ابن حجر ، لسان الميزان ،ج٤ ، ص٢٠٦.

(٦) القفطي ، جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف(ت٦٢٤هـ/١٢٢٦م) ، انباء الرواة على انباء النحاة ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط١ ، المكتبة المصرية ،(بيروت – ٢٠٠٤م) ، ج١ ، ص٢٣٤.

(٧) ابن صاعد الاندلسي ، طبقات الامم ، ص٩٩.

(٨) ابو عمر الطلمنكي : احمد بن محمد بن عبد الله بن لب بن يحيى المعافري الاندلسي ، عالم من اهل قرطبة ولد سنة(٣٤٠هـ) واخذ من علمائها وهو احد الشيوخ الذين اخذ عنهم ابن سيده . الحميدي ، ابو محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله الازدي الاندلسي(ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م) ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ، تحقيق : روحية عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ،(بيروت – ١٩٩٧م) ، ص١٠٠؛ البير حبيب ، مطلق ، الحركة اللغوية في الاندلس من الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف ، المكتبة العصرية ،(بيروت – ١٩٦٧م) ، ص٣٥٩.

(٩) ابن خلكان ، احمد بن محمد بن ابي بكر(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : رياض عبد الله ، ط١ ، دار احياء التراث العربي ،(بيروت – ١٩٩٧م) ، ج٢ ، ص١٥٧.

(١٠) البير حبيب ، الحركة اللغوية ، ص٣٥٩.

(١١) المصدر نفسه ، ص٣٥٩.

(١٢) المصدر نفسه ، ص٣٥٩.

(١٣) طبقات الامم ، ص٩٩.

(١٤) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٢، ص١٥٧؛ ابن حجر، لسان الميزان ،ج٤ ، ص٢٠٦.

(١٥) طبقات الامم ، ص٩٩.

(١٦) جذوة المقتبس ، ص٢٧٩.

(١٧) علي بن موسى(ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) ، المغرب في حلي المعرب ، تحقيق : شوقي ضيف ، ط٢ ، دار المعرف ، (القاهرة – ١٩٦٤م) ، ج٢ ، ص٢٥٩.

(١٨) طبقات الامم ، ص٩٩.

(١٩) وفيا ت الاعيان ، ج٢ ، ص١٥٧.

(٢٠) الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ) ، مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، (بيروت – ١٩٨١م) ، ص٣٨.

(٢١) الفارابي ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : احمد عبد الغفور العطار ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، (بيروت – ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ج٢ ، ص٥٨٣.

(٢٢) الركية: وجمعها الركايا ، ومن اسماء الركايا السهبرة والركية التي دفنتها الارض تسمى بـ(الرسم) والجمع رسام. ابن سيده ، علي بن اسماعيل(ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م) ، المخصص ، تحقيق: خليل ابراهيم جفال ، ط١ ، دار احياء التراث العربي ،(بيروت – ١٩٩٦م) ، ج٣ ، ص٢٥.

(٢٣) القليب: هي بئر غير مطوية فأن طويت فهي الطوى ، والقليب ايضاً من اسماء الركايا سواء طوت ام لم تطوَ. ابن سيده ، المخصص ، ج٣ ، ص٢٤؛ ياقوت الحموي ، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ،(بيروت – ١٩٧٩م) ، ج٤ ، ص٣٨٦.

(٢٤) ابن سيده ، المخصص ، ج٣ ، ص٢٤-٢٥.

(٢٥) الرس: اسم لبئْر قديم متروك. ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري(ت٧١١هـ/ ١٣١٢م) ، لسان العرب، ط١، دار الفكر، (بيروت – ١٣٠٠هـ) ، ج٦ ، ص٩٨.

(٢٦) ابن سيده ، المخصص ، ج٣ ، ص٢٥.

(٢٧) ابن سيده ، المخصص ، ج٣ ، ص٢٥.

(٢٨) الفقير ويسمى العقير في مصادر اخرى ، وهي البئْر جديدة الحفر والقريبة القعر. ابن سيده ، المخصص ، ج٣ ، ص٩٧.

(٢٩) ابن سيده ، المخصص ، ج٣ ، ص٢٤-٢٥.

(٣٠) الكظامة: بِئْر إِلَى جنبها بِئْر، وَبَينهمَا مجْرى فِي بطن الأَرْض اينما كَانَت، وَهِي: الكظيمة، والكظامة. ابن سيده ، المحكم والمحيط الاعظم في اللغة ، تحقيق: عبد الستار احمد فراج ، ط١ ،(١٩٥٨م) ، ج١ ، ص٧٨٦.

(٣١) ابن سيده ، المخصص ، ج٣ ، ص١٨٨.

(٣٢) الجب: هي البئْر التي لم تبنى بالحجارة. الرازي ، مختار الصحاح ، ص٩١.

(٣٣) ابن سيده ، المخصص ، ج٣ ، ص٢٤.

(٣٤) ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي(ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م) ، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، ط١ ، دار الجيل ،(بيروت – ١٩٩٢م) ، ج١ ، ص٣٠.

(٣٥) ابن سيده ، المخصص ، ج٣ ، ص٢٤.

(٣٦) ابن سيده ، المخصص ، ج٣ ، ص٢٦.

(٣٧) ابن سيده ، المخصص ، ج٣ ، ص٢٤.

(٣٨) ابن سيده ، المخصص ،ج٢ ،ص٣٧١.

(٣٩) ابن سيده ، المخصص ،ج٣ ،ص٣٠٢ / ج٣ ، ص٤٧٢.

(٤٠) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٣ ، ص٣٥٧.

(٤١) المخصص ، ج٣ ، ص١٦٣.

(٤٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ، ص١٦١.

(٤٣) المخصص ، ج٣ ، ص٦٣،٩٥.

(٤٤) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، ص٢٠٤.

(٤٥) المخصص ، ج٤ ، ص٣٢؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٠ ، ص٣٣٩.

(٤٦) ابن سيده ، المخصص ،ج٢ ،ص٤٦٣.

(٤٧) الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد (ت،٥٣٨هـ/١١٤٣م) ، أساس البلاغة ، تحقيق: محمد باسل ، ط٢، دار الكتب العلمية،(بيروت–٢٠١٠م) ، ج٢ ،٢٨٥.

(٤٨) المخصص ، ج٢ ،ص٤٦٣.

(٤٩) المخصص ، ج٢ ، ص٤٦٣.

(٥٠) المخصص ،ج٢ ،ص٤٦٧ ؛

(٥١) ابن سيده ، المخصص ، ج٢ ، ص٤٦٨.

(٥٢) الفراهيدي ، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد(ت١٧٥هـ/٧٩١م) ، العين ، تحقيق: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي ، ط٢ ، مؤسسة دار الهجرة ، (قم المقدسة – ١٤٠٩هـ) ، ج٣ ، ص٢٨٨.

(٥٣) ابن سيده ، المخصص ، ج٢ ، ص٤٦٨.

(٥٤) الفراهيدي ، العين ، ج٨ ، ص٦٩؛ ابن سيده ، المخصص ، ج٢ ، ص٤٦٤

(٥٥) الهروي ،, ابو منصور محمد بن احمد الازهري (ت٣٧٠هـ/٩٨١م) ، تهذيب اللغة , تحقيق : محمد عوض مرعب , دار احياء التراث العربي , (بيروت – ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) ، ج١٤ ، ص١٢١.

(٥٦) ابن سيده ، المخصص ، ج٣ ، ص٣٠.

(٥٧) ابن سيده ، المخصص ، ج٢ ، ص٤٦٦.

(٥٨) الفراهيدي ، العين ، ج٤ ، ص٤٠٦.

(٥٩) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ، ص٢٠٧.

(٦٠) مصطفى ، ابراهيم واخرون ، المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، (القاهرة – د. ت) ، ج١ ، ص٤٢٣.

(٦١) سورة يس ، الآية (٩).

(٦٢) المخصص ، ج٣ ، ص٣٥.

(٦٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٢ ، ص٢٣٦.

(٦٤) ابن سيده ، المخصص ، ج٣ ، ص٣٥؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، ص٣١٢.

(٦٥) علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام , دار العلم الملايين ، (بيروت–١٩٧٧م) ، ج١٣ ، ص١٦٩.

(٦٦) الفارابي ، الصحاح تاج اللغة ، ج٤ ، ص١٣٧٠.

(٦٧) المخصص ، ج٣ ، ص٣٥.

(٦٨) ابن سيده ، المخصص ، ج٣ ، ص٣٥؛ ابراهيم واخرون ، المعجم الوسيط ، ص١٥٢.

(٦٩) الهروي ، تهذيب اللغة ، ج٤ ، ص١٩٩.

(٧٠) ابن سيده ، المخصص ، ج٣ ، ص٣٣.

(٧١) ابن سيده ، المخصص ، ج٣ ، ص٣٣.

(٧٢) ابن سيده ، المخصص ، ج٣ ، ص٣٣؛ الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي(ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق: سمير مصطفى ، ط١ ، المكتبة العصرية ،(بيروت – ٢٠٠٠م) ، ص٢٨٣.

(٧٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج٤ ، ص٤١٠.

(٧٤) ابن سيده ، المخصص ، ج٣ ، ص٣٥.

(٧٥) ابن سيده ، المخصص ، ج٣ ، ص٢٣.

(٧٦) القلقشندي ، احمد بن علي(ت٨٢١هـ/١٤١٨م) ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ،(بيروت – د.ت) ، ج٢ ، ص١٩٧ .

(٧٧) شمس الدين أبو عبد الله محمد الأنصاري (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م) ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، (بطرسبرغ – ١٨٦٥م) ، نخبة الدهر ، ص١٢٥ .

(٧٨) ابن سيده ، المخصص ، ج٣ ، ص٣٥.

(٧٩) ابو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني(ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : مصطفى حجازي ، مكتبة الحياة ،(بيروت – د.ت) ،ج٥، مادة صهريج ، ص٤٢٢ .

(٨٠) معجم البلدان ، مج٥ ، ص١٣٦ .

(٨١) ابن جبير ، محمد بن احمد الكناني الأندلسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م) ، رحلة ابن جبير ، دار ومكتبة الهلال ، (بيروت – د.ت) ، ص١٩٣.

(٨٢) ابن سيده ، المخصص ، ج٣ ، ص٣٥.

(٨٣) الفيومي ، احمد بن محمد بن علي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، ج١،(بيروت – د . ت) ، ص١١٨ .

(٨٤) ابن سيده ، المخصص ، ج٣ ، ص٣٥.

(٨٥) علي ، جواد ، المفصل ، ج٧ ، ص٢٠٦ .

المصادر والمراجع:

– ابن جبير ، محمد بن احمد الكناني الأندلسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)

١. رحلة ابن جبير ، دار ومكتبة الهلال ، (بيروت – د.ت).

– ابن حجر ، احمد بن علي العسقلاني(ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)

٢. لسان الميزان ، ط٢ ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،(بيروت – ١٣٩٠هـ).

– الحميدي ، ابو محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله الازدي الاندلسي(ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م)

٣. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ، تحقيق : روحية عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ،(بيروت – ١٩٩٧م).

– الحميري ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله(ت٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م)

٤ . صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق: ليفي بروفنسال ، دار الجيل ،(بيروت – ١٩٨٨م)

– ابن خلكان ، احمد بن محمد بن ابي بكر(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)

٥. وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : رياض عبد الله ، ط١ ، دار احياء التراث العربي ،(بيروت – ١٩٩٧م)

– الرازي , ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ/١٢٦٨م)

٦. مختار الصحاح , تحقيق : يوسف الشيخ محمد , ط٥ , المكتبة العصرية , (بيروت – ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) .

– الزبيدي ، ابو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني(ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)

٧. تاج العروس من جواهر القاموس ، مكتبة الحياة ،(بيروت – د.ت) .

– الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد (ت،٥٣٨هـ/١١٤٣م)

٨. أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عُيُون السُّود ، ط٢، دار الكتب العلمية،(بيروت- ٢٠١٠م).

- ابن سعيد المغربي ، علي بن موسى(ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)

٩. المغرب في حلي المعرب ، تحقيق : شوقي ضيف ، ط٢ ، دار المعرف ، (القاهرة – ١٩٦٤م)

- ابن سيده ، علي بن اسماعيل(ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م)

١٠. المحكم والمحيط الاعظم في اللغة ، تحقيق: عبد الستار احمد فراج ، ط١ ، ١٩٥٨م.

١١. المخصص ، تحقيق: خليل ابراهيم جفال ، ط١ ، دار احياء التراث العربي ،(بيروت – ١٩٩٦م).

- شيخ الربوة ، شمس الدين أبو عبد الله محمد الأنصاري (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م)

١٢. نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، (بطرسبرغ – ١٨٦٥م) .

- ابن صاعد ، ابو القاسم بن احمد الاندلسي(ت،٤٦٣هـ/١٠٧٠م)

١٣. طبقات الامم ، تحقيق: حسين مؤنس ، دار المعارف ،(القاهرة – ١٩٩٣م).

- ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي(ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م)

١٤. مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، ط١ ، دار الجيل ،(بيروت – ١٩٩٢م).

- الفأرابي، إسماعيل بن حماد، (ت ٣٦٣هـ/٩٧٤م) .

١٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط٤، دار العلم للملايين ، (بيروت- ١٤٠٧هـ).

- الفراهيدي ، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد(ت١٧٥هـ/٧٩١م) ، العين ، تحقيق: مهدي

١٦. المخزومي وابراهيم السامرائي ، ط٢ ، مؤسسة دار الهجرة ، (قم المقدسة – ١٤٠٩هـ) .

- ابن فرحون ، ابراهيم بن نور الدين المالكي(ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م)

١٧. الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب ، تحقيق: مأمون بن محيي الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٩٦م)

- الفيومي ، احمد بن محمد بن علي الحموي أبو العباس (ت نحو ٧٧٠هـ)
١٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، المكتبة العلمية ، (بيروت – د.ت) .
- القفطي ، جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف(ت٦٢٤هـ/١٢٢٦م)
١٩. انباء الرواة على انباء النحاة ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط١ ، المكتبة المصرية ،(بيروت – ٢٠٠٤م)
- القلقشندي ، احمد بن علي(ت٨٢١هـ/١٤١٨م)
٢٠. صبح الاعشى في صناعة الانشا ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ،(بيروت – د.ت) .
- ابن ماكولا ، ابو نصر علي بن هبة الله(ت٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م)
٢١. الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الاسماء والكنى والالقاب ، تحقيق : نايف عباس ، دار الكتاب الاسلامي ،(القاهرة – د.ت)
- الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي(ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)
٢٢. الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق: سمير مصطفى ، ط١ ، المكتبة العصرية ،(بيروت – ٢٠٠٠م) .
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١هـ/١٣١٢م).
٢٣. لسان العرب، ط١، دار الفكر، (بيروت – ١٣٠٠هـ).
- الهروي , ابو منصور محمد بن احمد الازهري (ت٣٧٠هـ/٩٨١م)
٢٤. تهذيب اللغة , تحقيق : محمد عوض مرعب , دار احياء التراث العربي , (بيروت – ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) .
- الحموي ، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)
٢٥. معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ،(بيروت – ١٩٧٩م).

المراجع

- البير حبيب ، مطلق
٢٦. الحركة اللغوية في الاندلس من الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف ، المكتبة العصرية ،(بيروت – ١٩٦٧م)

- علي ، جواد
٢٧. المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام , دار العلم الملايين ، (بيروت-١٩٧٧م) .
مصطفى ، إبراهيم وآخرون
٢٨. المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، (القاهرة – د.ت) .

حادثة ماركوبولو و أثرها على التوسع الياباني في الصين
(تموز١٩٣٧- تشرين الأول ١٩٣٨)
"دراسة تأريخية"

The Marcopolo incident and its impact on Japanese expansion in China
)July 1937 - October 1938(
Historical study"

أ. م.د. وسام هادي عكار

وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية بغداد/ الكرخ الثانية

qfqf428@gmail.com

حادثة ماركوبولو وأثرها على التوسع الياباني في الصين (تموز ١٩٣٧– تشرين الأول ١٩٣٨) "دراسة تأريخية"

أ. م.د. وسام هادي عكار

المُلخص:

بدأت اليابان منذ مطلع القرن العشرين تطبيق سياسة من شأنها التوسع في شرق آسيا، وإقامة إمبراطورية خاضعة لها والعمل على إبعاد الدول الأخرى عن تلك المنطقة، إذ أتضحَ إن السياسة الخارجية اليابانية في تلك المرحلة كانت تسير بتوجهات العسكر الذين كانوا مقتنعين بأن الجنود اليابانيين سيستقبلون في كل مكان من آسيا بأنهم محررون من الاستعمار الأوربي. لكن الأمر الذي لم يعيره القادة العسكريون أهمية هو استيقاظ الشعور القومي المناهض لكل إشكال الاستعمار، لاسيما وإن الوجود الياباني لم يختلف كثيراً في أسلوبه عن الاستعمار الأوربي، لذلك واجه اليابانيون مقاومة عنيفة في الصين منذ اليوم الأول الذي وطأت فيه إقدامهم.

في ضوء ذلك، قُسم البحث إلى ثلاثة محاور رئيسة وخاتمة، تطرق المحور الأول إلى النزعة التوسعية العسكرية اليابانية في مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين، ودورها في تغلغل داخل الصين حتى عام ١٩٣٧. بينما تناول المحور الثاني حادثة ماركوبولو وأثرها في التوسع الياباني على الصين، في حين درس المحور الثالث الموقف الدولي من التوسع الياباني في الصين عقب حادثة ماركوبلو، وركزنا فيه على موقف عصبة الأمم والاتحاد السوفيتي، فضلاً عن الولايات المتحدة الأميركية، بينما تطرقنا في الخاتمة إلى أهم الاستنتاجات التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية : اليابان، ماركوبولو، الصين، الاتحاد السوفيتي، الولايات المتحدة الأميركية.

(Abstract)

Since the beginning of the twentieth century, Japan began implementing a policy that would expand in East Asia, establish an empire subject to it and work to keep other countries away from that region, as it seemed clear that Japanese foreign policy at that point was going in the directions of the military who were convinced that Japanese soldiers would be welcomed in all A place from Asia that they are liberated from European colonialism, but the thing that the military leaders did not give importance to is waking up the nationalist feeling against all forms of colonialism, especially since the Japanese presence did not differ much in its style from European colonialism, so the Japanese faced resistance from Yefa in China since the first day they set foot.

أولاً: النزعة التوسعية العسكرية في مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين:

في الثلاثينيات من القرن العشرين، لم يكن ثمة شك في أن الجيش الياباني هو المهيمن على الجانب الاقتصادي وتحديداً قطاع الصناعة الرأسمالية، ونتيجة تضرر الإقتصاد الياباني بالأزمة الإقتصادية العالمية التي عُرفت بـ(الكساد الكبير Great Depression) [١]، إرتفعت التعريفات الكمركية في كل أنحاء العالم، ما أثر في الصناعة والتجارة اليابانيتين. فوصل عدد العاطلين إلى ثلاثة ملايين من مجموع سكان اليابان البالغ آنذاك ستين مليون نسمة، وبما أن اليابان إعتمدت أساساً على إستيراد المواد الأولية وتصدير السلع المصنّعة، بدأت بالتفكير نحو التوسع الإستعماري على حساب (منشوريا Manchuria) –شمال شرق الصين – لاعتبارات إقتصادية وإقليمية، ووجدت اليابان أن بإمكانها إستغلال تلك المنطقة لتوسيع قاعدتها الصناعية، والحصول على المواد الأولية وإستيعاب فائض السكان، فضلاً عن موقعها الأقليمي، المُهم المحاذي لثلاث دول هي اليابان والصين والإتحاد السوفيتي[٢].

ووفقاً لذلك عدّت اليابان منشوريا بمثابة (المجال الحيوي Lebensraum)[٣]، وسياج ممتلكاتها في الشرق الأقصى؛ وعليه أقدمت على إحتلالها للمدة (١٨ أيلول١٩٣١ – ٢٧شباط ١٩٣٢) ثم إحتلت أقليم (شنغهاي Shanghai– شرق الصين) للمُدة (٢٨ كانون الثاني –٣ آذار ١٩٣٢) تحقيقاً لنزعتها التوسعية[٤].

وبناءً على طلب الحكومة الصينية، أرسلت عصبة الأمم في الثالث من شباط ١٩٣٢ لجنة تحقيقية لتقصي الحقائق، ضمت خمسة أشخاص برئاسة البريطاني(فيكتور الكسندر جورج روبرت – ليتون Victor Alexander George Robert – Lytton ١٨٧٦ - ١٩٤٧)[٥], أجرت زيارة للصين واليابان، فضلاً عن مكان الحادث في منشوريا وفي الرابع من تشرين الأول عام ١٩٣٢ أُعلن تقرير ليتون رفض الاحتلال الياباني لمنشوريا، موصياً بضرورة منحها حكماً ذاتياً، مع ضمان بقائها تحت السيادة الصينية، كما أكدت اللجنة على أهمية إرسال العصبة عدد من المستشارين الأجانب إلى الصين لتقديم المساعدة وإحلال السلام الدولي المنشود[٦].

وفي السادس من أيلول ١٩٣٢ ألقى مندوب الصين خطاباً في الاجتماع الطارئ في عصبة الأمم، أوضح فيه أن الموقف الياباني حيال منشوريا لم يتغير، طالباً من جميع الدول الأعضاء ضرورة وقوفهم مع بلاده تأكيداً لاحترام مبادئ العصبة وتطبيقها، وفي الرابع والعشرين من شباط ١٩٣٣ صوت مجلس العصبة على قرار رفض فيه غزو منشوريا، داعياً فيه اليابان إلى الالتزام بما جاء في تقرير ليتون وعدم تسويغ فعلها العسكري. وعلى الرغم من أن العصبة أدانت اليابان معنوياً؛ إلا أنها لم تعلنها دولة معتدية ولم تقرر بحقها أية عقوبات[٧].

ومن جانبها، لم يكن موقف اليابان المتشدد حيال المجتمع الدولي مبنياً على أساس معارضة الجيش فقط؛ بل كان هناك امتعاض ردود فعل شعبية رافضة لما جاء في تقرير ليتون، في حين نال التقرير استحسان بعض المسؤولين اليابانيين، الذين وصفوه بـ"**وثيقة جديرة بالاحترام** "، بينما لم تتجرأ الصحف اليابانية على نشر وجهات نظر المعتدلين خشية

من بطش المؤسسة العسكرية. وعليه، أعلنت اليابان انسحابها من عصبة الأمم في السابع والعشرين من آذار ١٩٣٣، مسوغة ذلك إلى عدم تلاقي وجهات النظر اليابانية مع أعضاء العصبة، إذ رأت اليابان إن موقف العصبة غير ودي، وكان عليها أن تأخذ بنظر الحسبان أن الشرق الأقصى لا يمكن أن ينعم بسلام دائم من دون اليابان[٨].

يبدو أن انسحاب اليابان من عصبة الأمم كان بداية عزلتها الدولية، التي يظهر أنها فضلتها من أجل استمرار عدوانها على الصين بعيداً عن مراقبة وعقوبات العصبة، كما كان سبباً رئيس في التعجيل بسلسلة من التدخلات على الخارجية ، فبعد انسحابها انسحبت في العام نفسه كل من ألمانيا وإيطاليا، فمثل ذلك ضربة قوية وجهتْ إلى عصبة الأمم التي أضعفت من موقعها السياسي.

سعت اليابان إلى التأكيد إن القوة العسكرية الوسيلة الوحيدة لتحقيق الأهداف السياسية، وان معاهدات السلام والمواثيق الدولية وسائل غير فعالة بدون استخدام القوة، ولاسيما وان إحداث منشوريا خلقت ما يسمى بـ(هوس الحرب) وكأن الشعب بدا مقتنعاً بقادته العسكريين ومدفوعاً بروح قومية اجتاحت الأوساط الشعبية للسهولة البالغة التي استطاع فيها إن يلحق أراضي أوسع من حاجة اليابان نفسها يسكنها ثلاثون مليون من الصينيين المشهورين بحماستهم للعمل[٩]، وغدا الجيش ومن ورائه حماسة الجماهير متورطين بسياسة توسعية قارية، أثبتت الأحداث لاحقاً أن الإمبراطور (هيروهيتو Hirohito ١٩٠١-١٩٨٩)[١٠] والحكومة نفسها كأنهم فقدوا السيطرة على الجيش[١١].

من جانب آخر، فإن مسألة الأشراف على منشوريا نُقل من مسؤوليات وزير الخارجية إلى وزير الحربية، وتم تعُين عدد من الضباط في مناصب إدارية مدنية، ذلك الاختراق من قبل الجيش للحكومة المدنية عزز من قبضته في السيطرة على القرارات السياسية الداخلية والخارجية، وضمان عدم انتهاج سياسة تهدئة حيال الغرب أو الصين[١٢]. في ضوء ذلك أنجزت اليابان الكثير من خططها التوسعية، لاسيما بعد تسنم (سادوه آراكي Araki Sadao)[١٣] وزارة الحربية، إذ غدتْ المؤسسة العسكرية مستحوذ على السياسة الخارجية

اليابانية عن طريق تكتيك (الأمر الواقع)، فأجتاح الجيش الياباني في آذار عام ١٩٣٢ أقليم (جيهول Jehol) وهو المنطقة الواقعة بين منشوريا وجدار الصين بالقرب من بكين، وفي نيسان من العام نفسه توغلت إلى جدار الصين العظيم. لذا، أضحتْ قصور الإمبراطورية الصينية القديمة ومناجم الفحم في جيهول تحت الهيمنة اليابانية(١٤).

بناءً على ذلك الوضع المتردي، طالبت الصين بعقد هدنة عُرفت بـ(تانكو Tangh) في التاسع عشر من آيار عام ١٩٣٣، تضمنتْ نزع سلاح المنطقة الواقعة بين الخط الحديدي الذي تحتله اليابان والخط الحديدي الذي تتمركز فيه الصين، البالغة مساحته ٥.٠٠٠ ميل، وعدها منطقة محايدة لا يجوز لأحد الجانبين دخولها، مما يعني استمرار الاحتلال الياباني لجيهول، فضلاً عن إنهاء المقاطعة الصينية للبضائع اليابانية، إذ يدخل أي بند سياسي في الهدنة، ولم تتخلَ الصين مبدئياً عن حقوقها(١٥).

فضلاً عن ذلك، استغلت اليابان الصدامات المسلحة التي حدثت في الصين بين إقليمي (جيهول Jehol وجيهارا Chahar) ضمن إقليمي منشوريا ومنغوليا الداخلية في كانون الثاني ١٩٣٥ لمد نفوذها وسيطرتها، إذ عدّت تلك الحوادث بمثابة عمل عسكري موجه ضد وجودها في المنطقة. وعليه، وقعت في العاشر من حزيران ١٩٣٥ إتفاقية بين (يوشيجيرو أوميزو Yoshijiro Umezu ١٨٨٢ – ١٩٤٩) قائد الجيش الإمبراطوري الياباني في شمال الصين من جهة ، والجنرال (ينكن هي Yingqin He ١٨٩٠–١٩٨٧) ممثل الصين من جهة أخرى ، وقد عُرفت بإتفاقية (هي – أوميزو He – Umezu)(١٦).

أعتُرف تلك الاتفاقية بحق اليابان في سيطرتها على شمال الصين وصلاحيتها بمنح أي طرف فيها الحكم الذاتي، ما أدى إلى أزمة وطنية في الصين إذ وجه الحزب الشيوعي الصيني نداءً للشعب الصيني يدعوه لمقاومة الوجود الياباني والخروج في تظاهرات تفضح كل العملاء المرتبطين بالحكومة اليابانية . وعلى الرغم من ذلك بدأ الجيش الياباني المتواجد في الصين بالإسراع في عملية التوسع مستغلاً الظرف الدولي غير المتفاعل حيال الأزمة،

ولاسيما الولايات المتحدة الأميركية التي كانت لا تزال تعاني من تبعات الأزمة الاقتصادية وغير مستعدة في إيقاف التوسع الياباني، فضلاً عن المواقف المتباينة للدول الأوربية [١٧].

وبهذا الصدد فإن الدول الغربية لم تتخذ موقفاً حاسماً أو عسكرياً ضد التوسعات اليابانية في الصين، فقد اكتفت بريطانيا بمنع إرسال شحنات السلاح إلى كل من الصين واليابان، في حين أعلنت الخارجية اليابانية "**أن اليابان تؤيد وتؤكد بإخلاص سياسة الباب المفتوح، والفرص المتساوية للجميع وهو واقع لا نخالفه أو نتجنبه، وان عصبة الأمم قامت بانتهاك تلك الحقوق عندما عارضت موقف اليابان**"[١٨]. ويبدو إن ذلك تبرير للإعمال العدائية ضد الصين.

من جانبها، سعتْ الخارجية اليابانية وبدعم من المؤسسة العسكرية إلى الابتعاد عن الغرب في التجارة الخارجية، والتوجه لعقد اتفاقيات تجارية وصداقة مع شعوب آسيا وأفريقيا، بينما كان هناك رفض تام لإقامة أي نوع من العلاقات السياسية والاقتصادية مع الاتحاد السوفيتي الذي له حدوده متاخمة معها، إذ حاول الأخير إلى أبرام اتفاق "**عدم اعتداء**" مع اليابان، لكنه واجه رفضٍ قاطعٍ ومستمر من الجانب الياباني. وعزتْ الخارجية السوفيتية ذلك الرفض إلى نوايا اليابان في التخطيط لشن الحرب عليها، بفعل منافستها للنفوذ الياباني في الصين، وذلك ما أكدته الخارجية اليابانية عام ١٩٣٥ حينما صرحت "**إننا نريد أن نبقى طليقي الأيدي** ". كما إن التقارب مع الاتحاد السوفيتي يعني التقارب مع الشيوعية، وهو ما كان مناهض تماماً لتوجهات اليابان في محاربة الشيوعية التي عدتها من الأفكار الهدامة وتهديد مباشر للنظام السياسي الإمبراطوري، وخطراً كبيراً يهدد السلام والأمن داخل الأمة اليابانية[١٩].

تزامن تصاعد النزعة العسكري اليابانية، مع تنامي قوة (الأنظمة الشمولية Totalitarian Regimes)، التي سعت إلى إحداث شرخ في الأوضاع الدولية عن طريق سلسلة من الأحلاف، وبهذا الصدد أبرمت ألمانيا تحالفٌ مع اليابان على أساس مناهضة الشيوعية العالمية في الخامس والعشرين من تشرين الثاني ١٩٣٦، سُميَّ ميثاق

مكافحة الشيوعية(انتي– كومنترن Anti –Comintern Pact) ، جاء نصه " **إن الدولتين الساميتين المتعاقدتين متفقتان على إن تنبه أحداهما الأخرى بنشاط الدولة الشيوعية، وان تتشاورا في تدابير الدفاع الضرورية، وان تنفذا هذه التدابير بتعاون وثيق وفي حالة هجوم الاتحاد السوفيتي، وفي حالة تهديده بالهجوم على أحدى الدولتين، تأخذ الثانية موقف المحايد اليقظ، كما تعمد إلى أجراء التشاور مع الدولة الأخرى من أجل اتخاذ الإجراءات الكفيلة بحماية مصالحهما المشتركة، وتتعهد الدولتين بعدم توقيع أية اتفاقية سياسية مع الاتحاد السوفيتي ما لم تؤخذ رأي الدولة الثانية بالموضوع**"[٢٠]. ويبدو إن ذلك التحالف وفق رؤية بعض المؤلفين الألمان أنه ليس موجهاً ضد الإتحاد السوفيتي فحسب؛ بل كان ضد بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية[٢١].

وبصورة عامة، أدى التوسع الياباني في الصين إلى تأثيرات إيجابية على الواقع الاجتماعي والاقتصادي الياباني، فقد تم إنجاز العديد من المشاريع الاقتصادية، وبناء العديد من الوحدات السكنية، وتم تطوير سكة الحديد، إذ بلغ طولها في المدة ألفي ميل، إلى جانب بناء عدد من المطارات الإستراتيجية، وأدى نمو وازدهار العمليات الاقتصادية إلى وجود علاقات جديدة بين رجال الأعمال وضباط الجيش، مما نتج عنه التعجيل في تحسن الوضع الاقتصادي لليابان من حالة الكساد العالمي. وبالرغم من ذلك فأن التوسع العسكري للجيش الياباني استنزف نفقات باهضة من خزينة الدولة ومن الطبيعي إن تكون تلك الزيادة في الإنفاق على حساب النفقات العامة في مجالات أخرى، يعني خفض الإنفاق العام ومن ثم التأثير سلباً على الواقع الاقتصادي والاجتماعي للدولة. وبهذا الصدد فقد زاد الإنفاق العسكري من خمسمائة مليون ين في عام ١٩٣٠ إلى ثمانمائة مليون ين في عام ١٩٣٣، وغالباً ما كان يؤدي طلب الجيش لزيادة الإنفاق العسكري إلى توتر ومشاحنات بين أعضاء الحكومة والبرلمان. فعلى سبيل المثال فقد إصرار وزير الحربية آراكي على زيادة الإنفاق العسكري عن طريق زيادة الضرائب على الشعب، قائلاً: على الجميع تقبل التضحيات في سبيل الوطن[٢٢].

نستنتج مما سبق إن التوسع العسكري أصبح يشكل عبئاً مالياً وسياسياً على الحكومة اليابانية، فمن الناحية المالية كانت الضرائب المفروضة على الشعب على الرغم من ثقلها؛ إلا أنها كانت عاجزة عن الإيفاء بسداد النفقات العسكرية. أما من الناحية السياسية فأن الأزمة المالية جعلت الجيش يفرض سلطته وآرائه بقوة أكبر من السابق، وفي الوقت الذي كانت القطعات العسكرية اليابانية تتوغل كل يوم في الأراضي الصينية كانت حكومة طوكيو تشهد أزمة سياسية حقيقية ، إذ بدا واضحاً مدى تصاعد المد العسكري والقومي على حساب التيار الديمقراطي ، بلحاظ عدد الوزارات التي شُكلت إذ بلغت أربع وزارات للمدة (١٩٣٠-١٩٣٦) وبرزت بشكل ملحوظ الاغتيالات السياسية والمؤامرات التي يقودها الجيش ضد السياسيين وكبار قادة الجيش الذين لا يوافقونهم في الرأي .

ثانياً: حادثة ماركو بولو وأثرها في التوسع الياباني داخل الصين:

يظهر مما تقدم إن السياسة الخارجية اليابانية منذ مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين، كانت تسير بتوجيهات المؤسسة العسكرية اليابانية. عليه، أسهمت عدة عوامل في التعجيل بالتوسع الياباني في الصين منذ بداية عام ١٩٣٧، إذ واجهت الحكومة اليابانية خطر توحيد القوى الصينية تحت قيادة (الحزب الوطني الصيني– كومنتانج Kuomintang) بزعامة (تيشانغ كاي شيك Tchang Kai- Chek)[٢٣]، الذي بدوره شكل تحالفاً مع زعيم الجيش الصيني الشيوعي (ماوتسي تونغ Mauts Tonig)[٢٤] أطلق عليه **(الجبهة الشعبية الموحدة لمقاومة اليابان)**، لذا كان على الحكومة اليابانية اتخاذ خطوات سريعة وحاسمة لمواجهة توحيد القوى الصينية[٢٥].

في السياق نفسه، اوجد تصاعد المد الشيوعي في الصين قلقاً سياسياً واقتصادياً لليابان، إذ أدركت إن هيمنة الشيوعيين على مناطق جنوب شرقي آسيا يؤدي إلى فقدانها لمصادر من المواد الأولية، فضلاً عن وقوع الملايين من السكان في دائرة الفلك الشيوعي. لذلك، فان اليابان التي تفتقر إلى الأسواق الحرة ومصادر المواد الأولية سوف تنساق نحو دائرة الاقتصاد الشيوعي بسبب وقوع معظم أسواق آسيا تحت سيطرته [٢٦].

إزاء تلك الظروف السياسية صدر تقرير القيادة العامة للجيش الياباني في آذار عام ١٩٣٧ لتقييم الوضع الدولي، وعدَّ بان حرباً عامة في أوربا على الأبواب ولكن ليس في المستقبل القريب جداً، وفي حالة وقوعها يجب على اليابان الابتعاد عنها، فضلاً عن القيام بجهود خاصة لتحسين كفاءة معدات جيشها. ونتيجة تنامي قوة الاتحاد السوفيتي في الشرق الأقصى والشعور الوطني في الصين، فأن على القوات اليابانية الموجودة في جنوب شرق القارة أن تبذل جهدها في الابتعاد عن المشاكل(٢٧).

في ضوء ذلك التقرير، فأن السياسيين اليابانيين انقسموا في آرائهم حول تقيمهم للأوضاع الدولية إلى فئتين؛ فئة تدعو إلى تجنب الحرب وعدم إثارة المشاكل مع دول الغرب والسعي للحصول على الأهداف التوسعية بالطرق السلمية، بحسب مبادئ السياسة العامة التي أعلنت حكومة اليابانية التمسك بها. وفئة أخرى متمثلة بقادة الجيش رأت ضرورة الإسراع بالتوسع العسكري للحد من التعاون الصيني- السوفيتي المحتمل قيامه(٢٨).

في غضون ذلك، كانت الأوضاع السياسية مضطربة في داخل اليابان، بفعل تدخل الجيش بالشؤون الداخلية، وضعف الأحزاب السياسية بسبب الانتقادات الموجهة إليها واتهامها من قبل الجيش بالرشوة والفساد، كلها أمور أدت إلى رجحان كفة التوسع على حساب الصين. وقد تعززت تلك السياسة التوسعية، عقب مطالبة وزارة الحربية اليابانية بضرورة التقدم في البحار الجنوبية، في سبيل الحصول على موطئ قدم في إقليم شرق آسيا. ومن جانبها أوضحت الحكومة إن ذلك التوسع يحتاج إلى الاستعداد لمجابهة التحديات السوفيتي والأميركية والبريطانية في المنطقة، فضلاً عن تعزيز التعاون مع منشوريا والصين وتطوير العلاقات الودية مع الدول الأخرى مثل ألمانيا (٢٩).

نتيجة ذلك، بدأ الجيش الياباني بالضغط على الحكومة بالإسراع في عملية التوسع مستغلين الظرف الدولية، منها إن الولايات المتحدة الأميركية كانت لا تزال تعاني من تبعات الأزمة الاقتصادية وغير مستعدة في إيقاف التوسع الياباني، وأن الدول الأوربية الديمقراطية لم تكن قادرة على مواجهة اليابان وإيقاف توسعها في الشرق الأقصى والحفاظ على السلم

والأمن الدوليين ولاسيما بريطانيا وفرنسا، فضلاً عن ذلك ظهور الفكر النازي والفاشي في ألمانيا وايطاليا، ونشوب الحرب الأهلية الاسبانية؛ كل ذلك جعل الدول الأوربية مشغولة في حل تلك الأزمات. لذا، عدّتْ الدول الأوربية إن جود اليابان في الشرق الأقصى وسيلة للحد من نشاطات الاتحاد السوفيتي في الصين(٣٠).

في خضم تلك الأوضاع كان هناك إدراك واسع في الحكومة اليابانية بان التطور الداخلي في الصين يثير مخاوف القيادة العسكرية العليا اليابانية، وذلك ما أكده وزير الحرب الياباني (سوگي ياما Sugiyama) في مؤتمر لحكام الولايات في طوكيو بتاريخ التاسع عشر من آيار ١٩٣٧ عندما أشار إلى إن الجيش الوطني الصيني أصبح يشكل خطراً على الجيش الياباني، لاسيما انه يتخذ شعارات معادية لليابان، وعبّر عن خشيته من أن تشكل حكومة الصين تهديداً حقيقياً لليابان(٣١).

كل تلك التطورات دفعت اليابان للبحث عن الفرصة المناسبة لتنفيذ مخططها بسبب حادث لا قمة له بحد ذاته، عُرف بـ(حادثة جسر ماركوبولو Marco Polo Bridge Incident)(٣٢)، في مدينة (أوين- بينغ ouen- ping) وهي مدينة صغيرة على بعد ٢٠ كم في الجنوب الغربي من (بكين)، ففي أوائل تموز ١٩٣٧، أجرت القوات اليابانية مناورات عسكرية في شمال الصين بالقرب من جسر ماركوبولو، وأثناء تلك المناورات فُقد جندي ياباني، فطلبت القوات اليابانية من القيادة العسكرية الصينية دخول مدينة أوين- بينغ قبل منتصف ليلة السابع من تموز لإجراء التفتيش، وعندما رفضت القيادة الصينية ذلك الطلب قام اليابانيون بالهجوم على المدينة واحتلالها في الساعة الرابعة والنصف من صباح يوم الثامن من تموز. وحالما بدأت تلك الحرب غير المعلنة تدفقت قوات إضافية من اليابان ومنشوريا إلى شمال الصين لشن هجومها الواسع النطاق من أجل السيطرة على كامل الأراضي الصينية (٣٣).

حاول تيشانغ كاي شيك زعيم الحزب الوطني إرسال تعزيزات إلى بكين، وكذلك قام اليابانيون بطلب تعزيزات عسكرية، وفي تلك الإثناء وافق اليابانيون على إجراء مفاوضات

مع حاكم مدينة (تيانجين Tianjin- شمال الصين تبعد ١٢٠ كم من بكين)، وفي الحادي عشر من تموز قبلَ حاكم تيانجين مبدئياً الشروط اليابانية التي تضمنت [٣٤]:

١- تقديم اعتذار من قائد الفرقة (٢٩) التي أطلقت النار على الجيش الياباني ومعاقبة الضباط والمسؤولين .
٢- استبدال قوات الفرقة (٢٩) بوحدات أخرى .
٣- منع أي نشاط مناهض لليابان .
٤- إيقاف النشاطات الشيوعية في شمال الصين .

عقب ذلك، بدأت مباحثات بين الجانبين الصيني والياباني لتنفيذ شروط الاتفاقية، وبعد أيام قليلة زال تقريباً التوتر نوعاً ما في شمالي الصين وتم رفع حواجز الأكياس الرملية في شوارع بكين، وبدأت خطوط نقل المسافرين تعمل، التي توقفت منذ السابع من تموز، كما انسحبت بعض القوات اليابانية من مدينة أوين– بينغ ولكن لمسافة قليلة، في الوقت نفسه كانت المعدات والإمدادات العسكرية تصل إلى شمالي الصين، إذ فرغتْ السفن اليابانية نحو (١٠٠) ألف طن من التجهيزات العسكرية في تيانجين [٣٥].

راقبت الحكومة الصينية تطور الوضع ببالغ القلق، لاسيما مع تدفق القوات العسكرية اليابانية ورفض تيشانغ كاي شيك التفاوض مع اليابان؛ إلا بعد انسحابها من الأراضي التي احتلتها بعد السابع من تموز . فقامت الحكومة بتحريك عدد من القطعات العسكرية من إقليم (هونانHunan- جنوب الصين) وتوجهه إلى بكين، كما طالب وزير الخارجية الصيني (وانكَ جنك – هيو Wang Chung- hui) في الرابع عشر من تموز ١٩٣٧، من القنصل الياباني في (نانكين Nanking –شرق الصين) العاصمة الصينية حينذاك، بانسحاب القوات اليابانية وجلوس الطرفين على طاولة المفاوضات، بالمقابل طلبت اليابان إن تتوقف الحكومة الصينية عن إرسال قوات إلى بكين كشرط أولي للتفاوض[٣٦].

من جانبها ردتْ الخارجية الصينية على الطلب الياباني في التاسع عشر من بمذكرة تضمنت على نقاط رئيسة [٣٧]:

١- وضع جدول محدد وثابت بإيقاف التحركات العسكرية للجانبين وسحب القوات اليابانية لمواقعها قبل حادث ٧ تموز .

٢- تسوية تبعات حادث (ماركوبولو) عن طريق القنوات الدبلوماسية .

٣- وضع تسوية شاملة للقضايا المتنازع عليها بين البلدين.

يظهر إن الحكومة اليابانية كانت تهدف من عقد تلك المفاوضات كسب الوقت لوصول تعزيزاتها عسكرية، وفعلاً بمجرد وصلت تلك التعزيزات بدأت العمليات العسكرية في ليلة الخامس والعشرين من تموز، وذلك بشن هجوم واسع النطاق استخدمت فيه الغطاء الجوي، إذ قصفت الطائرات الثكنات العسكرية الصينية بكثافة وأجبرتها على الانسحاب، وفي ظهر يوم السادس والعشرين من تموز طالب القائد الياباني(ايواني ماتسوي M Iwani Matsui ١٨٧٨-١٩٤٨) بانسحاب القوات الصينية من بكين وبعض المقاطعات التي حولها . وعليه، بدأت قوات الفرقة (٢٩) تحت ضغط القصف المدفعي والجوي بالانسحاب من بكين والمدن المحيطة بها مثل (هسيوان Hsiyuan)،(بي يوان Peiyuan) ،(ننياون Nanyuan)[٣٨] .

شهدت بكين في ثمان وأربعين ساعة قصف جوي مستمر خلّف حرائق ودمار في كل مكان وتحولت البنايات العامة إلى حطام. وفي ليلة ٢٩- ٣٠ تموز تمكنت القوات اليابانية من السيطرة على بكين، وقضت على جيوب المقاومة وغدت تتحرك بحرية أكثر، في الوقت الذي لجأ الآلاف من الصينيين إلى مناطق الامتياز الأجنبية أصبحت المدينة بكين أنقاضاً، وامتلأت الشوارع بجثث القتلى والجرحى، إذ عبّر المتحدث باسم الجيش الياباني " **أن القصف كان ضرورياً لوجود عناصر مضادة لليابانيين في المقاطعات الصينية لا يمكن إخراجهم بطرائق أخرى**" [٣٩] .

في ضوء ذلك، شهدت المدينة إعمال النهب والسلب، وفي الأول من آب ١٩٣٨، حوصرت قنصلية الاتحاد السوفيتي وتم مهاجمتها وسرقت وثائقها وكل محتوياتها ثم أُحرقت، برغم ذلك أخلتْ الإدارة اليابانية مسؤوليتها، بيد إن كل الدلائل تشير إلى أن القوات اليابانية هي المسؤولة عن تلك العملية[٤٠].

في ظل تلك التطورات قررت هيأة الأركان العامة في طوكيو عدم التوسع في أراضي الصين الشاسعة، خوفاً من تكبدهم خسائر فادحة وانخفاض الروح المعنوية لقواتهم، رغم ذلك طلب القائد ماتسوي من الهيأة السماح له بالزحف نحو (نانكين)، ومع استمرار الغارات اليابانية على المدينة هرب الأثرياء الصينيون وأغلب الأجانب من المدينة، ثم صدر قرار رسمي بدخول العاصمة، عندئذ رست مائة سفينة حربية يابانية على شاطئ (هانغزو Hangzou) محملة بـ(٢٠٠,٠٠) جندي مقسمين إلى خمسة عشر فيلق، وواصلوا زحفهم إلى نانكين عبر ثلاثة طرق مختلفة[٤١].

بدأ الجيش الياباني بارتكاب أول جرائمه عندما قام بإبادة الناس الذين يصادفهم في طريقة وقام بإحراق القرى والمدن وهو زاحف إلى العاصمة الصينية، إذ فرَّ الكثير من سكان المدينة خوفاً من إتباع الجيش الياباني إستراتيجية (الأرض المحروقة) وهي قتل الأخضر واليابس، حتى وصل اليابانيين إلى العاصمة بعد قتلهم ٢٠,٠٠٠ جندي صيني، نتيجة ذلك أعلن تيشانغ كاي شيك أنه مستعد لحرق جميع أراضي الصين على إن لا تُسلم إلى الغزاة اليابانيين، فتجمع ١٠٠,٠٠٠ جندي لدفاع عن المدين، تحت قيادة لـ الجنرال (تان شونغ زي Tan Chung Ze) ولكن على أثر هروب الأخير من أرض المعركة عقب اشتداد القتال أصبح جيش الدفاع بلا قيادة، فقام الجنود بخلع ملابسهم العسكرية والاختباء بين المدنين، لذا قرر الجيش الياباني بإلقاء القبض على كل من يُشتبه به وإعدامه[٤٢].

وفي يوم الثالث عشر من كانون الأول ١٩٣٧، سقطت العاصمة نانكين بيد اليابانيين، وبعد يومين فقط من دخولهم صدر قرار من هيأة أركان الجيش إلى القائد ماتسوي بتنظيف آثار القتلى الذينَ سقطوا نتيجة الحرب وقتها، ويُقصد بقرار التنظيف هو إلقاء القبض على الجنود الصينيين الذين اختبئوا بين السكان المحلين، ذلك القرار جعل الجنود اليابانيين يتصرفون بلا قانون وبدأت عملية الاغتصاب الجماعي الذي عرفتْ بـ(اغتصاب نانكين Rape of Nanking) وكانت الحصيلة الأولى اغتصاب ٢٠,٠٠٠ امرأة من الفتيات والنساء وحتى كبار السن، وشرع عدد من الجنود اليابانيين بتشوية جسم أيَّ فتاة بعد اغتصابها ثم قتلها بوضع حربة أو عصاة خيزران في الأماكن الحساسة في جسمها، وبهذا

الصدد ذكر أحد المؤرخين الصينيين " **بأنهُ يتم كل يوم ألف حالة اغتصاب وأي فتاة تقاوم أو ترفض تلقى حفتها بالرصاص أو الحربة، لأن الجيش الياباني يتصرف بلا رقيب**"(٤٣).

ومن أجل طمس معالم جريمته، حفر الجيش الياباني خندق لعشرة آلاف جثة قياسها ٣٠٠ متر × ٥ متر، لوضع الجثث الصينية في مكان واحد وقدر والمؤرخين والباحثين عدد الضحايا في الحفرة هو ١٢٠٠٠ شخص, كما أحرق الجيش الياباني المباني الحكومية التي تم إنشاؤها حديثاً والعديد من المنازل الخاصة لمدنين ونهب الفقراء والأغنياء في وقت واحد، بفعل عدم وجود قوى رادعة للسطو والسرقة لكثير من المناطق الصيني،إذ عدد القتلى بعد حادثة ماركوبولو في صفوف الجيش والمدنيين الصينيين ما بين ٢٠٠,٠٠٠-٣٠٠,٠٠ شخص، وهو الرقم الذي اختلفت فيه الحكومة اليابانية والصينية، لاسيما وأن اليابان استطاعت رمي اتفاقات الدولية بعرض الحائط؛ لأنها عند اجتياحها للصين عقب تلك الحادثة لم تعلن الحرب حتى تُطبق عليها الاتفاقات الدولية حول أسرى الحرب(٤٤). لذلك، سُميت بالحرب غير المُعلنة.

أصدرت القيادة العليا في الجيش الياباني عقب دخولهم نانكين بأنهم استولوا على ١٠٨ مدفع ثقيل، ١٩ مدفع ميدان، ٣٧ مدفع مقاوم للطائرات، رشاشاً خفيفاً و٩٥٦ رشاشاً ثقيلاً ،١٠ دبابات ،٦ طائرات ،٣٦ شاحنة حمل ، ٧٧٨٥٠ قنبلة يدوية و٨٣١٦ قنبلة مضادة للدبابات(٤٥).

عندما أكملت القوات اليابانية احتلال العاصمة نانكين، بدأت بتنفيذ الخطة المرسومة بالسيطرة على المناطق الإستراتيجية والمهمة في الصين، فاحتلت إقليم(شانتونغ Shantung– شرق الصين)، في الثامن والعشرون من كانون الأول ١٩٣٧، واستكملت باقي مدن الصين الشمالية ومنغوليا الداخلية في تشرين الأول ١٩٣٨(٤٦).

وفي الوقت الذي كانت الحرب فيه مستمرة أبلغت الحكومة اليابانية الصين في مناسبتين بشروطها للسلام الأولى في مطلع عام ١٩٣٨، إذ طالبت بامتيازات اقتصادية مهمة وإقامة منطقة منزوعة السلاح في الصين الشمالية والحكم الذاتي لمنغوليا الداخلية

ومشاركتها في الميثاق المناهض ميثاق مكافحة الشيوعية(انتي– كومنترن)، إذ رفض تيشانغ كاي شيك تلك المطالب، والثانية كانت في الثاني والعشرين من كانون الثاني ١٩٣٨ عندما طالبوا بنفس الشروط فضلاً عن وخلع تيشانغ كاي شيك[٤٧]. ويبدو من طبيعة الشروط القاسية هو رغبة اليابان باستمرار الحرب ولو بصورة غير معلنة.

واجه التوسع الياباني في الصين على أثر حادثة ماركوبلو مقاومة عنيفة، عندما اعتمدت على أسلوب حرب العصابات وكان للحزب الشيوعي دور بارز في حركة المقاومة عن طريق المساعدات المادية والعسكرية التي قدمها الاتحاد السوفيتي لهم، ومما ساعد على نجاح حرب العصابات هو طبيعة الأرض وأتساع جغرافية الصين، في السياق نفسه، كان لحزب الكومنتانج دور مؤثر في حركة المقاومة، ولاسيما أنه كان يحصل على الدعم والمساندة من قبل الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا[٤٨].

وبهذا الصدد استخدمت الصين إستراتيجية حرب العصابات أول مرة في مقاطعة (هونان) وقسمتها إلى ثلاث مراحل: الأولى تثبيت المواقع، والثانية تصفية العناصر الموالية لليابان، والثالثة مواجهة الغزو مع الاستمرار بالمفاوضات معه من اجل كسب الوقت وأنهاكه وبعث روح اليأس فيه وإجباره على تقديم تنازلات. عُدتْ حرب العصابات من وجهة نظر ماوتسي تونغ هي حرب ثورية هدفها إثارة الشعب وتحقيق الوحدة الداخلية السياسة وإقامة القواعد العسكرية وتجهيز القوات بالمعدات، ومما ساعد دعم حرب العصابات وجود قواعد فلاحية في مقاطعة هونان ذات الأغلبية المسلمة استطاع الحزب من كسبهم إليه[٤٩].

تمكنت اليابان على أثر حادثة ماركوبلو في المدة بين (تموز ١٩٣٧– تشرين الأول ١٩٣٨)، من الاستيلاء على عدد كبير من المدن الصينية، ثم تحولت لدعم تلك المدن عسكرياً وتثبيت وجودها فيها، فقد احتلت أكثر من ثلث الصين ومنشوريا ومنغوليا الداخلية والصين الشمالية، فضلاً عن كبرى المدن الصينية والمراكز الصناعية والموانيء المهمة، أي احتلت ما يقارب ٥٠٠ر١ مليون كم٢ تضم حوالي ١٧٠ مليون نسمة.

ثالثاً: الموقف الدولي من التوسع الياباني في الصين عقب حادثة ماركوبلو:

ظهرت محاولات عديدة للإقرار السلام بين اليابان والصين، ولكنها كانت في معظمها لصالح اليابان لذلك باءت بالفشل، إذ أخفقت عصبة الأمم التي في حل الأزمة منذ البداية. فقد ووجهت الصين نداءً للعصبة في الثاني من أيلول ١٩٣٧، لإيقاف التوسع الياباني، وفي هذا الصدد كلّفت العصبة لجنتها الاستشارية المعنية بشؤون الشرق الأقصى لدراسة المسألة، وأصدرت في السادس من تشرين الثاني من العام نفسه بياناً ذكرت فيه " **إن العمليات العسكرية التي تقوم بها اليابان ضد الصين في البر والبحر والجو ليست متناسبة تماماً مع الحادثة التي أشعلت الصراع المسلح, وان تلك الاجراءات لا يمكن تبريرها ولا تستند إلى أُسس قانونية أو حق الدفاع عن النفس التي كانت اليابان تبرر إجراءاتها بها ، وان كل ما يجري يأتي متناقضا مع التزامات اليابان بالاتفاقيات الدولية**"(٥٠).

بالرغم من استنكار عصبة الأمم للموقف الياباني، بيد أنها لم تصفها كدولة معتدية، خشية إصدارها للعقوبات التي لا تتمكن من تنفيذها حيال اليابان، لاسيما وإنها خارج العصبة. مع ذلك، عقدت العصبة في تشرين الثاني ١٩٣٧ مؤتمراً في مدينة بروكسل، لغرض دراسة الأوضاع في الصين ووضع حد للأزمة، ومن جانبها رفضت اليابان حضور المؤتمر الذي لم يفض عن نتيجة إيجابية تُذكر حيال الأزمة، ما مكّن اليابان في الاستيلاء على عدد من المناطق الأخرى في الصين (٥١) .

أما موقف الدول الكبرى حيال تلك الأزمة، فقد شكلت الحرب اليابانية–الصينية انعطافاً جديداً في العلاقات السوفيتية–الصينية، إذ عدها (جوزيف ڤيساريونوفيتش ستالين Josef Vissarionovich Stalin ١٩٤١ – ١٩٥٣)(٥٢)، خطراً مباشراً على أمن الاتحاد السوفيتي، لكون اليابان غدتْ في موقع يتيح لها الهجوم عليه، فأسرع بعقد معاهدة عدم اعتداء مع تشيانغ كاي شيك في الحادي عشر من آب ١٩٣٧. تضمنت عدة بنود منها، منحه قرض مالي مقداره (٢٥٠) مليون دولار أمريكي لشراء الأسلحة من الاتحاد السوفيتي

شملت (٨٨٥) طائرة ودبابات وعربات مدرعة ومدفعية، وإرسال فرقة جوية سوفيتية، ونحو (٣٠٠) مستشارا سوفيتيا بالشؤون الحربية لمساعدة قوات تشيانغ(٥٣).

وفي غضون ذلك، حدث شرخ في بين الاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي الصيني أثناء الحرب مع اليابان، ففي الوقت الذي أراد ستالين من الحزب الشيوعي الصيني تنفيذ سياسة الجبهة المتحدة والانضمام إلى قوات تشيانغ ، كان ماوتسي تونغ يرغب ببقاء قواته كاحتياط للجيش الوطني، مما أدى إلى انشقاق داخل الحزب الشيوعي الصيني، ففي الوقت الذي دعى فيه الأخير إلى اتخاذ إستراتيجية عسكرية مستقلة عن حزب الكومنتانج قائمة على حرب العصابات ضد اليابانيين، دعى جناح ثاني إلى دمج القوات الشيوعية والانضمام إلى قوات تشيانغ لتصبح تحت أمرته، إذ كان ستالين يدرك ضعف قوات ماوتسي تونغ في مواجهة القوات اليابانية، لذلك عمد إلى تقديم الدعم إلى تشيانغ الذي يملك جيش كبير يستطيع عن طريقه مواجهة العدوان الياباني وبدعم موسكو العسكري(٥٥).

وعلى أثر وصول شحنات من الأسلحة السوفيتية إلى المقاومة الصينية في مطلع عام ١٩٣٨ أحتج اليابانيون على ذلك، وهو الأمر الذي وصل إلى حد الصِدامات المسلحة بين الطرفين في تموز ١٩٣٨ على الحدود المشتركة، لكن النزاع لم يتوسع بين الطرفين؛ وذلك لان التطورات في أوربا كانت تنذر بقرب بنشوب حرب عالمية ثانية في الوقت الذي كان فيه الاتحاد السوفيتي يريد تأمين جبهة في أوربا، بمقابل إن اليابان كانت تريد تثبيت نفوذها في الصين وشرق آسيا(٥٦).

أما بريطانيا فقد كانت مستاءة من العدوان الياباني وحملت الصحف البريطانية حملة شديدة ضد اليابان، وقدّمت مساعدات للحكومة الصينية لمقاومة التوسع الياباني. في حين كانت فرنسا فكانت مشغولة بشؤونها الداخلية وحماية حدوها الخارجية من الأطماع الألمانية، فضلاً عن تامين مستعمرتها في جنوب شرق آسيا(٥٧). لذلك كانت اليابان واثقة بأنه لا توجد ردود أفعال دولية حازمة ضد سياستها التوسعية في الصين، وفعلا حدث ما توقعته.

وثمة أمر لا يمكن إغفاله وهو دور الولايات المتحدة الأميركية من التوسع الياباني عام ١٩٣٧–١٩٣٨، وبهذا الصدد، مارست الإدارة الأميركية سياسة عدم الرغبة في التورط في الصراعات الدولية التي جاءت ضمن (قانون الحياد الأميركي)، الصادر في نيسان عام ١٩٣٧، والذي قررت فيه أتباع سياسة عقلانية من أجل الحفاظ على السلام ومنع توسيع الحروب والتوصل إلى تسوية سلمية. وأعلنت عن ذلك الموقف إزاء حادثة ماركوبولو بشكل رسمي عن طريق وزير خارجيتها (كورديل هل Cordell Hul)[٥٨] في السابع عشر من تموز عام ١٩٣٧ قائلاً: " **أن الولايات المتحدة تسعى من أجل الحفاظ على السلام العالمي والعدالة وتجنب استعمال السلاح، كوسيلة للحفاظ على السيادة الوطنية وتسوية الصراعات بين الأمم بوسائل سلمية، ووفق المعاهدات والاتفاقيات الدولية ونزع السلاح وإزالة العوائق في التجارة الدولية، كقاعدة لتأسيس التفاهم المشترك بين الأمم؛ لذلك تمتنع من الدخول في تحالفات أو التورط في الالتزامات الدولية**"[٥٩].

من جانبها أعلنت الخارجية اليابانية في الخامس من ايلول ١٩٣٧ " **أن المسار الرئيس للحكومة اليابانية يهدف إلى دعم الاستقرار في شرق آسيا عن طريق التعاون بين اليابان والصين وذلك لخير ورخاء البلدين، وطالما أن الصين تتجاهل ذلك وعبأت الجيوش ضدنا فإننا لن نستطيع إن نرد على ذلك إلا بأستخدام قوة السلاح**"[٦٠].

في غضون ذلك شكلت حادثة ماركوبلو ونشوب الحرب غير المعلنة على أثرها تأثيراً خطيراً في المصالح الأميركية بالصين، الأمر الذي دفعها إلى تقديم سلسلة من الاحتجاجات إلى الحكومة اليابانية, ففي العاشر من ايلول ١٩٣٧ صرّحت وزارة الخارجية الأمريكية "**إن الصراع الحالي في منطقة الشرق الأقصى أوجد منطقة خطيرة على طول ساحل الصين بحيث أصبح من الخطر جدا لسفن التجارة الأميركية الإبحار في تلك المياه، نظرا لفرض اليابان الحصار البحري على ساحل الصين مما انعكس سلبا على المصالح التجارية الأمريكية في الشرق الأقصى**"[٦١].

سارعت الإدارة الأميركية باتخاذ إجراءات اقتصادية مهمة, ففي الرابع عشر من أيلول ١٩٣٧ صرح الرئيس(فرانكلين ديلانو روزفلت Franklin Delano Roosevelt)[٦٢] ، إن أيَّ سفينة تجارية تمتلكها الحكومة الأميركية من الآن فصاعداً وحتى أشعاراً آخر لن يسمح لها إن تنقل إلى الصين أو اليابان أية أنواع من الذخائر والأسلحة أو معدات الحرب لمنع استمرار الحرب الدائرة، وذلك ما أكدته الخارجية الأميركية في الثاني والعشرين من أيلول ١٩٣٧, عن رفضها للإجراءات التي تتخذها السلطات البحرية اليابانية في تنفيذ حصارها البحري على الساحل الصيني، وقدمت احتجاجين رسميين للحكومة اليابانية في الثامن والعشرين من أيلول ١٩٣٧، بعد القصف الجوي للطائرات اليابانية على المدن في الصين التي يقيم فيها إعداد كبيرة من الجالية الأميركية, مبينتاً أن ذلك يتناقض مع مبادئ القانون الدولي، أما الثاني فكان في الرابع من تشرين الأول ١٩٣٧، احتجاجا على إعلان الجيش الياباني استخدام (شنغهاي) كقاعدة للعمليات العسكرية, لاسيما وإن للحكومة الأميركية مصالح وحقوق في تلك المدينة، منصوص عليها في معاهدات واتفاقيات موقعة مع الحكومة الصينية، مما عرض مصالح وحقوق حكومة الولايات المتحدة الأميركية للخطر[٦٣].

وحفاظاً على المصالح الأميركية في شنغهاي، دعا الرئيس روزفلت في الخامس من تشرين الأول ١٩٣٧، جميع الدول لتحقيق السلام، مشيراً إلى مخاطر الحرب بقوله: " **سواء أعلنت الحرب أم لم يعلن فإنها تستطيع إن تبتلع شعوبا... ونحن في ضوء ذلك لا نستطيع إن نؤمن أنفسنا ضد المخاطر الكارثية للحرب**"[٦٤]. ويظهر هذا التصريح مخاوف الإدارة الأميركية من مخاطر الحرب اليابانية– الصينية التي من الممكن إن تجر دولا كبرى إليها لذا حذر روزفلت من عواقبها.

من جانبها ساندت الإدارة الأميركية المقترحات التي توصلت إليها الجمعية العمومية لعصبة الأمم، كما دَعَت اليابان في الثاني عشر من تشرين الأول ١٩٣٧، إلى حضور مؤتمر اجتماع الغرض منه البحث عن اتفاق أو حل للوضع في الصين، إلا أن الحكومة اليابانية رفضت تلك الدعوة لكي لا تكون في موقف محرج؛ لاسيما أنها واحدة من الدول

التي وقعت سابقاً على اتفاقيات تضمنت احترام الاستقلال السياسي للصين على كامل أراضيها[٦٥].

استمرت الحكومة الأميركية تقديم احتجاجاتها الرسمية على الاعتداءات اليابانية فوق الأراضي الصينية, لاسيما عقب ورودها تقارير مفادها إن السلطات اليابانية في الصين سيطرت على دوائر الكمارك الصينية, وعلى عوائد تجارة الملح, التي تعد المصدر الرئيسِ لتأمين إعادة (القروض الأميركية)[٦٦] المقدمة إلى الصين. لذلك قدمت الخارجية الأميركية احتجاجها إلى الحكومة اليابانية في الثامن والعشرين من تشرين الثاني ١٩٣٧، بيّنت فيه أنها تتقاسم مع حكومة اليابان وحكومات أخرى مصالح اقتصادية وتأريخية في إدارة الكمارك الصينية ، وان مسألة الهيمنة عليها ليس من حق الحكومة اليابانية بمفردها[٦٧].

ردتْ الخارجية اليابانية قائلة: " **أنها مستعدة لإجراء أي ترتيب من شأنه إن يحمي المصالح الأميركية في دوائر الكمارك الصينية، وإنها لا تنوي احتكار العوائد من الأموال الصينية؛ إلا أنها تدرك تماماً انه في حالة سيطرة الحكومة الصينية على تلك الأموال, فإنها ستستخدم في العمليات العسكرية ضد القوات اليابانية, لذلك سيتم إيداعها في مصرف ياباني إلى إن تتم تسوية النزاع بين الطرفين**" [٦٨].

تميز سلوك الإدارة الأميركية حيال اليابان عقب أحداث ماركوبلو بقدراً كبيراً من ضبط النفس,على الرغم من الخروقات اليابانية التي حصلت حيال الحقوق والمصالح الأمريكية في الصين. ففي الثاني عشر من كانون الأول ١٩٣٧ اغرق زورق مسلح أميركي يحمل اسم (يو. اس. اس. باني– U.S.S. Panay) في نهر (اليانغتسي) الصيني بنيران الطائرات اليابانية مدعية إن ذلك حدث عن طريق الخطأ، إذ كان الزورق يقدم المساعدة في إجلاء الرعايا الأميركيين المتواجدين في الصين، بيد إن الحكومة الأميركية عدت ذلك الخرق مؤشراً خطيراً على العلاقات اليابانية– الأميركية، وطالبت الحكومة اليابانية دفع التعويضات اللازمة عن الخسائر المادية والبشرية التي لحقت بها، بعد أن أحالت القضية إلى لجنة

مختصة لدراستها, توصلت إلى فرض غرامة مالية تعويضية على اليابان تصل إلى (٢.٢١٤.٠٠٧) دولار أميركي[٦٩].

فضلاً عن ذلك، شكل سيطرت السلطات اليابانية في السابع عشر من كانون الثاني ١٩٣٨ على دوائر جباية الضرائب الصينية, انتهاكاً واضحاً للمصالح الأميركية, لأن تلك الضرائب كانت تؤخذ لتأمين مواد الحنطة والقطن المصدرة من الولايات المتحدة الأميركية إلى الصين، فضلاً عن وصول معلومات للإدارة الأميركية مفادها إن اليابان أقامت أنظمة موالية لها في شمال الصين, وان تلك الأنظمة بدت برفع معدلات التعرفة الكمركية على المواد المصدرة إلى الصين، لذلك عدتْ الحكومة الأميركية ذلك الأمر تجاوزاً على حقوقها الإقليمية التي حصلت عليها بموجب معاهدات سابقة وقعتها مع الصين [٧٠].

من جانبها، أعلنت اليابان في الثاني والعشرين من كانون الثاني ١٩٣٨، إن سياستها الخارجية تستند إلى محورين, الأول عدم التعامل مع الحكومة الصينية بقيادة تشانغ كاي شيك, وفي الوقت نفسه، تعمل على المحافظة بعلاقات ودية حيال الحكومة الأميركية وباقي الدول الأجنبية، كما أكدت أنها تتطلع لتأسيس نظام حكم سياسي جديد في الصين يعمل على تنظيم الأمور المالية والاقتصادية[٧١]، بيد أن ذلك كله كان مجرد وعود وتأكيدات قدمتها الحكومة اليابانية للحكومة الأميركية بهدف امتصاص غضبها وتحقيق هدفها في الوقت نفسه. والدليل على ذلك هو إعلانها في منتصف شباط ١٩٣٨ عما أسمته (بالنظام الجديد في شرق آسيا) هدفه إطلاق يدها في(الصين والهند الصينية وتايلند والهند)؛ فردت الإدارة الأميركية في الثامن والعشرين من شباط ١٩٣٨ بمذكرة إلى اليابان رفضت فيها الاعتراف بهذا النظام[٧٢].

إزاء تلك التطورات أرسلت حكومة الولايات المتحدة الأميركية إلى اليابان في الرابع من تموز ١٩٣٨ برقية بعنوان (احترام المصالح الأمريكية في الصين) تضمنت نصوصاً على الحكومة اليابانية الالتزام بها وهي[٧٣]:

١- احترام الممتلكات الأميركية في الصين، من اجل الحفاظ على العلاقات اليابانية-الأميركية.

٢- الحفاظ على الحقوق الشخصية للمواطنين الأميركيين في الصين.

٣- الالتزام بسياسة الفرصة المتساوية في المناطق التي تسيطر عليها القوات اليابانية في الصين، وتجنب التداخل مع الحقوق الأميركية في المعاهدات الموقعة مع الصين.

ونظرا لتزايد حالات الإضرار بالمصالح الأميركية في الصين أرسلت في الأول من تشرين الأول عام ١٩٣٨ برقية إلى الحكومة اليابانية بينت فيها الخروقات اليابانية من عام(١٩٣١-١٩٣٨)، مطالبتاً بتنفيذ الضمانات التي تحافظ على (سياسة الباب المفتوحOpen door Policy)[٧٤] وعدم التعرض لحقوق الولايات المتحدة في الصين، وتأسيس نظام شامل للسيطرة على الصادرات والواردات في جميع أرجاء شمال الصين، بالمقابل فإن الإدارة الأميركية ستراعي المصالح اليابانية والرعايا اليابانيين في أراضيها وفق ما جاء في معاهدة الملاحة والتجارة الموقعة بين البلدين. ألا إن اليابان لم تبالِ للطلب الأميركي؛ بل استمرت في تحقيق سياستها التوسعية في الصين والسيطرة عليها سياسيا واقتصادياً[٧٥].

الخاتـــمة

وفق ما تقدم من هذا البحث الموجز عن حادثة ماركوبولو وأثرها على التوسع الياباني في الصين، فأننا لا نغالي إذا ما قلنا إن الحرب العالمية الثانية بدأت في الشرق الأقصى عندما اجتاحت الجيوش اليابانية الصين عام ١٩٣٧ على أثر تلك الحادثة، محدثة تصدعاً في العلاقات الدولية عندما وقف العالم يشاهد وهو مكتوف الأيدي الأنظمة العسكرية الشمولية وهي تسحق كل المواثيق والاتفاقيات الدولية التي أبرمت في عقدين من الزمان في محاولة لنشر مبادئ الأمن الجماعي ، كما كان للجرائم التي ارتكبها الجيش الياباني في الصين أثر واضح في رسم العلاقات بين البلدين.

يبدو إن اليابان أرادت الحصول على فرصة سانحة للتوسع على حساب الصين، فاتخذت من شرخاً بسيط يمكن تسويته وهو حادثة ماركوبلو ذرية لتنفيذ أهدافها التوسعية، وهو أشبه بحادثة المروحة التي أدت إلى الغزو الفرنسي للجزائر عام ١٨٣٠، أن صح التشبيه، فالحرب ضد الصين لم تكن صدفة؛ بل كانت تطبيقاً لسياسة يابانية توسعية في شرق أسيا.

يظهر أن ثمة أسباب غير مباشرة أدت إلى التوسع الياباني على حساب الصين في تموز عام ١٩٣٧، منها رفض الصين التعاون الاقتصادي مع اليابان، بمقابل حاجة الأخيرة إلى منافذ بحرية لتنشيط تجارتها، فضلاً عن رغبة اليابان حماية رعاياها المقيمين في الصين، بحجة أنهم مهددين بسبب حركة المناهضة لليابانيين والمدعومة من الشيوعيين الصينيين، لاسّيما بعد انتشار الفكر الماركسي في الصين، لذا سعت اليابان إلى منع إقامة حكومة صينية قوية يمكن أن تنهض بها بكامل قواها المادية والبشرية، والعمل على أنشاء نظام موالي لها. وفي الوقت نفسه، لا يمكن إغفال نمو قوة اليابان عسكرياً وحاجتها إلى مجال حيوي للتوسع، فكانت الصين هي هذا المجال.

أما الموقف الدولي من التوسع الياباني في الصين عاميّ ١٩٣٧–١٩٣٨، فقد كان سلبي بصورةٍ عامة، فبالرغم من استنكار عصبة الأمم للموقف الياباني، لكنها لم تذكر أنها دولة معتدية، خشية إصدارها للعقوبات التي لا تتمكن من تنفيذها حيال اليابان، لاسيما وإنها خارج العصبة منذ عام ١٩٣٢، أما الاتحاد السوفيتي فقد ساندت المقاومة الصينية، لكن تلك المساعدات لم تحقق الأهداف المطلوبة.

في حين حكمت طبيعة التوجه الإدارة الأميركية في تلك المرحلة من الحرب غير المعلنة اعتبارات سياسية وإستراتيجية، لأن دخولها الحرب ضد اليابان في تلك المرحلة ستكون مكلفة وتؤدي إلى احتمال تراجع مكانتها الدولية، فضلا عن ضعف الاستعدادات العسكرية للدخول بمثل تلك الحرب، وذلك مما أدى إلى إتباعها أسلوب الاحتجاج نتيجة الخروقات اليابانية لمصالحها في الصين، معللة بما طرحته من مبادئ سياسية متمثلة بسياسة الباب المفتوح وحرية التجارة والملاحة، ودعت إلى أجراء المشاورات بين الدول

التي لها مصالح في الشرق الأقصى بأتباع إجراءات وفق خطوط متوازية ممكن أن تقود إلى تدعيم تلك الجهود.

بيدَّ إنَّ السلطات اليابانية لم تتخذ أي اعتبار للموقف الأميركي في حربها ضد الصين؛ بل عمدتْ إلى اتخاذ إجراءات متعددة ضدهم، بفرض قيود على حرية عملهم وعلى مصالح الرعايا الأمريكيين التجارية في الصين. وعلى نحوٍ عام، فأن سياسة اليابان الاقتصادية في الصين بدأت تهدد امتيازات الولايات المتحدة الأميركية والدول الأوربية فيها، الأمر الذي دعا إلى زيادة تحرك تلك الدول ضدها.

هوامش البحث:

(١) بدأت بوادرها بأنهيار سوق(مال وول ستريت Wall Street Crash)، بمدينة نيويورك الأميركية في يوم الرابع والعشرين من تشرين الأول ١٩٢٩، وهو ما أطلق عليه يوم الخميس الأسود ويعزى ذلك إلى عودة دول أوربا إلى إنتاج حاجاتها ونمو إقتصادياتها، وتصدير الفائض من ذلك الإنتاج بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، الأمر الذي إنعكس على صعوبة تصريف المنتجات الصناعية، فأقدم رجال الأعمال الأميركان على طرح مليون سهم للبيع دفعة واحدة، فأصبح العرض أكثر من الطلب وأدى إلى إنخفاض حاد في الأسعار. وقد تأثرت اليابان جراء تلك الأزمة أسوةً بالدول الصناعية الأخرى. للتفاصيل: يُنظر:

إيمان متعب محي التميمي، الأزمة الإقتصادية العالمية في الولايات المتحدة الأمريكية – الأسباب والنتائج ١٩٢٩ – ١٩٣٣، إطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٣؛ هوارد زنْ، التاريخ الشعبي للولايات المتحدة، ترجمة شعبان مكاوي، ج١، (القاهرة ،المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٥) ص٤٣ –٥٥؛

Maurice Obstfeld and other's (eds.), Global Economic Crisis Impacts, Transmission and Recovery, (Cheltenham, UK., Edward Elgar Publishing Limited,2012), pp.24 – 25.

(٢) وسام هادي عكار عظيم، تطور سياسة اليابان الإقتصادية (١٩٥٢–١٩٧٣)، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، ٢٠١٤، ص ٥٢–٥٣.

(٣) كلمة المانية، وترد بالإنكليزية(Living Space) للتعبير عن نظرية الحدود من وجهة نظر سياسية حاولت من خلالها المانيا بكونها دولة كثيفة السكان ومتقدمة تكنولوجياً وإقتصادياً وإجتماعياً، تسّويغ ضمها للأقاليم المجاورة لها، واستثمار ثروتها ومواردها الأولية لضمان بقائها وإستمرار تطورها، وعدَّتها ضرورة يمكن أن تستفيد منها الدول الكبرى والصغيرة على حدٍ سواء.

يُنظر:

Wilfrid Fest, Dictionary of German History 1806-1945, 2 nd.ed., New York, st. Martin's Press,1980),p.89.

(٤) Mamoru Shigemitsu, Japan and her Destiny, "Royal Central Asian Journal", Vol. XlV, No.3, (London, October 1958), pp.336-337.

(٥) سياسي وإداري شغل مناصب عدة، ولاسيما وكيل وزارة الدولة لشؤون الهند (١٩١٦ – ١٩٢٠)، ثم أصبح حاكم البنغال (١٩٢٢ – ١٩٢٧) ، فضلاً عن كونه نائب للملك في الهند(١٩٢٩ – ١٩٢٩).

The New Encyclopaedia Britannica Vol.,7,15th.ed,(Chicago, Encyclopaedia Britannica. Inc.,1988),p. 596.

(٦) Sandra Wilson, The Manchurian Crisis and Japanese Society.1931-1933,(New York, Taylor& Francis Group,2002),pp.13-74;عبادي

أحمد عبادي القطراني، موقف الولايات المتحدة الأمريكية من التوسع الياباني في منشوريا ١٩٣١–١٩٣٣، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٥، ص٢٩–٤٤.

(٧) محمد حميد جاسم شبيب، عصبة الأمم ١٩١٩ – ١٩٤٦(دراسة تأريخية)، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، ٢٠١٦، ص ١٤٣.

(٨) Joseph G. Grew, Report from Tokyo,(London, Hammond and Company,Ltd.,1942),pp.65-66.

(٩) هشام عبد الرءوف حسن ، تاريخ اليابان الحديث والمعاصر عصري طايشو– شوا، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٣)، ص ١٦٢؛ أدوين أولدفاذر ريشاور، تاريخ اليابان من الجذور حتى هيروشيما، ترجمة يوسف شلب الشام، ط١، (دمشق، دار علاء الدين للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٠)، ص ١٤٦.

(١٠) الإمبراطور (١٢٤) في سلسلة أباطرة اليابان، عُرِف عهدْه بـ(شووا Showa–السلام المُنير) درس العلوم العسكرية وسافر إلى دول الغرب للأطلاع على الثقافة الغربية، تُعدّ مدة حكمه من أهم المراحل في تأريخ اليابان لما شهدته من تغييرات كبيرة لاسيما تقلّد المؤسسة العسكرية زمام السلطتين السياسية والإقتصادية في ثلاثينيات القرن العشرين حتى إشتراكها في الحرب العالمية الثانية التي إنتهت بإستسلام اليابان وخضوعها لأول مرة للإحتلال الأجنبي. ثم شهد الإمبراطور نهوض اليابان، لتتحول إلى إحدى القوى الإقتصادية في العالم.

هيروهيتو يدفن مع ذكريات الحرب ،"مجلة الأسبوع العربي" ،العدد ١٥٢٧، القاهرة، ١٦ كانون الثاني ١٩٨٩، ص ٣٤؛

Kodansha Encyclopedia of Japan, Vol.3,1st.ed, (Tokyo, Kodansha, Ltd., 1983), pp.146-147.

(١١) ريشاور، المصدر السابق، ص ١٤٧.

(١٢) Reischauer, Edwin O., Japan the Story of a Nation, Singapore Tuttle Publishing, 2004) ,p.194.

(١٣) ولد عام ١٨٧٧، تخرج من الكلية الحربية، وخدم ضابطاً في الجيش، شغل منصب وزير الحربية للمدة (١٩٣٢ – ١٩٣٤)، قاد حملة من أجل دعم التوسع وسيطرة اليابان على آسيا، القي القبض عليه عام ١٩٤٨ من قبل الجيش الأميركي، وقدم للمحاكمة، كونه مجرم حرب وحكم عليه بالسجن المؤبد، توفى عام ١٩٦٦.

Kodansha Encyclopedia of Japan, , Vol. 1, p.74.

(١٤) China and Japan , Information Department Paper No 21, The Royal Institute of International Affairs ,(London, 1938),p.59-60.

(١٥) أسماء صلاح الدين صالح الفخري، العلاقات الصينية–اليابانية ١٨٩٤–١٩٣٩، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية– ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٦ ، ص ٢١٤–٢١٥ .

(١٦) شبيب، المصدر السابق، ص ١٤٤.

(١٧) المصدر نفسه.

(١٨) Fred Greene, The Far East, (New York, Congress Catalog, 1957),p.56.

(١٩) سحر عباس عبد الحسن النجار، الأوضاع السياسية الداخلية في اليابان ١٩٢٦–١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠١٠، ص٢٢٢–٢٢٣.

(٢٠) Gordon Martel (ed.), The World War Two Reader, (New york, Routledge Taylor & Francis Group, 2004), p.148;

رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين تطور الأحداث لفترة ما بين الحربين ١٩١٤–١٩٤٥، ط٢، (بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٣)، ص ٣٠٦.

(٢١) David Nicholls, Adolf Hitler A Biographical Companion, (Santa Barbara, California, ABC-CLIO, Inc., 2000), p.4.

(٢٢) آرثر تيدمان، اليابان الحديثة، ترجمة وديع سعيد، (القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، د.ت)، ص ٦٩–٧٠؛ حسن، المصدر السابق، ص ١٧١–١٧٢.

(٢٣) ولد عام ١٨٨٨، وهو من مؤسسي حزب الكومنتاج ، أسهم في تشريع الدستور الصيني عام ١٩٢٩، كما قاوم الغزو الياباني عام ١٩٣٧، وعلى أثر الحرب الأهلية(١٩٤٥–١٩٤٩) تمكن من تأسين حكومة الصين الوطنية عام ١٩٤٩ في تايوان، توفى عام ١٩٧٥.

صفاء كريم شكر، السياسة الأمريكية تجاه الصين ١٨٩٥–١٩٣١، (بغداد، ٢٠٠٧)، ص ١٤١.

(٢٤)ولد في ٢٦ كانون الأول ١٨٩٣، في قرية(شاوشان Shaoshan)، التابعة إلى مُقاطعة (هونان Hanon– وسط الصين)، من عائلة فلاحية، دخل جامعة بكين عام ١٩١٨، تأثر هُناك بالأفكار الشيوعية، أسهم في إنعقاد المؤتمر الأول للحزب الشيوعي الصيني في تموز ١٩٢١. قاد ماو المسيرة الطويلة للحزب الشيوعي ونجح في الانتصار على(زعيم الحزب الوطني الصيني، أثناء الحرب الأهلية(١٩٤٥–١٩٤٩)، فأعلن عن قيام جمهورية الصين الشعبية، وأثناء وجودهُ في السلطة كان لهُ الكثير من الأعمال على الصعيد السياسي والإقتصادي منها مشروع القفزة الكُبرى عام ١٩٥٨، والثورة الثقافية عام ١٩٦٦، توفى في (١٩أيلول ١٩٧٦). للتفاصيل. يُنظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. 5, 15th. ed., (Chicago, Encyclopedia Britannica, Inc., 1974), p.589; Kodansha Encyclopedia of Japan, Vol.4,p.111.

(٢٥)النجار، المصدر السابق، ص ٢٦٧.

(٢٦)لويس ل. شنايدر، العالم في القرن العشرين، ترجمة سعيد عبود السامرائي،(بيروت،١٩٧٦)، ص١٨٥–١٨٦.

(٢٧)حسن، المصدر السابق، ص ١٧٢.

(٢٨) Borton Hugh, Japan's Modern Century, International Secretariat Institute of pacific Relations, (New york,1955),pp.349-350.

(٢٩)حسن علي سبتي الفتلاوي، الموقف الأمريكي من الحرب اليابانية غير المعلنة على الصين ١٩٣٧–١٩٤١،" مجلة دراسات في التاريخ والاثار" ، كلية الآداب جامعة بغداد،العدد الثامن ، ٢٠٠٨، ص ٣٧.

(٣٠)الصمد ، المصدر السابق، ص ٣٤٨.

(٣١)منال عباس كاظم الخفاجي، الولايات المتحدة الأمريكية والتطورات السياسية الداخلية في الصين (١٩٣١–١٩٤٩)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠١٣، ص ١٧٩–١٨٠.

(٣٢)نسبةً إلى الرحلة الايطالي ماركوبلو الذي ولد عام ١٢٥٤، وهو أول سلك طريق الحرير إلى الصين، توفى عام ١٣٢٤. يُنظر: فهمي هويدي، الإسلام في الصين، (الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨١)، ص ٣٣.

(٣٣) F .R .U .S ,Japan,1931 – 1941,vol,I,washington,1943,Telegram the Ambassador in china (Jonson)to the secretary of state July,1937, P. 314;

ميلاد المقرحي، ، تاريخ آسيا الحديث والمعاصر شرق آسيا /الصين/اليابان/كوريا،(بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ١٩٩٧)، ص ١١٢؛ اليابان ملامح أمة ، ترجمة سمر حمود الشيشكلي ، (دمشق ،الهيئة العامة السورية للكتاب ، ٢٠١١)، ص ١٣٠.

(٣٤) Edmund O. Clubb, China in 25th Century ,(U.S.A Columbia University Press, 1972),p.213.

(٣٥) T.A. Bisson, Japan in China , the Macmillan Company ,(U.S.A., New York, 1938), p. 18.

(٣٦) Kodansha Encyclopedia of Japan, Vol.5,p.113.

(٣٧) فوزي درويش ، اليابان الدولة الحديثة والدولار الأميركي، ط٣، (طنطا، مطابع غباشي، ١٩٩٤)، ص ١٥٣– ١٥٤؛ الفخري، المصدر السابق، ص ٢٢٦.

(٣٨) Hsulang- hsuen & Chang Ming- Kai, History of the Sino-Japan ese war (1937-1945),(Taiwan, Chung wn Publishing, 1972), P. 172.

(٣٩) David J. Lu, (ed.), Japan A Documentary History, (New York, M.E Sharpe, Inc., 1997), p.409.

(٤٠) Zhongguo Gongchandang Zuzhishi Ziliao Huibian ,Collected Documents on the History of the Structure of the Chinese Communist Party (Beijing, Hongqi Publishing Company, 1983),PP.23-27.

(٤١) "جريدة الزمان" بغداد، العدد ١٠٢، ٢٣ كانون الأول ١٩٣٧، ص ١.

(٤٢) المصدر نفسه، العدد ١٠٤، ٢٧ كانون الأول ١٩٣٧، ص٢.

(٤٣) Kodansha Encyclopedia of Japan, Vol.5,p.113.

(٤٤) Zhonghua Renmin Gongheguo Zhiguanzhi ,List of Official Positions in the People's Republic of China, (Beijing, Zhongguo Shehui Publishing Company, 1993),PP.66-69.

بهذا الصدد قدمت الحكومة الصينية عدد من الوثائق في عام ١٩٤٦، إلى محكمة الشرق الأقصى العسكرية، ذكرت أن عدد القتلى بلغ ٤٣٠ ألف صيني ما بين أسرى حرب ومدنيين، ولكن العدد الذي حددته المحكمة قدر بـ(١٩٣,٠٠٠) صيني. ومهما كان العدد فلا يمكن لإنسان أن ينكر فظاعة المذابح التي ارتكبها الجيش الياباني في الصين وقتذاك، والتي ما زالت الصين تطالب بها اليابان بالاعتذار الرسمي عن تلك الجرائم وضرورة تغير المناهج الدراسية من اجل أظهار تلك الحقائق التاريخية. يُنظر: حسن، المصدر السابق، ص ١٧٤ .

(٤٥) "جريدة الزمان"، العدد ١٠٥، ٢٩ كانون الأول ١٩٣٧، ص ٣.

(٤٦) الموسوعة العسكرية، ج١،(بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٧)، ٣٩٣؛ محمد نعمان جلال ، الصراع بين اليابان والصين،(القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٨٩)، ص ٧٠–٧١.

(٤٧) ج. ب . ديروزيل، التأريخ الدبلوماسي في القرن العشرين ، ترجمة خضر خضر ، جـ١، ، (لبنان ، دار المنصور ،١٩٨٥)، ص ٤١٥-٤١٦.

(٤٨) الفخري، المصدر السابق، ص ٢٢٨.

(٤٩) المسلمون في الصين يقاتلون في صفوف الصينيين، "جريدة الزمان"، العدد ١٠٢، ٢٢ كانون الأول ١٩٣٧، ص ٣؛ صفاء كريم شكر، اليابان في الصين (١٩٣١-١٩٤٥)، (بغداد، ٢٠٠٧)، ص ٩٣-٩٤.

(٥٠) F. R. U. S, 1931-1941, Vol. I ,Press Release Issued by the Department of State 6 October 1937 , P. 396-397.

(٥١) شبيب، المصدر السابق، ص ١٤٤.

(٥٢) ولد في جورجيا عام ١٨٧٨، يعد ابرز الزعماء السوفيت، تولى الأمانة العامة للحزب الشيوعي واللجنة المركزية السوفيتية للمدة ١٩٢٢ – ١٩٥٣، غدا رئيساً للحكومة والقائد الاعلى للجيش السوفيتي للمدة ١٩٤١ – ١٩٥٣، استطاع إن يجعل من الاتحاد السوفيتي دولة عالمية قوية، توفى عام ١٩٥٣.

Encyclopedia of Russian History, James R, Millar and Other's (eds.), Vol.4, (New York, Macmillan Reference, 2004), pp.1455 – 1459; The New Encyclopaedia Britannica, Vol.11, p.205.

(٥٣) الفخري، المصدر السابق، ص ٢٢٩.

(٥٤) تاكيشي ايتو، هيروشيما ونغاساكي مأساة القنبلة الذرية،ترجمة اكيرا كويانو،(القاهرة، دار الشروق) ، ١٩٩٤، ص٥٠.

(٥٥) مراد ناصر عبد الحسن المياحي، العلاقات السياسية السوفيتية- الصينية ١٩٤٩-١٩٥٦، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٩، ص ٣١-٣٢.

(٥٦) درزويل، المصدر السابق، ص ٤١٨. ٤١٩.

(٥٧) الفخري، المصدر السابق، ص ٢٢٩.

(٥٨) ولد في ولاية ينسي في ٢ تشرين الأول ١٨٧١، تخرج عام ١٨٩١ من جامعة كامبرلاند حاملا شهادة البكالوريوس في القانون ، شغل منصب وزير خارجية منذ ٤/آذار/عام١٩٣٣ حتى٣٠/ تشرين الثاني/عام١٩٤٤، وكان له أثر كبير في المفاوضات بين الولايات المتحدة واليابان التي استمرت طوال العام ١٩٤١، حصل على جائزة نوبل للسلام لدوره في تأسيس منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ ، توفى في ٢٣ تموز ١٩٥٥.

The New Encyclopaedia Britannica,Vol.6,pp.131-132.

(٥٩) الخفاجي، المصدر السابق، ص ١٨٣-١٨٤.

(٦٠) F. R. U. S., 1931- 1941, Vol. I ,Address Delivered by the Japanese Minister For Foreign Affairs (Hirota) Before the Japanese ,5 September 1937 P. 364- 367.

(٦١) Ibid .,Press Release Issued by the Department of State, 10 September 1937 ,P. 371.

(٦٢) الرئيس الثاني والثلاثون للولايات المتحدة الأميركية. ولد في ولاية نيويورك في عام ١٨٨٢. انتخب حاكماً للولاية في عام ١٩٢٨. انتخب رئيسا للبلاد في عام ١٩٣٢، فتصدى لآثار الأزمة الاقتصادية عن طريق برنامج إصلاحي عرف باسم "النهج الجديد" (New Deal). أُعيد انتخابه ثلاث مرات، كان آخرها في عام ١٩٤٤. توفي في عام ١٩٤٥. يُنظر:

كاترين أونيز بير، حياة فرانكلين روزفلت، ترجمة محمد بدر الدين خليل، (القاهرة، ١٩٦٢)، ص١٥٢-١٦٨.

(٦٣) منتهى طالب ، العلاقات اليابانية- الأمريكية ١٩١٩-١٩٣٩، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٧، ص ٣٠٤.

(٦٤) الفتلاوي، المصدر السابق، ص ٤٦-٤٧.

(٦٥) F. R. U. S., 1931- 1941, Vol. I ,Extract from Radio Address Delivered by President Roosevelt at the White House , 12 October 1937, , pp. 400-401.

(٦٦) كانت هناك ثلاثة قروض أميركية قدمت إلى الصين, وان الترتيبات الخاصة وضعت لتسديد تلك القروض من عائدات تجارة الملح الصينية. يُنظر: سلمان، المصدر السابق، ص٣٠٦.

(٦٧) F. R. U. S., 1931- 1941 , Vol. I ,Telegram from the American Ambassador in Japan (Grew) to the Japanese Minister for Foreign Affairs (Hirota) 28 November1937, P. 730.

(٦٨) Ibid .,Memorandum by the Chief of the Division of Far Eastern Affairs (Hamilton) of a Conversation with he Counselor of the Japanese Embassy (Suma), 30 November 1937 , P 731.

(٦٩) "جريدة الزمان"، العدد ١٠٢، ٢٣ كانون الأول ١٩٣٧، ص ٣.

(٧٠) F. R. U. S., 1931- 1941 , Vol. I ,Telegram from the American Embassy in Japan (Grew) to the Japanese Ministry for Foreign Affairs (Hirota), 31 Januargy 1938,pp. 788-789.

(٧١) Ibid ., Adress Delivred by the Japanese Prine Minister (Prince Konoyo) Before the Japanese Diet o 22 January 1938, P. 438-440.

(٧٢) سلمان، المصدر السابق، ص ٣١٠؛ الخفاجي، المصدر السابق، ص ١٩٧.

(٧٣) F. R. U. S., 1931- 1941 , Vol. I ,Telegram from the American Ambassador in Japan (Grew) to the Japanese Minister for Foreign Affairs (Ugaki), 4 July 1938,, P. 611-619.

(٧٤) هي السياسة التي نادى بها وزير الخارجية الأميركي (جون ميلتون هيّ John Milton Hay ٣٠ أيلول ١٨٩٨–١ تموز ١٩٠٥) في ٦ أيلول ١٨٩٩، لتأمينِ إمتيازات متساوية بين الدول التي تتعامل تجارياً مع الصين، ولدعمِ الوحدة الصينية إقليمياً وإدارياً، وتضمنت تعهد الدول الإستعمارية الكُبرى بعدمِ إنفراد أيٍّ منها في الحصولِ على إمتيازات تجارية وصناعية أو سياسية في الصين ، والسماح لمختلفِ الدول على قدمِ المساواة المُتاجرة معها. يُنظر:

ميثاق شيال زورة ، الحرب الإسبانية – الأمريكية ١٨٩٨–١٩٠٢، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥، ص١٢٨–١٢٩.

(٧٥) سلمان، المصدر السابق، ص٣١٢–٣١٣؛ الخفاجي، المصدر السابق، ص ٢٠٠–٢٠١.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الوثائق الأميركية المنشورة: Foreign Relations of United States

1. F .R .U .S ,Japan,1931 – 1941,vol,I,washington,1943,Telegram the Ambassador in china (Jonson)to the secretary of state July,1937.
2. Press Release Issued by the Department of State 6 October 1937 .
3. Address Delivered by the Japanese Minister For Foreign Affairs (Hirota) Before the Japanese ,5 September 1937 .
4. Press Release Issued by the Department of State, 10 September 1937 .
5. Extract from Radio Address Delivered by President Roosevelt at the White House , 12 October 1937.
6. Telegram from the American Ambassador in Japan (Grew) to the Japanese Minister for Foreign Affairs (Hirota) 28 November 1937.

7. Memorandum by the Chief of the Division of Far Eastern Affairs (Hamilton) of a Conversation with he Counselor of the Japanese Embassy (Suma), 30 November 1937 .
8. Telegram from the American Embassy in Japan (Grew) to the Japanese Ministry for Foreign Affairs (Hirota), 31 Januargy 1938.
9. Adress Delivred by the Japanese Prine Minister (Prince Konoyo) Before the Japanese Diet o 22/January/ 1938.
10. Telegram from the American Ambassador in Japan (Grew) to the Japanese Minister for Foreign Affairs (Ugaki), 4 July 1938.

ثانياً: الكتب العربية والمترجمة:

١- أدوين أولدفاذر ريشاور، تاريخ اليابان من الجذور حتى هيروشيما، ترجمة يوسف شلب الشام، ط١، (دمشق، دار علاء الدين للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٠).
٢- آرثر تيدمان، اليابان الحديثة، ترجمة وديع سعيد، (القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، د.ت).
٣- تاكيشي ايتو، هيروشيما ونغاساكي مأساة القنبلة الذرية،ترجمة اكيرا كويانو،(القاهرة، دار الشروق ، ١٩٩٤).
٤- ج. ب . ديروزيل، التأريخ الدبلوماسي في القرن العشرين ، ترجمة خضر خضر ، جـ١، (لبنان ، دار المنصور ،١٩٨٥).
٥- رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين تطور الأحداث لفترة ما بين الحربين ١٩١٤-١٩٤٥، ط٢، (بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،١٩٨٣).
٦- صفاء كريم شكر، السياسة الأمريكية تجاه الصين ١٨٩٥-١٩٣١، (بغداد، ٢٠٠٧).
٧- صفاء كريم شكر، اليابان في الصين (١٩٣١-١٩٤٥)، (بغداد، ٢٠٠٧)، ص ٩٣-٩٤.
٨- فهمي هويدي، الإسلام في الصين، (الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨١).

٩- فوزي درويش ، اليابان الدولة الحديثة والدولار الأميركي، ط٣، (طنطا، مطابع غباشي، ١٩٩٤).
١٠- كاترين أونيز بير، حياة فرانكلين روزفلت، ترجمة محمد بدر الدين خليل، (القاهرة، ١٩٦٢).
١١- لويس ل. شنايدر، العالم في القرن العشرين، ترجمة سعيد عبود السامرائي،(بيروت،١٩٧٦).
١٢- محمد نعمان جلال ، الصراع بين اليابان والصين،(القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٨٩).
١٣- الموسوعة العسكرية، ج١،(بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٧).
١٤- ميلاد المقرحي، ، تاريخ آسيا الحديث والمعاصر شرق آسيا /الصين/اليابان/كوريا،(بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ١٩٩٧).
١٥- هشام عبد الرءوف حسن ، تاريخ اليابان الحديث والمعاصر عصري طايشو– شوا، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٣).
١٦- هواردِ زنْ، التاريخ الشعبي للولايات المتحدة، ترجمة شعبان مكاوي، ج١، (القاهرة ،المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٥).
١٧- اليابان ملامح أمة ، ترجمة سمر حمود الشيشكلي ، (دمشق ،الهيئة العامة السورية للكتاب ، ٢٠١١).

ثالثاً: الرسائل والاطاريح الجامعية غير المنشورة:

١–أسماء صلاح الدين صالح الفخري، العلاقات الصينية–اليابانية ١٨٩٤–١٩٣٩، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية– ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٦ .
٢–إيمان متعب محي التميمي، الأزمة الإقتصادية العالمية في الولايات المتحدة الأمريكية – الأسباب والنتائج ١٩٢٩ – ١٩٣٣، إطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٣.
٣– سحر عباس عبد الحسن النجار، الأوضاع السياسية الداخلية في اليابان ١٩٢٦–١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠١٠.

٤-عبادي أحمد عبادي القطراني، موقف الولايات المتحدة الأمريكية من التوسع الياباني في منشوريا ١٩٣١-١٩٣٣، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٥.

٥-محمد حميد جاسم شبيب، عصبة الأمم ١٩١٩ – ١٩٤٦(دراسة تأريخية)، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، ٢٠١٦.

٦-مراد ناصر عبد الحسن المياحي، العلاقات السياسية السوفيتية- الصينية ١٩٤٩-١٩٥٦، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٩.

٧-منال عباس كاظم الخفاجي، الولايات المتحدة الأمريكية والتطورات السياسية الداخلية في الصين (١٩٣١-١٩٤٩)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠١٣.

٨-منتهى طالب سلمان، العلاقات اليابانية- الأمريكية ١٩١٩-١٩٣٩، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٧.

٩-ميثاق شيال زورة ، الحرب الإسبانية – الأمريكية ١٨٩٨-١٩٠٢، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥.

١٠- وسام هادي عكار عظيم، تطور سياسة اليابان الإقتصادية (١٩٥٢-١٩٧٣)، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، ٢٠١٤.

١١- وليد عبود محمد شبيب الدليمي، السياسة الألمانية تجاه المشرق العربي ١٩٣٣-١٩٤٥، إطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية- ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٩.

رابعاً: البحوث المنشورة:

١- المسلمون في الصين يقاتلون في صفوف الصينيين، "جريدة الزمان"، العدد ١٠٢، ٢٢ كانون الأول ١٩٣٧

٢- حسن علي سبتي الفتلاوي، الموقف الأمريكي من الحرب اليابانية غير المعلنة على الصين ١٩٣٧-١٩٤١،" مجلة دراسات في التاريخ والاثار" ، كلية الآداب جامعة بغداد، العدد الثامن ، ٢٠٠٨.

٣- هيروهيتو يدفن مع ذكريات الحرب ،"مجلة الأسبوع العربي" ،العدد ١٥٢٧، القاهرة، ١٦ كانون الثاني ١٩٨٩.

خامساً: الكتب باللغة الإنكليزية:

1. Borton Hugh, Japan's Modern Century, International Secretariat Institute of pacific Relations, (New york,1955).
2. China and Japan , Information Department Paper No 21, The Royal Institute of International Affairs ,(London, 1938).
3. David J. Lu, (ed.), Japan A Documentary History, (New York, M.E Sharpe, Inc., 1997).
4. David Nicholls, Adolf Hitler A Biographical Companion, (Santa Barbara, California, ABC-CLIO, Inc., 2000).
5. Edmund O. Clubb, China in 25th Century ,(U.S.A Columbia University Press, 1972).
6. Fred Greene, The Far East, (New York, Congress Catalog, 1957).
7. Gordon Martel (ed.), The World War Two Reader, (New york, Routledge Taylor & Francis Group, 2004).
8. Hsulang- hsuen & Chang Ming- Kai, History of the Sino-Japan ese war (1937-1945),(Taiwan, Chung wn Publishing, 1972).
9. Joseph G. Grew, Report from Tokyo,(London, Hammond and Company,Ltd.,1942).
10. Mamoru Shigemitsu, Japan and her Destiny, "Royal Central Asian Journal", Vol. XlV, No.3, (London, October 1958).
11. Maurice Obstfeld and other's (eds.), Global Economic Crisis Impacts, Transmission and Recovery, (Cheltenham, UK., Edward Elgar Publishing Limited,2012).
12. Reischauer, Edwin O., Japan the Story of a Nation,4 th.ed., Singapore, Tuttle Publishing, 2004) ,p.194.
13. Sandra Wilson, The Manchurian Crisis and Japanese Society.1931-1933,(New York, Taylor& Francis Group,2002).

14. T.A. Bisson, Japan in China , the Macmillan Company ,(U.S.A., New York, 1938).
15. Wilfrid Fest, Dictionary of German History 1806-1945, 2 nd.ed.,(New York, st. Martin's Press,1980).
16. Zhongguo Gongchandang Zuzhishi Ziliao Huibian ,Collected Documents on the History of the Structure of the Chinese Communist Party (Beijing, Hongqi Publishing Company, 1983).
17. Zhonghua Renmin Gongheguo Zhiguanzhi ,List of Official Positions in the People's Republic of China, (Beijing, Zhongguo Shehui Publishing Company, 1993).

سادساً: الموسوعات الأجنبية:

1- Encyclopedia of Russian History, James R, Millar and Other's (eds.), Vol.4, (New York, Macmillan Reference, 2004).
2- Kodansha Encyclopedia of Japan, Vol.3,1st.ed, (Tokyo, Kodansha, Ltd., 1983).
3- The New Encyclopaedia Britannica Vol.,7,15th.ed,(Chicago, Encyclopaedia Britannica. Inc.,1988).
4- The New Encyclopedia Britannica, Vol. 5, 15th. ed., (Chicago, Encyclopedia Britannica, Inc., 1974).

باشوية بغداد ومرتكزات نظام الادارة العثماني ١٨٣١-١٨٦٩

Bashawiya Baghdad and the Elements of the Ottoman Administration System (1831-1869)

ا.م.د احمد عبدالواحد عبدالنبي

Ahmed Abd Alwahed@yahoo.com

مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

باشوية بغداد ومرتكزات نظام الادارة العثماني ١٨٣١-١٨٦٩

ا.م.د احمد عبدالواحد عبدالنبي

ملخص :

لقد تناول بحثنا الموسوم بـ (باشوية بغداد ومرتكزات نظام الادارة العثماني١٨٣١-١٨٦٩) جملة من الوقائع والحوادث التاريخية ذات المنطلقات الادارية والاجتماعية التي مرت على مدينة بغداد في مرحلة مهمة خصوصاً العهد العثماني الاخير على العراق، مما ترتب عليه مشاكل واقتصادية وادارية لا حصر لها، وبالذات موضوعة مرتكزات النظام الاداري . ضم هذا الموضوع الحيوي ثلاث مباحث حاولنا من خلالها قراءة وتتبع سياسة الدولة العثمانية وأدارتها لملفة النظام الاداري المدني ولأهميتها البالغة في رسم معالم الجوانب الحضارية والعمرانية في باشوية بغداد . ووفق مايلي :المبحث الاول اشتمل على الأركان الرئيسة لنظام الادارة العثمانية في بغداد، في حين جاء المحبث الثانيعلى ذكرولاة بغداد ومرتكزات نظام الادارة العثماني. اما المبحث الثالث فقد تحدث عن مرتكزات المؤسسات الادارية الاخرى في باشوية بغداد. اعتمدت الدراسة على مجموعة مهمة من الكتب والمراجع العربية والمترجمة الى جانب عددا من الرسائل والاطاريح الجامعية والمجلات الدورية جرى الاستفادة منها ضمن مدة البحث ١٨٣١-١٨٦٩ .

Summary:

Our research, entitled "Bashawiya Baghdad and the Elements of the Ottoman Administration System" (1831-1869), dealt with a number of historical facts and incidents with administrative and social ramifications that passed through the city of Baghdad at an important stage, especially the last Ottoman era in Iraq, which resulted in countless economic, administrative and administrative problems. The rules of the administrative system. This dynamic topic included three studies in which we tried to read and follow the policy of the Ottoman Empire and to manage it to fill the civil administrative system and its great importance in drawing the architectural and urban aspects in Bashwiya Baghdad. According to the following: The first topic included the main pillars of the Ottoman administration in Baghdad,

while the second Muhta on the mention of Baghdad and the foundations of the Ottoman administration system. The third topic, he talked about the foundations of other administrative institutions in Bashawiya Baghdad. The study was based on an important collection of Arabic and translated books and references, along with a number of letters, university papers and periodical journals, which were utilized during the period of research 1831-1869.

المبحث الاول: الأركان الرئيسة لنظام الادارة العثمانية في بغداد:

١- الوالي :

يمثل منصب الوالي اكبر واهم منصب في الجهاز الإداري الحكومي في ايالة بغداد، وهو منصب إداري وسياسي في الوقت نفسه، إذ كان والي بغداد يمثل حكومة الدولة العثمانية – داخل الايالة – في تعاملها مع قناصل الدول الاجنبية ورعاياها [١]. وتبعاً لسياسة الدولة العثمانية في عدم ابقاء الولاة في مناصبهم مدة طويلة خوفاً من انفرادهم بالسلطة والتمرد عليهم، فقد تصدر للحكم والباشوية في بغداد خلال هذه الحقبة ١٨٣١-١٨٦٩ أحد عشر واليا من الذين كانوا يدعون بالوزراء ، وكانت مدة حكم معظمهم قصيرة، إذ تراوحت تلك المدة بين بضعة اشهر واقل من سنتين. في حين كانت لغيرهم بين اربع سنوات إلى احدى عشرة سنة كما سنرى لاحقا [٢]. وكان تعيين هؤلاء يتم من العاصمة استانبول بموجب فرمان سلطاني، مما يعني ان ولاة وباشوات بغداد كانوا من عناصر مختلفة فبعضهم تركي الاصل او الباني او غير ذلك، ومن انماط مختلفة من الرجال، فوجد بينهم الإداري والضابط العسكري، والفقيه، والطاعن في السن، والجاهل في شؤون الحكم، مما يعني أن اختلافاً في مميزاتهم، وصفاتهم، ففي الوقت الذي اتصف قسم منهم بالنزاهة كان بعضهم مرتشياً، ووجد إلى جانب الزاهد والمتدين والمتصوف والغيور على المصالح العامة والنظامي الصارم، الخامل والضعيف الشخصية، وعرف قسم منهم الاهتمام بالادب والثقافة العالية، والقسم الآخر اتجه إلى الخمر واقامة حفلات الرقص والغناء[٣]. وكان لهذا التغيير المستمر اثره السيء في الإدارة على بغداد لانه يحول دون القيام باعمال اصلاحية، او التعرف على احوال المدينة واهاليها، فما ان يكون الوالي الجديد قد تعرف على احوال

الايالة، وفكر او شرع ببعض الاعمال والاصلاحات حتى تباشر الدولة العثمانية بعزله . ورغم هذا التغيير الا ان هناك اكثر من صفة مشتركة تجمع بين باشوات وولاة بغداد، وتجعلهم يظهرون بخصائص متشابهه فتميز معظم الولاة بالغطرسة والقوة والتعصب لقوميتهم وجمع الاموال من مصادر مختلفة، وباي طريقة كانت وما يتبع هذه الطريقة من قوة وظلم فضلاً عن امتلاك العقارات واخذ الرشوة حتى ان كثيراً الشعراء والمثقفين انتقدوا هذه الحالة امثال ابو الثناء الالوسي وابراهيم الطباطبائي وعبدالغني آل جميل وعبدالغفارالاخرس وغيرهم [٤]. وتجدر الاشارة الى ان معظم الولاة والباشوات يعدون ولاية بغداد منطقة نائية بعيدة عن مركز الحكم، وانهم غرباء على ثقافتها ولغتها، فلهذا كانوا يعدّون تولي الولاية فيها بمثابة عقوبة موجهة لهم ولخلق ظروف تلائم مطامعهم، ووضعهم الشاذ يبدأون بجمع الاموال، وارسالها إلى الجهات العليا لأرضائهم، والحصول على عطفهم، كما ان الولاة يتوقعون النقل، او الفصل من منصبهم عاجلاً، ام آجلاً، مما يدفعهم إلى تكريس الاموال بخزائنهم للاستفادة منها مستقبلاً في تأمين متطلباتهم وارضاء رغبائهم في الحصول على مناصب افضل، ويركز القنصل الفرنسي في بغداد دي فامير عام ١٨٤٦ مثلاً على فساد بعض الولاة بقوله : ((يسافر غداً إلى انجال الوالي نجيب باشا وهو يحمل في جعبته مبالغ ضخمة من النقود مخصصة لغرض كسب الانصار إلى جانب والده الذي يخشى تدقيق تصرفاته))[٥]. وقد اختلفت مهام الوالي الإدارية خلال هذه الحقبة والتي كانت تتحدد، وتتقلص من قبل الحكومة العثمانية ففي بداية الحقبة شملت مهامه الاشراف والسيطرة على جميع الدوائر الرسمية بما فيها الدوائر العسكرية، والقضائية، والمالية، وتعين الموظفين لها، فهو الممثل المحلي لإدارة العاصمة التي لها دوائر فرعية في بغداد وله حق تطبيق الانظمة والقوانين واقامة الدولة وفرض الضرائب، وعلى عاتقه تقع اشاعة النظام واستباب الامن وعلى كاهله يرتكز عبىء تنفيذ الاشغال العامة وإدارة الاعمال الحكومية، والتعامل مع قناصل الدولة الاجنبية، وشيوخ العشائر ورؤساء الاقليات الدينية [٦].وبدأت قبضة الولاة تتراخى تدريجياً منذ اوائل خمسينيات القرن التاسع عشر وذلك بعد تأسيس مجلس إدارة الايالة ومنذ ذلك الوقت بدأ هذا المجلس يساهم بعلاج مشاكل الإدارة الحكومية واضطلع معظم الولاة بمهمة قيادة الفيلق السادس الذي تشكل واتخذ من بغداد مقراً له في عام ١٨٤٨، فضلاً عن واجباته الاصلية وكان محمد نامق

باشا اول من جمعت له الولاية وقيادة الفيلق في اواخر عام ١٨٥١، وانيطت بجميع الولاة الذين اعقبوه المهمة نفسها، على ان بعض هؤلاء كان من ضباط الجيش وبعضهم الاخر من المدنيين، ويبدو ان جميع مهام الايالة وقيادة الفيلق واناطتها بوالي الايالة كان له دواع، منها تلك الخلافات التي وقعت بين بعض الولاة وقادة الجيش، فضلاً عمّا تتطلبه محاولات اخضاع عشائر الايالة ومدنها لسيطرة الدولة المباشرة آنذاك من اتخاذ خطوة مثل هذه يتمكن الوالي معها من الهيمنة على الجيش وتوجيهه بسرعة دون عوائق لتحقيق هذا الهدف(٧).وكان باشوات وولاة بغداد يلتزمون مناصبهم ببدل مقطوع يدفع للحكومة العراقية، فآخر ملتزمي منصب الوالي في الاياله نجيب باشا ١٨٤٢–١٨٤٨ الذي التزم منصبه ببدل قدره خمسون ألف كيس، أي انهم كانوا يدفعون سنوياً مبلغاً للدولة بهذا المقدار مقابل احتفاظهم بمناصبهم، مما كان سبباً في تفشي الرشوة على المستويات كافة، فاصدرت الحكومة العثمانية قراراً لتحديد الرواتب للولاة عام ١٨٣٩،الا ان هذا الاجراء لم يطبق في بغداد الا في الخمسينات، من القرن التاسع عشر فبلغ راتب الوالي ما يقارب (١٢٠.٠٠٠) قرش شهرياً عدا المخصصات الاضافية، وفي العقد التالي ارتفع راتبه إلى ما يقارب (١٥٠.٠٠٠) قرش . وبما ان تطبيق هذا الاجراء هو للحد من الرشوة ولكن نجد ان مصطفى باشا ١٨٥٩–١٨٦٠ قد عزل من منصبه بسبب ارتشائه، فقد بلغ اسراف هذا الوالي إلى انه خصص لنفسه مبالغ كبيرة من المال باعتبار ان هذا المبلغ هو مخصصات مقطوعة لسفره وتنقلاته عدا راتبه الشهري، وبالرغم من ان المستوى المعاشي في بغداد لا يحتاج الا إلى مبالغ قليلة للعيش فيها وبالرغم من ارتفاع رواتب ومخصصات الولاة، لكن جشعهم وحبهم للاموال كان يدفعهم لجمع الاموال بمختلف وشتى الطرق، فبغداد كانت (البقرة الحلوب) لجميع الولاة تجمع الاموال منها ولكنها لم تطور او تحسن اوضاعها بقدر ما يؤخذ منها (٨).

٢–الكهية :

الكهية من المناصب الإدارية المهمة، ويأتي بعد منصب الوالي مباشرة، وكان الكهية يقوم بوظائف عدة ابرزها معاونة الوالي في جميع اعماله وواجباته.وقد فقد منصب الكهية في هذه الحقبة، ولعل السبب في ذلك هو عودة ايالة بغداد إلى الحكم العثماني المباشر، واصبح تعيين الوالي من السلطة المركزية في استانبول وبموافقة الباب العالي على عكس فترة حكم

المماليك اذ كان يعين الوالي بدون موافقة السلطة المركزية، ويتم اختياره من منصب الكهية، وكان الوالي يقوم بتعيين الكهية وقد اختير لهذا المنصب بعض العراقين فقد قام الوالي علي رضا اللاظ بتعيين الشاعرالموصلي عبد الباقي العمري لهذا المنصب(٩).

٣-الدفتر دار :

الدفتردار في اللغة كلمة مركبة من دفتر بمعنى السجل، ودار، أي النظار، مراقب، محافظ فيكون معناها الحرفي محافظ السجل وفي الاصطلاح، اسم موظف في بعض الولايات الكبيرة رفيع الرتبة يكون مسؤولاً عن شؤون المال وتسلم الاموال وصرفها وتسمى دائرته بالدفتر خانة وتقع في مركز الايالة بين جامع الوزير ومباني القشلة يعمل الدفتر دار تحت اشراف الوالي وتوجيهه، وعندما دخل الوالي علي رضا باشا اللاظ بغداد قام في عام ١٨٣٢ بتعيين دفتر دار للايالة، وفيما بعد اضطلعت الحكومة المركزية في استانبول بمهمة تعيين الدفتر دار ففي عام ١٨٤٥ وصل إلى بغداد اول دفتر دار عين من استانبول(١٠).

٤-: المجلس الكبير :

تشكل المجلس الكبير او مجلس ادارة الايالة في عام ١٨٥٠ وتألف مجلس الإدارة في بغداد من عدد من الاعضاء، كان من بينهم بعض كبار موظفي الايالة، وبعض وجهائها، فقد كان من بين اعضائه عام ١٨٦٣ أحد امراء المنتفك وهو الشيخ منصور بيك السعدون وكان منقاداً لرأي الحكومة العثمانية، وقد اضطلعت الحكومة بمهمة تعيين رئيس مجلس بغداد، وكان سالك افندي اول رئيس له، ونزهت افندي فقد كان آخر رئيس لمجلس بغداد قبل حلول عام ١٨٦٩.اشتملت واجبات المجلس على مراقبة اعمال الوالي، ومناقشة مشاكل الايالة المدنية والمالية والقضائية ووضع الحلول لها الا ان الوالي كان مسيطراً على اعمال المجلس، فقد كان اعضاؤه يمضون بعض التقارير دون ان يعلموا شيئاً عن محتوياتها، لذلك كان المجلس لا يجري نفعاً تجاه اعمال الوالي حتى وصول مدحت باشا إلى بغداد عام ١٨٦٩.فضلاً عن هيمنت الوالي على اعمال المجلس، فقد كان القنصل البريطاني هنري رولنسن مسيطراً عليه ايضاً، فقد كان يحضر اجتماعات المجلس ويستمع إلى مناقشات اعضائه وكان يمنعهم من اصدار أي قرار من دون الرجوع اليه(١١).

٥-: المناصب الادارية خارج مركز باشوية بغداد:

وهي دوائر يرأسها عدد من الموظفين وتنحصر مهمتهم بالاشراف على الوحدات الإدارية خارج مركز الايالة وهم :

أ- المتصرف:وهو اكبر موظف اداري في وحدته خارج مركز الايالة المسماة بالسنجق وكان بعض هؤلاء المتصرفين يتقلد منصبه عن طريق الالتزام حتى اواسط القرن التاسع عشر وذلك بأن يتعهد المتصرف عند تعينه بتقديم مبلغ مالي محدد سنوياً لخزينة الايالة مقابل قيامه بجمع واردات السنجق حيث قضى بعض متصرفي السناجق مدة طويلة في مناصبهم جاوزت عشرَ سنوات.وقد اضطلع المتصرف بعدة اعمال منها تنفيذ اعمال الوالي ومراقبة تطبيق القانون داخل السنجق، وكذلك الاشراف على شؤون الجندرمة، وعلى تنفيذ احكام المحاكم في السنجق.اما ابرز موظفي السنجق، فكان محاسب السنجق، ومدير مراسلات السنجق، وكانت واجبات المحاسب الدفتر دار تنظيم حسابات الدولة في السنجق، اما واجبات مدير مراسلات السنجق فهي الاشراف على مراسلات السنجق كافة(١٢).

ب- قائمقامو الاقضية:انقسمت السناجق إلى عدد من الوحدات الادارية وقد عرفت بالاقضية، وكان القائمقام اكبر موظف اداري في القضاء وقد عين في هذا المنصب بعض المتنفذين من رجال العشائر قبل ان تقوم الدولة باحكام سيطرتها على الاقضية، وقد عين اول قائمقام لقضاء الشامية التابع لسنجق الحلة هو حطاب بن شلال ابن عم وادي سفلح شيخ عشائر زبيد، الذي عين في وظيفته عام ١٨٤٤، كما قامت ايالة بغداد عام ١٨٥٣ بتعيين احد وجهاء عشيرة البو طبيخ اول قائمقام لقضاء السماوة التابع لسنجق الحلة، ويقوم قائمقامو الاقضية بالالتزام وحداتهم الإدارية، ويتعهد بجباية واردات القضاء على ان يدفع رواتب الموظفين والجند من عنده ويدفع للحكومة شيئاً معيناً بعد الاتفاق عليه اما واجباته، فقد كانت تتألف من الاشراف على الشؤون المتعلق بإدارة القضاء وبالجندرمة، كما كانت من واجبات القائمقام مراقبة تنفيذ احكام المحاكم في القضاء(١٣).

ج- مديرو النواحي: مدير الناحية، هو الموظف الذي يرأس الوحدة الإدارية التي عرفت بالناحية، وهي اصغر من القضاء، إذ ينقسم القضاء إلى عدد من النواحي، ويقوم متصرفو السناجق بتعيين مدراء للنواحي التابعة لأقضية سناجقهم ويشترط في مدير الناحية، ان يكون

متمتعاً بالحقوق المدنية، غير محكوم عليه، وان يكون من اصحاب السيرة الحسنة وان يكون من القادرين على القراءة والكتابة بالقدر المستطاع، وان يكون عمره قد تجاوز العشرين سنة.أما اهم واجبات مدير الناحية، فكانت اعلان قوانين الدولة وانظمتها في الناحية، واعلام القضاء – الذي يرتبط به – بمختلف شؤون الناحية، كذلك الاشراف على انتخابات المختارين، والنظر في الشكاوي التي يرفعها المواطنون ضد المختارين، والى جانب ذلك منع مدراء النواحي من ممارسة اية سلطة قضائية(١٤).

د- مختارو القرى والمحلات : وكانوا يأتون عن طريق الانتخابات، فقد جرى عام ١٨٣٥ انتخاب المختارين لمحلات بغداد، وانتخب لكل محلة مختار اول ومختار ثان وتنحصر مهمة المختارين في ملاحظة سكان المحلة، واصدار وثائق حصر الوراثة، والزواج والطلاق .وبعد صدور نظام الولايات عام ١٨٦٤ تم تحديد شروط للذين يحق لهم الاشتراك في انتخاب المختارين، وهي ان يزيد عمر المنتخب على الثامنة عشر سنة، وان يدفع الضرائب للحكومة، اما الشروط الواجب توفرها في المختارين، ان يكونوا من رعايا الدولة العثمانية، وان لا يقل اعمارهم عن الثلاثين سنة، وممن يدفعون الضرائب إلى الحكومة، وعلى الرغم من ان المختارين كانوا ينتخبون لسنة واحدة و يجوز تكرار انتخابهم دائماً (١٥).

المبحث الثاني: ولاة بغداد ومرتكزات نظام الادارة العثماني :

تعاقب على حكم ايالة بغداد منذ عام ١٨٣١ حتى عام ١٨٦٩ مدة البحث ١١ والياً من الذين كانوا يدعون بالوزراء وكانت مدة حكم معظمهم قصيرة اذ تراوحت المدة لسبعة منهم بين بضعة اشهر واقل من سنة اما الاربعة الباقون مدد حكمهم بين اربعة سنوات الى احدى عشرة سنة ، ولمقتضيات مصلحة دراستنا هذه نورد ولاة باشوية ايالة بغداد .

١- الوالي علي رضا باشا اللاظ ١٨٣١-١٨٤٢: ان علي رضا باشا من اهل طرابزون الواقعة على البحر الاسود، وينتمي إلى قبيلة اللاظ ولهذا اشتهر باسم علي رضا اللاظ، وعندما صدرت الاوامر له بالتوجه إلى بغداد وعزل داود باشا كان واليا على حلب وبدأ يستعد للمسيرة إلى بغداد على رأس عشرة آلاف جندي مع تسعة مدافع، وانضمت اليه بعض الزعامات المحلية في بغداد منهم ،صفوك الفارس شيخ شمر الجربا وسليمان الغانم احد رؤساء العقيل وعند وصول علي رضا الموصل منح سر عسكر تقوية لنفوذه، وفي المقابل

بدأ داود باشا بتحشيد قواته خارج اسوار مدينة بغداد، وكان من المتوقع ان ينجح المماليك في هزيمه أي قوة تستهدف الاطاحة بهم، الا ان الوالي الجديد ببغداد نجح في اقصاء المماليك من الحكم .وبموجب ذلك صدر فرمان من السلطان عبدالمجيد الاول ١٨٣٩-١٨٦١ينص بتولية علي رضا باشا اللاظ حكم بغداد وحلب وديار بكر والموصل وهي مجموعة من الايالات لم يسبق ان انعم بحكومتها معاً على حاكم واحد في وقت واحد وفي الحقيقة لم يكن يتجاوز العراق في حكمه[١٦]. وفي الحقيقة كان الوالي الجديد يواجهه مشاكل جمة ادارية ومالية حتى انه كان عاجز عن اعاشة الجيش وتسديد رواتب الموظفين فلجأ الوالي إلى تغريم الناس ومصادرة الاموال والاملاك ومطاردة اقارب المماليك عوائلهم ، الامر الذي ادى الى نفاذ صبر الناس فثار عليه مفتي بغداد عبد الغني جميل وثارت معه محلات بغداد باب الشيخ، ومحلة قنبر علي والمربعة وبعد حدوث مشاكل عديدة وفي عام ١٨٤٢ عزل من ايالة بغداد وعين واليا على الشام وفي ١٨٤٥ عزل من الشام ووافاه الاجل عام ١٨٤٦ ودفن ببلاد الشام[١٧].

٢-الوالي محمد نجيب باشا ١٨٤٢-١٨٤٨ :تركي الاصل من اهالي استانبول وينتمي الى أسرة من الاشراف القدماء من ذوي الثروة والغنى والمقام الرفيع . وصل محمد نجيب باشا بغداد في ايلول عام ١٨٤٢وفي اليوم الثالث من وصوله ترأس ديوان الولاية وفتح الفرمان الذي جاء به وقرأه على الناس وتسلم الايالة من علي رضا باشا وكان نجيب باشا يتمتع بذكاء وشجاعة وحيوية خارقة، الا ان شعوره القومي انقلب إلى كره مرعب للاجانب عنه[١٨].واجهت الوالي الجديد تحديات كثيرة بداية الامرغيرانه تغلب عليها بالتدريج،اما اعمال محمد نجيب باشا، فقد اهتم في الحالة المعاشية في بغداد مؤكداً في تقاريره التي رفعها إلى الجهات العليا في اسطنبول ضرورة تحسين رواتب الموظفين.كما قام بتقسيم محلات بغداد إلى ١٨ محلة ومعظمها في القسم الايسر من نهر دجلة الا انها لم تكن متساوية في السعة، فمثلاً توجد في احدى المحلات الف دار وفي الأُخرى ٥٠ دار، ولكل محلة أمام ومختاران. ويبدو ان السلطان العثماني كان مرتاحاً لسياسة محمد نجيب باشا في إدارة شؤون الايالة واستتباب الامن، فقد ارسل السلطان تقديره واعجابه عن حسن إدارة الايالة كما ارسلت استانبول مع ابن الوالي ستائر لتغطي مراقد الاولياء في بغداد والمدن الأُخرى، كما انعم

السلطان عليه بسيف ثمين تقديراً له ارسله اليه مع راغب اغا، احد اصدقاء محمد نجيب باشا ومن المقربين للسلطان وفي عام ١٨٤٨ عزل الوالي محمد نجيب من ايالة بغداد(١٩).

٣- الوالي عبد الكريم نادر باشا ١٨٤٩-١٨٥٠ :هو عبد الكريم نادر باشا الشهير بعبدي باشا، اكمل دراسته في فينا، حصل على درجة علمية عالية، اهلته للحصول على مراتب عالية في الدولة .بدأ حياته الوظيفية في الجيش العثماني حتى نال رتبة امير لواء، وفي عام ١٨٤٠ صار رئيساً لاركان الجيش، وتقلب في مناصب عديدة، ونال رتبة فريق عام ١٨٤٦ ثم اصبح عضواً في دائرة الشورى ومأموراً الرديف ثم نال منصب المشيرية للعراق والحجاز برتبة وزير عام ١٨٤٧، وفي عام ١٨٤٩ صدر الفرمان السلطاني الذي يقضي بتعيين عبدي باشا والياً لبغداد وقد اهله منصبه في قيادة فيلق العراق والحجاز الاطلاع الواسع على احوال هذه الايالة ومعرفة سكانها وقد وصف بالكرم والشجاعة والقدرة على مواجهة الصعاب وحب العلم والادب والمعارف وكان مقرباً لدى السلطان عبدالمجيد الاول حتى يقال انه هو الذي لقبه بعبدي باشا، كما وصف بانه كان حليماً يراعي حقوق الاشراف ورؤساء القبائل وانه كان يخدمهم بنفسه دون تردد، وكان لشخصيته هذه دور في اتباع اسلوب التفاهم مع المتمردين بوصفه الطريق السوي لتسوية كل ازمة، اما اعماله فانه قام باجراء تعداد عام للسكان تنفيذاً لاوامر الدولة العثمانية، كما قام باصلاح القلعة الداخلية في بغداد. الا ان مدة حكمه لم تدم طويلاً، فقد قدم استقالته وعزل من منصبه في عام ١٨٥٠وتوفي عام ١٨٨٣ في ردوك(٢٠).

٤-الوالي محمد وجيه باشا ١٨٥١: تركي الاصل من اهل بوزعاد، حصل على درجات علمية عالية، اهلته لنيل مناصب عديدة في استانبول والايالات التابعة لها، ومن اهم تلك المناصب انه صار رئيساً للبوابين، واصبح قائمقام ادنبة عام ١٨٢٧، ثم صار محافظاً لمدينة وارنه سنة ١٨٢٩، وفي عام ١٨٣٠ عزل منها، وفي عام ١٨٤١ اصبح والياً لمدينة سلانيك وفي نفس السنة نقل إلى ديار بكر، وفي عام ١٨٤٣ اصبح واليا على حلب و عام ١٨٤٥ عزل منها، وفي عام ١٨٥١ اصبح واليا على بغداد وفي السنة نفسها عزل منها بعد ان قضى عشرة اشهر ومع انه وصف بكونه عارفاً بالامور الإدارية ومدبراً، الا ان مدة ولايته القصيرة في بغداد جعلته غير قادر على معرفة السكان اذ لم يوصف بحسن الإدارة واختيار

الموظفين، ولم تختلف سياسته الداخلية عن سياسة الولاة الذين سبقوه، وخصوصاً فيما يتعلق بفرض الضرائب وجبايتها بطرق شتى بهدف الحصول على المال لتمشية شؤون الحكم(٢١).

٥-محمد نامق باشا ١٨٥١-١٨٥٢ : تركي الاصل ولقب بالكبير واصبح مشير فيلق العراق والحجاز عام ١٨٤٨ في عام ١٨٥١ اصبح واليا على بغداد وفي عام ١٨٥٢ اصبح ناظراً للتجارة وذهب إلى باريس وفي عام ١٨٥٣ فصل من وظيفته، ثم اصبح واليا على جدة عام ١٨٥٧ وعزل منها عام ١٨٥٨، وفي عام ١٨٥٩ عاد إلى الولايات العربية الكبرى واصبح رئيس شورى وفي عام ١٨٦١ نقل إلى بغداد وعين واليا عليها للمدة الثانية وبقي مشيراً للعراق والحجاز حتى عام ١٨٦٧ حيث استدعي للجيش واصبح رئيس مجلس سلاح المدفعية حتى وافاه الاجل عام ١٨٩٢.تميزبالصدق والاستقامة والتدبير العاقل وسعة اليد، وكان مهابا في عيون الناس، ولا يراهن في امور الحكومة مقداما في الحروب، عاقلاً حازماً.وقد قام نامق باشا ببعض الاعمال العمرانية مثل اعادة بناء مرقد ومسجد الشيخ جنيد البغدادي في الكرخ وذلك عام ١٨٥٢،كما عرف عن نامق باشا بسياسته الاقتصادية وذلك بالحد من الطامعين في اموال الناس، الذين كانوا يقومون باقراض المحتاجون من سكان القرى والارياف بالمال على ان تسدد هذه الاموال في موسم الحصاد مضاعفة، فوضع حد لتصرفات هؤلاء المرابين حيث قرر بقضاء الدين باقساط تتراوح مدتها بين سنة وخمس سنوات باتفاق الطرفين. وفي عهدهِ صدرت الارادة السينية بتأليف مجلس للولاية في بغداد، وكان تأليفه في بغداد استنادا إلى مرسوم كلخانه المعلن عام ١٨٣٩ ويعد هذا المجلس الخطوة الاولى للإدارة القانونية في الايالة، وان يكون الحكم بيد الامة وتشترك في الإدارة(٢٢).

٦-محمد رشيد باشا الكوزلكي ١٨٥٢-١٨٥٧ :تركي الاصل من استانبول نشأ نشأة عصامية اكمل دراسته داخل الكلية العسكرية وتخرج فيها ضابطا لامعاً .وكان احد ضباط الجيش العثماني الذي يعتمد عليه وفي ٢١ ايلول من عام ١٨٥٢ عين واليا على بغداد ومشيراً لفيلق العراق والحجاز.وكان هذا الوالي يلقب بـ الكوزلكي أي صاحب النظارات وسماه البغدادين ابوالمناظر والظاهر انه اول من استعمل النظارات الطبية في البلاد العثمانية اذ جاء بها من فرنسا واشتهر بها وقد تمكن محمد رشيد باشا في مدة حكمه في العراق من معرفة طبيعة العراقين وميولهم ورغباتهم ثم عالجه الاوضاع بحكمه وعقل ونشر العدل ووسع المشاريع

العمرانية فانتعشت البلاد على يده في مختلف المجالات واستمر هذا النشاط طيلة مدة حكمه، وكذلك وفر للخزينة الكثير من الاموال واستطاع ان يدفع ما تراكم على الخزينة من ديون ودفع رواتب المواطنين المدنين والعسكرين المتأخرة ، كما اصلح الجهاز الضريبي والرسوم الكمركية فالغى رسوما كثير كانت ترهق الناس. وكان يحث موظفيه ان يعملوا بنزاهة وحاول مكافحة التفسخ الموجود داخل الايالة، وقد كثرت في ايامه الواردات، لانه حال دون الاكثار من النهب والاختلاس وحقق مورداً دائماً للحكومة العثمانية عن طريق جمع الاعانات من الاهالي . كذلك كون مجلساً بترأسه بنفسه واعضاء من اعيان البلاد مسلمين ومسيحين ينظر في امور الايالة.ومن اعمال الوالي فتح نهر عذب من جهة الجزيرة يجري فمه الماء قرب بغداد وامر ان يزرع على ضفتي النهر اشجار التوت لتربية دودة القز وعرف هذا النهر بـ السرية نسبة إلى قائمقام الديلم سري باشا.كما قام الوالي ببناء مقاطعة المشيرية او الوزيرية في جانب الرصافة، توفي الكوزلكي ببغداد ودفن فيها عام١٨٥٧[٢٣].

٧-السردار الاكرم عمر باشا ١٨٥٧-١٨٥٩ : مجري الاصل جاء إلى استانبول في مقتبل حياته، فصارت له مكانة في الجيش النظامي الجديد ومنزلة مرموقة بين ضباطه وقادته، وعندما انتدب لولاية بغداد توجه عن طريق حلب مع قطعة كبيرة من الجيش النظامي تزيد على اربعة الاف جندي من الخيالة والمشاة وعلى رأسهم عدد من الضباط البولونين ومن ابرزهم اسكندر باشا قائد الفرقة، ومر وهو في طريقه إلى بغداد بعانه وهيت والصقلاوية ودخل بغداد من باب علاوي الحلة في يوم الثامن عشر من شباط عام ١٨٥٨.ومنذ اليوم الأول الذي وصل فيه الوالي شرع بانجاز المهمة التي اوكل من اجلها وهي اعداد الجيش النظامي واعلان التجنيد الالزامي .كانت خطة الوالي تقوم على تنفيذ التجنيد الاجباري في مدينة بغداد اولاً فاذا نجح فيه، سعى إلى تنفيذه في المناطق الأُخرى، لذا فانه جمع علماء بغداد واعيانهم بغية اقناعهم بالامر الجديد، وقبل ان يقرأ عليهم فرمان التجنيد وزع عليهم مبالغ كبيرة من المال، كل حسب رتبته، لأجتذاب قلوبهم، فكان نصيب القاضي عشرة الاف قرش صاغ، ونصيب النقيب الكيلاني سبعة الآف وخمسمائة قرش، اما بقية الحاضرين فقد حصل كل واحد منهم على خمسة الاف قرش وقد بلغ مجموع ما وزع عليهم كلهم ثلاثة وستون الف قرش، فلما قرأ عليهم فرمان التجنيد رحبوا به جميعا واظهروا الطاعة، حتى

صاروا يأتون باولادهم لادخالهم في الجيش النظامي، وكان اول من فعل ذلك مفتي بغداد محمد فيضي الزهاوي حيث احضر ولده بنفسه فحذا حذوه وجهاء بغداد، وفي خلال بضعة ايام تم التجنيد من مدينة بغداد فقط خمسمائة. وفي ٢٥ ايلول عام ١٨٥٩ غادر الوالي الايالة معزولاً وكان سبب عزل الوالي، هو تنكيله بقبائل الهماوند دون استأذان من الدولة العثمانية، فقد كانت السلطات العثمانية تخشى ان يؤدي هذا العمل إلى خروج هذه القبائل من العراق والتحالف مع ايران(٢٤).

٨-مصطفى نوري باشا ١٨٥٩-١٨٦٠ : تولى مصطفى باشا مناصب مختلفة في الدولة العثمانية، حتى اختير لايالة بغداد وفيلقها العسكري الكبير في الخامس والعشرين من ايلول عام ١٨٥٩ بيد ان هذا الوالي لم يمارس شيئاً من الاعمال المفيدة، وانه اضر بالخزينة ما يقدر بثلاثين الف ليرة، وحصل خلال فترة حكمه البالغة احد عشر شهراً على حوالي الفي ليرة من النقود المجيدية البيضاء . وقد سار على هذا المنوال بقية اتباعه من الموظفين، وقد بلغ اسراف هذا الوالي إلى انه خصص لنفسه مبلغاً قدره الف ليرة او اكثر ،حيث يعدّ هذا المبلغ هو مخصصات مقطوعة لسفره وتنقلاته عدا راتبه الشهري.واخيراً استطاع احمد توفيق باشا، وهو قائد عسكري برتبة فريق في الجيش العثماني الموجود في العراق، ان ينظم هو واعوانه مضبطة ضد الوالي مصطفى نوري تضمنت شكوى موجهة إلى الباب العالي بين فيها سوء تصرفات الوالي، وقد وقع على المضبطة بعض علماء بغداد واعيانها حسبما جرت عليها العادة، وقد انتجت المضبطة اثرها بعزل الوالي مصطفى نوري، وقد صادف ان كان خط التلغراف قد تم مدة إلى بغداد في تلك الفترة، فكان اول استعمال له هو نقل امر العزل(٢٥).

٩-احمد توفيق باشا ١٨٦٠-١٨٦١ : نشأ في الجيش العثماني، فصار عام ١٨٥٩ رئيس الفيلق السادس ببغداد، وفي عام ١٨٦٠ حصل على منصب ولاية بغداد، ومشيرية الفيلق السادس برتبة الوزارة.بدأ الوالي الجديد أحمد توفيق باشا حمله الغاء فيها المخصصات والامتيازات الخاصة، وبعمله هذا خفف عن كاهل الخزينة واكثر من ايرادتها، بحيث تمكن خلال شهرين من مضاعفة الدخل السنوي وتوفير زيادة فيه بمقدار خمس وعشرين الف ليرة.لم يدم حكم احمد توفيق باشا في بغداد سوى مدة قصيرة تقل عن سبعة اشهر، والظاهر

ان الوالي السابق مصطفى نوري باشا كان السبب في عزله حيث صار يسعى في استانبول نحو تبرئة نفسه وادانة خصمه وربما بذل في سبيل ذلك جزءاً كبيراً من الاموال التي حصل عليها في بغداد، فأمرت الدولة العثمانية في اعادة التحقيق في امره، واتضح للمحققين بعد ذلك ان ما اتهم به مصطفى نوري باشا باطلاً وانه كان من تدبير خصمه احمد توفيق باشا فصدرت الاوامر بعزل الاخير من ايالة بغداد اواخر عام ١٨٦١[٢٦].

١٠-محمد نامق باشا ١٨٦١-١٨٦٧ (ولاية ثانية) : بعد ان عزل من ايالة بغداد اصبح مشيراً للمدفعية في استانبول عام ١٨٥٢، ثم اصبح سر عسكر وفي عام ١٨٦١ عاد إلى ايالة بغداد ومشيراً لفيلق العراق والحجاز، وفي عام ١٨٦٧ عاد لمنصب سر عسكر، ثم صار ياوراكرم (المرافق الاكرم) ولقب بـ(شيخ) الوزراء، وكان يتقن العربية والفرنسية والانكليزية.وعند قدومه إلى بغداد قام ببعض التغيرات في المناصب الحكومية وقد راعى في ذلك الاستقامة، ونظم الامور المالية ودفع الرواتب وارسل اموال طائلة لأستانبول فسرت بها الدولة العثمانية. ومن اعماله العامة شرع بانشاء الثكنة وتعرف بـ القشلة التي اكملها مدحت باشا وفي ايامه وصلت الباخرتان بغداد ودجلة، وكذلك شرع في بناء الدميرخانة أي دار الحدادة وفي عهده طبق نظام التجنيد الاجباري الا انه جعله عقوبة للسارق وشارب الخمر ومن لا عمل له.وفي عام ١٨٦٤ صدر نظام المطبوعات اقتداءً بالدول الاوربية وفي السنة نفسها صدر نظام إدارة الولايات .ومن اعماله انه اوصى بصنع خمسة بواخر صغيرة لتسيرها في نهر دجلة.وفي عام ١٨٦٧ استدعي الوزير نامق باشا إلى استانبول ليتقلد منصب وزير الحربية، واصبح متصرف شهرزور تقي الدين باشا قائمقام بغداد لتسيير امور الحكم[٢٧].

١١- تقي الدين باشا ١٨٦٧-١٨٦٨ : اخر الولاة والباشوات الحاكمين في ايالة بغداد ضمن مدة بحثنه هذه(١٨٣١-١٨٦٩) حيث كانت ولاية تقي الدين باشا قصيرة الامد لا تتجاوز السنة الواحدة، وهذا يفسر لنا عدم امكانية الوالي بالشروع بالاعمال الاصلاحية.اما حياته المهنية فقد كان متصرف شهرزور برتبة بككربكي. وبعد عزل نامق باشا اصبح قائمقام بغداد، وفي عام ١٨٦٧ اصبح واليا على بغداد فضلاً عن مشير فيلق العراق والحجاز وفي عام ١٨٦٨ عزل من منصب الولاية.وقد تقلب في المناصب الحكومية حتى اصبح واليا

على الحجاز، وفي عام ١٨٧٩ عاد مرة ثانية لتولي منصب ولاية بغداد واستمر حتى عام ١٨٨٦، وفي عام ١٨٨٧ أحيل على التقاعد وفي عام ١٨٩٣ وافاه الاجل المحتم[٢٨].

المبحث الثالث: مرتكزات المؤسسات الادارية الاخرى في باشوية بغداد :

١-: المواصلات :

أ. النقل المائي :كان جيمس تيلر أول من اتجه إلى امكانية استخدام البواخر في طريق العراق (بريطانيا – الساحل السوري – نهر الفرات – الخليج العربي – الهند) وقد بدأ طريق العراق يكتسب الدعاة خلال الثلث الاول من القرن التاسع عشر والذي شجع جيمس تيلر وجود اخوه روبرت تيلر كوكيل سياسي لبريطانيا في بغداد فقد بدأ رحلته من الهند بأتجاه الخليج العربي ثم إلى بغداد عن طريق نهر دجلة لكسب الدعاية لهذه الفكرة وعند وصوله بغداد التقى جيمس بأخيه روبرت ليتباحثوا امكانية ربط اوربا بالهند عن طريق العراق يدفعهما العامل الاقتصادي والسياسي معا وقد نجح جيمس في اقناع داود باشا بهذه الفكرة وتعهد داود باشا بان تحتكر بريطانيا النقل المائي في العراق لمدة عشر سنوات بمقابل تزود بريطانيا داود باشا.كما طلب والي بغداد نجيب باشا من الحكومة البريطانية ان تزوده بباخرة مجهزة بالرجال والعتاد لتعمل تحت القيادة العثمانية .وبدأ الباب العالي بالتفكير في انشاء قوة بحرية عثمانية في جنوب العراق لتتحمل مسؤولية نشر النفوذ العثماني في الخليج العربي، فبعث الباب العالي في عام ١٨٤٧ راغب باشا إلى البصرة لدراسة الامكانيات اللازمة لانشاء مثل هذا المشروع.ودخلت المشروعات العثمانية حيز التنفيذ بتشكيل الشركات البحرية في كل من استانبول وبغداد، وقد تم تأسيس في بغداد شركة ملاحة بخارية وطنية نصف رأسمالها يعود للحكومة والنصف الثاني يشترك فيه التجار والاعيان، وقد نجح والي بغداد رشيد باشا الكوزلكي في جمع المبالغ المطلوبة، وقام بتكليف احدى المؤسسات البلجيكية ببناء باخرتين عرفتا فيما بعد باسم ((بغداد والبصرة)) وصلت الباخرتين بغداد والبصرة إلى العراق في عام ١٨٦١ للعمل في نهري دجلة والفرات وقد اسند نامق باشا إلى احد المهندسين البلجيكيين مسؤولية إدارة الباخرتان، وكانت الباخرتان تقومان بنقل المسافرين والبضائع ثم اقتصر عملها على الركاب والبريد والذهب والاموال.وفي عام ١٨٦٧ قام نامق باشا ببناء ثلاث سفن جديدة هي ((الموصل والرصافة والفرات))[٢٩].

ب. خدمات البريد والتلغراف:لقد اقتصرت الخدمة البريدية في النصف الاول من القرن التاسع عشر على بريد الجمال الذي فتحته شركة الهند الشرقية البريطانية بعد عام١٨٣٠ ليقوم بربط مدينة بغداد بدمشق ومنها إلى اوربا، وبريد السعاة الذي يقوم بنقل الرسائل بين بغداد، واستانبول، ويستغرق ذلك مدة تتراوح بين ١٢-٢٠ يوماً يُؤمّن خدمة بريدة لـ(٤٢) مدينة بين بغداد، واستانبول، واستمر ذلك حتى عام ١٨٦٨ عندما شهدت بغداد خدمة بريدية منتظمة تابعة لحكومة الهند البريطانية، اما الحكومة العثمانية فلم تهتم بأمر البريد كخدمة من الخدمات العامة الضرورية الا في عام ١٨٦٩عندما اصدرت نظام إدارة البوسطة الاساسية .اما بالنسبة للبرق فقد تنبهت الحكومة العثمانية إلى اهمية الاتصالات الحديثة التي عرفتها اوربا آنذاك اثناء حرب القرم، فقد ادركت الدولة ضرورة ربط الايالات بعاصمتها بواسطة تلغراف، لان ذلك يؤدي إلى دعم الإدارة المحلية، وتحسين كفاءتها، وتأمين الامن والاستقرار فيها، فأصدر نظام التلغراف في عام ١٨٦٠ وقد نص هذا النظام على اعطاء الاولوية في استخدام التلغراف في المراسلات الدولية، ثم لشؤون القناصل الاجنبية، ومن بعدها مراسلات التجار، وقد شهدت بغداد ايصال اول خط برقي عام ١٨٦١ عن طريق بريطانيا بالاتفاق مع الدولة العثمانية، وكان الخط قادماً من الهند في طريق البصرة، ومن ثم إلى بغداد ممتداً في قاع نهر دجلة، حتى مجيء مدحت باشا فقد سعى إلى ربط مدن الايالة باسلاك تلغراف(٣٠).

٢-: المدارس والتعليم : كان التعليم حتى اواسط القرن التاسع عشر يتمثل بالدروس الدينية واللغوية وكانت تلقى في مدارس مستقلة ملحقة بالجوامع والمساجد وكان لهذه المدارس التي انتشرت في بغداد والنجف وكربلاء والموصل دور أساسي في حفظ اللغة العربية وآدابها من الضعف والاندثار.ويمكن أن نميز خلال حقبة البحث نوعين من التعليم هما (أ-التعليم الديني المتضمن الكتاتيب والمدارس الدينية كمدرسة الامام الاعظم ومدرسة المرادية ومدرسة جامع الاحمدية والمدرسة القادرية).(ب-المدارس الاجنبية وتمثلت في الارساليات التبشرية والجاليات الاجنبية) (٣١).

٣-: الطباعة : دخل الفن المطبعي الى بغداد متأخراً لاسباب عديدة اهمها تأخر البلاد ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً، فضلا عن ان الدولة العثمانية لم تكن تشجع على التطور الثقافي خوفاً

من حصول شعور انفصالي مناهض لسياسة الدولة غير محمود العواقب وان اول مطبعة دخلت الايالة كانت في الكاظمية وتدعى (مطبعة دار السلام) وترسخت اصول الطباعة في الايالة منذ عام ١٨٥٦ أي في عهد محمد رشيد باشا الكوزلكي الذي عرف بحبه للعلم والثقافة ورغبته في تطوير الايالة، وفي عام ١٨٥٦ ظهرت مطابع عديدة في مدينة بغداد مثل المطبعة الحجرية وغيرها[٣٢] .

٤-: الحالة الصحية : كانت الحالة الصحية في بغداد متدهورة جداً ويخيم عليها الجهل والخرافات والشعوذة، ويعود ذلك إلى عدم اهتمام الولاة بالحالة الصحية ولا بالنظافة العامة او توفير المياه الصالحة للشرب واتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة الاوبئة والامراض.اذ كانت الايالة مكاناً خصباً لانتشارها ففي عام ١٨٤٦ اكتسح بغداد وباء الكوليرا وما يعرف بالهيضة وأُهْلِكَ عدد كبير من سكان الايالة حتى ان القنصل الفرنسي في بغداد قد اصيب بهذا المرض .اما القنصل الانكليزي في بغداد فقد شرع بعد تفشي المرض في بغداد بالرحيل عنها والالتجاء إلى طاق كسرى مصطحباً معه طبيب القنصلية الذي كان يقدم بعض المساعدات إلى اهالي الايالة كما قام القنصل الانكليزي بفرض الحجر الصحي على نفسه واتباعه.اما اهالي بغداد فبعد سماعهم نبأ رحيل القنصل الانكليزي عن بغداد بادر عدد كبير من اليهود بالرحيل ثم تبعهم عدد من النصارى والمسلمين وتركوا الباقين يواجهون مصيرهم المحتم لوحدهم[٣٣] .ولم تبذل السلطات العثمانية جهودا في ردم البرك والمستنقعات التي تخلفها الفيضانات التي تتعرض بغداد لها دائماً، والتي كانت مصدرا للاوبئة كالملاريا والحمى وقد كانت المناطق المفتوحة بين الاسواق والبيوت مكاناً لتجمع القمامة وجثث الحيوانات مشكلة بذلك بؤرة للجراثيم والمكروبات، وكان لفقدان اماكن لتصريف المياه الثقيلة اثر كبير في انتشار الجراثيم والامراض كالسل، والامراض الزهرية ولم يهتم الاهالي بتنظيفها بصورة مستمرة او باستخدام المواد المطهرة مما ادى إلى انبعاث الروائح الكريهة مفسدة بذلك الهواء، وفي بعض الاحيان تتسرب المياه الآسنة إلى مجرى النهر مختلطة بذلك مع مياه الشرب فاتحة الطريق واسعاً امام جميع الامراض السارية ولم يقتصر الامر على بيوت البغداديين وانما على الاماكن العامة كالخانات والحمامات وكان لوجود الحيوانات الداجنة والخيول في بيوت الاهالي سبب آخر للعديد من الجراثيم والمكروبات التي تسبب الامراض من هذا

نستدل ان بغداد كانت مركز تجمع الجراثيم والمكروبات.ولم يكن الولاة والإداريين يهتمون بالجانب الصحي والتوجيه بالاهتمام بالمياه والاطعمة ونظافتها، فكانت مبادرة الوالي احمد توفيق باشا عام ١٨٦٠ الفريدة من نوعها عندما امر القصابين، واصحاب المأكولات بوضع سترة من الخام على موادهم الغذائية للحفاظ عليها من الغبار والذباب[٣٤].

٥-: القضاء والافتاء :ويشتمل على : أ-القضاء : وهو منصب شرعي في الايالة مهمته تطبيق الاحكام الشرعية، ويُعَدّ الجهاز القضائي دائرة مستقلة تخرج عن سلطة الوالي، ولقد عد القضاء ارفع منصب شرعي في الايالة لما له من دور مهم في حياة المجتمع الاسلامي. وقد اعتمدت الدولة العثمانية منذ ظهورها نظام القضاء الاسلامي الذي اتصف باليسر وعدم التعقد فقد كان القضاة يجلسون في المساجد، او بيوتهم للاستماع إلى المتخاصمين وإلى شهودهم واصدار الاحكام فيها وتنفيذها في جلسة واحدة، ثم اصبح للمحاكم الشرعية بعد ذلك مكاناً يمارس فيه القضاة اعمالهممدونين جميع المعلومات الخاصة بالامور القضائية في سجلات خاصة تسمى سجلات المحكمة الشرعية وهي خاصة بالمسلمين فقط مستمدين قراراتهم، واحكامهم، العدلية من الشريعة الاسلامية، أو من فرامين السلاطين بشأن بعض القضايا فضلاً عن العرف السائد[٣٥].ويرتبط قاضي بغداد، المعين بموجب فرمان سلطاني من بعد ترشيح المشيخة الاسلامية له، بقاضي عسكر الاناضول الذي يرتبط بدوره بشيخ الاسلام. وقد خولت المحاكم الشرعية بالنظر في قضايا الارث وتنظيم الوصايا، والزواج والطلاق والعلاقات العائلية، وتوثيق المستندات التي تدرج بها نصوص الوقف والحكم بصحتها. اما بالنسبة للطوائف غير المسلمة فيتم النظر بالقضايا الخاصة بهم امام الارادات الدينية المأذون بها والخاصة بتلك الطوائف. ودعي القاضي احياناً بحاكم الشرع او نائب الشرع ويقوم القاضي بعد وصوله إلى بغداد، ومباشرته بوظيفته بتعيين نائب له يُعْرَف باسم نائب الباب ليقوم بمساعدته في اجراء الاحكام الشرعية، والنظر في الدعاوي التي يحيلها اليه، اما في المدن الصغيرة فيشغل المنصب القضائي مسؤول يطلق عليه نائب القاضي وينظر في القضايا باسم القاضي الذي انابه[٣٦].وقد جرت العادة على ان يفتح القاضي فور التحاقه بعمله سجل الدعاوي، وسجل الحجج الشرعية، ويحرر في اول صفحة فيها بخطه ما يفيد بدأ شروعه في اداء واجبه مبيناً اهمية هذا الواجب وضرورة الحكم بالعدل.وكان للقاضي

سلطات واسعة في نطاق عمله، فمن الناحية النظرية يكون مكلفاً بتطبيق الاحكام الشرعية بين الناس والاستماع إلى دعواهم والفصل فيها، كما يشرف على امور الضرائب والسوق لان اغلب الفرمانات التي تخص الشؤون المالية والضرائبية كانت توجه باسم الوالي والقاضي ودفتر دار الايالة.كما ان أي موظف لا يستطيع في بعض الاحيان ممارسة مهامه الا اذا اثبت لدى القاضي صحة تعيينه وسجل براءة تعيينه في سجل المحكمة الشرعية[٣٧]. اما من الناحية العملية فان وجود سلطة الوالي تحدد من صلاحية القاضي وخاصة اذا كان الوالي قوياً فيعمد الوالي إلى زيادة الضرائب وخاصة في المناطق البعيدة عن رقابة القاضي عند القيام بجمع الضرائب.وقد اولت الدولة العثمانية، القضاة ونوابهم عناية واهتمام فاصدرت في عام ١٨٥٥ نظامين تناول الاول نظام توجيهات مناصب القضاء وتنظيم مواعيد انعقاد مجلس امتحان، وتعيين القضاة في مقام المشخة الاسلامية، وضوابط اختيار القضاة وامور تعيينهم في مناصبهم، وتصنيفهم إلى عدة اصناف، ودرجات بحسب اهمية الوحدة الإدارية التي يعينون فيها، وتناول الثاني الامور التي تخص النواب وهي الامور ذاتها التي تناولها النظام الاول وبفعل التنظيمات الجديدة ظهرت قوانين وانظمة جديدة خاصة بالإدارة العدلية والمحاكم، مستمدة من القوانين الغربية وخاصة الفرنسية قانون الجزاء الهمايوني وقانون التجارة البرية وقانون التجارة البحرية ثم نظام الولايات لعام ١٨٦٤ الذي اكد على اقامة تشكيل مؤسسات قضائية مدنية في مدن الولايات إلى جانب المحاكم الشرعية، ثم صدر ديوان الاحكام العدلية لعام (١٨٦٩)[٣٨].ومن الملاحظة ان سلطة القاضي ومدى تأثيرها يتوقف على قوة شخصيته ومركزيته في الايالة فكثير من القضاة وقفوا مع السكان ضد الولاة لتعسفهم في فرض الضرائب واستخدام القسوة بالرغم من تهديد الولاة لهم بالعزل وكان لهم القدرة على رفع الشكاوي والتظلم إلى السلطان مباشرة وبمساعدة العلماء. اما المدة المقررة قانوناً لولاية القضاء سنة واحدة، حيث ينقل بعدها إلى محل آخر بدرجته نفسها، او يرقى إلى مرتبة اعلى، الا ان هذه الحالة لم تجد لها تطبيقاً على الدوام حيث تولى بعض قضاة بغداد مناصبهم بضعة اشهر، في حين قضى آخرون في مناصبهم مدة تزيد على السنة وبعد انتهاء مدة خدمة القاضي في الايالة لا تعني عدم عودته اليها ثانية، حيث يمكن عودته اكثر من مرة بالمنصب ذاته وبصورة عامة يكاد مركز القاضي يكون ثابتاً ، فكثير من

القضاة خدموا في الدولة مدة حياتهم ويعود ذلك إلى انه منصب ديني وليس منصباً سياسياً لذا لم يتعرض هذا المنصب لتغيرات واسع. وكان القضاة يحصلون على دخلهم من مصدرين : الاجور اليومية التي تمنحها الدولة للقضاة في اثناء خدمتهم الفعلية كل حسب درجته، والرسوم القضائية على مختلف القضايا التي تعرض عليهم باسم اجور صكوك ويصل راتب القاضي إلى ستة آلاف قرش تقريباً[٣٩].

ب:الافتاء : والى جانب منصب القاضي كان هناك المفتي الذي كان له دور مهم في توجيه القاضي في اجراء الحكم الصحيح الموافق للشريعة لكنه كان مستقلاً عن القاضي ومرتبته اقل درجة من القاضي او يتقدم على نائب القاضي، ومهمته مساعدة القاضي في تفسير نصوص الشريعة او إصدار فتوى في الامور التي لا نص فيها ويظل في منصبه مدة طويلة لا يتسلم راتبا بل يخصص له بعض المقاطعات لينفق من ريعها على شؤونه، والقسم الاغلب منهم يتجه نحو التدريس والرأي الذي ينتهي اليه يسمى فتوى ومع ان غالبية المفتين يعملون في المدن الرئيسة مع القضاة نجد بعضا منهم إلى جانب رجال الحكم في مراكز الايالات مستشارين مدنيين[٤٠].ولم يكن القاضي يستفتي المفتي فقط وانما يستفتيه المجتمع وحتى الوالي نفسه، وفي بعض الاحيان تكون هذه الوظيفة وراثية في بعض الاسر المعروفة، ومن اشهر مفتي هذه الحقبة عبد الغني آل جميل الذي كان اديباً وعالماً، وقد ولي افتاء بغداد بعد المفتي محمد سعيد الطبقجلي، وابي الثناء الالوسي وكانت له صلات وثيقة بالوالي وكان ذا شهرة عظيمة، وقد ولي الافتاء مدة طويلة، وبعده اصبح محمد امين الزند مفتياً في بغداد ثم صار كهية فعرف بالكهية ولازمة هذا الوصف وعرفت اسرته بـ(آل محمد امين الكهية)[٤١].

٦: الجيش : كان الجيش العثماني في العراق يتكون من قوات نظامية وأُخرى غير نظامية وقد انقسمت القوات غير النظامية على قسمين، اولهما الهايتة او (الباشي بوزق) التي ضمت صفتي الخيالة، والمشاة. وثانيهما القوات العشائرية.اما القوات النظامية فقد دخلت في عداد الجيش العثماني في العراق منذ عام ١٨٣٥، في اعقاب ارسال الحكومة العثمانية قوات إلى عدد من مناطق الدولة العثمانية وكان من ضمنها العراق[٤٢].اما حجم الجيش العثماني في العراق فلم يكن كبيراً، فعلى الرغم من ان عدد افراده كان قد قدر في عام ١٨٣٢ بعشرة الاف جندي، الا انه قلص في السنة نفسها – بسبب عجز الحكومة

المحلية عن دفع المرتبات له – إلى ثلاثة الاف جندي. وقد شكلت الحكومة العثمانية جيشاً جديداً في العراق في عام ١٨٤٨ عرف بجيش العراق والحجاز، او الجيش الامبراطوري السادس، ومع أن ذلك الجيش ضم اعداداً من المتطوعين العراقين في صفوفه، لكن معظم افراده كانوا من غير العراقين، كذلك كان اغلب ضباطه من غير العراقين، اما حجم الجيش الجديد فكان صغيراً فقد جاء في تقرير كتبه القائد الانكليزي فيلكس جونز في عام ١٨٥٤، ان الجيش النظامي في ايالة بغداد كان صغيراً إلى حد عجزه عن الحفاظ على الامن حتى في اوقات السلم وقد اضطر الجيش الجديد لحاجته إلى زيادة افراده إلى الابقاء على قوات الهايتة وقوات العشائر حتى حرب القرم، اذ اخذت الحكومة العثمانية تعد جيشاً قوياً منظماً في محاولة للاستغناء عنهما(٤٣).

وقد عانى الجيش من مساوئ عديدة منها انه كان يفتقر إلى النظام والتدريب والتجهيز كما لم تكن مرتباته تدفع بانتظام فقد ذكر القنصل الفرنسي ببغداد في عام ١٨٤١ بان السلطات الحكومية لم تدفع مرتبات لقواتها النظامية طيلة ثلاثة عشر شهراً مما اضطرها إلى التمرد والعصيان. اما اسلحة الجيش فكانت قديمة إلى حد غدت موضع سخرية لبعض الرحالة الذين زاروا العراق في هذه الحقبة(٤٤) . اما نظام التجنيد الاجباري، فلم يبدأ تطبيقه في العراق الا في عام ١٨٣٥ عندما جرت اول محاولة لادخاله في بغداد ، ويظهر ان توسع محمد علي حاكم مصر في الشام، وسعي الحكومة العثمانية إلى ايقافه، كان سبب في تلك المحاولة .ومع ان السلطات الحكومية نجحت انذاك في تجنيد عدد من المواطنين الا انها كفت عن محاولاتها عقب انسحاب محمد علي من الشام(٤٥).

وكانت دائرة الجيش الهمايوني العثماني السادس يضم كل من بغداد والموصل والبصرة والجدولين الآتين يبينا تقسيمات هذا الجيش (المشاة والخيالة والمدفعية)ومراكز وحداتها الاساسية في ايالة بغداد ضمن المدة فترة البحث ١٨٣١–١٨٦٩.

جدول تقسيمات الجيش العثماني (المشاة) في بغداد (٤٦).

المشاة الفرقة	اللواء	الموقع
بغداد	لواء بغداد الاول	بغداد

		كاظمية
	لواء بغداد الثاني	التاجي
		ابوغريب

جدول تقسيمات الجيش العثماني (الخيالة والمدفعية) في بغداد [٤٧].

اللواء	الموقع
لواء خيالة بغداد	كاظمية
	المحمودية
لواء مدفعية بغداد	كاظمية
	التاجي

ويمكن القول اجمالاً ان الحقبة الواقعة بين عامي ١٨٣١ و١٨٦٩ تعد مرتكزا مهما من مرتكزات نظام الادارة العثماني في ايالة بغداد، اذ استطاعت الدولة العثمانية السيطرة المباشرة على ولاة بغداد وقيامها بتعيينهم وعزلهم وقتما تشاء، ومحاولتها اعادة الحكم المباشر الى مناطق الايالة كافة وتثبت اركان سلطة الحكومة بالقضاء على الزعامات المحلية التي كانت تحكم بعض المدن، واحلال المؤسسات الادارية محلها. ولعل التغيير المستمر للولاة كان احد الاسباب المهمة التي حالت من دون قيام الوالي بأي عمل اصلاح، وكان مقصد الدولة العثمانية من تغيير الولاة حتى لا يتمكن الوالي من ترسيخ اقدامه في الايالة ويكون مصدر تهديد لها. وفرض ارادة السطلنة العثمانية كاملة على باشوية بغداد .

الهوامش :

(١)مجموعة القوانين والانظمة العثمانية المنشورة باسم الدستور ، ص٣٨٢ .

(٢)عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٧، ص٢٨٥ .

(٣)انستاس الكرملي، خلاصة تاريخ العراق منذ نشوئه إلى يومنا هذا، ص٢٠٦-٢٠٧ .

(٤)سليمان فائق، تاريخ بغداد،ص١٦٧.

(٥)عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا، ص ٤٥٣- ٤٥٤.

(٦)فردوس عبد الرحمن كريم اللامي، الحياة الاجتماعية في بغداد ١٨٣١-١٩١٧،ص٢٢.

(٧)جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا الى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩-١٩١٧، ص٣٤.

(٨)جيمس ريموند ولستيد، رحلتي الى بغداد في عهد الوالي داود باشا، ص١٩ .

(٩) ستيفن همسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص٤٥.

(١٠)عبد الرحمن بن عبد الله السويدي البغدادي، حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، ص٣٥٦ .

(١١)عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين،ص٢٧٨.

(١٢) سروليس بدج، رحلات إلى العراق، ص١٠٣

(١٣) سليمان فائق، المصدر السابق ، ص١٩٢.

(١٤) علاء موسى كاظم نورس، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج١،ص١٢٠.

(١٥) جميل موسى النجار، المصدر السابق ، ص٦٧.

(١٦)محمد عصفور سلمان، حركة الاصلاح في الدولة العثمانية واثرها على المشرق العربي ١٨٣٩-١٩٠٨، ص٧٨ .

(١٧)المصدر نفسه ، ص٧٩ .

(١٨)علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق ،ص٥٦.

(١٩)محمد عصفور سلمان، المصدر السابق ،ص٨٩ .

(٢٠)عماد عبد السلام رؤوف، ادارة العراق والاسر الحاكمة ورجال الادارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة ١٢٥٨-١٩١٨، ص١٣٤.

(٢١) عباس العزاوي، المصدر السابق ، ص١٠٢ .

(٢٢) عماد عبد السلام رؤوف، المصدر السابق ،ص١١٢.

(٢٣) ناهدة حسين علي، العراق بين عام ١٨٤٥-١٨٥٧، ص١١٢.

(٢٤) عباس العزاوي، المصدرالسابق، ص١١٦-١١٧ .

(٢٥) ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق ، ص١٩٢.

(٢٦) سعاد هادي العمري، بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة الاخيرة، ص٧٨.

(٢٧) المصدرنفسه ،ص٧٩-٨٠ .

(٢٨) يوسف عز الدين، داود باشا ونهاية حكم المماليك في العراق،ص٤٥.

(٢٩) ناهدة حسين علي، المصدر السابق ، ص١٠٢ .

(٣٠) يوسف عز الدين، المصدر السابق ، ص٩٢.

(٣١) فاضل مهدي بيات، التعليم في العراق في العهد العثماني، ص٢٩ .

(٣٢) يوسف عز الدين، بواكير الحياة الفكرية في العراق، ص١٧٢ .

(٣٣) ابراهيم الدروبي، البغداديون اخبارهم ومجالسهم، ص١٤٧.

(٣٤) خليل علي مراد، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني ١٦٣٨-١٧٥٠ ،ص٣٣.

(٣٥) ابراهيم عبد الغني الدروبي، قضاة بغداد، ج٢، ص٤٥.

(٣٦) المصدر نفسه ،ص٤٦ .

(٣٧) علي ظريف الاعظمي، مختصر تاريخ بغداد،ص٧٨.

(٣٨) محمود رئيف افندي، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية،ص١٠٧.

(٣٩) علي ظريف الاعظمي، المصدر السابق ، ص٨٩ .

(٤٠) مصطفى كاظم المدامغة، نصوص من الوثائق العثمانية عن تاريخ البصرة في سجلات المحكمة الشرعية في البصرة (١١٨٨-١٣٣٠هـ)، ص٣٥.

(٤١) محمود رئيف افندي،المصدر السابق ،ص١١٢.

(٤٢) مصطفى كاظم المدامغة، المصدر السابق ، ص٣٩٠.

(٤٣) عبد الوهاب القيسي، حركة الاصلاح في الدولة العثمانية وتأثيرها في العراق ١٨٣٩-١٨٧٧، ص١١٩ .

(٤٤) سعاد هادي العمري،المصدر السابق ،ص١٢٢.

(٤٥) يوسف عز الدين، داود باشا ونهاية حكم المماليك في العراق، ص٣٣.

(٤٦) يعقوب سركيس، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والاثار وخطط بغداد،ص٧٦.

(٤٧) المصدر نفسه ، ص٧٧ .

المصادر والمراجع:

اولا :الكتب العربية والمترجمة :

- ابراهيم الدروبي، البغداديون اخبارهم ومجالسهم، بغداد، ١٩٥٨ .
- ابراهيم الدروبي، قضاة بغداد، ج٢، مراجعة وتقديم اسامة ناصر النقشبندي، بغداد، ٢٠٠١ .
- انستاس الكرملي، خلاصة تاريخ العراق منذ نشوئه إلى يومنا هذا، البصرة، ١٩١٩.

- جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا الى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩–١٩١٧، ط٢، بغداد، ٢٠٠١.
- جيمس ريموند ولستيد، رحلتي الى بغداد في عهد الوالي داود باشا، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٨٤.
- عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا، القاهرة، ١٣٨٧– ١٩٦٨.
- عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٦، بغداد، ١٩٥٤ .
- علاء موسى كاظم نورس، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج١، بغداد، ١٩٦٩ .
- عماد عبد السلام رؤوف، ادارة العراق والاسر الحاكمة ورجال الادارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة ١٢٥٨–١٩١٨، بغداد، ١٩٩٢ .
- عبد الرحمن بن عبد الله السويدي البغدادي، حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، بغداد، ٢٠٠٣ .
- علي ظريف الاعظمي، مختصر تاريخ بغداد، بغداد، ١٩٢٦.
- سليمان فائق، تاريخ بغداد، ترجمة موسى كاظم نورس، بغداد، ١٩٦٢.
- سروليس بدج، رحلات إلى العراق، ترجمة فؤاد جميل، ج١، بغداد، ١٩٦٦.
- سعاد هادي العمري، بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة الاخيرة، ترجمة وجمعه عن الالمانية سعاد هادي العمري، بغداد، ١٩٥٤ .
- ستيفن همسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط٣، بغداد، ١٩٦٢ .
- مجموعة القوانين والانظمة العثمانية المنشورة باسم الدستور،ترجمة نوفل نعمة الله نوفل، المجلد الاول، بيروت، ١٩٦٧.

- محمود رئيف افندي، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، تعريب خالد زيادة ، طرابلس ، لبنان، ١٩٨٥ .
- مصطفى كاظم المدامغة، نصوص من الوثائق العثمانية عن تاريخ البصرة في سجلات المحكمة الشرعية في البصرة (١١٨٨-١٣٣٠هـ)، البصرة، ١٩٨٢.
- يعقوب سركيس، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والاثار وخطط بغداد، القسم الاول والثاني، بغداد، ١٩٥٥.
- يوسف عز الدين، داود باشا ونهاية حكم المماليك في العراق، دار البصرة، ١٩٦٧.

ثانيا: الرسائل والاطاريح الجامعية :

- خليل علي مراد، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني ١٦٣٨-١٧٥٠، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٧٦.
- ناهدة حسين علي، العراق بين عام ١٨٤٥-١٨٥٧، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية- ابن رشد ، جامعة بغداد، ١٩٩٦ .
- محمد عصفور سلمان، حركة الاصلاح في الدولة العثمانية واثرها على المشرق العربي ١٨٣٩-١٩٠٨، اطروحة دكتوراهمقدمة الى كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٥.
- فردوس عبد الرحمن كريم اللامي، الحياة الاجتماعية في بغداد ١٨٣١-١٩١٧، اطروحة دكتوراه غير منشورة، مقدمة الى كلية التربية - ابن رشد ، جامعة بغداد، ٢٠٠٢.

ثالثا: المجلات والدوريات :

- عبد الوهاب القيسي، حركة الاصلاح في الدولة العثمانية وتأثيرها في العراق ١٨٣٩-١٨٧٧، مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد، العدد ٣، كانون اول ١٩٦١.

- فاضل مهدي بيات، التعليم في العراق في العهد العثماني، القسم الاول بحث منشور في مجلة الورد، المجلد الثاني والعشرين، العدد الاول، ١٩٩٤.
- يوسف عز الدين، بواكير الحياة الفكرية في العراق، مجلة المجمع العلمي، ١-٢ م(٣٢) كانون الثاني، ١٩٨١.

نهر النيل في العلاقات المصرية الكونغولية
١٩٥٢-١٩٨٠م

أ.م.د نصير محمود شكر الجبوري

وزارة التربية- الكلية التربوية المفتوحة

نهر النيل في العلاقات المصرية الكونغولية ١٩٥٢-١٩٨٠م

أ.م.د نصير محمود شكر الجبوري

ملخص البحث

نهر النيل هو شريان الحياة بالنسبة لمصر، فضلاً عن ان نهر النيل له أهمية كبري بالنسبة لكل دول حوض النيل في كافة المجالات الزراعية والاقتصادية وغيرها، ومصادر نهر النيل التي ينبع منها هي الهضبة الاستوائية والهضبة الاثيوبية وبحر الغزال والنيل الأزرق، وهناك العديد من الاتفاقيات التي تحكم استغلال مياه نهر النيل بين دول حوض النيل وأهمها، بروتوكول ١٨٩١ و الاتفاق الموقع في بروكسل في عام ١٨٩٤م واتفاقية عام ١٩٢٩م واتفاقية عام ١٩٥٩م، ومع ذلك فقد دار خلاف كبير مصر وهي دولة المصب مع بقية الدول لحوض النيل وهم دول المنبع.

على أي حال فقد كانت العلاقات المائية بين مصر والكونغو على ما يرام، وذلك بسبب أن الكونغو لم تكن في حاجة إلى مياه نهر النيل، لأنها مكتفية ذاتياً من المياه، فلم تختلف مع مصر أو تعترض على أي اتفاقية مائية عقدتها مصر بخصوص مياه نهر النيل، وحاولت مصر كسب ود الكونغو بكافة الاشكال حتى تستمر معها في مواقفها من القضايا المائية.

عندما قامت إسرائيل حاولت كثيراً الحصول على مقدار كاف من مياه نهر النيل، بل إنه حتى من قبل أن تقوم قائمة لإسرائيل حاولت الحركة الصهيونية منذ أوائل اجتماعاتها التركيز على مسألة المياه من نهر النيل، وبعد أن قامت دولة إسرائيل ودخلت في صراعها مع العرب، قدمت العديد من المشروعات لمصر للحصول على قدر من مياه نهر النيل عبر سيناء، ولكن كانت مصر دائماً ترفض هذا الأمر.

Abstract

The Nile River is the lifeblood of Egypt, in addition to the Nile River is of great importance for all countries of the Nile Basin in all fields of agriculture, economic and other areas, and the sources of the Nile

River, which stems from the tropical plateau and the Ethiopian plateau and Bahr El Ghazal and Blue Nile, and there are many agreements governing The exploitation of the Nile water between the Nile basin countries and the most important, the Protocol of 1891 and the agreement signed in Brussels in 1894 and the Convention of 1929 and the Convention of 1959, However, there was a great disagreement Egypt, a country downstream with the rest of the countries of the Nile Basin countries upstream.

However, the water relations between Egypt and the Congo were fine, because the Congo did not need the water of the Nile River, because it is self-sufficient water, did not disagree with Egypt or object to any water agreement concluded by Egypt regarding the waters of the Nile River, Egypt has tried to win over Congo in all forms to continue with it in its positions on water issues.

When Israel tried a lot to get enough water from the Nile, and even before it was established, the Zionist movement tried to focus on the issue of water from the Nile since its early meetings. One of the projects for Egypt to get some of the Nile water through the Sinai, but Egypt has always rejected this.

الكلمات المفتاحية: نهر النيل, مصر, كونغوليا

Keywords: Nile River, Egypt, Congo

نهر النيل في العلاقات المصرية الكونغولية(*) ١٩٥٢-١٩٨٠م

نهر النيل بالنسبة لمصر هو شريان الحياة الرئيسي، بل أنه الحياة نفسها لمصر، وهذه الحقيقة لا تنطبق على بقية دول حوض النيل بالقدر الذي تنطبق به على مصر(١)، يمثل نهر النيل أهمية كبري لدول حوض النيل في كافة المجالات الزراعية والاقتصادية وغيرها(٢)، فنهر النيل من الظواهر الفريدة الموجودة في قارة أفريقيا، فضلاً عن أنه من أهم الظواهر أيضاً التي يمكن ان تقام عليها العديد من المشاريع الاقتصادية بل يعتبر شريان الحياة للعديد من الدول، فهو يحمل المياه من أفريقيا إلى البحر الأبيض المتوسط، ويبلغ طول نهر النيل ٦٦٥٠ كيلومتر مربع من بحيرة فيكتوريا(*) حتى البحر الأبيض المتوسط،

ويستغل هذا النهر مساحة ٣٣٤٩٠٠٠ كيلومتر مربع تقريباً، ويربط مناطق جغرافية مختلفة ذات تضاريس ومناخ مختلف مع بعضها البعض، ويبلغ المتوسط السنوي لتصرفه المائي عن أسوان في مصر نحو ٨٤ مليار متر مكعب(٣)، ويعبر نهر النيل عشر دول تعرف باسم دول حوض النيل وهي اريتريا وإثيوبيا وكينيا وأوغندا وتنزانيا ورواندا وبروندي والكونغو والسودان ومصر.(٤)

وجاءت تسمية نهر النيل من تسميات الفراعنة، حيث أن النيل كان يمثل بالنسبة لهم مركز العالم وأن منبعه هو بدايته، ولذا فقد كانت قبلتهم نحو الجنوب، وأطلقوا عليه آر أو أور في إشارة منهم إلى لون الرواسب التي كان يحملها النهر أثناء الفيضان، حيث أن طين النهر أسود، وقد لقب الفراعنة نهر النيل باسم أبو الآلهة، وهو مستعار من الاله نون رب المياه الأزلية عند الفراعنة، ومن ثم أطلق عليه فيما بعد اسم حابي أو هابي إله النهر وآلهة النيل.(٥)

وقد نشأ نهر النيل منذ حوالي ٦ ملايين عام، بسبب وجود فالق عظيم ولم يتم اتصاله بإفريقيا إلا منذ ٨٠٠ ألف سنة، وأن ما نراه النيل هو نيل حديث ولد مع أمطار الفترة الممطرة التي أعقبت تراجع الثلوج في العصر الجليدي الأخير، وكان ذلك منذ ١٠ آلاف سنة مضت.(٦)

أما عن أهم خصائص وظواهر الميتر ولوجي لنهر النيل والتي تسترعي الانتباه فهي:

١-أقصي منابع النيل تقع جنوب خط الاستواء بثلاث درجات ونصف، ومصباته في البحر الأبيض المتوسط وواقعه وراء خط عرض ٣٥ شمالاً، وبهذا يكون قد اخترق حوالي ٣٥ درجة من درجات العرض ووصل ما بين بلاد بعيدة الأطراف ومتعددة المواقع والمناخ والأعراق.

٢-نهر النيل عكس الأنهار الأخرى ينبع من الجنوب إلى الشمال، حيث أنه يخرج من بحيرة فيكتوريا في أثيوبيا، ويصب في مصر في البحر الأبيض المتوسط.

وبذلك فوادي النيل أصبح لا يشتمل على إقليم واحد بل عدة أقاليم مناخية، لأن خطوط الطول ودوائر العرض التي يخترقها متعددة جداً، من الاستوائية إلى المدارية ومن المناطق العشبية إلى المناطق الصحراوية (٧)، على أي حال فدول حوض النيل تنقسم إلى

دول منبع ودول مصب، فأما دول المصب فهي مصر والسودان، وأما دول المنبع فهي بقية دول حوض النيل.(٨)

وأما عن مصادر مياه نهر النيل:

١-الهضبة الاستوائية: هي أكثر المناطق عمقاً في افريقيا، وتقع في كينيا وتنزانيا والكونغو وأوغندا ورواندا، وهي تتكون من خمس بحيرات تعرف بالبحيرات العظمي التي تنقسم إلى مجموعتين: الأولي تعرف بمجموعة فيكتوريا وتضم فيكتوريا وكاجيرا، والمجموعة الثانية تعرف بالألبرتية وتضم البحيرات ألبرت وجورج وإدوارد، وأهم أنهار الهضبة الاستوائية هو النيل الأبيض، ويبلغ المتوسط السنوي من المياه الواردة منها نحو ١٣ مليار متر مكعب.

٢-الهضبة الاثيوبية: ينحدر من هذه الهضبة ١٢ نهر يتجهون نحو الدول المجاورة مثل السودان والصومال وارتريا وكينيا، وأهم هذه الأنهار نهر السوباط والذي يبلغ إيراده السنوي من الماء حوالي ١ مليار متر مكعب من المياه، على أي حال فتمد المنابع الاثيوبية نهر النيل بحوالي ٧٤ مليار متر مكعب من المياه سنوياً.

٣-بحر الغزال: ويقع في الغرب من السودان، وهو منخفض كبير، ويتكون بحر الغزال من مجموعة من البحيرات هي بحيرة العرب وبحيرة لول وبحيرة الزراف وبحيرة سويد وبحيرة تونج وبحيرة بونجو، ويبلغ إجمالي إيراد هذه البحيرات السنوي حوالي ١٥ مليار متر مكعب من المياه، ولكن يفقد معظمها في المستنقعات.

٤-النيل الأزرق: ويلتقي هذا النهر بالنيل الأبيض في السودان، ويبلغ إيراده السنوي نحو ٤٨ مليار متر مكعب من المياه، ويستجمع مياهه من مجموعة من الأنهار التي تنبع من الهضبة الاستوائية وبحيرة تانا.(٩)

على أي حال فإن قضية مياه نهر النيل تزداد خطورة في العلاقات الإقليمية بين دول حوض النيل وبعضها البعض، وخصوصاً بين دول المصب ودول المنبع، فبين مصر وبقية الدول خلاف كبير حول مياه نهر النيل ويرجع ذلك إلى:

١-الانفجار السكاني المتزايد مما أدي إلى التوسع في الزراعة وبالتالي حاجة دول حوض النيل إلى كميات كبيرة من المياه، وتنشأ المشاكل بخصوص التنظيم والتوزيع والاستثمار لمياه النهر.

٢- لن يحل هذه المشكلات المتزايدة بخصوص زيادة الحاجة إلى المياه إلا انشاء السدود الضخمة، ولكنها في نفس الوقت سلاح ذو حدين، وخصوصاً فيما يتعلق بمصر، على الرغم من استفادة الدول التي تقيم السدود أو التي تحاول أو تفكر في إقامة السدود من هذه الانشاءات على نهر النيل، إلا أنه يسمح لها في نفس الوقت لدول المنبع التحكم في كمية المياه المتدفقة إلى دول المصب مصر والسودان، مما قد يؤثر على دول المصب سلباً.

٣- عدم وجود تنظيم حقيقي أو السماح بإجراء حوار بناء بين دول المنبع ودول المصب في مسألة توزيع المياه واستغلالها.

٤- التنافس الكبير بين دول حوض النيل في انتاج محاصيل محددة للتصدير، وخاصةً القطن والذي يحتاج إلى كميات هائلة من الماء.

٥- الصراعات المستمرة بين دول حوض النيل، والحروب الداخلية الموجودة في بعض دول حوض النيل، فضلاً عن التدخلات الخارجية التي تؤدي إلى عدم الاستقرار(١٠)

أولاً مصر والنظام القانوني لنهر النيل

شكل نهر النيل حياة الشعب المصري على مر القرون من ثقافات وعادات وتقاليد، فكان المصري خلال الفيضان يقيس مستوي الفيضان ويعتبره مؤشراً للظروف الاقتصادية والحضارية للبلاد، ولعب المصريين دوراً هاماً في الحفاظ على مياه نهر النيل.(١١)

على أي حال لا توجد اتفاقية واحدة تحكم وتنظم استغلال مياه نهر النيل، ولكن هناك عدة اتفاقيات عبر التاريخ تنظم استغلال نهر النيل:

١- البروتوكول الموقع بين إيطاليا وبريطانيا في عام ١٨٩١م، تعهدت فيها إيطاليا بعدم إقامة أو إنشاء أي مشاريع على نهر عطبرة من شأنها ان تؤثر تأثيراً ملموساً في كمية مياه نهر عطبرة التي تصب في نهر النيل.(١٢)

٢- اتفاق بين ليوبولد الثاني عاهل دولة الكونغو المستقلة وإدوارد السابع ملك المملكة المتحدة لبريطانيا وإيرلندا من الممتلكات البريطانية فيما وراء البحار وإمبراطور الهند تعديلاً للاتفاق الموقع في بروكسل في ١٢ مايو ١٨٩٤م، وفيه قامت الكونغو بالتعهد بعد القيام

بأي أشغال على نهر سيمليكي أو نهر إسانجو أو بجوار أي منهما يكون من شأنه أن يخفض حجم المياه التي تتدفق في بحيرة ألبرت مالم يتم ذلك في إطار الاتفاق مع السودان.(١٣)

٣- مجموعة المعاهدات المعقودة بين بريطانيا وأثيوبيا، وبين بريطانيا إيطاليا وأثيوبيا بشأن الحدود بين السودان المصري البريطاني وأثيوبيا وإريتريا، والموقعة في ١٥ مايو عام ١٩٠٢م والتي يتعهد فيها الامبراطور الاثيوبي ملك ملوك الحبشة بألا ينشأ أي أعمال على النيل الأزرق أو بحيرة تانا أو نهر السوباط، يكون من شأنها تعطيل سريان مياهها إلى نهر النيل إلا باتفاق مع حكومة بريطانيا وحكومة السودان المصري البريطاني.

٤- اتفاق لندن الموقع بين بريطانيا ودولة الكونغو الموقعة في ٩ مايو ١٩٠٦م، وتعهدت فيه الكونغو بموجب المادة الثالثة منه بألا تقيم أو تنشأ أي أعمال إنشائية أو بنائية قرب نهر سميليكر أو نهر ايسانجو، يكون من شأنها أن تؤثر على كمية المياه التي تصب في بحيرة ألبرت، إلا بالاتفاق مع حكومة السودان المصري البريطاني.

٥- المذكرات المتبادلة بين بريطانيا وإيطاليا في ديسمبر ١٩٢٥م، والتي تعترف فيها إيطاليا بالحقوق المائية السابقة والمكتسبة للسودان ومصر في مياه النيل الأبيض والأزرق، كما أنها تعهدت بألا تقيم في أعالي هذه الأنهار أي منشآت من شأنها التأثير على كمية المياه التي تتدفق إلى نهر النيل.(١٤)

٦- اتفاقية ١٩٢٩م: عقدت اتفاقية مياه بين مصر بالنيابة عن السودان وكينيا وتنجانيقا وأوغندا في ٧ مايو ١٩٢٩م، والتي تقضي بتحريم إقامة أي مشروع على نهر النيل أو روافده أو البحيرات التي تغذيها إلا بموافقة مصر، وخصوصاً إذا كانت هذه المشروعات ستؤثر على كمية المياه التي تحصل عليها مصر.

٧- اتفاقية ١٩٥٩م: عقدت مصر والسودان في نوفمبر ١٩٥٩م اتفاقاً بشأن مياه نهر النيل، وهي اتفاقيه الانتفاع الكامل بمياه نهر النيل، وأهم ما جاء فيها:

أ- الاعتراف باتفاقية عام ١٩٢٩م.

ب- الاعتراف بحقوق مصر المكتسبة.

ج-اتفق الطرفان على بناء خزان أسوان والسد العالي في مصر على أن تبني السودان ما تراه مناسباً من سدود.

٨- بروتوكول ١٩٦٠م: وهو برتوكول خاص بإنشاء الهيئة الفنية الدائمة المشتركة لمياه النيل وقد ألحق باتفاق ١٩٥٩م.(١٥)

وتكمن أهمية هذه المعاهدات في الأحكام العوامل الأساسية المشتركة بينهما، وبخاصة كونها تكرر القواعد نفسها على مدي كبير من العقود، ورغم الظروف التاريخية والجغرافية المختلفة لهذه الدول، إلا أنهم يقبلون الاتفاقيات المحددة لتنظيم استغلال المياه، ومن القواعد التي تكررت في معظم المعاهدات:

١-حرية الدول في استخدام المياه التي تمر عبر أراضيها.

٢-ضرورة التشاور قبل إقامة المشاريع التي تؤثر على مجري النهر.

٣-إجراء التفاوض في حالة إذا كان المشروع يسبب ضرر لدولة أخري.(١٦)

ثانياً العلاقات المائية بين مصر والكونغو ١٩٥٢-١٩٨٠م

حصلت مصر على استقلال اسمي من بريطانيا في عام ١٩٢٢م، ولكن قبل هذا التاريخ كانت المصالح المائية لمصر تحددها بشكل أساسي بريطانيا، حيث أن مصر في عام ١٩١٤م فقدت سيادتها والشخصية القانونية التي تسمح لها بالتحدث كدولة ذات صفة قانونية مستقلة، وكانت بريطانيا توقع نيابة عن مصر أي اتفاقية دولية، وأصبحت هذه الاتفاقيات ملزمة لمصر بعد حصولها على الاستقلال، ولكن لم تكن بريطانيا القوي الاستعمارية الوحيدة في حوض النيل، ولكن كان هناك قوي استعمارية اخري مثل إيطاليا وفرنسا وبلجيكا وألمانيا، وكانت آنذاك الكونغو تحت الاستعمار البلجيكي، وبعد نهاية الحرب العالمية الاولي، ومطالبة الافريقيين بحق ملكية الأراضي في افريقيا، قررت بريطانيا ضمان حقوق مصر في مياه النيل من خلال ابرام اتفاقيات دولية بشأن الملاحة البحرية الدولية، وغيرها من الاتفاقيات التي تحمي حق مصر المائي، كما ذكر آنفاً.(١٧)

أما بعد قيام ثورة ١٩٥٢م في مصر حاولت مصر الثورة الحفاظ على المصالح الاقتصادية والسياسية والأمنية لمصر فيما يتعلق بمسألة حوض النيل، بل توسعت السياسة المصرية لتشمل كل افريقيا، وخصوصاً عبد الناصر ومساعداته لحركات التحرر في الدول

الافريقية، حتى ان مصر قامت باستخدام الإذاعات الموجهة بلغة اللنيجالا، من أجل مساندة كفاح المتحدثين بهذه اللغة في زائير والكونغو برازافيل، كما قامت بتقديم الدعم العسكري من تدريبات عسكرية للجنود والفرق المختلفة الافريقية، كما أنها قدمت الدعم المالي لحركات الكفاح الوطني الافريقية، وانشأت لهم الرابطة الافريقية بالقاهرة، فضلاً عن المكاتب السياسية بالقاهرة لحركات التحرر الوطني في كافة الدول الافريقية [١٨]، على أي حال فطبقاً للعديد من الدراسات فإن الكونغو هي الدولة الوحيدة في حوض النيل التي تتمتع باكتفاء ذاتي من المياه نسبياً، وفي المستقبل في حالة أي نزاعات حول مياه النيل فإن الكونغو تستطيع ان تتعايش بدون الاعتماد على مياه نهر النيل، فكان لزاماً على مصر ان تحسن وتطور علاقاتها مع الكونغو.[١٩]

على أي حال فقد كان هناك اختلافات في مواقف دول حوض النيل حول بعض الاتفاقيات سابقة الذكر، ونذكر منها رد فعل دول حوض النيل على اتفاقية عام ١٩٥٩م، فقد أعلنت أثيوبيا رفضها لهذه الاتفاقية وأرسلت احتجاجاً على بناء السد العالي، على أساس أن بناء نهر النيل لم يحصل على المشاورات الكافية مع دول حوض النيل، وأنه كان يجب على مصر والسودان أن يخطرا الدول النهرية الأخرى وتتشاور معها، وأما عن موقف دولة اوغندا من الاتفاقية فهي آنذاك كانت تحت الاحتلال البريطاني وعند استقلالها في عام ١٩٦٢م أكدت على عدم اعترافها بالاتفاقية لأنها لم تكن طرفاً فيها، وأما عن تنزانيا فهي أيضاً لم تكن قد حصلت على استقلالها وحينما استقلت طالبت بإعادة النظر في هذه الاتفاقية لأنها لم تكن طرفاً فيها، وأما عن كينيا فقد أبدت أيضاً عدم اعترافها بهذه الاتفاقية، وقدمت السفارة البريطانية مذكرة إلى الحكومة المصرية جاء فيها أن كينيا واوغندا وتنجانيقا يحتاجون إلى استغلال قدر من مياه النيل لتنفيذ مشروعات ري في بلادهم، وأن بريطانيا تحتفظ بالحق في أن تتدخل نيابة عن أقاليم شرق افريقيا في مفاوضات مع مصر والسودان في الوقت المناسب لتقرير النصيب المناسب والذي يتفق عليه لانتفاع البلاد المذكورة، وردت مصر بأنها توافق على الدخول في مفاوضات ومناقشات مع حكومات شرق افريقيا، بشأن مياه النيل بعد وصول البيانات التفصيلية عن هذه المطالب وبعد الانتهاء من دراستها، وبالفعل عقد محادثات مع دول شرق افريقيا، واما عن رواندا وبورندي فلم يكن لهما مواقف

اعتراض ضد هذه الاتفاقية سواء أثناء الاحتلال أو بعد خروج المحتل، واما عن موقف الكونغو البلجيكي فلم تظهر الحكومة الكونغولية أي مواقف مضادة لهذه الاتفاقية، وبعد الاستقلال لم يكن لها أي موقف معادي لهذه الاتفاقية.(٢٠)

فكانت بعض دول حوض النيل تعترض على الاتفاقيات التي عقدتها مصر والسودان، وهذا من منظور رؤيتها أنها لم تكن موجودة أثناء الاتفاق، أو انها وقعت وهي مازالت تحت نير الاستعمار والمحتل، فمن هنا فبعض الدول الافريقية لا تعترف بما عقد من اتفاقيات وهي تحت الاحتلال، ومصر ترد على كل ما يرد إليها من هذه الدول بحقوقها التاريخية والقانونية الثابتة من خلال هذه الاتفاقيات مع عدم اعتراضها على مناقشة أي مشاريع لا تضر بأمنها القومي ومصالحها المائية ولا تخفض من النسبة المنحدرة إليها من مياه نهر النيل.

ولدي الكونغو شلالات انيانجا وهي أكبر شلالات في العالم، وتهدف الكونغو إلى استغلالها في انتاج كمية ضخمة من الطاقة الكهرومائية، قد تبلغ ٥٠ ألف ميجاوت، مما سيؤدي إلى فائض لديها تصدره إلى الدول المجاورة.(٢١)

حاولت مصر كسب ود الكونغو فقامت بمساعدتها في كافة المجالات، وذلك من أجل أن تكون الكونغو مع مصر في مواقفها من قضايا المياه، وتستمر في موقفها الودي مع مصر فيما يخص مسألة نهر النيل، ففي عام ١٩٦٠م حتى عام ١٩٦١م قامت مصر بالمشاركة في قوات حفظ السلام في الكونغو أثناء فترة الحرب الأهلية في الكونغو، وفي الفترة من ٥-١٠ سبتمبر عام ١٩٦٤م شاركت مصر من خلال عضويتها في المجلس الوزاري الافريقي بأديس أبابا في التصدي للحركات الانفصالية بالكونغو الديموقراطية.(٢٢)

على أي حال فقد تميز النظام الإقليمي للتعاون في حوض النيل في مرحلة الاستقلال الوطني بعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي، وأثارت قضية قواعد الاستخلاف الدولي القانونية العديد من المشاكل الناجمة عن رغبة كل طرف في حماية مصالحة القومية والشك في إمكانيات التعاون المشترك، حيث أصبحت كل الأطراف أسيرة مصالحها الذاتية، وتوجد ثلاث عناصر هامة ورئيسية تمثل أهمية محورية لدول حوض النيل في مرحلة الاستقلال الوطني:

١-طبيعة ما ورثته الدولة عن الحقبة الاستعمارية.

٢-دور الدول الافريقية المستقلة عن الاستعمار في العمل على تدعيم الوحدة الإقليمية وإضفاء الشرعية وتحقيق شروط عملية في بناء الدولة القومية.

٣-الدول الافريقية حديثة الاستقلال تقوم بدور سياسي واقتصادي جديد، وهو يختلف عن ذات الدور الذي قامت به الدولة في معناها البرجوازي الكلاسيكي، حيث أن أي دولة فيما بعد الاستقلال تسعي لتدعيم المجتمع الديموقراطي سياسياً وتقوم بتوظيف قدر كبير من الفائض الاقتصادي في النشاط الاقتصادي الموجه.(٢٣)

على أي حال فقد مدت مصر جسور التعاون مع دول حوض النيل وعلى رأسها الكونغو، لما تشكله من عمق استراتيجي لمصر، وما يمثله نهر النيل لمصر، لذا فمنذ الستينيات زاد الاهتمام بمسألة التعاون مع دول حوض النيل، ففي عام ١٩٦٧م انطلق مشروع الهيدروميت لدراسة الأرصاد الجوية والمائية لحوض البحيرات الاستوائية، وقد انطلق هذا المشروع بمشاركة خمس دول فقط من دول حوض النيل، وهي مصر وكينيا وتنزانيا واوغندا والسودان، ثم انضمت إليهم الكونغو الديموقراطية ورواندا وبوروندي، ثم انضمت إثيوبيا إليهم بصفة مراقب، وبمقتضي ذلك الاتفاق أقيمت محطات رصد في أحواض الامطار الرئيسية كبحيرات فيكتوريا وكيوجا وألبرت، وقد تم انجاز هذا المشروع على ثلاث مراحل الاولي منها كانت في عام ١٩٦٧م استمرت المرحلتين المتبقيتين حتى الثمانينات.(٢٤)

وترجع المشكلة بالنسبة لأزمة المياه في مصر إلى أن النيل يمثل المصدر الأهم للماء في مصر، حيث أن معدل هطول المطر أدني ما يكون في مصر، ففي الأطراف الشمالية من مصر تتلقي ما بين ١٠٠-٢٠٠ مليمتر في العام، وهذه الكمية تستخدم في الزراعة المتقطعة على طول ساحل البحر المتوسط، أما عن المخزون الداخلي من المياه في مصر، فتقع المياه الجوفية في الصحراء الغربية، فعملية استخراجها عملية صعبة، ولكن يمكن أن تصل إلى ٨٥٠ مليون متر مكعب في العام دون أن ينخفض منسوب الماء إلي أكثر من ١٠٠ متر تحت مستويات الأرض، وهذه النسبة تصل إلى ١،٥% من الاحتياجات الاجمالية الفعلية لمصر، ومع أن نهر النيل أطول أنهار العالم إلا أن نسبة المياه في نهر

النيل سنوياً لا تعادل أنهار أخري أصغر منه، فعلي سبيل المثال نهر الأمازون المياه فيه حوالي ٥٥١٨ مليار متر مكعب سنوياً، الكونغو ١٢٤٨ مليار متر مكعب سنوياً.(٢٥)

وقد اشتركت الكونغو الديموقراطية مع مصر في اعداد دراسات تتعلق بالربط الكهرومائي بينهما تمهيداً لمد الشبكة إلى أوروبا، وليس لدول حوض النيل فقط، ولم يكن لدولة الكونغو مواقف مناوئة للحقوق المصرية والسودانية في مياه نهر النيل، فضلاً عن أنها لم تنكر أي اتفاقية مائية موقعة مع مصر، وخلال السنوات السابقة وحتى نهاية السبعينيات من القرن الماضي، وبسبب عدم الاستقرار السياسي أحجمت شعوب وحكومات رواندا وبوروندي والكونغو الديموقراطية وهي من الدول المشتركة في المنابع الاستوائية عن المطالبة بخوض مفاوضات رسمية في شأن مياه النيل مع مصر والسودان، وذلك لثلاث أسباب:

١- أن هذه الدول وعلى رأسها الكونغو لا تعتمد على مياه النيل كمصدر رئيسي للمياه.

٢- نقص الخبرات في المجال الهيدروليكي، وما يترتب على ذلك من مخاوف تتعلق بعدم قدرة هذه الدول على خوض مفاوضات ناجحة في مواجهة مصر والسودان اللتين تتمتعان بمعرفة فنية كبيرة وذات خبرات عالية في مجال إدارة النيل.

٣- عدم رغبة هذه الدول في إحداث أي مشكلات أو أزمات مع مصر، وذلك حرصاً على دعم مصر في مختلف المحافل والمجالات الدبلوماسية للاستفادة من ثقلها على المستويين الإقليمي والدولي.(٢٦)

وما يفسر عدم اعتراض الكونغو على أي مسألة تتعلق بمياه نهر النيل في مصر أو السودان، هو أنها ليست في حاجة إلى مياه نهر النيل، فهي يطلق عليها شلال المياه المتدفق حيث يبلغ متوسط الامطار فيها ١٦٦٦ مم، ويتراوح المعدل العام للأمطار ما بين ٨٠٠ سم إلى ٢٥٠٠ سم، وفضلاً عن أمطارها الغزيرة فهناك نهر الكونغو، الذي يعتبر ثاني أطول أنهار القارة بعد نهر النيل، إلا أنه الأكبر من حيث المساحة، والأغدق من حيث التصريف، حيث يبلغ إيراده المائي نحو ٤١ ألف م٣/ الثانية، وبذلك يكون إيراده السنوي حوالي ١٢٦٠ مليار م٣ أي نحو ١٥ مثلاً لإيراد نهر النيل، ويمتاز نهر الكونغو بعدد من الخصائص:

١-قوة تصريفه، حيث أنه يصبغ المحيط الاطلنطي بلون الطمي لمسافة تزيد عن ٥٠ كيلو من الساحل.

٢-نهر دائم الجريان.

٣-يتجل نهر النيل شمالاً ليصب في البحير الأبيض المتوسط، بينما يتجه نهر الكونغو غرباً ليصب في المحيط الاطلنطي الجنوبي.

٤-يستخدم نهر الكونغو في جميع الأغراض، الملاحة والري وتوليد الكهرباء وغيرها.

٥-يبلغ اجمالي المياه السطحية في الكونغو ٥٩٤ مليار م٣، والمياه الجوفية ٤٠٠ مليار م٣، ولا تمثل مياه النيل إلا نحو ٠،٠٢% من هذه الإيرادات المائية، ومساحة حوض النيل بها تمثل أقل من ١%.

وبالتالي فإن اهتمامات الكونغو مياه نهر النيل ليست على مستوي باقي الدول، بل وربما الكونغو لا توجد لديها اهتمامات أصلاً بمياه النيل، إلا ما ينتج من الانعكاسات الاقتصادية والسياسية المتنامية بين دول حوض النيل.[٢٧]

على أي حال فقلة مياه نهر النيل تمثل مشكلة خطيرة وكبيرة لمصر، حيث ان المياه تلعب دوراً هاماً على مستوي التنمية في مصر بكافة مجالاتها وتقدم الدولة[٢٨]، ويمثل نهر النيل شريان الحياة لكل عوامل الحضارة والتقدم على أرض مصر[٢٩]، ومع تزايد السكان المطرد في مصر، فضلاً عن تفاقم المشاكل الاقتصادية أيضاً، وتزايد اعتماد الدولة على الخارج في كل شيء، وانخفاض نصيب الفرد من المياه وبالتالي نصيبه من الأرض الزراعية، يؤثر سلباً على مصر.[٣٠]

فضلاً عن ان المصالح القومية المصرية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنهر النيل وموارد المنطقة التي تعتبر العمق الاستراتيجي لمصر، فهذا الاعتماد الشديد لمصر على المياه العذبة من نهر النيل يعني أن أي تهديد لتدفق المياه يتجرم مباشرةً إلى تهديد أساسي للأمن القومي المصري، لذا فإن فكرة تامين موارد النيل لها أهمية قصوي في السياسة المصرية الخارجية، لذا فعلي مصر أن تتتبع سياسة خارجية متسقة في كافة المجالات تجاه دول حوض النيل.[٣١]

ثالثاً إسرائيل ومياه نهر النيل

كانت إسرائيل مصدراً لتهديد الامن المائي المصري، وخير مثال على ذلك أن مسألة المياه كانت من أهم المواضيع التي أولتها الحركة الصهيونية أهمية كبري منذ نشأتها، واعتبر رواد الحركة الصهيونية موضوع المياه إحدى المقومات الأساسية لقيام وانشاء الدولة الصهيونية وضمان توسعها واستمراريتها، فكانت مسألة المياه والأرض من أهم المبادئ التي أتي بها مؤتمر بازل الصهيوني الذي عقد في سويسرا في عام ١٨٩٧م، وأعلن حينها تيودور هيرتزل مؤسس الحركة الصهيونية أن هذا المؤتمر وضع أسس الدولة اليهودية بحدودها الشمالية التي ستمتد إلى نهر الليطاني، كما أعلن ديفيد بن غوريون أن اليهود يخوضون معركة المياه مع العرب وعلى مصير هذه المعركة يتوقف مصير اليهود.(٣٢)

وقد رأي مفكرو الحركة الصهيونية آنذاك ضرورة التعاون مع بريطانيا التي كان لها تأثير كبير على محمل المتغيرات في المنطقة، وخاصة مع التراجع العثماني في التأثير على الأحداث الدولية، وفي عام ١٨٧٣م بدأ التعاون بين الحركة الصهيونية وبريطانيا في مجال المياه، حيث بعثت الجمعية العلمية البريطانية مجموعة من الباحثين إلى فلسطين برئاسة الجنرال تشارلز وارن من أجل رصد الموارد المائية في فلسطين.(٣٣)

على أي حال فكانت إسرائيل تطمع في تحويل مياه النيل إلى إسرائيل عبر سيناء، على أي حال فقد أخفقت الحركة الصهيونية في اقناع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني بالسماح للهجرة اليهودية أن تكون على نطاق واسع لاستيطان فلسطين، فاتجهت انظار الحركة الصهيونية و تيودور هيرتزل إلى سيناء، فاحولت الحركة التقرب أكثر إلى بريطانيا من أجل استيطان شمال سيناء، وبالفعل في عام ١٩٠٢م تم تشكيل لجنة من ثمانية أعضاء من الانجليز واليهود وكان ذلك بهدف دراسة استيطان شمال سيناء، وأكدت اللجنة على ضرورة إقامة الدولة اليهودية المقترحة في اطار الإمبراطورية الإنجليزية وليس العثمانية، ومن ثم الحصول على موافقة بريطانيا بجلب مياه النيل إلى سيناء وبالتالي تحوليها إلى فلسطين، ولكن معارضة الدولة العثمانية ومصر أدت لاعتذار بريطانيا عن تنفيذ ذلك المشروع.(٣٤)

فقد سيطرت فكرة الأرض والماء على القيادة الصهيونية بشكل كامل، وفي الستينيات كانت مسألة حصول إسرائيل على المياه من نهر النيل مسألة ضرورة استراتيجية لها، وكانت الصحف في إسرائيل تنشر يومياً دعوات للاقتصاد في استخدام المياه.[٣٥]

وتعتبر قارة افريقيا ثاني أكبر قارات العالم بعد آسيا، وتبلغ مساحتها ٣٠٢ مليون كيلومتر مربع، وعليه فإن قارة بهذا الحجم وبما فيها من موارد وما لها من موقع فكان لابد من أن تكون هدفاً للسياسة الإسرائيلية، فضلاً عن رغبتها في تأمين حدودها وضمان أمنها وتفوقها العسكري والاقتصادي.[٣٦]

ومن أجل التقرب من الكونغو قامت إسرائيل في عام ١٩٦٣م بالاستجابة لطلبات من الأمم المتحدة والكونغو ودربت في إسرائيل مدربي المظلات وسرية مظلات من زائير، وفي عام ١٩٦٤م أنشأت إسرائيل مدرسة مظلات في زائير تقوم فيها بتدريب جنود وقادة وحدات الجيش الكونغولي، كما أن إسرائيل احتفظت في الكونغو بوفد عسكري مكون من ١٠-١١ ضابطاً بشكل دائم، كل ذلك من أجل التقرب إلى الكونغو من اجل أهميتها، فضلاً عن الضغط المائي الذي يمكن أن تمارسه على مصر، وبذلك تم ربط نظام الحكم في الكونغو بإسرائيل، على أي حال ففي سلسلة التعاون بين إسرائيل والكونغو في أوائل السبعينيات، باعت إسرائيل ذخيرة وسلاحاً للكونغو بقيمة ٣٨ مليون دولار.[٣٧]

ففي السبعينيات تجددت الاطماع الإسرائيلية في مياه نهر النيل، فتقدمت إسرائيل بمشروعات محددة إلى القيادة المصرية ومنها مشروع اليشع كالي ومفاده نقل مياه نهر النيل عبر انابيب تحت قناة السويس بجوار الإسماعيلية وفي الجانب الآخر تصب المياه في قناة مبطنة بالخرسانة، وتقع في الشمال الغربي قرب طريق العريش-القنطرة، ومن هناك تسير بمحاذاة طريق غزة-العريش خان يونس، وهناك يتفرع مجري المياه إلى فرع باتجاه قطاع غزة والآخر باتجاه أوفاكيم وبير سبع، ويصل طول القناة من الإسماعيلية وحتى خان يونس بكل تفرعاتها إلى نحو ٢٥٠ كيلومتر مربع [٣٨]، وكان مشروع اليشع كالي يهدف في مجمله إلى نقل ١% من مياه نهر النيل إلى إسرائيل أي ما يساوي ٨٠٠ مليون متر مكعب، وأكد كالي على أن الغرض الأساسي من المشروع هو دعم السلام في المنطقة، وإيجاد حل لمشكلات إسرائيل المائية.[٣٩]

رغم رفض القيادة المصرية لمشروع اليشع كالي إلا أن إسرائيل لم تتوقف عن محاولاتها لتوصيل المياه لإسرائيل عن طريق نهر النيل، فقد طرح شاؤول ارلوزدروف النائب السابق لمدير هيئة المياه الإسرائيلية عام ١٩٧٧م مشروعاً سمي بمشروع النيل الأبيض والازرق، وكان يري أنه هناك ثلاثة بدائل تتناول دفع مياه النيل وكلها قائمة على نفس العملية الهندسية، وعلى ذلك يتم حفر ثلاثة أنفاق تحت قناة السويس يكون مصدرها قناة المياه العذبة، وتقوم تلك القنوات برفع المياه إلى نقطة سحب رئيسية في سيناء وفي محطة الضخ يتم رفع المياه إلى ارتفاع يبلغ ١٠ أمتار، ويتم دفعها بقوة على طول ساحل سيناء، وفي قناة مفتوحة، ومنها تتفرع ثلاثة قنوات فرعية إلى شبكات الري التي تغذي المستوطنات، وطرف القناة يعبر الحدود وينقل المياه إلى شبكة الري الموجودة شمال غرب النقب، وطبقاً لذلك المشروع فإنه سيتم تحويل ٨٥٠ مليون متر مكعب لمشروعات الري في النقب، فضلاً عن تحويل ١٥٠ ميلون متر مكعب من المياه للري بقطاع غزة، ووفقاً للدراسات المبدئية الإسرائيلية تبلغ تكلفة المتر المكعب الواحد من مياه النيل لتصل إلى إسرائيل نحو ١٢ سنتاً أمريكيا تشمل ٤ سنتات لمصر آنذاك.(٤٠)

وقد صرح البروفيسور بنسفي إكشطابين رئيس قسم الاقتصاد بجامعة تل أبيب، أن جلب المياه من مصر إلى قطاع غزة يعتبر أرخص تكلفة لإسرائيل من التفكير في أنهار أخري توجد بالمنطقة، حيث أن المسافة لا تزيد عن ٣٠٠ كيلومتر مربع، ولكن احتمالية رفض مصر لأي مشروع مائي إسرائيلي يجعلها تفكر في حيل أخري من أجل الحصول على المياه من نهر النيل.(٤١)

فقد كانت إسرائيل تتميز بعلاقات جيدة ومميزة مع الكونغو وكينيا واثيوبيا واريتريا، فضلاً عن علاقات أخري على مستويات متفاوتة مع رواندا وبوروندي وأوغندا وتنزانيا، ولا شك في أن هذه العلاقات قد ساعدتها في تغيير التوازنات الإقليمية في افريقيا والشرق الأوسط، مما ساعدها في تعاظم مطامعها في مياه النيل.(٤٢)

أما عن الموقف المصري تجاه هذه المشاريع فقد أعلن الرئيس محمد أنور السادات بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩م، أنه يعتزم توصيل مياه النيل إلى التي ستروي سيناء إلى صحراء النقب وذلك في إطار التعاون مع إسرائيل، ودليلاً على حسن الجوار مع

إسرائيل، وفي عام ١٩٧٩م أمر السادات بحفر ترعة السلام، ووعد من جديد بنقل المياه إلى القدس تحت مسمي مشروع زمزم الجديد، وأرسل السادات إلى الملك الحسن الثاني رئيس لجنة القدس وذكر فيها أن مصر تعرض مد إسرائيل بجزء من حصتها المائية لاستخدامها في إعادة إسكان المستوطنين في منطقة النقب بعد اخلائهم المستوطنات القائمة في غزة والضفة الغربية، ولكن حينها طالب بيجن بضرورة فصل مسألة مياه النيل عن مسالة اخلاء المستوطنات في الضفة والقطاع، ولكن بعد اغتيال السادات وضم القدس الشرقية وما تبع ذلك من ازدياد حركة الاستيطان، توقف الحديث عن تنفيذ المشروع [٤٣]، بعدها نشب بين مصر وإسرائيل ما يسمي بالحرب الباردة بينهما خصوصاً بعد أن استعادت إسرائيل علاقاتها مع معظم الدول الافريقية منذ نهاية السبعينيات.[٤٤]

ولم تتوقف إسرائيل عن محاولاتها في التقرب إلى مناطق منابع نهر النيل وعلى رأسها الكونغو، لكي تشكل ضغطاً على مصر لتوافق على مساعيها المائية، فحرصت كل الحرص على التواجد في منطقة البحيرات العظمي، وكان ذلك ضمن الفكر الاستراتيجي الإسرائيلي الذي يدعو إلى ضرورة البقاء في المناطق الحساسة ذات الأهمية الاستراتيجية.[٤٥]

كما أن السادات قام باللعب سياسياً بمسألة توصيل مياه النيل لإسرائيل، للحصول على سرعة التبكير بموعد الانسحاب الإسرائيلي من سانت كاترين، حيث صرح في احتفالية نقابة المهن الزراعية في عام ١٩٨٠م بأن مصر تقذف بأكثر من ٦ مليارات من المياه العذب في البحر الأبيض المتوسط، ومن ثم فقد ساعد هذا الامر على تسريع الانسحاب الإسرائيلي من سانت كاترين على أمل توصيل المياه إليها.[٤٦]

وبسبب عدم تلبية المطالب الإسرائيلية المائية تجاه نهر النيل في مصر، ظهرت المشكلات بين مصر وأثيوبيا، والتي دفعت الرئيس السادات في عام ١٩٨٠م ليعبر عن أن الماء هو السبب الرئيسي الذي يمكن أن يدفع مصر للحرب مرة أخري، وكان هذا التهديد موجهاً بالتحديد إلى أثيوبيا.[٤٧]

وفي نفس الوقت حاولت مصر تحسين علاقتها بشكل أفضل مع الدول الافريقية وخصوصاً دول حوض النيل مثل الكونغو ورواندا وبورندي وبقية دول حوض النيل، واتبعت معهم سياسة متوازنة نوعاً ما.[٤٨]

على أي حال فقد كانت إسرائيل تهدف من وراء اهتمامها بدول حوض النيل إلى:

١-الأهداف السياسية: حيث أن إسرائيل تسعي إلى تدعيم علاقاتها الدولية مع دول المنطقة، فضلاً عن تدعيم وضعها الدولي، والحصول على تأييد الرأي العام في المحافل الدولية.

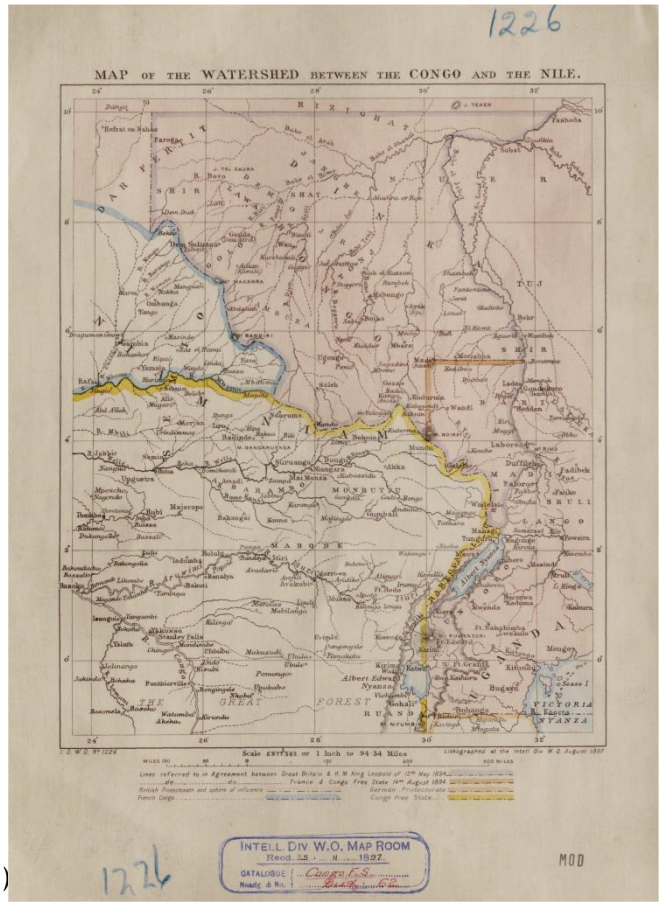
٢-الأهداف الاقتصادية: تحاول إسرائيل السيطرة على الأسواق الافريقية، واستيراد المواد الخام من افريقيا بأرخص الاثمان.

٣-الأهداف في المجال الأمني والاستراتيجي:

أ- كانت إسرائيل ترغب في الوصول إلى مجموعة حوض النيل التي تعد بمثابة العمق الاستراتيجي للدول العربية.

ب- ويتمثل في تحقيق الوجود العسكري الفعال في المنطقة نظراً للأهمية الحيوية والأمنية لإسرائيل.(٤٩)

ملحق رقم (١)



(٥٠)

ملحق رقم (٢)

CONFIDENTIAL.

6588

Memorandum by Sir Clement Hill respecting the Congo State and the Nile Basin.

THE Anglo-German Agreement, by which the western watershed of the Nile Basin was placed within the British sphere, was signed on the 1st July, 1890. It states that the sphere in which the exercise of influence is reserved to Great Britain is bounded "to the north by a line commencing on the coast at the north bank of the mouth of the River Juba; thence it ascends that bank of the river, and is conterminous with the territory reserved to the influence of Italy in Gallaland and Abyssinia as far as the confines of Egypt. To the west by the Congo Free State, and by the western watershed of the basin of the Upper Nile."

The Protocols of Demarcation with Italy were signed on the 24th March and the 15th April, 1891.

Article 1 of the former states that "the line of demarcation in Eastern Africa between the spheres of influence respectively reserved to Great Britain and Italy shall follow from the sea the mid-channel of the River Juba up to latitude 6° north," the line then following "the 6th parallel of north latitude up to the meridian 35° east of Greenwich, which it will follow up to the Blue Nile." The Protocol of the 15th April completed this demarcation towards the north. The line starts from Ras Kasar on the Red Sea, and finally having followed the Rebad for the short distance between the confluence of the Kor Lemsen and the intersection of 35° east longitude, Greenwich, "identifies itself in a southerly direction with that meridian until it meets the Blue Nile."

[277] B

In May 1890 an Agreement was made on behalf of the Congo State with Sir W. Mackinnon, by which Sir William agreed that he would waive any rights which the Imperial British East Africa Company, of which he was Chairman, might obtain in the Western Nile Basin in favour of the State in return for certain advantages to be granted to the Company. It may not be necessary to go into the question of this Agreement, which the King of the Belgians subsequently appealed to as giving him a title to the Nile Basin, but which was repudiated by Lord Salisbury and Lord Rosebery on the grounds that it was not accepted by Her Majesty's Government, and that the Company never obtained any rights north of the Albert Nyanza which could be waived in accordance with it. The discussion has now only historical value.

In February 1892 Her Majesty's Government were informed that a Congo State expedition was on its way to Lado, or some other place on the Nile, with a view to taking possession of the countries formerly under the rule of Emin Pasha. They at once protested at Brussels, demanding an assurance that no attempt would be made to extend the dominion of the State over the western watershed of the Nile reserved to Great Britain by the Agreement with Germany of 1890.

His Majesty demurred, appealing to the Mackinnon arrangement, and the protest was energetically renewed on the grounds that that arrangement could not affect the territorial rights of Great Britain, and that it was an unprecedented step for a friendly State to send a secret expedition with orders to appropriate territory openly claimed by another Power. The discussion was continued through 1892 and 1893 without any satisfactory assurances or information as to the destination of the expedition being given by the Congo State. It was closed by the Agreement of the 12th May, 1894, by which the King of the Belgians accepted leases from Her Majesty's Government of the greater part of the territory in question, and the Congo State recognized the British sphere. When this Agreement was signed notes were exchanged between Her Majesty's Minister in Brussels and the Representative of the Congo State, recording the assurance "that the parties to the Agreement do

not ignore the claims of Turkey and Egypt in the basin of the Nile."

The Agreement evoked strong feeling in France, and by an arrangement entered into by the French Government with the Congo State on the 14th August, 1894, the latter bound itself to renounce all occupation, and to exercise in the future no political influence west or north of a defined line.

By this engagement the State is debarred from entering the greater part of the leased territory.

It must, however be remembered that the leases are not given to the State, but to the King of the Belgians personally.

The French Government also addressed Her Majesty's Government on the subject. M. Decrais, on the 28th May, formulated the most express reserves with regard to the Agreement of the 12th May, the stipulations of which appeared to his Government to be in contradiction to the Agreements between France and the Independent State, as well as to the international situation of the basin of the Upper Nile.

On the 5th June M. Decrais spoke in general terms of the feeling aroused in France by the Agreement. He was told that Her Majesty's Government were quite willing to discuss the grounds of the French objections, and to enter into a general review of all African questions pending between the two Governments, with the exception of Egypt. He agreed that there was no advantage in raising a discussion at the moment on Egypt.

On the 7th June a discussion took place in the French Chambers, when M. Hanotaux stated that the French Government considered the Convention concluded on the 12th May as null and void; adding that the French outposts had been reinforced to guard against surprises, and that any necessary troops would be sent out without delay. A vote was unanimously passed expressing confidence that the Government would make French rights respected.

A few days later Lord Dufferin had an interview with M. Hanotaux, recorded in his despatches Nos. 162 and 163 of the 13th June. Lord Dufferin felt the difficulty of reproducing M. Hanotaux' arguments even in long despatches, and it is still more difficult to do so in a summary.

They may perhaps be summed up by quoting Lord Dufferin's words from the despatch No. 163: "I am convinced that, in their quarrel with Belgium, and in the violence of their opposition to the Agreement of the 12th May, the real desire of the French is to prevent us from establishing ourselves, whether theoretically, as represented by the Congo State, or materially, in our own persons, on the Bahr-el-Ghazal and in the Valley of the Nile, and perhaps to anticipate us in the occupation of those districts."

His Excellency had asked for, and M. Hanotaux had promised, a written statement of the French objections; but the latter subsequently explained that, on further consideration, he thought such a written statement would be premature, and that verbal discussions would give more room for elasticity in the pretensions or demands which might be set forth. Accordingly, on the 20th June, Lord Dufferin had a further verbal discussion, but the only solution suggested by M. Hanotoux was, the complete and immediate abrogation on the part of Her Majesty's Governmen and the King of the Belgians of all the provisions of the 12th May Agreement.

On the 29th June his Excellency had another conversation with M. Hanotaux. It chiefly turned on the wish of the French Government to induce us to annul the Agreement relating to the leases. Lord Dufferin inquired whether this meant that, if we induced the King of the Belgians to surrender the jurisdiction we had granted him over the Bahr-el-Ghazal and the lease of the Nile Valley, France would recognize the Anglo-German Convention. M. Hanotaux declined to commit himself; nor would he give a direct reply when Lord Dufferin asked whether he could give Her Majesty's Government an assurance that no such outrageous step as an occupation by French troops of a position within the territory dealt with in the Agreement was in contemplation. Lord Dufferin then warned him that the unprovoked irruption of French troops into the territory in question would exasperate public opinion in England, and produce a situation fraught with danger to the peaceable relations of the two countries. On the 17th July Lord Kimberley told M. Decrais that Her Majesty's Government could do nothing without knowing the precise nature of the French

(٥١)

الهوامش:

(*) الكونغو: كان يطلق على الكونغو في عهد الاستعمار البلجيكي بالكونغو البلجيكي، وبعد حصول الكونغو على استقلالها في عام ١٩٦٠م تم تغيير اسم البلاد إلى الكونغو ليوبولدفيل ثم الكونغو كينشاسا حتى عام ١٩٧٠م، وبعد تولي موبوتو إدارة الحكم في البلاد تم إطلاق اسم زائير على البلاد، واستمرت تلك التسمية حتى عام ١٩٩٧م، وبعد وصول لوران كابيلا إلى الحكم تم إطلاق اسم جمهورية الكونغو الديموقراطية على البلاد، والتي تزال سارية حتى الآن. انظر: رجاء إبراهيم سليم: الأزمة الكونغولية وتداعياتها، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات الاستراتيجية والسياسية، القاهرة، مصر، العدد ١٣٥، ١٩٩١م، ص ٤١؛ مهند النداوي: إسرائيل في حوض النيل: دراسة في الاستراتيجية الإسرائيلية، المنهل، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٣م، ص ٦٣.

انظر الملحق رقم (١).

Great Britain: IDWO 1226, Map of the Watershed between the Congo and the Nile, Ministry of Defense Maps, War Office General Staff Geographical Section, 1897.

(١) جمال حمدان: شخصية مصر، الجزء الثاني، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ١٩٨٧م، ص ٧٨٢.

(٢) محمود أبو العينين: ثورة ٢٥ يناير ومستقبل علاقات مصر بدول حوض النيل، أعمال المؤتمر الدولي، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، ٢٠١١م، ص ٢٣١.

(*) بحيرة فكتوريا: هي ثاني أكبر بحيرة للمياه العذبة في العالم من حيث المساحة والأكبر في افريقيا، بالإضافة إلى أنها أكبر بحيرة استوائية في العالم، وتبلغ مساحتها ٦٨٨٧٠ كيلومتر مربع، وهي تطل على كينيا واوغندا وتنزانيا وتضم البحيرة حوالي ٣٠٠٠ جزيرة، وقد أصحب بعضها وجهة لكثير من السياح، وينبع من هذه البحيرة نهر النيل الأبيض. انظر: مجلة افريقيا قارتنا: بحيرة فكتوريا، القاهرة، مصر، العدد ٣، ٢٠١٣م، ص١.

(3) Haitham B.A. Hassan, and Eitemad S.O. Mohamd: Egyptian Water Security in view of the Risks Emerged by Construction of the Renaissance Dam, Middle East Journal of Agriculture, Vol.7, Issue,3, 2018, P. 837.

وانظر أيضاً: مصعب عطية ذنون الزبيدي، أحمد حاشوش عليوي الحجامي: الجذور التاريخية لأزمة مياه نهر النيل حتى المبادرة المصرية لعام ١٩٩٩م، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، بحوث تاريخية، كلية التربية الأساسية، جامعة سومر، العراق، الجزء ٣، العدد ٣٠، ٢٠١٨م، ص ١١٧؛ محمد خميس الزوكة: جغرافية المياه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٨م، ص ص ٤٦٦-٤٦٨؛ محمد طلعت يدك: المسئولية المدنية عن الاضرار بمياه النيل، المؤتمر الخامس عن القانون والبيئة، في الفترة من ٢٣-٢٤ ابريل ٢٠١٨م، كلية الحقوق، جامعة طنطا، مصر، ص ٤.

(٤) Simon Jonas Augusto: From Conflict to Cooperation in the Nile Basin, PhD. ,Swiss federal institute of technology, Zurich, 2003, P. 1.

وانظر أيضاً: السيد فليفل: الأزمة المائية في حوض نهر النيل المسيرة والمصير، مجلة قراءات، القاهرة، مصر، العدد ٦، ٢٠١٠م، ص ٤٨.

(٥) جورج بوزنر وآخرون: معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة أمين سلامة، الطبعة الأولي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٩٦م، ص ص ٣٤٣-٣٤٤؛ أدولف أرمان: ديانة مصر القديمة، ترجمة عبدالمنعم أبو بكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م، ص ١٨.

(٦) ناصر فياض: اغتيال نهر النيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، سلسلة العلوم الاجتماعية، القاهرة، مصر، ٢٠٠٥م، ص ص ١٠-١١.

(٧) مصعب عطية ذنون الزبيدي، أحمد حاشوش عليوي الحجامي: المرجع السابق، ص ١١٨.

(٨) أسامة على زين العابدين: مستقبل التعاون والتكامل السياسي بين دول حوض النيل في إطار السياسات المائية، مؤتمر آفاق التعاون والتكامل بين دول حوض النيل: الفرص والتحديات، في الفترة من ٢٥-٢٦ مايو ٢٠١٠م، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، مصر، ص ٤٠٦.

(٩) سيد محمد موسي حمد: مصر ودول حوض النيل، المجلد ٢٢٥ من تاريخ المصريين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر ، ٢٠٠٣م، ص ص ١٤٥-١٤٨؛ رمزي سلامة: مشكلة مياه النيل في الوطن العربي احتمالات الصراع والتسوية، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠١م، ص ص ٣٦-٣٨؛ ألن مورهيد: النيل الأزرق، ترجمة نظمي لوقا، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٦٦م، ص ص ٤٩-٥١.

(10) Hamdy A. Hassan, Ahmad Al Rasheedy: The Nile River and Egyptian Foreign Policy Interests, African Sociological Review vol. 11, No.1, 2007, p. 26.

(١١) Winston S., Churchill: The River War, Graf Publishers, Carroll, New York, United State of America, 2000, pp.1-5, 20-25.

(١٢) سمير عبد الملاك منصور: اتفاقيات حوض النيل في ضوء أحكام القانون الدولي، آفاق أفريقية، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، مصر، المجلد ١١، العدد ٣٩، ٢٠١٣م، ص ص ٩-١٠.

F.O: 881/6588, ,Memorandum by Sir Clement Hill Respecting the Congo State and the Nile Basin, confidential, Foreign Office, 24, Apr. 1895.

انظر الملحق رقم (٢).

(١٣) أيمن عباس دياب: العلاقات المصرية الكونغولية ١٩٥٢-١٩٧٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنوفية، ٢٠١٥م، ص ١٥٥.

([14]) Arthur Okoth-Owiro: the Nile treaty State Succession and International Treaty Commitments: A Case Study of The Nile Water Treaties, Konrad Adenauer Foundation, Nairobi, Kenya, 2004, P. 4.

وانظر أيضاً: مغاوري شحاتة دياب: نهر النيل: بين التحديات والفرص، المنهل، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٢م، ص ١٢١؛ سمير عبد الملاك منصور: المرجع السابق، ص ١٠؛ عبد العظيم أبو العطا: نهر النيل: الماضي والحاضر والمستقبل، دار المستقبل العربي، القاهرة، مصر، ١٩٨٥م، ص ١٠.

([15]) Haitham B.A. Hassan, and Eitemad S.O. Mohamd: Op. Cit., P. 840.

وانظر أيضاً: دار الوثائق القومية، وزارة الخارجية، الإدارة الافريقية، بحث عن مياه النيل، محفظة ٣٤، ملف رقم ٥، ١٩٦٤/٧/٧م؛ مغاوري شحاتة دياب: المرجع السابق، ص ١٢١؛ رشدي سعيد: نهر النيل نشأته واستخدام مياهه في الماضي والمستقبل، در الهلال، القاهرة، مصر ٢٠٠١م، ص ٢٧٨.

([١٦]) هاني نبيل صبحي شراب: الأمن المائي العربي نهر النيل نموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، ٢٠١٥م، ص ٥٨.

([17]) Hamdy A. Hassan, Ahmad Al Rasheedy: Op. Cit., P. 32.

([١٨]) شوقي عطا الله الجمل: دور مصر في افريقيا في العصر الحديث، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٨٤م، ص ص ١٩٦-٢٠٠؛ انظر أيضاً: جمال حمدان: المرجع السابق، ص ص ٩٣٦-٩٣٧.

Hamdy A. Hassan, Ahmad Al Rasheedy: Op. Cit., P. 34.

([19]) Simon Jonas Augusto: Op. Cit., P. 105.

([20]) Yaekob Mekuria Abawari: Conflict and Cooperation among the Nile Basin Countries with Special Emphasis on the Nile Basin Initiative (NBI), M.A, Institute of Social Studies, The Hague, The Netherlands, 2011, P. 22. ,

وانظر أيضاً: حسن على الشريف: دراسة تاريخية لسياسة مصر المائية وموقف القوي الدولية والمحلية منها، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الافريقية، القاهرة، مصر، ٢٠٠٠م، ص ص ٢٥٦-٢٦١؛ دار الوثائق القومية، وزارة الخارجية، الإدارة الافريقية، بحث عن مياه النيل، المصدر السابق.

([٢١]) الصادق المهدي: مياه النيل الوعد والوعيد، الطبعة الأولي، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٠م، ص ٣٨.

([٢٢]) أسامة محمد سلام: الصراع على مياه النيل: أعظم تحديات مصر ما بعد الثورة، الطبعة الأولي، أمبريال بعابدين، القاهرة، مصر، ٢٠١٢م، ص ٢١٤.

(٢٣) أنس مصطفي كامل: نحو بناء نظام جديد للتعاون الإقليمي في حوض النيل، السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات الاستراتيجية والسياسية، القاهرة، مصر، العدد ١٠٥، ١٩٩١م، ص ص ١٩-٢٠.

(٢٤) أسامة محمد سلام: المرجع السابق، ص ١٧٨.

(٢٥) رشدي سعيد: مستقبل الاستفادة من مياه النيل إلى أين؟، الطبعة الأولي، مركز البحوث العربية، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، مصر، ١٩٨٨م، ص ص ١٠-١٤.

(٢٦) أسامة محمد سلام: المرجع السابق، ص ٢٠١؛ مغاوري شحاتة دياب: المرجع السابق، ص ١٢١.

(٢٧) محمد سلمان طايع: مصر وأزمة مياه النيل: آفاق الصراع والتعاون، دار الشروق، القاهرة، مصر، ٢٠١٢م، ص ص ١١٥-١٢٠.

Hamdy A. Hassan, Ahmad Al Rasheedy: Op. Cit., P. 31.

(٢٨) أيمن السيد عبد الوهاب: مياه النيل في السياسة المصرية: ثلاثية التنمية والسياسة والميراث التاريخي، سلسلة العلوم الاجتماعية، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦م، ص ص ٢٠-٢١.

(٢٩) دعاء زكريا: تنمية الموارد المائية فى الوطن العربي، دار كتاب Ktab INC، ٢٠٠٩م، ص ١٧.

(٣٠) أيمن السيد عبد الوهاب: المرجع السابق، ص ٢١.

(٣١) Hamdy A. Hassan, Ahmad Al Rasheedy: Op. Cit., P. 29.

(٣٢) نبيل فارس: حرب المياه فى الصراع العربي الإسرائيلي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٢٤٤؛ عفيف البرزى: إسرائيل والمياه العربية، دار الحقائق، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م، ص ١٥.

(٣٣) نهاد معاوية عكاشة هلال: دور المياه في تسوية الصراع العربي الإسرائيلي بالتركيز على اتفاقية أوسلو، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الاقتصادية، جامعة الخرطوم، السودان، ٢٠٠٣م، ص ٥٨.

(٣٤) أيمن عباس دياب: المرجع السابق، ص ١٦٢.

(٣٥) دار الوثائق القومية: وزارة الخارجية المصرية، محفظة رقم ٥٤٢، وثيقة رقم ٢، الأرشيف السري الجديد، وثيقة بشأن تدفق مياه الأردن إلى النقب، ١٩-١١-١٩٦٣م.

(٣٦) أسامة عبد الرحمن الأمين: التغلغل الإسرائيلي في إفريقيا إثيوبيا نموذجاً وأثره على دول حوض النيل الشرقي، مجلة دراسات افريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، السودان، العد ٤٩، ٢٠١٣م، ص ١٧٨.

(٣٧) آريه عوديد: إسرائيل وافريقيا: العلاقات الإسرائيلية الافريقية، ترجمة عمرو زكريا خليل، الطبعة الأولي، المؤسسة المصرية للتسويق والتوزيع (إدمكو)، القاهرة، مصر، ٢٠١٤م، ص ص ٨١-٨٢,

(٣٨) أيمن عباس دياب: المرجع السابق، ص ١٦٢-١٦٣.

(٣٩) نبيل فارس: المرجع السابق، ص ٢٧٢؛ محمد الشافعي، محمد يوسف: السد العالي: هرم الإرادة المصرية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٧م، ص ٢٧٣-١٧٤.

(٤٠) محمد النعمان: النيل أسيرا، قضايا عربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م، ص ص ٢٩٩-٣٠٠؛ انظر أيضاً: نبيل فارس: المرجع السابق، ص ٢٧٣.

(٤١) ناصر فياض: المرجع السابق، ص ص ٨١-٨٢.

(٤٢) محمد نبيل الشيمي: العلاقات الاقتصادية بين مصر ودول حوض النيل، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، مصر، العدد ١٥٨، ٢٠٠٤م، ص ص ٩-١١؛ حلمي شعراوي: كيف تفكر إسرائيل والولايات المتحدة في مياه النيل، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، مصر، ١٩٨٨م، ص ص ١١٩-١٢٢.

(٤٣) نهاد معاوية عكاشة هلال: المرجع السابق، ص ص ١٣٩-١٤٠.

(٤٤) طارق المجذوب: لا احد يشرب: مشاريع المياه في استراتيجية إسرائيل، الطبعة الأولي، شركة رياض الريس للنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م، ص ٨٠.

(٤٥) نهاد معاوية عكاشة هلال: المرجع السابق، ص ص ٤٠-٤١.

(٤٦) حنفي مصطفي حنفي: عشاق النيل، ببليوجرافيا شارحة لأربعة وستين كتاباً عن نهر النيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨م، ص ص ٤٥-٤٦.

(٤٧) Natan Aslake Ejigu: Construction of Grand Ethiopian Renaissance Dam on the Nile: Cause for Cooperation or Conflict among Egypt, Ethiopia and Sudan, M.A, School of Social Sciences and Humanities, University of Tampere, Finland, 2016, P.9.

وانظر أيضاً: أحمد على مصطفي حسين: إسرائيل ومياه النيل صراع لا ينتهي، مجلة شئون عربية، الأمانة العامة، جامعة الدول العربية، القاهرة مصر، العدد ١٦٠، ٢٠١٤م، ص ٢٠٥.

(٤٨) نهاد معاوية عكاشة هلال: المرجع السابق، ص ١٤٢.

(٤٩) أيمن عباس دياب: المرجع السابق، ص ١٦٥.

(50) Great Britain: IDWO 1226, Map of the Watershed between the Congo and the Nile, Ministry of Defense Maps, War Office General Staff Geographical Section, 1897.

(51) F.O: 881/6588, ,Memorandum by Sir Clement Hill Respecting the Congo State and the Nile Basin, confidential, Foreign Office, 24, Apr. 1895.

المصادر

المصادر العربية

١- أحمد على مصطفي حسين: إسرائيل ومياه النيل صراع لا ينتهي، مجلة شئون عربية، الأمانة العامة، جامعة الدول العربية، القاهرة مصر، العدد ١٦٠، ٢٠١٤م.

٢- أدولف أرمان: ديانة مصر القديمة، ترجمة عبدالمنعم أبو بكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م.

٣- آريه عوديد: إسرائيل وافريقيا: العلاقات الإسرائيلية الافريقية، ترجمة عمرو زكريا خليل، الطبعة الأولي، المؤسسة المصرية للتسويق والتوزيع (إدمكو)، القاهرة، مصر، ٢٠١٤م.

٤- أسامة عبد الرحمن الأمين: التغلغل الإسرائيلي في إفريقيا إثيوبيا نموذجاً وأثره على دول حوض النيل الشرقي، مجلة دراسات افريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، السودان، العد ٤٩، ٢٠١٣م.

٥- أسامة علي زين العابدين: مستقبل التعاون والتكامل السياسي بين دول حوض النيل في إطار السياسات المائية، مؤتمر آفاق التعاون والتكامل بين دول حوض النيل: الفرص والتحديات، في الفترة من ٢٥-٢٦ مايو ٢٠١٠م، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، مصر.

٦- أسامة محمد سلام: الصراع على مياه النيل: أعظم تحديات مصر ما بعد الثورة، الطبعة الأولي، أمبريال بعابدين، القاهرة، مصر، ٢٠١٢م.

٧- ألن مورهيد: النيل الأزرق، ترجمة نظمي لوقا، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٦٦م.

٨- أنس مصطفي كامل: نحو بناء نظام جديد للتعاون الإقليمي في حوض النيل، السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات الاستراتيجية والسياسية، القاهرة، مصر، العدد ١٠٥، ١٩٩١م.

٩- أيمن السيد عبد الوهاب: مياه النيل في السياسة المصرية: ثلاثية التنمية والسياسة والميراث التاريخي، سلسلة العلوم الاجتماعية، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦م.

١٠- أيمن عباس دياب: العلاقات المصرية الكونغولية ١٩٥٢-١٩٧٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنوفية، ٢٠١٥م.

١١- جمال حمدان: شخصية مصر، الجزء الثاني، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ١٩٨٧م.

١٢- جورج بوزنر وآخرون: معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة أمين سلامة، الطبعة الأولي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٩٦م.

١٣- حسن على الشريف: دراسة تاريخية لسياسة مصر المائية وموقف القوي الدولية والمحلية منها، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الافريقية، القاهرة، مصر، ٢٠٠٠م.

١٤- حلمي شعراوي: كيف تفكر إسرائيل والولايات المتحدة في مياه النيل، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، مصر، ١٩٨٨م.
١٥- حنفي مصطفي حنفي: عشاق النيل، ببليوجرافيا شارحة لأربعة وستين كتاباً عن نهر النيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨م.
١٦- دار الوثائق القومية: وزارة الخارجية المصرية، محفظة رقم ٥٤٢، وثيقة رقم ٢، الأرشيف السري الجديد، وثيقة بشأن تدفق مياه الأردن إلى النقب، ١٩-١١-١٩٦٣م.
١٧- دار الوثائق القومية، وزارة الخارجية، الإدارة الافريقية، بحث عن مياه النيل، محفظة ٣٤، ملف رقم ٥، ١٩٦٤/٧/٧م.
١٨- دعاء زكريا: تنمية الموارد المائية فى الوطن العربي، دار كتاب Ktab INC، ٢٠٠٩م.
١٩- رجاء إبراهيم سليم: الأزمة الكونغولية وتداعياتها، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات الاستراتيجية والسياسية، القاهرة، مصر، العدد ١٣٥، ١٩٩١م.
٢٠- رشدي سعيد: مستقبل الاستفادة من مياه النيل إلى أين؟، الطبعة الأولي، مركز البحوث العربية، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، مصر، ١٩٨٨م.
٢١- رشدي سعيد: نهر النيل نشأته واستخدام مياهه في الماضي والمستقبل، در الهلال، القاهرة، مصر ٢٠٠١م.
٢٢- رمزي سلامة: مشكلة مياه النيل في الوطن العربي احتمالات الصراع والتسوية، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠١م.
٢٣- سمير عبد الملاك منصور: اتفاقيات حوض النيل في ضوء أحكام القانون الدولي، آفاق أفريقية، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، مصر، المجلد ١١، العدد ٣٩، ٢٠١٣م.
٢٤- السيد فليفل: الأزمة المائية في حوض نهر النيل المسيرة والمصير، مجلة قراءات، القاهرة، مصر، العدد ٦، ٢٠١٠م.
٢٥- سيد محمد موسي حمد: مصر ودول حوض النيل، المجلد ٢٢٥ من تاريخ المصريين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر ، ٢٠٠٣م.
٢٦- شوقي عطا الله الجمل: دور مصر في افريقيا في العصر الحديث، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٨٤م.
٢٧- الصادق المهدي: مياه النيل الوعد والوعيد، الطبعة الأولي، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٠م.

٢٨- طارق المجذوب: لا احد يشرب: مشاريع المياه في استراتيجية إسرائيل، الطبعة الأولي، شركة رياض الريس للنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.
٢٩- عبد العظيم أبو العطا: نهر النيل: الماضي والحاضر والمستقبل، دار المستقبل العربي، القاهرة، مصر، ١٩٨٥م.
٣٠- عفيف البرزى: إسرائيل والمياه العربية، دار الحقائق، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.
٣١- مجلة افريقيا قارتنا: بحيرة فكتوريا، القاهرة، مصر، العدد ٣، ٢٠١٣م.
٣٢- محمد النعمان: النيل أسيرا، قضايا عربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م، ص ص ٢٩٩-٣٠٠؛ انظر أيضاً: نبيل فارس: المرجع السابق.
٣٣- محمد خميس الزوكة: جغرافية المياه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٨م.
٣٤- محمد سلمان طايع: مصر وأزمة مياه النيل: آفاق الصراع والتعاون، دار الشروق، القاهرة، مصر، ٢٠١٢م.
٣٥- محمد طلعت يدك: المسئولية المدنية عن الاضرار بمياه النيل، المؤتمر الخامس عن القانون والبيئة، في الفترة من ٢٣-٢٤ ابريل ٢٠١٨م، كلية الحقوق، جامعة طنطا، مصر.
٣٦- محمد نبيل الشيمي: العلاقات الاقتصادية بين مصر ودول حوض النيل، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، مصر، العدد ١٥٨، ٢٠٠٤م.
٣٧- محمود أبو العينين: ثورة ٢٥ يناير ومستقبل علاقات مصر بدول حوض النيل، أعمال المؤتمر الدولي، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، ٢٠١١م.
٣٨- مصعب عطية ذنون الزبيدي، أحمد حاشوش عليوي الحجامي: الجذور التاريخية لأزمة مياه نهر النيل حتى المبادرة المصرية لعام ١٩٩٩م، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، بحوث تاريخية، كلية التربية الأساسية، جامعة سومر، العراق، الجزء ٣، العدد ٣٠، ٢٠١٨م.
٣٩- مصعب عطية ذنون الزبيدي، أحمد حاشوش عليوي الحجامي: المرجع السابق، ص ١١٨.
٤٠- مغاوري شحاتة دياب: نهر النيل: بين التحديات والفرص، المنهل، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٢م.
٤١- مهند النداوي: إسرائيل في حوض النيل: دراسة في الاستراتيجية الإسرائيلية، المنهل، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٣م.
٤٢- ناصر فياض: اغتيال نهر النيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، سلسلة العلوم الاجتماعية، القاهرة، مصر، ٢٠٠٥م.

٤٣- نبيل فارس: المرجع السابق، ص ٢٧٢؛ محمد الشافعي، محمد يوسف: السد العالي: هرم الإرادة المصرية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٧م.
٤٤- نبيل فارس: حرب المياه فى الصراع العربي الإسرائيلي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٩٣م.
٤٥- نهاد معاوية عكاشة هلال: دور المياه في تسوية الصراع العربي الإسرائيلي بالتركيز على اتفاقية أوسلو، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الاقتصادية، جامعة الخرطوم، السودان، ٢٠٠٣م.
٤٦- هاني نبيل صبحي شراب: الأمن المائي العربي نهر النيل نموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، ٢٠١٥م.

المصادر الاجنبية

47- Arthur Okoth-Owiro: the Nile treaty State Succession and International Treaty Commitments: A Case Study of The Nile Water Treaties, Konrad Adenauer Foundation, Nairobi, Kenya, 2004.
48- F.O: 881/6588, ,Memorandum by Sir Clement Hill Respecting the Congo State and the Nile Basin, confidential, Foreign Office, 24, Apr. 1895.
49- Great Britain: IDWO 1226, Map of the Watershed between the Congo and the Nile, Ministry of Defense Maps, War Office General Staff Geographical Section, 1897.
50- Haitham B.A. Hassan, and Eitemad S.O. Mohamd: Egyptian Water Security in view of the Risks Emerged by Construction of the Renaissance Dam, Middle East Journal of Agriculture, Vol.7, Issue,3, 2018.
51- Hamdy A. Hassan, Ahmad Al Rasheedy: The Nile River and Egyptian Foreign Policy Interests, African Sociological Review vol. 11, No.1, 2007.
52- Natan Aslake Ejigu: Construction of Grand Ethiopian Renaissance Dam on the Nile: Cause for Cooperation or Conflict among Egypt, Ethiopia and Sudan, M.A, School of Social Sciences and Humanities, University of Tampere, Finland, 2016.
53- Simon Jonas Augusto: From Conflict to Cooperation in the Nile Basin, PhD. Swiss federal institute of technology, Zurich, 2003.
54- Winston S., Churchill: The River War, Graf Publishers, Carroll, New York, United State of America, 2000.
55- Yaekob Mekuria Abawari: Conflict and Cooperation among the Nile Basin Countries with Special Emphasis on the Nile Basin Initiative (NBI), M.A, Institute of Social Studies, The Hague, The Netherlands, 2011.

عزيز جاسم الحجية و آثرهُ في توثيق التراث البغدادي

أ.م.د كمال رشيد خماس العكيلي

جامعة بغداد / مركز إحياء التراث العلمي العربي

عزيز جاسم الحجية وآثرهُ في توثيق التراث البغدادي

أ.م.د كمال رشيد خماس العكيلي

الملخص

يُشكل التراث الشعبي العراقي بصورة عامة ، والبغدادي بصورة خاصة بأنهُ منظومة من المعارف الثقافية والمفاهيم المعرفية ، مستندة في تراكمها إلى عمق تاريخي . حضاري .

التراث : هو مجموعة من التقاليد والعادات الموروثة ، والآثار ، والثقافة ، وماينبثق عنهُ من الأنشطة الذي ينتقل من جيل إلى آخر .

لذا لابد تسليط الضوء على الكاتب والمؤرخ والفولكلوري الأستاذ عزيز جاسم الحجية ودورهُ في الترث البغدادي من خلال مؤلفهِ كتاب " بغداديات " الذي شمل مختلف العادات والتقاليد البغدادية والموروث الشعبي البغدادي الذي مارسهُ البغداديون في حياتهم اليومية .

تناول البحث سيرتهُ ، والأعمال التي زاولها ، ومؤلفاتهً ، ووفاتهِ ، فضلاً عن ماهية التراث الشعبي البغدادي ، والتعريف بمنهج كتابهِ " بغداديات " مع ذكر نماذج من الموروث الشعبي البغدادي في كتاب "بغداديات"

الكلمات المفتاحية : التراث البغدادي ، عزيز جاسم الحجية ، آثرهُ ، توثيق .

Summary

The Iraqi folklore in general, and Al-Baghdadi in particular, is a system of cultural knowledge and cognitive concepts, based on its accumulation to a historical-civilizational depth.

Heritage: It is a set of traditions, inherited customs, monuments, culture, and the activities that flow from one generation to another.

Therefore, the author, historian and folklore professor Aziz Jassem Al-Hajji, and his role in Al-Baghdadi heritage should be highlighted by his book “Baghdadyat”, which included various Baghdadian customs and traditions and the Baghdadi folk tradition that Al-Baghdadi practiced in their daily lives.

The research dealt with his biography, the works he practiced, his writings, and his death, as well as the nature of Al-Baghdadi's folklore, and defining the methodology of his book "Baghdadi" with

examples of popular legacy of Baghdadi mentioned in the book "Baghdadi"

المقدمة

يُعد تدوين التقاليد والعادات والخرافات والأهازيج والأمثال الشعبية من آثر في دراسة طبيعة المجتمعات وتطورها الحضاري وقد فطن الأوربيون قبل غيرهم من الشعوب إلى ضرورة تدوين هذهِ المظاهر الشعبية حتى بلغ الحماس ببعضهم فاطلق عليها علم المأثورات الشعبية ، وهناك آخرون سموها فن المأثورات فوضعوا لتدوينهِ أصولاً ومناهج ، وقعدوا لدراستهِ القواعد وحددوا الموضوعات التي ينبغي أن يتناولها هذا الفن ، وقد صار كثير من هذه المظاهر مصادر إلهام للشعراء والنحاتين والرسامين والموسيقيين وغيرهم.

لذا إن تدوين التاريخ الأجتماعي لمدينة بغداد يكون مملوء بموروث شعبي أصيل إنحدر إليهِ من الأجيال السالفة بكل ماجاءت بهِ من حكايات وكنايات وأمثال وحرف وصناعات ، وإن هذا الموروث الشعبي البغدادي ضُبط من أفواه العوام قبل أن ينطوي المخضرمين من البغداديين وتنطوي معهم صحائف رائعة من تراث بغداد الخالد .

وهكذا كان الباحث عزيز جاسم الحجية من الاشخاص الذين أحبوا هذا الفن وتأثروا به فبدأ يترقب ويجمع عن طريق مقابلاته للأشخاص ومن أفراد عائلتهِ كل مالهُ علاقة في حياة أهل بغداد في الزمن الماضي لمختلف المواضيع لأجل تصوير الحياة لمدينة بغداد قبل مائة عام ، الذي إستند إلى إسلوب الشفاهي معتمداً ذكر الحادثة عن طريق ذاكرة الناس التي حفظتها .

لقد وقع إختياري على كتاب " بغداديات" لأنهُ من أوسع الكتب التي ألفها الكاتب الحجية والتي جمع فيها الموروث الشعبي البغدادي بكل تفاصيله أي ذكر فيه كل شاردة وواردة لاسيما طبائع والعادات والتقاليد التي تعكس الحياة البغدادية لمدينة بغداد بأجزائهِ السبعة .

أولاً : سيرته

عزيز جاسم محمد خلف الحجيةكاتباً وباحثاً ومؤرخاً ذات شخصية بغدادية فلوكلورية تراثية .

كانت ولادتهُ في مدينة بغداد بمحلة حمام المالح في شهر رمضان عام ١٩٢١ ، تعلم القراءة والكتابة منذُصغرهِ بدأ تعليمهُ بالقرآن الكريم على يد " الملا أبراهيم والملا رجب " في محلتهِ ، والملا " مهناية " التي ذاعت شهرتها ، لاسيما كان عمل أخوتهِ في سوق الصفافير قريب من سوق الخفافين فدرس مبادىء الحساب وقواعد حُسن الخط في سوق الخفافين على يد الخطاط " الملا عارف الشيخلي " ومن ثُم أكمل تعليمهُ في مدرسة الفضل الأبتدائية للبنين ، وأكمل المتوسطة في مدرسة الغربية للبنين ثُم إلتحق بالدورة الأولى في مدرسة الثانوية العسكرية بتاريخ ٢٧ / ١٢ /١٩٣٨ ثُم بعدها دخل الكلية العسكرية فتخرج ضابطاً في ١ / ٧ / ١٩٤٢ وكان ضابطاً للألعاب القوة الجوية وعند إندلاع حرب فلسطين نُقل الحجية إلى جبهات القتال بناءاً على طلبهِ لمشاركة أخوانهِ في جبهات القتال وأستمر في الجيش فوصل إلى رتبة عقيد عسكري ، وبعدها أُحيل على التقاعد بتاريخ ١٥/ ٢/ ١٩٦٣ .[١]

كان الحجية مُحباً للأدب والألعاب ، أستوحى حبهُ إليها من خلال معايشتهُ إلى إبن عمتهِ الشهيد " نعمان ثابت عبد اللطيف " متأثراً بهِ فقد كان ضابط ركن وشاعر ومؤرخاً فلهُ ديوان شعر الموسوم " شقائق النعمان " وقد طبع بعد إستشهادهِ فيقول " كنتُ أسهر معهُ وهو يقرأ ويكتب ولما تقدمت بالدراسة أخذَ يكلفني بتبيض المسودات " وعلى حدِ قول الحجية ، ومن هنا لقد تحسن خطي في الكتابة[٢] .

حول علاقة الكاتب الحجية بوالدتهِ كان يحبها ويعشقها فتقول أبنتهُ دنيا عنهُ " ... نستمع إليهِ حين يوصفها بضفائرها القصيرة ولون عيونها الزرقاء وقصر قامتها وفي أيام الشتاء يسرد لنا قصة عنها وهو في الصف الخامس الأبتدائي حاول أن يشرح لها كيف يتكون المطر وكيف يتبخر ويتجمع .... فتنهر بهِ أسكت .. أسكت .. المطر بخار أبني أنت تسمع وتقصد صوت الرعد هاي رجلين الجني بالسما يمشي وينزل المطر .. أشلون تكول المطر بخار ومن حبهِ لوالدتهِ سمى أبنتهُ الكبرى " حياة " على أسم والدتهُ " [٣]

أما حياتهُ الأجتماعية فقد تزوج في عام ١٩٥٠ وذلك بعد سنتين من وفاة والدتهِكانت ذريتهُ البنات وعلاقاتهُ مع بناتهِ كانت جيدة تقول إبنتهُ " كان ولايزال مثلي الأعلى وفي بداية حياتي وبعد أن وعيت على الدنيا ...أبي عسكرياً علمنا الوطنية والقوة والصلابة والنظام والترتيب فهو المعلم الاول في حياتي كرياضي زرع حب الرياضة وعلمنا السباحة من نعومة أظفارنا وكان يشجعنا بالأنخراط إلى فرق الكشافة واللوحات الرياضية ودفع شقيقتي الثالثة زينة في مجال التنس أخذت بطولات في التنس الفردي والزوجي ودربها بالقفز للماء وحصلت على عدة ميداليات ، وكباحث بغدادي علمنا حب بغداد وتراثها العادات والتقاليد الأصيلة حفظنا الأمثال لأنهُ كان في حديثهِ يستعين بالأمثال .. وكان معلماً ومرشداً علمنا مواجهة مصاعب الحياة والحزم والقرار الصائب لتجاوزها . " (٤)

ثانياً :الأعمال التي زاولها

زاول الكاتب الحجية أعمال عدة منذُ صغرهِ لإعالة عائلتهِ مما جعلهُ يتقلب في أعمال ووظائف ومهن كثيرة،ففي بداية عملهِ كُلف بجمع الديون الأسبوعية من الزبائن المدينين لأبيهِ ، في أسواق بغداد كل يوم جمعة ، وفي وقت العصر يشتغل في الخان بخدمة الزوار والضيوف في محلهم في الخان لكي لايلهو ويعبث ، وذلك ليومي الثلاثاء والجمعة من كل أسبوع أما باقي الأسبوع يذهب للدراسة على يد الملا أو العمل في مجالات آخرى كصبغ الملابس ونشرها على الحبال ، أو العمل في دكان لبيع السكائر والنراكيل في محل الحجي " صالح " بملىء السكائر ودكمها أو ثرم تبغ النركيلات وتجهيزها في أكياس الشخاط الفارغة ، أو يذهب إلى مسجد عطا الصغير المقابل لبيتهم ليخدم في المسجد مع الرجل الهندي المُقيم في المسجد الذي جاء إلى بغداد مرافقاً للعلامة " غلام رسول الهندي"(٥).

وفضلاً عن ذلك باشر بمختلف الوظائف الحكومية بعد تخرجهِ أيضاً من كلية الحقوق فعمل محامياًوكذلك عمل بالتجارة والأستيراد والتصدير وعمل صحفياً ومحرراً في مجلة "الوادي "وشاعراً ولاسيما مشاركاً وبائعاً في دكان حلويات الشكرجي ، علاوةً على إنهُ عمل مجهزاً للأقمشة أيام التموين إلى مدينة المحمودية وشريكاً في مخبز في سوق الشاوي ، وسائقاً للتاكسي ، وبائعاً للنفط الأبيض والأسود ، وعمل وكيلاً عن شركة النفط ومديراً لمحل القطن في ناحية العزيزية جنوب بغداد ، ومديراً لمعمل القطن الطبي في الوزيرية ، وخبيراً

في شركة الغزل والنسيج ، وكذلك مديراً لمكتب أنباء العالم العربي في بيروت وفضلاً عن ذلك إنهُ عمل مديراً لرواتب المتقاعدين ومدوناً قانونياً في وزارة العدل ومفتشاً عدلياً ووكيلاً للفنادق ومستخدماً فيها[٦] .

ومن الوظائف التي تقلدها الحجية عُين في اللجنة الأولبية الوطنية العراقية أول سكرتير متفرغ في حزيران عام ١٩٧١ وإنتهت خدماته بها في آب عام ١٩٨٢.وكذلك عُين محرراً في مجلة " الفروسية " في تشرين الأول عام ١٩٨٤ وأنتهى عقدهُ في حزيران عام ١٩٨٧ بسبب إحتجابها عن الصدور [٧].

ثالثاً : مؤلفاته

ألف الباحث الحجية "٢٠" كتاباً بمواضيع عدة وكذلك بحوث نُشرت بمجلات علمية رصينة ومجلات تراثية منها لا الحصر :[٨]

- كتاب " بغداديات" يصور الحياة الأجتماعية والعادات البغدادية خلال مائة عام وصدرت بـ "٧" أجزاء وبسنوات مختلفة منذُ عام ١٩٦٦ صدر الجزء الأول وتليه الجزء الثاني عام ١٩٦٨، والجزء الثالث ١٩٧٣، والرابع ١٩٨١، الخامس ١٩٨٥، والسادس ١٩٩١، والجزء السابع عام ١٩٩٩ .
- كتاب وعد بلفور ، عام ١٩٦٧.
- كتاب الشيخ ضاري : قاتل الكولونيل لجمن في خان النقطة وهو كتاب " مشترك" مع الكاتب عبد الحميد العلوجي ، العراق ، بغداد ، مكتب العلوجي عام ١٩٦٨.
- كتاب الأمثال والكنايات في شعر الملا عبود الكرخي عام ١٩٨٦.
- بحث " الدعاء في معرض الخير والشر " في مجلة التراث الشعبي ، العدد ١، عام ١٩٧٠.
- بحث " النذور البغدادية " بمجلة " التراث الشعبي ، العدد ١. ٤، عام ١٩٧٤.
- بكائيات بغدادية ، بحث " اليشماغ والجراوية " وزارة الأعلام ، المركز الفولكلوري ، عام ١٩٧٥.
- بحث " الأحلام والرؤى عند الأقدمين نصوص مختارة " بمجلة المورد ، مجلد ٢٠، العدد ٢، عام ١٩٩٢.

. مؤلفاتهِ العسكرية :

. كُراس " الأشتباك القريب " عام ١٩٥٠.

. كُراس " أرم لتقتل " عام ١٩٥٢

. كُراس " أقتل لئلا تُقتل " عام ١٩٥٥.

. كُراس " أنوار كشافة على سباحة المسافات الطويلة " عام ١٩٥٦.

. كُراس " مع أبطال سباحة المسافات الطويلة " عام ١٩٥٧.

. . كُراس " السباحة فن ومتعة " عام ١٩٥٩.

رابعاً : وفاته

توفي المؤرخ والكاتب الأستاذ عزيز جاسم الحجية في سنة ٢٠٠٢م عن عمر يناهز ٩٤ عاماً[٩]

خامساً : التراث الشعبي البغدادي في نظر عزيز جاسم الحجية

لابد من تعريف " التراث " لغةً وإصطلاحاً ، فيُعرف لغةً : من ورث ، الواو والراء والثاء ، كلنة واحدة هي الورث ، والميراث أصلهُ الواو ، وهو أن يكون الشيء لقوم ثُم يصير إلى آخرين . (١٠) وورد في لسان العرب من ورِث الشيء يَرثهُ ورثاً ، وورثة ووراثة وأراثة ، وقال إبن سيده : والورث ، والإرث ، والتراث ، والميراث : ماورث وقيل الورث والميراث في المال والإرث في الحسب . (١١)

أما إصطلاحاً : هو ماتراكم عبر الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وفنون وعلوم في شعب من الشعوب وهو جزء أساس من قوامهِ الإجتماعي ، والأنساني ، والسياسي ، والتاريخي ، والخلقي ، يوثق علاقتهِ بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائهِ .(١٢)

ويُعد التراث رمزاً للهوية والأنسانية الخاصة بالشعوب المختلفة وخاصةً الجماعات الأقلية التي تعتبرهُ رمزاً للمعرفة التي توصلت لها ، والتي تناقلتهُ وأعادت تكونية ، كما وتعتبرهُ رمزاً مرتبطاً بالأماكن الثقافية التي لايمكن التخلي عنها .

وإن تراث كل قوم هو نتاج حياتهم وبيئتهم وعلى أساسهِ تُدرس السيرة اليومية للفرد ، ويساهم التراث في تعزيز الروابط مابين الماضي والمستقبل كما إنهُ يساعد على إستمرارية المجتمعات وتغيير هيكل المجتمع ليصبح أكثر سمواً ورفعة .

ويحتل التراث مكانة مهمة في حياتنا لأنهُ يزيد من التماسك الأجتماعي وتعزيز السلام مابين الجميع فالتراث هو مصدر الهوية الوطنية للأنسان .وهو الآثر الناتج عن الفعل التاريخي الأنساني في مختلف أبعادهِ ، فالتراث هو المُعين الثري الذي لاينضب من المعرفة ، والتراث في الحضارة بمثابة الجذور في الشجرة أقوى وأثبت وأقدر على مواجهة تقلبات الزمن ، ويُفهم على إنهُ خلاصة ماتخلفهُ الأجيال السالفة للأجيال اللاحقة أو مايخلفهُ الأجداد كي ينهل منهُ الأحفاد ، ويضيف إليهِ جيل بعد جيل من خبرات حياتهِ وحاجاتهِ(١٣)

والتراث الشعبي علم من العلوم الأنسانية لهُ وظيفتهُ الأجتماعية في حياة الأنسان ، ولاتفهم هذهِ الوظيفة إلاّ على ضوء دراسة التقاليد الأجتماعية لها ، فاذا تغيرت الحياة الأجتماعية ، غابت بعض التقاليد والعادات وإختفت ، ولكن هذا لايمنع من ظهور تقاليد جديدة تؤدي وظيفة جديدة (١٤).

وهناك من يُعرف التراث الشعبي : هو عادات الناس وتقاليدهم ومايُعبرون عنهُ من أرآء وأفكار ومشاعر يتناقلونها جيلاً عن جيل كالحكايات والأساطير وقصص الجن وقصص البطولة والمغامرات والأشعار والقصائد المتغنى بها ويشتمل على الفنون والحرف وأنواع الرقص واللعب والأغاني والأمثال السائرة والألغاز والمفاهيم الخرافية والأحتفالات والأعياد الدينية هذا الشق من التراث لايقل أهمية عن التراث الثقافي والطبيعي فهو يخلد ذاكرة الوطن وهويتهِ لأنهُ يرتبط بالمأثورات الشعبية والمعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون (١٥).

وحول الإشارة لإهتمام الباحث الحجية بجمع التراث الشعبي البغدادي وتخصصهِ بهِ متأثراً بوالدتهِ وكل ماتمارسه في حياتها اليومية أستطاع أن يثبتهُ على الورق من خلال إصدارهِ كتابهِ " بغداديات" بقولهِ " لأني بغدادي بالولادة . أحب بغداد وأعتز بمحلتي و " دربونتنا " وأبناء الطرف ، ولأنني أشعر بسعادة ونشوة كلما كتبت موضوعاً في التراث حيث أتذكر المرحومة والدتي ، فإذا ذكرت البيت البغدادي تصورتها أمامي وهي تنقل الماء

بالسطول إلى السطح العالي لرش السطح الذي كان مرشوقاً بالطين " الحري " وإذا ذكرت العيد تخيلتها مشغولة بتهيئة عدة عمل " الكليجة " ولوازمها "[١٦]

ويُضيف أيضاً حول كتابتهِ لترانيم الأمهات في كتابهِ " بغداديات " بقولهِ " وإن كتبت موضوع ترانيم الأمهات تمثلتها أمامي وهي تربت على كنف أبنة أخي وهي تترنم بترنيمتها المحببة : نامي وأنا أهديلج والعافية من الله تجيليج "[١٧]

وكما هو الحال لتطرقهِ إلى " الطب الشعبي " فيقول " وإذا تطرقت إلى الطب الشعبيشعرت بحرارة "العطابة " وهي تضعها على " الفشخة " التي أصابت رأسي ولازال آثرها ظاهراً حتى الآن "[١٨]

وكذلك إن إهتمام الباحث الحجية بالتراث الشعبي لمدينة بغداد لما تضمنهُ من عادات وتقاليد الناس ومايعبرون عنهُ من آراء وأفكار ومشاعر التي تتناقل بين جيل وآخر ، من حكايات ومغامرات وأشعار وقصائد مُغناة وبعض الحرف وأنواع الرقص واللعب والأغاني والأمثال وبعض المفاهيم الخرافية والأحتفالات والأعياد الدينية لذا إنهُ لايقل أهمية عن التراث الثقافي .

وإن توجه الحجية لهذا الجانب بالذات لأن الموروث الشعبي هو جزء مهم من تاريخ وثقافة الشعوب التي تستمد منها تلك الشعوب عقيدتها وتقاليدها وقيمها الأصيلة ولغتها وأفكارها وممارسة أسلوب حياتها الذي تُعبر عن ثقافتها وهويتها الوطنية . وهو جسر التواصل بين الأجيال .

لذا توجه الباحث الحجية الأهتمام بهذا الجانب الذي يُبين فيه فطنة وذكاء وطيبة أهل بغداد التي تضمنت العديد من العادات والتقاليد والمهن التي كان يزاولها الأهالي فضلاً عن أحداث التاريخ التي وقعت في حوادث الأمثال ، فرأى الحجية الواجب من تسجيلها وتدوينها واجباً وطنياً مهماً للأجيال . وقد كان شخص دمث الخُلق مع الكبير والصغير دائم العمل لايهدأ ويملىء وقتهُ بالبحث والكتابة مما دعاهُ لتسجيل الكثير من العادات والأشياء والمكانات والشخوص البغدادية [١٩].

لذلك يقول الأستاذ الحجية " والذي دفعني إلى أن أنكب على تسجيل تلك الصور الحيّة من مجتمعنا البغدادي هو خوفي من إندراسها حيث بدأت بواكير ذلك جلية واضحة بهجر

المحلات الأصلية والأنتقال إلى مناطق الإسكان الحديثة وبهذا فقدنا ركناً أساسياً وهو " رابطة المحلة " التي تربط أبنائها ببعضهم "[٢٠]

ويضيف أيضاً بقولهِ " كما إن غزو الأدوات الكهربائية البيوت كالثلاجة والمبردة والغسالة أبعدت عن أذهان الكثير من أبناء بغداد " سلة حفظ العشاء " و " التنكة " بغطاء فمها المطرز بالنمنم الملون وجعلتهم يتناسون " الحِب والبواكة وهي الناكوط " والسرداب " ببادكيراته " البديعة "[٢١]

لأهمية التراث الشعبي البغدادي قد لقى إهتمام من قبل السياح الأجانب فيقول الحجية حول ذلك " والتراث الشعبي في بغداد بل في العراق هو مايلفت أنظار السياح الأجانب فمنتجات الصابئة في شارع النهر ومنتجات سوق الصفافير لها صفقة رابحة لدى الأجانب كما تجلب للعراق عُملة نادرة نحن في حاجة إليها بالوقت الحاضر لبناء عراقنا الحبيب "[٢٢]

وقد كانت بدايات إهتمام الباحث الحجية ونتاجهِ فيما يخص التراث " الفولكلور" هو إهتمامهِ وحبهِ للأمثال الشعبية البغدادية لأنها مرآة تعكس صور المجتمع البغدادي على حدِ قولهِ . وذلك في عام ١٩٤٣ إلاّ إن هذهِ الأمثال التي جمعها ببطاقات لم تظهر للناس بسبب تعرضها للتلف بسبب سيول نهر دجلة فقد أغرقت معسكر الرشيد وكان فيهِ حينذاك المرحوم اللواء الركن "عبد المطلب الهاشمي " معلماً الذي تلقى هذهِ البطاقات الخطية كهدية من قبل الباحث الحجية لأنهُ سبقهُ في جمع الأمثال[٢٣]

وعلى الرغم من حب الكاتب وولعهِ للأمثال الشعبية التي تحمل صفات آبائنا وأجدادنا التي لازالت موجودة في الوقت الحاضر عاد الباحث بجمع مايخص الأمثال الشعبية مرة ثانية ولكن بطريقة جديدة من خلال بيان معناها وطريقة إستخدامها أي إنهُ يسّرد بمنهجية عالية للقصة الأجتماعية التي صاغ فيها الأمثال.وعن ذلك وضع تمثيلية شعبية تعالج مشكلة إجتماعية تحدث في العراق وقد ضمت "٤٠٠" مثل وكناية وقد سماها "المايوني يغرك " وقد رأى الحجية إن تسجيلها وتدوينها واجباً وطنياً مهماً للأجيال وجمع التراث الشعبي للبلد وقد إعتمد طريقة جديدة مبتكرة في تفسير الأمثال العامية البغدادية وهي الطريقة التي إتبعها وإنتهجها وأعتمدها بعض الباحثين في الشأن البغدادي [٢٤].وهي طريقة جميلة ذات أبعاد وأسس مبدعة صحيحة لاقت قبولاً ورضا وإستحسان عند القارىء .

ولسعة إطلاع الحجية على " المأثورات الشعبية " خلال مائة السنة الأخيرة من تاريخ العراق فقد جمع الحجية معلومات طريفة وقيمة وشواهد تراثية التي إستقاها شفاهاً عن أشخاص إلتقى بهم في حياتهِ اليومية بقولهِ " لقد رحت أسعى لتحقيق ماجمعته من معلومات من أقاربي الشيوخ والعجائز ومن أبناء الطرف والأصدقاء والمعارف أمد الله في أعمارهم جميعاً حيث تراني تارةً في سوق الغزل أسال عن " شؤون المطيرجيّة " وتارةً في الدهانة أسال العطارين عن " الجويفة والسفوف والكبلي وغيرها " وآخرى تراني مُجالساً " الازعرتي " في دكانهِ أسألهُ عن أدوات الختان وعن الدواء الذي كان مستعملاً في مداواة الجرح أو تراني قابعاً في ظل الله عطيه أسالها عن الجاينة والعدادات وغيرها "[٢٥]

فضلاً عن مانقلهُ عن حياتهِ الخاصة لذا لجأ إلى تدوينهِ هذا التراث الشعبي بقولهِ " عادت بي الذكرى إلى إيام صباي وأنا أراقب إبنتي تلعبان " التوكي " فتذكرت " دربونتنا " وتذكرت الألعاب التي كنت ألعبها مع أقراني حينذاك ... فقررت أكتب شيئاً عن التراث الشعبي مسودات فاذا بهِ الهيكل الأساسي للكتاب "[٢٦]

ولم يقتصر الباحث الحجية عن المصادر الشفوية التي تمت بطريق المقابلات للأشخاص ذات العلاقة بالموضوع من الأقارب والغرباء لاسيما إعتمد على بعض المصادر التي تناولها من مختلف المكتبات ذات المصادر العلمية الرصينة كمكتبة المرحوم خالهِ عبد الستار القره غولي والمكتبة الوطنية ومكتبة المتحف العراقي ، علاوةً عن رأي الأستاذ عبد الحميد العلوجي بإرشادهِ إلى بعض المصادر في الدول العربية التي تتناول هذهِ المواضيع[٢٧].

وقد كرس الحجية حبهُ للتراث النابع من حبهِ لوالدتهِ وهو يسمعها تشدو بترانيم وأمثال بغدادية ، فقام بجمع وتدوين معلومات التراث الشعبي لمدينة بغداد والتي إستقاها من مصادر مختلفة بأسلوب بغدادي كي يحافظ على بغدادية المواضيع بعد تبسيطها ، ويصور ببراعة فائقة وحساسية مرهفة الحياة الأجتماعية والتقاليد والعادات البغدادية خلال مائة عاملاسيما يصور جوانب هامة من حياتنا الشعبية إستطاع أن يحصرها ويجمعها ويقدمها بين دفتي هذا الكتاب بأسلوب لذيذ وطريقة محكمة وإستيعاب شمولي ولغة أدبية ممتازة، وقد إستوعب في كل فصل مجالات حيّة عامرة في الحياة البغدادية الأمر الذي جعل الكتاب رحلة ممتعة في

أجوائنا الشعبية ، وهكذا إستطاع أن يصدر كتابهِ " بغداديات "[٢٨] الذي وثق بهِ التراث الشعبي البغدادي يبحث فيها الحياة البغدادية القديمة حسب رؤية الشخصية البغدادية التراثية بكل تفاصيله ودقتهِوبهذا تكون الكتاب من سبعة أجزاء وبطبعات عدة .

وقد كان صدور الجزء الأول من كتاب بغداديات حدثاً أدبياً قل أن حظي بهِ كتاب آخر ، لذا كُثر الإقبال عليهِ ليس في العراق والبلاد العربية حسب بل في أكثر الأقطار الأجنبية ومعاهدها الثقافية التي تعني بالتراث الفولكلوري للشعوب لذلك نفدت في أسابيع قليلة جميع نسخ الكتاب ، وهي خير مكافأة نالها الأستاذ عزيز الحجية على مابذل من صبر وجهد وتتبع ومراجعة وأسفار في سبيل إصدار هذا الجزء من "بغداديات" الذي أحيا بهِ ذكريات كانت راقدة عن بغداد وعن أهالي بغداد خلال مائة عام[٢٩] .

أما صدور الأجزاء بسنوات عدة كالآتي :

. صدر الجزء الأول من مكتبة دار الكندي ، بغداد ، ١٩٦٦

وصدر الجزء الثاني بمطبعة شفيق ، ١٩٦٨.

أما الجزء الثالث صدر من دار الحرية للطباعة ، مطبعة الجمهورية ، بغداد ، ١٩٧٣.

والجزء الرابع صدر من وزارة الثقافة والأعلام ، ١٩٨١.

والجزء الخامس صدر من وزارة الثقافة والأعلام ، ١٩٨٥.

والجزء السادس صدر من وزارة الثقافة والأعلام ، ١٩٩١.

وأخيراً الجزء السابع صدر من وزارة الثقافة والأعلام ، ١٩٩٩.

سادساً : منهجهُ في كتاب بغداديات

إعتاد الباحث عزيز جاسم الحجية في كتابهِ القيم " بغداديات " الذي جمع منهُ الموروث الحضاري الشعبي لمدينة بغداد والذي إحتوى مواضيع تراثية شعبية مختلفة لذا إتبع منهجاً لكل جزء من الأجزاء التي صدرها وبسنوات مختلفة كالآتي :

يفتتح الحجية الجزء الأول من كتابهِ " بغداديات " بمقدمة بسيطة يُبين فيهِ سبب تأليفهُ للكتاب فضلاً عن ذكرهِ للمصادر التي إستقى منها معلوماتهِ ، مع ذكرهِ لبعض الأقوال لمؤلفين يهتمون بالتراث الشعبي قول للأستاذ عثمان الكعاكفي كتابهِ " المدخل إلى علم الفولكلور " يقول " وإذا كان بعض الناس يتصور الفولكلور طريقة لإظهار الشعب في أقبح

صورة فأن ذلك من رواسب الأستعمار الذي جعل الشعب يتنكر انفسهِ . أما وقد زال الأستعمار فلابد من إعادة القيم الشعبية ، تصحيح الأوضاع وإحلال كل شيء في المحل اللائق بهِ ، وما نهضت شعوب أوربا في القرن الماضي إلاّ على أساس إحياء الفولكلور..."[٣٠]

فضلاً عن ذلك لقدتفرّد الباحث الحجية في منهجهِ بإعطاء فكرة في مقدمة كتابهِ عن تهيئتهِ للإعداد الجزء الذي يلي الجزء الذي تم صدورهُ من خلال جمعهِ " للجزازات " وفق موضوع ذلك الجزء بقولهِ " بعد أن صدر الجزء الثالث من كتابي بغداديات شرعت بتفريق وتنسيق ماعندي من جزازات وفق موضوعها لتهيئة الجزء الرابع شأني في صناعة كل جزء من الأجزاء السابقة . وقطعت شوطاً بعيداً لاسيما في موضوع الملابس التي كادت تقارب الكمال ، ورأيت إخراجها بجزء خاص .."[٣١]

وكما هو الحال بالجزء الآخر فيقول " بعد أن قدمت مسودة الجزء الرابع من كتابي " بغداديات " إلى وزارة الثقافة والأعلام ، عدتُ إلى ماجمعتهُ من معلومات حول مضامين الجزء الخامس لتنسيقها وتحقيق بعض مايحتاج إلى تحقيق من مصادر آخرى . ويبدو إن هذا الجزء أسهل مما سبقهُ من أجزاء .... وها إنني أعمل جاهداً لإعداد الجزء السادس ، ومما يدفعني إلى الإسراع في جمع مواد البحر الضخم الذي ولجتهُ بحر " بغداديات " ...خشيتي من نضوب المصادر التي إعتمدتها لأني أستقي مادة " بغداديات " من أفواه المعمرين من أفراد عائلتي وأقربائي وأبناء الطرف والأصدقاء الذين نكتنز ذاكرتهم بمعلومات لابد من تسجيلها ، إذ بدأوا يتساقطون كأوراق الأشجارفي فصل الخريف "[٣٢]

وأستمر الكاتب الحجية بأصدار أجزائهِ المتسلسلة إلاّ إنهُ توقف عن إصدارهِ للجزء السادس لاسيما وإنهُ مصنف " الجزازات " حسب مواضيعها مُعللاً ذلك بقولهِ " ...إنني تأخرتُ في هذهِ المرة حيث حققت خلال الفترة بين الجزئين الخامس والسادس كتابي الموسوم " الأمثال والكتابات في شعر الملأ عبود الكرخي " وكان ذلك العمل تنفيذاً لمقترح قديم تقدم بهِ أحد الأدباء الأصدقاء الناقدين نقداً بناءً منذُ صدور الجزء الأول ، فظل ذلك الأقتراح يرن في أُذني لأنهُ إقتراح وجيه ، فحواه العبور إلى " صوب الكرخ " ."[٣٣] وقد ثبت الكاتب في مقدمة كتابهِ للجزء السادس مانص بهِ نقد أحد الأدباء للحجية بقولهِ " إن معظم ماتناولتهُ في

الجزء الأول من " بغداديات" كان ينحصر ضمن المنطقة التي كنت تعيش فيها أنت وعلاقتك العائلية . حمام المالح ، القراغول ، المهدية ، السيد عبد الله ، الفضل وغيرها . فوعدتهُ خيراً وشكرتهُ على ذلك الأقتراح الجيد الذي عملت بهِ إبتداءً من الجزء الثاني حيث أدخلت في كل موضوع مايخص الكرخيين أيضاً "[٣٤]

وعلاوةً على ذلك إتبع الحجية منهجاً في كتابة كتابهِ " بغداديات " لم يتبعهُ غيرهُ وهو تثبيت بعض رسائل زملائهِ الذين أرسلَ لهم كتابهِ والتي تضمنت المدح والثناء وبعض التعليقات مرتباً ذلك حسب تسلسل تواريخ وصولها لهُ بقولهِ " ومن دواعي الغبطة والأفتخار أن أثبت في كل جزء من أجزاء مجهودي المتواضع "بغداديات " مايصلني من رسائل الأخوة الأدباء لتدفعني إلى المضي قدماً إلى ماأصبوا إليهِ من تسجيل الحياة الأجتماعية البغدادية ، كي يطلع عليها أبناؤنا وأحفادنا ويشبعوها درساً ومقارنة بما هم عليه في أحوالهم الحاضرة ..."[٣٥]

ويُثبت أيضاً بقولهِ " وها إنني أُسجل رسائل الأخوة حسب تسلسل تواريخ وصولها شاكراً لهم ماتفضلوا بهِ من عبارات الثناء والتهنئة داعياً المولى القدير أن يمكنني من إكمال مابدأت ..."[٣٦]

وبهذا سوف أثبت الرسائل التي وجهت للكاتب عزيز جاسم الحجية ، وما لقى من صدى في وسائل الأعلام كا الصحف والمجلات وذلك إزاء الدور الكبير الذي لعبهُ في جمع وتوثيق وتحليل تراث مدينة بغداد كالآتي:

. ماكتب في مجلة " المكتبة " من قبل الأستاذ مهدي القزاز ، في العدد " ٦٧" للسنة التاسعة بتاريخ ، كانون الأول ١٩٦٨، تحت عنوان " بغداديات الجزء الثاني "[٣٧] .

. كُتب في مجلة " الأقلام " التي تصدرها وزارة الثقافة والأعلام في عددها " الخامس" للسنة الخامسة ، كانون الثاني ١٩٦٩[٣٨].

. رسالة الباحث كوركيس عواد بتاريخ ٣١/ ١ / ١٩٦٩[٣٩].

. رسالة الشيخ جلال الحنفي من " بكين " الصين الشعبية بتاريخ ١٢ / ٣ / ١٩٦٩[٤٠].

. رسالة المحامي يوسف روفائيل منصور بتاريخ ٥ / ٥ /١٩٧٠ [٤١].

. رسالة الباحث ميخائيل عواد بتاريخ ١٨ / ١ / ١٩٨٢[٤٢].

. رسالة الباحث المحقق كوركيس عواد بتاريخ ٢٣ / ١ / ١٩٨٢[٤٣].

ـ نشر مقالة في جريدة " بغداد " في عددها " ٦٩" الصادر في ١٦/ شباط / ١٩٨٢ تحت عنوان " جولة آخرى مع بغداديات " للأديب الفنان " ناجي جواد " [٤٤].

. رسالة السيد عدنان شاكر علي بتاريخ ٣٠ / ١ / ١٩٨٢[٤٥].

. رسالة الأستاذ عزيز عارف بتاريخ ١٥ / شباط / ١٩٨٢[٤٦].

ـ كتب الصحفي عبد القادر البراك في مجلة " ألف باء " تحت عنوان " أطرف كتاب عن التراث البغدادي "[٤٧]

. رسالة المحقق عبود الشالجي من " بحمدون / لبنان " بتاريخ ٣/ مارس / ١٩٨٢[٤٨].

ـ كتب في جريدة " العراق " تحت عنوان " بغداديات " الجزء الرابع ، في العدد " ١٨٤٩" ، بتاريخ آذار / ١٩٨٢[٤٩].

. رسالة الباحث ميخائيل عواد ، بتاريخ ١٢ / ٢ / ١٩٨٦[٥٠].

. رسالة الأديب طارق الخالصي ، بتاريخ ١٢ / ٢ / ١٩٨٦[٥١].

. رسالة الأستاذ حسين شعبان ، بتاريخ ١٦/ ٢ / ١٩٨٦[٥٢].

. رسالة المحقق كوركيس عواد ، بتاريخ ٢١ / ٢ / ١٩٨٦[٥٣].

. رسالة الأستاذ حسان علي البازركان ، بتاريخ ٢١ / ٢ / ١٩٨٦[٥٤].

ـ رسالة المحقق عبود الشالجي من " ليماسول / قبرص " بتاريخ ، ١٢ / آذار / ١٩٨٦، وبعث أيضاً رسالة آخرى بتاريخ ٢١ / آذار / ١٩٨٦ ، وقد شملت هذه الرسالة كثير من التعليقات والتوضيحات للجزئين الخامس والأول مشيراً إلى الصفحات التي تناولها بتعليقاتهِ لأجل التوثيق [٥٥].

. رسالة الأستاذ عبد الحسين الجمالي بتاريخ ٣٠ / ٤ / ١٩٨٦[٥٦].

. في جريدة " العراق " نشرت مقالة بعنوان " ملاحظات على كتاب بغداديات " للأستاذ عبد الحميد الرشودي ، في العدد " ٣١٣٨" ، بتاريخ ١٤ / ٥ / ١٩٨٩ التي تضمنت كثير من التعليقات والتوضيحات مُشيراً إلى أرقام الصفحات التي يُعلق عليها من كتاب " بغداديات " ، وحول إضافاتهِ للجزء الخامس يقول الرشودي " أقدم عطاري بغداد لمتعاطي الطب الشعبي مُبين ممارسة والدهُ لهذهِ المهنة ومن خلفهُ أحد أولادهُ " إبراهيم " مع ذكرهِ للمكان

الذي كانوا يستقبلون المرضى فيهِ وهو " سوق الصفافير " ببغداد"[٥٧] ويقول أيضاً " هذا ماوددتُ عرضهُ إتماماً للفائدة وخدمة لبغدادنا الحبيبة ..."[٥٨] .

. رسالة الأستاذ محمد طه بتاريخ ٢٢ / تشرين الثاني / ١٩٨٦[٥٩].

وفضلاً عن ذلك إتبع الكاتب الحجية إسلوباً متنوعاً لكتابتهِ للهوامش بعضها ثبتها بأسفل المتن تتضمن التخريجات لبعض المصطلحات البغدادية كما هو الحال في الجزء الأول والثاني والثالث والرابع والخامس والسابع والبعض الآخر في نهاية كل موضوع تطرق لهُ لاسيما في الجزء السادس من كتابهِ ، وكما هو الحال توثيقهِ بالجزء والصفحة فاحياناً يُثبتها بالهامش كقولهِ بتعريفهِ لكلمة " القصة خون " وهي لفظة فارسية معناها قارىء القصة ...مُشيراً بالهامش مصدرتخريجهِ وهومن ، قاموس العادات والتقاليد المصرية ، ص٣٢٦[٦٠]. ، وأحياناً آخرى يُعلق بالهامش بدون الإشارة لأي مصدر كقولهِ بتخريج كلمة " ليرات " يقول " الليرات المتداولة في المصوغات ثلاثة أنواع : الليرة الرشادية نسبةً إلى السلطان محمد رشاد ، والليرة الحميدية نسبةً إلى السلطان عبد الحميد ، والليرة المجيدية نسبةً إلى السلطان عبد المجيد ، وأكثرها شهرة وطلباً في الصياغة هي الليرة الرشادية "[٦١]

وعلاوةً على ذلك إن منهج الكاتب الحجية في كتابة جميع أجزاء كتابهِ " بغداديات " بما تناولهُ من عادات وتقاليد وحرف وغيرها المتبعة عند حياة البغداديين فيصفها المؤلف وصفاً دقيقاً لمختلف الجوانب الأجتماعية التي تُمارس عند الأسر البغدادية في مدينة بغداد وعلى سبيل المثال "الوفاة ومراسيم التشيع والعزاء" أي منذُ الوفاة وطريقة إغماض عين المتوفي من قبل أحد الأشخاص الذين بجوارهِ ، ومايترتب عليه من مراسيم الدفن وغيرها ، وماتمارسهُ النسوة من عادات في هذا الموقف من " عياط ، وشك الزيك ، ونثر الشعر " وغيرها على حدِ قول المؤلف [٦٢]. ثُم القيام بالمراسيم الآخرى المتعلقة بالوفاة من " مجلس الفاتحة ، وحلاقة اللحيّة ، وإطعام عائلة المتوفي . البيض والورد ماوي ، وعزاء النساء ، وعمل الحلاوة والحِداد والعِدة ، وزيارة المقابر ، وبناء القبر ..."[٦٣]

سابعاً : نماذج من الموروث الشعبي البغدادي في كتاب " بغداديات"

لسعة وشمولية كتاب " بغداديات "بتناولهِ لكل شاردة وواردة للمجتمع البغدادي لاسيما بتتبع الباحث الحجية لهُ ، لايسعني إلاّ أن أسلط الضوء على بعض النماذج بأجزاء مختلفة

، لكي أبين كيف كان منهج الكاتب الحجية بتناولهِ لمواضيع مختلفة تناولها البغداديون الذي يعكس التراث البغدادي كما الحال في " الحكايات السوالف . " التي تم تداولها في عموم مدينة بغداد سواء في المجالس أو المقاهي أو المنازل لأجل قضاء الليل خاصة ليالي الشتاء الطويلة ، أي من باب التسّلية والموعظة والعبرة والمزحة للكبار والصغار ، وإن إتباع الكاتب الحجية في منهجهِ كلمة " الحكاية أو السالوفة " الأثنين تصببالمغزى نفسه ، وهذا يُبين مدى ولع أهل مدينة بغداد " بالحكاية " ولعاً شديداً إنحدر إليهم من الأجداد فتداولوها شفاهاً وقسموها أقساماً .

لذا أفردّ الباحث الحجية في كتابهِ " بغداديات " مواضيع عدة ومنها للحكايات الشعبية الموروثة في المجتمع البغدادي بجزئين الأول والخامس بصيغة " اللهجة والحكايات ،و " السالوفة "وهي تُعد جزء كبير من الموروث الشعبي والتي إمتازت عن طريق جمع المعلومات والأخبار بطريقة السّرد والحكايات التي يُغلب عليها طابع اللطافة والمتعة الجميلة والمشوقة .

ويُعد العراق بشكل عام ومدينة بغداد بشكل خاص موغل منذ القدم بحكايات وعادات وأساطير ولكل معلم من معالمهِ إسطورة ، فالأسطورة أو القصة أو الأمثال الشعبية والحكايات "السوالف "هي الأساس نوع من التعليم غير المباشر للأطفال في أطوار نموهم الأول ، وهي في الأساس تتميز بسمات وخصائص معينة منها البساطة والمتعة التي تُسعد الصغار والكبار معاً وتُعد موعظة وإرشاد وتوجيه للأطفال ، وإن ليالي الشتاء الطويل خلقت هذا النوع من التراث الشعبي في تلك الليالي الباردة ، لذا نالت الحكايات شُهرة كبيرة في الأوساط الشعبية ، و'ن هذهِ القصص كانت تُسلي وترفه على الأطفال قبل أن يُعرف هؤلاء الصغار للتلفزيون والرسوم المتحركة[٦٤] .

والحكاية هي جزء من موروثنا الشعبي وخلاصةً لإفرازات تطلعات الناس مع ظروف الحياة التي عاشها الناس ، حيث كانت هذه الحكاية إحدى الدعائم المهمة في صقل شخصية الطفل ، فقد كانت كل قصة تهدف إلى قيمة يتم غرسها في نفوس الأبناء حتى يعدوا منهم رجلاً قادر على تحمل المسؤولية ومجابهة ظروف الحياة المتغيرة ، وكذلك إعداد نساء يحتم عليهن بناء الأسرة المستقبلية ضمن التحديات الأجتماعية التي تواجهنا .

والحكاية الشعبية هي تلك التي تناقلها الناس عن طريق تأثيراً كبيراً في صياغتها في تطاير بعض الأحداث التاريخية والشخصيات بالمبالغة ، وتأتي الحكاية الخرافية في الإطار نفسه وأن تميزت من الحكايات الشعبية هم أبطالها من البشر أو الجن بينما تقف الحكاية الشعبية عند حدود الحياة اليومية والأمور الدينية العادية[٦٥] وللحكاية الخُرافية رصيد الحكاية الأسطورية الرمزي وقدرتها على الإيحاء ، والإشعاع ، وهي صلتها الوثيقة بعقائد الإنسان الأول وعملهِ وفنهِ . وإسلوب تفكيره عامة ، وهي بتجردها عن الزمان والمكان وإقترابها من المطلق والمجرد[٦٦] .

وتُعرف الحكاية لغةً : هي مايحكى ويقص ، وقع أو تخيل ، وكذلك هي مايقص من حادثة حقيقية أو خيالية كتابةً أو شفاهاً وهي مصدر مشتق من الفعل حكى يحكى حكاية أي قص وروى ، والحكي هو الكلام ، والحكاية هي القصة المروية التي يتناقلهُ عامة الناس فيحكيها الكبير والصغير وتناقلتها الأجيال حتى تصبح موروثاً شعبياً متعارفاً عليه [٦٧] .

وقد ورد في الجزء السادس من كتاب " بغداديات " من قبل الباحث الحجية وصف للعائلة البغدادية عند سماع " السالوفة " بقول " من مسليات أبناء العائلة خلال " التعلولة " في ليالي الشتاء الطويلة سماع "السوالف" .. أعتاد الجميع أن يجتمعوا حول . الجِدة أو البيبي ـ وهي أم الأب أو أم الوالدة وهذهِ تجلس عادةً في وسط الطرار أو الديوان وأمامها المنقلة وهي تربش نارها بين حين وآخر بالماشة التي لاتفارق يدها وفي أثناء ذلك تقص عليهم قصصاً خيالية .. ويتناولون أثناء التعلولة لب جوز وتمر أشرسي ، أو تين مجفف أو بلوط مشوي على المنقلة أو كَستانة وغيرها . وكانت السالوفة تستغرق ليالي عديدة وحين ينام بعض الصغار تتوقف البيبي عن الحديث لتستأنف حكايتها في الليلة القادمة " [٦٨]

وهكذا سوف أتناول بعض الحكايات " السوالف " البغدادية التي ورد ذكرها من قبل الباحث الحجية في كتابهِ "بغداديات " فمنها الحكايات الطويلة وآخرى قصيرة .

ـ يفرد الكاتب الحجية في جزئهِ الخامس عنوان " اللهجة والحكايات ومنها حكايات الصغار " ذكر فيها حكايتان هما :

الحكاية الأولى : الخنفسانة

وهي حكاية شعبية متداولة في المجتمع البغدادي سردها الكاتب الحجية بأسلوب سلس وبسيط بأسلوب ولهجة أهل بغداد المتداولة فيما بينهم وهذا ماإمتاز بهِ الموروث الشعبي ، وقد علّق أيضاًعليها الباحث عن مصدر إستقائهِ لها بعد سردهِ للحكاية مُثبتاً ذلك في الهامش بقولهِ " كثير ماسمعت هذه الحكاية من المرحومة والدتي . حياة عبد الوهاب القرغولي . وهي تقصها على أبنة شقيقي الثانب . ذكاء عبد الغني . مواليد ١٢ / ٥ / ١٩٤٦ إذ كنا نعيش سوية في الدار المرقمة ٤٧/ ٨٠ محلة حمام المالح "[٦٩] وسوف أوردها كما وردها الباحث الحجية محافظاً على أسلوب روايتها .

وسرد الحكاية بقولهِ " أكو ماكو فد خنفسانة ، مديرمانة ، مخططانة ، مكحلانة ، وكاعد إباب البيبانة ، فات أبو الطرشي يصيح " للدوخة دوه حامض " صاحته الخنفسانة تعال أبو الطرشي .. جا أبو الطرشي يمهه ، كالتله تاخذني ؟ أي تتزوجني ، كاللها أبو الطرشي بلي أزوجج كالتله إذا تزعل بيش تضربني ؟

كاللها "بكاسة الطرشي " كالته " عوع عوع .. آني كشر بصل ماأحملو " شال أبو الطرشي حباته وخلاها على رأسه ، ومشه بدربه على بابا الله .

وكما يقول الحجية عند سردهِ للحكاية " وهكذا تستعرض الأم كلما علق ببالها من نداءات الباعة " وبهذا تختم الحكاية على حدِ قول الكاتب بشيخ الجرذان .. الذي مرّ من الدربونة متبختراً ، يتفتل بشاربهِ ، فاستوقفتهُ الخنفسانة وعرضت عليهِ نفسها فوافق ، ثم سألتهُ: " إذا تزعل بيش تضربني ؟" فأجابها "بطارف ذُيلي " فصاحت الخنفسانة : " دك أبو طبل..." [٧٠]

. أما الحكاية الثانية التي ذكرها المؤلف هي " سالوفة أحمد ومحمد "

يقول الحجية " أكو ماكو فد سلطان أتزوج إتلث نسوان ، ولاوحدة منهن جابتله ولد .. تالي متالي أتزوج المره الرابعة وبقدرة الله ، حبلت من ليلتها ... والسلطان يحسب يوم الولادة بأصابيعه يوم يوم .. حست المرة ، وره طلكة ، طلكتين الله سهّل عليها وذبته ولد ماشاء الله .. كبت الهلاهل والهوسات ، وإنجطلت الذبايح ، وإنمدت السماطات ودكت المزايق ،

وصاحت الناس سبيل ياعطشان والزاد ياجوعان ، وظلت الأفراح أبيت السلطان سبع تيام .. السلطان مخيم على أبنه ومجلجل عليه أربعه وعشرين ساعة مَيفاركه .

أمصدك أمجذب أيشوف الولد بعينه .

كبر الولد ..... فد يوم الولد كاله لأبوه : بابا آني أريد أطلع وياك للصيد السلطان كلش فرح ، وهو يريد أبنه يطلع فارس ، شجاع ، وكاله باجر أحضر لك أحسن فرس وسلوكي وصكر وكوز ونشاب وعكب باجر نطلع لصيد الغزال ....الولد راح وجا وما ضرب ولا ضربة ورجع مقهور .....أمه ركضت على أبوه وسألته شبيه الولد؟ أحنه صدكنا يصير عدنا ولد ويطلع للصيد ...السلطان جاوب مرته بحس ناصي وكاللهَه الصوج مني ، والولد حكة أيدلغم ...غير لازم أعلمه شلون يضرب بالكوز والنشاب ....وبعدها دز السلطان على أحسن صياد بضرب الكوز ونشاب وكاله أريدك أتعلم أبني الصيد والكنيص وتسوي أحسن صياد بالبلد .. الولد فرح كلش هواية وشد على فرسَه وطلع ويه الصياد فرحان ويضحك .

ويه أذان المغرب خش الولد والصياد وراه إتلكاهم السلطان وكلهم فرحانين لما شافو إبنهم فرحان ومتونس ... وره ...كام الطباخ يشوي لحم الغزال من صيد " محمد " أبن السلطان ....وكاله بابا آني باجر عكبه من أطلع للصيد أطلع بحدي .

السلطان سأل أبنه .. بابا عندك صديق ؟ جاوبه محمد لع ، السلطان كاله ياأبني غير أتعاشر لك فد صديق صديقين .

جاوبه محمد .. بابا منين أشوف الصديق وأعاشره إذا أنتو ورايه ورايه أربعة وعشرين ساعة ؟

محمد سأل أبوه : بابا شلون أعرف الصديق الزين والمخلص من الصديق المو مخلص؟[٧١]

ولطول الحكاية نستطيع أن نستخلص منها عدم الإستسلام ، ومن الفشل يُصنع النجاح ويبين كيفية الإصرار عند الفرد ، فضلاً عن ذلك يُبين كيفية تشجيع الوالدين لأبنائهم لأجل تحقيق مايصبون إليهِ وإن تشجيعهم يمثل نصف نجاحهم .

ويثبت الكاتب الحجية في الهامش مصدر إستقاء هذهِ " السالوفة " بقولهِ " إن هذه السالوفة سمعها من شقيقتهِ الحاجة حسيبة المتوفاة ١٩٨٢/١١/١. [٧٢]

. الحكاية " السالوفة " الثالثة :

يقول الكاتب الحجية " أكو ماكو فد إتلث بنات فقيرات إيعيشن من وره الغزل وجانوا عايشينإيفد خرابه قريبة من الشارع العام وهن يعلمن بأن أبن السلطان يتجول يومياً بعد منتصف الليل في أنحاء المدينة لينقل لأبيه حالة السكان .. فلما شّعرن بوقع أقدام تقترب نحو دارهم الخربة قالت الكبيرة :

لو يتزوجني أبن السلطان جان حكت لَه فد زولية اِتكفيه وتكفي عسكره ، وقالت الأخت الوسطى والله آني لو يأخذني أبن السلطان جان خبزت له أرغيف خبز اِيكفيه ويكفي عسكره ، أما الصغرى فقالت لو يتزوجني جان جبتله ولد كعكوله ذهب وكعكوله فضة . سمع أبن السلطان جميع أقوالهن فأرسل صباح اليوم التالي رسولاً يطلب البنت الكبرى وكانت " كُلش حلوة" فخطبها ثم تزوجها على سُنة الله ونبيه ألف الصلاة والسلام عليه ، وفي اليوم السابع طلب منها الشروع بحياكة الزولية ، فضكت وقالت : هذهِ مبالغة ولا يمكن لأنسان أن يقوم بها ولكنني ذكرتها لرغبتي في الأقتران بك وهذا أقصى ماتتمناهُ الفتاة .....وبعد فترة وجيزة خطب الأخت الوسطى وطلب منها ...وكان جوابها لايختلف عن جواب أختها ، ... ثم خطب الأخت الصغرى وحملت منهُ وأنتظر ولادتها بفارغ الصبر لأن زوجته الأولى التي تزوجها قبل أخواتها كانت عاكر .....بينما دبرت الضرة لها مكيدة لانها حملت منه وستلد لهُ مولوداً ..... ألخ [٧٣]

ولطول السالوفة ممكن أن نستلهم منها كيفية صنع المكيدة من قبل الآخرين فضلاً عن قساوة القلب الذي يتبعها بعض الأشخاص .

. ومن خلال هذهِ الحكايات يُبين بأن ليس لها مؤلف وتاريخ معروف وإن أمثال تلك الحكايات تُلقى من قبل كبار السن للأحفاد في مواقف الوعظ وفي الغالب تُلقى كما قلنا سابقاً ليلاً في ليالي الشتاء الطويل قبل الذهاب إلى النوم .ويتخللها أسلوب الشّد والتوتر وأحياناً آخرى الضحك .

. عقائد بغدادية

أفرد الكاتب الحجية في الجزء الأول من كتابهِ " بغداديات " " عقائد بغدادية " متناولاً فيها " الحسد ، والخسوف ، عقائد وعوائد ، والخيرة ، والتفاؤل والتشاؤم " .

ـ لذا إن ظاهرة الحسد نشأت ضمن المعتقدات القديمة وهي شأنها شأن الظواهر الفولكلورية الآخرى تتسم بطابعها الجمعي ، وأستمرت هذهِ الظاهرة تعيش مع الأنسان الذي مرّ بمراحل حضارية بعد ذلك ، ولم يكن الرقي الفكري والعلمي قادراًعلى القضاء لتلك المعتقدات .

وفي عصرنا الحاضر إتخذت ظاهرة الحسد مظهراً إجتماعياً حقاً وإن كانت ماتزال تحتفظ ببعض أصولها الفولكلورية [٧٤] .

ويُشير الباحث الحجية في كتابهِ " بغداديات " يخشى أهل بغداد " العين " [٧٥] مستشهداً ببعض الأقوال التي يتداولها سكان أهل بغداد حسب إعتقاداتهم تطيراً من الحسد كقولهِ عندما يخرج رجل أو أمرأة من البيت ، ماذا تُستعمل لذلك من قبل أهل بيتهِ فيقول " توقد الأم النار لترمي فيها الملح والحرمل ، ثُم تُنشر لأبنها بالأسلوب التالي : تمسك بيدها ورقة زرقاء من أغلفة كِلال شَكر القند ثم تثقبها بدبوس أو أبرة قائلة . نشرتُ لك من عين أمك وأباك ومن عين الكصيرة الدحداحية والطويلة الرمّاحِية ومن عين بنت البيت المخفية ومن عين فلان وفلان وفلانه . ذاكرة أسماء كل من تعتقد بخطر أعينهم على أبنها ثم ترمي تلك الورقة في النار أيضاً وتبخّر ولدها بالدخان المتصاعد " [٧٦]

وهناك إعتقاد عند أهل بغداد حول منع " العين " من إصابة صاحبهِ بالحسد واصفاً ذلك بقولهِ الحجية " ...الحجاب يمنع العين ويحفظ الولد من إصابتها ولذلك علّق أغلبهم في ملابسهم قطعة سوداء من الجلد في داخلها حجاب كتبهُ الشيخ ومنهم من يعلق سِن الذيب أو عفصة أو أم سبع عيون في ملابس الولد أو في "كاوريّة" الطفل طرداً للعين الشريرة وحفظاً لأولادهم من النِفس ، وقد قالوا قديماً عين الحسود بيها عود و الحسود لايسود ."[٧٧]

وكذلك هناك أساطير عدة عن أبراج النجوم من السماوات المشعة بنورها ، فالغاية منها هي غاية نفعية عملية ، وإن ظاهرة الخسوف كما نعلم إنها من إنجازات الرياضيات العلمية وهي من إنجازات الحضارة فقد كان الأنسان القديم يجهل أسبابهُ ولايعرف السّر في إنتظام حدوثهِ ويملؤهُ الخوف رعباً وفزعاً منهُ ، كما ذكرها كتب الرحالة والمؤرخون القدامى ، وتعليل ذلك الأعتقاد هو إن الأجرام السماوية تطاردها بعض الوحوش الضارية التي توشك أن تقضي عليها ومن المعتقد أيضاً إنهُ من واجب الأنسان أن يفزع هذهِ الوحوش ويطردها بأن

يحدث ضجيجاً صاخباً، وليس ببعيد عنا هذا المعتقد الخرافي ، إن لم تكن الممارسة الخرافية في عملية إبتلاع الحوت للقمر والضجيج الذي كان يحدثهُ الناس لتخويف الحوت وطردها قبل أن تبتلع القمر .[٧٨] وهذهِ الأسطورة الخرافية موجودة في المجتمع البغدادي أيضاً ، أي في المعتقد الشعبي البغدادي يعني إن القمر ستبتلعهُ " الحوته " وعلى الجميع إعلان النفير العام على هذهِ " الحوته " المنحوسة المتورطة بتشويه جمال القمر في حياة الناس . فيقول الباحث الحجية عن تلك الأسطورة " ... يحملون صغاراً وكبار إلى السطوح جميع أدوات الصفر الموجودة في البيت كالقدر والطشوت وغيرها وبدأون بالضرب عليها وهم متجهون إلى ناحية القمر منادين بأعلى أصوتهم " : [٧٩]

ياحوته يامنحوته هدي كُمرنة العالي
هذا كُمرنة أنريده هو علينه غالي
وإنجان مَتهدينه أدك لج بصينيه

وهناك معتقدات وعوائد آخرى التي يعتقدها البغداديون فيُشير إليها الكاتب الحجية والمتمثلة " بحكة اليد اليمنى" و " حكة الخد " و" حكة الخشم " و" حكة الرجل اليمنى " و" رجفة الكف " فضلاً عن بعض العوائد التي يمارسها البغداديون فيما بينهم فيقول " إذا سكنت عائلة بجوار عائلة آخرى فمن واجب الجوارين تكريم الجار الجديد بأرسال خبر فحواهُ إن غداء يوم الغد سيكون من بيت فلان ." [٨٠] ، فيعلق الكاتب على هذه العادة التي يتبعها سكان أهل بغداد بقوله " وهذهِ من العادات اللطيفة التي تُتيح الفرصة للعائلة الجديدة في ترتيب البيت وفرشهِ وتنظيفهِ ، فضلاً عن إن أم البيت تعبانة ولاوقت لها تصرفهُ في طبخ الغداء لصاحب البيت والجهال وهكذا تبقى العائلة الجديدة مدة أسبوع أو أكثر والجوارين يتناوبون في إرسال صواني الغداء الحافلة بكل مالذ وطاب " [٨١] ، وقد بقى إرث الأجداد من العادات التي تُمارس بين أهل بغداد إلى الآن على الرغم من الإنشغال بأمور الحياة بل بشكل متقلص أي تضيف الجار يوم واحد وليس كما كان سابقاً لمدة أسبوع .

ومن العادات الآخرى التي يُمارسها الفرد البغدادي يذكرها الباحث الحجية في كتابهِ " بغداديات " بقولهِ " إذا وجد أحدهم قطعة خبز على الأرض فأنهُ لايطؤها بقدمهِ بل يلتقطها

ويقبلها ثم يضعها في " زَرف الحايط" أو بالقرب منهُ كما إنهم يلتقطون من الأرض كل ورقة مكتوبة ويحرقونها أو يضعونها في ثقب الحائط أيضاً خشية أن يكون فيها أسم الله ﷻ " (٨٢)

ونتيجة للواقع الأجتماعي المتخلف الذي كان يعيشهُ مجتمعنا العراقي بشكل عام والمجتمع البغدادي بشكل خاص يوم كان يوكل تقرير مصير أخطر أمور حياته للصدفة جراء قلقه لجهلهِ أسباب تكون ونشوء تلك الظاهرات والأمور ، وتتجلى هذهِ المعالجة الخاطئة لشؤون حياتهِ اليومية(٨٣) لذا فأن العادات الشعبية التي كانت سائدة، ولاتزال موجودة لأجل معالجة المشاكل الأجتماعية والأقتصادية والعائلية للصدفة وحدها ، وهي " الخيرة " التي لجأ إليها الناس لمعرفة وتقرير وجهة تصرفهم آزاء المشاكل التي كانت تعترض طريق حياتهم .

وينبغي القول بأن هناك نوعان من الخيرة ، كان يلجأ لها الناس لمعرفة وتقرير وجهة تصرفهم آزاء المشاكل التي كانت تعترض طريق حياتهم ، ، فهناك خيرة ذا طابع ديني كان يلجأ لهُ الأنسان بالتقدم والتوسل إلى الله سبحانهُ وتعالى لإرشادهِ للطريق التي يجب أن يسلكها لحل مشكلته المستعصية ، وتقسم نوعين " خيرة المسبحة الحسينية ، وخيرة القرآن الكريم " وهناك خيرة " قراءة فنجان القهوة وغيرها (٨٤)

وفضلاً عن ذلك يُشير الكاتب الحجية عن المعتقد " الخيرة" المنتشرة بين بعض البغادة من يعتقد بقراءة فنجان القهوة ، ومنهم من يعتقد بالفتاح فال أو عداد النجم أو الطشّة ، ومنهم من يعتقد بخيرة الدرب (٨٥) وعن " خيرة الدرب " يقول الكاتب " تجلس إمرأة في ليلة الجمعة مع التمجيد " قبل الأذان" في مفرق أربعة طرق بعد أن ترمي بكل طريق حجراً وتنوي قائلة " ياخيرة البدَرَب إنطيني ما بالكلب " ثُم تجلس ساكنة إلى أن يمر شخصان يتحدثان فيما بينهما فتسمع تلك الحُرمة "المرأة" حد بينهما وتفسره ، ... إذا قال المتحدثان " آني كتله أموافق روح وأتوكل على الله " فتكون هذهِ الخيرة راشدة "جيدة" ولذلك تعود إلى بيتها فرحة مسرورة ، وإذا حصل العكس عادت جازعة يائسة . (٨٦)

ومن العادات والمعتقدات الشعبية التي تدخل في أمور كثيرة من حياة البغداديين في حياتهم وأعمالهم ومهنهم وعلاقاتهم مع بعضهم التي تُعتبر تراثاً لدى أفراد المجتمع البغدادي ولاسيما مازال البعض متمسكاً بها .يذكرها الباحث الحجية في كتابهِ مع ورود بعض الأمثلة

عنها من حيث التفاؤل والتشاؤم فيقول "يتفاءل البغداديون برؤية الهلال في وجه محظوظ وسعيد ، أو في المرآة أو الماء ليعيشوا طوال الشهر سعداء وإلاّ كان العكس " (٨٧)

وهناك من يتفاءل بنحر الذبائح عند الشروع ببناء الدار الجديدة (٨٨) ، وكذلك من يدفن قطع نقود فضية في عتبة الباب عند نصبها وذلك طمعاً في الخير والرزق . (٨٩) وغيرها .

أما بالنسبة للتشاؤم فهناك بعض المعتقدات التي مارسها رجالاً ونساءً في المجتمع البغدادي كما هوالحال إذا رفت العين اليمنى فأنهم يتشاءمون من ذلك ويفسّرون تلك الرفّة بالبكاء أما إذا رفت العين اليسرى كان ذلك دليل الخير والتفاؤل الحسن . ومن النساء من تضرب العين إذا رفت بالنعّل الذي تنتعلهُ قائلة " ياعين إذا خير رفي وإذا شّر عفي " (٩٠)

وكذلك كانوا البغادة من الأشياء التي يتشائمون منها وهي لايكنسون الدار ليلاً ، كي لاتطير البركة ويكنس الخير .(م ، ن) فضلاً عن ذلك يُشير الحجية كانوا أهل بغداد " لايذكرون أسم البيضة ليلاً ولايدخلونها الدار ، وإذا أجبروا على ذكرها سّموها " دحرُجّة " بأعتبار إن البيض يُقدم لعائلة المتوفي بعد إخراج الجنازة " . (٩١)

ويُضيف الحجية كانوا البغداديون يتشائمون من ترك المقص مفتوحاً مفسّر ذلك بقولهِ " كي لاتنُفك حلوك الدنيه عّليهم " (٩٢) ، وكانوا أيضاً لايخيطون ملابسهم ليلاً إذا كان لهم فقيد لم تمض على وفاته سنة ، وذلك لإعتقادهم بأن وخّز الأبرة في القماش يؤذيه(٩٣) .

وهناك الكثير من المعتقدات التي يتفاءل ويتشائم منها البغداديون ، ولكن البعض منها لايزال يمارسها المجتمع البغدادي .

الخاتمة

يُعد الموروث الشعبي جزء مهم من تاريخ وثقافة الشعوب التي يستمد منها عقيدتها وتقاليدها وقيمتها الأصيلة ولغتها وأفكارها وممارستها وأسلوب حياتها الذي يُعبر عن ثقافتها وهويتها الوطنية وجسر تواصل بين الأجيال وإحدى الركائز الأساسية في عملية التنمية والتطوير والبناء والمكون الأساس في صياغة الشخصية وبلورة الهوية الوطنية .

إمتاز الباحث والكاتب عزيز جاسم الحجية بأنهُ ضابطاً ومثقفاً ، وعسكرياً ، مهنياً ، ورياضياً ، وإدارياً ، بارزاً .

إن كتاب "بغداديات" الذي ألفهُ الكاتب الحجية بأنهُ جديد في بابهِ وموضوعهِ بين مقدار الجهد الذي بذلهُ الباحث والمتابعة الجادة لتقصي وجمع المعلومات المهمة والمفيدة التي تعكس تأريخنا الأجتماعي الضائع خلال مائة السنة الأخيرة التي عاشها أهل بغداد بحلوها ومرها فأن بحثهُ يؤرخ هذهِ الفترة ويثبتها وثيقة صادقة مشهودة ، وإن بغداد تحاول التشبث بطابعها الحلي القديم الموروث المتميز بالبساطة والبراءة وإن سابقتها بعض عوامل الجهل والسذاجة اللتين فرضهما الأحتلال بأشكالهِ المتعاقبة والخروج إلى العالم المتحضر الحافل بالآلأت والأجهزة والتغيرات العديدة التي طغت على العادات وعلى وسائل المأكل والملبس والسكن وعلى ماكان هانئاً ورخياً غير معقد بحيث لم يبق " للبغادة" غير تذكرها وإستذكارها.

الهوامش:

- يوسف ، محمد خيررمضان، معجم المؤلفين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وماطبع منها أو حقق بعد وفاتهم ، سنة1 ٢٠٠٤، ج١، ص٤٣٥، العزاوي ، رياض ، عزيز جاسم الحجية .. أعمال مشرقة في تاريخ بغداد ، ملاحق جريدة المدى ، الأربعاء ، بتاريخ ٢٥ / ٧/ ٢٠١٢
- عزيز جاسم الحجية .. ضابط رياضي يجمع الفولكلور على مدى ربع قرن ، جريدة المدى ، بتاريخ ٢٩/ ١/ 2٢٠١٢
- لقاء مع الباحثة دنيا عزيز جاسم الحجية ، مجلة كاردينيا مجلة ثقافية عامة في يوم الثلاثاء بتاريخ ٦/كانون الثاني/٢٠١٥ 3
م ، ن . ٤
موقع الحوار المتمدن . شخصيات بغدادي ، نسخة محفوظة ، بتاريخ ٨/ كانون الثاني/ ٢٠١٩ على موقع واي باك مشي5
. الدروبي ، أبراهيم ، مجالس البغدادية ، دار الرابطة ، بغداد ، ١٩٥٨، ص6١٩٩
- عزيز جاسم الحجية .. ضابط رياضي يجمع الفولكلور على مدى ربع قرن ، جريدة المدى ، بتاريخ ٢٩/ ١/ ٢٠١٢ 7
العزاوي ، رياض ، عزيز جاسم الحجية .. أعمال مشرقة في تاريخ بغداد ، ملاحق جريدة المدى، الأربعاء ، بتاريخ ٢٥ / ٧/ 8٢٠١٢-
موقع شبكة الإعلام العراقي ، عباس عزاوي . يوم أطلقوا سراحه من نقرة السلمان ، بقلم عبد الجبار خلف ، بتاريخ ١٤/ ٩ / ٢٠١٨ ٩

ـ أبـن زكريـا ، أحمـد بـن فـارس ، مقـايس اللغـة ، تحقيـق ، عبـد السـلام محمد هـارون ، الطبعـة الثانيـة ، ١٣٩٢هـ . ١٩٧٢، مصر ، ج٦، ص١٠٥ [١٠]

أبن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، مادة ورث ، م ٢، ص١٩٩

٢٠٠[١١].

. حسين ، علي حداد ، أثر التراث في الشعر العراقي الحديث ، رسالة ماجستير ، قدمت إلى كلية الآداب ، جامعة بغداد ، نيسان ، ١٩٨٤، ص ١٢. ١٣. [١٢]

١٣. ميرزا ، سرور ، لمحات وأضواء عن بعض من تراثنا الشعبي فيهِ الأصالة وإنعاكس الهوية ، مجلة كاردينيا ، بتاريخ ، ١٩ / تشرين الأول / ٢٠١٧

ـ الخوري، لطفي ، ملامح تراثية مشتركة في تقاليد دورة الحياة العربية ، مجلة التراث الشعبي ، وزارة الثقافة والأعلام ، العدد الفصلي الثالث ،١٩٨٥، ص٨٠. [١٤]

ـ ميرزا ، سرور ، لمحات وأضواء عن بعض من تراثنا الشعبي فيه الأصالة وإنعكاس الهوية ، مجلة كاردينيا 15

. جريدة المدى ، عزيز جاسم الحجية ضابط رياضي يجمع الفولكلور على مدى ربع قرن ، بتاريخ الأحد ، ٢٩ / ١ / ٢٠١٢ 16

. م ، ن 17

. م ، ن [١٨]

ـ العزاوي ، رياض ، عزيز جاسم الحجية ، أعمال مشرفة في تاريخ بغداد ، ملاحق جريدة المدى ، الأربعاء ، بتاريخ ٢٥/ ٧/ ٢٠١٢، ص.193

ـ عزيز جاسم ، بغداديات ، مكتبة دار الكندي ، بغداد ، الحارثية ، الطبعة الثانية ، ج١، المقدمة ، ص٥ [٢٠]

. الحجية ، بغداديات ، ج١، ص٥. ٦ 21

. م ، ن ، ج١، ص٦ [٢٢]

جريدة المدى ، عزيز جاسم الحجية .. ضابط رياضي يجمع الفولكلور على مدى ربع قرن ، بتاريخ 20 الأحد ، ٢٩ / ١ / ٢٠١٢

. م ، ن [٢٤]

. م ، ن ، ج١، المقدمة ، ص٥ [٢٥]

. م ، ن [٢٦]

. م ، ن [٢٧]

. الحجية ، بغداديات ، ج٤، المقدمة، ص١١ [٢٨]

. الحجية ، بغداديات ، ج٤، ص٩ [٢٩]

. الحجية ، بغداديات ، ج١، ص٦ [٣٠]

. الحجية ، بغداديات ، ج٤، المقدمة ، ص٧" [٣١]

. م ، ن ، ج٥، المقدمة ، ص٧ [٣٢]

. م ، ن ، ج٦، ص٧ [٣٣]

. م ، ن [٣٤]

. م ، ن ، ج٥ ، ص٨ [٣٥]

. م ، ن [٣٦]

. الحجية ، بغداديات ، ج٤، ص٨. ٩ [٣٧]

. م ، ن ، ص١٠. ١١ [٣٨]

. م ، ن، ص١٢. ١٣ [٣٩]

. م ، ن ، ١٣. ١٤ [٤٠]

. م ، ن ، ص١٤. ١٥ [٤١]

. م ، ن ، ج٥، ص٨ [٤٢]

. م ، ن [٤٣]

. م ، ن ، ج٥، ص١٠ [٤٤]

. م ، ن ، ج٥، ص١١ [٤٥]

. م ، ن ، ج٥، ص١٣ [٤٦]

. م ، ن ، ج٥ ، ص١٥ [٤٧]

. م ، ن ، ص١٥ [٤٨]

. م ، ن [٤٩]

. م ، ن ، ج٦، ص٨ [٥٠]

. م ، ن ، ج٦، ص٩ [٥١]

. م ، ن ، ج٦، ص١٠ [٥٢]

[٥٣] . م ، ن

[٥٤] . م ، ن ، ج٦، ص١١

[٥٥] . م ، ن ، ج٦ ، ص١٢ . ١٣

[٥٦] . م ، ن ، ج٦، ص٢١

[٥٧] . م ، ن ، ص٢٧

[٥٨] . م ، ن

[٥٩] . م ، ن

[٦٠] . الحجية ، بغداديات ، ج٢، ص٤١

[٦١] . م ، ن ، ح٢، ص٣٢

[٦٢] . الحجية ، بغداديات ، ج٢، ص١٧٦

[٦٣] . م ، ن ، ج٢، ص١٧٦. ١٩٢

64. ميرزا ، سرور ، لمحات وأضواء عن بعض من تراثنا الشعبي فيه الأصالة وأنعكاس الهوية ، مجلة كاردينيا

[٦٥] . الخفاجي ، زينب عبد الكريم حمزة ، للحكاية الشعبية العراقية بحث في الأصول الثقافية ، ص٦

. مُسلم ، صبري ، القصص الشعبي العراقي والتحليل الموفولوجي ، مجلة التراث الشعبي ، وزارة الثقافة والأعلام ، دائرة الشؤون الثقافية والنشر ، العدد الفصلي الثالث ، ١٩٨٥، ص٢٧.[٦٦]

. مصطفى ، إبراهيم ، وآخرون ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، ط٢، طهران64 ،١٤٢٧هـ ، ج ١ ، ص ١٩٠.[٦٧]

[٦٨] . بغداديات ، ج٦، ص١٥٠.

[٦٩] . م، ن، ج٥، ص٣٣٧.

[٧٠] . م ، ن ، ج٥، ص٣٣٧. ٣٣٩.

[٧١] . م ، ن ، ج٥، ص٣٤٠ . ٣٦١.

[٧٢] . م ، ن ، ج٥، ص٣٦١.

[٧٣] . م ، ن ، ج١، ص١٥٠ . ١٦١.

.

ـأبراهيم ، نبيلة ، ظاهرة الحسد بين الرمز الفولكلوري والواقع الأجتماعي ، مجلة التراث الشعبي ، يصدرها المركز الفولكلوري في وزارة الأعلام، في الجمهورية العراقية ، العدد الثالث ، السنة الرابعة ، ١٩٧٣، ص١٥٨.[٧٤]

بغداديات ، ج١، ص١١٠. [٧٥]

. م ، ن . [٧٦]

. م ، ن . [٧٧]

. الخوري ، لطفي ، في علم التراث الشعبي ، الموسوعة الصغيرة "٤٠" ، منشورات وزارة اثقافة والفنون ، الجمهورية العراقية ، ٩٥،١٩٧٩.٩٦. [٧٨]

. بغداديات ، ج١، ص١١١. [٧٩]

. م ، ن ، ج١، ص١١٢. [٨٠]

. م ، ن . [٨١]

. م ، ن . [٨٢]

ـ الزبيدي ، نبيهة أحمد ، الخيرة الشعبية بين الضرورة والصدفة ، مجلة التراث الشعبي ، العدد الحادي عشر ، السنة الثانية عشرة ، تشرين الثاني ، ١٩٨١، ص٣٩. [٨٣]

. مجلة التراث الشعبي ، العدد الاول ، السنة الرابعة ، ١٩٧٢، ص٤٠. [٨٤]

. بغداديات ، ج١، ص١١٣. [٨٥]

. م ، ن . [٨٦]

. م ، ن ، ج١، ص١١٥. [٨٧]

. م ، ن ، ج١، ص١١٤. [٨٨]

. م ، ن . [٨٩]

. م ، ن . [٩٠]

. م ، ن . [٩١]

. م، ن. [٩٢]

. م ، ن . [٩٣]

المصادر :

١ـ أبراهيم ، نبيلة ، ظاهرة الحسد بين الرمز الفولكلوري والواقع الأجتماعي ،مجلة التراث الشعبي ، يصدرها المركز الفولكلوري في وزارة الأعلام في الجمهورية العراقية ، العدد الثالث ، السنة الرابعة ، ١٩٧٣

٢. حسين ، علي حداد ، أثر التراث في الشعر العراقي الحديث ، رسالة ماجستير ، قدمت إلى كلية الآداب ، جامعة بغداد ، نيسان ، ١٩٨٤

٣. الخفاجي ، زينب عبد الكريم حمزة ، للحكاية الشعبية العراقية بحث في الأصول الثقافية

٤. الخوري ، لطفي ، في علم التراث الشعبي ، الموسوعة الصغيرة "٤٠" ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، الجمهورية العراقية ، ١٩٧٩.

ـ الخوري ، لطفي ، ملامح تراثية مشتركة في تقاليد دورة الحياة العربية ، مجلة التراث الشعبي ، وزارة الثقافة والأعلام ، العدد الفصلي الثالث ، ١٩٨٥.

٥. الدروبي ، أبراهيم ، مجالس البغدادية ، دار الرابطة ، بغداد ، ١٩٥٨.

٦ـ الزبيدي ، نبيهة أحمد ، الخيرة الشعبية بين الضرورة والصدفة ، مجلة التراث الشعبي ، العدد الحادي عشر ، السنة الثانية عشرة ، تشرين الثاني ، ١٩٨١ .

٧ـ أبن زكريا ، أحمد بن فارس ، مقايس اللغة ، تحقيق ، عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ . ١٩٧٢، مصر .

٨. عزيز جاسم ، بغداديات ، مكتبة دار الكندي ، بغداد ، الحارثية ، الطبعة الثانية .

٩. لقاء مع الباحثة دنيا عزيز جاسم الحجية ، مجلة كاردينيا ، مجلة ثقافية عامة ، في يوم الثلاثاء بتاريخ ٦/كانون الثاني/٢٠١٥

مجلة التراث الشعبي ، العدد الاول ، السنة الرابعة ، ١٩٧٢. ١٠.

١٠. مسَلم ، صبري ، القصص الشعبي العراقي والتحليل المورفولوجي ، مجلة التراث الشعبي ، وزارة الثقافة والأعلام ، دائرة الشؤون الثقافية والنشر ، العدد الفصلي الثالث ، ١٩٨٥

١١. مصطفى ، إبراهيم ، وآخرون ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، ط٢، طهران ، ١٤٢٧هـ

١٢. ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر بيروت

١٣. ميرزا ، سرور ، لمحات وأضواء عن بعض من تراثنا الشعبي فيه الأصالة وأنعكاس الهوية ، مجلة كاردينيا

١٤. موقع شبكة الإعلام العراقي ، عباس عزاوي . يوم أطلقوا سراحه من نقرة السلمان ، بقلم عبد الجبار خلف ، بتاريخ ١٤/ ٩ / ٢٠١٨

١٥. موقع الحوار المتمدن . شخصيات بغدادي ، نسخة محفوظة ، بتاريخ ٨/ كانون الثاني/ ٢٠١٩ على موقع واي باك مشين

١٦. يوسف ، محمد خيررمضان، معجم المؤلفين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وماطبع منها أو حقق بعد وفاتهم ، سنة ٢٠٠٤

الصحف :

١. العزاوي ، رياض ، عزيز جاسم الحجية ، أعمال مشرفة في تاريخ بغداد ، ملاحق جريدة المدى ، الأربعاء ، بتاريخ ٢٥/ ٧/ ٢٠١٢

٢ـ عزيز جاسم الحجية .. ضابط رياضي يجمع الفولكلور على مدى ربع قرن ، جريدة المدى ، بتاريخ ٢٩/ ١/ ٢٠١٢

كتابة التاريخ الاسلامي في المدينة والعراق

مقارنة بين مدرستين

Muslim Historiography at Al-Madina School and the School of Iraq

A Comparison between Two Schools

أ.م.د. طه جميل احمد النعيمي

كلية الآداب /جامعة بغداد

tahaabuanass@gmail.com

كتابة التاريخ الاسلامي في المدينة والعراق
مقارنة بين مدرستين

أ.م.د. طه جميل احمد النعيمي

الملخص :

ظهرت الكتابة التاريخية في وقت مبكر من التاريخ الاسلامي، واذا كان التدوين التاريخي ليس بجديد على الفكر العالمي قبل الاسلام ـ اذ عرفت كثير من الامم السابقة للاسلام ذلك النوع من الكتابة ـ فإن المسلمين فضلا عن تطويرهم لمناهج موجودة اصلا جاؤوا بمناهج جديدة ومواضيع وأنواع من الكتابة التاريخية لم تكن معروفة قبلهم، فعلى سبيل المثال كانت الكتابة التاريخية بحسب الطبقات مما ابدعه العرب ولم يسبقهم اليه غيرهم " وتقسيم الطبقات اسلامي اصيل، وقد يبدو انه اقدم تقسيم زمني وجد في التفكير التاريخي الاسلامي" ،وكذلك كانت كتب التراجم Biographical Dictionary " من نتاج العرب المسلمين وأهم مساهمة فكرية تقدموا بها... في علم التاريخ" وعلم التاريخ يمثل جزءا من الثقافة العربية فالمجتمع العربي ذو التكوين القبلي يفتخر بماضي آبائه وانسابهم وحروبهم ومكارمهم...، وعند ظهور الاسلام ظهرت نظرة جديدة للعالم فقد جاء القرآن " بنظرة عالمية للتاريخ تتمثل في توالي النبوات، وهي في الاساس رسالة واحدة بشر بها انبياء عديدون ، وكانت لهذه النظرة اثرها في التفات المسلمين للتاريخ وعنايتهم به، فالاسلام يدعو للتأمل فيما حدث للامم السابقة وهذا التأمل بحد ذاته هو نوع من الدراسة التاريخية الأمر الذي ترك الأثر الكبير في ظهور الكتابة التاريخية ومن ثم المدارس التاريخية Historical schools وكانت مدرستا المدينة Al–Madina ومدرسة العراق من اوائل تلكم المدارس، لذا اخترنا ان ندرس هاتين المدرستين لما لهما من اثر في ظهور وتطور عملية التدوين التاريخي Historiography في المراحل اللاحقة

Abstract

Historical Writing emerged in early Islamic history, and if he historical blogging wasn't new to the world of thought before Islam - where many of nations pre Islam knew that kind of writing- Muslims have, in addition to their development of originally existing curricula;

brought new curricula and themes and types of historical writing which were not known to them. For example, historical writing was done according to the classes created by the Arabs which weren't preceded by others " the division of classes is Islamic authentically, and it may sound like it is a chronological division found in the Islamic historical thinking ", and so the 'Biographical Dictionary' was a product of Arab Muslims and the most important intellectual contribution they have made in the s historiography ...".

الكلمات المفتاحية:

التدوين التاريخي, المدينة المنورة, العراق, المدارس التاريخية, كتب التراجم

Key words:

The historiography, Al-Madina, Iraq, Historical schools, Biographical Dictionary

المقدمة :

ظهرت الكتابة التاريخية في وقت مبكر من التاريخ الاسلامي، واذا كان التدوين التاريخي ليس بجديد على الفكر العالمي قبل الاسلام ـ اذ عرفت كثير من الامم السابقة للاسلام ذلك النوع من الكتابة ـ فإن المسلمين فضلا عن تطويرهم لمناهج موجودة اصلا جاؤوا بمناهج جديدة ومواضيع وأنواع من الكتابة التاريخية لم تكن معروفة قبلهم، فعلى سبيل المثال كانت الكتابة التاريخية بحسب الطبقات مما ابدعه العرب ولم يسبقهم اليه غيرهم " وتقسيم الطبقات اسلامي اصيل، وقد يبدو انه اقدم تقسيم زمني وجد في التفكير التاريخي الاسلامي"[١] ،وكذلك كانت كتب التراجم Biographical Dictionary " من نتاج العرب المسلمين وأهم مساهمة فكرية تقدموا بها... في علم التاريخ"[٢]، وعلم التاريخ يمثل جزءا من الثقافة العربية فالمجتمع العربي ذو التكوين القبلي يفتخر بماضي آبائه وانسابهم وحروبهم ومكارمهم...، وعند ظهور الاسلام ظهرت نظرة جديدة للعالم فقد جاء القرآن " بنظرة عالمية للتاريخ تتمثل في توالي النبوات، وهي في الاساس رسالة واحدة بشر بها انبياء عديدون "[٣]، وكانت لهذه النظرة اثرها في التفات المسلمين للتاريخ وعنايتهم به، فالاسلام يدعو للتأمل فيما حدث للامم السابقة وهذا التأمل بحد ذاته هو نوع من الدراسة التاريخية الأمر الذي ترك الأثر الكبير في ظهور الكتابة التاريخية ومن ثم المدارس التاريخية Historical schools وكانت مدرستا المدينة

Al–Madina ومدرسة العراق من اوائل تلكم المدارس، لذا اخترنا ان ندرس هاتين المدرستين لما لهما من اثر في ظهور وتطور عملية التدوين التاريخي Historiography في المراحل اللاحقة.

وسنتناولنا في هذا البحث مجموعة من المؤرخين كنماذج تعبر عن هاتين المدرستين ولن ندخل في تفاصيل السير الذاتية لهذه النماذج إذ إن كثيراً من الباحثين كتبوا عنهم فضلاً عما جاء في كتب التراجم من كتابات تناولت حياتهم ونتاجاتهم وسنكتفي بالوقوف على المحطات البارزة والمهمة والتي شكّلت نقلات مفصلية في تكوينهم الفكري، كذلك سنحاول أن لا نثقل البحث بقائمة طويلة من المصادر والمراجع الا بقدر الحاجة اليها لأن هدف البحث معرفة منهج المدرستين وتحليل نتاجاتهما ونوعية ذلك النتاج، وسيتتبع البحث مرويات النماذج المختارة من خلال نقولات المؤرخين الكبار الذين ظهروا في زمن متأخر قياسا بمرحلة نشوء وتكون هاتين المدرستين وكذلك يهدف هذا البحث الى كشف العلاقة بين المدرستين ومدى تأثر احداهما بالأخرى والتعرف على نقاط الاختلاف بينهما وما اذا كان للبيئة الجغرافية والمرحلة الزمنية اثر في توجههما الوجهة التي استقرت كل منهما عليها، آملين التوصل الى نتيجة مُرْضية في نهاية البحث.

ـ مدرسة المدينة:

لعل من نافلة القول ان الدراسات الاسلامية المختلفة ومنها الدراسات التاريخية بدأت بجهود مشتركة من ذوي العلم، اذ كان المشايخ يجلسون في المساجد ويتحلق {يشكلون حلقة} حولهم التلاميذ لينهلوا من علمهم وحيث ان المدينة المنورة كانت المكان الذي شهد بروز الاسلام كدين قوي وبروز المسلمين كأمة جديدة ودولة لها مؤسساتها فيما بعد لذا فأن الدراسات بدأت من هذا المكان وتفرعت فروعها منه، وفي كثير من الاحيان ينسب فضل نشوء وتأسيس هذه المدرسة الى الشخصية الشهيرة والمعروفة (عبد الله بن عباس) ابن عم الرسول.[٤]

ولقد اصبحت جملة من الموضوعات " في حقبة عصر الرسالة الشريفة ... في حكم الموضوعات الثابتة والمقبولة بل الراسخة في اذهاننا وفي كتاباتنا..."[٥].

ومن هذه الموضوعات ولا شك هو موضوع السيرة النبوية او ما عرف اصطلاحا بـ (المغازي) Al-Maghazi وهذا الموضوع او الميدان كان من الميادين التي ميزت هذه المدرسة التي قامت بدور اساس في نشأة وتطور علم التاريخ الاسلامي Islamic Historiography.

وحيث ان مدرسة المدينة هي مدرسة مغازي بأمتياز فقد اتصفت بمجموعة من السمات التي تركت اثرها البالغ على اتجاهات الكتابة التاريخية بقدر تعلق الامر بعصر الرسالة، ومن هذه السمات:

١-تمثل المدينة الارث الحضاري والفقهي للاسلام بما حفظته من اقوال وافعال واعمال الرسول وصحابته من مهاجرين وانصار وكان ذلك الارث القاعدة الواسعة لانطلاق مدارس نقل الحديث الشريف والسيرة والمغازي وعلوم القرآن وغيرها من العلوم.

٢-كانت المدينة وبناءً على ما تقدم الحاضنة الرئيسة للتدوين التاريخي لعصر الرسالة بما فيها من مرويات تخص سيرة ومغازي الرسول وما جرى فيها من احداث أعقبت وفاته لذا فإن التدوين التاريخي للسيرة النبوية والمغازي كان مديني الاصل في المادة والجمع والمرويات.

٣-تمثل مدرسة المدينة التاريخية امتداداً لمدرستها الفقهية المتمثلة بإجماع المسلمين وهي في الحقيقة تمثل رأي (أهل السنة والجماعة) تمثيلاً جيداً، اذ وافقت مروياتها التاريخية الأجماع السياسي الذي حدث بعد وفاة الرسول مباشرة وكان رواتها شخوص ذلك الأجماع.

نستطيع القول ان أثنين من رواد هذه المدرسة وهما عروة والزهري قد مَثّلا هذه المدرسة خير تمثيل والأول منهما هو عروة بن الزبير بن العوام (٢٢هـ -٩٤هـ/ ٦٤٢م-٧١٢م)[٦]، وهو أول من ألف في المغازي وتأتي أهميته من أنه أعتمد على مصادر لم يتسنَ لأحدٍ غيره الأعتماد عليها فهو أبن أخت السيدة عائشة وهو من آل الزبير تلك العائلة التي كان لها دورا مؤثرا في أحداث القرن الهجري الأول فكان لذلك اثره في نوعية المعلومات التي وفرها ومن ثم استقاها من بعده المؤرخون الكبار (خليفة بن خياط، البلاذري، والطبري...) وغيرهم من المؤرخين، ومن مميزات كتابات عروة خلوها من المبالغة والتعقيد، فرواياته بسيطة وصريحة،

ولم يكن يُعنى بالسند (سلسلة الرجال) عناية كبيرة فكانت مروياته تُمَثّلُ حصيلة جهد جماعي في التحري عن اخبار الاسلام الأولى، ولقد أمضى عروة حياته بين الدرس والتدريس فكان يتتبع الحديث والعلوم وروى عن اعلام الحديث من رجال ونساء مثل السيدة عائشة واسامة بن زيد وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس وغيرهم، وكانت له صلات بالأمويين على الرغم من خلاف اخيه عبد الله معهم وتستوقفنا هذه النقطة بالتحديد فمن خلال العودة لسيرته نجده على علاقة طيبة بعبد الملك بن مروان ايام حكم معاوية ربما استثمرها بعد الصراع الذي نشب بين اخيه عبد الله وعبد الملك على الخلافة " ولما قُتِل عبد الله بن الزبير خرج اخوه عروة بن الزبير هاربا من الحجاج حتى اتى الشام، فأستجار بعبد الملك فأجاره، وأظهر اكرامه وأقام عنده "،[٧]

وتناول عروة في مروياته حياة الرسول منذ بدء الوحي (بدء النبوة) وحتى وفاته، وقد أفاد من الوثائق المكتوبة والتي كانت لاتزال متوفرة في وقته، وكانت لمجهوداته الاثر البالغ في تكوين ونشأة الدراسات التاريخية وهو في الحقيقة أحد مؤسسيها[٨].

وما نجده من مرويات في كتب المؤرخين الذي ظهروا في القرون التالية وتسند لعروة هي في الحقيقة أقدم ما وصل الينا من المدونات عن حياة النبي وأقدم ما كتب مما يمكن أن نسميه (تاريخ)، حيث جمع عروة أهم الحوادث التي حدثت للنبي وأرسلها كأجوبة لأسئلة لعبد الملك بن مروان ولقد أعتمد على الاسناد بشكله المبسط، وكثيراً مما نعرفه عن سيرة النبي اليوم نأخذ مادتها من مدوناته.[٩]

ويعتمد ابن خياط على عروة بن الزبير في تسعة مواضع يبدءها من هجرة النبي ووصوله الى المدينة[١٠] وينتهي بالرواية التي يتحدث فيها عروة عن عزل عمر بن الخطاب بعد توليه الخلافة لخالد بن الوليد عن الشام وتعيين ابو عبيدة عامر بن الجراح عليها.[١١]

اما البلاذري فما أخذه من روايات تاريخية عن عروة ينسجم مع منهجه في كتابه فتوح البلدان، حيث اقتبس عنه في احد عشرة موضعا بدءها بشكوى لرجل من الانصار قدمها للرسول يشتكي فيها له من الزبير بن العوام حول سقاية ارض زراعية[١٢]، وآخر رواية يأخذها عنه تتناول كيفية فتح مصر من قبل عمرو بن العاص.[١٣]

ويأخذ الطبري عنه اكثر من ستين رواية تتنوع في الطول والقصر ونوع المادة التاريخية التي تتضمنها وأول رواية يسندها الطبري لعروة تتناول عمر النبي عندما بُعِث،[١٤] وينتهي أخذه عن عروة برواية تتناول مقتل اخيه مصعب بن الزبير سنة ٧١هـ.[١٥]

ومن نظرة سريعة لمرويات عروة نرى انه تناول في معظم مروياته عصر الرسالة بشكل خاص ومن اعتمد عليه فيما بعد اهتم بأخذ ذلك العصر عنه لكون عروة كما هو معروف قريب للاحداث ولصانعيها الفاعلين، والمتفحص لمروياته بروية يجده يذكر تفاصيلاً لم يستطع احد ممن جاء بعده الوصول اليها لا سيما اطلاعه على رسائلٍ ووثائق أُتلفت في العصور اللاحقة، لذا يُشكّل عروة علامة فارقة في تاريخ التدوين التاريخي وعمود رئيس من اعمدة مدرسة المدينة التاريخية.

وأما الثاني وهو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري (٥٠هـ-١٢٤هـ/ ٦٧٠م-٧٤١م)[١٦]، فيعد مؤسس مدرسة المدينة التاريخية " إذ انه وضعها على اسس راسخة، ورسم وجهة الدراسة التاريخية فيها "[١٧]، ولقد أدرك الزهري أعلام المُحدّثين في عصره كأبان بن عثمان بن عفان وسعيد بن المسيب وغيرهما، وأخذ عنهم ولقد ساعدته ذاكرته القوية وكذلك قيامه بتدوين ما يسمعه على صحف في التفوق على ابناء جيله، اذ انه كان يكتب كل ما يتلقاه من شيوخه لذا فإنه يعد " أول مدوني التاريخ الاسلامي كتب مغازي الرسول واعطى السيرة النبوية اطارها الذي نعرف الى اليوم وتناول عهد الراشدين ومطلع الايام الاموية بإسلوبٍ تقصى فيه الاخبار من اصحابها "[١٨].

وعملية التدوين التي قام بها الزهري اعطته مكانة مرموقة بين الاخباريين حتى ان كثيرا من المحدثين اثنوا عليه ووثقوه " قال مالك بن انس ما ادركت فقيها محدثا غير ... ابن شهاب الزهري ... وقال سفيان مات الزهري يوم مات وليس أحد اعلم بالسنة منه "[١٩].

ولقد ركز الزهري جهوده على السيرة النبوية والاحداث الاولى من التاريخ الاسلامي لا سيما عصر الخلفاء الراشدين وبدايات العصر الاموي، وصار كما يقول أحد المؤرخين البارزين: " مقدما في العلم بمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبار قريش والانصار راوية لاخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه "[٢٠].

وتمثل الروايات التي يقدمها الزهري الاتجاه العام في المدينة، واصبحت فيما بعد مصدرا اوليا للرويات التاريخية لدى المؤرخين الكبار، ومن خلال قيامه بتدوين ما يسمعه من شيوخه اضحى للكتابة التاريخية قيمة علمية في نظر علماء ذلك العصر كما انها حفظت لنا معلومات لم نكن لنعرفها لولا ذلك التدوين.

وتشير المعلومات المأخوذة من سيرته الى انه ارتحل هو الآخر الى دمشق وعاش في كنف الامويين لكنه مع ذلك كان قد " قضّى اعوام دراسته في المدينة، ووضع اساس ذلك العلم الذي أكسبه فيما بعد ... النفوذ العظيم في عاصمة الخلافة "[٢١]، وتكمن أهمية الزهري من انه دون ما كان يسمعه ولم يكتفِ بالتدوين بل جعل مدوناته في متناول الناس وكان منهجه انه يبدأُ بالاسناد ولكنه يهمله فيما بعد عند جمعه روايات متعددة عن حادثة واحدة ومن ميزات منهجه الاخرى ادخاله ما قاله المشتركون في الحوادث من ابيات شعرية.[٢٢]

ويأخذ ابن خياط اثنتا عشرة رواية عن الزهري كلها تتعلق بأحداث حدثت بعد هجرة النبي الى المدينة منها ستِ روايات لأحداث وقعت في عهد النبي تتضمن اسر المسلمين لأثنين من قريش قبل غزوة بدر[٢٣]، وبعض الأحداث الأخرى حتى وفاة النبي، وبعدها يأخذ عنه روايات تتعلق بجيش اسامة بن زيد[٢٤]، ويختتم أقتباساته عنه برواية عن أخذ معاوية البيعة لأبنه يزيد في سنة ٥١هـ[٢٥].

ورواياته في فتوح البلدان للبلاذري لا تخرج عن اطار منهج الكتاب فهي تتعلق بطبيعة تعامل المسلمين مع الاراضي المفتوحة وكذلك عن بدايات تدوين الدواوين ومقدار ما حُدِد للمسلمين من عطاء، ومروياته عنه تقارب العشرين رواية منها رواية عن محاصرة النبي لبني النضير ومن ثم اجلاءهم[٢٦]، ورواية عن تدوين عمر للدواوين في المحرم من سنة ٢٠هـ[٢٧]، واخرها رواية عن مقدار العطاء الذي حدده عمر لأزواج النبي.[٢٨]

وتتجاوز مروياته عند الطبري المائة رواية يبدأُها برواية عن بدء الخلق وأن آدم قد خلق في يوم جمعة[٢٩]، ويستمر الطبري بالأخذ عنه بعد ذلك روايات اخرى تتعلق بأخبار الأمم السابقة للاسلام ورايات عن الحوادث التي حدثت في الاسلام في عصري ارسالة والعصر الراشدي وكذلك روايات عن العصر الاموي منهيا أخذه عنه برواية عن وفاة الوليد بن عبد الملك في سنة ٩٦هـ.[٣٠]

لقد كان لعروة والزهري الدور الاساس في نشأة وتكون مدرسة المدينة التاريخية وتطورها بما قدماه من مادة صارت فيما بعد المصدر الرئيس لمادة التدوين التاريخي، ونظرا لمكانة المدينة المنورة من حيث كونها عاصمة الرسول والخلفاء الثلاثة الإول من بعده ومركز تجمع الرعيل الاول من المسلمين فقد اصطبغت هذه المدرسة بصبغة مميزة جعلتها تتوجه توجها معينا هو في اغلب الاحوال موافقا للتوجه السياسي الذي ساد خلال القرن الاول الهجري وهذا ما جعل بعض الكتاب يوجهون نقدهم لرجالاتها من خلال اتهامهم بعدم الحيادية وعدم الموضوعية[٣١]، وهذا النقد والاتهام لا يقلل شيئا من شأن هذه المدرسة فهي تبقى بشخوصها ورواتها أنموذجا للرواية التاريخية الاسلامية المبكرة.

ـ مدرسة العراق:

تمثل مدرسة العراق طورا اخر من اطوار تطور الكتابة التاريخية، فالعراق كان مهدا لمجموعة من الحضارات التي ظهرت عبر تاريخه الطويل وسيطرت عليه حضارات اخرى بفعل الغزو والاحتلال مما جعله ملتقىً لعدد من التيارات الثقافية، ومع بداية الاسلام كانت الثقافة الفارسية هي الثقافة المسيطرة بحكم السيطرة السياسية وفي الوقت نفسه لم يكن بعيدا عن الثقافة الهيلينية بحكم الموقع الجغرافي، ثم جاء الاسلام بثقافته الجديدة الامر الذي ادى ان " خمدت الثقافتان الأوليان أول الأمر وأفسحتا المجال للفكر الجديد القادم مع العرب المسلمين "[٣٢]. لكن هذا الخمود لم يكن الا خمودا مرحليا فالفكر المترسخ والثقافة التي تكونت عبر قرون عديدة لا يمكن محوهما بهذه السرعة، لذا نجد ان الفكر التاريخي الذي طبع مدرسة العراق التاريخية بدا واضحا تأثره بإجتماع تلكم الثقافات وتراكم ذلكم الأرث الحضاري الهائل الأمر الذي ميز هذه المدرسة عن سابقتها مدرسة المدينة المنورة.

ولقد برز في هذه المدرسة منذ نشأتها وحتى بلوغها أوج تطورها مجموعة كبيرة من المؤرخين سنقتصر على اثنين منهم لكونهما يمثلان هذه المدرسة خير تمثيل، الأول هو المدائني ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الله ابن ابي سيف (١٣٥هـ-٢٢٨هـ/ ٧٥٢م-٨٣٨م)[٣٣]، ولد المدائني في البصرة وتوفي في بغداد والمدينتان كما هو معروف من كبريات المدن الاسلامية، وهو من مشاهير مؤرخي العراق ومن أغزرهم انتاجا في العصر الذي عاش فيه فقائمة مؤلفاته تزيد على المائتي كتاب ضمت ميادين متنوعة من مجالات الكتابة

التاريخية ولقد صنف ابن النديم هذه المجالات في تسعة اصناف من بينها كتبه في اخبار النبي، وكتبه في اخبار قريش وكتبه في اخبار الخلفاء وكتبه في الفتوح وكتبه في الاحداث وكتبه في اخبار العرب[٣٤]، ومن خلال الاطلاع على تلك القائمة يمكن ملاحظة " اطلاع المدائني الواسع على التاريخ الاسلامي ... وقد رتبه على استخلاص الامور المتشابهة من خلال معلوماته الواسعة، وهي قدرة فريدة في بابها تعكس نوع الاهتمامات الثقافية السائدة في ذلك العصر"[٣٥].

ونجد المدائني ومن خلال انتاجه الضخم انه قد مال الى التخصص في كتاباته وذكر التفاصيل الدقيقة للحوادث من خلال رسائل قصيرة اقتصرت على معركة او على تراجم لبعض الافراد او وصف لعمل من الاعمال.[٣٦]

ويتسم منهج المدائني بالالتزام بمنهج اهل الحديث من حيث تشدده في ذكر مصادره ورواته وسلسلة أسانيده، كما انه اهتم اهتماما واضحا بمسألة تأريخ الاحداث التي يرويها اذ انه يذكر التوقيتات لتلكم الاحداث، واهتم كذلك بإيجاد رابطة بين الأنساب وحوادث التاريخ فضلا عن تتبعه اسماء قادة الحروب والمعارك وأنتماءاتهم القبلية وانجازاتهم العسكرية[٣٧].

وهذه الدقة في إيراد الاسانيد وتتبع الحوادث أعطته نوعا من الثقة لدى الناس حتى عُدَّ من المحدثين عند بعضهم ووثَّقَهُ آخرون لا سيما اولئك الذين تصدوا لنقد الرجال فقال عنه يحيى بن معين: " ثقةٌ ثقةٌ ثقة "[٣٨].

وكان لتنظيمه للمادة التاريخية المتوفرة لديه اثرا في قدرته على التألف التاريخي تلك القدرة التي لا يمكن ان تتكون الا من خلال الفكر المنظم المصحوب بسعة الأطلاع والصبر وتحمل مشاق البحث والتحري عن المادة الأولية وكل هذا جعل من المدائني " المصدر الرئيسي للمؤرخين التالين"[٣٩].

ولقد روى ابن خياط اكثر من ثمانين رواية عن المدائني شملت العصور الاسلامية من ولادة النبي[٤٠]، وحتى وفاة هارون الرشيد في مطلع جماى الآخرة من سنة ١٩٣هـ[٤١].

ويعتمده البلاذري في اكثر من ثلاثين موضعا وكانت رواياته عنه موزعة على العصور المختلفة ويبدءها برواية عن نوسيع المسجد النبوي في عهد ابي جعفر المنصور في سنة

١٦٢[٤٢]، ورويات عن اساءة الحجاج للناس وأخذه اراضيهو بغير وجه حق[٤٣]، وأخرى تعريب الدواوين في العراق في عهد الحجاج ايضا[٤٤].

وتقارب الرويات التي أخذها الطبري عن المدائني الثلاث مائة رواية، حيث يبدأ اخذه منه برواية عن إنفاذ ابو بكر لجيش أسامة بن زيد بعد وفاة النبي[٤٥]، وفي آخر رواية يقتبسها عنه يتحدث الطبري عن مجلس محمد الامين ابن هارون الرشيد قبل مقتله في سنة ١٩٨هـ[٤٦].

والنموذج الثاني للمدرسة العراقية هو أبو عبيدة معمر بن المثنى (١١٠هـ – ٢١٣هـ/ ٧٢٨م –٨٢٨م)[٤٧]، والذي أشتهر معرفته الواسعة بأخبار الجاهلية والاسلام، وكان يجمع معلوماته من الرواة والعلماء الذين يقدمون على المربد في البصرة وتمكن من خلال ذلك " أن يجمع من الروايات القبلية والمحلية والأسرية ما شمل حقل الروايات العربية الشمالية كاملة"[٤٨].

ولقد ألف أبو عبيدة هو الآخر كماً هائلاً من الكتب تجاوز المائة كتاب[٤٩] واشتملت هذه الكتب على معارف مختلفة ففضلا عن اللغة والأدب اللذان عُرف بأهتمامه بهما فقد الف في مواضيع تاريخية متنوعة منها ايام العرب واخبارهم والفتوح والحروب المختلفة كحرب الجمل وصفين وغيرها وكذلك كتب كتابا عن قضاة البصرة وأصبحت كتبه هذه مصدرا مهما لمن جاء بعده من المؤرخين اذ اعتمد عليه الطبري مثلا في كتابه التاريخ " اكثر من خمسين مرة"[٥٠].

ومن خلال تتبع مرويات ابو عبيدة نستطيع القول ان منهجه تميز بالحرص على ذكر سلسلة رواته ومصادره وبتحريه الدقيق عن اولئك الرواة الذين كانوا قريبي الصلة من الأحداث التاريخية، وكذلك كان حريصا على مسألة تحديد تواريخ الحوادث حيث كان يحرص على ذكر اليوم والشهر والسنة التي وقعت بها كل حادثة وهذا ما نجده في مروياته لدى الطبري في كتابه التاريخ (تاريخ الرسل والملوك)، ولم يكتفِ بهذا بل كان حريصا على تحديد اماكن الحوادث ومعالم تلك الاماكن من الناحية الجغرافية والعمرانية.

وتركز مرويات معمر في تاريخ خليفة بن خياط " على اخبار الفتوح في المشرق، كما تتناول بعض احداث البصرة وحركات الخوارج فيها، وهي مواضيع اهتم بها ابو عبيدة كثيرا وافرد لها مؤلفات خاصة "[٥١].

وفي فتوح البلدان ترد مجموعة من الروايات عن معمر منها مايتعلق بفتح البحرين " وقال معمر بن المثنى غزا العلاء بعبد القيس قرى ... في خلافة عمر بن الخطاب... "[٥٢]، وكل ما يرد من مروياتعنه تتعلق بهذا الجانب وهو الفتوح.

وروى عنه الطبري كما اسلفنا اكثر من خمسين رواية عن معركة ذي قار بين العرب والفرس[٥٣]، واخرى عن القبائل التي سكنت البصرة عند تمصيرها[٥٤]، وغيرها من الرويات.

وجملة القول فأن القارئ لما نقله الطبري وغيره من المؤرخين عن معمر بن المثنى يستطيع ملاحظة ان هذا المؤرخ يقدم معلومات تاريخية متماسكة ومتسلسلة وتتصف بوحدة الموضوع، وانه يهتم اهتماما بالغا في تحديد جغرافية الحوادث التي يقدمها للقارئ من حيث طبيعة الأرض ومناخها والمسافات بين المدن والمواقع المذكورة ضمن الحادثة التاريخية، وفي مواضيع الفتوح يحرص على ذكر طريقة فتح المدن هل فُتحت (صلحا أم عنوة)، لذا يمكن ان نقول ان ما يميز مرويات معمر بن المثنى الدقة في ايصال المعلومات التاريخية وهذه الدقة هي التي جعلت مؤرخين كبار مثل خليفة بن خياط والبلاذري والطبري وغيرهم من المؤرخين يعتمدون عليه وينقلون عنه في مواضع كثيرة.

ـ أوجه الشبه والاختلاف بين المدرستين:

من خلال استعراضنا لنموذجين أثنين من مدرسة المدينة التاريخية واثنين آخرين من مدرسة العراق التاريخية ومن خلال مقابلة تحليلية بين المدرستين نستطيع القول أن هناك مجموعة من المميزات التي جمعت بينهما وابرز هذه المميزات ان المدرستين قد تحرتا الدقة والمصداقية في ذكر الحوادث التاريخية ولكن كل بحسب وجهة نظره وفلسفته ورؤيته لتلك الحوادث، ومن نقاط الالتقاء حرص المدرستين والنماذج المختارة منهما (عروة، الزهري، المدائني، ومعمر) على ذكر سلسلة السند لكل حادثة أو رواية تاريخية وهو ما يعكس حرصهما على الظهور بمظهر الأمانة العلمية في نقل حوادث التاريخ الامر الذي يعزز ثقة القارئ بما انتجته كل منهما من نتاج تاريخي كان المصدر الرئيس لكل معلوماتنا التاريخية التي لا زلنا نتداولها الى يومنا هذا.

أما عن اوجه الاختلاف فهي كثيرة وكثرتها تنبع من الفلسفة التي سارت عليها كلاً من المدرستين، فلقد سارت المدرستان في اتجاهين مختلفين " اتجاه اهل الحديث، والاتجاه

القبلي"[٥٥]، ولقد كان للبيئة الجغرافية وللموروث الحضاري اثرهما في تميز هذين الاتجاهين، وفيما يخص المدينة المنورة فأننا نعلم قبولها للاسلام بسلاسة وترحيبها به وقتالها في سبيله من غير معارضة أو ممانعة أو جدال، وبعد وفاة النبي كان الاتجاه العام فيها لا يختلف كثيرا عما كان في عهده فقد تقبلت الواقع السياسي الجديد ودافعت عنه فظهر ما يعرف بـ (اهل السنة والجماعة)، وكان لهذا الاثر الواضح على هذه المدرسة ورجالاتها لذا نجد المرويات التاريخية التي يتبناها ممثلوا هذه المدرسة تتبع ذلك الاتجاه وهو اتجاه القبول وعدم المعارضة.

أما البيئة العراقية من حيث الجغرافية والسياسة والموروث الحضاري ناهيك عن التنوع القبلي المصاحب للفتوح والتنوع العرقي الموجود اصلا فهي تختلف اختلافا جذريا عن بيئة المدينة، فالعراق الذي كان موطنا لحضارات مختلفة وساحة لتجاذبات سياسية شتى كان لابد ان تترك اثرها على نوعية التفكير وطبيعة الكتابة التاريخية التي ظهرت فيه واذا ما أضفنا لذلك انه اصبح منطلقا لفتح مناطق اخرى نستطيع ان نفهم ان ما ألف من مادة تاريخية ستتلائم مع تلكم الاوضاع، لذا نجد اهتمام مدرسة المدينة التاريخية يتمحور حول السيرة النبوية بالدرجة الاساس وما تلاها من حوادث في محاولة منها لتبرير تلك الحوادث بشكل ينسجم مع الواقع السياسي ومع الاجماع الديني ومحاولة عدم اثارة ما يدعو لزعزعة ذلك الاجماع، في حين تتناول مدرسة العراق بالاضافة الى السيرة النبوية الفتوح والانساب والتراجم والطبقات وتواريخ المدن وغيرها من اشكال الكتابة التاريخية، وهذا التنوع الكبير في الانتاج التاريخي لهذه المدرسة وقلة انتاج مدرسة المدينة مقارنة به لا يعود الى عيب أو قصور في مدرسة المدينة بقدر ما ان هذه المدرسة لم تتح لها فرصة الاستمرار بفعل انتقال مركز الدولة الى الشام اولا ثم الى العراق في العصر العباسي هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فإن مدرسة العراق قد افادت من وجود عدد ضخم من الكُتّاب والعلماء الذين ينتمون الى اصول مختلفة من ناحية الانتماء العرقي او السياسي او المذهبي وحتى الفلسفي واطلاع اولئك على ما انتجته الامم الاخرى سواء في مجالات التاريخ او غيره لا سيما بعد تصاعد وتيرة الترجمة خلال حكم المنصور والرشيد والمأمون الذي ازدهرت في عهده وبلغت اوجها وهذا جعل المؤرخين العراقيين ينظرون للماضي نظرة مغايرة لنظرة زملائهم مؤرخو المدينة،

مضافا الى ذلك طبيعة الشخصية العراقية الميالة للجدل وعدم القبول والمعارضة لذا نجد ان المدرستين وان اجتمعتا حول صفات معينة تفترقان في كثير من الصفات.

ـ الخاتمة:

ان هذا البحث الذي عرضنا فيه لنموذجين من مؤرخي المدينة ونموذجين من مؤرخي العراق ما هو الا استمرار لجهود اساتذة كثيرون كتبوا في هذا الموضوع، وعلى الرغم من كثرة ما كُتب في هذا المجال فأن تطور الفكر التاريخي العربي وعلم التاريخ عند المسلمين لا يزال مجالا رحبا وارضا خصبة لمزيد من الدراسات والبحوث، و نستطيع القول ان بجثنا هذا يمكن ان يكون منطلقا لدراسة اكثر تفصيلا لهاتين المدرستين اذ تبين من خلاله وجود حاجة ملحة لتسليط الضوء على رجالات المدارس التاريخية الاسلامية وعلى نتاجاتهم الكثيرة والتي وصل الينا النزر القليل منها من خلال ما حفظته كتب المؤرخين الذين جاؤوا بعدهم.

ومن النتائج التي توصل اليها البحث ان هناك مجموعة من الميزات التي تميزت بها كل مدرسة عن غيرها وهذه الميزات تتبع طبيعة البيئة الجغرافية والحضارية والسياسية التي ظهرت كل مدرسة فيها، فمدرسة المدينة التاريخية كانت منسجمة مع بيئتها خاصة السياسية وهي لم تشأ الخروج عن الإجماع الذي عُرفت به المدينة ذلك الاجماع الذي جعلها نوعا ما بعيدة عن الحروب والثورات العنيفة واعطاها نوعا من الاستقرار والأزدهار والرخاء، اما البيئة العراقية الميالة للعنف والجدل فقد جعلت من مدرستها التاريخية انعكاسا لها فالعراق شهد جملة من الحوادث العنيفة والحروب الكثيرة والضنك الاقتصادي للسكان على الرغم مما يتوفر فيه من خيرات الأمر الذي انعكس على طبيعة التفكير والتأليف والكتابة التاريخية، ومن هذا نستطيع القول ان هاتين المدرستين يجب ان تحظيا بمزيد من البحث والدراسة.

الهوامش:

[١] – روزنتال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح احمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٣٣.

[٢] – النقيب، مرتضى حسن، المؤرخ المبتدئ ومنهج البحث التاريخي، بغداد،١٩٩٩، ص٧٧.

[٣] – الدوري، عبد العزيز، نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧، ص١٧.

[٤] – مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون _ دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٣،جـ١، ص.ص ١٤٩–١٥١.

[٥] – ناجي، عبد الجبار، نقد الرواية التاريخية عصر الرسالة أنموذجا، منشورات الجمل، بغداد–بيروت، ٢٠١١،ص ١٠٣.

[٦] – ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله،(ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين ابو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، جـ ٤٠، ص.ص ٢٣٧–٢٨٦ ؛ابن خلكان، شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد، (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، جـ ٣، ص.ص ٢٥٥–٢٥٨؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، جـ ١٩، ص.ص ٣٦١–٣٦٣.

[٧] – ابو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود، (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م)، الاخبار الطوال، تحقيق غبد المنعم عامر، سلسلة تراثنا، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٣١٥.

[٨] – الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، ص.ص ٥٣–٦٦؛ مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، جـ١، ص.ص ١٥٢–١٥٣.

[٩] – هورفتس، يوسف، المغازي الاولى ومؤلفوها، ترجمة حسين نصار، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص.ص ٣٨–٣٩.

[١٠] – ابن خياط، خليفة بن خياط العصفري، (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق اكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط ٢، ١٤٠٥هـ/٢٠٠٥م، ص ٥٤،

[١١] – م.ن. ص١٢٢.

[١٢] – البلاذري، ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر، (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله انيس الطباع وعمر انيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٢٠.

[١٣] – م.ن. ص٣٠٥.

[١٤] – ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٨–١٩٧٦، جـ ٢، ص٢٩١.

[١٥] – م.ن. جـ٦، ص.ص ١٦٠– ١٦١.

[١٦] – ابن خلكان، وفيات الاعيان، جـ٤، ص.ص١٧٧–١٧٨؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قيماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢، جـ٥، ص.ص٣٢٦–٣٥٠؛ العواجي، محمد بن محمد، مرويات الأمام الزهري في المغازي، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، جـ١، ص ص ٩٣–١٥٠.

[١٧] – الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، ص ٦٧.

[١٨] – مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، جـ١، ص ١٥٨.

[١٩] –ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، صفة الصفوة، تحقيق طارق محمد عبد المنعم، دار ابن خلدون، الاسكندرية، بلا تاريخ، جـ١، ص٣١٧.

[٢٠]– الطبري محمد بن جرير، (٣١٠هـ/٩٢٢م)، المنتخب من ذيل المذيل، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ب.ت. ص ١٣١.

[٢١] – هورفتس، المغازي الاولى، ص ٧٦.

[٢٢] – م.ن. ص.ص ٨٠–٨٤.

[٢٣] – تاريخ خليفة بن خياط، ص ٦٣.

[٢٤] – ناريخ خليفة بن خياط، ص ١٠١.

[٢٥] – م.ن. ص٢١٣.

[٢٦]– فتوح البلدان، ص ٢٨.

[٢٧] – م.ن. ص٦٣١.

[٢٨] – م.ن. ص٦٣٨.

[٢٩] – تاريخ الرسلو والملوك، جـ ١، ص ١١٤.

[٣٠] – م.ن. جـ٦، ص ٤٩٥.

[٣١] – ينظر كتاب (نقد الرواية التاريخية – عصر الرسالة انموذجا – لمؤلفه د. عبد الجبار ناجي).

[٣٢] – مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، جـ ١، ص ١٦٩.

[٣٣] – الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٩، ص ١٢٤؛ ابن النديم، محمد بن اسحق، (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م)، الفهرست، تحقيق رضا– تجد، طهران، ١٩٧١، ص. ص١١٣–١١٧؛ الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت، (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، تاريخ مدينة السلام واخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير اهاها وواردیها، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، جـ ١٣، ص.ص ٥١٦–٥١٨.

[٣٤] – الفهرست، ص.ص ١١٣–١١٧.

[٣٥] – مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، جـ ١، ص ١٨٨.

[٣٦] – روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ، ص ١٠٠.

[٣٧] – ناجي، عبد الجبار، المدارس التاريخية الاسلامية – مدرسة البصرة انموذجا– بيروت، ٢٠١٣، ص ١٦٤.

[٣٨] – الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد مدينة السلام، جـ١٣، ص٥١٧.

[٣٩] – مصطفى التاريخ العربي، جـ ١، ص١٨٨.

[٤٠] – تاريخ خليفة بن خياط، ص ٥٢.

[٤١] – م.ن. ص ٤١٥.

[٤٢] – فتوح البلدان، ص ١٤.

[٤٣] – م.ن. ص٩٩.

[٤٤] – م.ن. ص.ص ٤٢١–٤٢٢.

[٤٥] – تاريخ الرسل والملوك، جـ ٣، ص ٢٤٠.

[٤٦] – م.ن. جـ ٨، ص.ص ٥٢٣–٥٢٤.

[٤٧] – ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ ٥، ص.ص ٢٣٥–٢٤٣؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمدبن عثمان، (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م)، تذكرة الحفاظ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، ١٣٣٣هـ، جـ١، ص٣٣٨؛ الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م)، البلغة في تراجم أئمة النحاة واللغة، تحقيق محمد المصري، الكويت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٧٦.

[٤٨] – مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، جـ ١، ص ١٩٨.

[٤٩] – ابن النديم، الفهرست، ص.ص ٥٨– ٦٠.

[٥٠] – مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، جـ ١، ص ١٩٩.

[٥١] – العمري، اكرم ضياء، مقدمة التحقيق على كتاب تاريخ خليفة بن خياط، الرياض، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥، ص.ص ١٩– ٢٠.

[٥٢] – البلاذري، فتوح، ص ١١٧.

[٥٣] – تاريخ الرسل والملوك، جـ ٢، ص ١٩٣.

[٥٤] – م.ن. جـ ٥، ص.ص ٥١٦– ٥١٨.

[٥٥] – الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، ص ١٠٣.

المصادر والمراجع:

- البلاذري، ، ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر، (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله انيس الطباع وعمر انيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، صفة الصفوة، تحقيق طارق محمد عبد المنعم، دار ابن خلدون، الاسكندرية، بلا تاريخ.
- ابو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود، (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م)، الاخبار الطوال، تحقيق غبد المنعم عامر، سلسلة تراثنا، القاهرة، ١٩٥٩.
- الخطيب الغدادي، الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت، (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، تاريخ مدينة السلام واخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير اهاها وواردیها، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- ابن خلكان، شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد، (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.
- ابن خياط، ، خليفة بن خياط العصفري، (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق اكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط ٢، ١٤٠٥هـ/٢٠٠٥م
- الدوري، عبد العزيز، نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧.
- الذهبي، الذهبي، شمس الدين محمد بن احمدبن عثمان، (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م)،
- تذكرة الحفاظ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، ١٣٣٣هـ.
- سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢.
- روزنتال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح احمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٩م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- الطبري، محمد بن جرير، (٣١٠هـ/٩٢٢م)،
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٨-١٩٧٦.
- المنتخب من ذيل المذيل، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ب.ت

- ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله،(ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين ابو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- العواجي، ؛ العواجي، محمد بن محمد، مرويات الأمام الزهري في المغازي، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م)، البلغة في تراجم أئمة النحاة واللغة، تحقيق محمد المصري، الكويت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون _ دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٣.
- ناجي، عبد الجبار،
- المدارس التاريخية الاسلامية – مدرسة البصرة انموذجا– بيروت، ٢٠١٣.
- نقد الرواية التاريخية عصر الرسالة أنموذجا، منشورات الجمل، بغداد–بيروت، ٢٠١١.
- ابن النديم، ابن النديم، محمد بن اسحق، (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م)، الفهرست، تحقيق رضا– تجدد، طهران، ١٩٧١.
- النقيب، مرتضى حسن، المؤرخ المبتدئ ومنهج البحث التاريخي، بغداد،١٩٩٩.
- هورفتس، ، يوسف، المغازي الاولى ومؤلفوها، ترجمة حسين نصار، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

فلسفة السياسة الامريكية في نهاية القرن العشرين

د. عبد حسين عبد محسن سوسه
جامعة الانبار-كلية الاداب
abd71soosa@gmail.com

فلسفة السياسة الامريكية في نهاية القرن العشرين

د. عبد حسين عبد محسن سوسه

المقدمة :

في نهاية الثمانينات ساد القلق الطبقة الحاكمة في الولايات المتحدة الامريكية ،ويمكن فهم ذلك من خلال نظرية فرانسيس فوكوياما التي تعود إلى الأعوام ١٩٨٩-١٩٩٢ ،إذ يرى فرانسيس فوكوياما أن للتاريخ إتجاهاً، وأن نقطة الوصول هي إنتشار الديمقراطية الليبرالية على مستوى العالم، لم يكن إنهيار الشيوعية سوى مرحلة تلتها مرحلة سقوط الأنظمة الشمولية في أوربا الشرقية، وتبدو ملاحظة فرانسيس فوكوياما لعام ١٩٨٩ تلوح لتأملات في طبيعة المستقبل. لقد إنحصر دور الولايات المتحدة الامريكية في الدفاع عن المبدأ الديمقراطي الغربي، الذي كانت تهدده النازية والنظام السياسي الياباني ثم الشيوعية الروسية والصينية، لقد ظهر دور الولايات المتحدة الامريكية خلال الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة الدور التأريخي، وكان لهذا الدور أبعاداً خطيرة على راعيته نفسها((الولايات المتحدة الامريكية))!. فمإذا لو سادت الديمقراطية في كل مكان في العالم؟ إن النتيجة الحتمية شديدة الغرابة لهذا الأمر، إن الولايات المتحدة سوف تصبح كقوة عسكرية غير نافعة للعالم، وعليها أن تستسلم لواقع أنها أصبحت ديمقراطية بين الديمقراطيات الأخرى.

إن عدم فائدة الولايات المتحدة الامريكية للعالم أقلقت قادة واشنطن ومخططي السياسة الخارجية، ويقبل المفكر الاستراتيجي بريجنسكي[١] بالتحدي الضمني لمفارقة فرانسيس فوكوياما ،ويقترح منهاجاً دبلومآسياً وعسكرياً، من أجل الإحتفاظ بالسيطرة على العالم القديم، وأنه يلجأ إلى تقسيم الشعوب على أساس ديني واثني، ويرى أن معظمهم غير قادر بالطبيعة والفطرة على الإقتداء بالغرب. قسم البحث الى عدة محاور تناول **المحور الاول :التطور التاريخي للاستراتيجية الامريكية بينما تناول المحور الثاني : حملة الافكار في السياسة الخارجية الامريكية خلال الحرب الباردة.وختم البحث بالمحور الثالث : الغرب يصطدم بالاسلام.**

Philosophy of American politics in the End twentieth century

At the end of the 1980s, the ruling class in American was concerned from fukuyam's theory of 1989-1992.Fukuyama argues that history has a tendency and that the spread of liberal democracy globally.Totalitarian regimes in southern Europe. And Fukuyama's 1989 observations seems to ponder reflections on the nature of the future. American's cosmopolitan specialization has been limited to defending the democratic principle threatened by Nazism and Japanese militarism, then Russian and Chinese communism, Both world war 11 and the cold war have played the historic role of American, which carries dangerous dimensions to its own patronage, In the world?

The unavoidable consequence of this is that the United States will become a military power that is useless for the world and must give in to the fact that it has become a democracy among other democracies.

American's uselessness to the world has alarmed Washington's leaders and foreign policy planners. Brzezinski accepts the implicit challenge of Fukuyama's paradox, proposes a diplomatic and military approach to retain control of the ancient world, and divides peoples on a religious and ethnic basis, following the example of the west .

المحور الاول :التطور التاريخي للاستراتيجية الامريكية

من المعروف ان لكل ظاهرة سياسية جذور تاريخية ساهمت في نشأتها وبلورة نماذج ادائها. والتعمق في تلك الجذور وظروفها وما لأحها من مؤثرات يُعد امرا ضروريا لاستيعاب جميع المتغيرات التي تحيط بالظاهرة في اشكالها المعاصرة[٢]. أن التطور التاريخي الذي اصاب الاستراتيجية الامريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الوقت الحاضر وسعي الولايات المتحدة الامريكية الى الاحتفاظ بمكانة متقدمة للقوة العسكرية في اطار هيكل القوة العالمي في عالم ما بعد الحرب الباردة دفعها لان تكون سياستها الدفاعية محكومة بدرجة كبيرة بتفكير مرحلة الحرب الباردة [٣] .

وتلك الاستراتيجية لم تكن قبل تلك الفترة تستند الى اسس ثابتة بل كانت مزيجا من الخطط العسكرية التي دافعت عن فكرة اقامة دولة فيدرالية توحد الولايات المشكلة لها تحت

جناح دستور تم اقراره بالدستور الامريكي عام ١٧٨٧ تحت هيكل مؤسس للدولة الواحدة(الاتحادية)[٤]. لقد افرزت نهاية الحرب العالمية الثانية نتائج كارثية على الدول الاوربية والاتحاد السوفيتي واليابان والصين لا تقل مأساوية عما سببتها احداث الحرب ذاتها من كوارث لها، اذ خرجت تلك القوى من الحرب وهي محملة بأعباء جسيمة ، فقد تخلت المانيا واليابان مرغمه عن موقع الصدارة العالمية ، كما خرجت الدول الاوربية التي حسبت على الطرف المنتصر في الحرب وهي ذات مكانة دولية متدنية من جراء ما تكبدته من خسائر بشرية ومادية ومعنوية بابشع حرب عرفتها الانسانية في العصر الحديث.

وعلى الرغم من ان العبء الانساني في هذه الحرب قد وقع في معظمة على اطراف التحالف، وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي الذي ضحى بما يقرب من (٢٠ مليون) انسان، الا ان المنتصر الحقيقي والوحيد الذي نال بنتائج تلك الحرب كان يقبع في الجانب الاخر من الاطلسي الذي كان على الجميع ان يعترف بقيادته العالمية خاصة بعد ان دللت الولايات المتحدة على قدرتها بما اتخذته من قرارات غيرت مجرى الحرب، على صياغة النصر للحلفاء[٥]، وبذلك اصبحت قرارات الحرب التي تصدر من واشنطن هي الاهم تأثيرا في حسم الموقف[٦].

أن ايجاد نظام عالمي تتزعمه الولايات المتحدة يعتمد على قوة عسكرية واقتصادية وسياسية أمريكية متفوقة وعلى قيم أمريكية جوهرها سياسة الهيمنة. ويعتقد أنصار الهيمنة أن على الولايات المتحدة أن تسعى إلى زيادة قوتها النسبية إلى أقصى حد (أي قوتها بالمقارنة مع قوة الدول الأخرى)، وتقوم إستراتيجية الهيمنة على افتراض أن الدول تكسب الأمن لا من خلال توازن القوى، بل عبر اختلال توازن القوى لمصلحتها (أي بسعيها إلى الزعامة). ففي العالم الذي تغلب عليه الخشونة والتنافس يعتمد أمن الدولة على القوة "الصعبة" (القوة العسكرية ودعاماتها الاقتصادية)، ومن الأفضل للدولة أن تكون هي الدولة رقم(١) بين الدول. ويرى أنصار هذه الإستراتيجية أن الاستقرار المنسَّق (غياب كل من الحرب والسباقات الأمنية وانتشار الأسلحة) مرتبط بقوة الولايات المتحدة العسكرية. كما تفترض إستراتيجية الهيمنة أن للولايات المتحدة مصلحة حيوية في الحفاظ على "الاستقرار" (وهو اصطلاح فضفاض ومبهم) في النظام الدولي[٧]. وهو ما روج له هنتنغتون" عندما أكد أنه:

"في عالم لا يكون فيه للولايات المتحدة الأولوية، سيعرف هذا العالم العنف والفوضى أكثر، وديمقراطية أقل، ونمواً اقتصادياً أدنى، إلا إذا استمرت الولايات المتحدة، كما هو الحال اليوم، أن يكون لها نفوذ أكثر على الشؤون الدولية الشاملة، وأكثر من أي بلدٍ آخر، كما أن المحافظة على الأولوية للولايات المتحدة، أمر جوهري، ليس فقط من أجل مستوى العيش والأمن للأمريكيين، بل أيضاً من أجل مستقبل الحرية والديمقراطية والاقتصاديات المفتوحة والنظام الدولي"(٨).

المحور الثاني : حملة الافكار في السياسة الخارجية الامريكية خلال الحرب الباردة.

كانت النظرة في القرن العشرين الى العلاقات الدولية هي وصفها بأنها علاقات تحكمها الايدلوجية(٩). وبما ان الافكار والايدلوجية تتواجد غالباً بشكل ثنائي، أي الواحدة في مقابل الاخرى(١٠). فكانت طبيعة العلاقة بين الايديولوجيات هي طبيعة انقسامية، أُي: تقسيم العالم الى جهات أيدلوجية متصارعة الواحدة في مواجهة الاخرى، الليبرالية مقابل الشيوعية، الليبرالية مقابل الفاشية، الليبرالية مقابل الراديكالية الاسلامية، وقد وصف الرئيس الامركي (ريتشارد نيكسون–Richard Nixon) صراع الولايات المتحدة الامريكية مع الاتحاد السوفيتي بانه صراع بين الحرية والديكتاتورية الشمولية مستذكراً "لانريد نصراً على أمة اخرى أو شعب آخر، ولكنا نسعى إلى تحقيق انتصار الحرية وهزيمة الديكتاتورية الشمولية التي تنكر الحرية"(١١).اشارت وثيقة استراتيجية الامن القومي الامريكي في نهاية القرن العشرين بان الصراعات الكبرى للقرن العشرين بين الحرية والديكتاتورية انتهت بانتصار قوى الحرية وبقيام نموذج واحد للنجاح قابل للاستدامة، الحرية والديمقراطية والاعمال الحرة(١٢)، في الحقيقة كان الصراع بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي في الأساس هو الصراع بين الرأسمالية والأشتراكية ويستند الصراع الى أسس فكرية وفلسفية، وقد لجأ العالم الغربي وعلى رأسه الولايات المتحدة الامريكية في الصراعات الفكرية والايدلوجية الى استخدام ادوات رمزية لكسب المعركة فكريا، لان الافكار حسب قول (اوغوست كونت) (١٣) هي التي تحكم العالم(١٤).

وقد اكد صناع القرار السياسي في الدول الديمقراطية الغربية بأن قوة الافكار هي العلامة المميزة لليبرالية(١٥).

بما ان الحرب الباردة كانت صراعاً عقائدياً وتوتراً سياسياً وتصعيداً دبلوماسياً وحرباً نفسيةً ودعائيةً وضغوطاً اقتصادية، دون تصاعدها لتصل الى مستوى الحرب العسكرية العامة، على الرغم من استخدام الأدوات العسكرية فيها مثل: التحالفات العسكرية وسباق التسلح والحرب بالوكالة الا ان ادواتها ليست ادوات الحرب العسكرية فقط، فأدوات الحرب الباردة كانت بالدرجة الاولى هي اقتصادية واعلامية وايديولوجية ورمزية[١٦].

خلال الحرب الباردة قامت الولايات المتحدة الامريكية وقوى غربية اخرى، على الاخص المملكة المتحدة بتطوير بنية تحتية متينة لشن حرب الافكار ضد الايدلوجية الشيوعية المدعومة من قبل الاتحاد السوفيتي وحلفائه، وكانت الولايات المتحدة في العصر الذهبي للدعاية والدعاية المضادة، وللعمليات الدبلوماسية العامة، حيث نفذت الإدارة الامريكية سلسلة من الخطوات بهدف تفعيل الانشطة الرامية الى تشكيل الرأي العام ضد الاتحاد السوفيتي، ومما له دلالته على ذلك إرسال الرئيس ترومان في كانون الثاني ١٩٤٦ إلى وزير الخارجية جيمس بيرنز رسالة ذكر فيها:"ما لم تواجه روسيا بالقبضة الحديدية واللغة القوية فإن الحرب لاشك آتية إن هناك لغة واحدة يفهمها الروس هي كم فرقة عسكرية لديك؟ "[١٧]. لقد رأت الحكومة الأمريكية ضرورة إنتهاج ستراتيجية جديدة في تلك الفترة من خلال تركها للسياسة الإستعمارية القديمة المتمثلة في الإحتلال العسكري المباشر، وابتكر الرئيس ترومان وسائل إدارية جديدة لمواجهة تحديات الحرب الباردة في تموز ١٩٤٧،الأمر الذي دفعها إلى إنشاء مجلس الأمن القومي لتنسيق السياسات العسكرية والخارجية لمصلحة الدفاع والأمن القومي[١٨]، ومع تزايد مسؤوليات السياسة الخارجية وأتساع مفهوم الأمن القومي، بدأ رجال سياسة الولايات المتحدة يفكرون في إيجاد مؤسسة ترتبط بوزارة الخارجية وتكون مختصة بالأمن القومي،فتم تأسيس (مجلس الأمن القومي– National security council) من أجل توجيه النصح للرئيس فيما يتعلق بالسياسات الداخلية والخارجية والعسكرية، وأعضاء المجلس هم:الرئيس، ونائب الرئيس ووزير الخارجية ووزير الدفاع، ومديرو بعض المؤسسات الحيوية المرتبطة بالأمن القومي كمدير الإستخبارات المركزية وغيره من المستشارين[١٩].

وراء الستار الحديدي، داخل الاوساط الفكرية والثقافية الاوروبية وفي العالم النامي[٢٠].

ولقد كان لانطلاقة (أذاعة صوت امريكا) صدى كبير عام ١٩٤٢، إذْ كان الهدف من انشائها نشر الاخبار والمعلومات عن السياسات والمصالح الامريكية على المستوى العالمي، وذلك عن طريق الراديو واذاعة اوروبا الحرة وراديو الحرية التي شكلت اذاعات بديلة موجهة للأوروبيين في شرق أوروبا و روسيا وهي دول يرجع الفضل اليها في المساعدة على كسب الحرب الباردة. وقد ظلت الولايات المتحدة تنفق اكثر من (٦٠٠) مليون دولار سنوياً على الاذاعات الدولية التي ترعاها الإدارة الامريكية[٢١]، وكان لدى الرئيس (ريتشارد نيكسون– Richarad Nixon) قناعة بان تكريس موارد اكثر للبرامج الاذاعية الاجنبية في منطقة اوروبا الشرقية يؤدي الى تطوير إتصال الولايات المتحدة بالشرق، وهذا يؤدي الى إزدياد إنفتاح الشرق على قوة المثال الغربي، وهي قوة يصعب على الصفوة الشيوعية ان تقاومها[٢٢].اضافة الى ذلك اهتمت الادارات الامريكية اثناء الحرب الباردة بالتبادلات الثقافية من خلال اختلاط الاكاديميين والسياسيين والصحافيين الاجانب بالمواطنين الامريكيين والتفاعل مع القيم والمؤسسات الامريكية، فقاعات المطالعة في القنصليات والسفارات الامريكية اعطت للأجانب جانب فرصة الحصول على الصحف والكتب والمجلات وغيرها من وسائل الاعلام، ودعمت الحكومة الامريكية (منظمة المؤتمر من اجل الحرية والثقافة) وكانت هي جمعية دولية خاصة بأبرز الفنانين والكتاب والعلماء المعارضين للايدلوجيات الشمولية[٢٣].

يقول البروفيسور (جوزيف ناي–Joseph Nye)[٢٤] بهذا الصدد "والحق ان الاتصالات الثقافية العالية كثيراً ما كانت تنتج قوة ناعمة للولايات المتحدة اثناء الحرب الباردة، فقد قامت عشرات المؤسسات غير الحكومية مثل المسارح والمتاحف وفرق الاوبرا بالعمل في الاتحاد السوفيتي"[٢٥]. ويشير إلى أنّه في "خمسينيات القرن العشرين قامت مؤسسة فورد ومجلس الجمعيات التعليمية، ومجلس بحوث العلوم الاجتماعية بدور هام في مجال تبادل اصحاب العقول والكفاءات، فقد زار الولايات المتحدة حوالي (٥٠٠٠٠) سوفيتي بين عامي ١٩٨٥–١٩٨٨ مابين كتاب وصحفيين وموظفين وموسيقيين ورياضيين واكاديميين، وذهب الى الاتحاد السوفيتي عدد من الاميركيين اكثر من ذلك"، حول تأثير هذه المبادلات قال (اوليغ كالوجين) من كبار مسؤولي (مكتب امن الدولة –GBK) الاتحاد

السوفيتي "كانت التبادلات حصان طروادة الذي دخل الى الاتحاد السوفيتي، فقد لعبت دوراً هائلاً في تآكل النظام السوفيتي" وهكذا جاذبية القوة الناعمة في مرحلة الحرب الباردة قدمت اسهاماً في تحقيق اهداف السياسة الامريكية(٢٦).

وكان على الصعيد الاعلامي تأسيس الوكالة الامريكية للاعلام في مرحلة حرجة من مراحل الحرب الباردة بمثابة خطوة هامة نحو تحقيق مصالح الولايات المتحدة في عالم الاتصالات السريعة والدعاية المتطورة ومحاربة الخطاب الفكري الشيوعي(٢٧).في جانب آخر كان للاهتمام المتزايد بمسألة حقوق الانسان في خطاب السياسة الخارجية الامريكية، تأثيره الايجابي في حسم معركة الافكار لصالح الولايات المتحدة، ودفعت حملة حقوق الانسان على يد الرئيس جيمي كارتر وإمتزاجها مع الجاذبية الروحية للبابا يوحنا بولس الثاني لإظهار ان الأفكار الامريكية تستند الى عقيدة دينية في مواجهتها الاتحاد السوفيتي، وحصر الاتحاد السوفيتي أنْ يأخذ موقفاً ايدلوجياً دفاعياً(٢٨).

على الرغم من تأثير الخطاب الفكري والثقافي الشيوعي على نخبة المثقفين والسياسيين والاعلاميين في الولايات المتحدة الامركية اثناء الحرب الباردة، وقد تجلى هذا التاثير في حرب فيتنام، بحيث لم تخسر الولايات المتحدة الامريكية الحرب في ارض المعركة، بل خسرت الحرب في قاعة الكونجرس، وفي غرف رؤساء تحرير الصحف وشبكات التليفزيون(٢٩). الا انها في النهاية كسبت الحرب الباردة وهذا الى حد كبير بفضل حملة الافكار والصراع الايدلوجي واستخدام الادوات الرمزية في السياسة الخارجية الامريكية.

ان انتصار الولايات المتحدة الامريكية في الحرب الباردة يعود الى قوة الافكار والارادة والعزيمة ومن ثم الى العناصر الاخرى المكونة للقوة العسكرية الصلبة، وبالاحرى إنَّ انتصار الولايات المتحدة الامريكية في الحرب الباردة كان نتيجة لعناصر القوة الناعمة بالدرجة الاولى ثم امتزاج عناصر القوة الناعمة بعناصر ومكونات القوة الصلبة.

وفي عصرنا الحالي ظهر هناك ما يمكن تسميته عملية "التبعية الحضارية" ونعني بذلك الاكتساح الثقافي والمعرفي والاعلامي لمنظومة الاختراق المبشرة به والمتجسدة في اقوياء هذا العصر تجاه الشعوب والامم الأخرى والتي لا تملك قوة أو معرفة القوى المهيمنة على الساحة الدولية الأمر الذي يدفع بكثير من الأمم إلى التقوقع على نفسها ازاء فارق

الامكانيات الأمر الذي يؤدي إلى مزيد من حالات الاضطراب والفوضى والتسيب وانفلات الأمن ، وهنا تبرز أهمية الحوار الحضاري الذي تحتاجه تلك الأمم والشعوب اليوم اكثر من أي وقت مضى والذي يجب ان يؤسس على عناصر معرفية وموضوعية تتيح اكتشاف الغايات والوسائل لقيم الحضارة الانسانية(٣٠).

ان استراتيجية الأمن القومي الامريكي ليست حالة ثابتة وجامدة وانما هي حالة حية متغيرة تتوقف على طبيعة المراحل والظروف التاريخية ونوعية التهديدات وتغيرها من عصر الى اخر في الدولة الواحدة (٣١)، وعلى هذا الأساس كانت استراتيجية الأمن القومي الأمريكي مابعد الحرب العالمية الثانية وفترة الحرب الباردة هي معاداة الشيوعية وانحصارها، وبعد انهيار الأتحاد السوفيتي تبدلت هذه الاستراتيجية الى حماية الأمن القومي الأمريكي من مايسمى بـ(الأرهاب الدولي)، اذن فالأمن القومي الأمريكي مفهوم شامل ومرن يجمع الأبعاد السياسية والاقتصادية والعسكرية والأجتماعية والثقافية والبيئية والصحية وتشمل مستويات مختلفة: فردية، وطنية وقومية واقليمية وعالمية: وهذا يؤدي الى اختلاف التصور الأمريكي لمفهوم الأمن القومي عن جميع الدول الأخرى ويرجع ذلك الى دمج الأمن القومي الأمريكي بامن العالم، وتحقيق الأمن القومي على حساب الأخرين حتى مع استخدام القوة العسكرية رغم ان استخدامها في كثير من الأحيان يأتي كتبرير أو ذريعة لتحقيق مصالحها الحيوية(٣٢).

ركزت استراتيجية الأمن القومي ما بعد الحرب الباردة على كل ما من شانه الحفاظ على مكانة الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة في العالم، وتسعى لحماية هذا الامن من خلال اجراءات عديدة(٣٣) ، صيانة الأمن في الداخل والخارج، من خلال صياغة بيئة عالمية والتجاوب مع التهديدات والأزمات، وتسعى الولايات المتحدة الى تشكيل وصياغة بيئة عالمية من خلال مجموعة من الوسائل بما في ذلك الأدوات العسكرية والدبلوماسية والتعاون الاقتصادي والمساعدات الدولية ومنع انتشار اسلة الدمار الشامل(٣٤). وجاء في تقرير عن استراتيجية الأمن القومي الأمريكي صادر عن البيت الأبيض في شباط ١٩٩٦، ان حماية امن الامة الأمريكية، الشعب والأرض ونمط الحياة، هو في مقدمة مهام الأدارة الأمريكية وواجباتها الدستورية(٣٥).

المحور االثاني: مرحلة ما بعد الحرب الباردة

اولاً: صدام الحضارات [٣٦]

بعد انتهاء الحرب الباردة وقيام الولايات المتحدة الامريكية بدور عالمي النطاق احادي الجانب في النظام الدولي، وحل الكثير من الازمات في فترة التسعينيات من القرن العشرين(حقبة بيل كلينتون)[٣٧] ولعل في مقدمتها استخدام القوة العسكرية ضد (الصومال، هاييتي، السودان، العراق، كوسوفو،...) بدت هذه الامور كأشارات تسلط الاضواء على (التفوق الامريكي) المطلق بمثابة الإستراتيجية الكبرى التي تخدم المصالح الامريكية، وبرز بعدها المحافظون الجدد ليدعون الى العمل الاحادي مقاربة مع القوة الامريكية.

كانت الولايات المتحدة الامريكية تبحث عن خصم تقاتله ، لانها وجدت بالحروب ضالتها بالوصول الى الاهداف ، ويمكن القول انها لن تكون قوية بظروف سلام بلا حرب ، لذلك اخذ المفكرون ومنهم صموئيل هانتنغتون يبحثون عن مخرج لازمة اميركا الجديدة. و"صدام الحضارات" لـ(صموئيل هنتنغتون) صدام الحضارات ليس فكرة جديدة انفرد بها منظرو فلسفة التاريخ المعاصرون، بل تعود في اساسها الى ابعد من القرن العشرين لكنها لبست ثوبا جديدا واعتمدتها دوائر لها ثقل في صنع القرار المؤثر في العالم وبلباسها الجديد اعتمدت مقولة (الصدام The Clash) فقد منحها هنتنغتون قوة دلالية مضافة لتصبح اكثر تغييرا واتساعا فمن الصدام الحضاري الى الصدام الكوني ومن الصدام الجزئي، طرفين او ثلاثة، الى صدام كلي تشترك فيه مجمل القوى البشرية بمختلف تشكيلاتها.ويبدو ان برنارد لويس سبق ان استخدم مصطلح (صدام الحضارات) عام ١٩٦٤ اي قبل ثلاثة عقود من هنتنغتون وربطها الاول بالصراع العربي- الاسرائيلي بتلخيص شديد فان اطروحة هنتنغتون عن صدام الحضارات هي ان المصدر الجوهري للصراع في العالم بعد سقوط الشيوعية لن يكون ايديولوجيا او اقتصاديا بالدرجة الاولى بل سيكون حضاريا[٣٨].

طرح هتنغتون فكرته التي تناقض فكرة فرانسيس فوكوياما على اساس القوه والمصلحة القومية ويرى ان المصدر الأساسي للنزاعات في العالم الجديد لن يكون مصدرها ايدلوجيا واقتصادي وانما ثقافي فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية ويذكر ان النزاعات ستحدث بين امم ومجموعات لها حضارات مختلفة وعليه سوف تكون الفواصل بين

الحضارات هي اسس النزاعات في المستقبل[٣٩] هذه الفكرة هي رؤية مستقبلية للسياسة العالمية والتي تعكس رؤية واضحه للتفكير الاستراتيجي الامريكي[٤٠]فالولايات المتحدة وجدت في فكرة صدام الحضارات ما يناسب استراتيجيتها بالجانب الواقعي لتقسم العالم الى دول إرهابية واخرى متحضرة تعمل لصالح البشرية وحسب هذه الفكرة سيكون الصدام بين الحضارة الغربية و الحضارات الاخرى .ومن جانب أخر تبتغي الولايات المتحدة الامريكية الاطمئنان على مستقبل قدراتها التنافسية مع الخصوم الواعدين سواء من اوربا أم آسيا لضمان حماية اوضاعها ومكانتها الدولية من دون منغصات أو لتفادي ان تقع في قبضة الآخرين، اي ان الولايات المتحدة الامريكية لا ترغب ان تترك للاحتمالية مجالاً في هذا الموضوع عبر تحقيق هدف أستراتيجي عالمي هو التأكيد ولكل الاطراف في العالم أنها تأخذ الدور المهيمن الذي تنفرد به بعد انتهاء الحرب الباردة، وإنها كانت القوة الاكبر في القرن العشرين فإنها مصممة على ان تكون القوة الاوحد في القرن الحادي والعشرين[٤١].

ولعل ما يؤكد ذلك فضلاً عن تحقيق أهدافها وتطلعاتها الإستراتيجية الآنفة الذكر، أن هنالك تقريرين سريين أمريكيين، حول الإستراتيجية الأمريكية ومستقبلها على المدى المتوسط والبعيد، والذي يحدده الأول تحت عنوان (السيناريوهات السبع القاتلة) المقدم من قبل وزارة الدفاع الأمريكية(البنتاغون) للرئيس بيل كلينتون في عام ١٩٩٣ والمتضمن خطة عسكرية مفصلة لما بعد الحرب الباردة والمواجهات المحتملة والتي تُفرض على الولايات المتحدة الأمريكية لتخوضها خلال السنوات العشر القادمة وأهمها:[٤٢]

١- إن وزارة الدفاع اعطت تعليمات لقادتها العسكريين تهيئة القوات والاسلحة اللازمة الكافية لخوض حروب اقليمية ضد (العراق، ايران، كوريا الشمالية) .

٢- توقع مواجهة عسكرية في اوربا لمنع روسيا الاتحادية من التطلع لاهداف توسعية.

٣- على الولايات المتحدة الامريكية ان تكون جاهزة للرد على مفاجأة من نوع الانقلاب الذي وقع في الفلبين والذي هدد حياة (٥٠٠٠) مواطن امريكي.

٤- الرد على المحاولات الإرهابية والانقلابية.

٥- المحافظة على وضع القوة العسكرية الامريكية في شرق اسيا ليتسنى للولايات المتحدة الامريكية الاستمرار في المساهمة بالأمن الاقليمي والاستقرار بالتصرف كقوة توازن لمنع حدوث فراغ أو هيمنة اقليمية.

٦- ردع المنافسات العدائية أو اي تحالف عالمي ذي طابع أمني عدواني توسعي.

اما التقرير الثاني ذو الفقرة الإفتتاحية " تكامل اليابان والمانيا في نظام امني تقوده الولايات المتحدة الامريكية وخلق منطقة سلام ديمقراطية "، فقد اكد إستعداد البنتاغون لإستخدام قواته المسلحة لمنع إنتشار الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل، مجسداً حقيقة إنتشار الأسلحة النووية الذي قد يغري المانيا واليابان وغيرها من الدول الصناعية بالحصول على مثل هذه الأسلحة لردع أعدائها الإقليميين مما قد يؤدي الى تنافس كوني مع الولايات المتحدة الأمريكية ونشوء أزمة مصالح قومية، وتهديدات عسكرية، وينتهي التقرير بالفقرة القائلة" تشكل قوتنا النووية رادعاً مهماً لاي تحدٍ أو تهديد كوني غير منظور، وفي الوقت نفسه تساعد على ردع أستخدام طريق ثالث لاسلحة الدمار الشامل" (٤٣).

ثانيا: البحث عن الاعداء:

جاءت ادارة كلينتون خلال عام (١٩٩٣-٢٠٠٠) لتكمل وتعالج ما ضعفت فيه الادارة السابقة(بوش الأب) في تحقيق الهيمنة الأمريكية العالمية ، اذ اطلق العبارات نفسها (بوش الأب) عن النظام العالمي الجديد ليفسر مفهوم توسع القمة الديمقراطية واقتصاد السوق الحر وقيادة الولايات المتحدة الامريكية العالمية.تعد وزيرة الخارجية الأمريكية الأسبق (مادلين أولبرايت) من أبرز المدافعين عن الدور الأمريكي العالمي حيث ترى بأن التقدم الديمقراطي بني بزعامة أمريكية ويجب أن تستمر هذه الزعامة اذ ((ما اريد حماية مصالحنا في العالم))(٤٤). وكرر كلنتون عبارة (أولبرايت) بشكل حاسم((بأن الولايات المتحدة هي الدولة الأقوى والأغنى في العالم الذي لايمكن الاستغناء عنها ولا بد للولايات المتحدة الامريكية من قيادة العالم))(٤٥). وعلى هذا المنوال أكد (أل غور) نائب الرئيس الأمريكي (كلنتون) بأن قدر أمريكا هو أن تقود، لا أن تنسحب))(٤٦).

قال المستشار السابق لكلنتون لشؤون الأمن القومي (أنطوني ليك)((الولايات المتحدة الامريكية تملك القدرة العسكرية الاعظم والاقتصاد الأكبر والمجتمع المتعدد. الأعراق الأكثر دينامية في العالم .... زعامتنا تحترم ويبحث عنها في أرجاء العالم الأربعة... مصالحنا ومبادؤنا لا تجبرنا فقط على الانخراط ولكن على القيادة ... يجب علينا تشجيع الديمقراطية واقتصاد السوق في العالم لأن ذلك يحمي مصالحنا وأمننا ولأنه انعكاس للقيم التي هي أمريكية وكونية في الوقت نفسه))[٤٧].

لقد وصف بيل كلينتون بانه أستاذ جامعي, مثقف لكن حياته السيكولوجية تتميز بالاضطراب كون طموحاته تتميز بالتناقض كونه يريد احتلال مكانة بين الرؤساء الأمريكيين وهي رغبة جامحة لديه في البيت الأبيض الشيء الذي جعله يدفع بعملية السلام في الشرق الأوسط مع إرادته تحقيق نصر عسكري في منطقة الخليج , كما انه يريد احتواء الدول الاشتراكية السابقة بتوسيع الحلف الأطلسي , أن الأهداف المتناقضة والطموحات التي سعى بيل كلينتون لتحقيقها جعلته يتقمص العديد من الشخصيات لأزاحة الضغوطات والمواقف التي يتعرض لها وكمخرج للإحباطات التي يتعرض إليها يضطر إلى الكذب، لذلك كانت المعلومات التي أدلى بها العديد من القضايا ومنها عملية السلام في الشرق الأوسط، اشارة الى سعي كلينتون لعرض عضلاته الرئاسية، والحكمة تطلبت منه العمل الهادئ على إعادة توجيه المصالح الأميركية بالاتجاه الصحيح[٤٨]. وقد اكد(الكسندر ادلر) أحد باحثي ومؤلفي كتاب (الحروب التي تهدد العالم/ رؤية مستقبلية) هذا التوجه الأستراتيجي الامريكي وتطلعات سيطرتها ومواجهتها للتهديدات، حينما قال أن المنطقة الاكثر عرضه للنزاعات في المنظور المستقبلي القريب تتمثل في شرق اسيا (الصين + اليابان) اللتين ستصبحان قريباً من مصاف القوى العظمى العالمية. ثم يضيف ثلاث مناطق اخرى في العالم تبدو النزاعات فيها مؤكدة على المدى القريب وتمثل عواصف على بوابات الولايات المتحدة الامريكية وتشمل:[٤٩] امريكا الوسطى وتحديداً في كولومبيا، كوبا، فنزويلا، هاييتي، بيرو، بوليفيا ومنطقة الشرق الاوسط والتي تعد اخطر منطقة في الحسابات الامريكية والقارة الافريقية السوداء والتي ستكون منطقة لصراعات عديدة في السنوات المقبلة[٥٠]. ويدرك اخيراً (فرانسوا فويال) من مؤلفي الكتاب ذاته ايضاً إن الولايات المتحدة الأمريكية بقوتها العسكرية

ستقود ثلاثة نماذج من الحروب المستقبلية وهي((الحروب الوطنية، والحروب التي تستهدف السيطرة على الموارد الاولية، والمواجهات على اساس بلوغ مزيد من القوة))[٥١]. وستكون الغايات الاساسية من هذه الحروب:

١ـ الامساك بزمام المسؤولية الدولية والاضطلاع بدور شرطي العالم، ومن ثمّ تسخير المنظمات الدولية وعلى وجه الخصوص (الامم المتحدة)، لخدمة اغراضها. وبالرجوع الى وثيقة وضعها البنتاغون عام١٩٩٦ بعنوان (السياسة التوجيهية الدفاعية) يتوضح هذا الهدف[٥٢]، اذ تذكر الوثيقة " إن محاسن سيطرة قوة عظمى واحدة كبيرة .. مما تبغي رفض المفهوم الدولي الجماعي وهي الأستراتيجية التي ظهرت وتكونت بعد الحرب العالمية الثانية عندما فكر المنتصرون الخمسة بتأسيس الأمم المتحدة لفض المنازعات سلمياً والسيطرة على اعمال العنف". وكما ترى الوثيقة ان العمل الجماعي عن طريق الأمم المتحدة لا يُعدّ بديلاً للزعامة الامريكية، إلا إن هذا لا يعني عدم اهميتها، اذ إنها وسيلة مناسبة لخدمة الولايات المتحدة الامريكية كقوة عظمى وحيدة بتوفيرها الآليات الجوهرية لاضطلاع الدولة(القوة العظمى الوحيدة) بمهامها المستقبلية[٥٣]. وهذا ما دفع الولايات المتحدة الامريكية لتدشن النظام الحربي في العراق بصورة انفرادية بعيداً عن حاجتها للتحالف الدولي كما في افغانستان أو من خلال قرارات الأمم المتحدة.

٢ـ تحول قوة الولايات المتحدة الامريكية من العظمى الى الوحيدة عبر اسقاط نسق القيم الرأسمالية الليبرالية الغربية في الديمقراطية وحقوق الإنسان، وتحقيق حلم الفرد الامريكي وهو الامر الذي دأبت على ترديده النظريات والمقولات التي زامنت بوادر تفكك الاتحاد السوفيتي كنهاية التاريخ وصدام الحضارات والعولمة ... والتي لا تفعل بمزاعمها كافة سوى عقلنة العنصرية والحرب والاخضاع بالقوة اعتماداً على مشروعية تأكيد الذات في سياق المحرك الاساس للتاريخ وهو (السيكولوجيا) تسويغاً عملياً لأستراتيجية تدير فيها الولايات المتحدة الامريكية العالم والصراع في العلاقات الدولية على وفق أستخدام القوة العسكرية والتدخل لحماية امنها في اي مكان من العالم.[٥٤]

٣ـ حتمية قيادة العالم بالإنتشار الأفقي والعمودي، وتحديد المناطق التي تمثل خطراً على مصالح الولايات المتحدة الأمريكية وذلك بإحتلالها حيز خاصاً في التفكير

الإستراتيجي الأمريكي، الأمر الذي يسوغ ان تظل الولايات المتحدة القوة العظمى الوحيدة في العالم على وفق تبرير عالمي لجهة إختلال موازين القوة لصالحها. وقد أكدت وثيقة البنتاغون آنفة الذكر ضرورة ان تظهر الولايات المتحدة الامريكية زعامة حقيقية لاقامة وحماية نظام جديد وإقناع المنافسين المحتملين بأن لا يطمحوا للاضطلاع بدور اكبر أو يظهروا مواقف اكثر عدائية لحماية مصالحهم(٥٥).

واعلن صاموئيل بيرجر مستشار الامن القومي الامريكي عام ١٩٩٨، اهمية التركيز على القوة العسكرية الامريكية بقوله: ((كل شخص تقريباً يؤمن بأننا بحاجة لجيش قوي لحماية مصالحنا في عالم من المخاطر المستمرة والمتغيره في ظروفها ذلك ان الإجماع المسيطر المتعلق بالقوة العسكرية الأمريكية لا يفي ببساطة بحاجة الولايات المتحدة الامريكية الى (جيش قوي) بل يعني وجوب امتلاكها للامكانيات العسكرية التي تمكنها من التغلب على اي اتحاد محتمل بين الاعداء))(٥٦). مؤكداً ان الأستراتيجية التي تلائم هذه القوة العسكرية لا يمكن تصويرها على أنها دفاعية أو هجومية، لان ذلك يسيء لفهم الطبيعة التنافسية للسياسة، حيث إن اي أستراتيجية تستحق اسمها تهدف لحماية المصالح المهمة، لكنها تفعل اكثر من ذلك، كونها تهدف لدفع الاهداف المهمة الى الامام، وهي تحاول تحديد جهود المنافسين لزيادة قوتهم (٥٧).

وبينما تسير الولايات المتحدة بتلازم مع المبدأ الذي يحتم عليها العالمية والهيمنة والقائل حسب تعبير نعوم شومسكي في كتابه ((السعي الامريكي الى السيطرة على العالم الهيمنة أم البقاء، الولايات المتحدة الامريكية بوصفها طليعة تاريخية))، ((فالتاريخ له اتجاه ووجهة يمكن تمييزها، ومن بين سائر امم العالم، وحدها الولايات المتحدة، وبصورة استثنائية تعي غاية التاريخ وتجسدها))، وعليه فإن عالمية وهيمنة الولايات المتحدة الامريكية هي لتحقيق غاية التاريخ، وما تحققه هو من اجل الخير العام، بما هو ابسط الحقائق البديهية، ومعه لا يعود التقييم التجريبي ضرورياً، هذا إن لم نقل مخطئاً، وبذلك فالمبدأ الاول للسياسة الخارجية الضارب جذوره عميقاً في الولسونية المثالية(٥٨)، والذي اتبعه الرئيس كلينتون عندما قال:((يجب ان تؤدي الولايات المتحدة الامريكية رسالتها بصفتها طليعة تاريخية، وان تُغير النظام العالمي، ومن خلال هذا وذاك تديم هيمنتها، عملاً بحتمية التفوق العسكري الذي ينبغي

الحفاظ عليه دائماً ومد خطوطه الى ارجاء العالم قاطبة))[٥٩].((وعليه وبحكم ادراكها وتجسيدها الفريد لغاية التاريخ، يحق للولايات المتحدة الامريكية لا بل هي مُلزمة في الواقع، بان تتزعم العالم، وتحدد عالميتها لما هو الشيء الافضل ولمنفعة الجميع، سواء افهم الاخرون ذلك أم لا.فضلاً عن محاولتها لاكتساب القوة ايضاً وتحقيق الردع))[٦٠].

نشر صموئيل هانتنغتون عام ١٩٩٦ كتابه صدام الحضارات واعادة تشكيل النظام العالمي the clash of civilization and the Remarking of world order ،الذي كان تفصيل لمقال له نشرته مجلةforeign Affairs عام ١٩٩٣.تسود الكتاب لهجة صريحة تورث الانقباض ،كما يخيل لقارئ الكتاب انه يقرا نصاً فيه تقليد استراتيجي لكتاب شبنغلر Spengler تراجع الغرب Declin de poccident لقد ذهب هانتنغتون الى حد رفض الاعتراف بعالمية اللغة الانكليزية واوصى بانسحاب متواضع للولايات المتحدة الى حدود تحالفها مع الغرب الاوربي، تلك الكتلة الكاثوليكية –البروتستانتينية ،مقصياً الارذوثكس في شرق اوربا، وتاركاً اليابان واسرائيل الركيزتين الاساسيتين الاخريين للاستراتيجية الامريكية، لمصيرهما، بسبب تباينهما الثقافي[٦١].

وفي عام ١٩٩٦ جاء البروفسور (صموئيل هانتنغتون) بنظريته الجديدة حول "صدام الحضارات، التي رسم من خلالها صورة مستقبلية لإشكال الصراعات القادمة بين الأمم. إذ تنبئ بقيام صراع بين الحضارات الرئيسة وخاصة بين الحضارات الشرقية والغربية ورسم سيناريو التصادم المباشر بين الحضارة الكونفوشيوسية (الصينية) والغربية كأحتمال أقرب من التصادم مع الحضارة الأسلامية ولكن في الوقت نفسه حذر هنتنغتون من قيام تحالف بين الحضارة الصينية والاسلامية ضد الحضارة الغربية[٦٢].ومن الجدير بالذكر،ان الفكر السياسي الاميركي منذ القرن السابع عشر كان يرى أن المعركة سوف تكون بين مجتمعات غير متكافئة فبين مجتمعات تعيش بظروف سيئة ومجتمعات متقدمة تريد أن تفرض خياراتها على العالم يدور صراع سيهدد مصالحها فالولايات المتحدة ترى أن الدول الفقيرة الضعيفة ستكون هي الخطر الاكبر عليها.ثمة مفاهيم ذات مساس مباشر بنظرية هنتنغتون وهي: مفهوم الحضارات، مسألة الحضارة الكونية، العلاقة بين القوة والثقافة، ميزان القوى المتغير بين الحضارات، التأصيل في المجتمعات غير الغربية، البنية السياسية للحضارات،

الصراعات التي تولدها عالمية الغرب، العسكرية الاسلامية، التوازن والاستجابات المنحازة للقوة الصينية، اسباب حروب خطوط التقسيم الحضاري والعوامل المحركة لها، مستقبل الغرب وحضارات العالم .

وهذه المفاهيم تتمحور حول[٦٣]:النظام العالمي قائم على الحضارة وهي الحضارة الغربية وتشكل الولايات المتحدة المركز او دولة القيادة في هذه الحضارة ولا يستبعد هنتنغتون (حروب خطوط التقسيم الحضاري) وبخاصة بين الحضارتين الاسلامية والصينية من جهة والحضارة الغربية من جهة اخرى ينتج عنها (تجمع الدول المتقاربة) وخطر التصعيد على نطاق واسع ومن ثم لابد من جهود دول المركز لايقاف تلك الحروب. كانت لهذه النظرية صداها الواسع في نفوس النخب المؤطرة للاستراتيجية الأمريكية بشكل خاص وللساسة والأكاديميين والرأي العام العالمي بشكل عام "حتى أن معظم المواقف على مسرح الأحداث حاولت من منطلقات مختلفة أن تشرح موقفها من مسألة صدام الحضارات"[٦٤]. ولكن يبقى صدى هذه النظرية في التفكير الإستراتيجي الأمريكي مثيراً للاهتمام إذ استطاعت ايجاد او تسويق العدو المحتمل الذي باتت الولايات المتحدة تبحث عنه كبديل للعدو الشيوعي الذي من خلاله يتم تحديد مسار الإستراتيجية الأمريكية.

ومن كل ما تقدم، يتضح مدى اهمية نظرية صدام الحضارات في طرحها لشكل وطبيعة الصراع العالمي في المستقبل وماهي طبيعة المهددات وشكل الاعداء والمنافسين الذين يقفون بالضد من الهيمنة الأمريكية في المستقبل، وبالتالي وضفت هذه النظرية لخدمة الإستراتيجية الأمريكية بواسطة الترويج لها لضمان انسياق اوربا التي تعد مهد الحضارة الغربية خلف الولايات المتحدة وربط مصيرها ومكانتها ودورها في إطار اشمل يضم الحضارة الغربية – الرأسمالية بشكل عام إذ تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، وان اي تراجع للمكانة الأمريكية في النظام العالمي يمثل تراجعاً للحضارة الغربية بشكل عام، ومن هنا كانت اهمية تلك النظرية في البحث عن مستقبل الهيمنة الأمريكية.

ويرى هنتغتون ان اربعة عشر قرنا من التاريخ تقول عكس ذلك ويلاحظ لمدة ما يقارب من الف سنة ابتداءً من فتح المسلمين لاسبانيا حتى الحصار التركي الثاني لفيينا كانت اوربا تحت تهديد مستمر من الاسلام ويضيف "الاسلام هو الحضارة الوحيدة التي جعلت بقاء

الغرب موضع شك وان المسلمين مشتركين في اعمال عنف داخل مجتمعاتهم اكثر من غيرهم وما بين ثلثي إلى ثلاثة ارباع عدد الصراعات بين الحضارات كان بين مسلمين وغير مسلمين ، حدود الاسلام دموية وان التوجه الاسلامي نحو الصراع العنيف تساعد عليه أيضاً درجة تسلح المجتمعات الاسلامية ، ففي الثمانينات كانت لدى الدول الاسلامية معدلات قوة نسبة العسكر لكل الف من السكان ومؤشرات دالة على جهد عسكري ، نسبة القوة إلى ثروة الدولة اكبر بكثير مما لدى الدول الأخرى بل ان معدلات القوة في الدولة الاسلامية كانت تقريبا ضعف نظيراتها لدى الدول المسيحية"[٦٥].

قال بعض الغربيين بما فيهم الرئيس الامريكي بيل كلينتون "ان الغرب ليس بينه وبين الاسلام أي مشكلة وانما المشكلات موجودة فقط مع بعض المتطرفين الاسلاميين"[٦٦] ثم يصل هنتغتون إلى تعميم غير دقيق حيث يقول "من الواضح جدا ان هناك صلة بين الاسلام وسياسة الاستعداد العسكري فالعنف والصراع واضحان في الدين الاسلامي وفي تاريخه وبالتالي فان المسلمين دعاة عنف إلى ابعد الحدود"[٦٧]. وضح هنتغتون الارقام الاحصائية لتاكيد ميل المسلمين إلى العنف في تاريخ علاقاتهم مع الاخرين وذكر:"ان الدول الاسلامية لديها ميل شديد إلى العنف في الازمات الدولية وقد استخدمت ذلك لحل ٧٦ من مجمل ١٤٢ أزمة كانت طرفا فيها بين عامي ١٩٢٨ و١٩٧٩ وفي ٢٥ حالة كان العنف هو الوسيلة الرئيسة للتعامل مع الأزمة وفي ٥١ حالة استخدام العنف إلى جانب وسائل أخرى وعندما كانت تستخدم العنف كانت الدول الاسلامية تستخدمه باعلى درجاته كما لجأت إلى حروب كاملة في ٤١% من الحالات التي استخدمته فيها واشتركت في صدامات في ٣٨% من الحالات السابقة"[٦٨]. وتاتي النظرة السلبية لهنتغتون التي ينظر بها إلى المسلم ،عبر وصفه باوصاف متعددة فهو واحد من خمسة فهو ١) بدوي معتد وبربري أو بائع يحاول المساومة والغش أو ٢) ملياردير مستهتر ومسرف أو ٣) قاذف قنابل وارهابي Bedouin Bazar Billionaire Bomber ويقول هنتغتون "العداء الاسلامي المتزايد للغرب يمكن مقارنته بالقلق المتزايد للغرب من الخطر الاسلامي المتمثل في التطرف انهم ينظرون إلى الاسلام كمصدر للانتشار النووي والارهاب والى المسلمين كمهاجرين غير مرغوب فيهم في اوربا"[٦٩].

لذا لا يخطئ بيل كلينتون بقوله "إن السياسة الخارجية للولايات المتحدة تعبر عن نفسها بقوة الحوادث التي تجابهها "[٧٠]، فقد بنت الولايات المتحدة سياستها في مكافحة الإرهاب[٧١] على أساس اتهام سبق أن وجهته الولايات المتحدة للاتحاد السوفيتي السابق حينما نعتته بـ(إمبراطورية الشر) ثم استخدمت الاتهام نفسه تجاه ما سمتهم الدول المارقة ، أي الدول التي ترعى الإرهاب، وهو المصطلح الذي ظهر في عهد الرئيس كلينتون،كما لجأت الادارة الامريكية في عهد الرئيس كلينتون، الى ما عرف خصخصة السياسة الخارجية الامريكية ،هكذا حيلة لكي تضمن لنفسها عدم التورط في الحالات التي يكون فيها التدخل الدبلوماسي مثيراً للقلاقل، اذ تكتفي بان تدفع بشركائها الخصوصيين لكي يتولوا الترتيبات اللازمة بدلاً من الحكومة، على ان يتولى البنتاجون نفسه امر متابعة سير العمليات عبر خلية تعاون سرية،،لتنفيذ مخططاتها دون مساءلة قانونية او دستورية ويؤكد خبير استراتيجي اوربي هو ريشار لابيفيير في كتاب له بعنوان(دولارات الرعب) ان هذه الشركة وتدعى سوكوم[٧٢] لعبت دوراً مهماً في ادارة الصراع في منطقة البحيرات العظمى، وتدخلت في عام ١٩٦٩ في نحو ١٤٠ دولة بدعوى انها تقوم بمهام انسانية في الصومال والسودان وراواندا والكونغو ..او بحجة انها تزيل الغام الحروب الاهلية التي جرت في انجولا واريتريا ،وقامت الشركة نفسها بتدريب ضباط الرئيس لوران كبيلا في رواندا، بينما قامت شركة اخرى في ١٩٩٥ تحت ستار التدخل الانساني بتسليم دبابات ومتفجرات للقوات المتحاربة داخل رواندا، دون ان تابه لقرار مجلس الامن الخاص بحظر تسليح هذه المنطقة[٧٣].

ولكي تدور احداث يوغسلافيا عام ١٩٩٩في الاتجاه الذي يخدم المصالح الامريكية كان لابد ان تصل ذراع السياسة الخارجية الى هناك عبر شركات اخرى، وكانت احدها تضم نحو ٢٠٠ خبير من افضل الخبراء العسكريين في العالم، ولقد كانت مهمة هذه الشركات الخاصة في عام ١٩٩٥ مساعدة الكروات في الحرب الاهلية، وهكذا كانت الولايات المتحدة الامريكية اليد الطولى في منطقة البلقان عبر دعمهم للاطراف المتنازعة في يوغسلافيا، لكن المذهل في الامر ان برنامج تطوير وتدريب افراد احدى هذه الشركات قد بلغ في احدى الدورات ٤٠٠مليون دولار تكفلة بها دول اخرى غير الولايات المتحدة الامريكية مثل بروني وماليزيا ،وبعض دول الشرق الاوسط[٧٤].والذي يوضح جوهر القوة العسكرية الأمريكية بأنها تعني

إستخدام قوى مشتركة خفيفة وأسهل حركة في الحرب، تدعمها المعلومات الاستخباراتية وقدرات القيادة والسيطرة بما في ذلك مضاعفات القوة الجوية، ويؤكد خبير استراتيجي اوربي هو ريشار لابيفيير في كتابه دولارات الرعب((إننا لسنا بحاجة لان نسرع على أقدامنا... إن ما نحتاجه هو إنجاز الاشياء خلال ساعات وايام بدلاً من الاسابيع والاشهر... وبأقل قدر من آثار اقدامنا على الارض))[٧٥]. ويتفق معه رئيس هيئة الأركان العامة المشتركة السابق الجنرال ريتشارد مايرز[٧٦] "عندما اوضح اعتماد افضل الوسائل لتحقيق الاهداف، وتزامن ذلك باعلان قرار مجلس الأمن رقم (١١٦٠) في ٣١ أذار عام ١٩٩٨، إذ قال:((بأن جوهر هذه الطريقة الأمريكية في الحروب المستقبلية، هي القدرات الخدمية التي أصبحت افضل بكثير من خلال الفريق المشترك، وإزدادت مقدرتها بحلقة إتخاذ القرارات المعتمدة على القيادة والسيطرة، المعلومات الاستخبارية، الإشراف والمسح الشامل، وهذه الحلقة أثبتت سرعة قصوى وخفة في الحركة بحيث نكون دائماً في عقدة إتخاذ القرار لخصومنا، حتى لو كان يحاول خصمنا تهيئة المجال لتغيير المحيط)) [٧٧]، وهنا سيحل تعبير جديد في الحرب القادمة هو " فضاء المعركة" محل تعبير ساحة المعركة، من خلال الإشتراك والإرتباط الوثيق للغاية بين القِوى الجوية والارضية والبحرية والفضائية...[٧٨]

هذه الافكار تضع العدو مبرر بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية[٧٩]، وهي فكرة قديمة في الاستراتيجية الامريكية فالرئيس الامريكي(ثيودور روزفلت)[٨٠] استغلها لتقسيم العالم عام ١٩٠٠الى قسمين القسم الذي ينعم بالحضارة الغربية المسيحية وعلى راسها الشعوب الناطقة بالانكليزية بالمقابل قسم يعاني البربريه والاستبداد لذا على الدول صاحبة الحضارة ان تفرض نفسها بالقوة في الجزء غير المتحضر من العالم[٨١].طرح هنتغتون فكرة العدو الشامل الذي وجدته الولايات المتحدة ضروري بعد الفراغ الاستراتيجي الذي تركه الاتحاد السوفيتي بعد انهياره ، فهنتغتون أعتقد ان العدو الشامل يساعد على الانسجام بين الشعب الامريكي[٨٢] ، وهذا ما تريده الولايات المتحدة من الداخل وحتى بين حلفاءها في الخارج فقد وجدت من فكرة هنتغتون حول الحد من القوة العسكرية للحضارات التي قد تمثل العدو المحتمل خصوصا الحضارة الكونفوشوسية والاسلامية وهذا الامر وجدته يطابق ما طرحه جورج كينانGeorge Kennan [٨٣] حول الاحتواء المزدوج ولكن تطبيقه باسلوب

الحضارات ,فكينان يرى ان القضاء على النازية سبب ظهور الشيوعية وان الحل الامثل هو ليس اقامة الاحلاف العسكرية بل منع انتشارها ونفس الامر حدث فانهيار الشيوعية ليس نهاية المشاكل العالمية ، بل هنالك خطر سوف يتمثل بالحضارات ومن ثم فان هذا الخطر يجب انُ يحتوى كاحتواء الاتحاد السوفيتي(٨٤).فقد تحدث هنتغتون عن المستقبل وحذر من خطر المواجهة ودعا صراحة الى أخذ الحيطة والاستعداد للدفاع عن النموذج الحضاري الامريكي والدفاع عن المصالح التي يقوم عليها(٨٥).

كتب المحافظ (تشارلز كروثامر)قائلاً " الولايات المتحدة الامريكية تجاوزت العالم كجبار فمنذ ان دمر الرومان قرطاج لم تبلغ قوة الذرى حيث وصلنا " (٨٦). وذهب كاتب آخر ابعد في المستقبل عندما قال " ان القرن الثامن عشر كان فرنسياً ، والقرن التاسع عشر كان انكليزياً والعشرين امريكياً والقادم سيكون من جديد امريكيا"(٨٧)

وبالرغم من إننا نعرف ان العنف يميز العلاقات الدولية كما تقول نظرية الواقعية السياسية التي ينتمي اليها هنتغتون وكما تبين الممارسة الدولية إلاّ ان هنتغتون يؤكد ان المسلمين يختلفون عن غيرهم في درجة استخدام العنف من خلال تحليله التالي: "وبينما لجأت الدول الاسلامية إلى العنف في ٥٣.٥% من ازماتها لم تستخدم المملكة المتحدة العنف سوى في ١١.٥% والولايات المتحدة في ١٧.٩% والاتحاد السوفيتي السابق في ٢٥.٥% من الازمات التي كانوا اطرافا فيها"(٨٨). إذا من خلال ما تقدم يخلص هنتغتون إلى خلاصة اساسية هي الميل الاسلامي إلى القتال والعنف الذي هو من حقائق اواخر القرن العشرين التي لا يستطيع ان ينكرها المسلمون أو غير المسلمين. لكن هنتغتون لم يوضح ما إذا كان هذا العنف الاسلامي هو من قبيل الفعل أم رد الفعل؟ وهل كانت الدول الاسلامية التي تمارس هذا العنف معتدية أم ضحية تدافع عن نفسها تماما؟ كما فعل عندما تكلم عن علاقة الدين بالهوية والتعصب فإذا به لا يذكر كلمة عن "اسرائيل" التي تعتبر من أهم الكيانات القائمة على أساس الدين كما يتضح فيه وصفها لنفسها بالدولة العبرية وسماحها بتطبيق قانون العودة الفوري لأي يهودي قادم من أقصى انحاء المعمورة لكي يستقر في الأرض الموعودة من دون أية رابطة بها سوى الدين وكذلك لم يذكر هنتغتون في معرض حديثه عن سيطرة القبلية على الإسلام دولا عربية إسلامية لم تقم على الأساس القبلي مثل

المغرب ومصر وبلاد الشام فلماذا هذا الاستبعاد لعوامل تتعارض مع نظريته ولا تخفى حتى على غير المتخصص؟ فما بال بمفكر مثل هنتغتون يفترض بانه وصل إلى أعلى مراتب السلطة والهيبة العلمية في واحدة من اعرق الجامعات ليس فقط في الولايات المتحدة وانما على مستوى العالم تقريبا.

المحور الثالث : الغرب يصطدم بالاسلام.

كانت الولايات المتحدة بصفة خاصة هدفاً رئيساً للعديد من عمليات الإرهاب، سواء بسبب مكانتها كقوة عظمى وحيدة في عالم ما بعد الحرب الباردة أم بسبب ما تتسم به سياستها الخارجية من اختلالات وتحيزات صارخة أو بسبب تعقيد بيئتها الداخلية. وقد عانت الولايات المتحدة من نوعين من الإرهاب هما (الإرهاب الخارجي، والإرهاب الداخلي) فالإرهاب الداخلي هو ذلك الذي تقوم به جماعات مناوئة للحكومة الفيدرالية، مثال الجماعات اليمينة المتطرفة، والجماعات اليسارية المتطرفة وبعض المتطرفين ذوي المصالح الخاصة ، ومن أبرز العمليات الإرهابية التي قامت بها العناصر الداخلية، عملية أوكلاهوما[٨٩] التي قام بها تيموثي ماكفي. وتضم الولايات المتحدة الكثير من المجموعات الإرهابية والتي لا يزال كثير منها نشطاً اليوم كمنظمات كوكلوكس كلان والفهود السود والوثيرمين(Weathermen) وعصبة الجنوب والهوية المسيحية والأمم الآرية وكثير من الميلشيات اليمينية الخاصة[٩٠] التي قامت بالعديد من الهجمات في الداخل والخارج،[٩١] من جهة آخر، ناهضت الولايات المتحدة باسم مكافحة الإرهاب الدولي معظم حركات التحرر العالمية وأخذت تدعم الحروب المعادية للثورة وفقاً لما أسماه الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون بـ(الحرب الصليبية للأمم المتحضرة ضد الإرهاب)[٩٢].وتقوم بهذا النوع من الإرهاب ثلاثة أنواع من التنظيمات هي (منظمات إرهابية رسمية، وإرهاب مدعوم من دول، أو متطرفين فرديين أو غير منتظمين في هياكل تنظيمية متماسكة).

كما حاولت الولايات المتحدة الامريكية على الدوام تبرير سياستها الخارجية العدوانية بخلق عدوٍ مفترض في كل حقبة من حقب تاريخها السياسي وفقاً لما تمليه ظروف الحقبة التاريخية المعنية وحتميات النظام الدولي السائد وطبيعة المرحلة السياسية الراهنة[٩٣]. واطلقت الولايات المتحدة تسميات مختلفة على اعدائها ابتداءً من (محور الشر) ثم (الدول

المارقة) ثم (الارهاب) ، وبإختلاف هذه التسميات ولكن الهدف واحد وفي الحالات كلها وهو تحطيم كل من يقف او يحاول الوقوف امام مصالح الولايات المتحدة الامريكية ، وعلى هذا الاساس فإن اعلانها الحرب ضد الارهاب ليس بالامر الجديد ، إذ سبق وان اعلن الرئيس الامريكي الاسبق (رونالد ريغان) الحرب ضد الارهاب الذي كان متمثلاً بالإتحاد السوفييتي بعدما سمي (امبراطورية الشر) و (وباء الارهاب الشرير)[٩٤]، فيما تغيرت سياسة الولايات المتحدة الامريكية منذ انتهاء حرب الخليج الاولى (الحرب العراقية – الايرانية) فسعت الى تحديد الدول الخارجة عن ارادتها وسمتها بأسماء مختلفة وصولاً الى عام ١٩٩٣ وكانت هذه الدول سبع هي (كوبا وايران والعراق وليبيا وكوريا الشمالية والسودان وسورية) وقد صنفت هذه الدول بالدول المارقة[٩٥]. فيما تغيرت سياسة الولايات المتحدة الامريكية منذ انتهاء حرب الخليج الاولى (الحرب العراقية – الايرانية) فسعت الى تحديد الدول الخارجة عن ارادتها وسمتها بأسماء مختلفة وصولاً الى عام ١٩٩٣ وكانت هذه الدول سبع هي (كوبا وايران والعراق وليبيا وكوريا الشمالية والسودان وسورية) وقد صنفت هذه الدول بالدول المارقة[٩٦]. ومع نهاية الحرب الباردة، اضطرت الولايات المتحدة إلى التعامل مع مخلفاتها التي أصبحت بدورها تشكل تهديداً للأمن القومي الأمريكي على صورة (تهديد إرهابي). فقد زودت الولايات المتحدة حلفائها في أفغانستان بالسلاح والمال بغية دعم مقاومة المجاهدين للاحتلال السوفيتي، وشجعت التيار الأصولي الإسلامي؛ لإخافة موسكو ولجعل الجنود السوفيتيين مدمني مخدرات التي عملت بجد على نشرها في البلد كما وفرت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية مساعدة للأفغان العرب كأسامة بن لادن[٩٧] قدرت بملياري دولار بهدف تعويق استمرار الاحتلال السوفيتي لأفغانستان وجعلت من هذه العمليات الأكثر كلفة من بين العمليات التي التزمت بها وجندت الاستخبارات السعودية والأمريكية الإسلاميين فأعددتهم ومدتهم بالسلاح وتلاعبت بهم بفكرة الجهاد (الحرب المقدسة) ليحاربوا السوفيت بدلاً عنها. وفي عام ١٩٩٢ قامت الولايات المتحدة بإنزال في الصومال الواقعة تحت الانتداب منظمة الأمم المتحدة من اجل (استرداد الأمل Restore Hope)، والتي راح بعض القدماء الذين حاربوا في أفغانستان يطلقون النار في وجه الأمريكيين وشاركوا في عملية لاقى ١٨جندياً أمريكياً مصرعهم خلالها، وقد أُعلن بن لادن

مسؤولاً عن الاشتباكات الدائرة فحزم الجيش الأمريكي أمتعته وتصور الجميع أن بن لادن هزم الأمريكيين بعد انتصاره على السوفيت[٩٨]. من جانب آخر أعلن بن لادن في مقابلة مع شبكة الاعلام البريطانية(ABC–TV) بأنه وأتباعه كانوا يستعدون لخوض نضال طويل في الصومال شبيه بما حدث للسوفيت في أفغانستان، لكن الولايات المتحدة هربت من الصومال بخزي وعار، وقد أشار الى هزيمة الجيش السوفيتي كدليل على أن جيوش المسلمين قادرة على هزيمة دولة عظمى، وأشار بأنه لا يجد مفراً من نقل المعركة الى الأراضي الأمريكية[٩٩].

فقبل نهاية ولايته بقليل ارسل جورج بوش الاب الجنود الامريكيين الى الصومال ،الدولة الغارقة في الفوضى وكانت مهمتهم فتح الطريق امام قوة تابعة للامم المتحدة مكلفة بتامين نقل الغذاء بصورة منتظمة الى السكان الجياع لكن الصومال تحول ارثاً جديداً لحكومة كلينتون فالجهود الرامية الى اقامة حكومة ممثلة للشعب هناك باتت مشروع بناء دولة من الاساس ،ففي تشرين اول ١٩٩٣ واجه الجنود الامريكيين الذين ارسلوا لألقاء القبض على الضابط في الجيش الصومالي الجنرال عيديد، مقاومة شديدة غير متوقعة ففقدوا طائرة هليكوبتر هجومية و١٨ قتيل، ولم يتم القبض على الجنرال عيديد ، بل تم خلال الاشهر التالية سحب جميع الوحدات الامريكية المقاتلة، وجهة نظر الحكومة، انه من التعقل بكل بساطة انهاء التزام هامشي غير حكيم ،والتركيز على اولويات اخرى وقد بدى واضحا في ما بعد ان زعيم الحرب الصومالي تلقى المساعدة من منظمة القاعدة اسامة بن لادن، الذي عرف بتعصبه وعدائه للحضارة الغربية واشعر بانه مصيب باعتقاده بان الامريكيين لن يقاتلوا إذا ما هاجموا في تلك الاثناء كانت الولايات المتحدة قد احبطت هجوما من قبل المتطرفين الاسلاميين، واظهرت القاعدة قوتها عندما انفجرت قنبلة ضخمة في موقع للسيارات تحت الارض بتاريخ شباط ١٩٩٣ لاسقاط برجي مركز التجارة العالمي في منهاتن السفلى بنيويورك[١٠٠].ومنذ بداية عقد التسعينيات من القرن العشرين اولت الولايات المتحدة الامريكية موضوع الارهاب الدولي اهمية قصوى وعدته التهديد الاكبر والاكثر خطورة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة.

وعلى الرغم من أن الإدارات الأمريكية المتعاقبة أولت اهتماما فائقاً لمكافحة الإرهاب، فأن المسؤولين الأمريكيين أكدوا في العديد من المناسبات أنه ليست هناك مناعة كاملة في مواجهة الهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة في ضوء التطور المتواصل في المستوى التكنولوجي للعمليات الإرهابية وتطوير التكتيكات الإرهابية ، فضلاً عن أن الجماعات الإرهابية باتت تبدي عزماً وتصميماً ومقدرة متزايدة على ضرب الأهداف الأمريكية ، بما في ذلك محاولة الجماعات الإرهابية الحصول على أسلحة الدمار الشامل(١٠١). والتي سبق وأشار الرئيس الأمريكي كلينتون لها ولاسيما، في ظل التطور التقني لوسائل الإرهاب لدى المواطنين داخل الولايات المتحدة(١٠٢). وقد زادت التفجيرات الإرهابية في الولايات المتحدة بوساطة الأمريكيين أنفسهم من ٢٠٩٨حادثة سنة١٩٩٠ إلى ٣١٩٩حادثة في سنة١٩٩٤ بنسبة زيادة قدرها ٥٢% وذلك قبل حدوث تفجير أوكلاهوما الشهير في ١٩٩٥(١٠٣). ظهر تقرير في عام ١٩٩٥ تصف القيادة الاستراتيجية الاميركية STRTCOM الاسلحة النووية بانها الاثمن في الترسانة الاميركية لانه خلافا للاسلحة الكيمياوية والبيلوجية التدميرية الناجم عن تفجير نووي تدمير فوري ، وقليلة هي المخلفات التي تحد من اثاره ، لذلك فان الاسلحة النووية تلقي دائماً بظلالها على اية ازمة او صراع ،وتنصح دراسة للمجلس القومي الاميريكي بان "لا يعول المخططون انفسهم على انهم اناس عقلانيون ورابطو الجاش اكثر من اللازم، فان الامكانات ان تتقلب الولايات المتحدة الى دولة غير عقلانية ومتعطشة للانتقام، يجب ان تكون جزء من الشخصية القومية الاميركية" (١٠٤).

وتوالت الهجمات على المصالح الأمريكية وقواتها المسلحة والمنشآت الدبلوماسية الأمريكية، كتفجير القنابل في الرياض ١٩٩٥ وتفجير الخُبر في عام ١٩٩٦ وتفجير سفارتي الولايات المتحدة في نيروبي(١٠٥) – كينيا ودار السلام – تنزانيا عام ١٩٩٨ ،رداً على ذلك سمح الرئيس الامريكي كلينتون في ٢٠ اب ١٩٩٨ باطلاق صواريخ كروز على مخيم تدريب في افغانستان ،بعد ان اعلن وجود اسامة بن لادن فيه، مثلما سعى الرئيس ريغان الى اخراج معمر القذافي بعد تفجيره الطائرة بان آم في اثناء رحلتها ذات الرقم مئة وثلاثة لكن امل كلينتون بقتل بن لادن خاب(١٠٦).،ثم تلى ذلك تفجير المدمرة كول عام ٢٠٠٠(١٠٧)، ويلاحظ على هذه العمليات، والتي تنسب الى تنظيم القاعدة الآتية(١٠٨):

إن الهجوم ضد السفارتين قد أدى الى خسائر بشرية و(معنوية) واسعة، إذ انه أسفر عن مقتل ٢٢٤ شخصاً وجرح اكثر من ٥٠٠٠ فرد بينما أدى الهجوم على المدمرة الى مقتل ١٧ من طاقمها وجرح أكثر من ٤٠ فرد وهي كلها أهداف تابعة لوزارتي الخارجية والدفاع الأمريكيتين كرموز سيادية.إن العمليتين قد نفذتا بأسلوب "الهجمات الانتحارية" التي تستخدم فيها سيارات أو قوارب ملغمة تحمل كميات كبيرة وهائلة من المتفجرات، على نحو يؤدي إلى تدمير الهدف تدميراً شبه كامل، وليس مجرد ألحاق أضرار به وربما كان مخططو عملية كول يستهدفون إغراقها.إن عملية السفارتين كانت تشير إلى قدرة غير عادية في التنسيق إذ تم استهداف سفارتين تعملان في دولتين متجاورتين بأسلوب (الهجمات المتزامنة أو المنسقة)، التي تشارك فيها عادة مجموعات متعددة تحت قيادة واحدة .يشير مجمل تلك العمليات إلى انتشار واسع لعناصر القاعدة في مناطق مختلفة من العالم بحيث توجد عناصر محلية تقوم بأدوار شديدة الأهمية بدون لفت الانتباه، على نحو ما توضح العمليات التي جرت في السعودية واليمن وكينيا وتنزانيا.

أثناء التحقيق في قضية الاعتداء على المنشآت العسكرية في الظهران في ٢٥ حزيران ١٩٩٦، الذي أدى إلى مقتل ١٩ جندياً أميركياً، زار مدير الاستخبارات الامريكية جون أونيل المملكة العربية السعودية شخصياً للحصول على مساعدة السلطات السعودية وتعاونها من الملك فهد. لكنه لم يفلح في إقناعه، فاستجوبت الاستخبارات السعودية المشتبه بهم البارزين في حين اكتفى مكتب التحقيقات الفدرالي بجمع الأدلة المادية كي يتقدم التحقيق في القضية. وفي ما يتعلق بالعلاقة بين منظمة القاعدة والسعودية، لم تفاجئه كلياً استنتاجات التقرير حول "المحيط الاقتصادي لأسامة بن لادن"[١٠٩].وخلال السنوات الست الأخيرة من نهاية القرن، كرّست الولايات المتحدة نفسها لمراقبة الإجراءات المختلفة المتخذة للضغط باسم طالبان، لاسّيما في الأمم المتحدة. ولم تنتهي نشاطاتها لحساب هؤلاء الزبائن، حتى بعد العام ١٩٩٦، حين أصبح زعيم الطالبان محمد عمر شخصاً لا ينبغي الاختلاط به بنظر الحكومة الأميركية (بعد عمليات الاعدام من دون محاكمة). وفي شباط ١٩٩٨ أُعلن المنفي السعودي أسامة بن لادن والطبيب المصري أيمن الظواهري، من خلال جريدة عربية لندنية من أفغانستان، مقرهم الرئيس، بأن الولايات المتحدة أعلنت الحرب ضد الله ورسوله، ودعوا إلى

قتل أي أمريكي في أي مكان على الأرض كواجب فردي على كل مسلم باستطاعته ذلك وفي أي بلد يمكنه ذلك، وبعد ثلاثة أشهر من ذلك أجرى بن لادن مقابلة مطولة مع –ABC TV قال فيها (إنه من المهم للمسلم قتال الأمريكيين أكثر من غيرهم، نحن نعتقد بأن أسوء سراق في العالم اليوم وأسوء إرهابيين هم الأمريكيون، ولا اختلاف بين المدنيين والعسكريين كلهم أهدافاً)[١١٠]. وفي ٢٢تموز ١٩٩٨ أعلن الرئيس كلينتون أنه ينبغي للولايات المتحدة أن تواجه التحدي الجديد للإرهاب في القرن الحادي والعشرين "بنفس القوة والعزيمة التي واجهت بها أخطر تحديات الأمن في هذا القرن". ولهذا الغرض قام بتوقيع الأمرين الرئاسيين ٦٢،٦٣ لتحشيد الامكانات في الداخل الامريكي والخارج لمواجهة ما عرف ب(الارهاب) وعين منسقاً قومياً للأمن وحماية البنية الأساسية ومكافحة الإرهاب من أعضاء مجلس الأمن القومي[١١١].ويمكن توضيح ما سلف، أن السياسة الامريكية تسير نحو السيطرة الشاملة سيما وانه بدت القوة الوحيدة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وان تنظيم القاعدة وبن لادن هما الأعداء الجدد للولايات المتحدة وهي من اخترعتهما لأشغال مواطنيها وايهامهم بأنهم يواجهون اعداء اقوياء، وذريعة لايجاد حروب لا ينتفع منها غير الولايات المتحدة الامريكية، وذلك ما اكدته الاحداث التاريخية، بدعم الادارة الامريكية لهذه التنظيمات، فقد كان برجنسكي يؤكد على أن واشنطن لابد من أن تكون أكثر تعاطفاً مع أولئك الأفغان الذين كانوا مصممين على الحفاظ على استقلال بلادهم لاخراج القوات السوفيتية [١١٢].وظهر تساؤل في البنتاجون ما إذا كان الدعم الأمريكي السري للعصابات الإسلامية سوف ينجح في استخراج السوفيت إلى مستنقع شبه بفيتنام[١١٣]. وبتاريخ ٦نيسان ١٩٧٩ أعطت لجنة التنسيق الخاصة وهي مجموعة داخلية كان يرأسها بريجنسكي تعليماتها للمخابرات المركزية بوضع خطة شاملة لحرب سرية في أفغانستان مدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية، تتراوح بين المساعدات المالية غير المباشرة للمتمردين والدعم بالسلاح، وبعد ثلاث أشهر وقع الرئيس كارتر قراراً يسمح للوكالة بالبدء في مساعدة المجاهدين الافغان[١١٤]، كما كان المتمردون المسلمون يطلقون على انفسهم، وذلك بواسطة الدعاية والمال والإمدادات غير العسكرية، وسرعان ما وضع الرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق الذي تشترك بلاده مع أفغانستان في حدود طويلة ومفتوحة تقريباً جهاز استخباراته ISI في خدمة تهريب السلاح

للعصابات المعادية للسوفيت المجاوره له.وبفضل المساعدات السرية من باكستان والولايات المتحدة كان المجاهدون مستعدون في نهاية ١٩٧٩ لمقاومة السيطرة[١١٥].وهكذا وضعت السياسة الامريكية ذرائع لتدخلها في مناطق العالم، من خلال ايجاد اعداء مناصرين لها، لتسيغ لنفسها الشرعية لتدخلها في كثير من اجزاء العالم سيما منطقة الشرق الاوسط. فضلاً عن ذلك ، لم تغب اجزاء اخرى من العالم عن انظار السياسة الامريكية ،فقد كان الرئيس كلينتون معنيا في قضية الاضطرابات في ايرلندا الشمالية، ووفر كلينتون للانفصاليين اعترافاً اكثر من اي وقت سابق لكنه عمل ايضا من كثب مع الحكومات البريطانية برئاسة جون ميجور وتوني بلير والنتيجة النهائية، اي اتفاقات السلام الموقعة يوم الجمعة العظيمة ١٩٩٨ ،انشأت العملية السياسية لكنها تركت العديد من التفاصيل بحاجة الى العلاج وخلال السنوات التالية، اصبح وضع السلام والنظام افضل في ايرلندا الشمالية مما هو في الشرق الاوسط لكنه ضل غير مستقر واستمر الاتفاق النهائي على المفاوضين وجاءت مشكلة تفكك يوغسلافيا ما بعد الحرب الباردة الدولة المنقسمة اثنيا ودينيا بين الصرب والكروات والسولافيين والمسلميين البوسنيين والالبان الكوسوفا، لتتخذ طريقها الى واشنطن بعد ان فشلت الحكومات الاوربية في فرض النظام هناك وكانت حكومة بوش قد رفضت التدخل في العنف منذ البداية، لكن حكومة كلينتون فعلت ذلك في نهاية المطاف مع الكثير من التردد بعد ان طلب منها ذلك بالحاح حلفائها الاوربيون في سنة ١٩٩٥، رعت حكومة كلينتون المفاوضات التي ادت الى اتفاقات ديتون[١١٦] بولاية اوهايو الامريكية من اجل خلق مظهر سلمي في البوسنة وفي سنة ١٩٩٩ وبعد ارتكاب الصرب المجازر بحق سكان كوسوفو، قادت الولايات المتحدة حملة غارات جوية دامت ثلاث اشهر ضد الصرب[١١٧]. في تلك المرحلة، استعادت الولايات المتحدة أملها في السيطرة على طالبان. وفي ٤ تموز١٩٩٩، استقبل الرئيس بيل كلينتون رئيس الوزراء الباكستاني نواز شريف في زيارة رسمية، في حين أن نيودلهي وإسلام أباد تنازعان كشمير من جديد، وتناقش الرجلان في الموضوع فتوصلا إلى تفاهم معين، كما حصل شريف على مهلة ليأمر جيش بلاده بالانسحاب من جبال كشمير، حيث يقدم المساعدة والمشورة لمجموعات من المقاتلين الإسلاميين، الذين جندتهم ودربتهم الاستخبارات الباكستانية. وفي المقابل، سيطلب رئيس الحكومة من مدير هذه الاستخبارات، الجنرال

خواجه زيولدين(KhawagaZiauldire)، التوجه إلى قندهار في أفغانستان للسعي إلى استرداد أسامة بن لادن[١١٨]. وبخلاف كل التوقعات، سار هذا التبادل على خير ما يرام؛ وفي ٥تشرين الأول، تمكّن زيولدين من مقابلة الملّا عمر، الذي أعرب عن استعداده للتعاون! وتتالت النجاحات في ذهن مستشاري بيل كلينتون، ففي ٧ تشرين الأول طلب رئيس الوزراء من الاستخبارات إغلاق كافة مخيمات تدريب الإسلاميين الأصوليين على الحدود الأفغانية– الباكستانية، لاسّيما في المنطقة المسماة "المنطقة القبلية))[١١٩]. وفي هذا الإطار، صوّت مجلس الأمن، في ١٥ تشرين الأول ١٩٩٩، على القرار رقم ١٢٦٧ الذي يطلب بموجبه من كابول تسليم أسامة بن لادن، وينصّ على عقوبات اقتصادية محددة. ويستمر الضغط، إنما لا يظهر أيّ غضب إلى العلن[١٢٠]. عين أمين عام الأمم المتحدة كوفي أنان مسؤولاً جديداً لملف طالبان، وهو فرنشسك فندرل (FransescVendrell)، الذي حمل لقب الممثل الخاص للأمين العام في أفغانستان. وأصبح هذا الممثل محور المناقشات غير الرسمية مع طالبان، التي تهدف إلى تقديم أسامة بن لادن للمحاكمة. وفي خفايا سلطة الأمم المتحدة، لوحظ تزايد نفوذ المجموعة ٢+٦ . وقرر البيت الأبيض تشجيع النوايا الحسنة التي ظهرت أخيراً، فتم تخصيص ١١٤ مليون دولار أميركي من المساعدات الإنسانية لأفغانستان، ومنح هذا المبلغ لهيكليات محلية تحت مراقبة طالبان والأمم المتحدة[١٢١].

ومنذ تلك اللحظة، وللمرة الأولى منذ شهر آب ١٩٩٨، ساد التفاؤل. وتكررت المباحثات بين كابول ونيويورك، فيما عقدت مجموعة ٢+ ٦ اجتماعاتها للمرة الأولى في واشنطن. وفكر المشاركون في تشجيع قيام حكومة معدلة في كابول، تجمع بين طالبان وقادة تحالف الشمال. ووجهة الدعوات الى الطرفين العدوين إلى مشاركة في هذه المناقشات مباشرة منذ العام ٢٠٠٠[١٢٢]. وحظيت المجموعة بتشجيع كافة أعضاء مجلس الأمن بما في ذلك الفرنسيين والبريطانيين[١٢٣].وقررت وزارة الخارجية من جهتها، أن تستأنف المفاوضات الثنائية مع كابول، خوفاً من أن تفقد سيطرتها على الوضع. وفي ٢٧ أيلول٢٠٠٠، لوحظ أن تحسن العلاقات بين الطرفين يرضي الجميع، ففي هذا اليوم ألقى مساعد وزير خارجية طالبان عبد الرحمن زاهد (٤٤) محاضرة في معهد الشرق الأوسط في واشنطن. خلال مداخلته، طالب زاهد الأمم المتحدة بالاعتراف بحكومته، أما بين الحضور فلم يتأثر أحد بهذا

الضغط العلني. ولإرضاء الجميع، نقل المسؤول الأفغاني إلى محاوريه مواقف مشجعة حول مسألة أبن لادن. وأكد أن السلطات الدينية في بلاده شكلت لجنة تحقيق خاصة للتحقق من مسؤولية أسامة بن لادن عن الاعتداءات وللنظر في مسألة تسليمه المحتملة. وقد التقى منسق مكافحة الإرهاب في البيت الأبيض، مايكل شيحان، أحد أعضاء وفد طالبان، عبد الحكيم مجاهد لمناقشة هذه المسالة[١٢٤]. وبعد مرور شهر، وفي ١٨ تشرين الأول٢٠٠٠ تحديداً، اعترفت وزارة الخارجية بأعمال مجموعة ٢+٦ ، وبمتابعة المفاوضات مع طالبان باسم إرساء السلام في أفغانستان[١٢٥] . وبعد أسبوعين، بدأ وكأن المفاوضات توشك على الانتهاء بنجاح. وأعلن فندرل أن الطرفين المتنازعين في أفغانستان، أي طالبان واتحاد الشمال، درسا وللمرة الأولى، إمكانية التوصل إلى حل سلمي، تحت رعاية المجموعة ٢+٦ [١٢٦].لكن المفاوضات لم تجد لها تطبيق على الارض الواقع[١٢٧]. وباسم محاربة الارهاب ، لم تتردد الولايات المتحدة من استخدام كل ما يحقق سيطرتها العالمية ، وتعد شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) احد اهم مظاهر الهيمنة الامريكية العالمية ، فمن هناك انطلقت هذه الشبكة وبها بقيت كل مكوناتها الرئيسة وعن طريقها اصبح العالم ينقل معلوماته وبياناته ورسائله الى الحد الذي ذهبت معه(مادلين اولبرايت) وزيرة الخارجية الامريكية في عهد الرئيس بيل كلينتون في تصريحات لها عام ١٩٩٩ الى وصف شبكة الانترنت بأنها اضحت احد مرتكزات الدبلوماسية الامريكية الحديثة ، وكان مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن قد اصدر تقريراً عام ١٩٨٩ تحت عنوان (الدبلوماسية في عصر المعلومات) ذكر فيه " ان زعامة الولايات المتحدة الامريكية للعالم التي تمكنها من الحفاظ على الاستقرار الدولي تتوقف على قدرة وكالات الشؤون الخارجية لدينا على التغيير والتكيف مع ضرورات عصر المعلومات "[١٢٨].

فضلاً عن المراقبة التي تتيحها الاقمار الصناعية لوكالة الاستخبارات المركزية (CIA) فإنها تحاول ايضاً مد نفوذها الى شبكة المعلومات العالمية(الانترنت) حيث اعلنت الادارة الامريكية برئاسة (بيل كلينتون) في عام ١٩٩٨ عن خطة مثيرة للجدل تهدف الى تصميم برنامج مراقبة حاسوبي يشرف عليه مكتب التحقيقات الفيدرالية (FBI) يهدف الى حماية انظمة المعلومات الامريكية ، وهي تنص على ضرورة تطوير نظام برامجي معقد

لمراقبة جميع الانشطة على الشبكات الحكومية غير العسكرية ، فضلاً عن تطوير نظام آخر لتتبع تلك الشبكات المستخدمة في العديد من الانشطة المهمة كأنظمة المصارف والاتصالات والنقل ، وفي هذا الصدد وجهت اتهامات عديدة الى شركة (مايكروسوفت) بأنها ساعدت السلطات الامنية الامريكية على اختراق عدداً من شبكات الحاسوب في انحاء العالم عبر تزويد برامجها بتقنيات تجسس خاصة[١٢٩] ، ومن اللافت للنظر ان الادارة الامريكية اتجهت صوب سياستين معاكستين في آنٍ واحد ، فبينما انتهجت سياسة كسر مبدأ الخصوصية لدى الافراد وجعلت حياتهم الخاصة ملكاً للمراقبة بدون اي ضابط او مانع ، انتهجت على الناحية المناقضة سياسة التستر على كل ما يخصها والتكتم عليه ، وكما يقول مكتب مراقبة المعلومات الامنية (Information Security Orersight Office) فإن الوكالات الفيدرالية مازالت تقدم اكثر من ٢٦٠ الف سراً رسمياً كل عام مع تصاعد هذا الرقم تدريجيا[١٣٠].

أكد نورمان بودوريتز احد الاباء المؤسسين لفكر المحافظين الجُدد على الإلتزام الأمريكي بمواجهة الإرهاب وقيادة العالم، وعلى الولايات المتحدة ان لا تنتظر حتى يتجمع الخطر ويقترب منها أو من حلفائها واصدقائها، لابل يجب ان تنقل الحرب لأرض العدو بتوجيه ضربات إجهاضية له والقضاء على اي خطر محتمل قبل ان يبزغ، وعلى الولايات المتحدة ألا تنتظر موافقة الدول الأخرى أو المنظمات الدولية حين تتصرف لمواجهة الأعداء، بل يجب ان تكون لها حرية التصرف بشكل فردي[١٣١]. وتلبية لتوجه الهيمنة ، سعت الولايات المتحدة الامريكية الى تحشيد ائتلافات دولية؛ لمواجهة التهديدات والتحديات المشتركة ، وكما كتب المراقب البريطاني (سباستيانمالابي) في صحيفة (الواشنطن بوست) الصادرة بتاريخ ٣١كانون الثاني ١٩٩٩ " ان مفارقة القوة الامريكية عند نهاية هذه الالفية هي انها اعظم من ان تهددها اية دولة اخرى ، ومع ذلك فأنها ليست عظيمة بما يكفي لحل مشاكل مثل الارهاب العالمي وانتشار الاسلحة النووية ، فهي بحاجة الى مساعدة من الدول الاخرى "[١٣٢]. وكاد القرن ينتهي واصوات الرعب تسمع، في ١٢ تشرين الاول ٢٠٠٠ قام انتحاريون بصدم مركب محمل بالقنابل المدمرة كول التابعة للبحرية الامريكية ،وكانت بحارة المدمرة انقذ المدمرة من الغرق لكن الهجوم قتل ١٧بحاراً وكان واضحاً ان بن لادن وراء

الهجمات في المملكة العربية السعودية وافريقيا واليمن، لكنه كان ابعد ان يطاله احد ما لم تكن الحكومة الامريكية مستعده للغزو افغانستان بحثاً عنه(١٣٣). وهذا التفوق كما يقول كيسنجر "أن الموقع الذي شغلته الولايات المتحدة في العقد ألاخير من القرن العشرين جعلها المكون الذي لا غنى عنه للاستقرار الدولي فهي تعبر عن نفسها بانها مصدر المؤسسات الديمقراطية في العالم والضامن لها"(١٣٤). وعليه وبحكم ادراكها وتجسيدها الفريد لغاية التاريخ، يحق للولايات المتحدة الامريكية لا بل هي مُلزمة في الواقع، بان تتزعم العالم، وتحدد عالميتها لما هو الشيء الافضل ولمنفعة الجميع، سواء افهم الاخرون ذلك أم لا تبدو التحاليل التي يقدما بعض ممثلي النظام القائم ،اكثر قربا من الحقيقة وفيما يتجاوز كل التباينات،نجد ان عند كل من بول كنيدي وصموئيل وبريجنسكي وكسنجر، النظرة المعتدلة لاميركا ليس الولايات المتحدة غير قابلة للهزيمة، وعليها ان تتولى قيادة قوتها النسبية، المتناقصة في عالم يتزايد عدد سكانه كما يتصاعد مستوى التنمية فيه(١٣٥).

ان تحليل القوة الاميركية متنوعة: فهي اقتصادية لدى بول كنيدي، وثقافية ودينية لدى هانتنغون، ودبلوماسية وعسكرية لدى كيسنجر وبريجنسكي .ولكنا كلها تضعنا امام القلق من صورة قوة اميركا، التي يبدو ان سلطانها على العالم هش ومهدد، تعوز كيسنجر، هذه الايام فيما يتجاوز وفاء لمبادئ الواقعية الاستراتيجية، والاعجاب الذي يحمله لذكائهما الشخصي، النظرة الشاملة. في كتابه ،هل تحتاج اميركا الى سياسة خارجية Dos ammerica need foreign policy(١٣٦)،لا يعدو ان يكون تحجيم للقضايا المحلية.غير اننا نجد في كتاب بول كنيدي، صعود وسقوط الدول العظمىthe Rise and fall of Great powers ،الذي نشر عام ١٩٨٨ ،تقديم مفيد جداً لنظام اميريكا مهدد بالامتداد الامبراطوري المفرط imperial overstresh ،الذي ينجم توسعه الدبلوماسي، والعسكري بصورة تقليدية، عن انحسار نسبي للقدرة الاقتصادية .

الـــخاتمـــة:

كانت الإدارات الأمريكية المتعاقبة وطيلة القرن التاسع عشر تتجه نحو العزلة التي كانت ترى فيها أفضل الاستراتيجيات التي تكفل الأمن القومي الأمريكي وتوفر لها فرصة التركيز على مسؤوليات التنمية والبناء الاقتصادي، وقد أقترن خيار العزلة تاريخياً بـ(مبدأ مونرو)

والذي أصبح حجر الزاوية في السياسة الخارجية الأمريكية طيلة القرن التاسع عشر. ومهما يكن الأختلاف الاكاديمي حول تاريخ بداية الهيمنة الأمريكية، لكن يكاد الرأي يتفق على ان الولايات المتحدة الأمريكية دخلت القرن الحادي والعشرين بموقع القوة المهيمنة على اصقاع العالم كافة. ويكاد الرأي يتفق ايضاً بإن الولايات المتحدة لم تصل الى ما وصلت اليه دفعة واحدة، أو انها وجدت نفسها كذلك فجأة بلا منافس، او في نوبة شرود الفكر، بل وصلت اليها عقب مراحل زمنية ، وباقواس جغرافية، بإرادة جامحة، مصحوبة بتفكير إستراتيجي جعل من الهيمنة جوهره وفحواه والدليل المرشد للإستراتيجية الأمريكية منذ استقلال الولايات المتحدة نهاية القرن الثامن عشر وصولاً الى دخولها القرن الحادي والعشرين الذي تطمح ان يكون أمريكيا ايضا.لقد حققت الولايات المتحدة ما حققته من مكانة دولية لم يكن لها مثيل في الماضي والحاضر، باتباع أسلوب واحد لم يتغير طوال القرن العشرين، وهو مد النفوذ والسيطرة، اعتماداً على سياسة (المراحل)، وانتهاز الفرص كلما سنحت لها لتنفيذ طموحها الإمبراطوري وإمكانياتها مستخدمة الأساليب العلمية في التفكير الأستراتيجي والتخطيط والتنفيذ ايضاً. لذلك كان حرياً بنا ونحن نتتبع مكانة الهيمنة في التفكير الأستراتيجي ان نثبت رسوخها وعلوها في التفكير الأستراتيجي الأمريكي منذ النشوء والأستقلال وبقت هكذا،

وهذه المرحلة يمكن ان نحددها منذ مطلع القرن العشرين حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث شهدت الولايات المتحدة وثبه كبيرة وخطت خطوة مهمه لتؤكد حضورها ووجودها كقوة عظمى في معادلة ميزان القوى العالمي، وشهدت هذه المرحله اختباراً حقيقياً لمدى قدراتها القيادية في استغلال الفرص التي اتيحت لها، بل ومن خلال خلقها للفرص، ودليل ذلك دخول الحرب العالمية الاولى والثانية ، فقد دخل العالم حرب عالمية ثانية بعد الاولى ،وبالمشهد نفسه ايضاً، تكرر الفعل الاستراتيجي الأمريكي، لاغتنام الفرصة التي اصبحت سانحه لوثبة ادركها صانع القرار الامريكي في تلك الحقبة، لا بل كان يترصدها وينتظرها، فنجح في استغلالها بشكل تام. ومثلت هذه الخطوة تدعيم لإستراتيجية الفرصة التي ظلت تمثل المدرك الرئيس للإستراتيجية الكونية الأمريكية، وهذا النجاح لا يعود إلى أختيار اللحظة الزمنية (الزمان) للدخول بالحرب، وأنما بالنظرة الثاقبة باختيار المكان ايضاً، دخل النظام الدولي الجديد قواميس السياسات الخارجية لمعظم دول العالم منذ أب ١٩٩٠ ،

بعد أن أعلن بوش (الأب) أمام الكونغرس أن هذا النظام سيبدأ بالتكوين مباشرة بعد انتهاء أزمة الخليج وقد أثار هذا الشعار ولا زال يثير العديد من النقاشات والتحفظات في واشنطن نفسها كما في العالم بأسره والجميع يتساءل عن مضمون هذا النظام ، خطوطه العريضة ، تركيبته ودور الولايات المتحدة فيه وقد حاول بوش في مناسبات متعددة إعطاء بعض التفسيرات لما يعنيه شعار (النظام الدولي الجديد) إلاّ أنه لم يتجاوز العموميات كما يقول دأن ايرودروف في الواشنطن بوست الصادرة بتاريخ ٢٦أيار ١٩٩١ وهذا ما حدا بالسيدة جين كيرك باتريك مندوبة الولايات المتحدة الأسبق في الأمم المتحدة بالقول في سياق انتقادها لسياسة بوش (الأب) الخارجية : "إن الرئيس الأميركي يواجه مشكلة أساسية فيما يتعلق بالسياسة الخارجية وهي نفس المشكلة التي تطال أكثر من جانب من جوانب الإدارة الحالية أنها تتعلق بالفشل بالإفصاح عن الهدف المراد تحقيقه" كما اكدته جريدة الواشنطن بوست بتاريخ ١٦ آذار ١٩٩١. ولكن هذا الفشل في الإعلان عن الهدف لا ينبع من عدم معرفة ما يريده بوش (الأب) أو ضبابيته. فقد اضطرت الإدارة الأميركية أن تفصح عن بعض ما تريده أمام الكونغرس وذلك لتأمين الموازنة اللازمة لمشروع النظام الدولي الجديد الذي تشكل في ذهن القيادة الأميركية مع انتهاء الاتحاد السوفيتي.وتم ترسيخ مبدا القرن الامريكي في عهد الرئيس الامريكي بيل كلينتن عام ١٩٩٦ لرسم خريطة العالم للاعوام ٢٠١٥-٢٠٢٠.

المصادر :

(١) بريجنسكي : ولد في وارسو في بولنده عام ١٩٢٨ , كان استاذ في علم السياسة و مستشار الرئيس كارتر لشؤون الامن القومي , تلقى تعليمهه في جامعتي هارفرد و ماكفيل , هاجر الى الولايات المتحدة عام ١٩٣٨ , وحصل على الجنسية الامريكية عام ١٩٤٩, اصبح عضو في مجلس التخطيط في وزارة الخارجية ١٩٦٦ – ١٩٦٨, كان منتقد لسياسة كيسنجر في الخارجية والامن القومي اصبح مستشار للامن القومي ١٩٧٧, له مؤلفات عدة منها(تقرير بروكينغز) و(الولايات المتحدة الامريكية بين عصرين), عبد الوهاب الكيالي,الموسوعة السياسية,ص٥٣٧ – ص٥٣٨؛ ينظر عبد حسين عبد محسن سوسه،مجلة زانكو جامعة صلاح الدين،العراق اربيل ،العدد الخامس ،٢٠١٥،ص١٢٨-١٣٠.

(٢) د. اسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، دراسة في الاصول والنظريات، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط٥، ١٩٨٧، ص١٤.

(٣) مالك عوني، صناعة الدفاع واستراتيجية الولايات المتحدة الامنية، السياسة الدولية، العدد ١٣٨، السنة ١٩٩٩،، ص٧٩.

(٤) لان نيفز وهنري ستيل كوماجو، موجز تاريخ الولايات المتحدة ، ترجمة محمد بدرالدين خليل ، الدار الدولية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط١ ،١٩٩٠ ، ص٣٦٥.

(٥) لقد كانت هذه القرارات مفتاحا لصياغة القيادة الامريكية للعالم الرأسمالي . للمزيد انظر : منعم العمار ، الهيمنة الامريكية وجدلية المواجهه ،مجلة دراسات دولية ،سلسلة دراسات استراتيجية، مركز الدراسات الدولية،جامعة بغداد، العدد(٤٢)، ٢٠٠٢،ص٢٣ .

(٦)د. ابراهيم ابو خزام، العرب وتوازن القوى في القرن الحادي والعشرين، مكتبة طرابلس العلمية، طرابلس، ١٩٩٧، ص٩٦.

(٧) كريستوفر لين، إعادة صياغة الإستراتيجية الأمريكية الكبرى، المصدر السابق، ص٢٧-٣٠.

(٨) نقلاً عن، موسى الزعبي، دراسات في الفكر الإستراتيجي والسياسي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١، ص٨٧.

(٩) د. علاء ابو عامر، العلاقات الدولية الظاهرة والعلم الدبلوماسية والاستراتيجية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الاولى، ٢٠٠٤، ص٤٧.

(١٠) الدكتور ريمون حداد، العلاقات الدولية، دار الحقيقة بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٠، ص٥٥٠.

(١١) ريتشارد نيكسون، ١٩٩٩،نصر بلا حرب، تقديم وترجمة: المشير محمد عبدالكريم ابو غزالة، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٩، ص٣؛للمزيد ينظر:د.عبدحسين عبد محسن سوسه:وكلاء امريكا،مجلة زانكو،جامعة صلاح الدين،العدد الخامس ،٢٠١٦،ص ١٢٨-١٣٠.

(١٢) ZbignewBrzeeinski , The NSCS Midife Crisis , Foreign Policy , Winter 1987-1988 .

(١٣) هو الاب المؤسس لعلم الاجتماع ولد في التاسع عشر من شهر يناير ١٧٩٨ في باريس عمل كسكرتير لدى الكاتب الاشتراكي، توفي سنة ١٨٥٧في باريس ; https://mawdoo3.com www.uae7. com /vb/t16591;mawdoo3.com.

(١٤) ستيفن بوشيه و مارتن رويو ، مراكز الفكر ادمغة الحرب الافكار ، ترجمة: د.ماجد كنح، مؤسسة محمد بن راشد أل مكتوم ، دار الفارابي ، بيروت ، الطبعة الأولى ،٢٠٠٩، ص٨.

(15)) Jhon Blundell, Waging the War of Ideas: Why There Are No Shortcuts,

http://www. Atlasnetwork .org/wp-content/up/oads/2009/01/chapte-2-waging-the-war-of-ideas-blundell-march-20-2007-final-pdf

(١٦))الدكتور محمد منذر، مباديء في العلاقات الدولية من النظريات الى العولمة، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الاولى ٢٠٠٢، ص١٥٤.

(17)Tracey J. Kinney ,Confilct and cooperation Documents on Modern Global History,Canada,2006.,P.213.

(18)Norman Graeder,An uncertain Trdition:American Secretaries of state in the Twentien century ,New York,McGraw-Hill,1981,p.160.

(19)Wanamaker,Temple,AmericanForignPolicyToday,BatamBooks,NewYork,N.D, p24

(20) Dr. William Rosenau, Waging The War of Ideas http://www.rand.org/pubs/reprints /Rp1218 /8/03/2010.

(٢١) ادوارد ب. د جيريجيان، الخطر والفرصة، ترجمة د. السيد عليوة، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٩، ص٢٨٤.

(٢٢) ريتشارد نيكسون، المصدر السابق، ص١٦٣.

(23) Dr. William Rosenau,op,cit .

(٢٤) استاذ وعميد سابق لكلية كيندي بجامعة هارفار ، وشغل منصب وزير الدفاع المساعد لشؤون الامن الدولي، ورئيس مجلس الاستخبارات الوطنية ،وكان نائب وكيل وزارة الخارجية الامريكية ،صاحب المؤلفات القوى القيادية ، ومستقبل القوة ، والقيادة الرئاسية ، ومؤلف كتاب القوى الناعمه، https;//dubaipolicyreview.ae/ar/person.

(٢٥) جوزيف ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية ، ترجمة: د. محمد توفيق البحرمي، العبيكان للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص٧٨.

(٢٦) المصدر نفسه، ص٧٩.

(٢٧) مجموعة من الباحثين، تغيير العقول فوز بالسلام اتجاه استراتيجي جديد للدبلوماسية العامة للولايات المتحدة في العالم العربي والمسلم، معهد جيمس أ. بيكر، للسياسة العامة ، شباط٢٠٠٤، ص٢٧.

(٢٨) زبغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية، المصدر السابق، ص٢٥.

(٢٩) د. حسين شريف، السياسة الخارجية الامريكية، المصدر السابق، ص٢٧٦.

([٣٠]) د. حميد حمد السعدون ، الغرب والاسلام والصراع الحضاري ، دار وائل للطباعة والنشر ، عمان ٢٠٠٢ ، ص٣٧.

([٣١]) د. وائل اسماعيل العبيدي، رؤية في الأمن القومي الأمريكي، المركز الاستراتيجي للبحوث والدراسات، المصدر السابق ،ص٥٦

([٣٢]) فريدون صالح حمة، تحليل السياسة الخارجية الأمريكية، المصدر السابق، ص١٥٨.

([٣٣]) د. وائل اسماعيل العبيدي، رؤية في الأمن القومي الأمريكي، المصدر السابق ،ص٧٨.

([٣٤]) استراتيجية الأمن القومي للولأيات المتحدة الأمريكية (نص التقرير الذي وجهه الرئيس جورج بوش (الأبن) الى الكونغريس) في ٢٠ / ايلول / سبتيمبر ٢٠٠٢.

([٣٥]) مالك عوني، الاستراتيجية الأمريكية وموقعها في السياسة الخارجية الأمريكية، مجلسة السياسة الدولية، مركز الأهرام، العدد (١٢٧)، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٩٤.

([٣٦])ظهرت نظرية (صِدام الحضارات) لأول مرة في مقال للباحث الاميركي صاموئيل هنتنغتون ضمن عدد لمجلة (شؤون خارجية Foreign Affairs) صيف ١٩٩٣ ، قبل ان يطورها وينشرها في كتاب صدر له سنة ١٩٩٦ . وقد حاول الكاتب من خلال آرائه تحديد ملامح الصراع الدولي الذي ابتدأ نهاية الحرب الباردة . وفي قراءة لخلاصة ارائه النظرية المثارة ، يرى الكاتب ان الصراعات الدولية القادمة ستكون صراعات بين الامم والمجموعات الثقافية والحضارية المختلفة وليس بين الدول . وهو بذلك يؤكد على العنصر الثقافي بوصفه محوراً أساسياً للانقسامات بين الشعوب وبخاصة مع تنامي بروز الهوية الثقافية امام ما يشهده العالم من تحديث وعولمة اقتصادية ، الامر الذي يمكن ان يعمق الخلافات ويزيد من الصراعات القائمة على أسس ثقافية .ينظر :صاموئيل هنتنغتون : صدام الحضارات واعادة بناء النظام العالمي ، نقله الى العربية : د. مالك عبيد ابو شهيوة وآخرون ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلام ، ليبيا ، ط١ ، ١٩٩٩ ، ص١٢٧.

([٣٧]) بيل كلينتون الرئيس الديمقراطي الثاني والأربعون ١٩٩٣-٢٠٠١ ولد في عائلة معمدانية في مدينة هوب في اركانساس في ١٩ اب ١٩٦٤ باسم وليم جيفرسون بليت الثالث وليس كلينتون ،سافر عام ١٩٧٣ إلى اركانساس بصفته أستاذ قانون بعد أن حصل على أفضل علامة في القانون من جامعة بيل ، تزوج من صديقته هلاري عام ١٩٧٦ وعين مدعي عام في السنة ذاتها ، ثم حاكم لولاية اركانساس لمدة خمس سنوات ، هزم كلينتون منافسه الجمهوري جورج بوش في إنتخابات ١٩٩٢ ونال على ثلاثمئة وسبعين صوتاً مقابل مئة وثمانية وستين صوتاً للجهموري جورج بوش.:

Stephanopoulos, George ,All too Human Boston,Little Brown, 1999,p.61,74,77; Campaign to Destroy Bill and Hillary Clinton, New York, st Martin's press,2000,Clinton,Bill, my life New York knopf 2004.p.368.

(38) http://www.alsabaah.com/paper.php

(٣٩)صموئيل هنتغتون ، الصدام بين الحضارات ،مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، لبنان، د ت ،ص١٧.

(٤٠)محمد سعدي، الجنوب في التفكير الاستراتيجي الامريكي نموذج اطروحة (صدام الحضارات)، مجلة المستقبل العربي ع(٢٣٦)،١٩٩٨،ص٦٤ .

(٤١)محمد حسنين هيكل ، من نيويورك الى كابول وبالعكس ، القاهرة : مجلة وجهات نظر،ع(٣٥)، ديسمبر ٢٠٠١ ،ص(١٠).

(٤٢) التقريران منشوران على موقع وزارة الدفاع الامريكية على الانترنيت:
http://www.dtic.mil\armylink\news\may1997\a199705162dr3.html

(٤٣) المصدر نفسه ، موقع وزارة الدفاع الامريكية.

(٤٤) كوثر عباس عبدالربيعي،الأمن القومي الامريكي والصراع العربي–(الاسرائيلي) في التسعينات:دراسة تحليلية ،أطروحة دكتوراه(غيرمنشورة)،معهد القائد المؤسس للدراسات القومية ، بغداد ،١٩٩٩، ص ٣٣.

(٤٥) اندرو باسيفيتش، الامبراطورية الامريكية حقائق وعواقب...، المصدر السابق ، ص ٧٥.

(٤٦) المصدر نفسه ، ص ٧٦.

(٤٧) نقلاً عن:غسان العزي، سياسة القوة :مستقبل النظام الدولي والقوى العظمى :ط١(بيروت :مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية والبحوث والتوثيق ،٢٠٠٠) ، ص ١٦٦.

(٤٨) التحليل النفسي لرئيس بيل كلينتون , في موقع :
www.mostakbalia.com\mostakbaliat.com\link51.html

(٤٩) الكسندر ادلر واخرون ،الحروب التي تهدد العالم ، عرض الكتاب: جريدة البيان الاماراتية ، ايلول ، ٢٠٠٢ .

(50)John S.Badeau, the American Approach to the Arab world,New York ,1968.p.21.

(٥١) المصدر نفسه.

(٥٢) طاهر شاش،"العلاقات الأمريكية مع العالم العربي"بحث منشور في الإمبراطورية الأمريكية صفحات من الماضي والحاضر، الجزء ألاول، مكتبة الشروق،القاهرة،ص٣٠٢.

(٥٣) رشيد ابو غيدا (مترجم) ، فوكوياما يحلل تقرير البنتاغون ، المصدر السابق، ص ٢٠ – ٢٢ .

(٥٤) عدنان سليمان ، ادارة الصراع العربي . الاسرائيلي ، مجلة الرسالة ، العدد١٢،السنة الثالثة ، نيسان ١٩٩٩،ص٦– ٧.

(٥٥) رشيد ابو غيدا ، المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٥٦) اندرو باسيفيتش ،الأمبراطورية الأمريكية، المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

(٥٧) نعوم تشومسكي، الهيمنة أم البقاء، ترجمة: سامي الكعكي،دار الكتاب العربي بيروت، ٢٠٠٤، ص٥٥.

(٥٨)كان الرئيس توماس وودرو ويلسون(١٨٥٦–١٩٢٤) ، الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة عن الحزب الديمقراطي ،حكم لفترتين(١٩١٣–١٩٢١)،كان أكاديمياً في مقتبل حياته حتى صار رئيساً لجامعة برنستون عام١٩٠٩، ثم حاكما لولاية نيو جيرسي(٩١١–١٩١٣)،وعرف بنقاطه الأربعة عشر للسلم ، وهو أول من أعطى الحمامة كرمز للسلم، وكان له الدور البارز في إنشاء عصبة الأمم . وقد حصل على جائزة نوبل للسلام عام ١٩١٩. وتظهر النقاط الأربعة عشر الشهيرة لودرو ولسون كجسر إدخال المثالية الأمريكية إلى جسد السياسة الجغرافية الأوربية وكان ودرو ويلسون يتفق مع مبدأ ضرورة أن تتمثل الأمم الأخرى بالقيم الأمريكية من خلال منظومة كونية، فالمبرر الذي بموجبه وافق ويلسون على المشاركة في الحرب العالمية الأولى كان إعادة تشكيل العالم على صورة أمريكا. ينظر: رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٧٨٩حتى اليوم، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٦،ص ٤٨؛محمد السيد سعيد وأحمد إبراهيم،الفوضى والإستقرار في النظام الدولي. التقرير الإستراتيجي العربي لعام ١٩٩٥،مركز الأهرام للدراسات الستراتيجية،القاهرة،١٩٩٦،ص٦٨.

(٥٩) نعوم تشومسكي، الهيمنة أم البقاء، المصدر السابق، ص ٥٥.

(٦٠)اندرو باسيفيتش ،الأمبراطورية الأمريكية، المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

(61)EamanuelTodd,Apr'esL'cmpire, EssaisarLad'ecompsition du systeme, americain, Editions Gailimard,2002.p.32.

(٦٢)صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات، المصدر السابق، ص٣٤– ٤٠.

(63)http://www.alsabaah.com/paper.php

(٦٤)احمد عياش، صدام الحضارات وسيناريو الحرب العالمية المقبلة، جريدة النهار اللبنانية، ٢٢ تشرين أول ٢٠٠١، ص٣.

[٦٥]صاموئيل هنتغتون ، زمن حروب المسلمين ، مجلة نيزويك العربية ، العدد ٨١ ، ٢٥ كانون الاول ٢٠٠١ ، ص٤٨-٥٣.

[٦٦] فواز جرجس ، امريكا والاسلام السياسي – صدام الحضارات أو تضارب المصالح ، الهيئة العامة للاستعلامات ، سلسلة كتب مترجمة ، ع٨٤٠ ،د م، ٢٠٠٠ ، ص ٥٨.

[٦٧] فواز جرجس ، امريكا والاسلام السياسي ،المصدر السابق، ص٥٦.

[٦٨] د. عبد الخالق عبد الله ، العولمة جذورها وفروعها ، عالم الفكر ، الكويت ، العدد الثاني ، اكتوبر ١٩٩٩، ص ٦٧.

[٦٩] فواز جرجس ، امريكا والاسلام السياسي ،المصدر السابق ، ص٧٣.

[٧٠]منعم صاحي العمار، صناعة العدو في السياسة الخارجية الأمريكية:دراسة في عملياتية الإرهاب، مجلة قضايا عراقية، ع١، مركز حمورابي للدراسات والبحوث الإستراتيجية، بابل،٢٠٠٨، ص ٦-١٠.

[٧١]ظهرت كلمة إرهاب (Terreur) لأول مرة في اللغة الفرنسية في عام ١٣٥٥ ، وجاءت من اللغة اللاتينية (Terror) ، ولها ما يقابلها في جميع اللغات الأوربية وهي تعني في الأصل ، خوفاً او قلقاً متناهياً من تهديد غير مألوف وغير متوقع.للتفصيل ينظر: عبد الغني عماد ، المقاومة والإرهاب في الإطار الدولي لحق تقرير المصير، المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية،ع ٢٧٥، بيروت ، كانون الثاني ٢٠٠٢،ص٢٥ . ويعرفهُ قاموس اكسفورد بأنهُ مصطلح سياسي يرجع إلى جماعة اليعقوبيين التي عرفت بأعمالها الإرهابية العنيفة ابان الثورة الفرنسية مابين عامي ١٧٩٣-١٧٩٤.ينظر:

A.S . Hornby , Oxford Advanced Leaner's Dictionary ; ed , Sally Wehmeier , Oxford University Press , 2000, P.396 .

[٧٢]) تأسست هذه الشركة في (١٠ أب ١٨٨٢) في نيويورك باسم ستاندرد أويل كومبني نيويورك ثم أدمجت مع شركة فاكوم في (تموز ١٩٣٠) وأطلق عليها سكوني – فاكوم كوربوريشن (Scony –Vacom Corporatio) ثم تغير اسمها في(٢٩ نيسان ١٩٥٥) إلى (– Scony Mabi Oil Co.) وأخيراً في (١٨ نيسان ١٩٦٦) أصبح اسمها موبيل أويل (Mobil Oil Corporation)

National Archives of the United States,,Roll.32,Record group.30,Q.42/21/3,Reports,May,1919-1920,Oriental questions; F.R.U.S, 1919, Vol.II, No.24, Lansing, Washington to Paris,July.25,1919,P.454.

(٧٣)د. سعيداللاوند، امريكا في مواجهة العالم، مطبعة نهضة، القاهرة،دت،ص٤١-٤٢.

(٧٤) المصدر نفسه ،ص٤٣.

(٧٥) برادلي أ. تايلر، السلام الأمريكي والشرق الاوسط، المصدر السابق، ص٢٤- ٢٥ .

(٧٦) ضابط امريكي ولد ١ مايس ١٩٤٢ في كنساس سيتي في الولايات المتحدة الامريكية تقاعد من مهامه في الجيش الامريكي بتاريخ ٢٠٠٥/١/٢ www.alriyadh.com

(٧٧) جريدة نيويورك تايمز ، ٢٦ اذار ، ١٩٩٥ ، الصفحة الاولى .

(78) Gen. Richard B. myers, Charirman Joint Chiefs of staff, Interimet: http//:www.dtic.mil/jcs/chairman.navy-league-media-htm. 2003.

(٧٩)محمد الحضيف، نهاية صنم، المصدر السابق.

(٨٠) ثيودور روزفلت(١٨٥٨-١٩١٩) ولد ثيودور روزفلت في نيويورك يوم السابع والعشرين من تشرين الأول عام ١٨٥٨ ،هو الرئيس السادس والعشرون للولايات المتحدة (١٩٠١-١٩٠٩) ينتمي إلى الحزب الجمهوري ، عرف بنشاطه ومهارته وخلال حياته اعتبر مؤلفًا ومشرعًا وجنديًا وصيادًا ودبلومآسيا ومحافظًا على البيئة، ومن المتحمسين للقوة البحرية. صانع سلام ومصلح اقتصادي، ولإنجازاته الكثيرة ودوره الكبير أثناء وجوده في البيت الأبيض ، يعد روزفلت عادة من الرؤساء الأمريكيين العظام . حصل على جائزة نوبل للسلام عام١٩٠٦ لدوره في الوساطة لإنهاء الحرب الروسية اليابانية١٩٠٤-١٩٠٥ ، وهو والد سيدة الولايات المتحدة الأمريكية فيما بعد اليانور روزفلت التي تزوجت من الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت.

E. A.. وسنرمز لها من الآن فصاعداً .The Encyclopedia Americana , op,cit, P.684.

File ://H:Theodor Roosevelt – Wikipedia the Free Encyclopedia- htm -61-3-2009.

,Volume 18, U.S.A,1996 ,p266.;

(٨١)دانيال وارنر , السياسة الخارجية الاميركية بعد انتهاء الحرب الباردة ، العدد١٥ ، مركز الامارات للدراسات الاسترتيجية (ابوظبي) , ٢٠٠٢ ،ص٣٦.

(٨٢)محمد سعدي, الجنوب في التفكير الاستراتيجي الامريكي ،المصدر السابق ،ص ٧٠٠.

(٨٣) جورج كينان: ١٩٠٤ ، عين رئيس قسم الحفظ السياسي في وزارة الخارجية الأمريكية ، وهو من اقترح سياسة الإحتواء الأمريكية لوقف خطط الإتحاد السوفيتي التوسعية بعد الحرب العالمية الثانية، لذلك عين مستشاراً لوزير الخارجية للشؤون السوفيتية .:

Julius ,Wpartt ,A History of United States Foreign Policy,Third edition ,New Jersey ,1972,P.140 . كما وضع عام ١٩٤٧ سياسة مواجهة روسيا في ميادين نشاطها بنشاط مضاد لها .وعمل سفيرا لديها ١٩٥٢ ، ولكن الحكومة السوفيتية طلبت استدعاءه فاعتزل من منصبه عام ١٩٥٣.

Allen Weinstein and David Rubel,The Story America Freedom and Crisis from Settlement to Super power ,New York,2002.p.234.

(٨٤)رضوان زيادة , صدام الحضارات ،هاجس الصراع, وخطاب النفي مجله شؤون الاوسط ،العدد (١٠٤) مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق لبنان ،د ت ، ص ٢١٦ -٢١٧.

(٨٥)محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر ،مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ،١٩٩٧، ص٨٤.

(86)Charles Krauthamer , " The Unipolar Moment " , Foreign Affairs , America And The World 1990-1991 , Vol. 10 , No.2 , 1991 ,P.24 . http//: www. Foreign Affairs . org .

(87)Mortine Zuckerman, " Asecond American Century" , Foreign Affairs , May –June , 1998 .

(٨٨) جراهام أي ، فوللر ، ايان اوليسر ، الاسلام والغرب بين التعاون والمواجهة ، ترجمة شوقي جلال ، مركز الاهرام للترجمة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٧ ، ص٥٦.

(٨٩) في منتصف نيسان عام ١٩٩٥،تم تفجير قنبلة تدمر المبنى الإتحادي في أوكلاهوما سيتي، فتقتل ١٦٨ شخصاً وتجرح أكثر من ٥٠٠ شخص، (تيموثيماكفي) يدان وينفذ فيه حكم الإعدام في ٢٠٠١.ينظر: محمد قدري سعيد، إرهاب بدون قيادة العالم والإرهاب الجديد، التقرير الإستراتيجي العربي ٢٠٠٤-٢٠٠٥، مركز الأهرام للدراسات السياسية والستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٥.http://acpss.ahram.org.eg/ahram

(٩٠)على سبيل المثال ، تتألف فيالق مليشيا وولفيتز (الذئاب) في ولاية ميتشغان من جيش قوامه ١٥ألف فرد حرصت الإدارات الأمريكية المتعاقبة على تجنب إزعاجها.

(٩١)بما في ذلك مركز التجارة العالمية قبل ١١أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ .للتفصيل ينظر: جيف سيمونز، استهداف العراق: العقوبات والغارات في السياسة الأمريكية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٤،ص٣٧.

(٩٢)مالك أبو زيد، الإرهاب الدولي بين الواقع والتشويه، المصدر السابق، ص٧٢.

(٩٣)سوسن اسماعيل العساف ، الثابت والمتغير في السياسة الخارجية الأمريكية " أوراق دولية ، بغداد ، العدد (١٢٠) ، آذار ٢٠٠٣، ص٤.

(٩٤)نعوم تشومسكي ،السيطرة على الاعلام ،الانجازات الهائلة للبروباجندا ، ترجمة اميمة عبد اللطيف ، ط ١ ،القاهرة : مكتبة الشروق الدولية ، ٢٠٠٣، ص ٣٨.

[٩٥]محمد جواد علي ، النظام الدولي الجديد وامكانية اصلاح الامم المتحدة ، سلسلة دراسات استراتيجية ، العدد ٧٤ ، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، ٢٠٠٥، ص ٣٣.

[٩٦]محمد جواد علي ، النظام الدولي الجديد وامكانية اصلاح الامم المتحدة ، سلسلة دراسات استراتيجية ،العدد٧٤، مركز الدراسات الدولية،جامعة بغداد،٢٠٠٥ ، ص ٣٣.

[٩٧]نيفين مصدق أحمد، الحرب على الحرية: كيف ولماذا تم الهجوم على أمريكا في ١١سبتمبر ٢٠٠١، الدار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٢، ص٥٣.

[٩٨]تيري ميسان،١١أيلول ٢٠٠١:الخديعة المرعبة، ترجمة سوزان قازان ومايا سلمان، دار كنعان، ط١، دمشق٢٠٠٢،ص٨٤-٨٦.

[٩٩]Thomas H. Kean and others، THE 9/11 COMMISSION REPORT، p.48.

[١٠٠]مكتب برامج الاعلام الخارجي، موجز التاريخ الامريكي، المصدر السابق،ص٣٣٠ .

[١٠١]أحمد إبراهيم محمود، الإرهاب الجديد: الشكل الرئيسي للصرع المسلح في الساحة الدولية، مجلة السياسة الدولية، العدد(١٤٧)، مركز الأهرام، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٤٦.

[١٠٢]وائل محمد إسماعيل ألعبيدي، الهجمات على الولايات المتحدة: رؤية تحليلية في ضوء الأسباب والنتائج الأمنية، مجلة قضايا سياسية، المجلد٢، العدد٢، كلية العلوم السياسية، جامعة صدام، ص١٣٧.

[١٠٣]محمد قدري سعيد، إرهاب بدون قيادة العالم والإرهاب الجديد، التقرير الإستراتيجي العربي ٢٠٠٤-٢٠٠٥، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٥. http://acpss.ahram.org.eg/ahram

[١٠٤]نعوم تشومسكي ، الهيمنة ام البقاء، المصدر السابق،ص ٢٥٧.

[١٠٥] وعندما فجر عملاء اسامة بن لادن سفارات الولايات المتحدة في كينيا وتنزانيا في ٧اب١٩٩٨بعد ستة اشهر ليقتلوا ٢٢٤ فردا اطلقت ادارة البنتاجون صواريخ موجه الى معسكرات القاعدة في افغانستان مخلفة ثقوب في الجبال لكنها عجزت عن ارسال قوات لاستئصال البنية التحتية للارهاب ينظر:

Bowden,Yossef.BinLaden,the Man who Declared war on America,Roseville, Calif,prima publishing,1999,p231-232;p283-287.

[106]Nigel Hamilton,American Caesars,op,cit,p.643.

[١٠٧]سميح فرسون، جذور الحملة الأمريكية لمناهضة الإرهاب، مجلة المستقبل العربي، العدد(٢٨٤)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٢، ص١٨.

[١٠٨]أحمد عبد الحليم، الإستراتيجية العالمية للولايات المتحدة، مجلة السياسة الدولية، العدد(١٤٧)،مركز الأهرام، القاهرة،٢٠٠٢، ص٢٠٤.

[109]Jean Charles Brisard g Guillaume Dasquie, BEN LADEN La Verite Interdite,p,3.

[110]Thomas H. Kean and others، THE 9/11 COMMISSION REPORT، p47.

(١١١)أشتون ب. كارتر و ويليام ج. بيري، الدفاع الوقائي، المصدر السابق، ص١٤٥.

(112)Brzezinski ,power and principle,cit,op,p.444-445

(113)Gates Robert M.from the shadows,the ultimate Insider's story of five presidents and how they won the cold war,Newyork,simon and schuster,1999,p144-145.

(114)Ibid,p.143-144

(115)Brzezinski ,power and principle ,op,cit,p.59-62.

(١١٦)أهتمت إدارة الرئيس كلينتون إهتماماً قليلاً بحل المشكلة البوسنية في العامين الأولين من عملها، ورفض كلينتون خطة السلام الرئيسية الأولى التي جرت بوساطة وزير الخارجية الأمريكي الاسبق(سيروس فانس) في عام ١٩٩٣، ولكن عاد أخيراً فأيد إجراء مفاوضات أمريكية تلك التي أنتهت مسودة خطتها الى إتفاقية مشابهة لإتفاقية فانس ولكن هذا بعد عامين عقدت في مدينة ديتون، وكان شغف الولايات المتحدة بإستخدام القوة الجوية مصدراً رئيسياً للخلاف بين إدارة كلينتون والأمم المتحدة .وكانت الأمم المتحدة مسؤولة عن سلامة القوات الأرضية التي تخدم تحت سلطاتها ، وإن استخدام قوات جوية يزيد من التعقيدات على مهمة الأمم المتحدة ، أن القصف الجوي بالنسبة لإدارة الرئيس كلينتون كان طريقاً أمناً ورخيصاً لإظهار قوته أما هذا القصف بالنسبة لقوات الأمم المتحدة الموجودة هناك يعتبر خطراً مادياً يضاعف إحتمالات وقوع هذه القوات في الأسر على يد الصرب المسلحين بسهولة .

Misha Glenny, The full of Yugoslavia Balkan war, 3rd edition, New York , 1996

(١١٧)مكتب برامج الاعلام الخارجي،موجز التاريخ الامريكي،المصدر السابق،ص٣٢٩-٣٣٠.

(١١٨)عالم المعلومات (Le Mond du Renseignement) ، رقم ٣٦٨، ٢١ تشرين الأول ١٩٩٩.

(١١٩) دافيد راي غريفين ، تقرير لجنة ٩/١١ التجاهلات والتحريفات ، ترجمة : بسام شيحا ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٦ ، ص ١٢.

(120)Jean – Charles Brisard ,op ,cit,p21.

(١٢١) شهد العام ٢٠٠١ ، زيارة في حجم المساعدات المقدمة لأفغانستان ، وقد بلغ حوالي ١٢٤ مليون دولار . أعطى هذه الأرقام وزير الخارجية كولين باول في مؤتمر صحفي ، في ١٧ أيار ٢٠٠١ ، اعتباراً من تموز ١٩٩٨، علق الاتحاد الأوروبي كافة المساعدات للحكومة الأفغانية اعتراضاً على طبيعة النظام في البلاد ينظر:أرشيف الأمم المتحدة ، ١٧ كانون الثاني ٢٠٠٠.

(١٢٢) وقد أظهر تقرير لأمين عام الأمم المتحدة، كوفي أنان، مؤرخ في ١٧ آب أغسطس ٢٠٠١، أن مجموعة ٢+ ٦ لم تقطع مفاوضاتها مع طالبان ،تقرير الأمين العام المقدم إلى مجلس الأمن . وثيقة الأمم المتحدة رقم:789 /2001 /5 – 1028 /55 /A، وتحمل العنوان التالي : " الوضع في أفغانستان وانعكاساته على السلم والأمن العالميين " The Situation in Afghanistan and its Implications for international peace and security.

(١٢٣)د.عبدحسين عبد محسن سوسه: مبدا كارتر وسياسته تجاه الاتحاد السوفيتي، مجلة كلية الامام الكاظم،المجلد الثالث،العدد الاول،٢٠١٩،ص٢٤٦-٢٥١.

(124)Jean – Charles Brisard ,cit,op,p23.

(١٢٥) جاء هذا الاعتراف على لسان توماس بيكرنغ ، مساعد وزير الخارجية للشؤون السياسية ، أثناء زيارة له إلى موسكو. وفي هذه المناسبة، وخلال مؤتمر صحفي عقده في ١٨ تشرين الأول في سبازو (MaisonSpaso) في موسكو، فصل فحوى مناقشاته مع فياشسلا فبنيكوف، مساعد وزير الخارجية الروسي، حول أعمال المجموعة ٢+٦.

(١٢٦) بيان مجلس الأمن في الأمم المتحدة في ٣ تشرين الثاني ٢٠٠٠. وثيقة أمين عام الأمم المتحدة في ١٧ آب ٢٠٠١ تتحدث عن نص مفاوضات حرر في ٢ تشرين الثاني٢٠٠٠.

(١٢٧)وليام بلوم ، الدولة المارقة دليل الى دولة العظمى الوحيدة في العالم ، ترجمة : كمال السيد ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٢ .ص٢١٢-٢١٧.

(١٢٨)أمن الشبكات (البعد السياسي) ، ١١ / ٣ / ٢٠٠٨ ، http://www.samharalali@hotmail.com

(١٢٩)أمن الشبكات ، المصدر السابق.

(١٣٠)جيمس بي شتاينبرج وماري جرهام واندرو ابجرز ، رشاقة الاستخبارات تهدد الحريات ، عرض وتحرير : شيرين حامد فهمي ، ٢٠ كانون الاول ٢٠٠٤ ، على شبكة الانترنت : http://www.islamonline.net

(١٣١)محمد كمال، الفكر المحافظ والسياسة الخارجية لادارة بوش الثانية، المصدر السابق، ص٤٠ .

(١٣٢)سباستيانمالابي ، اضحوكة في اعين العالم ، الواشنطن بوست، ع(٣١) ، كانون الثاني ١٩٩٩، القسم B ، ص٥ .

(١٣٣)مكتب برامج الاعلام الخارجي،موجز التاريخ الامريكي،المصدر السابق،ص٣٣١.

(١٣٤)هنري كيسنجر , هل تحتاج أمريكا الى سياسة خارجية، نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين , ترجمة عمر ألايوبي, دار الكتاب العربي، بيروت , ٢٠٠٢ ص ٧ .

(135)EamanuelTodd,Apr'esL'cmpire, EssaisarLad'ecompsition du systeme, americain, Editions Gailimard,2002.p.31.

(136)Henry Kissinger, Does America Need a foreign policy,simon and Schuster,New York.2001.

نبوية موسى ودورها في الحركة النسوية في مصر
(١٨٨٦- ١٩٥١)
(دراسة تاريخية)

أ.م. وفاء خالد خلف

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية /قسم التاريخ

نبوية موسى ودورها في الحركة النسوية في مصر (١٨٨٦- ١٩٥١) (دراسة تاريخية)

أ.م. وفاء خالد خلف

الخلاصة

اظهرت الكاتبة نبوية موسى ذكاء ونباهة وقدرة على الجدل والرد الذي لم يكن يعيقها ابداً منذ ان كانت طفلة وحتى بعدما كبرت. كانت صارمة في شكلها ولبسها وتعاملاتها مع الرجال حرصاً على سمعتها. لم تتناول قضية المرأة وتحررها حصراً، بل تناولت قضايا مهمة واساسية من داخل المجتمع المصري. وعملت في جوانب عديدة فكانت شاعرة وكاتبة وصحفية ومعلمة وغيرها.

Abstract

The writer's prophetic Nabhwyaa Musa showed intelligence, prestige, and ability to argue and respond, which he never hindered since she was a child and even after she grew up. She was strict in form, dress, and dealings with men for the sake of her reputation.

It did not deal exclusively with the issue of women's workers, but also important and important issues from within Egyptian society. She worked in many aspects and was a poet, writer, journalist, teacher and others.

المقدمة

تعد نبوية موسى (١٨٨٦-١٩٥١) من ابرز النساء المصريات اللاتي كان لهن دور كبير وأساسي في المجتمع المصري ، فكانت كاتبة ومفكرة وأديبة ، وعلم من أعلام التعليم ، تحدت الجميع بتعليم الفتاة وواجهت الجميع من أجل هذا الأمر ، عاشت راهبة للعلم والتعليم حتى سميت رائدة التعليم ، حياتها كانت مليئة بالفشل والنجاح إلا انها حولت أغلب فشلها الى نجاح .

كان التعليم البسيط الذي تميزت به مصر سواء تعليم القرآن الكريم أو الخياطة وبعض العلوم الاخرى هو بداية التحدي من قبل نبوية ، وقامت بالتمرد على الواقع ورغبت بتغيره .

كانت عبارة (البنت للغزل وليس للخطأ) ظلت هاجساً لها وافردت فصلاً من كتابها يحمل هذا العنوان . أصرار نبوية كان ثماره حصولها على الثانوية وتعيينها معلمة ، وكانت هذا الأمر حديث المجالس لأنها كانت أول فتاة تتخرج وتشتغل بهذه الوظيفة ، كانت المساواة شعارها ، وقد أتخذت من الكتابة والادب طريقاً لتحرير المرأة وألفت كتاب بعنوان (المراءة والعمل) أوضحت فيه ابرز التحديات التي تواجه المراءة في العمل خلال الفترة ، كما أنشأت مطبعة ومجلة اسبوعية نسائية بأسم (الفتاة) وصدر أول عدد لها عام ١٩٣٧.

ولادتها ونشأتها

ولدت نبوية موسى محمد بدوية في ١٧ ديسمبر (كانون الأول) ١٨٨٦[١]. بكفر الحكما زقازيق الشرقية، كان والدها ضابطاً بالجيش المصري برتبة يوزباشي (نقيب) وكان يمتلك منزلاً ريفياً كبيراً في بلدة صغيرة بمديرية القليوبية ولهً بضعة فدادين ، كان يؤجرها ويعيش في منزلهِ في مدينة القاهرة من عائد أرضه وراتب وظيفتهِ. وقد سافر الأب قبل ميلاد نبوية بشهرين الى السودان ابان الثورة المهدية[٢]، ولم يعد من هناك فنشأت نبوية موسى يتيمة الاب وعاشت هي وشقيقها محمد موسى الذي يكبرها بعشر سنوات في رعاية والدتهما التي قامت على تربيتهما من عائد راتب الأب وما تركه من اراضي [٣] .

تذكر نبوية طفولتها بأن شقيقها علمها القراءة والكتابة في المنزل، وقد اقبلت وبرغبة شديدة وحماس لقراءة القصص والشعر[٤]، وهذا الامر شجعها على ان يكون لها شأن في مستقبل مصر، اضافة الى مظاهر الحضارة الاوربية والتي كانت قد اثرت على مصر من خلال البعثات، الترجمة، الصحافة، المدارس، وغيرها التي كان لها دور كبير واساس في زيادة الرغبة والوعي بالعلم والتعليم لديها[٥].

ولما بلغت نبوية موسى الثالثة عشر من عمرها تقدمت للألتحاق بالمدرسة السنية للبنات رغم معارضة اسرتها فقد ذهبت نبوية سراً الى المدرسة، حيث سرقت ختم والدتها لتقدم هي لنفسها بدلاً من ولية أمرها، وباعت سوار من الذهب حتى تدفع المدرسة للموافقة

على قبول طلبها والذي جعلتهُ لمصروفاتها الدراسية. حتى تكمل وتستمر في مسيرتها الدراسية دون تعثر[٦].والملاحظ من هذا الموقف ندرك مدى فطنة وذكاء نبوية ورغبتها بمواصلة العلم والتعلم .

وحصلت نبوية موسى على الشهادة الأبتدائية[٧]، من مدرسة السنية للبنات عام ١٩٠٣[٨]، كما حصلت على شهادة قسم المعلمات بالسنية ايضاً عام ١٩٠٦. وتم تعيينها معلمة تحت التدريب لمدة عامين دراسيين بمدرسة عباس الأول[٩] الابتدائية للبنات بالقاهرة، تحت التمرين لمدة عامين، وبمرتب قدرهُ خمسة جنيهات لا غير. اما راتب العلم الرجال فقد كان اثنى عشر جنيهاً، وهو الأمر الذي اثار حفيظة نبوية وجعلها تحتج لدى الوزارة عن مدى التفرقة الواضحة بين الجنسين فما كان من الوزارة إلا ان كان جوابها السبب بهذه التفرقة هو لحصول الرجل على شهادة البكلوريا، فكان هذا الأمر حافزاً وهاجساً لدى نبوية بأن تصر على اكمال الثانوية، على الرغم من عدم وجود مدارس ثانوية للبنات خلال هذه الفترة[١٠].

بالفعل تقدمت للأمتحانات إلا أن هذا الأمر احدث ضجة كبيرة لدى الوزارة والتي اعتبرت هذا الأمر هو تحدي للأعراف والتقاليد المتعارف لها على اساس انها اول فتاة مصرية تتجرأ وتُقدم على هذه الخطوة للحصول على الشهادة[١١].

لم تتوان نبوية موسى بالحصول والوصول لأهدافها واستطاعت الحصول على الشهادة وذلك عام ١٩٠٧، ولم تكتفِ بهذا الأمر بل كان طموحها كبيراً واستطاعت ان تحصل على دبلوم المعلمات وذلك عام ١٩٠٨. بعد أن اصبحت معلمة تحت التمرين لمدة سنتين وتثبتت بعد ذلك كمعلمة[١٢].

يبدو لنا مما سبق اصرار هذه الشخصية بالحصول على العلم والتعلم رغم العراقيل التي حدثت والاعتراضات عليها ولولا هذا الاصرار لما استطاعت من الحصول على الشهادة بصورة تدريجية.

استطاعت نبوية موسى ان تُثبت نفسها واصبح لها شخصية يُشار لها بالبنان ليس هي فقط وانما مع مجموعة من الزميلات، والدليل على ذلك عندما تم افتتاح الجامعة الأهلية المصرية[١٣]، عام ١٩٠٨، فقد طلبت الجامعة من نبوية موسى وملك حفنى ناصف[١٤]،

ولبيبه هاشم[١٥]، القاء مُحاضرات في موضوعات مختلفة، تعمل على بث روح الثقة والرغبة بالعلم والتعلم، وتثقف فتيات الطبقة الراقية مرة في الأسبوع، وتم اختيار يوم الجمعة. وفي عام ١٩٠٩ استطاع مدير مديرية الفيوم ان يقنعها بترك خدمة نظاره (وزارة) المعارف لتتولى نظارة (وزارة) المدرسة المحمدية الأبتدائية للبنات[١٦]، التي انشأها مجلس مديرية الفيوم[١٧]، وقبلت نبوية فكانت اول مديرة مدرسة مصرية لمدرسة ابتدائية للبنات[١٨] ، وبعد أن رشحها احمد لطفي السيد[١٩]، لهذا المنصب، وتولت ادارتها، واستطاعت ان تحقق نجاحاً ورفعت مستوى التعليم وقد حصلت على المركز الأول في امتحان الكفاءة المعلمات الأولية[٢٠].

علاقة نبوية موسى بالقصر الملكي

ذكرنا أن الشعر وموهبته هي من أبرز الصفات التي امتازت بها نبوية موسى فقد كانت تلقي قصائد مدح وثناء لحكام وسلاطين تلك الفترة ومن ابرز الذين عاصرتهم هو الخديوي عباس الثاني[٢١]، اذ انه في أخر ايام حكمه كان قد زار مدينة المنصورة وكانت نبوية تعمل ناظرة لمدرسة المعلمات في تلك المنطقة فالقت نبوية قصيدة مدح وثناء للخديوي عباس الثاني والذي نالت رضاه واستحسانه[٢٢].

بعد مجيئ السلطان حسين كامل[٢٣] للحكم ، حاول اعداء النجاح ممن يبغضون نبوية ان يثيرو صدر السلطات حسين ضدها لكن نبوية وبعد وساطات استطاعت ان تُنفي التهمة عن نفسها، واستطاعت ان تنال رضا السلطان والذي انعم عليها بترقية فأصبحت ناظرة واهداها هدية هي ساعة يد من الماس بسوار ذهبي[٢٤].

في عام ١٩١٠، تولت نظارة مدرسة معلمات المنصورة، وبمؤامرة من قبل مدير ناحية الدقهلية استطاع التخلص من نبوية بعد اقناع السلطة البريطانية بأنها من المشتغلات بالسياسة، وانصار احمد عرابي الرافضين للعهد الجديد، وان بقاءها في مدينة المنصورة يُشكل خطراً على الأمن والاستقرار لذا لابد من ابعادها، والأجراء الذي اتخذ هو ابعادها ونقلها الى القاهرة، وظلت بوظيفة وكيل معلمات حتى تم ترقيتها عام ١٩١٦، كمديرة لمدرسة معلمة الورديان في منطقة الأسكندرية[٢٥]. وفي عام ١٩١٢ انتسبت بمدرسة الحقوق العليا وواصلت حتى السنة النهائية، ولكن مستشار المعارف اقنعها بعدم التقدم للأمتحان وهو عام بداية الحرب العالمية الأولى[٢٦]، والتي كان لها تأثير كبير على تغيرّ المناخ السياسي

فحدثت عده امور ابرزها هو عزل الخديوي عباس حلمي الثاني وتولي السلطان حسين كامل سلطان تحت حماية بريطانيا.

وفي عام ١٩١٤ تقلدت وظيفة وكيل معلمات بولاق، وفي اوائل الحركة الوطنية عام ١٩١٩[٢٧]، وكانت بداية الثورة التي ترأسها سعد زغلول[٢٨]، نقلها الأنكليز من الأسكندرية الى القاهرة في قطار خاص بحجة خطورتها على مصالح الاستعمار.

وفي عام ١٩٢٠، اصبحت مفتش التعليم الأولى بوزارة المعارف ، وقد رفع راتبها شهرياً الى ٤٢ جنيهاً، ولما كانت نبوية ما تمتاز به من حيوية ونشاط، ولما لم يكن لنبوية اي عمل فعلي في الوزارة فأنها عملت على اشغال نفسها بالكتابة في الصحف ونشر المقالات لاسيما جريدة الأهرام وانتقدت نظام التعليم في تلك الفترة الأمر الذي اثار استياء الأنكليز ومنهم المستر باترسون المستشار الأنكليزي، والذي كان حديث العهد بتولي وزارة المعارف، وكان رد فعله بأن قام بمنحها اجازة مفتوحة براتب تام . ولم يثن هذا الأمر من عزيمة نبوية والتي سافرت للأسكندرية وعملت على تأسيس مدرسة ابتدائية حرة للبنات في الأسكندرية، تولت ادارتها بنفسها، كما قامت بنشر كتابها عن المرأة بقضية خاصة والعمل دافعت فيه عن حقوق المرأة[٢٩].

اصدارها لمجلة الفتاة

اصدرت نبوية موسى مجلة تحمل عنوان (ترقية الفتاة المصرية)، وهي مجلة علمية تهذيبية فكاهية كانت تصدر مرتين في الشهر، وتبحث في شؤون المرأة، وتنشر كل ما من شأنه ترقية الشباب الجديد واداره عقله وتعديل اخلاقه، كما شاركت في الحركة النسائية اذ انها سافرت ضمن الوفد النسائي المصري الى مؤتمر المرأة العالمي في روما عام ١٩٢٣[٣٠]، كان ابرزهم هدى شعراوي[٣١]، ومجموعة من النساء المصريات ذات الطوائف المختلفة.

وفي عام ١٩٢٤، تقلدت وظيفة كبيرة المفتشات. وفي ١٨/١٢/ ١٩٢٥، كتبت نبوية مقالة في جريدة (السياسة) بعنوان (نظام تعليم البنات في انكلترا ومصر). اثارت الرأي العام وزلزلت كراسي الوزارة مما اضطر الوزير علي ماهر[٣٢]، الى فصلها بصورة تعسفية عام

١٩٢٦[٣٣]، فرفعت دعوى قضائية ودافعت عن نفسها فكسبت قضيتها[٣٤]، ونالت حقوقها مع تعويض ومعاش .

اولت نبوية اهتمامها نحو مدارسها الخاصة فطورتها ، كما انشأت نبوية ايضاً كما ذكرنا مطبعة ومجلة (الفتاة) وهي مجلة اسبوعية نسائية صدر عددها الأول يوم ١٩٣٧/١٠/٢٠، وكان مقرها بمبنى مدرسة نبوية بالعباسية. وظلت المجلة تصدر طوال خمس سنوات، اصدرت نبوية منها ٢٢٩ عدداً كان أخرها بتاريخ ١٩٤٣/٦/٥.

وقد ادت هذه المجلة دوراً سياسياً لحساب القصر وحزب الأحرار الدستورين ورئيسه محمد محمود[٣٥] ضد حزب الوفد[٣٦]، وكان غلاف هذه المجلة يتزين دائماً بصور مختلفة لرئيس حزب الأحرار، واعضائه البارزين ثم اتجهت المجلة لتعضيد احزاب الأقلية، التي جاءت بعد ضعف حزب الأحرار. وكانت نبوية موسى في هذه الفترة عضواً في مؤتمر تدريسي العلوم[٣٧].

موقف الملك فؤاد منها:

عندما تولى السلطان فؤاد العرش واصبح الملك فؤاد الأول[٣٨]، استطاعت ايضاً ان تحظى برضا وقبول جلالته لاسيما بعد زيارته لمدرسة المعلمات بالأسكندرية والقاء قصيدة من قبل احدى الطالبات والتي نالت رضاه بعدما قدمتها له مكتوبة على لوحة من الصدف، وحصلت على وسام النيل، وتكررت حالات الرضا والقبول من قبل السلطان فؤاد عندما زار مدرسة الأشراف في الاسكندرية الخاصة والتي تم افتتحها من قبل نبوية ، فشجعها وساعدها مما اكسب المدرسة سمعة وشهرة كبيرة[٣٩].

عندما تولى الملك فاروق[٤٠] الحكم بعد والده انتهجت نبوية موسى نفس المنهج القائم على أقامة دعائم الولاء والطاعة للحكام وسخرت مجلة الفتاة لهذا الأمر اضافة الى ،لانشائها مكاتب دعاية وعقد مؤتمرات اسلامية وغيرها من الأمور[٤١].

موقف نبوية موسى من قضية الوحدة الوطنية

لا يخفى على القارئ بأن الشعب المصري مكون من طوائف مختلفة ولكن العنصر الأكثر ظهوراً على السطح هو وجود المسلمين والأقباط والذين يسكنون على ارض مصر منذ مئات السنين، وقد لعب القصر الملكي دور كبير واساس من اجل اثارة النعره الطائفية

بين المسلمين والأقباط منذ عام ١٩٣٧ وقد لعب رئيس الديوان الملكي ومشيخة الأزهر دور كبير في هذا الأمر، وان الأمر الذي اثاره بدعوى ان حزب الوفد خاضع لسيطرة الأقباط وتحكم مكرم عبيد[٤٢]، وكانت غايته الأساسية هو لاغراض سياسية، عملت نبوية في مقالاتها التي كتبتها على اثارة المسألة الطائفية من خلال قلة عدد الطلاب المسلمين مقارنة مع عدد الطلبة الأقباط في الجامعة المصرية، وتذكر ايضاً مسألة اخرى الا وهي مسألة الأعانات المالية للمدارس الحرة الاهلية، اذ تقول بأن الحكومة تصرف اموالاً طائلة لأعانة التعليم الحر وأن هذه الأموال تؤخذ من الضرائب التي يدفعها المسلمون والذين يقدر عددها بـ ١٦ مليون مسلم مقابل مليون مسيحي فقط، ورغم ذلك فأن اغلب هذه الأموال تُصرف على المدارس المسيحية بالدرجة الأولى دون المدارس الأسلامية.

كما تظهر نبوية نقطة اخرى زادت من شدة الأثارة بين الطرفين الا وهي موقف مكرم عبيد عندما اخرج مدارس بنات الأشراف التابعة لنبوية من الأعانة وحرمها من المساعدة، بينما هو في الوقت نفسه ساعد كلية البنات القبطية التي تجاورها في حي العباسية بالقاهرة[٤٣].

عندما تولى حزب الوفد الحكم عام ١٩٤٢، سارع في الانتقام منها لأن سياسته لا تتفق مع ارائها وافكارها ولأنهم كانوا بالضد من الملك، فعملوا على اغلاق مدارستها ومجلتها، كما انها تعرضت للتفتيش والمحاكمة والاعتقال. وفي عام ١٩٤٦[٤٤]، اوقفت مبنى مدرسة بنات الأشراف في الأسكندرية وقفاً خيرياً للتعليم، وسلمتهُ الى وزارة المعارف، والتي قامت بدورها (الوزارة) بأعادة تعيينها في وظيفة مفتش عام للتعليم الحر للبنات. وقد توفيت نبوية موسى عن عمر الخامسة والستين وذلك في نيسان (ابريل) عام ١٩٥١، ودُفنت بالأسكندرية[٤٥].

ابرز مؤلفاتها:

اهم مؤلفات نبوية موسى مجموعة من الكتب وهي:

المطالعة العربية لمدارس البنات (١٩١١)، المرأة والعمل (١٩٢٠)، ثمرة الحياة في تعليم الفتاة، حياتي تعليمي، ورواية توب حتب او الفضيلة المضطهدة[٤٦]. كما نشرت نبوية ديوانها الشعري، وقالت في ديباجيتهِ: ((لست كغيري ممن يقولون الشعر او النظم، وهم

متفرغون له، بل انا معلمة شغلني حب التعليم عما سواه من الفنون الجميلة، وما قلت شعراً إلا لحاجة لهذا التعليم او لشيء اسف على ضياعهِ، وكنت ادوم منه الخير لتعليم البنات الذي شغفي حبه، فقلما تخلو القصيدة من قصائدي من اشارة اليهِ، فإذا مدحتُ شخصاً فمن أجل ذلك التعليم امدحهُ، واذ شكوت الدهر فمن اجلهِ اشكو))[٤٧].

الخاتمة :

كان لنبوية موسى تراث في الفكر التربوي، خاصة انها شاركت في كثير من المؤتمرات التربوية التي عقدت خلال النصف الأول من القرن العشرين لبحث مشكلات التعليم، كما انه لها بعض المؤلفات الدراسية التي قررتها وزارة المعارف.

استحقت بجدارة لقب رائدة تعليم الفتيات المصريات، فقد كانت نموذجاً فريداً لارادة الفتاة المصرية القادرة على تجاوز واقعها وقهر ظروف التخلف.

كان لأفكارها صدى كبير وواسع في المجتمع لاسيما فيما يخص الحجاب والتعلم فكانت تنصح الفتيات بالعلم الراقي، حتى تبتعد عن مظاهر الزينة ومظاهر الترف والحياة، وحتى يكون لها شأن في المجتمع بعيداً عن النظرة الواطئة من قبل بعض الأفراد، حتى تظهر بمظهر الحشمة والوقار، وليس بالضرورة ما هو لبسها، مادام الذي ترتديه يدل على الرقي والآداب واتباع الدين الحنيف وما يدعو اليه من ستر الزينة بالدرجة الأساس.

نلخص القول بانها :

١- لم تنتم الى اي حزب بصورة رسمية، لكن بحكم تكوينها الطبقي والتي ترجع الى الطبقة المتوسطة، فكما ذكرنا فقد كان والدها ضابطاً بالجيش المصري يمتلك بيتاً ريفياً وبضع افدنه يؤجرها ليعيش من ريعها في العاصمة.

٢- كانت محبه للعلم والتعلم متأثرة بالحضارة الغربية بعد قراءتها للشعر والأدب والقصص والروايات، وبحكم وظيفتها شجعتها بأن تصقل موهبتها وتواجه الصعوبات التي كانت تواجهها.

٣- تبنت افكار ودافعت عنها مثل مهاجمتها للحكم الدستوري ودعوتها للحكم الدكتاتوري لأنها كانت ترى ان الوزارات البرلمانية ضعيفة، هذا من الناحية السياسية اما من

الناحية الاقتصادية فقد وجدت بأن تكدس الأموال في يد الدولة هو خطر وضرورة إقامة مشاريع خاصة، واوضحت الخلل والقصور في المشاريع الإنتاجية.

قائمة المصادر

الكتب العربية :

١- احمد بهاء الدين، فاروق ملكاً، مطابع روز اليوسف، بلا. س.

٢- احمد رجائي، ١٠٠٠ شخصية نسائية مصرية، ترجمة هديل شرف واخر، دار الجمهورية للصحافة، القاهرة ، ٢٠٠٠

٣- احمد زكريا الشلق، حزب الأحرار الدستورين (١٩٢٢- ١٩٥٢)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.

٤- أحمد عبد المعطي الحجازي ، رؤية حضارية طبقية لعروبة مصر (دراسة ووثائق) ، منشورات دار الاداب ، بيروت ، ١٩٧٩ .

٥- أحمد لطفي السيد ، صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية في مصر ، مصر ١٩٤٦ ، ص١٠

٦- حسين فوزي النجار ، لطفي السيد والشخصية المصرية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، د.ت .

٧- خير الدين الزركلي الاعلام، ج٦، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩.

٨- دائرة معارف الشعب، جامعة القاهرة، مصر، ١٩٨٧ ، بحث لخليل صابات، ج٤، ص ٦٦٢، الموسوعة العربية الموسعة، دار نهضة لبنان، بيروت.

٩- رشوان محمود جاب الله، علي ماهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧.

١٠- عبد الرحمن الرافعي، ثورة ١٩١٩ تاريخ مصر القومي من سنة (١٩١٤- ١٩٢١)، ج١، ط٢، مؤسسة دار الشعب، القاهرة ، ١٩٦٨

١١- عبد الرحمن رضوان، علي ماهر، مطبعة الأعتماد، القاهرة، د.ت.

١٢- عبد العزيز رفاعي، ثورة مصر سنة ١٩١٩، دار الكاتب العربي للنشر، القاهرة، د.ت

١٣- عبد العزيز سليمان نوار ، التاريخ المعاصر في اوروبا ، بيروت ، ١٩٧٣

١٤- عزة الابياري، المراءة المصرية، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، ١٩٨٥.

١٥- علي ابراهيم عبده، مصر وافريقيته في العصر الحديث، المكتبة التاريخية، دار القلم، القاهرة

١٦- فتح الله خضر طارق، دور الأحزاب السياسية في ظل النظام النيابي، القاهرة، د.ت.

١٧- قدري قلعجي، سعد زغلول، رائد الكفاح الوطني في الشرق العربي، دار العلم للملايين، ط٣، بيروت.

١٨- لطيفه محمد سالم، فاروق وسقوط الملكية في مصر(١٩٣٦- ١٩٥٢)، ط٢، مكتبه مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦.

١٩- محمد ابراهيم ابو سليم، الحركة الفكرية في المهدية، ط٣، ١٩٨٩.

٢٠- محمد ابو الاسعاد، نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية (١٨٨٦- ١٩٥١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤.

٢١- محمد انيس، دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩، مكتبة الانجلو- المصرية، القاهرة، د.ت،.

٢٢- محمود عباس أحمد عبد الرحمن ، تاريخ مصر الحديث والعاصر ، مكتبة بستان المعرفة ، القاهرة ، ٢٠١١ .

٢٣- منى ابو زيد، المرأة والعمل، دار الكتاب المصري واللبناني، القاهرة، ٢٠١١.

٢٤- نقولا يوسف، اعلام من الاسكندرية، القاهرة، منشأ المعارف، ١٩٦٩.

٢٥- الياس الايوبي، محمد علي سيرته واعماله واثاره، دار الهلال، مصر، ١٩٢٣.

الرسائل والاطاريح :

١- ساره صبار حراد عبود الحمزاوي، هدى شعراوي رائدة حركة التغيّر في واقع المرأة العربية ١٩٤٧- ١٩٧٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية.٢٠١٥

٢- ميسون فياض ذرب العبادي، علي ماهر ودوره في السياسة المصرية، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية (ابن الرشد)، جامعة بغداد، ٢٠٠٥.

الجرائد والمجلات :

١-عبد الرحمن الرافعي، الامراء القواد في الاسرة المحمدية العلوية، مجلة الهلال، المؤرخة ١/٢/ ١٩٣٨.

الموسوعات :

١- حسين سعيد ، الموسوعة الثقافية ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٢

٢- دائرة معارف الشعب ، جامعة القاهرة ، ج٤ ، د. ت.

٣- محمد انيس، موسوعة المراءة عبر العصور، وزارة الثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٤- محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار النهضة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٧.

الانترنت :

١-ويكيبديا، ملك حفني ناصف،wi;il, idia .or.

٢-/wikipedia.org/wiki

الهوامش:

(١) محمد ابو الاسعاد، نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية (١٨٨٦- ١٩٥١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٩.

(٢) الحركة المهدية أو الثورة المهدية، سميت بهذا الأسم نسبة الى قائدها (محمد احمد بن عبد الله) الملقب بالمهدي، ويرجع اعلان هذه الثورة ضد الادارات البريطانية – المصرية المشتركة الى جملة اسباب يأتي في مقدمتها ثقل كاهل الضرائب، ومنع تجارة الرقيق، فضلاً عن سوء الادارة المصرية. انضم الى المهدي العديد من السودانيين سموا بالأنصار، الذين واصلوا الجهاد ضد المحتل البريطاني من بعد وفاة المهدي عام ١٨٨٥، للمزيد ينظر: محمد ابراهيم ابو سليم، الحركة الفكرية في المهدية، ط٣، ١٩٨٩، ص٢٥.

(٣) محمد ابو الاسعاد، نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية (١٨٨٦- ١٩٥١)، ص٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠.

(٥) كان للبعثات التعليمية والاهتمام بالعلم والتعليم من قبل محمد علي باشا والخديوي اسماعيل اثر على حياة مصر بعد ذلك. للمزيد ينظر: الياس الايوبي، محمد علي سيرته واعماله واثاره، دار الهلال، مصر، ١٩٢٣، ص ٥٢؛ علي ابراهيم عبده، مصر وافريقيته في العصر الحديث، المكتبة التاريخية، القاهرة، دار القلم، ص ٣١- ٣٣.

(٦) محمد ابو الاسعاد، المصدر السابق، ص١٠.

(٧) عزة الابياري، المرأة المصرية، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، ١٩٨٥، ص ١٥٨؛ احمد رجائي، ١٠٠٠ شخصية نسائية مصرية، ترجمة هديل شرف واخر، دار الجمهورية للصحافة، القاهرة ، ٢٠٠٠، ص ١١٥، محمد انيس، موسوعة المرأة عبر العصور، وزارة الثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ٢٠١.

(٨) محمد ابو الاسعاد، المصدر نفسه ، ص ١٠.

(٩) عباس الأول: عباس بن احمد طوسون بن محمد علي باشا، ثالث ولاة مصر من اسرة محمد علي، ولد عام ١٨١٣ في مدينة جده، ونشأ في مصر وتولى الحكم بعد وفاة عمه ابراهيم باشا (١٨٤٨- ١٨٥٤)، وكان شديد الكره للأوروبيين حذراً من دسائسهم، ساعد العثمانيون بخمسة عشر الف مقاتل في حربهم مع الروس (حرب القرم) ١٨٥٣- ١٨٥٦. وفي ايامه انشئت المدرسة الحربية في مدينة العباسية بالقاهرة والاسكندرية، ومن اعماله شق الطريق بين القاهرة والسويس، ونفى = =السحرة والدجالين الى خارج مصر ويؤخذ عليه انه اغلق الكثير من المدارس والمصانع حتى عرضت السفن للبيع واستمر في هذه السياسة الى ان قتل في قصره في مدينة بناها من قبل مملوكين ارسلتهما عمته نازلي بنت محمد علي بسبب الخلاف بينه وبين الاسرة حول الميراث عام ١٨٥٤، للمزيد ينظر: خير الدين الزركلي الاعلام، ج٦، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٤٠- ١٤١، عبد الرحمن الرافعي، الامراء القواد في الاسرة المحمدية العلوية، مجلة الهلال، المؤرخة ١/٢/ ١٩٣٨، ص ٤١٥.

(١٠) محمود ابو الاسعاد، المصدر السابق، ص ١٠-١١.

(١١) المصدر نفسه، ص١١.

(١٢) محمد ابو الاسعاد، المصدر نفسه، ص ١١؛ نقولا يوسف، اعلام من الاسكندرية، القاهرة، منشأ المعارف، ١٩٦٩، ص ٢٦٢.

(١٣) الجامعة الأهلية المصرية: انشئت جامعة القاهرة عام ١٩٠٨ بأسم (الجامعة المصرية) من قبل افراد الشعب الذين تبرعوا لها بالمال. وإبتدأت بكلية الأداب التي استوفرت بعض العلماء الغربيين للتدريس

بها. وفي ١٩٢٥ ضمت الجامعة الأهلية الى الحكومية وادمجت فيها مدرستا الطب والحقوق. واسست كلية جديدة للعلوم. وفي ١٩٣٥ تم ادماج مدارس الهندسة والزراعة والتجارة العليا ثم الطب البيطري في الجامعة. وكان للجامعة مطبعة تطبع بحوث الاساتذة والمجلات العلمية للكليات. لها فروع بالخرطوم ضمت كلية الاداب واخرى للحقوق. للمزيد ينظر: دائرة معارف الشعب، جامعة القاهرة، مصر، ١٩٨٧ ، بحث لخليل صابات، ج٤، ص ٦٦٢؛ الموسوعة العربية الموسعة، دار نهضة لبنان، بيروت، ص٦٠٥– ٦٠٦.

(١٤) ملك حفنى ناصف ولدت في ٢٥ كانون الاول ١٨٨٦، في القاهرة وهي اديبة مصرية وداعية للأصلاح الأجتماعي وانصاف تحرير المرأة المصرية في اوائل القرن العشرين. عرفت بثقافتها الواسعة كتاباتها في العديد من الدوريات والمطبوعات وكانت تجيد اللغات الأنكليزية والفرنسية وشيئاً من اللغات الأخرى. بدآت تعليمها في المدارس الأجنبية ثم التحقت بالمدرسة السنية، حيث حصلت منها على الشهادة الأبتدائية سنة ١٩٠٠، تواصلت بالنجاح وعملت بالتدريس حتى زواجها.توفيت في ١٧ تشرين الاول ١٩١٨ في مصر. ينظر : ويكيبديا، ملك حفني ناصف، ص١.

(١٥) لبيبة هاشم: صحفية واديبة لبنانية وهي اول من طالب بأنشاء جمعية نسائية. ذهبت لمصر واصدرت في القاهرة مجلة فتاة الشرق منذ عام ١٩٠٦ وحتى عام ١٩٣٩. القت محاضرات بالقسم النسائي بالجامعة الأهلية عام ١٩١١ وحتى عام ١٩١٢. سافرت الى البرازيل عام ١٩٣٩ وتوفيت في عام ١٩٤٧. لها العديد من المؤلفات مثل حسنات الحب ١٨٩٨، قلب الرجل، القاهرة ١٩٠٤، ورواية شيرين وغيرها. للمزيد ينظر: حسين سعيد، الموسوعة الثقافية، مؤسسة فراعين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٨٤٤.

(١٦) اصبحت نبوية مديرة هذه المدرسة في منطقة الفيوم، وقد بذلت جهوداً كبيرة منها من اجل تعليم الفتيات، وطبقت اسلوب اخلاقي شديد ومنضبط من اجل تربية الطالبات، حتى تعكس صورة حسنة عن المدرسة والتعليم وتكون طالباتها قدوة للأسرة وتشجيعهم على ارسال بناتهم للتعليم دون ان يترددوا. للمزيد ينظر: منى ابو زيد، المرأة والعمل، دار الكتاب المصري واللبناني، القاهرة، ٢٠١١.

(١٧) محمد ابو الاسعاد، المصدر السابق، ص ١٢.

(١٨) المصدر نفسه ، ص ١٢.

(١٩) احمد لطفي السيد: (١٥ تشرين الثاني ١٨٧٢– ٥ اذار ١٩٦٣) ولد في محافظة الدقهلية ، مفكر وفيلسوف ومناضل ضد الاستعمار ورائد من رواد حركة النهضة والتنوير في مصر ، تأثر بافكار محمد عبده ، وعمل وزيراً للمعارف ثم الخارجية ونائب رئيس الوزراء في وزارة أسماعيل صدقي ، كما عمل رئيساً لدار الكتب ومدير للجامعة المصرية ، له عدة مؤلفات . ينظر :أحمد لطفي السيد ، صفحات

مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية في مصر ، مصر ١٩٤٦ ، ص١٠ ؛حسين فوزي النجار ، لطفي السيد والشخصية المصرية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، د.ت ، ص٢٠. الانترنت ، ويكبيديا ، أحمد لطفي السيد ،ص١ wikipedia-org,p1

(٢٠) محمد ابو الاسعاد، المصدر السابق، ص ١٣.

(٢١) الخديوي عباس حلمي الثاني: خديوي مصر بين عامي (١٨٩٢– ١٩١٤)، وهو الابن الأكبر للخديوي توفيق. حاول عبثاً ان يقاوم السيطرة البريطانية على مصر. سلب البريطانيون = =معظم سلطاتهِ انتهزوا فرصة وجودهِ في اسطنبول وخلعوه في كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٤. بعد أن فرضوا حمايتهم على مصر. قضى عباس الجانب الأكبر من عمرهِ بالمنفى في سويسرا التي مات فيها سنة ١٩٤٤. ينظر: الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١١٧٥– ١١٧٦.

(٢٢) محمد ابو الأسعاد، المصدر السابق، ص ٣٩.

(٢٣) السلطان حسين كامل : ولد حسين كامل في ٢١ تشرين الثاني ١٨٥٣ ،. تولى حسين كامل مقاليد الحكم كونه أكبر مستحقي العرش من أسرة محمد على.. وفى نفس اليوم تم إعلان الحماية البريطانية على مصر ومنح حاكمها الجديد لقب "سلطان" ليكافئ لقب السلطان العثماني منهيا سلطة الدولة العثمانية على مصر.. تعرض السلطان حسين كامل أثناء فترة حكمة لمحاولتي إغتيال نجا منهما في كل من القاهرة والإسكندرية.. واستمر في الحكم حتى توفى في ٩ أكتوبر ١٩١٧ ودفن بمسجد الرفاعي بالقاهرة بجوار قبر أبيه .ينظر :

https://ar.wikipedia.org/wiki/

(٢٤) محمد ابو الأسعاد، المصدر السابق، ص ٣٩.

(٢٥) محمد ابو الأسعاد، المصدر السابق، ص ١٣– ١٤؛ نقولا يوسف، اعلام من الأسكندرية، ص٢٦٢.

(٢٦) الحرب العالمية الأولى : (١٩١٤–١٩١٨) نشبت هذه الحرب من أجل تحقيق الغايات والمصالح ، اشتركت فيها دول أوروبية بارزة ، كانت الحرب البلقانية (١٩١٢–١٩١٣) وتسويتها احد الاسباب فاعلاً في اشعال الحرب العالمية الاولى ، للمزيد ينظر : عبد العزيز سليمان نوار ، التاريخ المعاصر في اوروبا ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص٤٣٥ ؛ محمود عباس أحمد عبد الرحمن ، تاريخ مصر الحديث والعاصر ، مكتبة بستان المعرفة ، القاهرة ، ٢٠١١ ، ص١٨٩–٢٠٠.

(٢٧) ثورة ١٩١٩: قادها سعد زغلول، حدثت نتيجة تذمر الشعب المصري من النفوذ البريطاني وتغلغله في شؤون الدولة وفرض الحماية واعلان الأحكام العرفية. بدأت الثورة يوم ٩ مارس (آذار) ١٩١٩، واستمرت حتى عام ١٩٢٢، وبدأت نتائجها تتبلور عام ١٩٢٣، بأعلان الدستور وتشكيل البرلمان. للتفصيل. ينظر: عبد العزيز رفاعي، ثورة مصر سنة ١٩١٩، دار الكاتب العربي للنشر، القاهرة،

د.ت؛ عبد الرحمن الرافعي، ثورة ١٩١٩ تاريخ مصر القومي من سنة (١٩١٤– ١٩٢١)، ج١، ط٢، مؤسسة دار الشعب، القاهرة ، ١٩٦٨، محمد انيس، دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩، مكتبة الانجلو–المصرية، القاهرة، د.ت، ص ٢٠.

([٢٨]) سعد زغلول : سياسي مصري ورجل دولة ولد ١٨٦٠، حصل على الليسانس في الحقوق وعمل في جريدة (الوقائع المصرية) عمل في وزارة الداخلية شغل منصب وزير المعارف سنة ١٩٠٦ و العدلية ١٩١١، شكل حزب الوفد سنة ١٩١٨، ونفي الى مالطا وادى ذلك الى تفجير ثورة ١٩١٩. ثم نفي الى مسيثيل في سنة ١٩١٢. وعاد الى مصر في سنة ١٩٢٣. فاز بالأنتخابات ١٩٢٤ فألف وزارته الوحيدة. استقال في لغاية السنة المذكورة، ليكتفي بمنصب رئيس مجلس النواب حتى وفاته في آب (أغسطس) ١٩٢٧. ينظر: الموسوعة العربية المسيره، ص٩٨١؛ قدري قلعجي، سعد زغلول، رائد الكفاح الوطني في الشرق العربي، دار العلم للملايين، ص ٩٨١، ط٣، بيروت، ص ٥.

([٢٩]) محمد ابو الأسعاد، المصدر السابق، ص ١٤–١٥؛ نقولا يوسف، المصدر السابق، ص٢٦٢.

([٣٠]) محمد ابو الاسعاد، المصدر السابق، ص ١٥؛ نقولا يوسف، المصدر السابق، ص ٢٦٢.

([٣١]) هدى شعراوي: هدى محمد سلطان، ولدت في المينا بمصر عام ١٨٧٩، والدها محمد سلطان باشا رئيس اول مجلس نيابي في مصر ووالدتها تركية، تعلمت العربية والتركية والفرنسية، تزوجت = =علي الشعراوي الذي اخذت منه اللقب، اسست جمعية لرعاية الأطفال عام ١٩٠٧، قادت اول مظاهرة نسائية اثناء ثورة ١٩١٩، وفي عام ١٩٢٣ كونت الأتحاد النسائي، ادت دوراً في محاولة النهضة النسائية من خلال المشاركة في المؤتمرات العلمية، طالبت بتعلم المرأة، توفيت عام ١٩٤٧. للتفصيل ينظر: ساره صبار حماد عبود الحمزاوي، هدى شعراوي رائدة حركة التغيّر في واقع المرأة العربية ١٩٤٧– ١٩٧٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية، ص ٢٠١٥، ص١٥.

([٣٢]) علي ماهر (١٨٨٢– ١٩٦١) قانوني سياسي مصري بدأ حياته بالمحاماة عين قاضياً لمحكمة مصر، وعند قيام ثورة ١٩١٩ انظم اليها. عين ناظراً لمدرسة الحقوق عام ١٩٣٣، فوكيلاً لوزارة المعارف، واصبح في عام ١٩٢٩ وزيراً للمالية، وعين وزيراً للري عام ١٩٣٠، وعين ايضاً رئيساً للديوان الملكي في العام نفسه، وفي عام ١٩٣٦ تولى رئاسة الوزراء فكونت في عهدهِ الجبهة الوطنية، وعين عضواً في مجلس الشيوخ فرئيساً للديوان الملكي ثانياً في عام ١٩٣٦، شكل الوزارة في عام ١٩٣٩، اعتقل في عام ١٩٤٢ ثم افرج عنه، شكل الوزارة في ٢٦ كانون الثاني عام ١٩٥٢ اعقب حوادث حريق القاهرة، والف وزارته الرابعة في ٢٣، تموز ١٩٥٢ واستقال في ٧ ايلول ١٩٥٢

وانتخب عضواً في لجنة مشروع الدستور ثم رئيساً لها. للمزيد من التفاصيل ينظر: ميسون فياض ذرب العبادي، علي ماهر ودوره في السياسة المصرية، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، ٢٠٠٥؛ رشوان محمود جاب الله، علي ماهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٩- ١٢٣، عبد الرحمن رضوان، علي ماهر، مطبعة الأعتماد، القاهرة، د.ت، ص ٣٦.

(٣٣) للأطلاع على نص الأنذار والرد عليه من قبل نبوية. ينظر: محمد ابو الأسعاد، المصدر السابق، ص ١٩-٢٠، نقولا يوسف، المصدر السابق، ص ٢٦٢.

(٣٤) كان هناك تهمةُ أخرى قد نُسبت الى نبوية لفقها لها رجال المعارف بعدما ادركوا بأن مصالحهم سوف تتضرر، لذا فقد حركوا رجال السياسة ضدها وعدوها المحرض الأساسي لحركة المدرسات المصريات وخلاصتها بأن قامت حركة شبه جماعية بين المدرسات المصريات تطالب بأستبدال ناظرات المدارس الأجنبيات بناظرات مصريات بعد ان اثبتن كفاءتهن في العمل حتى يكون للأستقلال الذي حصلت عليه البلاد. للمزيد ينظر. محمد ابو الاسعاد، المصدر السابق، ص ٢٠-٢٢.

(٣٥) محمد محمود (١٨٧٧- ١٩٤١): سياسي مصري ورئيس حزب الأحرار الدستورين. اكمل دراسته في جامعة اكسفورد. عين مُفتشاً للمالية، اشترك في تأليف حزب الوفد المصري عام ١٩١٨، نفي الى مالطة عام ١٩١٩، سافر موفداً من حزب الوفد المصري الى الولايات المتحدة الأمريكية لكسب التأييد للقضية المصرية. اسس حزب الأحرار الدستورين في عام ١٩٢٢ بعد استقالتهِ من حزب الوفد. الف وزارته الأولى عام ١٩٢٨، اختير عضواً في الجبهة الوطنية عام ١٩٣٥ والف وزارته الثانية في عام ١٩٣٧. ينظر: محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، ص ١٦٦٢؛ احمد زكريا، حزب الأحرار الدستورين، القاهرة، ١٩٨٢، د.ت، ص٦٥. للمزيد ينظر: احمد زكريا الشلق، حزب الأحرار الدستورين (١٩٢٢- ١٩٥٢)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٣١٩.

(٣٦) حزب الوفد: اسسهُ سعد زغلول في سنة ١٩١٨، فاز فوزاً كبيراً في انتخابات عام ١٩٢٣ فشكل رئيسهُ سعد زغلول اول وزارة سنة ١٩٢٤، وبعد وفاة سعد زغلول سنة ١٩٢٧ اصبح مصطفى النحاس رئيسهُ حتى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وظل الوفد خصماً عنيداً للقصر حتى بداية الخمسينات حُل حزب الوفد بعد ثورة ١٩٥٢. ينظر: الموسوعة العربية المسيرة ، المصدر السابق ، ص ١٩٥٤، فتح الله خضر طارق، دور الأحزاب السياسية في ظل النظام النيابي، القاهرة، د.ت، ص١٢٤.

(٣٧) محمد ابو الاسعاد، المصدر السابق، ص ٢٢.

(٣٨) فؤاد الأول (١٨٦٨- ١٩٣٦) ابن الخديوي اسماعيل، درس في ايطاليا وتخرج من كليتها الحربية، عين بعد تخرجه ياوراً للسلطان عبد الحميد الثاني وعاد الى مصر في عام ١٨٩٠، كان مهتماً

بالشؤون الثقافية، فترأس اللجنة التي قامت بتأسيس وتنظيم الجامعة المصرية عام ١٩٠٦، وعند وفاة أخيه السلطان حسين عام ١٩١٧ اعتلى فؤاد العرش في تشرين الأول عام ١٩١٧، وفي عهدهِ قامت ثورة ١٩١٩ فأضطرت بريطانيا الى رفع الحماية عن مصر، ووضع دستور دائم عام ١٩٢٣، وبدآت في عهده الحياة النيابية في مصر عام ١٩٢٤، وخلال مدة حكمه دخلت مصر سلسلة من المفاوضات مع بريطانيا من اجل عقد معاهدة تحالف بينهما ابتدأ من مفاوضات سعد ملنر ١٩٢٤، وعدلي كرزن ١٩٢١، وسعد ماكدونالد عام ١٩٢٤، وثروت تشميرلت ١٩٢٧، والنحاس هندرسن ١٩٣٠، الى ان تم عقد المعاهدة في عام ١٩٣٦، توفي في نيسان عام ١٩٣٦. ينظر: محمد شفيق غربال، المصدر السابق، ج٢، ص ١٨٩٣.

([٣٩]) محمد ابو الأسعاد، المصدر السابق، ص ٢٢.

([٤٠]) الملك فاروق (١٩٢٠– ١٩٦٥) ابن الملك فؤاد، اصبح ملكاً على مصر عام ١٩٣٧، تلقى تعلمه على ايدي اساتذة مصريين حتى بلغ الخامسة عشر، ارسله والده الى بريطانيا ولكنه عاد عند وفاته عام ١٩٣٦، فعين ابن عمه الأمير محمد علي وصياً على العرش حتى بلغ سن الرشد في ٢٩ تموز عام ١٩٣٧، تزوج فاروق مرتين، في عام ١٩٥٢ قام الجيش المصري بثورة اطاحت بحكم فاروق، مات فجأة في باريس عام ١٩٦٥. ينظر محمد شفيق غربال، المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٦٤، للمزيد ينظر: لطيفه محمد سالم، فاروق وسقوط الملكية في مصر(١٩٣٦– ١٩٥٢)، ط٢، مكتبه مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦، ص١١؛ احمد بهاء الدين، فاروق ملكاً، مطابع روز اليوسف، بلا. س، ص١٢.

([٤١]) نقولا يوسف، المصدر السابق، ص ٢٦٣.

([٤٢]) مكرم عبيد: ولد عام ١٨٨٩ في مدينة قنا وهو ينتمي الى عائلة قبطية ، درس القانون في جامعة اكسفورد في عام ١٩٠٥ وتخرج منها في عام ١٩٠٨ ، ثم التحق بجامعة ليون في فرنسا لاكمال الدراسات العليا في القانون ، عين بعد عودته سكرتيراً للجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) ، عين سكرتيراً لهيئة المستشارين القانونيين البريطانيين في وزارة العدل وحتى استقالته في عام ١٩١٩ ، نفته السلطات البريطانية الى جزيرة سيشل عام ١٩٢٢ لمساهمته في الحركة الوطنية ، اصبح اميناً عاماً لحزب الوفد في عام ١٩٢٧ ، تولى منصب وزير المالية في وزارة مصطفى النحاس التي شكلها في عام ١٩٣٠ ، وتولى المنصب نفسه ايضاً عام ١٩٣٦–١٩٣٧ ، شغل منصب = = وزير المالية ووزير التموين في وزارة مصطفى النحاس الخامسة في عام ١٩٤٢ ، إلا أنه ابعد عن منصبه واعفى من مهام الامانة العامة لحزب الوفد ، ثم طرد منه في العام نفسه ، شغل منصب وزير المالية في وزارة أحمد ماهر عام ١٩٤٤ ، ثم في وزارة محمود فهمي النقراشي الاولى عام (١٩٤٥–

١٩٤٦) ، اختير عضواً في لجنة أعادة مشروع الدستور عام ١٩٥٣ ، توفي عام ١٩٦١. ينظر : أحمد عبد المعطي الحجازي ، رؤية حضارية طبقية لعروبة مصر (دراسة ووثائق) ، منشورات دار الاداب ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص١٨٣-١٨٤.

([٤٣]) محمد ابو الأسعاد، المصدر السابق، ص ٣٧- ٣٨.

([٤٤]) محمد ابو الاسعاد، المصدر السابق، ص ٢٥.

([٤٥]) محمد ابو الاسعاد، المصدر نفسه ، ص ٢٥؛ نقولا يوسف، المصدر السابق، ص ٢٦١.

([٤٦]) محمد ابو الاسعاد، المصدر نفسه، ص ٢٤؛ نقولا يوسف، المصدر السابق، ص ٢٦٣.

([٤٧]) انيس منصور، موسوعة المرأة عبر العصور، القاهرة، ص٢٠٢؛ محمد ابو الاسعاد، المصدر السابق، ص ٢٤-٢٥.

الصحابي عباد بن بشر
الأنصاري ﷺ سيرته وأثره في الإسلام

Al-Sahabi Aabad bin Bishir Al-Ansari his life and effect in Islam

م.سماح نوري فاضل

Inst. Samah Nouri Fadhel

جامعة ديالى

كلية التربية الأساسية

University of Diyala
College of Basic Education
samahsamahmmm@gmail.com

الصحابي عباد بن بشر الأنصاري ﷺ سيرته وأثره في الإسلام

م. سماح نوري فاضل

المفتاح : عباد ، بشر ، سيرته Key : Aabad , Bishir , life

ملخص البحث

الصحابي عباد بن بشر الأنصاري الذي اسلم قبل هجرة المصطفى ﷺ على يد مصعب بن عمير ﷺ شهد مع النبي ﷺ الغزوات جميعها فضلا عن مشاركته في قتل اليهودي كعب بن الاشرف الذي كان يؤذي النبي ﷺ دعا له الرسول ﷺ قائلاً : اللهم اغفر له . وفي رواية أخرى : اللهم اغفر لعباد .

اشتهر بصاحب العصا المضيئة اذ أكرمه الله بهذه الكرامة فقد ثبت في الأثر ان عصا كان يحملها أضاءت له ليلا وهو متجهٌ الى منزله .

قالت عنه السيدة عائشة (رضي الله عنها) ثلاثة من الأنصار لم يكن لأحد يعتد عليهم فضلاً كلهم من بني عبد الاشهل (سعد بن معاذ , اسيد بن خضير , وعباد بن بشر) ، استشهد ﷺ يوم اليمامة في عهد الصديق بعد أن أبلى بلاء حسنا سنة (١١هـ) .

Al-Sahabi Aabad bin Bishir Al-Ansari his life and effect in Islam

Abstract

The companion Abad bin Bishir Al-Ansari that he was entered Islam before immigration of Al-Mustafa by Musaab bin Omair Abad had been attend with the prophet all of infestations as well as his participation in the killing of the jew that he was hurm the prophet . The prophet had been pleaded to him saying , in another narration .

He had become by his luminous stick , as God respeded him by this dignity his stick his light up at night when he heading to his house .

The lady Aaiasha three from the Ansar no bady could be better than them all of them form bani Snhail (Saad bin Maath , Aseed bin khudhiar and Abad bin Bishir) he had martyred on the in the period of Al-Sidiq after his fishting in the (11AH) .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين خالق السموات والارضين جاعل الظلمات والنور وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين بشر وانذر ووعد وواعد أنقذ الله به البشر من الضلالة وهدى الناس الى صراط مستقيم وبعد :

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[1] .

هم الصحابة الكرام الذين حفظوا السنة المطهرة عن نبيهم ﷺ بعد ان وعوها وأدوها ونقلوها للناس أجمعين حتى كمل بما نقلوا الدين ثبتت بهم حجة الله على الناس فهم خير القرون وخير امة أخرجت للناس .

يعد عباد بن بشر واحداً من الصحابة الذين سطرت لهم كتب السير والتراجم اروع المواقف والمناقب وقد أثنى عليه النبي ﷺ ودعائه له وذلك بقوله ﷺ : اللهم ارحم عباداً ..

فهو الذي أضاءت له عصاته ليلاً بعد رجوعه من عند رسول الله ﷺ ، واستعمله النبي عليه الصلاة والسلام على صدقات مزينة وبني سليم وجعله على حرسه في تبوك وشهد المشاهد كلها ليسقط شهيدا في اليمامة بعد ما سجل التاريخ له من المواقف والمناقب ليكون من أعلام المسلمين البارزين .

واستناداً الى ذلك اقتضت طبيعة البحث تقسيمه الى عناوين لنفصل في سيرته ومواقفه ومناقبه متبعين التسلسل الزمني في سير الاحداث إلا في بعض المواقف التي جهلنا تاريخ وقوعها.

سائلين الله عز وجل أن نكون قد وفقنا بما استطعنا أن نقدمه في هذا البحث وان ينفعنا الله ببركة سيدنا محمد وال بيته الأطهار وصحبة الأخيار والحمد لله رب العالمين.

اسمه وكنيته ونسبه :

هو عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زاعوراء بن عبد الاشهل الأنصاري بن جثم بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الاشهلي[2] .

أما كنيته فقد ذكرت بعض المصادر بأن عباد بن بشر يكنى بأبي بشر[3] ، في حين ذكرت مصادر أخرى انه يكنى أبا الربيع[4] ، في الوقت ذاته نجد عدداً من كتب السير والتراجم قد جمعت بين الكنيتين أبا بشر وأبا الربيع[5] .

ويبدوا ان كنيته بالبشر نسبة الى والده (بشر) حباً ووفاءً ،اما الربيع فقد يكون تيمناً بالربيع فان العرب غالباً يتكنون به دلالة على التفائل بالخصب والخير , فضلا عن ذلك (فالربيع والبشر) دالة على خيرية هذا الصحابي الجليل .

أما أمه فهي فاطمة بنت بشر بن عدي بن أُبي بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حلفاء بني عبد الاشهل[٦] ، ولعباد أخت هي إمامة بنت بشر أسلمت وبايعت النبي ﷺ وقد تزوجها محمود بن مسلمة وهي أم علي بن اسيد بن عبيد الهذلي[٧] ، وأيضا له من أمه أخ وهو أسيد بن ظهير بن رافع بن عدي بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث[٨] ، أما أبناء العم فمنهم سلمة بن سلامة بن وقش[٩] وعمرو بن ثابت بن وقش وسلمة بن ثابت بن وقش[١٠] .

ولادته :

لم نجد في المصادر ولاسيما كتب التراجم ما يشير الى ولادته أو التعرض لسيرة حياته الأولى التي سبقت اعتناقه للإسلام ، وعلى أية حال فإن مسألة ذكر النشأة الأولى لأغلب عظماء الإسلام لم تكن معروفة وذلك لأن الناس حين يولدون كعامة الناس لا شأن لهم إلا بعد ظهور آثارهم وأفعالهم حينها يبدأ الاهتمام بهم وبأخبارهم .

ولكن يمكن الاستدلال على تاريخ ولادته بشكل تقريبي من خلال الآتي : انه ﷺ استشهد في موقعة اليمامة سنة (١١هـ) وله من العمر خمسة وأربعون سنة[١١] ، والمعروف أن النبوة كانت ثلاثة عشر سنة قبل الهجرة وهذه السنين إذ ما أضفنا إليها الـ(١١) سنة بعد الهجرة يكون عمر عباد منذ ظهور النبوة الى استشهاده أربع وعشرون سنة وذكرنا آنفاً انه استشهد وعمره خمس وأربعون سنة ، نصل من خلال الأرقام بعد طرح الأربع وعشرون سنة من عمره الكلي يكون قد ولد قبل البعثة بإحدى وعشرين عاماً والله أعلم . ولم يكن لعباد بن بشر ﷺ غير بنت واحدة ولم يكن له عقب غيرها[١٢] .

إسلامه :

اسلم عباد بن بشر ﷺ بالمدينة المنورة قبل الهجرة النبوية[١٣] الى المدينة المنورة على يد مصعب بن عمير (ت٣هـ) وذلك قبل إسلام سعد بن معاذ (٥هـ)[١٤] واسيد بن حضير (٢١هـ)[١٥] ﷺ[١٦] ، ويمكن القول إن مسألة إسلام عباد بن بشر بهذه السرعة (أي قبل الهجرة النبوية) أنه كان يتطلع الى الديانة التوحيدية هذا إذا لم يكن موحداً ، فيبدو أنه لم يكن مقتنعاً بعبادة الأوثان ، لذلك تراه من أوئل من استجاب لدعوة مصعب بن عمير هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يبدو أن وجود اليهود بالمدينة وهم أصحاب ديانة سماوية قد أثرت في مسألة توجيه عباد بن بشر الى الديانة التوحيدية وهو الإسلام ، ولاسيما أن اليهود بالمدينة كانوا يتوعدون العرب فيها بظهور نبي وأنهم سيقتلونهم قتل عادٍ وإرم[١٧] ، فإن العديد من أهل المدينة كانوا ينتظرون مبعث النبي ﷺ وأن يكونوا سباقين إليه ولدعوته .

مؤاخاته :

آخى رسول الله ﷺ بين عباد بن بشر وبين أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة[١٨]ﷺ [١٩] ونزل أبي حذيفة ومولاه سالم في دار عبد الاشهل[٢٠] .

مناقبه وما أثر عنه :

ما جاء في دعاء النبي الكريم ﷺ لعباد :

عن جابر بن عبد الله ، عن أم المؤمنين عائشة **(رضي الله عنها)** قالت : تهجد رسول الله ﷺ ليلته في بيتي فسمع صوت عباد بن بشر ، فقال : يا عائشة صوت عباد بن بشر هذا؟ ، قلت : نعم ، قال : اللهم اغفر له[٢١] ، وفي رواية أخرى قال : " اللهم ارحم عباداً "[٢٢] ، وقالت السيدة عائشة **(رضي الله عنها)** : ثلاثة من الأنصار لم يكن احد يعتد عليهم وهم من بني عبد الاشهل : سعد بن معاذ ، واسيد بن حضير , وعباد بن بشر[٢٣] .

كراماته (أضاءت العصا) :

ما رواه البخاري في صحيحه قال : حدثنا محمد بن المثنى قال :حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني انس : أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عنده في ليلة مظلمة ومعهما عصا تضيء بين أيديهما فلما افترقا صار مع كل واحد ضوء حتى أتى أهله[٢٤] ، وقد أشارت العديد من المصادر الى أن الرجلين هما اسيد بن حضير وعباد بن بشر ، وتضيف المصادر ذاتها أنهما كانا يمشيان بضوء واحد ولما افترقا أضاءت عصا هذا وعصا هذا[٢٥] .

إبلاغه المسلمين نبأ تحول القبلة :

كانت القبلة قبل مبعث النبي ﷺ الى بيت المقدس وكذلك بعد مبعثه حتى نزل الأمر بتحويل القبلة نحو الكعبة في قوله سبحانه وتعالى : **(قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ)**[٢٦] ، وقام عباد بن بشر بإخبار بني حارث بتحول القبلة الى بيت الله الحرام بدلاً من بيت المقدس ، اذ روت تويلة بنت اسلم[٢٧] بقولها : " صلينا في بني حارثة فصلينا سجدتين الى بيت المقدس فجاء رجل فاخبرهم أن القبلة قد حولت[٢٨] الى المسجد الحرام ، قالت فتحولنا فتحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال ، وقالت : إن الرجل الذي اخبرهم ان القبلة قد حرفت هو عباد بن بشر "[٢٩] .

جهاده وذوده عن الإسلام :

أجمعت المصادر التاريخية التي المتوفرة بين أيدينا إن الصحابي الجليل عباد بن بشر ﷺ أشترك في بدر وأحد وشهد جميع الغزوات مع النبي ﷺ ، ولكن المصادر ذاتها جاءت في سرد تفاصيل دقيقة لدوره

في بعض المشاهد وهو ما سيرد ذكره ، في حين لم نجد في المصادر ذاتها تفاصيل لغزوات ومواقف أخرى قد شهدها مكتفية تلك المصادر بالإشارة فقط إلى اشتراكه فيها .

اشتراكه في قتل كعب بن الاشرف اليهودي :

كان كعب بن الاشرف الطائي من بني نبهان ومن الشعراء الجاهليين ، وأمه من يهود بني النضير وكان لها الاثر في اعتناق كعب للديانة اليهودية ، وقد أدرك الاسلام ولكنه ناصب المسلمين العداء وقام بتحريض قريش على الانتقام من المسلمين بعد هزيمتهم في معركة بدر ، وهجا رسول الله ﷺ وآذى المسلمين والمسلمات ، فأنتدب له خمسة من الأنصار بأمر النبي ﷺ فكان ممن اشترك في قتل كعب بن الاشرف اليهودي عباد بن بشر ومحمد بن سلمة وأبا عبس بن جبير وابا نائلة وآخرين[٣٠] ، وانشد عباد بن بشر في ذلك شعراً :

صرخت له فلم يعرض لصوتي ... اوفى طالعا من فوق خدر

فعدت له فقال من المنادي ... فقلت اخوك عباد بن بشر

وهذي در عنا رهنا فخذها .... لشهر ان وفت او نصف شهر

وجاء برأسه نفر كرام[٣١] .

غزوة ذات الرقاع (٤هـ)[٣٢] وحاله مع القرآن :

أقام الرسول ﷺ بالمدينة بعد بني النضير ، ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان ، فنزل الموضع المعروف بذات الرقاع ، فلقي المشركين ولم يكن قتالاً بين الطرفين وخاف الناس بعضهم بعضا ، فنزلت صلاة الخوف ، وأصاب المسلمون امرأة منهم وكان زوجها غائباً ، فلما أتى أهله أُخبر الخبر فحلف أن لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب النبي ﷺ دماً وخرج يتبع أثر المسلمين[٣٣].

فنزل النبي ﷺ منزلاً فقال الرسول ﷺ : من رجل يكلؤنا ليلتنا ؟ ، فأنتدب رجلاً من المهاجرين ورجلاً من الأنصار فقالا : نحن يا رسول الله قال : فكونا بفم الشُعب من الوادي ، وكان الرجلان عمار بن ياسر وعباد بن بشر[٣٤] ، فلما خرجا الى فم الشُعب قال عمار لعباد : أي الليل تحب أن اكفيكه أوله أم أخره ؟ ، قال : بل اكفيني أوله فاضطجع عمار فنام ، وقام عباد يصلي ، قال واتى الرجل ، فلما رآه شخصه عرف انه ربيئة القوم فرمى بسهمٍ فوضعه فيه فانتزعه ووضعه وثبت قائما قال : ثم رمى بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه فوضعه وثبت قائما قال : ثم عاد له بالثالث فوضعه فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ثم أهب صاحبه فقال اجلس فقد اثبت قال : فوثب الرجل فلما رآهما انه قد نذر به فهرب ، ولما رأى عمار ما بعباد من الدماء قال : سبحان الله أفلا أهبتني أول ما رماك قال : كنت في سورة اقرأها فلم أحب ان اقطعها حتى أنفذها فلما تابع عليَّ الرومي ركعت فاذنتك وايم الله لو ان اضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل ان اقطعها وأنفذها[٣٥] .

وهذا يدل دلالة واضحة على عمق الإيمان الذي كان يتحلى به عباد بن بشر ، فضلاً على مدى طاعته لأمر رسول الله ﷺ ، كيف لا وهو تربى تربية دينية على يدي أعظم من أدبه ربه فأحسن تأديبه النبي الأكرم ﷺ .

معركة الخندق (٥هـ)وحراسته لقبة النبي ﷺ :

تعد غزوة الأحزاب (الخندق) والتي وقعت في السنة الخامسة للهجرة[٣٦] معركة فاصلة إذ هي كغزوة بدر من حيث محاولة استئصال المسلمين وإنهاء وجودهم من الوجود لكي تبقى الوثنية واليهودية سائدة في جزيرة العرب ، فمن حيث المبدأ لا خلاف بين الغزوتين ، ففي غزوة الأحزاب اجتمعت اليهود والوثنية حتى أصبحت يداً واحدة في غزو الرسول ﷺ ، إذ أرادوا بجمعهم هذا القضاء على الإسلام والمسلمين ، فعن أم سلمة **(رضي الله عنها)** زوج النبي ﷺ قالت : والله إني لفي جوف الليل في قبة النبي ﷺ وهو نائم فسمعت الهيعة[٣٧] وقال يقول يا خيل الله وكان النبي ﷺ جعل شعار المهاجرين (يا خيل الله) ، ففزع رسول الله ﷺ بصوته فخرج من القبة فإذا نفر من الصحابة عند قبته يحرسونها ومنهم عباد بن بشر ، فقال : ما بال الناس؟ فقال عباد : يا رسول الله هذا صوت عمر بن الخطاب الليلة نوبته ينادي يا خيل الله والناس يثبون إليه وهو من ناحية حسيكة ما بين ذباب ومسجد الفتح ، فقال رسول الله ﷺ لعباد بن بشر : اذهب فأنظر ثم ارجع الي أن شاء الله فأخبرني قالت أم سلمة **(رضي الله عنها)** : فقمت على باب القبة اسمع كل ما يتكلمان به ، قالت : فلم يزل رسول الله قائماً حتى جاءه عباد ، فقال : يا رسول الله هذا عمرو بن عبد ود في خيل المشركين معه مسعود بن رخيه بن نويرة في خيل غطفان والمسلمون يرامونهم بالنبل والحجارة , قالت : فدخل رسول الله ﷺ فلبس درعه ومعفرة وركب فرسه وخرج معه أصحابه حتى أتى تلك الثغرة فلم يلبث أن رجع مسرورا ، فقال : صرفهم الله وقد كثرت فيهم الجراحة[٣٨] ، وتذكر بعض المصادر التاريخية إن عباد بن بشر وغيره من الأنصار كانوا يحرسون قبته ﷺ كل ليلة من أيام معركة الخندق[٣٩] ، وفي ذلك تذكر أم سلمة **(رضي الله عنها)** قائلة : يرحم الله عباد بن بشر فانه كان ألزم أصحاب رسول الله لقبته يحرسها أبداً[٤٠] .

غزوة بني المصطلق (المريسيع) (٥هـ) :

حدثت هذه الغزوة في شعبان سنة خمس للهجرة[٤١] ، وسببها أنه بلغ الرسول ﷺ إن رئيس بني المصطلق الحارث بن ضرار[٤٢] سار بقومه يريد حرب الرسول ﷺ ، فخرج الرسول ﷺ مع أصحابه لملاقاته ، فسار معه جماعة من المنافقين في هذه الغزوة وانتهى رسول الله ﷺ الى المريسيع[٤٣] ، وتهيأ الفريقان للقتال فكانت راية المهاجرين مع أبي بكر ﷺ وراية الأنصار مع سعد بن عبادة ﷺ فكان النصر حليف المسلمين وقتل ممن قتل ونفل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم[٤٤] .

وبعد أن فرغ المسلمون من الغزوة أقاموا على المريسيع ووردت واردة الناس فكان مع عمر بن الخطاب ﷺ أجيرٌ يقال له جهجاه من بني غفار يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان الجهني حليف بني عوف بن الخزرج فاقتتلا فصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين وصرخ سنان يا معشر الأنصار ، فسمع عبد الله بن أبي سلول بذلك فغضب وقال : قد فعلوها فنافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما نحن وهم إلا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، ثم أقبل على من حضره من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير بلادكم[٤٥] .

وهنا جاء دور عباد بن بشر ﷺ عندما سمع النبي ﷺ بقول عبد الله بن أبي إذ عرض عمر بن الخطاب ﷺ على النبي ﷺ بقتل ابن أبي على يد عباد بن بشر لتجاوزه على حضرة الرسول ﷺ ، وهذا يدل على تمتع عباد بن بشر ﷺ بالمكانة الرفيعة والسامية بين المهاجرين والأنصار ، إذ تم اختياره لقتل عبد الله بن أبي (كبير المنافقين) ، بيد أن الرسول ﷺ رفض ذلك وقال : " فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه لا ولكن أذّن بالرحيل "[٤٦] .

حضوره مشهد صلح الحديبية (٦هـ) :

قد أمر رسول الله ﷺ عباد بن بشر فقدم في خيله فأقام بإزائه وصف أصحابه[٤٧] ، ويذكر السهيلي إن قريشاً أرسلت سهيل بن عمرو للصلح[٤٨] ، إذ جلس النبي ﷺ متربعاً وكان عباد بن بشر وسلمة بن اسلم بن حريش ﷺ على رأسه وهما مقنعان في الحديد فبرك سهيل على ركبتيه فكلم رسول الله ﷺ فطال الكلام وتراجعا وارتفعت الأصوات وانخفضت ، وقال عباد لسهيل : اخفض من صوتك عند رسول الله والمسلمون حول النبي الكريم ﷺ جلوس وجرى القول بين النبي ﷺ وبين سهيل حتى وقع الصلح[٤٩] .

كشفه لجواسيس اليهود عند فتح خيبر :

كان رسول الله ﷺ يحتاط في جميع غزواته وهذا من دواعي التخطيط النبوي العسكري في المعارك فان من المعلوم مباغتة العدو من اسباب كسب المعركة , لذا اختار عباد بن بشر الشخصية المناسبة والملائمة لانجاز مهمة الاطلاع على اخبار العدو اذ ارسله النبي ﷺ في طليعة عدد من الفوارس الى خيبر .

وتشير المصادر إن عباد بن بشر وهو في طريقه الى خيبر وجد رجلاً من قبيلة اشجع وسأله عن خيبر الا ان الرجل قد غالا في قوة اليهود محذراً من مهاجمتهم , وجاء في الخبر ان عباد سال الرجل ، فقال : من أنت؟ قال : باغ ابتغي ابعرة ضلت لي انا على أثرها قال له عباد : ألك علم بخيبر قال عهدي بها حديث فيما تسألني عنه؟ ، قال عن اليهود قال : نعم كان كنانة بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس ساروا في حلفائهم من غطفان فاستنفروهم وجعلوا لهم تمر خيبر سنة فجاءوا معدين مؤدين بالكراع[٥٠] والسلاح ,

يقودهم عتبة بن بدر ودخلوا معهم , واسترسل قائلا : وفي حصونهم وفيها عشرة آلاف مقاتل وهم أهل الحصون التي لا ترام وسلاحا وطعام كثير لو حوصروا سنين لكفاهم وماء اتن[٥١] يشربون في حصونهم ما أرى لاحدا بهم طاقة[٥٢] ، إلا أن عباد كان ذا نظرة ثاقبة فأيقن ان الرجل من عيون العدوا , اذ رفع السوط فضربه ضربات وقال ما أنت الا عين لهم اصدقني وإلا ضربت عنقك فقال الإعرابي : افتؤمني على ان أصدقك؟ قال عباد نعم فقال الإعرابي : القوم مرعوبون منكم خائفون وجلون لما قد صنعتم بمن كان بيثرب من اليهود وان يهود يثرب بعثوا ابن عم لي وجدوه بالمدينة قد قدم بسلعة يبعها فبعثوه الى كنانة بن أبي الحقيق يخبرونه بقلتكم وقلة خيلكم وسلاحكم ويقولون له فأصدقهم الضرب ينصرفون عنكم فانه لم يلقَ قوما يحسنون القتال وقريش والعرب قد سروا بمسيره إليكم لما يعلمون من موادكم وكثرة عددكم وسلاحكم وجودة حصونكم وقد تتابعت قريش وغيرهم ممن يهوى هوى محمد تقول قريش : ان خيبر تظهر ويقول آخرون يظهر محمد فان ظفر محمد فهو ذل الدهر قال الإعرابي : وإنما سمع كل هذا فقال لي كنانة اذهب معترضا للطريق فانهم لا يستنكرون مكانك وأحرزهم لنا وأذن منهم كالسائل لهم ما تقوى به ثم الق إليهم كثرة عددنا ومادتنا فإنهم لم يدعوا سؤالك وعجل الرجعة إلينا بخبرهم .فاتى به عباد الى الرسول صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر فقال عمر بن الخطاب ﷺ : اضرب عنقه ، قال عباد : جعلت له الأمان ، فقال رسول الله ﷺ : امسكه معك يا عباد فأوثق رباطا ، فلما دخل رسول الله ﷺ خيبر عرض عليه الإسلام قائلا : إني داعيك ثلاثا فان لم تسلم لم يخرج الحبل عن عنقك إلا صعدا فاسلم الإعرابي[٥٣] . وبهذا تحقق للمسلمين عنصر المفاجئة الذي اربك العدوا فكان من نباهة عباد وحسن تدبيره جعل المسلمون يعرفون خبر اهل خيبر وهم لايعرفون عن المسلمين شيئاً .

اشتراكه في حمل رايات جيش المسلمين :

تذكر عدد من المصادر التاريخية إن الرسول الكريم ﷺ بعد خروجه من خيبر نزل في وادي القرى فعبأ أصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة وسلم راية إلى الحباب بن المنذر[٥٤] وراية إلى سهيل بن الاضيف وراية إلى عباد بن بشر ثم أمرهم أن يدعون الناس إلى الإسلام فان اسلموا فقد أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم وحسابهم على الله[٥٥] .

جعله على صدقات ومقاسم المسلمين :

جعل رسول الله ﷺ عباد بن بشر على مقاسم حنين وبعثه إلى سليم ومزينة لأخذ الصدقات[٥٦] ، كما أن النبي الكريم محمد ﷺ بعث عباداً إلى بني المصطلق يأخذ صدقات أموالهم ويعلمهم شرائع الإسلام ويقرئهم القرآن فأقام عندهم وانصرف راضياً[٥٧] ، واستعمله رسول الله ﷺ على حرسه بتبوك من يوم أن قدم إلى أن رحل حيث أقام عشرون يوما[٥٨] وهنا دلالة واضحة لما يتمتع به هذا الصحابي الجليل من مميزات اذ كان محل ثقة النبي ﷺ والذي أوكل إليه عدد من المهمات سواء العسكرية والامنية او المالية.

روايته للحديث :

أوردت العديد من كتب الحديث النبوي لعباد بن بشر مجموعة احاديث اذ روى عنه انس بن مالك و البخاري وابو داود والترمذي والطبراني في معجمه الكبير والاوسط ومن هذه الاحاديث ما اورده البخاري قائلاً : حَدَّثَنَا هَنَّادٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوَجِّهَ إِلَى الكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ}[٥٩] ، فَوَجَّهَ نَحْوَ الكَعْبَةِ، وَكَانَ يُحِبُّ ذَلِكَ، فَصَلَّى رَجُلٌ مَعَهُ العَصْرَ ، (هذا الرجل هو عباد بن بشر)[٦٠] ، ثُمَّ مَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلاَةِ العَصْرِ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ: هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَأَنَّهُ قَدْ وَجَّهَ إِلَى الكَعْبَةِ، قَالَ: فَانْحَرَفُوا وَهُمْ رُكُوعٌ[٦١] .

وعن قول الرسول ﷺ في ركوعه وسجوده ذكر الحديث الاتي : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ، عَنْ خَصِيفٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ» وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ» وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ[٦٢] .

ومما أورده الطبراني عن عباد الحديث الأتي : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، ثَنَا سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ، ثَنَا عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ، ثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ الْحَارِثِ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلَا مُشْرِكًا، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَحْجِزُهُ إِيمَانُهُ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ كُفْرُهُ، وَلَكِنِّي أَتَخَوَّفُ عَلَيْهِمْ مُنَافِقًا، عَالِمَ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا يَعْرِفُونَ، وَيَعْمَلُ مَا يُنْكِرُونَ»[٦٣] . الى جانب ذلك كان عباد بن بشر مشهوراً بحديث رسول الله ﷺ عن الأنصار وهو : قال عباد : قال رسول الله ﷺ : يا معشر الأنصار انتم الشعار والناس الدثار لأوتين من قبلكم[٦٤] ، أما الأحاديث في فضله قد سبق ذكرها في دعاء النبي ﷺ له.

دوره في حروب الردة واستشهاده في اليمامة (١١هـ) :

بعد وفاة النبي ﷺ افتتن الكثير من العرب لاسيما قبيلة بني حنيفة في اليمامة بزعامة مسيلمة الكذاب الذي أدعى النبوة[٦٥] وجمع حوله معظم رجال قبيلته ، إذ تأثروا بعامل العصبية القبلية ، وهي من أخطر حركات الردة التي واجهت الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ الذي أرسل الجيوش وتعامل معهم بحزم وشدة من أجل المحافظة على وحدة الأمة الإسلامية من التمزق والانحراف ، فوقع اختيار الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ على خالد بن الوليد ﷺ ، وأوعز له أن يعد ما استطاع من قوة للقضاء على هذه الحركة[٦٦] .

فسار سيف الله مع مقاتليه الى اليمامة لمواجهة مسيلمة الكذاب وذلك في نهاية سنة إحدى عشر للهجرة ، بعد أن بسط سلطان الدولة الإسلامية على مختلف مناطق شبه الجزيرة العربية وأخمد كل حركات الردة حتى أصبح مسيلة الكذاب وحركته في وضع لا يحسد عليه ، وقد تمكنت قوات خالد بن

الوليد ﷺ من دحر جيش مسيلمة في معركة عرفت بحديقة الموت لكثرة من قتل فيها من المرتدين وعلى رأسهم مسيلمة الكذاب ، كما استشهد عدد كبير من صحابة رسول الله ﷺ ، وقد وضع هذا الانتصار حداً لحركات الردة في شبه جزيرة العرب(٦٧) ، فكان من الشهداء الصحابي عباد بن بشر إذ قال ابن سعد (ت٢٣٠هـ) اخبرنا محمد بن عمر قال : حدثني سعيد بن محمد بن أبي زيد ، عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه عن جده قال : سمعت عباد بن بشر يقول : يا أبا سعيد رأيت الليلة كأن السماء قد فرجت لي ثم أطبقت علي فهي إن شاء الله الشهادة قال : فقلت خيرا والله رأيت قال : فنظرت إليه يوم اليمامة وانه ليصيح بالأنصار : احطمو جفون السيوف وتميزوا من الناس وجعل يقول : أخلصونا أخلصونا فاخلصوا أربعمائة رجل من الأنصار ما يخالطهم احد يقدمهم عباد بن بشر وأبو دجانة(٦٨) والبراء بن مالك(٦٩) انتهوا إلى باب الحديقة فقاتلوا اشد القتال وقتل عباد رحمه الله فرأيت بوجهه ضربا كثيرا ما عرفته إلا بعلامة كانت في جسده(٧٠) ، فقد استشهد ﷺ في موقعة اليمامة من أواخر سنة (١١هـ) عن عمر ناهز الخمس والأربعون عاماً ، إذ كان له يومئذ بلاء حسن(٧١) .

وعلى ما يبدو من خلال سير الأحداث التاريخية لجهاد الصحابي عباد بن بشر ﷺ لم تذكر المصادر التاريخية التي بين أيدينا دوره في معارك حروب الردة سوى هذه المعركة ، فمن غير الممكن أنه لم يشترك بباقي المعارك التي سبقت معركة (حديقة الموت) ، لاسيما ما عرف عنه من مواقف بطولية وشجاعة فائقة تؤهله ليكون في صدارة الصحابة في القتال .

الخاتمة :

ونحن ندرس قصص وتاريخ الصحابة الكرام ﷺ ، فإننا نرصد دروس وعبر ولاسيما لمن نصروه في هجرته وهاجروا لنصرته ﷺ لتنير تلك العبر درب الأجيال اللاحقة في التضحية والصمود في سبيل المبدأ والعقيدة .

والأنصاري عباد بن بشر ﷺ أحد أولئك الخيرة ، إذ نستنتج من خلال هذا البحث أمور عدة منها :

١. كان مولده ﷺ قبل البعثة النبوية بإحدى وعشرين سنة ، وهو من قبيلة الخزرج من أهل يثرب .
٢. يعد عباد من ذوي السابقة في الإسلام إذ أسلم على يد مصعب بن عمير ﷺ في المدينة قبل هجرة النبي محمد ﷺ إليها .
٣. شهد مع النبي ﷺ بدراً وأحد وجميع المشاهد ، إذ أشارت المصادر التاريخية بشكل واضح الى مواقفه الشجاعة في الخندق الحديبية .
٤. وأسندت إلى عباد ﷺ العديد من المهام منها جمعه لصدقات بني المصطلق وسليم ومزينة ، فضلاً عن تعليمهم لشرائع الإسلام .

٥. كان ﷺ ممن تولى حماية الرسول ﷺ الشخصية وفي أكثر من مشهد ما يدل على شجاعته وتضحيته .
٦. هو أول من أخبر أهل المدينة المنورة بخبر تحول قبلة الصلاة نحو الكعبة .
٧. خصه النبي ﷺ بالدعاء قائلاً : " اللهم أرحم عباداً " .
٨. كان من الصحابة الذين خصهم الله بالكرامات كما جاء في صحيح البخاري ، إذ أضاءت له عصا كان يحملها ليلاً لتنير طريقه إلى مسكنه في المدينة المنورة وهو خارج من مجلس الرسول ﷺ.
٩. اشتهر بحديث الأنصار ، إذ أوردت كتب السير والحديث بسنده الحديث النبوي الشريف : " يا معشر الأنصار انتم الشعار والناس الدثار ... " ، والى جانب ذلك ذكر فضله في أحاديث نبوية أخرى .
١٠. استشهد ﷺ يوم اليمامة أواخر سنة (١١هـ) عن عمر ناهز الخمس والأربعين عاماً ، بعد أن سطر أروع أنواع الشجاعة والذود عن راية الإسلام .

الهوامش :

١. سورة التوبة الآية : ١٠٠ .
٢. ابن سعد , الطبقات الكبرى , ج٣ , ص٤٤٠ ؛ ابن حبان , الثقات , ج٣ , ص٣٠٦ ؛ ابن عبد البر , الاستيعاب في معرفة الأصحاب , ج١ ، ص٢١٤ ؛ ابن الأثير , أسد الغابة في معرفة الصحابة , ج١ , ص٥٧٠ ؛ المزي , تهذيب الكمال في أسماء الرجال , ج١٤, ص١٠٤.
٣. ابن عبد البر , الاستيعاب في معرفة الأصحاب , ج١, ص٢٤١ ؛ ابن الأثير , أُسد الغابة في معرفة الصحابة , ج١, ص٧٥ ؛ ابن حجر , تهذيب التهذيب , ج٣, ص٦١١.
٤. ابن شبة النميري , تاريخ المدينة, ج٢, ص٤٥٧ ؛ الصفدي , الوافي بالوفيات , ج١, ص٢٣٠.
٥. ابن عبد البر , الاستيعاب في معرفة الأصحاب , ج١, ص٢٤١.
٦. المزي , تهذيب الكمال في أسماء الرجال , ج١٤, ص ١٠٤.
٧. ابن ماكولا , اكمال الكمال , ج٧ , ص٤١٨ ؛ ابن الأثير , اسد الغابة في معرفة الصحابة , ج١ , ص٨٤٠.
٨. ابن الأثير , اسد الغابة في معرفة الصحابة , ج١, ص١٣٤ ؛ ابن حجر , الإصابة في تميز الصحابة , ج٧, ص٤٩٩.
٩. ابن حبان , مشاهير علماء الأمصار , ج١, ص٢٥ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات , ج١, ص٢٣٠.
١٠. ابن سعد , الطبقات الكبرى , ج٣ , ص٤٤٠.

١١. خليفة بن خياط , الطبقات لابن خياط , ج١, ص٧٩ ؛ الذهبي , الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة , ج٢, ص٢٤٠ ؛ ابن حجر , تهذيب التهذيب , ج١, ص٣٠٤.
١٢. ابن حزم , جوامع السير, ج١, ص١٢٣ ؛ الذهبي , سير أعلام النبلاء , ج١, ص٢٨١.
١٣. على ما يبدوا ان عباد بن بشر قد اسلم بين العقبتين الأولى والثانية وذلك من خلال إشارة بعض المصادر التاريخية الى انه ﷺ اسلم على يد مصعب بن عمير ﷺ والمعروف ان مصعب قد بعثه الرسول الكريم ﷺ الى المدينة مع القوم الذين اسلموا وبايعوا في العقبة الأولى وهم أثنى عشر رجل إذ اسلم عباد في حينها ، ودليل أخر إسلامه في هذا الوقت انه اسلم قبل اسيد بن حضير وان الأخير قد شهد العقبة الثانية كما سيرد تفصيله في الهامش القادم ، ينظر : السهيلي , الروض الأنف , ج٢ , ص٢٥١.
١٤. هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد عبد الاشهل ، ويكنى أبا عمرو ، اسلم على يد مصعب بن عمير وبعد إسلامه لم يبقَ في بني عبد الاشهل أحد إلا ودخل الإسلام ، وآخى رسول الله ﷺ بين سعد بن معاذ وسعد بن أبي وقاص ، وشهد بدر واحد والخندق ورمي يومها بسهم استشهد على أثره ، ودفن بالبقيع ، ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٣٣٠ ؛ ابن خياط ، طبقات خليفة ، ج١ ، ص١٣٩.
١٥. هو اسيد بن حضير بن سمك بن عتيك بن عبد الاشهل شهد العقبة الثانية وكان نقيب بني عبد الاشهل شهد المشاهد كلها وجرح يوم احد سبع جراحات توفي سنة (٢٠هـ) , وقد حمل نعشه وصلى عليه عمر بن الخطاب ﷺ ودفن بالبقيع ، ينظر : الخطيب البغدادي , الأسماء المبهمة , ج١ , ص٣٠ ؛ ابن عبد البر , الاستيعاب في معرفة الأصحاب , ج١, ص٣٠.
١٦. ابن سعد , الطبقات الكبرى , ج٢ , ص٤٥٨ ؛ المزي , تهذيب الكمال في أسماء الرجال , ج١٤ , ص١٠٤ ؛ الذهبي , تاريخ الإسلام , ج٣ , ص١٠٤.
١٧. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٨١ .
١٨. أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الارقم للدعوى فيه وكان من مهاجرة الحبشة في الهجرتين ومعه زوجته سهلة بنت سهل بن عمرو ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عباد بن بشر ، استشهد يوم اليمامة ، ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٨٤ .
١٩. ابن هشام , السيرة النبوية , ج١ , ص٤٧٩ ؛ ابن سعد , الطبقات الكبرى , ج٢ , ص٨٥ ؛ ابن كثير , البداية والنهاية , ج٦ , ص٢٣٩.
٢٠. ابن عبد البر , الدرر في اختصار المغازي والشمائل والسير , ج١ , ص١٧ ؛ النووي , تهذيب الأسماء واللغات , ج٣ , ص٩١ ؛ ابن خلدون , تاريخ ابن خلدون , ج١, ص١٤.

٢١. ابن شبه النميري , تاريخ المدينة المنورة , ج٢ , ص٤٥٧ ؛ ابن عبد البر , الاستيعاب في معرفة الأصحاب , ج١, ص٢٤١ ؛ المزي , تهذيب الكمال , ج١٤ , ص١٠٤.
٢٢. البخاري ، الجامع الصحيح ، ج٣ ، ص٢ .
٢٣. ابن عبد البر , الاستيعاب , ج١, ص٣١١ ؛ الصفدي , الوافي بالوفيات , ج١ , ص٢٣٣٠ .
٢٤. البخاري , صحيح البخاري (الجامع الصحيح) , ج١, ص١٧٧.
٢٥. المزي , تهذيب الكمال في أسماء الرجال , ج٣ , ص٢٥١ ؛ ابن حجر , الإصابة في تميز الصحابة , ج٣ , ص٦٣ ؛ الصالحي , سبل الهدى والرشاد , ج١٠, ص٤٤.
٢٦. سورة البقرة الآية : ١٤٤ .
٢٧. تويلة بنت اسلم بن عميرة الانصارية من النساء التي بايعنَّ الرسول ﷺ في المدينة المنورة ، ينظر : ابن الاثير ، اسد الغابة ، ج٢ ، ص٦٩ .
٢٨. وقد اختلف المؤرخون في المدة التي صلاها ﷺ الى بيت المقدس بعد الهجرة ، فمنهم من قال : صرفت القبلة في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة قبل معركة بدر وتحديدا في صلاة الظهر إذ انزل الله أمره للنبي ﷺ بأن تحول القبلة من بيت المقدس الى الكعبة ، فصلى الرسول ﷺ ركعتين تجاه بيت المقدس واستدار ومن معه في الركعتين الأخريين عند نزول الوحي باتجاه الكعبة ، ينظر : الطبري ، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل آي القرآن) ، ج٢ ، ص٢٠٢ ؛ الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج٤ ، ص٨٠ ؛ ابن كثير , البداية والنهاية , ج٣, ص٢٥٣ .
٢٩. القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج١٦ ، ص١٤ ؛ الخازن ، لباب التأويل في معاني التنزيل ، ج١ ، ص٨٨.
٣٠. الطبراني , المعجم الكبير , ج٤ , ص٢٠٧ ؛ الصالحي , سبل الهدى والرشاد , ج٢٤ , ص٢٧٠.
٣١. ابن عبد البر , الاستيعاب في معرفة الأصحاب , ج١, ص٢٤١ ؛ الصفدي , الوافي بالوفيات , ج١ , ص٢٣٣٠ ؛ ابن حجر , الإصابة في تمييز الصحابة , ج٧ , ص٤٠٩ .
٣٢. وهي الغزوة التي وقعت في صدر السنة الرابعة من الهجرة النبوية وسميت بذات الرقاع لاسم شجرة كانت هنالك , وقيل لاسم جبل في المنطقة كانت أرضه رقاع من اللون الأبيض والأسود , وقيل سميت بهذا الاسم كون المسلمين فيها قد لفوا أقدامهم بخرق أو رقاع من القماش , وقول أخر أن الرايات كانت فيها مرقعة ، ينظر : ابن عبد البر , الدرر في اختصار المغازي والشمائل والسير , ج١, ص٤٨ ؛ ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج١, ص٣٠٢.
٣٣. ابن كثير , السيرة النبوية , ج٣ , ص١٦٤؛ الصالحي , سبل الهدى, ج٥ , ص١٨٠.

٣٤. السهيلي , الروض الأنف , ج٣ , ص٤٩ ؛ ابن كثير , السيرة النبوية , ج٣ , ص١٦٤.
٣٥. الواقدي , المغازي , ج١, ص٤٦١ ؛ الصالحي , سبل الهدى, ج٤ , ص٣٣٥.
٣٦. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص١٠٥ .
٣٧. الهيعة : هو الصوت العالي الذي تفزع منه وتخافه من عدو ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٨ ، ص٣٨٧ .
٣٨. ابن سعد , الطبقات الكبرى , ج٢, ص٦٧.
٣٩. الصالحي , سبل الهدى والرشاد , ج٤ , ص٣٥٧.
٤٠. ابن سعد , الطبقات الكبرى , ج٢, ص٦٧ ؛ العصامي , سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي , ج١ , ص٢٣٥.
٤١. ابن سعد ، غزوات الرسول وسراياه ، ج١ ، ص٣٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص٢١٨ ؛ الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، ج١ ، ص٧ .
٤٢. الحارث بن أبي ضرار بن الحارث بن مالك بن خزيمة بن سعد سيد خزاعة ، وهو والد جويرة زوج النبي ﷺ ، ينظر : السمعاني ، الأنساب ، ج٥ ، ص٣١٢ .
٤٣. المريسيع : ماء بنجد في ديار بني المصطلق من ناحية قديد الى الشام ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج٤ ، ص١٢٢٠ .
٤٤. المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج٤ ، ص٢١٤.
٤٥. الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ، ص١١٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٧٦ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٢٦٤ .
٤٦. ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٩٥ .
٤٧. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص١٨٠ .
٤٨. وهو صلح الحديبية الذي وقع سنة (٦هـ) , إذ خرج النبي ﷺ بـ ١٤٠٠ رجل من المسلمين ، ينظر : السهيلي , الروض الأنف , ج٤ , ص٥٦ .
٤٩. الصالحي , ج ٥, ص٥٢.
٥٠. الكراع : وهو اسم يطلق على جميع أنواع الخيول والدواب ، ينظر : ابن الأثير , النهاية في غريب الحديث والأثر , ج٤ , ص٢٩٧ ؛ المطرزي , المغرب, ج٢, ص٢١٥.
٥١. اتن : أي الماء المتراكم من الوفرة أو هو صخرة تكون وسط الماء بعضها ظاهر وبعضها غائر في الماء ، ينظر : الفيروز آبادي , القاموس المحيط , ج١, ص١٥١.

٥٢. كنانة بن أبي الحقيق : وهو من شعراء بني النظير من اليهود وكان زوج صفية بنت حيي وقد قتل كنانة يوم خيبر وقد تزوجها بعد ذلك رسول الله ﷺ ، ينظر : الذهبي , الكاشف من له رواية في الكتب الستة , ج٢ , ص ٥١١.

٥٣. الواقدي , المغازي , ج١ , ص١٠٣.

٥٤. الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب ، كنيته أبا عمرو ، شهد بدراً وكان لواء الخزرج يومها معه ، وشهد أحد والخندق والمشاهد كلها مع الرسول ﷺ ، وشهد اجتماع بني ساعدة في السقيفة لتبايع سعد بن عبادة بالخلافة ، وحينها قال الحباب (أنا جذيلها المحكك ... وعذيقها المرجب) منا أمير ومنكم أمير ، ثم بويع أبو بكر ﷺ بالخلافة ، توفي في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ وليس له عقب ، ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٤٢٨ .

٥٥. الذهبي , تاريخ الإسلام , ج١, ص٢٨٤ ؛ ابن كثير , البداية والنهاية ، ج٤ , ص٢١٨.

٥٦. الواقدي , المغازي , ج١, ص٧٨ ؛ ابن سعد , غزوات الرسول وسراياه , ج١, ص٦٨.

٥٧. ابن سعد , الطبقات الكبرى , ج٢ , ص١٦١.

٥٨. المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٤٤١ .

٥٩. سورة البقرة الآية : ١٤٤ .

٦٠. القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج١٦ ، ص١٤ ؛ الخازن ، لباب التأويل ، ج١ ، ص٨٨ .

٦١. البخاري ، صحيح البخاري ، ج٩ ، ص١٠٨ .

٦٢. المروزي ، قيام الليل ، ج١ ، ص١٨٣ .

٦٣. الطبراني ، المعجم الوسيط ، ج٧ ، ص١٢٨ .

٦٤. ابن حنبل ، مسند الامام احمد ، ج٣ ، ص٢٤٦ .

٦٥. البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٩٣ .

٦٦. ابو زرعة الدمشقي ، تاريخ ابو زرعة ، ج١ ، ص١٧٠ .

٦٧. المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص٢٤٨ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص٨٠ ؛ الذهبي ، العبر ، ج١ ، ص١١ ؛ الملاح ، الوسيط في السيرة النبوية ، ص٣١٨ .

٦٨. ابو دجانة : سماك بن خرشة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج ، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عتبة بن غزوان ، شهد بدراً وأُحداً واليمامة واستشهد فيها ، ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٥٥٦.

٦٩. البراء بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، وهو أخو أنس بن مالك من أبيه ، شهد أُحد والخندق والمشاهد كلها مع الرسول ﷺ ، وكان شجاعاً في الحرب وله نكاية قتل مائة من المشركين مبارزة ، قتل يوم تستر في خلافة

عمر بن الخطاب ﷺ سنة ثلاث وعشرين للهجرة ، ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص١١-١٢ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٢ ، ص١١٧ .

٧٠. ابن سعد , الطبقات الكبرى , ج٣ , ص٤٤٠.

٧١. خليفة بن خياط , تاريخ خليفة بن خياط , ج١ , ص٦٧ ؛ البخاري , التاريخ الصغير , ج١ , ص٢٣٦ ؛ ابن حبان , الثقات , ج٣ , ص٣٠٦ .

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم :

أولاً . المصادر الأولية :

۞ ابن الأثير , عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت٦٣٠هـ)

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة , انتشارات اسماعليان , (طهران – بلات).

٢. الكامل في التاريخ , تحقيق : أبي الفداء عبد الله القاضي , ط٢ , دار الكتب العلمية , (بيروت – ١٩٩٥م) .

۞ ابن الأثير , أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ)

٣. النهاية في غريب الحديث والأثر , تحقيق : طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطنطاوي , المكتبة العالمية , (بيروت – ١٩٧٩م) .

۞ الازدي ، أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي (ت١٥٠هـ)

٤. تفسير مقاتل بن سليمان ، تحقيق : عبد الله محمود شحاتة ، ط١ ، دار إحياء التراث ، (بيروت – ١٤٢٣هـ) .

۞ ابن إسحاق ، محمد بن يسار المطلبي (ت١٥١هـ)

٥. السيرة النبوية ، تحقيق : محمد حميد الله ، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب ، (بلام – بلات) .

۞ الاصبهاني , أبو نعيم احمد بن عبد الله بن احمد (ت٤٣٠هـ)

٦. معرفة الصحابة , تحقيق : عادل بن يوسف الفزاري , دار الوطن , (الرياض – ١٤١٩هـ).

۞ البخاري , أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ)

٧. التاريخ الصغير , تحقيق : محمود إبراهيم زايد, ط١, دار الوعي , (دمشق – ١٣٩٧هـ) .

٨. صحيح البخاري (الجامع الصحيح) , تحقيق : مصطفى ديب البغا , ط٣, دار ابن كثير,(بيروت – ١٩٨٧م) .

۞ البكري ، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت٤٨٧هـ)
٩. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ط٣ ، عالم الكتب ، (بيروت – ١٤٠٣هـ) .
۞ ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج (ت٥٩٧هـ)
١٠. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق : محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٤١٢هـ) .
۞ ابن حبان , أبو حاتم محمد بن حبان التميمي السبتي (ت٣٥٤هـ)
١١. الثقات , تحقيق : شرف الدين احمد , ط١, دار الفكر , (بيروت–١٩٧٠م) .
١٢. مشاهير علماء الأمصار , تحقيق فلايشهمر , دار الكتب العلمية , (بيروت – ١٩٥٩م) .
۞ ابن حجر , احمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ)
١٣. الإصابة في تميز الصحابة , تحقيق : علي محمد البجاوي , ط١, دار الجيل , (بيروت – ١٤١٢هـ) .
١٤. تهذيب التهذيب , تحقيق : محمد عوانة , ط١, دار الفكر , (بيروت – ١٩٨٤م) .
۞ ابن حزم , أبو محمد علي بن احمد الأندلسي (ت٤٥٦هـ)
١٥. جوامع السير وخمس رسائل أخرى , تحقيق : إحسان عباس وناصر الدين الأسد , دار المعارف , (القاهرة – بلات) .
۞ابن حنبل ، ابو عبد الله احمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)
١٦. مسند الامام احمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة ، (القاهرة – بلات) .
۞ الخازن ، علاء الدين بن محمد (ت٧٤١هـ)
١٧. لباب التأويل في معاني التنزيل ، تحقيق : محمد علي شاهين ، ط١، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٤١٥هـ) .
۞ الخطيب البغدادي , أبو بكر احمد بن علي (ت٤٦٣هـ)
١٨. الأسماء المبهمة , تحقيق : محمود الطحان , (الرياض – ١٤٠٣هـ) .
۞ ابن خلدون , عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت٨٠٨هـ)
١٩. تاريخ ابن خلدون , مؤسسة جمال للطباعة والنشر , (بيروت – بلات) .
۞ خليفة بن خياط , ابو عمر خليفة خياط الليثي العصفري (ت٢٤٠هـ)
٢٠. الطبقات لابن خياط , تحقيق : أكرم ضياء العمري , ط٢, دار طيبة , (الرياض – ١٩٨٢م) .
٢١. تاريخ خليفة بن خياط , تحقيق : أكرم ضياء العمري , ط٢ , دار القلم مؤسسة الرسالة , (دمشق – ١٣٩٧هـ) .

۞ الذهبي , شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)
٢٢. تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام , تحقيق : عمر عبد السلام , ط٢ , دار الكتب العربي , (بيروت – ١٤١٧هـ) .
٢٣. سير أعلام النبلاء , تحقيق : شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقوسي , ط٢, مؤسسة الرسالة , (بيروت – ١٤١٣هـ) .
٢٤. العبر في خبر من غبر ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، (الكويت – ١٩٨٤م) .
٢٥. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة , تحقيق : محمد عوامة , ط١, دار القبلة للثقافة الإسلامية , (الرياض – ١٩٩٢م) .
۞ الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن (ت٦٠٦هـ)
٢٦. مفاتيح الغيب ، ط٣ ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – ١٤٢٠هـ).
۞ ابو زرعة الدمشقي ، عبد الرحمن بن عمرو بن صفوان النصري (ت٢٨١هـ)
٢٧. تاريخ ابو زرعة الدمشقي ، تحقيق : شكر الله نعمة الله القوجاني ، مجمع اللغة العربية ، (دمشق – بلات) .
۞ ابن سعد , أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت٢٣٠هـ)
٢٨. الطبقات الكبرى , تحقيق : إحسان عباس , ط١ , دار صادر , (بيروت – ١٩٦٨م).
٢٩. غزوات الرسول وسراياه , تحقيق : إحسان عباس , دار صادر , (بيروت – ١٩٦٨م) .
۞ السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم محمد بن منصور (ت٥٠٦هـ)
٣٠. الأنساب ، موقع يعسوب ، تعليق : عبد الله عمر البارودي ، ط١ ، دار الجنان ، (بلام – ١٤٠٨هـ) .
۞ السهيلي , أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن اصبغ بن الحسين (ت٥٨١هـ)
٣١. الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام , تحقيق : مجدي منصور , ط١, دار الكتب العلمية , (بيروت – ١٩٧٧م) .
۞ ابن سيد الناس ، محمد بن محمد بن محمد بن احمد (ت٧٣٤هـ)
٣٢. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، تعليق : إبراهيم محمد رمضان ، ط١ ، دار القلم ، (بيروت – ١٤١٤هـ) .
۞ ابن شبه النميري , عمر بن شبه النميري (ت٢٦٢هـ)
٣٣. تاريخ المدينة المنورة , تحقيق : فهيم محمد شلتوت , دار الفكر , (طهران – بلات).
۞ الصفدي , صلاح الدين خليل بن ابيك بن عبد الله (ت٧٦٤هـ)

٣٤. الوافي بالوفيات , تحقيق : احمد الارنؤوط وتركي مصطفى , دار إحياء التراث , (بيروت – ٢٠٠٠م) .

۞ الصالحي , محمد بن يوسف الصالحي الشافعي (ت٩٤٢هـ)

٣٥. سبل الهدى والرشاد , تحقيق وتعليق : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض , ط١, دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٩٣م) .

۞ الطبراني , أبو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب (ت٣٦٠هـ)

٣٦. المعجم الأوسط ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد بن عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، (القاهرة – ١٤١٥هـ) .

٣٧. المعجم الكبير , تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي , ط٢ , مكتبة العلوم والحكم , (المدينة المنورة – ١٩٨٣م) .

۞ الطبري , أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)

٣٨. تاريخ الرسل والملوك , ط١, دار الكتب العلمية , (بيروت – ١٤١٧هـ).

٣٩. تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل آي القرآن) ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط١ ، دار هجر للطباعة والنشر (بلام–١٤٢٢هـ) .

۞ ابن عبد البر , أبو يوسف بن عبدالله بن محمد النميري (ت٤٦٣هـ)

٤٠. الاستيعاب في معرفة الأصحاب , تحقيق : علي محمد البجاوي , ط١, دار الجيل , (بيروت – ١٤٠٢هـ) .

٤١. الدرر في اختصار المغازي والشمائل والسير , تحقيق : علي محمد البجاوي , مطبعة نهضة مصر , (القاهرة – بلات) .

۞ العصامي , عصام الدين ابن عربشاه الاسفراييني (ت٩٤٥هـ)

٤٢. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي , بعناية وترتيب قاسم درويش فخروا , ط١, (القاهرة – ١٣٧٩هـ) .

۞ الفيروز آبادي , مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ)

٤٣. القاموس المحيط , دار الفكر , (بيروت – ١٩٨٣م) .

۞ القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري (ت٦٧١هـ)

٤٤. الجامع لإحكام القرآن ، تحقيق : احمد البردوني وإبراهيم اطفيش ، ط٢ ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة – ١٣٨٤هـ) .

۞ ابن كثير , أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ)

٤٥. البداية والنهاية , تحقيق : علي شيري , دار إحياء التراث العربي , (بلام – ١٤٠٨هـ) .

٤٦. السيرة النبوية , تحقيق مصطفى عبد الواحد , دار المعرفة , (بيروت – ١٩٧١م) .

۞ ابن ماكولا , علي بن هبة الله بن أبي نصر (ت٤٧٥هـ)

٤٧. إكمال الكمال , دار الكتب العربي , (القاهرة – بلات) .

۞ المروزي ، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج (ت٢٩٤هـ)

٤٨. مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر ، ط١ ، (فيصل آباد /باكستان – ١٩٨٨م) .

۞ المزي , أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن (ت٧٤٢هـ)

٤٩. تهذيب الكمال في أسماء الرجال , تحقيق : بشار عواد معروف , ط١, مؤسسة الرسالة , (بيروت – ١٩٩٨م) .

۞ المطرزي , أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي (ت٦١٠هـ)

٥٠. المغرب في ترتيب المعرب , تحقيق : محمود فاخوري وعبد الحميد مختار , ط١, مكتبة أسامة بن زيد , (دمشق – ١٩٧٩م) .

۞ المقدسي ، المطهر بن طاهر (ت٣٥٥هـ)

٥١. البدء والتاريخ ، مكتبة الثقافة الدينية ، (بورسعيد – بلات) .

۞ النووي , أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف الدين الدمشقي (ت٦٧٦هـ)

٥٢. تهذيب الأسماء واللغات , تحقيق : عبد القادر عطا , ط١, دار الفكر , (بيروت – ١٩٩٦م) .

۞ ابن هشام , محمد بن عبد الملك (ت٢١٣هـ)

٥٣. السيرة النبوية لابن هشام , تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، (بيروت – ١٤١١هـ) .

۞ الواقدي , محمد بن عمر (ت٢٠٧هـ)

٥٤. المغازي , تحقيق : مارسدن جونس , دار المعارف , (القاهرة – ١٩٦٦م).

ثانياً . المراجع الحديثة :

۞ الملاح ، هاشم يحيى

٥٥. الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، ط١ , دار الكتب العلمية ، (بيروت – ٢٠٠٧) .

نقد مؤرخي كتب التاريخ العام الشاميين للحكام والوزراء خلال القرن الثامن الهجري

الطالب :شمخي يابر عويد
أ.د.فاضل جابر ضاحي
جامعة واسط/ كلية التربية

نقد مؤرخي كتب التاريخ العام الشاميين للحكام والوزراء خلال القرن الثامن الهجري

الطالب :شمخي يابر عويد

أ.د.فاضل جابر ضاحي

Abstract

Historians of the eighth century AH have reported the history of some rulers and kings in ancient history, from the works that preceded them in writing, and spoke about their qualities, ethics, and politics and pointed to their progress, and during the history of Islam, and after the development of historical writing became a part of history the translation of political figures in their works, "the interrelations of worldly historians have led them to the need to pay attention to politicians, successors, sultans and so on, because they represent the first line of power in the state .

Historians of the Levant have considered the rulers to have good qualities or flaws in their qualities such as courage, courage, injustice, oppression, bloodshed, justice, love of science, etc .

The attention of the historians of the history books in the Levant during the eighth century AH focused mainly on the biography of the successors of the Muslims, sultans and kings who ruled in the Islamic countries, they pointed to the pros and cons of others, and insulted others to the disadvantages of their seat criticizing their morals and justice .

المقدمة

أهتم المؤرخون في مؤلفاتهم التاريخية بشكل كبير بالترجمة للشخصيات السياسية من حكام ووزراء، لكونهم يشكلون الخط في السلطة ويمتلكون حق التصرف بشؤون الدولة وإدارتها، لذلك اهتم المؤرخين المسلمين بسيرهم وتتبعوا أخبارهم فسجلوا لنا محاسنهم ومثالبهم.

ومن بين هؤلاء مؤرخي كتب التاريخ العام في بلاد الشام خلال القرن الثامن الهجري الذين استعانوا بالمصنفات التي سبقتهم في الكتابة، فنقلوا لنا منها أخبار الحكام والوزراء، الذين كان لهم دور في صنع الأحداث، فضلاً عن ذلك فإنهم يعدون من أبرز الشخصيات في الدولة، فذكروا لنا صفاتهم ومهاراتهم التي كانوا يتحلون بها، وأشاروا الى محاسن سياستهم، وانتقدوا أفعالهم وتصرفاتهم وظلمهم وقسوتهم، لكن على الرغم من أنهم أثنوا على بعض الخلفاء والملوك نظراً لما عرفوه عن سياستهم، وتدبيرهم وحسن سيرتهم، كان للهوى والميول تأثيرها في مصنفاتهم، فأشادوا ببعضهم لكونهم يتوافقون معهم سياسياً ومذهبياً .

والبحث في سير الحكام والوزراء يعد موضوع في غاية الأهمية، نطراً لمساهمته في التأكد من صحة الأخبار التاريخية، كما أنه يساعد في التوصل لتفسيرات وتحليلات مهمة قد ترتبط بالظروف التي كانت تحيط بالشخصية نفسها، وعليه يعتبر النقد لمثل هذه الشخصيات أمراً مهماً وضرورياً، لكونه يتعلق بوضع الأمة التاريخي وله دور بتصحيح مسيرتها، خاصة وأن مثل هذه الشخصيات من حكام ووزراء هي التي لعبت دوراً مهماً وبارزاً في صنع أحداث التاريخ، وعليه فإن النقد يعد بمثابة حكم تاريخي الغاية الاساسية منه تقويم الشخصيات، التي تناولها وترجم لها المؤرخ، وهذا ما سنعرفه من خلال ما استطعنا أن نقف عليه في هذا البحث .

أولاً: نقد الحكام

لقد نقل مؤرخو القرن الثامن الهجري أخبار بعض الحكام والملوك في التاريخ القديم، من المؤلفات التي سبقتهم في الكتابة، وتحدثوا عن صفاتهم، وأخلاقهم، وسياستهم وأشاروا الى سيرهم، وفي مدة التاريخ الإسلامي، وبعد تطور الكتابة التاريخية أصبحت التراجم جزءاً من التاريخ، فأهتموا في مؤلفاتهم بترجمة الشخصيات السياسية في مصنفاتهم، فعلاقات المؤرخين الدنيوية قد دفعتهم الى ضرورة الاهتمام برجال السياسة، من خلفاء وسلاطين ونحوهم[١]، وقد نظر مؤرخو الشام للحكام بما يمتازون به من مزايا جيده أو عيوب في صفاتهم مثل الشجاعة، والإقدام، والكرم، والجور، والبطش، وسفك الدماء، وكذلك العدل وحب العلم وغيرها من الأمور[٢]، من أجل بيان حال الحكام، لأن من أجل فوائد التاريخ

على رأي السخاوي:"أن الملوك ومن اليهم الأمر والنهي إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدونة في الكتب يتناقلها الناس فيرويها خلف عن سلف ونظروا إلى ما أعقبت من سوء الذكر وقبح الأحدوثة وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الأموال وفساد الأحوال استقبحوها وأعرضوا عنها واطرحوها فإذا رأوا سيرة الولاة والعارفين وحسنها وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم وأن بلادهم وممالكهم عمرت وأموالها درت استحسنوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا..."(٣)، ولعل ذلك يبين لنا الفائدة المتوخاة من معرفة سير الحكام .

وعليه فمن المفيد في بداية الأمر أن نذكر ما تناوله البعض من كتاب التاريخ العام في مصنفاتهم عن سير الحكام والملوك القدماء التي نقلوها من كتب تاريخية أخرى سبقتهم في التدوين استعرضت سياستهم وسلوكياتهم الظالمة مع الناس في أثناء فترات حكمهم، ولعلنا لا نخطئ إذا قلنا أن ابن كثير(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) يعد من أكثر مؤرخي الشام نقلا لقصص ملوك الأرض وسياساتهم، التي ورد ذكر بعضها في القرآن الكريم، ومن ذلك مثلاً ما ذكره عن النمرود ابن كنعان بن كوش الذي كان ظالماً ولبس رداء الكبرياء وأدعى الربوبية في زمن نبي الله إبراهيم(عليه السلام) الذي ناظره وألزمه الحجة وجاء ذلك في قوله تعالى **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**(٤) فعقب ابن كثير قائلاً:"...هذا الملك الجبار المتمرد الذي ادعى لنفسه الربوبية فأبطل الخليل عليه السلام دليله وبين كثرة جهله وقلة عقله وألجمه الحجة وأوضح له طريق المحجة"(٥)، وذكر خبر فرعون مصر الذي كان ظالماً وكافراً يستعبد الناس فأمر بقتل الغلمان الصغار من بني إسرائيل بعد أن عرف بخبر الغلام الذي يكون هلاكه على يديه وهو نبي الله موسى (عليه السلام)، وناقش عدد من الآيات القرآنية التي تحدثت عن ظلمه وجوره ومنها قوله تعالى﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾**(٦)، فقال ابن كثير في معنى ذلك:"تجبر وعتا وطغى وبغى وآثر الحياة الدنيا وأعرض عن طاعة الرب الأعلى"(٧)، وأورد ابو الفداء أراء عدد من كبار المؤرخين الذين سبقوه ومنهم ابن مسكويه(٤٢١هـ /١٠٣٠م) الذي تحدث عن سيرة الطبقة الأولى لملوك

الفرس القدماء وأحد ملوكهم المسمى (الملك جمشيذ)[٨]، الذي أشتهر في بداية أمره بسيرة صالحة ثم تجبر وظلم فقال بحقه:"بدل سيرته الصالحة بأن أظهر التكبر والجبروت على وزرائه وقواده، وآثر اللذات..."[٩]، كما نقل أيضاً ما ذكره أبو عيسى المنجم(٣٢٠هـ /٩٣٢ م)، في كتابه (تاريخ سني العالم) عن يزد جرد بن بهرام بن سابور أحد ملوك الطبقة من ملوك فارس ومما جاء فيه:"...كان فظاً خشن الجانب لئيم الأخلاق، فسلك أقبح سيرة من الظلم والعسف وسفك الدماء، ورأى الفرس منه من الشر ما لم يعهدوه من آبائه..."[١٠]، فهم قد وقفوا على سيرة الكثير من الحكام القدماء من ملوك الأرض الذين ظلموا ودونوا ذلك في مصنفاتهم ليكون حكمه موعظة لمن يأتي بعدهم .

ثم أن اهتمام مؤرخي كتب التاريخ العام في بلاد الشام خلال القرن الثامن الهجري قد تركز بشكل أساس على سيرة خلفاء المسلمين والسلاطين والملوك الذين حكموا في البلاد الإسلامية فأشاروا الى محاسن بعضهم، وقبحوا آخرين لمساوئ سياتهم منتقدين أخلاقهم وعدالتهم، وتجدر الإشارة الى أننا سنقتصر في دراستنا على بعض الشخصيات الحاكمة تجنباً للإطالة وطلباً للفائدة من تجارب التاريخ .

وللوقوف على سير بعض الحكام نذكر بهذا الصدد معاوية(٦٠.٤٠ هـ/ ٦٦ـ ٦٧٩م) الذي أثنى على سياسته كل من الذهبي وابن كثير وأوردا عدداً من الأحاديث التي أشادت به، ذاكرين له جملة من الصفات التي منها: العدل، والوقار، والحلم، والشجاعة[١١]، ولعل سبب ذلك نابع عن ولاءات مذهبية وسياسية دفعتهم إلى غض الطرف عما كان ثابتاً من مساوئه، فأبو الفدا قد أستعرض سياسته ولم يقتنع بها إذ أورد فيه ما ذكره عنه المؤرخ ابن واصل نقلاً عن الحسن البصري(ت ١١٠هـ/٧٢٨م) الذي قال فيه:"أربع خصال كن في معاوية، لو لم يكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة، وهي أخذه الخلافة بالسيف من غير مشاورة، وفي الناس بقايا الصحابة، وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه يزيد، وكان سكيراً خميراً يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش، والعاهر للحجر، وقتله حجر بن عدي وأصحابه..."[١٢]، ولعل أحسن وصف لمعاوية هو قول الإمام علي(عليه السلام) فيه:"والله ما معاوية بأدهى منى، ولكنه يغدر ويفجر..." [١٣] وأشاد أبو الفدا بالخليفة الأموي هشام بن عبد الملك(ت١٠٥ ـ

١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) قائلاً "كان حازماً سديد الرأي، غزير العقل، عالماً بالسياسة..."[١٤]، بينما وصفه كل من الذهبي والكتبي وابن كثير بصفات إضافية أخرى تتعلق بشخصه، وهي البخل، فضلاً عن الحلم[١٥]، ولعل هذا الوصف فيه نوع من الميول والمحاباة، لكونه لم يكن بخيلاً جماعاً للمال فقط بل كان سيء التدبير[١٦]، وعلل أحد الباحثين أسباب قيام ثورة زيد بن علي (عليه السلام) في عهد هشام بن عبدالملك الى وجود الظالمين وكثرة الفقراء والمستضعفين والمحرومين[١٧]، وفي ترجمة أبي جعفر المنصور (١٣٦- ١٥٨/ ٧٥٣ -٧٧٤م) قال الذهبي:"كان فحل بني العباس هيبة وشجاعة وحزماً ورأياً وجبروتاً، وكان جماعاً للمال...قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه..."[١٨]، وما جاء في المصادر التي غطت سيرة هذا الخليفة يدل على ما ورد في بعض نقد الذهبي له، فقد أشتهر بالحيلة والغدر، والبطش، وسفك الدماء[١٩]، إذ استخدم الإرهاب وفتك بالعلويين وحملهم لسجون العراق، ولم يُستثْنَ من بطشه وغدره أحد حتى المقربين له وأصحاب الفضل عليه في قيام دولته[٢٠]، وقال الذهبي بحق الخليفة المأمون(١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣ م):"كان من رجال بني العباس حزماً وعزماً، وحلماً وعلماً، ورأياً ودهاءً وهيبة وشجاعة..."[٢١]، ونقلت لنا المصادر مدى حزمه ودهائه، وبينت كيفية وصوله وارتقائه لسدة الحكم بعد انتصاره في حرب ضروس على أخيه الأمين(١٩٣- ١٩٨هـ/ ٨٠٨-٨٩٣م)، فضلاً عن محاولته نقل الخلافة لصالح العلويين وبيعته للإمام الرضا(عليه السلام)من أجل كسب الرأي العام لصالحه [٢٢]، وأثنى الذهبي على الخليفة أحمد المستظهر بالله العباسي (٤٨٧- ٥١٢هـ /١٠٩٤ - ١١١٨م) قائلاً:"كان قويَّ الكتابة جيّد الأدب والفضيلة، كريم الأخلاق، مسارعاً في أعمال البرّ"[٢٣]، وقال ابو الفدا بحق الملك الكامل الايوبي(٦١٥-٦٣٥هـ/ ١٢١٨ -١٢٣٧م) :"ملكاً جليلاً مهيباً حازماً، حسن التدبير، أمنت الطرق في أيامه، وكان يباشر تدبير المملكة بنفسه...وكان يخرج بنفسه فينظر في أمور الجسور عند زيادة النيل، وإصلاحها، فعمرت في أيامه ديار مصر أتم العمارة، وكان محباً للعلماء ومجالستهم" [٢٤]، وبالغ الذهبي وابن كثير أيضاً في وصفه[٢٥]،ومع مبالغتهم في مدحه نلحظ الصفدي الذي ترجم له ينتقده بقوله:"...كان فيه جبروت ومن عدله الممزوج بالعسف إنه شنق جماعة من الجند في أكيال الشعير"[٢٦]، وتجدر الإشارة الى أن الملك الكامل كان على المذهب الشافعي لذا فإن مدحهم له قد يكون

جاء من باب الميول المذهبية كونهم ينتمون للمذهب نفسه، فضلاً عن أنه أحد افراد البيت الذي ينتمي له أبو الفدا .

وبالمقابل أنتقد مؤرخو الشام في القرن الثامن الهجري سياسة بعض الحكام، من الذين لا تحمد ذكراهم وأفعالهم، فقد انتقد الذهبي الوليد بن عبدالملك(٨٦-٩٦هـ /٧٠٥ -٧١٤م) بقوله :"...كان جباراً ظالماً..."[٢٧]، وعند الرجوع لسيرته في المصادر التاريخية، تبين لنا قسوته وظلمه وإراقته لدماء المسلمين دون أي وازع ديني، فضلاً عن تتبعه للعلولين وأتباعهم فنالهم منه آذى كثير، وانتقد الكتبي تصرفات الخليفة الأموي الوليد بن يزيد(١٢٥ -١٢٦هـ/٧٤٢ -٧٢٤ م) بقوله :"كان مجاهراً بالفواحش مصراً عليها منتهكا لحرمات الله عز وجل وربما أتهمه بعضهم بالزندقة والانحلال..." [٢٨]، وأكد أخوه سليمان بن يزيد(ت١٣٢هـ/٧٤٩م)[٢٩] سوء خلقه بقوله"أشهد أنه كان ماجناً شروباً فاسقاً ولقد راودني عن نفسي"[٣٠]، ومع أن أغلب المصادر أتهمته بالكفر وأنه كان زنديقاً لواطاً سفيهاً يعاقر الخمر ويقطع دهره باللهو، وسماع المغنين[٣١]، نجد الذهبي يرد عنه بعض التهم مع أنه حاكم فاسق باعتراف جميع المؤرخين قائلاً"لم يصح عن الوليد كفر ولا زندقة نعم اشتهر بالخمر والتلوط فخرجوا عليه لذلك"[٣٢]، وفي ترجمة الخليفة العباسي الامين (١٩٣-١٩٨هـ/ ٨٠٨ -٨١٣م) نجد أبا الفدا يصف انغماسه في الملذات، وهدره للأموال، الأمر الذي تسبب في ضياع دولته، إذ قال:"...كان منهمكاً في لذات وشرب الخمر...وقسم الأموال والجواهر في خواصه..."[٣٣]، واشار بعض المؤرخين الى سوء تصرفات الأمين وعدم إدراكه لتحمل مسؤولياته كخليفة وحاكم يتولى أمور الرعية، تصرف بالأموال وانشغل بالخمر واللهو مع النساء[٣٤] .

ونجد من بين مؤرخي الشام من ينهج منهج المدافع عن خلفاء وملوك علقت بهم تهم أخرى غير مقبولة بين المسلمين، فقد حاول الذهبي في معرض نقده للمتوكل (٢٣٢ -٢٤٧هـ /٨٤٦-٨٦١م) أن يدفع عنه تهمة النصب، في عدائه لأهل البيت(عليهم السلام) إذ قال:"كان منهمكاً في اللذات والشرب...ولم يصح عنه النصب"[٣٥]، ولا يمكن إخفاء مساوئ المتوكل، ومنها مناصبة أهل البيت (عليهم السلام) العداء، إذ كان شديد الوطأة عليهم، وعمد الى قبر الإمام الحسين(عليه السلام) فحرثه وحاول أن يخفي أثره، وقتل كل من يقوم بزيارته[٣٦]، وهذا ما أكده

بعض المؤرخين ومن بينهم الكتبي الذي اتهم المتوكل بالنصب وأشار الى تصرفاته السيئة، وإجرائه الذي اتخذه في محاسبة من يحاول التقرب من قبر الإمام الحسين(عليه السلام)، إذ قال:"وكان المتوكل معروفاً بالنصب فتألم المسلمون لذلك وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان..." [٣٧]، وانتقد الذهبي سياسة السلطان الايوبي الملك الجواد مظفر الدين(٦٣٥-٦٤١هـ/١٢٣٧ -١٢٤٣م) قائلاً:"كان جواداً كلقبه، لكن كان حوله ظلمة، وهو مبذر لما في الخزائن"[٣٨]، بينما لم يصفه ابن كثير بالتبذير وأشار إلى تعرض الناس للأذى بسبب سياسته فقط، فانتقده قائلا:"كان في نفسه جيداً محباً للصالحين، ولكن كان في بابه من يظلم الناس..."[٣٩]، ولعلهم أرادوا أن يدفعوا عنه تهمة الظلم وينسبوها الى غيره .

كما انتقد مؤرخو الشام في القرن الثامن الهجري جانباً آخر من صفات الحكام، يتعلق بمقدرتهم الثقافية والمعرفية والعلمية ومن شواهد ذلك ما ذكره الذهبي عن المعتصم العباسي(١١٨-٢٢٧هـ/٨٣٢-٨٤١م) الذي وصفه بالشجاعة وعلو الهمة، لكنه انتقد تحصيله العلمي، بقوله:"...كان عرياً من العلم"[٤٠]، فهو لم يهتم سوى بالشؤون الحربية والعسكرية، وقد أكد ابن كثير ذلك منتقداً إهماله للجوانب الأخرى، إذ قال:"...كانت نهمته في الإنفاق فِي الحرب لا في البناء ولا في غيره"[٤١]، فمن المعروف أن من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الحاكم هو أن يكون على قدر من المستوى العلمي والثقافي، لكي يتمكن من تدبير أمور دولته وعمرانها، إلا أن ذلك لم يتحقق في المعتصم بحسب ما ذكر بعض المؤرخين ذلك عنه، إذ نقرأ عنه أنه استعان بكتابه في تدبير شؤون دولته لكونه كانت لديه معرفة قليلة في الاطلاع والقراءة، فضلاً عن ضعفه بالكتابة[٤٢] .

ولم يتورع أصحاب كتب التاريخ العام من توجيه النقد للحكام الذين اتصفوا بالضعف، وقلة التدبير، وعدم الحزم، ومن ذلك نذكر الخليفة المستعصم العباسي(٦٤٠- ٦٥٦هـ/ ١٢٤٢- ١٢٥٨م)الذي قتل على أيدي المغول، فقال عنه اليونيني:"...كان قليل التدبير والتيقظ نازل الهمة محباً لجمع المال مهملاً للأمور يتكل فيها على غيره ويقدم على فعل ما يستقبح ولا يناسب منصبه..."[٤٣]، وقال عنه أبو الفدا:"كان ضعيف الرأي، قد غلب عليه أمراء دولته لسوء تدبيره..."[٤٤]، وربما بدواعي مذهبية حاول الذهبي الذي انتقد سياسته وضعفه، أن يعلق كل الآثار السلبية التي نتجت عن سياسته على وزيره ابن العلقمي من

دون أي مسوغ شرعي أو دليل تاريخي، إذ قال:"كان يلعب بالحمام، ويهمل أمر الإسلام، وابن العلقمي يلعب به كيف أراد، ولا يطلعه على الأخبار، وإذا جاءته نصيحة في السر أطلع عليها ابن العلقمي ليقضي الله أمراً كان مفعولا"[٤٥]، وبالرجوع إلى كتب التاريخ المعاصرة له أو القريبة منه، والتي تحدثت عن سيرته السياسية تبين لنا ضعفه، وأنه صاحب خيالات فاسدة ولهو، يلعب بالطيور وأمره بيد النساء .

وبفعل التعصب المذهبي نجد بعض مؤرخي التاريخ العام يصبون سوط غضبهم على الخلفاء الفاطميين لكونهم ليس على مذهبهم ؛ إذ انتقد أبو الفدا سيرة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله(٣٨٦-٤١١هـ /٩٩٦ -١٠٢٠م)، قائلاً:"كان جواداً بالمال، سفاكاً للدماء، وكان يصدر عنه أفعال متناقضة..."[٤٦]، بينما قال عنه الذهبي :"كان جواداً سمحاً، خبيثاً ماكراً، رديء الاعتقاد، سفاكاً للدماء، قتل عدداً كبيراً من كُبراء دولته صبراً، وكان عجيب السيرة، يخترع..."[٤٧]، والحقيقة أن أخبار المؤرخين لم تتفق وهي متضاربة، إذ وصفه بعض المؤرخين بالقسوة والظلم وسفك الدماء والكفر[٤٨]، بينما نجد ابن خلدون يدافع عن الحاكم بأمر الله معتبراً ما نسب اليه غير صحيح، إذ قال :"...وأمّا ما يرمي به من الكفر وصدور السجلات بإسقاط الصلوات فغير صحيح، ولا يقوله ذو عقل..."[٤٩]، كما دافع باحثون معاصرون عن شخصية الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي وأثبتوا أن تعصب بعض المؤرخين ضده كان من اهم الاسباب التي تقف وراء انتقادهم له[٥٠]، وانتقد الكتبي الخليفة الحاكم الفاطمي (٤٩٥- ٥٢٤هـ/ ١١٠١- ١١٢٩م) بقوله:"...كان رافضياً فاسقاً جائراً مستهزئاً لعاباً يتظاهر بالمنكر ذا كبر وجبروت..."[٥١]، وعلى الرغم من أنه قد هاجمه بشراسة موجهاً له شتى التهم، إلا اننا عند تتبع سيرة هذا الخليفة يتبين لنا أنه عندما استلم الخلافة كان صغير السن، إذ ليس هناك من تسمى بالخلافة من هو أصغر منه سناً وقد تحكم في الدولة وزراء دولته ولم يكن له من الأمر شيء[٥٢]، وعن آخر الخلفاء الفاطميين ابي محمد عبدالله العاضد (٥٥٥-٥٦٧هـ/١١٦٠-١١٧١م)هـ قال ابن كثير:"...كانت سيرته مذمومة، وكان شيعياً خبيثاً، لو أمكنه قتل كل من قدر عليه من أهل السنة..."[٥٣]، ولا يمكن قبول هذا النقد؛ لأن عهد هذا الخليفة شهد ضعفاً سياسياً، فضلاً عن تسلط الطامعين في الوزارة من أهل السنة

وزادت المنافسة بينهم وأدى الأمر بالتالي إلى تسلط صلاح الدين[٥٤]، الذي سلب الخليفة العاضد كل صلاحياته، وأوقع بأمراء الدولة وليس الأمر كما صوره ابن كثير[٥٥] .

كما تعرضوا لحكام البلاد الإسلامية في بلاد الأندلس والمغرب فانتقدوا تصرفاتهم، وأفعالهم وأشاروا الى قوتهم وضعفهم، إذ قال الذهبي في الأمير الحكم بن هشام(١٨٠. ٢٠٦هـ/٨٢١.٧٩٦م) المعروف بالربضي:"...كان فارساً شجاعاً فاتكاً جباراً ذا حزم ودهاء..."[٥٦]، بينما انتقد الكتبي قسوته وظلمه، وأورد فيه ما ذكره ابن حزم (ت ٤٥٦هـ /١٠٥٨م)، عن تاريخ الأندلس:"كان الحكم من المجاهرين بالمعاصي السفالين للدناءة له أثار قبيحة..."[٥٧]، ولعل لهذا النقد ما يبرره فقد مارس الحكم سياسة قاسية تجاه خصومه ومعارضيه[٥٨]، وفي ترجمة علي بن تاشفين (٥٠٠-٥٣٧هـ / ١١٠٦ -١١٤٢م) المعروف بأمير المسلمين وصف الذهبي حال دولته ثم قال :"أهمل أمر الرعية غاية الإهمال، وكان يعلم من نفسه العجز..."[٥٩] .

وبسبب الخلاف والمنافسة السياسية بين دولتي المغول والمماليك وجه مؤلفي كتب التاريخ العام نقدهم لحكام دولة المغول التي سيطرت على فارس والعراق، وأسقطت الخلافة العباسية، فالذهبي قد نقل رأي عدد من المؤرخين ومنهم رأي الظهير الكازروني (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م) الذي أثنى على هولاكو ملك التتر لكونه قد أقر بالشهادتين وأسلم، فقال بحقه:"عاش هولاكو نحو خمسين سنة، وكان عارفاً بغوامض الأمور وتدبير الملك، فاق على من تقدمه وكان يحب العلماء ويعظمهم ويشفق على رعيته ويأمر بالإحسان إليهم"، فرد الذهبي منتقداً ذلك بقوله:"وهل يسع مؤرّخًا في وسط بلاد سلطانٍ عادلٍ أو ظالِمٍ أو كافرٍ إلا أن يُثني عليه، ويكذب، فالله المستعان؛ فلو أُثني على هولاكو بكل لسانٍ لاعترف المثني بأنه مات على ملة آبائه، وبأنه سفك دم ألف ألفٍ أو يزيدون فإن كان الله مع هذا قد وفقه للإسلام فيا سعادته، لكن حتى يصح ذلك"[٦٠]، في حين قال عنه الكتبي"...سيرته قد عرفت، كافر ابن كافر مسلط على قتل العالم بأسرهم..."[٦١]، ولم يكن ابن كثير أقل تشدداً، إذ قال:"...كان ملكا جبارا فاجرا كفارا لعنه الله، قتل من المسلمين شرقا وغربا ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم..."[٦٢]، ولسنا هنا طبعاً لندفع التهم عن هولاكو، إذ لا يخفى على القارئ الجرائم التي ارتكبها وتحت قيادته اجتاح المغول معظم البلاد الإسلامية، لكن الذي أريد قوله

هو أن بعض المؤرخين الذين ترجموا له قد نعتوه بنعوت أخرى مثل الشجاعة، والهمة، والحزم، والمهابة، ومحبة العلم والعلماء[٦٣]، وهذا ما لا نجده عند الذهبي وابن كثير وبقية مؤرخي الشام الذين اتهموه فقط بالقتل وسفك الدماء، ووصف الذهبي الملك ابغا بن هولاكو(٦٦٤ ـ٦٨٠هـ/ ١٢٦٥ـ ١٢٨١م) بقوله:"كان كافر النّفس، سفّاكًا للدماء..."[٦٤]، وهذا يخالف ما ذكر عن هذا السلطان فسيرته حسنه عند مؤرخين آخرين من اصحاب كتب التاريخ العام في بلاد الشام، إذ وصفوه بأنه كان ملكاً عظيماً عالي الهمة جليل المقدار ولم يتهموه بكثرة القتل وسفك الدم[٦٥]، ولعل محاولات هذا السلطان المتكررة لدخول بلاد الشام، فضلاً عن محاربته ممالك الروم الذين خلعوا طاعته ودخلوا في طاعة الملك الظاهر كانت وراء توجيه النقد له من قبل الذهبي[٦٦]، ووصف البرزالي السلطان أرغون بن اباقا (٦٨٣–٦٩٠هـ/١٢٨٤ـ١٢٩١م) بقوله :"كان شهماً...سفاكاً للدماء، شديد النفس"[٦٧]، بينما نعته ابن الجزري والذهبي بالشهامة وشدة السطوة، والبطش والجبروت[٦٨]، ونلحظ من خلال ما ذكروه تناقضاً واضحاً ؛ أذ انهم يصفونه بالشهامة ثم يتهمونه بشراسة الخلق، واتهم ابن حبيب السلطان اولجايتو المعروف محمد خدابنده(٧٠٣ـ٧١٦هـ / ١٣٠٤ـ١٣١٦م) باللهو وارتكاب المعاصي[٦٩]، مع أن الذي سجلته المصادر يشير إلى خلاف ذلك، إذ عرف عند علماء الشيعة بأنه صاحب ذوق سليم ويتمتع بصفات جليلة يعاشر الفقهاء ويأنس بهم، وأسس مدرسة دينية وهي المدرسة السيارة لتربية الطلبة وإعدادهم[٧٠]، ولعل سبب اتهامه هو تشيعه، ثم أنه علينا أن لا نستغرب مثل هذه المواقف من قبل مؤرخي الشام تجاه حكام المغول لكون هؤلاء حكام دوله معادية لدولة المماليك، ودخلوا في حروب عديده معهم نتيجة غزوهم لبلاد الشام، فلا يمكن أن يثمنوا جهودهم ليثنوا عليهم .

وقد أظهر مؤرخو القرن الثامن الهجري محاباتهم لحكام دولة المماليك الذين عاصروهم، فلم ينتقدوهم، بل أثنوا عليهم وركزوا على ذكر محاسنهم، متجنبين كل ما يزعجهم أو يثير غضبهم، إذ ليس من السهل على المؤرخ أن يوجه النقد لحكام الدولة القابع تحت سيطرتها، لكون التاريخ يكتب بعقلية (النظام المسيطر) ولذلك فهم قد شكلوا واجهة ودعاية اعلامية لهم، إذ كانوا يشيرون لهم بعبارات التأييد والنصر مثل (أيده الله) و(نصره الله) التي نوهنا عليها سابقاً، لكن مع ذلك نجد منهم من يتحلى بالشجاعة، ومن ذلك مثلاً

موقف ابن الوردي من الملك الكامل شعبان(٧٤٦-٧٤٧هـ/ ١٣٥٤ -١٣٤٦م)[٧١] الذي تم عزله وإقالته فقال بحقه:"...سيء التصرف، يولي المناصب غير أهلها بالبذل، ويعزلهم عن قريب ببذل غيرهم، وكان يقول عن نفسه أنا ثعبان لا شعبان"[٧٢]، وقد تطرقنا لتفصيلات واسعة عن ذلك ضمن الفصل الثاني المبحث الثالث، والذي تضمن تأثير العامل السياسي على النقد وعليه فلسنا بحاجة لتكرار ما ذكرناه عنهم .

المهم في الأمر أن الأحكام النقدية التي اطلقها مؤرخو كتب التاريخ العام في القرن الثامن الهجري قد جاءت نتيجة اعتمادهم على ما وجدوه في كتب من سبقوهم في الكتابة التاريخية، فهم في الحقيقة قد نقلوا ما تناقلته مصنفات المؤرخين الذين عاصروا حكام الدول السابقة لهم من الأمويين أو العباسيين وغيرهم، أما حكام المماليك ففي الغالب كان هؤلاء يمجدونهم ويثنون عليهم رعاية لمصالحهم[٧٣]، فضلاً عن ذلك فإن بعض الأحكام التي أطلقها مؤرخو القرن الثامن الهجري قد جاء نتيجة لميول سياسية أو مذهبيه تجاههم، إذ ليس كل ما موجود في المصنفات التاريخية هو مصدق ومسلم به أو صحيح ويجب الأخذ به أو تقبله، فالمؤرخ في بعض الاحيان لا يجرد نفسه من اتباع الهوى أو الميول ويخضع بنتيجة ذلك لمؤثرات السياسة والمذهبية، ويقوم بالتالي في إطلاق أحكام غير مقبولة بدوافع مصلحية لصالح جهات قريبه منه سياسياً ومذهبياً .

ثانياً: نقد الوزراء .

يعتبر منصب الوزير من المناصب السيادية والمهمة في الدولة، لكون الوزير يحمل عن الحاكم بعض الأعباء ويقوم بإدارة شؤون البلاد،[٧٤] ، يقول أبن خلدون:"أنّ السّلطان في نفسه ضعيف يحمّل أمرا ثقيلا فلا بدّ له من الاستعانة بأبناء جنسه وإذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وسائر مهنه فما ظنّك بسياسة نوعه ومن استرعاه الله من خلقه وعباده..."[٧٥] وفي قوله تعالى: ﴿ **ووضعنا عنك وزرك، الذي انقض ظهرك**﴾[٧٦]، ما يؤكد هذا المعنى، فالحاكم يلجأ إلى رأي الوزير وتدبيره في أيام المحن والشدائد، وقد قال تعالى على لسان موسى:﴿ **واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري**﴾[٧٧]، أي أنه قد طلب من الله تعالى أن يشد عضده بأخيه، لكي يكون عوناً له، فالوزير عون للخليفة والسلطان وحتى النبي لكونه يحمل ثقله ويعينه على أعباء السياسة، وقد أشار الله

تعالى الى دور هامان الذي كان وزيراً لفرعون بقوله تعالى:﴿ **يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب...**﴾[٧٨]، وهو ما يبين لنا مرتبة الوزير ومنزلته .

المهم قد سلط اصحاب كتب التاريخ العام في القرن الثامن الهجري الضوء على دور بعض الوزراء وإنجازاتهم التي حققوها، فضلاً عن ذكرهم لمحاسن ومساوئ الكثير منهم، ومن ذلك نذكر الوزير أبا سلمة الخلال (ت١٣٢هـ/٧٤٩م)، الذي وقع عليه اسم أول وزير في دولة بني العباس، فأثنى عليه الذهبي بقوله:"...كان أديباً عالي الهمة عالماً بالسياسة والتدبير..."[٧٩]، ، فهو أول من اشتهر بالوزارة، ولم يكن قبله في أيام الأمويين وغيرهم من نعت بهذا الاسم، وكان يتمتع بخبرة ودراية واسعة في إدارة الأمور السياسية خلال فترة وزارته [٨٠]، ووقف الذهبي على محاسن ومساوئ الوزير الشهير جعفر البرمكي(ت١٨٧هـ/٨٠٣م) بقوله:"...عالماً، أديباً، يضرب بجوده المثل، وكان مسرفاً على نفسه، غارقاً في بحر اللذات والمعاصي..."[٨١]، ولعل لكلام الذهبي ما يبرره، فمع ما عرف به جعفر البرمكي من مقدرة وذكاء وكفائه وكلمة نافذة إلا أنه كان مولعاً بشرب الخمر واقتناء الجواري والمغنيات[٨٢]، كما ونذكر الوزير أبو الحسن علي بن عيسى الجراح (ت٣٣٥هـ /٩٨٥م) الذي أصبح وزيراً لكل من الخليفة المقتدر(٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٧-٩٣٢م) والقاهر (٣٢٠-٣٢٢هـ/٩٣٢-٩٣٤م) فأثنى عليه الذهبي بقوله "كان صدوقا ديناً، خيراً، صالحاً عالماً من خيار الوزراء، ومن صلحاء الكبراء...كثير البر والمعروف، والصلاة والصيام، ومجالسة العلماء"[٨٣]، ونجد اليونيني يثني على الوزير المملوكي هبة الله بن صاعد الفائزي (ت٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م)، الذي كان وزيراً للملك المعز ايبك (٢٤٨-٦٥٥هـ / ٨٦٢- ١٢٤٧م) أول سلطان لدولة المماليك، بقوله:"...كان فيه كرم طباع وأريحية وحسن نظر في حق من يصحبه..."[٨٤]، كما نال أيضاً رضا واستحسان كل من الذهبي وابن كثير[٨٥]، وبالرجوع للمصادر التي غطت سيرته في مرحلة لاحقة تبين لنا ظلمه وتعسفه، وكثرة مصادراته للناس والتنكيل بهم[٨٦]، ولعل من أهم الأسباب التي تقف وراء ذكرهم لمحاسنه وعدم توجيه أي نقد له كونه ينتمي لمذهبهم، فضلاً أن هؤلاء المؤرخون كانوا يمثلون الواجهة الإعلامية لدولة المماليك، وعلى ذلك فهم لم يستطيعوا تحرير انفسهم من قيود السطلة وكانوا يحاولون دائماً تحسين صورة ساستها أمام الرأي العام .

ومن جانب آخر فإن مؤرخي القرن الثامن الهجري انتقدوا بعض الوزراء وعرضوا بهم، نظراً لسوء تدبيرهم، وظلمهم وتعسفهم، فقد انتقد الذهبي الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان الحارثي (ت٢٩١هـ/٩٠٣م) وزير المعتضد العباسي (٢٧٩-٢٨٩هـ / ٨٩٢-٩٠١م) بقوله:"كان من ظلمة الوزراء ومتموليهم...وكان مع قلة خبرته سفاكاً للدماء..."[٨٧]، ثم أننا نجده ينقل فيه آراء عدد من المؤرخين، ويدلي برأيه فيه بصراحة مبيناً عدم رضاه عنه بقوله:"فهذه الأمور دالة على انحلال هذا المعثر" [٨٨]، ثم أن ابن خلكان ذكر عدة أعمال تدل على ظلم هذا الوزير وتهوره [٨٩]، ووصف الذهبي الوزير حامد بن العباس (ت٣١١هـ/٩٢٣م)[٩٠]، وزير الخليفة المقتدر بقوله"...ظهر منه سوء تدبير، وقلة خبرة بأعباء الوزارة، وشراسة خلق..."[٩١]، ومع أن ابن كثير قد ذكر سخاءه وكرمه إلا أنه انتقد سوء تدبيره وكيفية تصرفه بالأموال بقوله:"له حكايات تدل على بذله وإعطائه الأموال الجزيلة، ومع هذا كان قد جمع شيئا كثيرا، وجد له في مطمورة ألوف من الذهب، كان كل يوم إذا دخلها ألقى فيها ألف دينار، فلما امتلأت طمها..."[٩٢]، ولعل ما ذكرته المصادر عن هذا الوزير من سوء تدبير وخلق وظلم للناس وتعدي على حقوقهم، فضلاً عن تلاعبه بالأموال يتوافق مع رأي الذهبي وابن كثير فيه وانه يستحق النقد والوصف الذي وصفوه به[٩٣]، وعلى الرغم من إشادة ابن كثير بكفاءة الوزير أبو الحسن علي بن محمد المعروف بأبن الفرات(ت ٣١٢هـ/٩٢٤م) الذي تولى الوزارة عدة مرات للخليفة المقتدر إلا أنه انتقده بسبب ظلمه بقوله:"...ظلم وغشم وصادر الناس وأخذ أموالهم..."[٩٤]، ونال الوزير علي بن احمد المعروف بالسميرمي (ت٥١٦هـ/١١٢٢م)[٩٥] احد وزراء الدولة السلجوقية نقد الذهبي بقوله :"ظلم وفسق وتجبّر ومرق..."[٩٦]، بينما وصفه الكتبي بأنه:"...كان مجاهراً بالظلم والفسق، واحدث على الناس مكوساً، وحددها بعدما كانت من مدة متطاولة..."[٩٧]، وبالرجوع لسيرته تبين لنا قسوته وبطشه ومجاهرته بالظلم، يؤكد لنا ذلك قوله عن نفسه الذي تناقلته المصادر:"لقد سننت على أهل بغداد السنن الجائرة، فكل ظالم يتبع أفعالي وقد فرشت حصيرا في جهنم، وقد استحييت من كثرة التعدي على الناس وظلمي من لا ناصر له"[٩٨]، ووصف الذهبي الوزير علي بن السلار الملك العادل(ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) وزير الخليفة الفاطمي الظافر بالله (٥٤٤-٥٤٩هـ/١١٤٩- ١١٥٤م) بقوله:"كان شهماً شجاعاً...إلا أنه كان جباراً

ظالماً، ذا سطوة، يأخذ بالصغائر والمحقرات..."[٩٩]، ونعته الكتبي وابن كثير أيضاً بالظلم والتسلط على رقاب الناس[١٠٠]، ومن خلال ما ذكره ابن خلكان الذي تناول سيرته تتضح لنا سطوة هذا الوزير، إذ نقل عنه حكايات غريبة في محاسبته للناس على أتفه الأسباب[١٠١]، وأنتقد ابن الجزري سيرة الوزير المملوكي سنجر الشجاعي(ت٦٩٣هـ/١٢٩٣م) وزير السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذي تعرض للاغتيال من قبل أمراء المماليك بقوله:"والسبب كراهيتهم فيه وبغضهم له على أفعاله السيئة، وظلم نفسه ومصادراته للعالم، وتنوعه في الظلم والعسف وجبروته، سلط الله عليه من قتله وأشفى صدور العالم منه..."[١٠٢]، وعند تتبع سيرته يتبين لنا أن هذا الوزير قد استغل ضعف السلطان وصغر سنه، فتصرف في الدولة وسفك الدماء، لذا كانت نهايته القتل[١٠٣].

ومن الوزراء من تعرض للنقد من قبل كتاب التاريخ العام بسبب خشونة أخلاقه وشراستها، فعلى الرغم مما نقله الذهبي عن الوزير أحمد بن أبي خالد ابو العباس الكاتب(ت ٢١٢هـ/٨٢٧م) الذي استوزره الخليفة المأمون بعد الحسن بن سهل من خبرة وتدبير للأمور وكرم إلا أنه انتقد أخلاقه بقوله:"...فيه فظاظة وزعارة أخلاق..."[١٠٤]، ومع أننا نجد الكتبي يذكر مساوئ عدة لهذا الوزير، لكنه يحاول أن يدافع عنه أمام منتقديه، فيقول بحقه:"...كان سيء اللقاء عبوس الوجه لا يسر في وجهه الخاص والعام غير أن داخله حسن اللقاء...فمن عرف أخلاقه وصبر على مداراته نفعه فوق الشيء..."[١٠٥]، ومن خلال متابعتنا لبعض المصادر التي تحدثت عن سيرة هذا الوزير يتبين لنا أنه كان يتميز ببعض السلوكيات السلبية في أخلاقه وتصرفاته، حتى تعرض لهجاء بعض الشعراء بسبب ذلك[١٠٦] .

كما انتقد مؤرخو القرن الثامن سلوكيات الوزراء الذين استغلوا مناصبهم من أجل الحصول على الأموال عن طريق الارتشاء، فعملوا على بيع المناصب، مستغلين ضعف بعض الخلفاء، ومن شواهد ذلك ما ذكره أبو الفدا من تصرفات وسلوكيات للوزير محمد بن يحيى بن عبيد الله ابن خاقان(ت٣١٢/٩٢٤م) الذي تولى الوزارة للخليفة المقتدر بقوله :"...كان ضجوراً، وتحكمت عليه أولاده، فكل منهم يسعى لمن يرتشي منه فكان يولي العمل الواحد عدة من العمال في الأيام القليلة، حتى أنه ولى ماء الكوفة، في عشرين يوماً، سبعة من العمال..."[١٠٧]

وترك الهوى والتعصب المذهبي أثره في موقفهم من بعض الشخصيات الوزارية ومن ذلك نذكرالوزير الذائع الصيت الصاحب إسماعيل بن عباد(ت٣٨٥هـ/٩٩٥م)[١٠٨] الذي كان أحد وزراء الدولة البويهية، نجد الذهبي يشكك في قدراته العلمية بقوله:"قيل كان فصيحاً مفوهاً، لكنه يتقعر في خطابه، ويستعمل وحشي اللغة حتى في انبساطه، وكان يعيب التيه ويتيه، ولا ينصف من ناظره..."، وهذا يخالف ما ذكر عن سيرة ابن عباد من قبل مؤرخين آخرين[١٠٩]، وعلى أثر النكبة التي حلت بالعالم الإسلامي تعرض الوزير الشيعي ابن العلقمي (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م) وزير الخليفة المستعصم الى كثير من التجريح والنقد من قبل مؤرخي القرن الثامن الهجري الذين اسندوا له جريمة دخول المغول للعالم الإسلامي وإنهاء الحكم العباسي، دون أي دليل معقول يذكر، وكل ذلك بسبب التعصب والخلاف المذهبي، ومن ذلك قول اليونيني:"وسبب ذلك أن وزير الخليفة كان رافضياً وأهل الكرخ روافض...والفتن لا تزال بينهم وبين أهل البصرة فإنه...أضمر هذا الأمر في نفسه وحصل عنده بسبب ذلك الضغن على الخليفة...وكاتب التتر وأطمعهم في البلاد..."[١١٠]، بينما وصفه الذهبي بقوله:"كان رافضيا جلدا خبيثا داهية، والفتن في استعار بين السنة والرافضة حتى تجالدوا بالسيوف، وقتل جماعة من الروافض ونهبوا...فحنق الوزير ونوى الشر..."[١١١]، وهاجمه ابن كثير بقسوة قائلاً:"...كان رافضياً خبيثا رديء الطوية على الإسلام وأهله..."[١١٢]، فالمنازعات الدينية لا يمكن أن تشكل دليلاً على تآمر ابن العلقمي على الخلافة لكون المنازعات الطائفية كانت مألوفة منذ ايام البويهيين، وعليه فمن المفترض عليهم كمؤرخين أن يبحثوا عن أسباب أخرى معقوله ومقبولة منطقياً .

وتعد الكتابة وجودة الخط من المميزات المهمة التي يجب أن يتميز بها الوزير لذا فمن الوزراء من تعرض للنقد بسبب ضعف كتابته وخطه ومن ذلك ما ذكره ابن الجزري بحق أبي البقاء تقي الدين المعروف بابن توبة التكريتي (ت٦٩٨هـ/١٢٩٧م) الذي أصبح وزيراً في الشام من قبل السلطان زين الدين كتبغا(٦٩٤-٦٩٦هـ/١٢٩٤-١٢٩٦م) قائلاً :"كان يكتب خطاً ضعيفاً ولما وزره السلطان انكروا عليه وقالوا: يولي لمن لا يحسن الخط..."[١١٣]، فهو مع اشادته به إلا أنه أنتقد ضعف خطه، ويبدو أن هذا الحكم النقدي قد

انفرد به ابن الجزري، إذ تعرض هذا الوزير للنقد من قبل بعض المؤرخين لأسباب أخرى لعل أهمها الظلم والتعسف[١١٤] .

الخاتمة

١. أن كتاب التاريخ العام في بلاد الشام خلال القرن الثامن الهجري قد أثنوا على بعض الخلفاء والملوك والوزراء نظراً لما عرفوه عن سياستهم، وتدبيرهم وحسن سيرتهم، لكن كان للهوى والميول تأثيرها في مصنفاتهم، فأشادوا ببعضهم لكونهم يتوافقون معهم سياسياً ومذهبياً.

٢. أن الاحكام النقدية التي أطلقها المؤرخون على الحكام والوزراء قد أنصبت على الظلم والتعسف وسوء التدبير .

٣. لم يجرد مؤرخو القرن الثامن الهجري أنفسهم من التعصب المذهبي، في موقفهم من بعض من بعض الحكام والوزراء فجاءت بعض أحكامهم غير دقيقه، تحمل نفساً مذهبياً، وتعصبياً .

٣. ركز مؤرخو القرن الثامن الهجري في أكثر نقدهم للحكام والوزراء الذين عاشوا في عصور متقدمة عنهم مبينين مثالبهم، وذلك بالاعتماد على مؤلفي المصادر التاريخية الذين سبقوهم بالكتابة .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المخطوطات

- ابن حبيب، الحسن بن عمر(ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) :

١. **درة الإسلاك في دولة الأتراك**، مكتبة أيا صوفيا، شبكة الألوكة .
www. Alkuah . net

- الكتبي، محمد بن شاكر(٧٦٤هـ/١٣٦٢م) :

٢. عيون التواريخ، ج٥وج٦، مكتبة العتبة العباسية، قسم المخطوطات، تسلسل رقم

(٨١) و(٨٢) .

ثالثاً: المصادر

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) :

٣. الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي،(بيروت . لبنان -١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).

- الاصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين(ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م) :

٤. مقاتل الطالبين، ط٢، منشورات المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف، د.ت) .

- البرزالي، علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف(ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م) :

٥. المقتفي على كتاب الروضتين، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية، (صيدا ـ بيروت ـ ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) .

- ابن تغر بردي، ابو المحاسن يوسف جمال الدين (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) :

٦. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، الهيئة العامة للكتاب، (د.م ـ د.ت).

٧. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، (مصر- د.ت) .

- ابن الجزري، شمس الدين محمد بن ابراهيم القرشي(٧٣٨هـ/١٣٣٧م) :

٨. حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، (صيدا ـ بيروت ـ ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) .

- ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن(ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) :

٩. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت ـ ١٤١٢ هـ /١٩٩٢ م) .

- ابن حبيب، الحسن بن عمر(ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م) :

١٠. تذكرة النبيه في ايام المنصور وبنيه، تحقيق، محمد محمد امين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة .١٩٨٢م) .

- ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد(ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م) :

١١. شرح نهج البلاغة، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب

العربية، (مصر ـ ١٩٦٢م) .

- الحلي ، ابن المطهر أبو منصور الحسن بن يوسف(ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م) :

١٢. مختلف الشيعة، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم ـ ١٤١٣هـ) .

١٣. قواعد الأحكام، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم ـ١٤١٣هـ)

- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) :

١٤. تاريخ بغداد، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت ـ لبنان، ١٤١٧هـ /١٩٩٧م) .

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد(ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) :

١٥. العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط١، دار الفكر، (بيروت، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م).

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) :

١٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، (بيروت ـ د.ت) .

- الذهبي، شمس الدين ابو عبدالله (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) :

١٧. تاريخ الإسلام، تحقيق :عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، (بيروت ـ ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) .

١٨. العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية، (بيروت ـ د.ت) .

- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت٥٨٣هـ/١١٨٧) :

١٩. ربيع الابرار ونصوص الأخبار، تحقيق: عبد الامير مهنا، ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت ـ ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) .

- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م) :

٢٠. الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق: أحمد باشا تيمور، القدسي، (دمشق ـ ١٣٤٩هـ) .

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) :

٢١. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط١، دار احياء الكتب العربية، (مصر -١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) .

- أبي شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن(ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م) :

٢٢. الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، ط١، مؤسسة الرسالة،(بيروت - ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م) .

- الصفدي، الخليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) :

٢٣. الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – (بيروت - ١٤٢٠هـ-/٢٠٠٠م) .

- ابن طيفور، ابو الفضل احمد بن ابي طاهر(ت٢٨٠هـ/٨٩٣م) :

٢٤. كتاب بغداد، تحقيق: عزت العطار الحسيني، ط٣، مكتبة الخانجي، (القاهرة - ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م) .

- ابن العبري، ابو الفرج غريغوريوس الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) :

٢٥. تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط٣، دار الشرق، (بيروت -١٩٩٢م) .

- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م) :

٢٦. تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة، دار الفكر، (بيروت -١٤١٥هـ /١٩٩٥ م).

- ابو الفدا، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل(ت٧٣٢هـ/١٣٣١م) :

٢٧. المختصر في أخبار البشر،ط١، المطبعة الحسينية المصرية، (القاهرة، د.ت) .

- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ/٩٨٩م) :

٢٨. المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة - ١٩٩٢م).

- القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) :

٢٩. صبح الاعشى في صناعة الأنشا، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت - د.ت) .

- الكتبي، محمد بن شاكر بن احمد (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) :

٣٠. عيون التواريخ، ج١٢،ج٢٠،ج٢١، تحقيق: فيصل السامر، ونبيلة عبد المنعم، وزارة الثقافة والاعلام ، (بغداد ١٢٩٧ هـ ـ ١٩٧٧م) .

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) :

٣١. البداية والنهاية، دار الفكر، (بيروت ـ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م) .

٣٢. المسعودي، علي بن الحسين بن علي(ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) :

٣٣. مروج الذهب ومعادن الجوهر،ط٢، منشورات دار الهجرة، (قم ـ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) .

٣٤. التنبيه والإشراف، دار صعب، (بيروت ـ د.ت) .

٣٥. المقريزي، تقي الدين احمد بن علي،(ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) :

٣٦. السلوك لمعرفة دول الملوك، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت . ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) .

- ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر أبو حفص المعري (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) :

٣٧. تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية – (بيروت ـ ١٤١٧هـ/١٩٩٦م) .

٣٨. اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد(ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م) :

٣٩. ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الإسلامي، ا(لقاهرة ـ١٤١٣ هـ/١٩٩٢م) .

ثالثاً: المراجع

- الأمين، السيد محسن :

١. أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت –١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) .

- ديورانت، وليام جيمس :

٢. قصة الحضارة، تعريب، نجيب محمود وآخرون، دار الجبل، (بيروت ـ ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م) .

- روزنثال، فرانز :

٣. علم التاريخ عند المسلمين، ط٢، مؤسسة الرسالة، (بيروت ـ ١٤٠٣هـ /١٩٨٩م) .

- الشاكري، حسن :

٤. موسوعة المصطفى والعترة، ط١، نشر الهادي، (قم ـ ١٤١٩هـ) .

- هادي، رضا، وعاتي، كريم :

٥. محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس،ط٣، (بغداد ـ ٢٠١٣م) .

- ووكر، بول :

٦. الفكر الاسماعيلي في عصر الحاكم بأمر الله، ط١، تعريب: سيف الدين القصير ،المدى للثقافة والنشر،(دمشق ـ ١٩٨٠م) .

- اليوزبكي، توفيق سلطان :

٧. دراسات في النظم العربية الإسلامية، ط٣، (جامعة الموصل ـ ١٩٨٨م) .الشكعة، مصطفى :

الهوامش

(١) ينظر: روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ص١٤٢ .

(٢) المرجع نفسه، ص٤٥٢ .

(٣) الاعلان بالتوبيخ، ص٢٣ .

(٤) سورة البقرة: آية(٢٥٨) .

(٥) البداية والنهاية، ج١/ص١٤٨ .

(٦) سورة القصص: آية (٤)

(٧) البداية والنهاية، ج١/ص٢٢٧ .

(٨) ينظر ما نقله عنه: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ص٤٠٩ ؛ ديورانت، قصة الحضارة،ج١٣/ص٢٣٦ .

(٩) المختصر، ج١/ص٤٠ .

(١٠) المصدر نفسه، ج١/ص٤٩ .

(١١) تاريخ الإسلام، ج٤/ص٢٥٦ ؛ البداية والنهاية،ج٨/ص ـ١١٨ .

(١٢) المختصر، ج١/ص١٨٦ .

(١٣) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٠/ص٢١٠ .

(١٤) المختصر،ج١/ص٢٠٥ .

(١٥) تاريخ الإسلام، ج٨/ص٢٨٣ ؛ عيون التواريخ، مخطوط ج٥/ورقة(٣٥) ؛ البداية والنهاية ج١/ص١٧٣ .

(١٦) الصفدي، الوافي بالوفيات،ج٢٦/ص٧٣ .

(١٧) الشاكري، موسوعة المصطفى والعترة، ج١٠/ص١٦٤ .

(١٨) تاريخ الإسلام، ج٩/ص٤٦٦ .

(١٩) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢/ص٢١٦ .

(٢٠) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٥/ص٤٢٦ .

(٢١) تاريخ الإسلام، ج١٥/ص٢٢٧ .

(٢٢) المسعودي، النبيه والأشراف،ص٣٠٢؛ وللمزيد ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج٥/ص٤٠٣ ــ ٤٠٨ .

(٢٣) العبر،ج٢/ص٢٩٩ .

(٢٤) المختصر، ج٣/ص١٦١ .

(٢٥) تاريخ الإسلام، ج٤٦/ص٢٥٥ ؛ البداية والنهاية،ج١٣/ص١٤٩ .

([٢٦]) الوافي بالوفيات، ج١/ص١٥٨ .

([٢٧]) تاريخ الإسلام،ج٦/ص٥٠٠ .

([٢٨]) عيون التواريخ، ج٥/ورقة(٣١)

([٢٩]) ينظر ترجمته : الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٨/ص٤٤٨ .

([٣٠]) الكتبي، فوات الوفيات،ج٤/ص٢٥٧ .

([٣١]) ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٣٦٦ .

([٣٢]) تاريخ الإسلام، ج٨/ص٢٩٤ .

([٣٣]) المختصر، ج٢/ص٢١ .

([٣٤]) ينظر: أبن الجوزي،ج٩/ص١٢٣ـ١٢٤؛ ابن الاثير، الكامل، ج٥/ص٤٥٧ ؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص١٣٤ ؛ ابن الوردي، تاريخ١/ص٢٠٢ .

([٣٥]) تاريخ الإسلام، ج١٨/ص١٩٩ .

([٣٦]) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٩٥ ؛ الشاكري، موسوعة المصطفى والعترة،ج١٤/ص٢٩٩ .

([٣٧]) عيون التواريخ، ج٦/ ورقة (٢٣٠) .

([٣٨]) تاريخ الإسلام، ص٤٧/ص١٠٤ .

([٣٩]) البداية والنهاية، ج١٣/ص١٦٣ .

([٤٠]) تاريخ الإسلام، ج١٦/ص٣٩٣ .

([٤١]) البداية والنهاية، ج١٠/ص٢٩٦ .

([٤٢]) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٤/ص١١٢؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، ج٤/ص٩٤ .

([٤٣]) ذيل مرآة الزمان،ج١/ص٢٥٥ .

([٤٤]) المختصر، ج٣/ص٩٤ .

([٤٥])تاريخ الإسلام، ج٤٨/ص٢٥٩ .

([٤٦]) المختصر،ج٢/ص١٥١ .

([٤٧]) تاريخ الإسلام، ج٢٨/ص٢٨٣

([٤٨]) ابن خلكان،ج٥/ص٢٩٢ ـ٢٩٣؛ ابن الأثير، الكامل،ج٧/ص٦٥٨ ـ٦٦١ .

([٤٩]) العبر،ج٤/ص٧٦ .

([٥٠]) ينظر: ووكر، الفكر الاسماعيلي، ص١٣ـ١٦ ؛ ناصر، النقد التاريخي،ص٨٤ .

([٥١]) عيون التواريخ، ج١٢/ص٢٢٠ .

([٥٢]) ابن الأثير، الكامل، ج٨/ص٤٦٠ .

([٥٣]) البداية والنهاية، ج١٢/ص٢٦٤ .

([٥٤]) ينظر: ابي شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج٢/ص٧٠ـ٧١ .

([٥٥]) الأمين، أعيان الشيعة،ج١/ ص٣٠ .

([٥٦]) تاريخ الإسلام،ج١٤/ص١٢٣ .

([٥٧]) عيون التواريخ، مخطوط ، ج٦/ ورقة (٢١) .

([٥٨]) هادي وعاتي، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٩٩ .

([٥٩]) تاريخ الإسلام، ج٣٦/ص٤٤٦ .

([٦٠]) تاريخ الإسلام، ج٤٩/ص١٠٥ .

([٦١]) عيون التواريخ، ج٢٠/ص٣٢٥ .

([٦٢]) البداية والنهاية،ج١٣/ص٢٤٨ .

([٦٣]) اليونيني، ذيل مرآة الزمان،ج٢/ص٣٥٧؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج٤/ص٢٤٠ .

([٦٤]) تاريخ الإسلام،ج٥٠/ص٣٤٦ .

([٦٥]) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٤/ص١٠٠ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣/ص٢٩٧ .

([٦٦]) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦/ص١١٩ .

([٦٧]) المقتفي، ج١/ق٢/ ص٢٣٤ .

([٦٨]) حوادث الزمان، ج١/ص٩٧ ؛ تاريخ الإسلام، ج٥/ص٣٤٦ .

([٦٩]) تذكرة النبيه،ج٢/ص٨٢ .

([٧٠]) ينظر: الحلي، قواعد الاحكام، ج١/ص١٠٩ ؛ مختلف الشيعة، ج١/ ص٧٩ وما بعدها .

([٧١]) ينظر ترجمته: ابن حبيب تذكرة النبيه، ج٣/ص٩٠؛ بن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٦/ص٢٥٠.

([٧٢]) تاريخ، ج٤/١٤٦ .

([٧٣]) ناصر، النقد التاريخي،ص٨٥ .

([٧٤]) اليوزبكي، دراسات في النظم العربية الاسلامية، ص٧٥ .

([٧٥]) العبر، ج١/ص٢٢٥ .

([٧٦]) سورة الشرح، آية: (٢)(٣) .

([٧٧]) سورة طه، آية:(٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) .

([٧٨])سورة غافر، آية:(٣٦) .

([٧٩]) تاريخ الإسلام،ج٨/ص٤٠١ .

(٨٠) ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج٢/ص١٩٥ .

(٨١) تاريخ الإسلام،ج١٢/ص٩٨ .

(٨٢)ينظر :ابن الجوزي، المنتظم، ج٩/ص١٢٤ وما بعدها .

(٨٣) تاريخ الإسلام، ج٢٥/ص١٠٧ .

(٨٤) ذيل مرآة الزمان،ج١/ص٨١ .

(٨٥) تاريخ الإسلام،ج٤٨/ص٢٢٠؛ البداية والنهاية،ج١٣/ص١٩٩ .

(٨٦) المقريزي، السلوك،ج١/ص٤٧٧؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢/ص٣٧ .

(٨٧) تاريخ الإسلام، ج٢٢/ص٢٣١ .

(٨٨) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٢/ص٢٣١ .

(٨٩) وفيات الأعيان، ج٣/ص٣٦١ـ٣٦٢ .

(٩٠) ينظر ترجمته: الصفدي، الوافي بالوفيات،ج١١/ص٢١١ .

(٩١) تاريخ الإسلام،ج٢٢/ص٤١١ .

(٩٢) البداية والنهاية، ج١١/ص١٤٩ .

(٩٣) ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٤/ص٤٩ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣/ص٢٣٢ ؛ ابن الأثير، الكامل ج٦/ص٦٨٢ .

(٩٤) البداية والنهاية، ج١١/ص١٥١ .

(٩٥) ينظر ترجمته: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٠/ص٨٩ .

(٩٦) العبر، ج٢/ص٤٠٧ .

(٩٧) عيون التواريخ، ج١٢/ص١٣٢ .

(٩٨) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧/ص٢١٢ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣٥/ص٤٠٢ .

(٩٩) تاريخ الإسلام، ج٢٧/ص٣١٩ .

(١٠٠) عيون التواريخ،ج١٢/ص٤٧٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢/ص٢٣١ .

(١٠١) وفيات الأعيان، ج٣/ص٤١٧ .

(١٠٢) حوادث الزمان،ج١/ص١٩٩ .

(١٠٣) بن تغري بردي، النجوم الزهره،ج٨/ص٥٠ .

(١٠٤) تاريخ الإسلام،ج١٥/ص٤٨ .

(١٠٥) عيون التواريخ، مخطوط،ج٦/ورقة(٨٥) .

(١٠٦) ينظر: ابن طيفور، كتاب بغداد،ص١٢٢ـ١٢٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات،ج٨/ص١٧٧ .

([١٠٧]) المختصر، ج٢/ص٦٦ .

([١٠٨]) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج١/ص٢٢٨ ــ٢٣٢ .

([١٠٩]) ياقوت، معجم الأدباء،ج٢/ص٦٦٢-٦٦٣؛ ابن الأثير، الكامل،ج٧/ص٤٩٩ .

([١١٠]) ذيل مرآة الزمان،ج١/ص٨٦ .

([١١١]) تاريخ الإسلام،ج٤٨/ص٣٤ .

([١١٢]) البداية والنهاية، ج١٣/ص٢٢٢ .

([١١٣]) حوادث الزمان، ج١/ص٤٥٢ .

([١١٤]) ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥٢/ص٣٤٨؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٢/ص١٢٩ .

الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في مدينة أردبيل

الطالبة : رباب فاخر حرفش
أ.م.د.نوال ناظم محمود

جامعة بغداد/ كلية الآداب

الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في مدينة أردبيل

الطالبة : رباب فاخر حرفش

أ.م.د. نوال ناظم محمود

الملخص.

تبرز أهمية الموضوع كون إن مدينة أردبيل أحدى أهم مدن المشرق الإسلامي و التي ظهرت أهميتها السياسية و الاقتصادية والاجتماعية مع بداية الفتح العربي الإسلامي فهي دار الأمارة والمعسكر، وقد اختلفت الآراء حول بناء هذه المدينة فقد ذكر إن أول من أنشأها فيروز الملك، أما السمعاني وياقوت الحموي ذكروا من بناها ونسبت اليه هو أردبيل بن أرميني بن لنطي بن يونان، وتتصف بخصوبة أراضيها وجمال طبيعتها وتتخللها أهم الانهار في حوض نهر الرس والكر وتمتاز بكثرة الجبال فيها وأهمها جبل (سبلان) وعلى راس هذا الجبل عين عظيمة تمتاز بمياه عذبة وكذلك وجود البحيرات وأهمها بحيرة(أرمية)ذات المياه المالحة وكثيرة السمك، وقد كان مصدر مهم لاقتصاد المدينة، كون يسلط الأضوء على معرفة العلوم والعلماء في مدينة أردبيل أضافة للعلماء الذين وفدو اليها. لذلك أكتسبت الدراسة أهمية كبيرة في الدراسات لاسيما في حقل التاريخ الإسلامي.

المقدمة

تعد دراسات المدن عموماً من الدراسات المهمة وقد أعطت الجامعات العراقية أهمية لها منذ مدة ليس بالقصيرة اهتماماً متزايداً ،وذلك لان المدينة وتطوراتها الاجتماعية والاقتصادية و العلمية و الادارية السياسية تمثل الوحدة الحيوية والجزء الفعال من حركة التقدم الحضاري لأي مجتمع من المجتمعات . تناولت في هذا البحث الموسوم المبحث الاول :(الاحوال الاقتصادية والاجتماعية في مدينة أردبيل : وتضمن المبحث الأول: الحياة الاقتصادية في مدينة أردبيل : واحتوى على (الزراعةو الصناعةوالتجارة):أما المبحث الثاني فقد جاء بعنوان الحياة الاجتماعية في مدينة اردبيل. أولاً: مكونات المجتمع وثانياً: لغات أهل أذربيجان و ثالثاً: طبقات المجتمع الأردبيلي ورابعاً: الفرق والمذاهب الدينية خامساً: والأعياد و المناسبات.

المبحث الأول: الحياة الاقتصادية في مدينة أردبيل.

كانت النظم الاقتصادية في أذربيجان تسري على وفق أحكام الشريعة الإسلامية ،وتستند المدينة على أهم مصدر اقتصادي وهو الزراعة وتليها الصناعة، وحركة الاسواق وانظمتها من عمليه تداول العملة المتوافرة والمكاييل والأوزان.

أولاً: الزراعة تعدّ الزراعة شريان الحياة الأقتصادية ولها أثر كبير، لذلك أوصى الإسلام بالاهتمام والعناية بالأرض من خلال قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إلى الأرض الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [١]، و تعدّ مدينة أردبيل واحة زراعية، تمتد على فسيح من الأرض الخصبة، فموقعها وخصوبة تربتها، جعلتها محط أنظار ملوك فارس[٢]، أضافة إلى وجود ينابيع المياه الساخنة، التي يتردد عليها الناس[١].ولمناخه المدينة تأثير كبيرا على الزراعة، إذ امتازت المدينة بكثرة سقوط الأمطار، ولا يفارقها الثلج، شتاء ولا صيفا [٢]، وقد ساعد سقوط الأمطار، على نمو المحاصيل الزراعية، كالتفاح، والكمثرى[٣].وفي عصر الدولة العباسية عمل الخلفاء العباسييون على توطيد أركان دولتهم، ومن ثم بدأوا بالاهتمام بالحياة الاقتصادية، فوجهت اهتماماتهم إلى تنمية موارد الثروة الزراعية. فقد عمل الخليفة العباسي ابو جعفر المنصورعلى تنظيم وسائل الإرواء بحفر الترع، والقنوات وإقامة السدود، وجعل قوانين لتنظيم الماء، وكانت نظم الزراعة متنوعة حتى إن كل واد أو قرية يكاد ينفرد بنظام معين يلائم الظروف ، فقد تميزت مدينة أردبيل، باستخدام الأهالي للحراثة بثمانية ثيران وأربعة سوائق لكل ثورين سائق، بسبب كثرة الثلوج[٤] . ويتضح لنا اهتمام الدولة بالزراعة، جعل لها قوانين، افقد كانت تدر أموالاً طائلة، فساعدت ذلك على رفع المستوى الاقتصادي للدولة الإسلامية. أما الوسائل الزراعية التي استخدمها أهل أردبيل في الري[٥]، هي الدواليب ،ومن أهم المحاصيل الزراعية في مدينة أربيل الحنطة، والشعير، إذ تعدّ من المحاصيل الضرورية في الحياة الاقتصادية، فكانوا يستخدمونها في حياتهم من أجل عمل الرغيف، ويكون بالعدد خمسون رغيفا بدرهم، وعلى الرغم من رطوبة الجو في المدينة إلا إن منتجاتهم الزراعية رخيصة جداً .وقد توافرت فيها ثروات وخيرات كثيرة تمتع بها المجتمع الأردبيلي حتى إن جميع المآكل رخيصة كالمجان[٦].

وإن خصوبة التربة قد أتاح لها فرصة لزراعة محاصيل متنوعة كالقطن والاعناب والخضر والتبغ والشمندر السكري وعباد الشمس والنارنج والزيتون[٧]. فضلاً عن ذلك اشتهرت هذه المدينة بتربية النحل لذا كانت تحتوي على كميات كبيرة من العسل[٨].

ويذكر ابو دلف: الفواكه التي تزرع في مدينة أردبيل قائلاً [٩]: "أن فيها رمان، وتين عجيب، لا يوجد في بلد من البلدان، وفيها نوع من أنواع العنب السروي " [١٠].

ثانياً: الصناعة : لصناعة دور في تكوين اقتصاد أي بلد من البلدان إذ تعد مدينة أردبيل من المدن التي تمتلك صناعات عديدة: منها صناعة النسيج، وقد أخذ العرب، بتقليد نماذج الصناعات الفارسية،

---

[١] سورة السجدة ، الآية ٢٧.

[٢] الخانجي ، محمد أمين ، منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان، ط١، مطبعة السعادة ،(مصر،١٣٢٥ هـ /١٩٠٧م)ج١، ص٢٠٨.

مثل صناعة : الخزف و الصيني، و اشتهرت بصناعات عديدة منها السجاد، والملابس الحريرية المختلفة[١١]، ومن أشهر أنواع الأقمشة التي عرفت في المدينة الإبريسم[١٢] الذي كان يصنع من خيوط الحرير[١٣]. وكان لوجود دودة القز في المدينة أهمية إذ كانت تستخدم في المواد الخام المهمة يدخلونها في صناعة المنسوجات[١٤]، وتميزت بصناعة الزبيب المجفف، في التنانير، لأن أشعة الشمس فيها قليلة بسبب كثرة الضباب، ولم تصح السماء عندهم قط[١٥].

ثالثا التجارة : لقد أدت التجارة دوراً اقتصادياً مهم في تاريخ مدينة أردبيل من خلال عمليات التصدير والاستيراد للبضائع. وتنقسم إلى قسمين :

أ_التجارة الداخلية: تميزت مدينة أردبيل بتجارة معدن الذهب، لوجوده بين جبالها ، معادن الذهب والزئبق، والفضة، ومعادن للحجارة[١٦]، فأما الذهب فكان ثلاثة أنواع نوع يعرف بالقومسي.

والشهرني والسجابذي [١٧]. كما صدرت معدن الشب وهو شب المحمرة المعروف باليماني[١٨]، إلى مدينة واسط، وعدد كبير من المدن [١٩]. وهذا يدل على تسميته باليماني، نسبة للقبائل اليمانية التي كانت تقطن في مدينة أردبيل وتزاول هذه الحرفة. كما توجد منتجات محلية تصدر منها الأواني الفخارية والأطباق والطست والأباريق، والصواني[٢٠].

أما تجارة الحيوانات فقد كان لها أهمية كبيرة للمدينة، إذ تدر عليها أموالاً كثيرة نتيجة توافر المراعي فيها، إذ وجود الأعشاب، والحشائش، فقد كان في مراعيها حيوانات مختلفة، منها الأبقار ، والماعز، والثيران التي كانت تستخدم في المزارع للحراثة فهي تمدّ الأهالي بالغذاء ووسائل للنقل، والمواد الخام للصناعات[٢١]. مما يدل على أهمية هذه الثروة، فالحليب يعدّ مادة أولية يدخل في العديد من الصناعات كالجبن، والألبان وغيرها.

وذكر القزويني بعض الحيوانات في مدينة أردبيل [٢٢] فقال:" والفأر بها كثير جداً بخلاف سائر البلاد، وللسنانير ،بها عزة ، ولها سوق تباع فيه، ينادون عليها أنها سنورة صيادة، مؤدبة لا هرابة ، ولا سراقة، ولها تجار، وباعة، ودلالون".وقد اشتهرت المدينة، بتجارة الملح لوجود بحيرة(أورمية) التي يستخرج الملح منها [٢٣]، أما تجارة الأقمشة كانت رائجة في هذه المدينة إذ يصدر عنها ثياب البرسيم والصوف إلى كافة الامصار[٢٤].أما عن الأسواق فقد كانت لها أهمية كبيرة وتكمن تلك الأهمية بكون الأسواق هي شريان الحياة الاقتصادية في المدينة إذ تتم فيها عملية بيع وتبادل السلع التجارية.

أما وصف المقدسي [٢٥] فقال:"أسواقها مصلبة إلى أربعة دروب والجامع وسط الصليب على نشزه خلف الحصن ربض[٢٦]عامر". هذا يعني أن الجامع وسط المدينة ملحقاً بالأسواق حوله وخلف الحصن سور عال مما يدلّ على أن المدينة محصّنة. ويستخدم الصباغون في سوق أردبيل الكبير المصقلة[٢٧] لصقل وتلميع السيوف والدروع والأحجار والمعادن. وأما طريقة عرض البضائع في سوق تكون مكدسة في أكياس أو صناديق مفتوحة فوق خزنة العطار، أو على الأرض في مداخل المتاجر[٢٨].أما سوق

مدينة سّرو فقد كان حسن المنظر وفيه خانات نظيفة يقصدها التجار المسافرون الذين يحملون معهم بضائعهم لتصريفها بالسوق[٢٩].وهذا ما يدل على أن التجار كانوا يأتون من بلدان مختلفة وبعيدة لذلك يستأجرون الفنادق لتكون مأوى لهم ولحيواناتهم .

وقد زاول أهل أردبيل مهنة النجارة لكثرة الأشجار فكانوا يقطعون منها الخشب ويصنعون منه الأطباق والأواني وقصاع[٣٠] الخلنج[٣١]، وخشب هذه الأشجار يمتاز بطيب الرائحة[٣٢].وقد كان التعامل في سوق أردبيل بأنواع مختلفة من المكاييل والأوزان وتختلف من مدينة إلى أخرى ولكن أكثرها شيوعاً الكليجة[٣٣] والرطل [٣٤] [٣٥] .

ب_التجارة الخارجية: كان للتجارة الخارجية في مدينة أردبيل دور مهم وفعال في نشاط حركة الاقتصاد فهي حركة تواصل مع دول وبلدان مختلفة وقد ساهمت تلك العلاقات التجارية في نشر القيم الإسلامية، وتعدّ هذه التجارة شريان الحياة مع الدول الأخرى فكلما توسعت رقعة هذه التجارة كلما أدت إلى انتعاش الناتج المحلي الاجمالي ،وكانت مدينة أردبيل تستورد الكثير من المنتجات من مختلف البلدان بحسب احتياجها للسلع، والحاجات الضرورية، فيستورد لها من بلاد الهند[٣٦] النمور والفيلة والياقوت الأحمر، وجوز الهند[٣٧]. أما من بلاد الصين فكانت تستورد الكاغد[٣٨]، كما استوردوا الخيل من شبه الجزيرة العربية[٣٩]، إذ كان السكان بحاجة، لها إذ يستخدمونها من أجل السلع التجارية إذ كانت تضطرهم الظروف في اسفارهم من ولاية إلى أخرى، يعتمدون على الخيل[٤٠] . ويستوردون من مدينة قومس الفؤوس[٤١].وأما مدينة فارس فقد كان يستورد منها ثياب الكتان وماء الورد[٤٢] ومن مدينة فسا[٤٣] يتم استيراد الفستق وأصناف الفواكه والزجاج[٤٤].

النقـــود :كانت العملة السائدة في إقليم أذربيجان ومن ضمنها مدينة أردبيل من الذهب والفضة إلا أن الذهب هو الغالب في أغلب الأحيان[٤٥]. وكان في المدينة دور لسك العملة ن باسم الأمير ديسم (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) حين فرض سيطرته على مدينة اردبيل سنة(٣٢٦هـ/٩٣٨م) سك النقود باسمه في المدينة[٤٦]. إلا أن النقود التي سكت باسمه لم تذكر المصادر عنها إلا القليل.

أما الخراج والجزية: فقد فرض على السكان قبل الفتح العربي الإسلامي وكانت الدولة تجبي ضريبة الأرض(الخراج) عن طريق أشخاص معينين من قبلها ويرتبطون بمسؤول المالية أو كبير الوزراء ومما هو جدير بالذكر أن أغلب هؤلاء الجباه كانوا يستغلون المواطن مما أثقل الأمر على كاهل الطبقات الفقيرة من الفلاحين[٤٧] وبعد الفتح العربي الإسلامي أمر الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) بترك الخراج مع الدهاقين[٤٨] لأنه رد عليهم الأرض ملكاً وضرب الخراج على أرضهم كما ضرب الجزية على رؤوسهم فصارت الأرض ملكاً لهم وللمسلمين وعليهم الخراج [٤٩] ، وقد كان فتح المسلمين صلحاً مع قادة المدن في تلك الأراضي[٥٠]. وفي العصر الأموي تحولت مساحات واسعة من الأراضي التي فتحها العرب من ضمن أملاك الدولة وصاروا أهلها أهل ذمة فهي وضريبتها ضريبة خراج وإن كل أرض من

أراضي العجم صالح عليها أهلها فهي أراضي خراجية [٥١]. أما في العصر العباسي فقد عني خلفاء بني العباس بتنظيم جباية الخراج التي هي من مواريث بيت مال المسلمين على النهج المشروع الذي سنه رسول الله (ﷺ) والخلفاء الراشدون (رضى الله عنهم) وقد اهتم الخليفة هارون الرشيد بأمر الرعية كي لا يثقل الجور كاهلهم ويخرب عمرانهم وحتى يكون بيت مال المسلمين قائما بما يجب عليه من مصالح الأمة وحفظ ثغورها وتأمين طرقها[٥٢]. وفي عهد ي الخليفة العباسي المأمون والمعتصم فقد كان خراج أذربيجان ٤٠٠٠،٠٠٠ اربعة ملايين درهم [٥٣]. ولم تسعفنا المصادر التاريخية إلى معلومات وافية عن مقدار الخراج في الخلافة العباسية إلا بالشيء اليسير.

المبحث الثاني

الحياة الاجتماعية في مدينة أردبيل

كانت أذربيجان قبل دخول الإسلام تدين بديانتين الزرادشتية والمسيحية ، لذلك أرسلت الدولة العربية الإسلامية عدد من المبلغين العرب المسلمين ليعلموا الناس عقائدهم وأحكام دينهم ويجنبونهم آثار الشرك والضلال فقد كان سكان الجهة الشرقية يدينون بالديانة الزرادشتية[٥٤]. بينما كان سكان الجهة الغربية يدينون بالديانة المسيحية[٥٥]، وقد كان دخول العرب المسلمين بمثابة ثورة دينية واجتماعية إذ بشروا به الكتل البشرية الضخمة في اقامة الحياة على أساس من المساواة التامة والمعاملة الحسنة[٥٦] لذلك كان نشر الدين الحنيف من الصعوبات التي واجهت جند الخلافة لذلك كان يرافقهم عوائلهم ليكونوا مع المسلمين الجدد مما جعل أهالي المنطقة ومن خلال المهاجرين المسلمين يعايشون العقيدة الإسلامية عملياً.

أولاً: مكونات المجتمع:

يسكن في إقليم أذربيجان ومن ضمنها مدينة أردبيل أقوام لهم لغات مختلفة أو من أجناس بشرية متباينة تتعدى مواطن سكناهم أو تحركاتهم وهم :

أ_الفرس: وهم قبائل من البارثية الإخمينية كانت تسكن في آسيا الصغرى، انتقلوا إلى ايران في عهد ملكهم دارا وقميز (ت٣٣٠قبل.الميلاد)[٥٧]، وأسسوا مملكتهم العظيمة. وبسطوا سيطرتهم على الأقاليم الإيرانية إلا أنه في عام (٣٣٠ ق.م)،هاجم الاسكندر المقدوني (ت٣٢٢ق.م)[٥٨] مملكته وقتله، ثم توحد الفرس في عهد الملك الساساني أرد شير بابك بن ساسان[٥٩].واتخذوا من طيسفون[٦٠]عاصمة لهم وفرضوا سيطرتهم على العراقوايران [٦١]. دخل الفاتحون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ)(١٣هـ -٢٣ هـ/ ٦٣٤م-٦٤٣م) أذربيجان صالح المرزبان، القائد حذيفة بن اليمان (ت٣٦هـ/٦٥٦م)،على مبلغ من المال "..ثمانمائة ألف درهم مقابل المحافظة على المدينة وان لا يهدم بيت النار..." [٦٢].وهنا توضح

أن الفاتحين لم يقدموا على اجبار سكان أذربيجان بدخول الإسلام لمدّة طويلة واكتفوا بأخذ الجزية.

ب_ الاتراك : قبائل يرجع نسبهم ليافث بن نوح(عليه السلام) سكنت أذربيجان وما جاور جبالها إلى خلف مدينة الأبواب [٦٣].وقد ورد ذكرهم عند اليعقوبي[٦٤] قال:(وأهل مدن أذربيجان وكورها أخلاط من العجم الآذرية والجاودانية منذ القدم وهم أصحاب مدينة التي كان فيها بابك ثم نزلتها العرب لما افتتحت..). يتضح من خلال النص أن اللغة الآذرية هي اللغة التركية القديمة التي عرفت في أذربيجان منذ القدم إذ كانت لغتهم الرسمية في البلاد.وقد عرف عن الاتراك أنهم قبائل بدو رعاة رحالة باحثين عن الكلا والماء استولوا على مساحات واسعة امتدت من الصين حتى بلاد المشرق [٦٥]

ج_التركمان : وهم جنس من الترك يرجع نسبهم لتوغرمان بن كومر بن يافث بن نوح (عليه السلام) [٦٦].

وعند الرجوع للكاشغري[٦٧] في اثناء حديثه عن التركمان نجده يقول هم الغزية[٦٨] ولهذه التسمية قصة إذ أن ذي القرنيه٣ن ٠٠٠٠لما وصل سمرقند[٦٩] وقصد بلاد الترك ... فلما وصل إليها رأى هذه الطائفة من الناس ذات شعر كثيف وعلامات الترك بهم فقال قبل أن يسأل(تركمان اند) معناها هؤلاء مشابهون للترك.

وقد أشارت المصادر العربية إلى إن اسم التركمان أطلق على قبائل الترك التي اسلمت في القرن الرابع الهجري فيقول ابن كثير[٧٠] في أحداث سنة ٣٤٩هـ/٩٦٠م :(أسلم من الترك مائتا الف خركاه [٧١] فسموا (ترك ايمان) ثم خفف اللفظ بذلك فقيل تركمان).

ويرى المستشرق بارتولد[٧٢] الذي كتب عن تاريخ الترك وقبائلهم قائلا :(إن التركمان هم من شجرة الترك ، إلا أن سماتهم مخالفة لسمات سائر الترك ومشابهة لسمات الفرس).

من خلال ذلك نرجح قول المؤرخ التركي الكاشغري الذي الف كتابه (ديوان لغات الترك) سنة(٤٦٦هـ /١٠٧٣م) كان قريباً ظهور الترك السلاجقة، وأن تسمية (التركمان) تعود إلى عهد ذي القرنيين لأن روايته لسبب التسمية هي الاقرب من المصار العربية .

وقد سكن التركمان في نواحي مدينة أردبيل ومنها مدينة موقان فقد ساعدت سهول ومروج هذه المدينة قبائل التركمان لرعي حيواناتهم واتخذوها مسكن لهم [٧٣].

د_ الأكراد : اختلفت الروايات في تحديد أصل الأكراد، فمنهم من أرجعهم إلى أصل عربي من ربيعة، ومنهم من رأى أنهم من مضر، من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن، وإن الكرد انفصلوا في القدم لوقائع كانت بينهم وبين غسان، واعتصموا بالجبال طلباً للمياه، والمراعي وجاوروا هناك الأعاجم، فخالفوا عن لسانهم وصارت لغتهم أعجمية [٧٤].

رجع وجود الاكراد في أذربيجان الى ماقبل أيام الفتح الإسلامي فحين وصل الفاتحون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه)القائد حذيفة بن اليمان(ت٣٦هـ/٦٥٦م) طلب المرزبان صلحاً عن جميع

أهل أذربيجان: "...علـــــى أن يدفع مبلغ من المال قدره ثمانمائة ألف درهم مقابـــــل أن لا يتعرض لأكراد البلاسجان[٧٥] و سبلان وساترودان "[٧٦]. وبهذا أمن القائد الأكراد على أنفسهم وأولادهم وأرضيهم مقابل دفع الجزية.

أما في عهد الخليفة عثمان بن عفان(ﷺ) فقد سار سلمان بن ربيعة الباهلي(ت٣٠هـ/٦٥٠م) إلى بلاد أذربيجان[٧٧]، ودعا أكراد البلاسجان إلى الإسلام فقاتلوه فانتصر عليهم، فأقر بعضهم بالجزية، وأدى بعضهم الصدقة وهم قليل[٧٨].هذا يدل على أن الأكراد منهم من دخل الإسلام ومنهم من بقى على ديانته. أشهر القبائل الكردية التي كانت متواجدة في أذربيجان:

١_ الهذبانية: قبيلة كبيرة عريقة كانت تقطن في منطقة بهدينان من أعمال مدينة الموصل إذ كانوا يقضون فصل الشتاء مع قطعانهم وكانت تسمى(مشاتي الهذبانية).كانت مواطنها وأماكن إقامتها تشمل اردبيل وما حولها، وهي منطقة ما بين الزابين الأعلى والأسفل، شملت تنقلات هذه القبيلة مساحات فسيحة إذ نزح عدد كبير منها إلى إقليم أذربيجان طلباً للمراعي و الكلا واستقر بها المقام في مدن وقرى متعددة منها أردبيل ومراغة وأرمية و شهرزور ونريز[٧٩]. وكانت هذه القبيلة كثيراً ما تقوم بعمليات اغارة على المناطق المجاورة لها ففي حوادث سنة (٢٩٣هـ/٩٠٥م) اغاروا على مدينة الموصل بقيادة محمد بن بلال[٨٠] وغنموا الكثير منها[٨١].ومن بطون هذه القبيلة (الراودية) وهي قبيلة كبيرة إحدى بطون الهذبانية من أشراف الأكراد الرحل ،سكنت في أماكن مختلفة من بلاد آذربيجان منها أردبيل ومراغة ودوين وأردبيل[٨٢].

٤. الكلالية – الجلالية:

قبيلة كردية كانت تقطن بنواحي أذربيجان ، تعد من أكبر القبائل الكردية هناك وأعرقها، كانت مولعة بالحرب تظهر خارج حدودها أحياناً كثيرة ،وتدخل في نزاعات مع المناطق المجاورة لها، وغالبا ما يتدخل الأمراء لحل تلك النزاعات ، ففي سنة (٣٢٤هـ/٩٢٥م) سار اليهم الأمير ناصر الدولة بن حمدان (ت٤٦٥هـ/١٠٧٢م) بأمر من والده فقاتلهم وبعد قتال عنيف سلموا للأمير ووعدوه بالكف عن النزعات وأصبحوا تحت طاعته [٨٣]. وفي سنة (٣٦٧هـ/٩٧٧م) ثار الأكراد الجلالية على الخارجي محمد بن خزرد وقتلوه[٨٤]. وتبين مما تقدم أن السمات العامة التي تميز الأكراد بأنهم قبائل بدوية مارست الزراعة وتربية الحيوانات ، رحالة غير مستقرين بمكان معين ، وقد تعرضوا كثيراً لهجمات الخوارج التي كانت تهدد وجودهم في الاقليم ،كما كان لهم دور كبير في الدفاع عن مدنهم وممتلكاتهم .

هـ. العرب :في أثناء الفتح العربي الإسلامي أرسل الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ) كتاباً للقائد حذيفة بن اليمان(ت٣٦هـ/٦٥٦م) يأمره بالسير بأهل الكوفة إلى نهاوند[٨٥] سنة(٢١هـ/٦٤٢م)، ومنها إلى أذربيجان فسار حذيفة وفتح مدينة أردبيل[٨٦] . وسرعان ما هاجرت القبائل العربية إلى أذربيجان ومنها :

١.**طيء:** هي إحدى قبائل العرب القحطانية ،أصلها يمني يرجع نسبهم إلى طيء ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان ،سكنت شمال شبه الجزيرة العربية، ثم سكنت مدينة الموصل ،وفي أثناء الفتوحات العربية انتقلت إلى أذربيجان نزلت مع الشيخ مر بن عمرو الموصلي الطائي (ت٢٦٥هـ/٨٧٨م) وسكنت في مدينة نريز[٨٧].

١. **همدان** : وهي من القبائل القحطانية، يرجع نسبهم إلى همدان بن مَالك بن زيد بن ربيعة بن الخِيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ[٨٨]، سكنت بلاد أذربيجان بناحية (الميانج) في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور(١٣٦هـ_١٥٨هـ/ ٧٥٣م_ ٧٧٤م) حين قام الوالي يزيد بن حاتم المهلبي البصري (ت١٧٠هـ/٧٨٦م) بنقل القبائل العربية إلى أذربيجان فكان منهم الهمدانيين [٨٩].وقد نزل القائد عبد الله بن جعفر الهمداني[٩٠] مع أبناء قبيلته بمدينة الميانج، واتخذها مقراً لهم، وأصبحت آهلة بالسكان العرب المسلمين ،وبنى فيها مسجداً [٩١]. يتضح مماسبق أن منازل مدينة الميانج اصبحت بعد الفتح آهلة بالسكان الذين نزحوا إليها ، وتعايشوا معهم بعد أن كانت لأهل الذمّة والمجوس ، واصبح العرب هم حكام المدينة وأصحاب القرار.

٢.**بني أسد:** قبيلة عظيمة من العدنانية سكنت في هضبة نجد، يرجع نسبهم لأسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[٩٢]، كما أن وجودهم في أذربيجان يعود لعهد الخليفة العباسي المتوكل على الله (٢٣٢هـ -٢٤٧هـ / ٨٤٦م- ٨٦١م) إذ نزل قائدهم حلبس أابو البعيث وولده محمد وبنى بها قصورا، وتحصن بها من جيوش الخلافة العباسية[٩٣].

٢.**بنو شيبان** : وهم من ربيعة العدنانية نسبهم لشيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل[٩٤] ويرجع وجود هذه القبيلة لعهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور(١٣٦هـ -١٥٨هـ/٧٥٣م-٧٧٤م) ومن أشهر أمرائهم الأمير معن بن زائدة الشيباني(ت١٥١هـ/٧٦٨م)، والأمير يزيد بن مزيد الشيباني (ت١٨٥هـ/٨٠١م) ، واتخذوا من مدينة شروان[٩٥] مقراً لهم[٩٦].

٣.**كندة:** وهي إحدى القبائل السبئية القحطانية ، يرجع نسبهم لثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن كهلان[٩٧]، انتقلت إلى أذربيجان بعد الفتح العربي الإسلامي في أواخر عهد الخليفة عثمان بن عفان(رضي الله عنه)(٢٣هـ-٣٥هـ/٦٤٤م_٦٥٥م)على يد الوالي الأشعث بن قيس الكندي. وأما في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) نقلت القبائل اليمانية وأكثرهم من كندة ، واتخذوا مدينة سراة، وأردبيل مقراً لهم[٩٨]. ويتضح أن العرب الفاتحين حرصوا كثيراً بعد عمليات الفتح العربي الإسلامي على نقل القبائل العربية لإقليم أذربيجان وإسكانها في مناطق متفرقة من أجل نشر الدين الإسلامي، وتثبيت الحكم العربي الإسلامي فيها.

ثانياً: لغات أهل أذربيجان : كانت هنالك في أذربيجان عدة لهجات محلية وعلى رأسها اللهجة المحلية المعروفة (الأذربيجانية) ، إذ يتحدثون سبعين لهجة في أردبيل[٩٩]. ومن ثم انتشرت اللغة العربية بعد

دخول المسلمين للمنطقة لأنها لغة القرآن الكريم وأوصى رسول الله محمد(ﷺ) بها [١٠٠]:(اقرأوا القرآن بلحن العرب وأصواتها وإياكم ولحن أهل الفسق وأهل المكاييس[١٠١]، فإنه سيجيء من بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم).

ثالثاً: طبقات المجتمع الأردبيلي :نجد طبقات المجتمع منذ القدم مقسمة إلى أربع طبقات ،وذلك من أجل الحفاظ على وحدة المجتمع، ويكون لكل طبقة عمل أو صناعة أو حرفة [١٠٢] .

ومن تلك الطبقات هي:

١. **طبقة الحكام:** تضم هذه الطبقة الملوك والأمراء والقادة[١٠٣]، وكان أصحاب هذه الطبقة يتمتعون بامتلاك الأراضي والأموال والقصور[١٠٤]، ويذكر أن الولاة الأمويين كانوا يتولون على أكثر من مدينة، فنجد في العصر الأموي كان الوالي مروان بن محمد(ت١٣١هـ/٧٤٨م)،يتولى أذربيجان و أرمينية في آن واحد ويتمتع بسلطة تامة في إدارة تلك الأقاليم[١٠٥]، ويرى البعض أن أصحاب هذه الطبقة في بعض الأحيان يستغلون مناصبهم الإدارية، فنجد أن الوالي مروان بن محمد كان أستغل سلطته في الاستيلاء على دخل بحيرة الطريخ ، إذ أوقف انتاجها من السمك عليه وحده، بعد أن كانت مباحة للناس وعين عليها صياداً خاصاً يصطاد ويبيع ويقبض الثمن وقد ضمت إلى أملاك بني أمية ومن ثم إلى أملاك الدولة العباسية[١٠٦]. وهذا مما يدل على قوة الأمير مروان بن محمد وقدرته على السيطرة على هذه الأقاليم التي كانت من أشد المعارضة للخلافة الإسلامية .وقد كان ملوك أذربيجان قبل الفتح العربي الإسلامي يتمتعون بسلطة كبيرة على الأقاليم المجاورة لهم فيذكر منها مملكة خزران[١٠٧]، كانت تفرض عليها الضرائب والمكوس وتحمل في كل سنة إلى سلطان أذربيجان فلا تنقطع ، ولا تمتنع من قبل العامة[١٠٨].

٢.**طبقة التجار والاغنياء:** كان لأصحاب هذه الطبقة أهمية كبيرة فقد تمكنوا من بسط نفوذهم في سوق أردبيل الكبير وأصبحوا يتوافدون عليه من مختلف المدن [١٠٩]، وقد بين أهمية التجارة وميزها عن جميع الأعمال ابو الفضل الدمشقي[١١٠] قال : (وجدتهم أفضل وأسعد الناس في الدنيا ، والتاجر موسع عليه وله مروءة ، ومن نبل التاجر إن يكون في ملكه ألوف كثيرة ، ولايضره أن يكون ثوبه مقارباً فالذي يتصرف مع السلطان لعلة تقتصر يده في بعض الأوقات عن نفقته وهو مع ذلك محتاج إلى صقل ثوبه وعمامته ...).وقد عرف التجار المسلمين بحسن أخلاقهم وتعاملهم في توسيع النشاط التجاري الذي يصب في مصلحتهم ومصلحة الدولة العربية الإسلامية وكان التجار لديهم سعة من المال تختلف عن أصحاب المهن الأخرى [١١١]. أن أصحاب هذه الطبقة غالباً ما يتعرضون لخسارة الأموال بسبب مضايقات الدولة عليهم بمصادرة البضائع أو شرائها بأبخس الأثمان وهذا يؤدي إلى قطع أرزاق التجار وقلة حركة السوق وبالتالي ينقص من جباية الضرائب[١١٢]. ينبغي أن يراعوا العامة في الاسواق ومن ثم التجار والأغنياء الحكام والأمراء في السوق حتى لا تؤثر جباية الضرائب مما يؤدي إلى ضعف اقتصاد المدينة .

٣.طبقة الصناع والحرفيين : تعدّ هذه الطبقة من الطبقات المهمة في الحياة الاجتماعية إذ تؤدي دور فعال في توفير مختلف الحاجات الضرورية كأخشاب البيت والصور والنقوش وأواني الطعام وغيرها ذلك من الأعمال اليدوية، ويعمل أصحاب هذه الطبقة في حرف ومهن مختلفة كالخياطين والحدادين والصباغين والصاغة والقصارين و المطرزين والنجارين والوراقين والعطارين وغيرها من الاعمال تتطلب جهداً جسدياً، وأغلب من يعمل في هذه الطبقة من أهل الذمة ،[١١٣] وقد اهتم الحكام والامراء بأصحاب هذه الطبقة وجعلت لكل مهنة مسؤولاً يسمى شيخ الصنف أو الرئيس ويكون مسؤول عن أصحاب المهن ، واشتهر سوق أردبيل بوجود الكثير من الحرفيين كالصباغيين والنجارين وغيرهم من أصحاب الحرف والمهن [١١٤] .

٤.طبقة الفلاحين: يشكل أصحاب هذه الطبقة غالبية سكان البلاد المفتوحة فقد كان الفلاحون قبل الفتح العربي الإسلامي يرتبطون بالأرض من خلال عبودية مطلقة لمالكها إذ كانت الأرض ملك لأصحاب الطبقة الحاكمة [١١٥] . وقد تحسنت أحوال أصحاب هذه الطبقة بعد مجيء الإسلام وفرض تعاليمه بالمساواة ومنح الحقوق للفلاحين إذ أصبحت الأرض تحت أيديهم ورفع عنهم كل أنواع السخرة إذ كانت تشكل ظلماً كبيراً لهم وجعل لهم ارزاقاً يحصلون عليها من بيت مال المسلمين[١١٦].

أما طبقة الجواري :يعد وجود هذه الطبقة إلى عهود قديمة جداً فمنذ العصر الساساني امتلأت القصور وبيوت التجار وأصحاب الأموال بالجواري فقد كانت تباع في الأسواق ومن ثم بدأ أنتشارهن على نطاق واسع ولم يقتصر عملهن في البيوت والقصور وإنما في الغناء والرقص[١١٧].وقد عم الترف والازدهار في العصر العباسي وكثرت الأموال فأصبح للجواري

مكانة وأهمية وزاد الطلب في شرائهن وأصبح لهن لباس خاص ينقش عليه نقوش لتكون مختلفة عن السيدة العباسية ، فضلاً عن النقش على الجسد واستمر ذلك حتى زوال الخلافة العباسية[١١٨].

رابعاً: الفرق والمذاهب الدينية:تنوعت الفرق الدينية والمذاهب المختلفة والمذاهب في أردبيل ومن أشهر هذه الفرق والمذاهب الدينية الحنفية[١١٩]، والحنابلة[١٢٠]، والشافعي[١٢١] الذي كان غالباً على أهل أردبيل ،وقد ساعد على انتشاره علماء راسخون أتقياء ورعون أمثال محمد بن على بن إسماعيل القفال الشاشي(ت ٣٦٥هـ/٩٧٥م) الذي يعد أول من أدخل المذهب الشافعي إلى بلاد ما وراء النهر، ومن هناك أنتشر في بلدان اقليم المشرق وكثر اتباع المذهب في أردبيل التي كانت من الحواضر العامرة بالعلماء[١٢٢]. ويورد السبكي[١٢٣] في هذا الصدد قائلاً: "ونحو مائة منبر يعني مائة مدينة في بلاد أذربيجان وما وراءها يختص بالشافعية لا يستطيع أحد أن يذكر فيها غير مذهب الشافعي ... ". نستدل من خلال ما ورد في النص أن المذهب الشافعي لاقى قبول العلماء والعامة بشكل كبير والسبب أن الفقه الشافعي كانت أحكامه سهلة ميسرة ومعظم العلماء الافذاذ كان لهم دور كبير في نشره وتثبيت دعائمه .كما حظي المذهب الشافعي بتأييد الوزير نظام الملك(ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م)الشافعي فكان له دور كبير في نشر

المذهب من خلال بناء المدارس، وكان من شروط التدريس فيها أن يكون المدرس على المذهب الشافعي[١٢٤].

وأماالفرق الإسلامية التي ظهرت في مدينة أردبيل السبائية الغلاة : نسبة لعبد الله بن سبأ (ت نحو ٤٠هـ/٦٦٠م) [١٢٥]، ظهرت هذه الفرقة في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)،لكنهم فئة قليلة متفرقة في البلاد، ولاسيما في أردبيل، ولا عبادة لهم سوى أنهم يصومون في كل سنة ثلاثة أيام[١٢٦].

خامساً_**الأعياد والمناسبات:**

لقد كان لكل طائفة في مدينة أردبيل أعياد خاصة بهم وقد حرص أهلها على إقامة الاحتفالات في المناسبات كالأعياد واستقبال شهر رمضان شهر سمو الروح ونقائها بالبشر والسرور ،إذ يعد من المواسم العظيمة التي تمر في حياة المسلم ، وأما الطوائف الأخرى فكانت أعيادهم يحتفلون بها في مواسم ومواعيد محددة لهم، ومن الأعياد التي يحتفل بها في هذه المدينة.

أ_أعياد المسلمين:

لقد كان العرب في أيام الجاهلية لهم يومان يلعبون فيها، وحين قدم رسول الله محمد (ﷺ) إلى المدينة نهى عن اللعب، وقال لهم :إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما: يوم الأضحى، ويوم الفطر[١٢٧]. يحتفل المسلمون في مدينة أردبيل في السنة الهجرية الواحدة بعيدين رسميين هما عيد الفطر، وعيد الأضحى، ويتميز العيدان بصلاة العيد التي تؤدى في كل منهما مرة واحدة في أول يوم وهي سنة مؤكدة وشعار من شعائر الدين ،وتصلى جماعة[١٢٨]. ويتبين لنا أن الصلاة في العيدين سنة من سنن رسول الله(ﷺ) سار عليها المسلمون . ويسمى عيد الفطر(العيد الأصغر)،يحتفل به المسلمون بفرح وسرور تفوق فرحة عيد الأضحى لحلوله بعد فترة صوم طويلة [١٢٩]. نجد أن المسلمين بالرغم من شقاء وعناء فترة الصوم إلا أن استقبالهم لهذا الشهر المبارك بفرح وبهجة لأنه شهر الله تعالى المبارك عندهم .ويستحب يوم عيد الفطر للرجال الاغتسال والسواك ولبس أحسن الثياب ،والتطيب، وسرعة الإبكار وهو المسارعة إلى المصلى ، والأفطار بالحلو أي أكل تمرات قبل الصلاة، ، وأداء صدقة الفطر[١٣٠].و يخرجون في أيام العيد بأحلى الملابس فيتزينون باللبس والعطور ويكونون في غاية الأبهة .

وأما عيد الأضحى :فهو ثاني عيد عند المسلمين وقد قال رسول الله(ﷺ) عنه:(أن يوم النحر، ويوم عرفة، وأيام التشريق، هن عيدنا أهل الإسلام، وهن أيام أكل وشرب)[١٣١]. ويحب فيه ذبح الذبائح أيام منى، في سائر الأمصار، هو طاعة لله، وامتثال ما أمر به، وما سنه رسول الله(ﷺ)، وشرعه لأمته . ويسمى العيد الكبير ويحتقل به المسلون أربعة أيام، [١٣٢] .

يختلف عيد الضحى عن عيد الفطر ففي هذا العيد تكون الفرحة بصعود الحجاج إلى جبل عرفات وإحياء شعائر الحج وأما عيد الأسبوع(يوم الجمعة):هو يوم الراحة الأسبوعية، فقد كان المسلمون

يحافظون على طهارتهم، في هذا اليوم بدخولهم الحمام، وارتدائهم الثياب الجميلة، والتوجه نحو المسجد للصلاة [١٣٣]. وقد ورد ذكره على لسان رسول الله (ﷺ):(إن يوم الجمعة يوم عيد، فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم، إلا أن تصوموا قبله أو بعده)[١٣٤].

ب_**أعياد الفرس.**

لقد كان سكان مدينة أردبيل قبل الفتح العربي الإسلامي لهم اعياد خاصة بهم منها(النيروز) وحين فتحها العرب المسلمون وعقدت معاهدة مع المرزبان والتي نصت على : "... ولا يمنع أهل الشيز خاصة منَ الزفن، في أعيادهم و اقامة شعائرهم الدينية " [١٣٥]. يتضح لنا إن من خلال نص المعاهدة مدى تسامح المسلمون مع سكان البلاد المفتوحة فقد أعطوا لأهلها عهداً السماح لهم بالاحتفال ضمن موروثهم الشعبي. ويحتفل عامة السكان في هذه الاعياد ،ويقدم فيه أنواع الحلويات [١٣٦]. ويذكر أن خلفاء بني العباس كانوا يأمرون بتأخير الخراج، إلى يوم النيروز، فنجد الخليفة المتوكل بالله (٢٣٢هـ_٢٤٧هـ/ ٨٤٦م _٨٦١م)، قد بعث إلى مسؤول الخراج بتأخيره عنهم إلى موعد النيروز[١٣٧].وقد أمر الخليفة العباسي المعتضد بالله (٢٧٩هـ_ ٢٨٩هـ/ ٨٩٢م _ ٩٠١م) في عام(٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) بإرسال الكتب إلى جميع العمال في النواحي والأمصار، بترك افتتاح الخراج في النيروز الذي هو نيروز العجم وتأخير ذلك إلى اليوم الحادي عشر من حزيران وسمي (النيروز المعتضدي)[١٣٨]. وأبطل ما يفعل في النيروز من إشعال النيران ، وصب الماء على الناس، وأزال سنة المجوس[١٣٩]. ومن العادات في هذا العيد استحباب الصلاة والغسل فيه، ولبس أنظف الثياب، والطيب ، وتعظيمه،وصب الماء واشعال النار[١٤٠] وتقديم الهدايا، والحلواء واللحم[١٤١] . خاصة الهريسة ويأكلون ويشربون إكراماً للكواكب[١٤٢]، ويزعمون أن أرواح موتاهم ترجع إلى منازلهم وينظفون البيوت ويبسطون الفرش ويصنعون الأطعمة تلك الأيام ويقولون إنما يصيب الموتى منها روائحها [١٤٣].

الهوامش:

[١]سترك ،أردبيل ،دائرة المعارف الاسلامية، ، مج١، ص٥٨٤.

[٢] الأصطخري، المسالك الممالك ، ص ١٠٨.

[٣]،سترك ،أردبيل، دائرة المعارف الاسلامية مج ١، ص٥٨٤.

[٤] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣٨١؛ سرور، محمد جمال الدين، تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق (من عهد نفوذ الاتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري) ،مطبعة دار الفكر العربي، القاهرة ،ص١٢٩؛ رجب ، نيفين، الخليفة القادر بالله العباسي وسياسته الداخلية والخارجية،مطبعة نوابع الفكر،(القاهرة ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م)،ص ٢٠.

(٥) بخيت ، تاريخ الإسلام في أذربيجان ، ص١٢٩.

(٦)ابن حوقل، صورة الأرض،ج٢، ص٣٣٥.

(٧) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٣٧٣ ؛ دائرة المعارف الاسلامية، سترك ، أردبيل ، مج١، ص٥٨٤ ؛ بخيت ، تاريخ الإسلام في أذربيجان ، ص١٣١.

(٨) ابو دلف، الرسالة الثانية، ص٤٨.

(٩) المصدر نفسه، ص٤٩.

(١٠) العنب السروي :يسمى الضروع أبيض كبار الحب، قَليل الماء عظيم العناقيد، مثل الزبيب .ينظر :الصغاني ،الحسن بن محمد بن الحسن (ت٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م)، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعه عبد الحميد حسن، عبد العليم الطحاوي ،مطبعة دار الكتب،(القاهرة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)،ج٤، ص ٣٠٧

(١١) الفاسي ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام،ج٢، ص٤٥٧.

(١٢) الإبريسم :الحرير الخام ، هو فارسي معرب . ينظر: الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القأموس ،ج٣١، ص٢٧٦.

(١٣) ابن حوقل ، صورة الأرض ،ج١، ص٢٣٠ ؛ بخيت، تاريخ ، ص١٣٨..

(١٤) الاصطخري ، المسالك الممالك، ص١٨٨؛ بخيت، تاريخ الإسلام ، ص١٣٨.

(١٥) أبو دلف، الرسالة الثانية، ص ٤٩.

(١٧) المصدر نفسه، ص٣٣.

(١٨) شب المحمرة المعروف باليماني: هو مادة تستخدم في صبغ الصوف. ينظر: أبو دلف ، الرسالة الثانية ، ص٤٧_ ص٤٨.

(١٩) ابو دلف، الرسالة الثانية، ص٤٧-ص٤٨.

(٢٠) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٨٠.

(٢١)المصدر نفسه،ص٣٨١؛ ، سترك ،أردبيل ، دائرة المعارف الاسلامية مج١، ص٥٨٤.

(٢٢) أثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٩١.

(٢٣) أبو دلف، الرسالة الثانية، ص٥٠.

(٢٤) جاسم ،عبد الستار نصيف ،إقليم خراسان دراسة في نشاطه التجاري من خلال كتب البلدانيين ، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ،(بابل، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)، مج١٧، العدد١، ص ٤٠٩.

(٢٥) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣٧٧.

(٢٦) الربض: جمع ربوض، أساس المد، ،وهو السور الخارجي للبناء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ،مادة (ربض) ،ج٧، ص١٥٢.

(٢٧) المصقلة :آلة يصقل ويلمع بها الحجر أو المعدن، وغالبا ما تكون عجلة أو أسطوانة أو بلاطة من الجلد أو المعدن أما ثابتة أو متحركة. ينظر: ينظر: عمر، أحمد مختار عبد الحميد .،معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١،مطبعة عالم الكتب، ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨ م،ج٢،ص١٣٠٩.

[٢٨] المقدسي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣٨٠ ؛ أيرج بروشاني وآخرون ،البازار السوق في التراث الإسلامي، تحقيق: محمد حمدان ، ط١، مطبعة مركز الخضارة لتنمية الفكر الإسلامي ،(بيروت،١٤٣٤هـ/٢٠١٢م)، ص٤٠.

[٢٩] الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،ج٢، ص٨٢٦.

(٣٠) قصاع: وهي تعني الجرة كانت تستخدم للماء واللبن البخت (الخفيف). ينظر: المقدسي ،عبد الله بن بري بن عبد الجبار(ت ٥٨٢هـ/١١٨٦م)، في التعريب والمعرب ،تحقيق : إبراهيم السامرائي، مطبعة مؤسسة الرسالة، بيروت،ص٨٥.

[٣١] الخلنج: وهي تعني الشجر ويصنع من خشبه الاواني. ينظر.ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص١٢٥٤.

[٣٢] القزويني ، أثار البلاد وأخبار العباد،ص٢٩١.

[٣٣] المسالك الممالك ، ص١٩١.

[٣٤] الرطل : وحدة وزن تقدر عند اهل أردبيل بألف واربعين درهماً .ينظر : القزويني ،اثار البلاد واخبار العباد، ص ٢٥٥.

(٣٥) المسالك الممالك ، ص١٩١.

(٣٦) بلاد الهند: تقع جنوب آسيا وإلى الشرق منها بلاد الصين والتبت، وإلى جنوبها البحر الأعظم، وغربها نهر مهران، وفيرة الخيرات عامرة، ذات ممالك كثيرة، وفيها مدن كثيرة وجبال ومفازات وبحار ورمال. ينظر: مؤلف مجهول ، حدود العالم من المشرق إلى المغرب ، ص٨٠.

(٣٧)ابن رسته،الاعلاق النفيسة ، ص٢٥_ ص٢٦.

(٣٨)المصدر نفسه ، ص٢٦.

(٣٩)المصدر نفسه، ص٢٧.

(٤٠) بولو، ماركو(ت٧٢٥هـ /١٣٢٤م)، رحلات ماركو بولو ، ترجم إلى الانجليزية : وليم مارسدن ، ترجمة إلى العربية :عبد العزيز جاويد، ط٢، مطبعة الهيئة المصرية للكتاب، (القاهرة١٤١٦هـ /١٩٩٥م)،ج١، ص٦٩.

(٤١) ابن رسته، الاعلاق النفيسة ، ص٣١.

(٤٢)ابن رسته ، الاعلاق النفيسة، ص ٣٢.

(٤٣) مدينة فسا: مدينة بفارس مفترشة البناء واسعة الشوارع تقارب أبنيتهم. شيراز وهي أصح هواء من شيراز وأوسع أبنية، وبناؤهم من طين وأكثر الخشب في أبنيتهم . ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٦١.ابن حوقل ، صورة الأرض، ج٢، ص٣٣٨.

(٤٤) ابن حوقل ، صورة الأرض، ج ٢، ص٣٤٩_ ص٣٧٢.

(٤٥)المصدر نفسه، ج ٢، ص٣٤٩_ ص٣٧٢

(٤٦) مسكويه ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ،ج١، ص٣٩٨_ ص٣٩٩ ؛ بولاديان ، الأكراد من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي وفق المصادر العربية ، ط١، مطبعة دار الفارابي ،(بيروت ،١٤٣٤هـ /٢٠١٣م)، ص١٠٠.

(٤٧) الحديثي ، قحطان عبد الستار و صلاح عبد الهادي الحيدري ، دراسات في التاريخ الساساني و البيزنطي ، (البصرة ،١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م)، ص١٨٦.

(٤٨) الدهاقين : هم الاكابر ارباب املاك الاراضي الواسعة كانت وظيفتهم جباية الضرائب وارسالها إلى السلطة المسؤولة في الدولة .ينظر: ابن ابي حديد ،شرح نهج البلاغة ،ج ج١٥،ص١٣٧.

([٤٩]) ابن رجب الحنبلي، أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥هـ /١٣٩٢م) ، الاستخراج لأحكام الخراج ،ط١،دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ، ص٤٢.

([٥٠]) أبو يوسف ، يعقوب بن أبراهيم بن حبيب بن سعد الأنصاري (ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م)، الخراج ، تحقيق: طه عبد الرؤف وسعد حسن محمد ، المكتبة الأزهرية للتراث ، مصر، ص ٦٩.

([٥١]) ابو يوسف ،الخراج، ٦٩؛أحمد ،لبيد ابراهيم وأخرون ، الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي، (بغداد ، ١٤١٣هـ /١٩٩٢م) ،ص٢٣٧.

([٥٢]) الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية ، ص١٣٨.

([٥٣]) المرجع نفسه ، ص٢٠١_ ص٢٤٣.

([٥٤]) الزرادشتية : وهي ديانة ايرنية قديمة كانت الدين الرسمس للأمبراطويات الاخمينة والبارثية واالساسانية ونسبت الديانة الى مؤسسها زرادشت ظهرت في بلاد فارس قبل ٣٥٠٠ سنة ينظر: ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي ،القاهرة ، ج٢، ص٧٧.

([٥٥]) الاصفهاني ، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، ص٥٣؛ الكرباسي ، محمد صادق محمد، الإسلام في أذربيجان، ط١، مطبعة بيت العلم للنابهين، (بيروت_ لبنان، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص ١٢_ ص١٣.

([٥٦]) ولبر، ايران ماضيها وحاضرها، ص ٥٠.

([٥٧]) دارا وقميز: يعرف بداريوش بن دارا ،كان عظيم السلطان، كثير الجنود، لم يبق في عصره ملك من ملوك الأرض الا خضع له بالطاعة، واتقاه بالإتاوة ، حكم أربع عشرة سنة. ينظر: ابن هشام، عبد الملك بن ايوب (ت٢١٣هـ/٨٢٨م)، التيجان في ملوك حمير، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ط١، مطبعة مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، (صنعاء،١٣٤٧هـ/٢٠١٥م)،ص٣٣٦؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٣٣٦.

([٥٨]) الاسكندر المقدوني : هو أحد ملوك مقدونية ،ملك بعد ابيه استولى على بلاد الروم ، وفتح نحو خمسين مملكة ، وسمي بذي القرنين لبلوغه قرني الشمس وهما المشرق والمغرب ،بنى مدينة الاسكندرية سنة ٣٣١ق .م .ينظر: المقدسي، البدء و التاريخ ،ج٣، ص٢٠٩؛ الوزنة، يحيى بن حمزة ،مدينة مرو و السلاجقة حتى عصر سنجر ،ط١، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م ، ص٢١.

([٥٩]) أرد شير بن بابك بن ساسان بن فافك بن مهريس ابن ساسان الاكبر بن ،وهو الذي أزال ملوك الطوائف، ملك أربع عشرة سنة وشهورا، حاكم أصطخر ووالي فارس ،ثم زهد في الملك وسلمه إلى ولده سابور، وتفرد بالعبادة .ينظر: الدينوري ، الأخبار الطوال، ص٤٢؛ المسعودي ، التنبيه والاشراف، ص٨٧.

([٦٠]) طيسفون : إحدى مدائن الفرس تقع شرقي دجلة مقابل النعمانية بين بغداد وواسط .ينظر: ياقوت الحموي ،معجم البلدان،ج٤،ص٣٥.

([٦١]) ابن قتيبة الدينوري ،المعارف ،ص٦٥٣؛ ابن الاثير الكامل في التاريخ ،ج١، ص٤٧؛
الحسن، عبد الله عبد اللطيف عبد الرحمن، العلاقة السياسية بين ايران والعرب جذورها
ومراحلها واطوارها ، ط١، مطبعة العبيكان للنشر والتوزيع ،(االرياض، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)، ص٢٧.

([٦٢]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،ج١، ص١٩٨؛طقوش، محمد سهيل ، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية ، ط١، مطبعة دار النفائس، (بيروت،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ،ج١، ص٢٢٧.

[٦٣] الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ، ج٢ ، ص٣٥٧.

[٦٤] البلدان ، ص٨٠.

[٦٥] بارتولد, تاريخ الترك في أسيا الوسطى ص١٦، ص١٧؛ الحيالي، سعد عبد الحليم ذنون ، أثر الإسلام على الحياة الاجتماعية في خراسان حتى نهاية القرن الرابع ، (جامعة الانبار ،اطروحة دكتوراه غير منشورة ،١٤٤٠ هـ / ٢٠١٨م) ، ص١٠٦.

[٦٦] القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي(ت٨٢١هـ/١٤١٨م) ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، ط٢، مطبعة دار الكتاب اللبناني، (بيروت _ لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م) ، ص٢٦.

[٦٧] محمود بن الحسين بن محمد (ت٤٩٦هـ /١١٠٢م)، ديوان لغات الترك ،مطبعة عامره ، اسطنبول ،١٣٣٣هـ /١٩١٤م)، ج٣، ص ٣٠٤_ص٣٠٧.

[٦٨] الغزية : هم قبائل تركية تضم اربعة وعشرون قبيلة ،انحدر منهاالاتراك السلاجقة. ينظر: بارتولد، تاريخ الترك في أسيا الوسطى ،ص٤٦.

[٦٩] سمرقند: مدينة حسنة كبيرة تقع جنوبي الصغد وقصبته ،متسعة فيها مبان وقصور سامية وحمامات وخانات وعليها سور تراب منيع يطيف بها خندق وهي كثيرة الخصب والنعم والفواكه. ينظر: الادريسي ،نزهة المشتاق،ج١،ص٤٩٧.

[٧٠] البداية والنهاية ،ج١١،ص٢٦٨.

[٧١] خركاه : لفظ فارسي بمعنى الخيمة الكبيرة ،أو البيت من الخشب ينصع على هيئة مخصصة ويحمل في السفر للمبيت. ينظر: دهمان ، محمد أحمد ، معجم الألفاظ التاريخية في االعصر لمملوكي، ط١، مطبعة دار الفكر ،(دمشق،١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ص٦٧.

[٧٢] تاريخ الترك في أسيا الوسطى، ص٩٣.

[٧٣] ياقوت الحموي ،ج٥، ص ٢٢٥؛ النقشبندي ، أذربيجان في العصر السلجوقي ، ص١٠٧.

[٧٤] البدليسي ، شرف خان شمس الدين(ت١٠١٣ هـ/١٦٠٤م) ، شرف نامه في تاريخ الدول والأمارات الكردية ، ترجمة : محمد علي عوني ، راجعه وقدم له : يحيى الخشاب ، ط٢، مطبعة دار الزمان، (دمشق ،١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م)،ج١، ص٥.

[٧٥] البلاسجان : وهي صحراء تقع إلى شاطئ البحر في الطول من برزند إلى برذعة، وفيها خمسة آلاف قرية، وأكثرها خراب إلّا أن حيطانها وأبنيتها باقية لم تتغير لجودة التربة وصحتها، ويقال إن تلك القرى كانت لأصحاب الرس الذين ذكرهم الله في القرآن المجيد، ويقال إنّهم رهط جالوت قتلهم داود وسليمان، عليهما السلام. ينظر: ؛ ياقوت الحموي، معجم ،ج٣، ص٤٤.

[٧٦] البلاذري ،فتوح البلدان، ص ٣١٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج١، ص١٢٩.

[٧٧] الطبري، تاريخ الرسل،ج١، ص ٥٩٢؛ ابن الأثير،الكامل، ج٢، ص ٤٥٩.

[٧٨] المصدر نفسه،ج١، ص٥٩٢؛ المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٥٩.

[٧٩] ابن حوقل ، صورة الأرض ،ج٢، ص٢٢٨؛ توفيق، زرار صديق ،القبائل والزعامات القبلية الكردية في العصر الوسيط ، ط١،مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر ، (أربيل ،١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م) ، ص ١٧٣.

(٨٠) محمد بن بلال : هو مقدم الأكراد الهذبانية ، ظهر في عهد الخليفة أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي ، أستمر الصراع بينه وبين جيش الخليفة ،حتى طلب الأمان من ابن حمدان فأمنه. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،ج٦، ص٥٤٧_ص٥٤٨.

(٨١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،ج٦، ص٥٤٧؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج٣، ص ٤٤٤ ؛ توفيق ،القبائل والزعامات القبلية الكردية في العصر الوسيط، ص١٧٤.

(٨٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج٩،ص٣٤٢؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان،ج١،ص٣٧؛الملغوث، أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ط٢، مطبعة دار المبرز،(الاحساء، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ص٩٨.

(٨٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٧٠٥؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٢٩٣؛ توفيق، القبائل والزعامات القبلية الكردية في العصر الوسيط، ص١٣١.

(٨٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج٦،ص٣٠٦.

(٨٥) نهاوند: مدينة عظيمة تقع في جبال زاكروس ،غرب مدينة فارس، بينهما ثلاثة أيام، فتحها المسلمون سنة(٢١ هـ/ ٦٤٢م) ، أيام الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ)(١٣هـ –٢٣ هـ/ ٦٣٤م–٦٤٣م)،وأمير المسلمين النعمان بن مقرن المزني(ت٤١هـ/٦٤١م) ينظر: الواقدي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ/ ٨٨٣م) ،الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني ،تحقيق يحيى الجبوري، ط١، مطبعة دار الغرب الإسلامي،(بيروت ،١٤١٠هـ/١٩٩٠م)،ج١،ص١٠٢؛ ابي زرعة الدمشقي ،عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله (ت٢٨١هـ/٨٩٤م)، تاريخ أبي زرعة الدمشقي ،دراسة وتحقيق: شكر الله نعمة الله القوجاني ،مطبعة ،مجمع اللغة العربية ، دمشق، ج١، ص١٨٠.

(٨٦) البلاذري ، فتوح البلدان،ص٣٣٢.

(٨٧) المصدر نفسه، ص٣٢٢.

(٨٨) ابن السائب الكلبي أبو المنذر هشام بن محمد(ت٢٠٤هـ/٨١٩م)، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، ط١، مكتبة النهضة العربية ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م،ج٢، ص٥٣٢.

(٨٩) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٨، ص٣٦٣ .

(٩٠) عبدالله بن جعفر الهمداني : لا ترجمة له.

(٩١) البلاذري ، فتوح البلدان، ص ٣٢٢؛ اليعقوبي ، تاريخ ،ج١، ص٢٦١.

(٩٢) البلاذري، أنساب الأشراف،ج١١، ص١٥٣.

(٩٣) البلاذري، فتوح البلدان،ص٣٢١؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٥٨٥.

(٩٤) ابن السائب الكلبي، نسب معد،ج١،ص٢١؛ البلاذري، أنساب الأشراف،ج٤، ص١٠٢.

(٩٥) مدينة شروان: مدينة من نواحي باب الأبواب الذي تسميه الفرس الدربند، بناها أنو شروان بن قباذ وكان من أجل ملوك فارس فيها صخرة النبي موسى (عليه السلام). ينظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك،ص١٢٣؛ الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،ج٢، ص٨٢٨.

(٩٦) البلاذري ، فتوح البلدان، ص ٣٢٢.

(٩٧) ابن السائب الكلبي ،نسب معد واليمن الكبير ، ص ١٣٦؛ القلقشندي ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، ص٧١.

(٩٨) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٢٢؛الحسن ،العلاقة السياسية بين ايران والعرب ، ص٩٥.

(٩٩) ابن حوقل ، صورة الأرض ،ج٢ ، ص٣٤٨ .

(١٠٠) القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت٦٧١ هـ/١٢٧٢م) ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، مطبعة دار عالم الكتب، (الرياض ، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م) ، ص١٧.

(١٠١) أهل المكاييس : أهل الكتابين(اليهود والنصارى). ينظر: الجوزجاني ، أبو عثمان سعيد بن منصور(ت ٢٢٧هـ/٨٢١م) ، التفسير من سنن سعيد بن منصور، تحقيق : سعد بن عبد الله بن عبد العزيز ط١، مطبعة دار الصميعي ، ط١، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م ،ج١، ص٢٥٠ .

(١٠٢) الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٣ هـ / ٩٩٣م)، مفتاح العلوم، تحقيق : نهى النجار ، ط١، دار الفكر اللبناني، (بيروت ،١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م)، ص٧٠.

(١٠٣) ابن الفقيه، البلدان، ص٥٧.

(١٠٤) تزوير ، عباس ، تاريخ ديلمه و غزنويان ، مؤسسة علي أكبر ،(طهران ، ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م) ، ص ٣٦٦.

(١٠٥) الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت٩٦٦ هـ / ١٥٥٨م)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، دار صادر، بيروت، ج٢، ص٣١٠.

(١٠٦) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٩٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،ج٣ ، ص٤٠٩ ؛ ابن تغري بردي النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،ج١، ص١٩٠؛ بخيت، تاريخ الإسلام في أذربيجان، ص١٦٥.

(١٠٧) خزران : وهى مملكة تحت يد صاحب اذربيجان فى الجبال تتصل بجبال الطرم المتصلة من غربي بحر الخزر وطبرستان وجرجان إلى نيسابور. ينظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، ج٢، ص ٣٤٧.

(١٠٨) ابن حوقل، صورة الأرض، ج٢، ص٣٤٧.

(١٠٩) المقدسي احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣٨٠؛ علي ، جواد ،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،ط٤، مطبعة دار الساقي،(بيروت، ١٤٢٢ هـ /٢٠٠١م)، ج١٤، ص٢٣٢.١

(١١٠) جعفر بن علي (كان حي في سنة٥٧٠ هـ / ١١٧٤م) ،الاشارة إلى محاسن التجارة و غشوش المدلسين فيها ،أعتنى به وقدم له وعلق عليه : محمود الأرناؤوط ،ط١، دار صادر ، (بيروت، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) ، ص٦٢.

(١١١) مسكويه ، تجارب ،ج٣، ص١١٤؛الحميدان ، عبد اللطيف بن محمد بن عبد العزيز ، سنن قيام الحضارات وسقوطها قديماً وحديثاً مقارنة بآراء ابن خلدون ، ط١، مطبعة العبيكان ،(الرياض ،١٤٣٨هـ /٢٠١٦م)، ص١٣١.

(١١٢) ابن خلدون، المقدمة، ص٢٦٩؛ الحميدان، سنن قيام الحضارات وسقوطها قديماً وحديثاً مقارنة بآراء ابن خلدون، ص٢١١.

(١١٣) الصابي، ابي الحسن الهلال بن محسن(ت٤٤٨هـ /١٠٥٦م)، تحفة الامراء في تاريخ الوزراء، تحقيق : عبد الستار احمد فراج، مكتبة الاعيان للطباعة،والنشر،(القاهرة ،١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٨م).

(١١٤) مسكويه ، تجارب ،ج٣، ص١١٤؛ حسن ، الحياة الاجتماعية و الاقتصادية ،ص ١٠٢٦.

(١١٥) الحديثي ، صلاح عبد الهادي ، دراسات في التاريخ الساساني والبيزنطي ، ص١٨٦.

(١١٦) ابن عبد الحكم , ابو محمد عبد الله بن اعين(ت ٢١٤هـ /٨٢٩م) , سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الامام مالك بن انس وأصحابه , رواية ابنه عبد الله محمد لمتوفي سنة(٢٦٨هـ /٨٨١م)،نسخها وصححها وعلق عليها : احمد عبيد,ط٦، مطبعة عالم الكتاب , (بيروت ،١٤٠٥هـ /١٩٨٤م) ,ص٨٨؛ الحيالي، أثر الإسلام على الحياة الاجتماعية ،ص ١٠١.

(١١٧) الثعالبي ،غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ،(طهران،١٣٨٣هـ /١٩٦٣م) ،ص ٤٧؛ الحيالي ، أثر الإسلام على الحياة الاجتماعية ،ص ١٢٤.

(١١٨) أبو الفرج الاصفهاني ،علي بن الحسين بن محمد بن احمد(ت٣٥٦ هـ/٩٦٦م)، الاغاني ، تحقيق : علي مهنا وسمير جابر ،مطبعة دار الفكر، بيروت ، ج١٥، ص٢١١؛ حسن،سولاف فيض الله ، دور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية ١٣٢ هـ -٦٥٦هـ/ ٧٤٩ -١٢٥٨م، ط١، دار ومكتبة دار عدنان، (بغداد ، ،١٤٣٥هـ /٢٠١٣م)، ص١٧٦.

(١١٩) الحنفي : ينسب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن طي (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م) ،أحد الأئمة الأربعة ويقال لهم الاحناف وأساس هذا المذهب قائم على أحكام القرآن والسنة مع التشديد في قبول الحديث و التدقيق فيه. ينظر :الكجراتي ، جمال الدين محمد (ت٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م)، جمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الاخبار، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ط٣، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م، ج٤، ص٢٣٥.

(١٢٠) الحنابلة : هم أتباع المذهب الحنبلي ،وهم من فقهاء الأمة وعلمائها، سموا بذلك نسبة لإمامهم وقدوتهم إمام أهل السنة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني(ت٢٤١هـ /٨٥٥م)، وأساس هذا المذهب قائم على أحكام القرآن، والحديث، وفتوى الصحابة . ينظر: الشيباني، صالح بن الإمام أحمد بن محمد (ت ٢٦٥ هـ / ٨٧٨م)، سيرة الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد،ط٢،مطبعة دار الدعوة ، (الأسكندرية ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣م)، ص٣٠.

(١٢١) الشافعي : ينتسب الشافعية إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤ هـ /٨٢٩م)، ويعتمد المذهب الشافعي في استنباطاته وطرائق استدلاله على الأصول التي وضعها الإمام الشافعي بشكل عام، لكن ليس بالضرورة أن تتوافق آراء المذهب الشافعي مع آراء محمد الشافعي نفسه، بل قد يكون المذهب استقر ورجح خلاف ما رجحه الشافعي، لكن الأصول وطرائق الاستدلال واحدة . ينظر : ابن عياض ،أبو الفضل القاضي بن موسى (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م) ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: عبد القادر الصحراوي ، ط١، مطبعة فضالة ، (المغرب، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠م) ، ج٣، ص ١٧٤.

(١٢٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،ج٦، ص٢٨٦؛ السبكي ، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي(ت٧٧١هـ /١٣٦٩م) ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمود محمد وعبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة دار هجر ، ١٤١٣هـ /١٩٩٢م ، ج١، ص ٣٨٢.

(١٢٣) طبقات الشافعية الكبرى،ج١،ص٣٢٨.

(١٢٤) ابن الجوزي، المنتظم ،ج٨،ص ٢٤٦؛ عبد الجبار ، عمر فلاح ،الوزير السلجوقي نظام الملك اصلاحاته الادارية وإسهامته الفكرية ، مجلة الجامعة العراقية ، بحث منشور ،٢٠١٢م)، العدد ٢٨، ص٣٥٤.

(١٢٥) عبد الله بن سبأ : هو زعيم الفرقة السبائية أصله من اليمن ، كان يهودياً ادعى اعتناقه للإسلام ، رحل نحو الحجاز والبصرة والكوفة لنشر عقيدته ، وفي زمن الخليفة عثمان بن عفان(ﷺ)(٢٣ هـ -٣٥هـ /٦٤٣م_٦٥٥م) دخل إلى دمشق لنشر عقيدته فطرده أهلها ،ورحل إلى مصر. ينظر: البغدادي ، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩ هـ /١٠٣٧م) ،الفرق بين الفرق والفرق الناجية منهم ، تحقيق: محمد عثمان الخشت ، مكتبة ابن سينا ،(القاهرة، ١٤٠٩هـ /١٩٨٨م)، ص٢٠٥.

(١٢٦) العكبري: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان (ت ٣٨٧هـ/٩٠٠م)، الإبانة الكبرى ، تحقيق : حققه: رضا بن نعسان معطي، ط٢ ، مطبعة دار الراية للنشر والتوزيع،(الرياض، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)،ج١، ص٣٧٩ ؛ الألوسي، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد ، السيوف المشرقة ومختصر الصواقع المحرقة ، تحقيق : الدكتور مجيد الخليفة ، ط١، مكتبة الإمام البخاري، (القاهرة ، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨ م)، ص٩١.

(١٢٧) السجستاني ، أبو داود سليمان بن الأشعث(ت٢٧٥هـ /٨٨٨م) ، سنن ابي داود ، مطبعة دار الفكر، بيروت ، ج٢، ص١١٨.

(١٢٨) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ/١١١١م)، أحياء علوم الدين ،مطبعة دار المعرفة ، بيروت، ج١،ص٢٠٠؛ ميتفوج ،عيد، دائرة المعارف الاسلامية ،ج٢٤، ص٧٥٢٢.

(١٢٩) ابن رجب الحنبلي، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، ط١، مطبعة دار ابن حزم ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م ؛ ميتفوج ، عيد الفطر، دائرة المعارف الاسلامية ، ،ج٢٤، ص٧٥٣٢.

(١٣٠) الاحمد نكري ،عبد النبي بن عبد الرسول، دستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون عرب عباراته الفارسية: حسن هاني ، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م) ،ج٢، ص٢٧٥.

(١٣١) احمد بن حنبل، مسند، ج٢٨،ص٦٠٨.

(١٣٢) المنذري ، عبد العظيم بن عبد القوي (ت٦٥٦ هـ/١٢٥٨م) ، مختصر سنن أبي داود ، تحقيق : محمد صبحي بن حسن حلاق ، ط١، مكتبة المعارف ، (الرياض،١٤٣١هـ/٢٠٠٩ م)،ج٢، ص١١٦؛ ،ميتفوج ، عيد الأضحى ،دائرة المعارف الاسلامية ،ج٢٤، ص٧٥٢٢.

(١٣٣) القاضي التنوخي ،أبي علي المحسن بن علي (ت٣٨٤ هـ /٩٩٤م)، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تحقيق :عبود الشالجي، ط١، دار صادر، (بيروت ،١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ج٨، ص٢٦٩ ؛ سعد، العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع للهجرة ، ص٣٧٨.

(١٣٤) ابن حنبل ،مسند أحمد بن حنبل ،ج٢، ص٣٠٣.

(١٣٥) االبلاذري ، فتوح البلدان، ص٣١٧.

(١٣٦) الجاحظ ، التاج في أخلاق الملوك، تحقيق : أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية ، القاهرة، ص ١٤٦؛ البخاري ، أبو عبد الله محمد بن أسماعيل بن أبراهيم بن المغيرة (ت٢٥٦هـ /٨٦٩م) ،التاريخ الكبير، تحقيق : محمد عبد المعيد خان ، ط١ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن، ج٤، ص ٢٠٠.

(١٣٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،ج٥ ، ص٣١١.

(١٣٨) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج١٦، ص١٧٨.

(١٣٩) اليافعي، مرآة الجنان ،ج٢، ص١٤٢؛ الذهبي ،سير أعلام النبلاء ،ج٢١، ص٨.

(١٤٠) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي،ج١، ص٢٣٤؛ صقر، شحاته محمد ، الشيعة هم العدو فاحذرهم، مكتبة دار العلوم ، مصر ، ج١، ص١٠٢.

(١٤١) المقريزي, احمد بن علي بن عبد القادر(ت٨٤٥هـ/١٣٤٤م)،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ،ط١، مطبعة دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م) ،ج٢، ص ٣٥؛الرباط، خالد وعزت عيد ، الجامع لعلوم الإمام أحمد، جامع لعلوم الإمام أحمد، ط١، مطبعة دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث،(الفيوم،١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م)،ج٣، ص١٩٠.

(١٤٢) المسعودي ،أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، مطبعة دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ص٢٠٦.

(١٤٣) الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي،(ت٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)، المعرفة والتاريخ ، تحقيق : أكرم ضياء العمري، مطبعة مؤسسة الرسالة ،ط٢(بيروت ،١٤٠١هـ/١٩٨١ م) ،ج٢، ص٢٧٦؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء تحقيق: حمدي الدمرداش ،ط١،مكتبة نزار مصطفى الباز، ،١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٢٦٧.

المصادر والمراجع.

❖ ابن الاثير, عز الدين أبي الحسن علي (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

١.الكامل في التاريخ ،تحقيق: عمر عبد السلام تدمري،ط١، مطبعة دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).

❖ بولو، ماركو(ت٧٢٥هـ /١٣٢٤م).

٢. رحلات ماركو بولو، ترجم إلى الانجليزية : وليم مارسدن ، ترجمة إلى العربية :عبد العزيز جاويد، ط٢، الهيئة المصرية للكتاب، (القاهرة١٤١٦هـ /١٩٩٥م).

❖ ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م).

٣. الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي ،القاهرة.

❖ ابن حوقل, أبي القاسم محمد البغدادي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م).

٤. صورة الارض, دار صادر,(بيروت, ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م).

❖ الصغاني ،الحسن بن محمد بن الحسن (ت٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م).

❖ ابن رجب الحنبلي، أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥هـ /١٣٩٢م) .

٥. الاستخراج لأحكام الخراج ،ط١،دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

❖ ابن رسته ،أبي علي أحمد بن عمر(ت ٢٩٠هـ / ٩٢٠م).

٦. الأعلاق النفسية ، تحقيق: خليل منصور،ط١،مطبعة دار الكتب العلمية،(بيروت ،١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

❖ الأصفهاني، عماد الدين أبي حامد محمد بن محمد(ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م).

٧. البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق : عمر عبد السلام تدميري، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،(بيروت،،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

❖ مسكويه، أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب(ت٤٢١هـ /١٠٣٠م).

٨. تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق : أبي القاسم إمامي، ط٢، مطبعة سروش، (طهران،١٤٢٣/ ٢٠٠٠ م).

❖ ابن رجب الحنبلي، أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥هـ /١٣٩٢م) .

٩. الاستخراج لأحكام الخراج ،ط١،دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).
❖ أبي يوسف ، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد(ت ١٨٢هـ/٧٩٨م).
١٠.الخراج ،تحقيق : طه عبد الرؤف سعد و سعد حسن محمد، القاهرة.

المراجع.

- بولاديان ،ارشاك.
١. الأكراد من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي وفق المصادر العربية ، ط١، مطبعة دار الفارابي ،(بيروت ،١٤٣٤هـ /٢٠١٣م).
- الحديثي ، قحطان عبد الستار و صلاح عبد الهادي الحيدري .
٢. دراسات في التاريخ الساساني و البيزنطي ، (البصرة ،١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م).
طقوش، محمد سهيل.
٣. تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية ، ط١، مطبعة دار النفائس، (بيروت،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)
- دهمان ، محمد أحمد .
٤. معجم الألفاظ التاريخية في االعصرالمملوكي، ط١، مطبعة دار الفكر ،(دمشق،١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).
- البدليسي ، شرف خان شمس الدين(ت١٠١٣ هـ/١٦٠٤م) .
٥.شرف نامه في تاريخ الدول والأمارات الكردية ، ترجمة : محمد علي عوني ، راجعه وقدم له : يحيى الخشاب ، ط٢، مطبعة دار الزمان، (دمشق ،١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م).

هاشمية الانبار أول عاصمة عباسية رسمية في العراق- الموقع والتسمية

الطالب: عدي دحام حماد الهيتي
أ.م. د. حيدر فرحان الصبيحاوي

هاشمية الانبار أول عاصمة عباسية رسمية في العراق– الموقع والتسمية

الطالب: عدي دحام حماد الهيتي
أ.م. د. حيدر فرحان الصبيحاوي

المقدمة :

تقع هاشمية الأنبار ضمن حدود " لواء الدليم " سابقاً " محافظة الأنبار حالياً[١] على بعد (٦٨ كم) غرب العاصمة بغداد، وبحدود (٦–٨ كم) شمال غرب مدينة الفلوجة[٢] (خارطة رقم ١)، وتحديداً على الضفة اليسرى لنهر الفرات في ناحية الصقلاوية بمحاذاة الطريق العام الذي يربط الفلوجة – الصقلاوية – الثرثار[٣]، وضمن القطعة المرقمة (٨) مقاطعة(١٨)، يتضح من الخرائط الشكل العام للمدينة مستطيل يبلغ طولها (٢) كم وعرضها (١) كم ، اي ان مساحتها أكثر من (١,٥) كم تقريباً وان محيطها ما يقارب (٦) كم واعلى نقطة ارتفاع فيها في الوقت الحاضر عن السهل المجاور (١٣) كم تقريباً وتحت خط الطول(٤٣/٤٢/٥٩) وخط العرض(٣٣/٢٢/٨٣) حسب تحديد المسح الآثاري الحديث لجهاز الـ(G.P.S)[٤]، خارطة رقم (٢).

ان سبب اختيار المدينة لتكون عاصمة لدولة ناشئة على اطلال دولة مترامية الاطراف حكمت ردحا من الزمن يقارب الالف شهر، لم يكن امرا سهلا وانما يعتمد على مدى توفر شروط اختيار المدينة العربية الاسلامية سيما وان هذه المدينة اصبحت العاصمة الرسمية الاولى للخلافة العباسية التي امتدت حدودها الى اطرافا مترامية من بلدان العالم.

ان اختيار موضعها جاء لتميزها بميزات عدة، يمكن إجمالها:

الموقع:

يعدّ اختيار الموقع للمدينة من أولى الضرورات التي تؤخذ بنظر الاعتبار، وقد حرص العرب المسلمين على اختيار مواضع مدنهم بعناية فائقة لتكون ملائمة للواقع العسكري والأمني والواقع الصحي والبيئي والواقع الاقتصادي بكافة أنواعه، ولعلنا نمتلك من الأدلة ما يكفي من اهتمام العرب المسلمين باختيار مواضع مدنهم مثال مدينة البصرة والكوفة وواسط

التي سبقت الأنبار بردح من الزمان، ثم تأتي الأنبار لتتخذ أول عاصمة رسمية للعباسيين لذا نعتقد بأن اختيارها لم يكن اعتباطيا وانما أعتمد على جملة محددات.

فالأنبار تقع على الطريق الرابط بين ارض السواد وبلاد الشام عبر الرقة [٥] وفي ذلك اهمية استراتيجية كونه طريقا رئيسياً لمرور مواكب الحجاج وقوافل التجارة فقد زودتنا المصادر التاريخية بإشارات استخدام هذا الطريق لمرور الحجاج والقوافل التجارية خلال مدد زمنية مختلفة، فقد ذكر صاحب الأخبار الطوال أن هارون الرشيد قصد الأنبار ونزل بمدينة أبي العباس عندما خرج حاجاً في سنة (١٨٠هـ/٧٩٦م)[٦].

ويرى ابن خرداذبة ان من اهم الطرق البرية التي تمر على الانبار هو الطريق الذي يحاذي نهر الفرات، ويمتد هذا الطريق الى بغداد وهو بداية الطرق بين الاقليم والولايات التابعة للدولة الاسلامية، الى السيلحين[٧] اربعة فراسخ ومن السيلحين على الانبار ثمانية فراسخ ومن الانبار يتفرع هذا الطريق الى فرعين ويستمر طوله بمحاذاة الفرات الى قرية الرب[٨] سبعة فراسخ ومن الرب الى هيت عشرة فراسخ ومن هيت الى الناووسة[٩] وبقية مدن الفرات ويخرج هذا الطريق من منطقة الانبار متوجها الى بلاد الشام[١٠]. ومن أبرز ميزات موقه هاشمية الأنبار:-

أ- الأنهار

يمتاز موقع هاشمية الأنبار بإحاطته بشبكة من الأنهار والبحيرات التي تعد المصدر الاساس لديمومة حياة للإنسان والنبات والحيوان على حد سواء (خارطة رقم ٣) ومن اهمها:-

نهر الفرات:

ينبع نهر الفرات من عيني في جبل أقرد ويمر بمدينة عنة وتصير جزيرة منها..... ثم يمر الى مدينة هيت ثم يمر بالأنبار)[١١]، حيث ان مخرجه من ثغور أرمينيا ويسقي قسماً كبيراً من اراضي العراق[١٢]، ويستمر بالجريان حتى يمر بمدينة عنه بجانبيها الشرقي والغربي وتقع عليه مدينة باليس وعليها جسر منيع[١٣]. ويستمر نهر الفرات بالجريان ويمر بمدينة حديثة وهيت والانبار[١٤]، كما ويمر بمدينة الفلوجة ويمتد الى ما بعدها باتجاه

الجنوب ويبلغ طوله ستمائة وثلاثة وعشرين ميلا من بغداد الى حدود الشام[١٥]. ويتفرع من نهر الفرات انهار كثيرة منها:-

نهر الدم:

يتفرع هذا النهر من الفرات في ارض اليس وسمي بنهر الدم استناداً إلى ما يذكره البلاذري ان في خلافة ابي بكر الصديق(رضي الله عنه)(١١-١٣هـ/ ٦٣٢-٦٣٤م) قد مر القائد خالد بن الوليد لفتح اليس سنة(١٢هـ/ ٦٣٣م) فخرج جابان قائد العجم فقدم اليه المثنى بن حارثة الشيباني ودار القتال بين الجيشين على هذا النهر وصالح خالد اهل اليس على ان يكونوا عيوناً للمسلمين على الفرس وأدلاء وأعواناً وبعد انتهاء المعركة سال دم كثير على ضفتي النهر وسمي بنهر الدم على أثر هذه المعركة[١٦].

نهر عيسى:

ينسب الى عيسى بن علي بن عبدالله بن العباس ، وحتى اليوم يقال له(نهر العيساوي)[١٧]. وهذا النهر يتفرع من نهر الفرات بالقرب من مدينة الانبار – هاشمية الانبار الاثرية-

وبالإضافة الى أهمية النهر كونه مصدر لتوفير المياه للمدينة، فأنه أستحدم للملاحة والتجارة النهرية فقد جاء في دائرة المعارف الاسلامية ما نصه(وترجع أهمية الانبار من الناحية الجغرافية، الى ان اول قناة واسعة صالحة للملاحة شقت في بابل. ووصلت بين دجلة والفرات. تتفرع من هذا النهر على مسافة قصيرة جنوبي هذه المدينة ويعرف في المصادر العربية باسم " نهر عيسى"، ويعود تاريخ هذه القناة من غير شك الى ما قبل الاسلام. والظاهر ان الذي شقها. هو أحد ملوك الساسانيين. وعلى الارجح ان يكون سابور الثاني)[١٨]، وعرف أيضا " نهر عيسى الاعظم" نسبة الى عيسى بن علي عم الخليفة المنصور ونسب اليه قصر عيسى ايضاً، وهو الفرع الذي كان ينتهي الى بغداد الغربية، ويصب في دجلة[١٩].

وأسهم النهر بشكل كبير في حركة الملاحة وتنشيط التجارة النهرية فأشار اليعقوبي الى دخول السفن العظام التي تحمل البضائع المختلفة القادمة من الشام ومصر، حيث تصل هذه السفن الى فرضة عليها الأسواق وحوانيت التجار ولا تنقطع في وقت من الاوقات لأن

الماء لا ينقطع في هذا المكان من النهر[٢٠]، حيث تجري السفن الى ان ترسوا في نهر دجلة[٢١].

ويعتقد لسترانج أن أهمية موضع الانبار وميزتها تبرز بوقوعها على مخرج أول نهر كبير صالح لملاحة السفن يحمل من الفرات الى دجلة وهو نهر عيسى[٢٢]، ويخرج نهر عيسى من الانبار بالقرب من مدينة الفلوجة[٢٣]. ويجري حتى يصل الى مدينة بغداد[٢٤] .

بينما يشير أبو الفداء الى أن في أيام شح المياه في الفرات ينقطع جريان نهر عيسى بينما تسقى البساتين التي على ضفتي نهر عيسى بالدواليب[٢٥] من مستنقعات النهر[٢٦].

وكان نهر عيسى يسقي أراضي واسعة ومزارع وجنائن حتى جاء في كتاب المنتظم ما نصه (وفي مستهل ربيع الاخر من سنة ست واربعين واربعمائة، انقطع الماء من الفرات على نهر عيسى انقطاعاً تلف ما كان من زرع. وتعذرت الطحون. وأدرك الناس بذلك ضرر شديد)[٢٧].

وكان على هذا النهر ناضر خاص في الخلافة العباسية، حتى يروى أنه في سنة ٥٩٦هـ/١٢٠٠م دخل الحلة جماعة من أهل الانبار، وذلك بسبب الارهاق الذي لحق بهم من قبل تاج الدين العلوي ناضر نهر عيسى . ولما سمع الخليفة العباسي الناصر لدين الله بذلك أزال الظلم عنهم[٢٨].

نهر الصراة:

يقع هذا النهر على نهر عيسى حيث يأخذ مياهه من الجانب الغربي للنهر والذي يأخذ المياه من نفس الجانب من نهر الفرات، ويتفرع هذا النهر الى عدة افرع حيث عند تجمعها تشكل بذلك نهرا واحدا يسمى "الصراة" وينتهي جريانه الى بغداد[٢٩]. وعلى نهر الصراة تكثر العمائر في جانبه الغربي[٣٠]، ويسقي هذا النهر ضياع بادوريا[٣١].

كما وتشير بعض المصادر التاريخية الى ان نهر الصراة فيه حواجز تعيق و تمنع جريان السفن فيه حيث تنتهي السفن عند قنطرة الصراة ، ومن ثم تحول البضائع و المؤن من هذه السفن الى سفن اخرى بعد القناة لتكمل جريانها الى بغداد[٣٢].

نهر الرفيل[٣٣]:

يقع هذا النهر فوق قرية "دمُما"[٣٤]ويحمل ماءه من نهر عيسى ويمر ببغداد وينتهي عند دجلة، وتحيط به المحلات من جانبيه[٣٥]، وقد سميت هذه القناة بالرفيل عند ظهور الاسلام[٣٦]، وقد أطلق على هذه القناة الملاحية عدة تسميات منها" حداقل" و" شط الكرمة" وهي الان تعرف بـ" نهر الصقلاوية"[٣٧].

نهر سعد:

ويجري هذا النهر في طرف الانبار، وتشير المصادر التاريخية الى أن سعد بن ابي وقاص لما حرر الانبار (١٢هـ / ٦٣٣م) سأله اهلها ان يحفر لهم نهرا وكانوا قد حفروه حتى انتهوا الى جبل لم يتمكنوا من شقه فتركوه، ولما الت الخلافة للأمويين وفي ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي العراق(٧٥- ٩٥هـ/ ٦٩٤-٧١٣م) جمع كل من لديه القدرة على العمل من كل البلاد وقال لرجاله أنظروا الى قيمة ما يأكل كل رجل من الحفارين في اليوم، فأن كان وزنه مثلما يقلع فلا تمنعوه من الحفر. وأنفقوا عليه حتى اكملوا شقه فنسب ذلك الجبل الى الحجاج كما ونسب النهر الى سعد بن ابي عمر ابن حرام[٣٨].

نهر الملك:

احد الانهار الكبيرة المتفرعة من "نهر الفرات" ومخرجه عند مدينة "الفلوجة" من يسار نهر الفرات أسفل من فوهة نهر صرصر بخمسة فراسخ ومصبه في نهر دجلة[٣٩]. كما عرف باسم (ملكا)، وكان من السعة حتى ظنه بعض المؤرخين أنه "نهر الفرات"[٤٠]، وكذلك ورد أسمه في المصادر البابلية باسم (نار شاري) ومعناه " نهر الملك"[٤١].

وقد أشار القزويني عن نهر الملك ما نصه: (أول من حفره سليمان" عليه السلام"....ويسقي٣٦٠ قرية)[٤٢]، وقال مصعب بن يزيد الانصاري : بعثني الامام علي بن ابي طالب عليه السلام على ما سقي من نهر الفرات يسمى بنهر الملك[٤٣]، وعليه جسر ساباط[٤٤].

نهر أنق:

يقع أسفل قرية "دمًما" بثلاثة فراسخ[٤٥]، وبعد سقوط "بغداد" على يد "المغول" عام (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، وتنافس دول الغزو والاحتلال على "العراق" نتج عنه اهمال قنوات

الري، أذ لم يعد المحتل يعتني بطرق النقل النهرية أو الزراعة، فاندثرت الأنهر وقنوات الري اجمعها، وأصبحت أشبه ما يكون بالمستنقعات.(٤٦).

ب- الثروة الزراعية:

لقد نتج من كثرة الأنهار والقنوات المائية وخصوبة التربة والتي كانت من الخصائص التي تميزت بها "هاشمية الأنبار" والمدن التي حولها هو أزدهار النشاط الاقتصادي الذي ساعد في نموها وتوسعها والذي يتمثل بالزراعة التي ازدهرت بفعل توفر المقومات الطبيعية من مياه وتربة صالحة للزراعة والتي أصبحت النشاط الرئيس للعديد من المدن ان لم تكن جميعها(٤٧).

ففي هاشمية الأنبار تنوعت المحاصيل الزراعية وذلك بسبب تنوع المناخ والذي يتمثل بفصلين اساسيين هما "الصيف و الشتاء"، مما يجعل الاماكن الزراعية وخاصة على ضفاف الانهار صالحة للزراعة، واذا ما استعرضنا تسمية الانبار يظهر لنا واضحا حيث يتلائم وطابعها الزراعي وسميت أنابير جمع نبر للحنطة والشعير، وسميت ايضا بيت التاجر الذي يخزن فيه متاعه وكذلك التبن والقت، أي أعلاف الدواب(٤٨).

وقد أشار البلاذري ان غلال "الانبار" كانت توزع على رجال كسرى وغيرهم من أهل الحيرة لأنهم كانوا يأخذون أرزاقهم ونصيبهم منها قبل الاسلام(٤٩)، وقد اشارت بعض المصادر الى ان اهل الانبار اعتمدوا واهتموا بالزراعة منذ الأزل(٥٠)، سيما وأن قسماً كبيراً من مناطق الانبار اراضي صالحة للزراعة(٥١)، خاصة بعد حفر عدد من الأنهار والقنوات كما ذكرنا ذلك. وقد وصفها ابن حوقل خير وصف حيث قال عنها: (الأنبار بلد السفاح وكانت داره التي يسكنها عامرة أهلة بالسكان كثيرة النخل والزرع على شرقي الفرات)(٥٢).

ومن المناسب أن نشير أن من المميزات المهمة لموقع هاشمية الأنبار هو قرب المدن ذات الأراضي الخصبة ومنها، مدينة" الفلوجة " على الضفة اليسرى لـ " نهر الفرات"(٥٣)، ويعد موقعها من أقرب مواقع نهر الفرات الى نهر دجلة تلاقياً، لذا تعد من المدن الخاصرة(٥٤)، كما وصف ابن خرداذبه مساحتها " بمساحة طسوجين"(٥٥)، حيث قال (طسوج" الفلوجة" العليا وطسوج " الفلوجة السفلى) "(٥٦).

وسميت بـ " الفلوجة " لأنها الارض الصالحة للزراعة وفيه سمي موضع على الفرات و الجمع " فلا ليج "[٥٧]، لكبر مساحتها وكثرة غلاتها الزراعية[٥٨].

ونعتقد إن أسم " الفلوجة " مأخوذ من " الفلج " الذي يعني: الغلبة، والفوز، وربما أخذ مهناها من " التفلج "، وهو: التشقق، أو: شقٌ الأرض للزراعة[٥٩]، ومنه قيل لـــ " الفلوجة" الأرض المصلحة للزرع[٦٠]، ربما قد يكون هذا هو الظاهر من أسمها.

كما وقد أختلف الباحثون في أصل أسم موضع " الفلوجة " ففريق منهم يذهب الى أسمها مأخوذ من أسم موضع قديم ورد أسمه في المصادر " المسمارية " باسم " بلوكَتو"، كما ورد في المصادر " الأرامية " باسم " بلوكًثا "[٦١] فيعتقد أن اسم " الفلوجة " معرب من هذين الأسمين القديمين.

وأما الفريق الثاني وهم بعض الباحثين " الجغرافيين " فيذهبون الى أن معنى "الفلوجة" مأخوذ من : (الانشطار، والانفلاج)، اذ انها في موضع تنفلج فيه ضفة " نهر الفرات "، أي: تنشطر[٦٢]، ونرجح بأن اسمها له علاقة بخصوبة تربة " الفلوجة " فضلاً عن وجود مصدر مائي دائم وهو " نهر الفرات " والأنهر المتفرعة منه في موضع المدينة وما حولها جعلها تصبح أرض " متفلجة " أي صالحة للزراعة ومنه سميت المدينة، وأصبحت مستوطناً للتجمعات السكانية.

وما يعزز ما ذهبنا اليه و يسنده هو وجود اكثر من منطقة تسمى بـ" الفلج "، و" الفلاليج "، و " الفلوجة " أو " الفالوجة "، وكلها تدل على صلاح ارضها للزرع، وذلك بسبب تشقق تلك الاراضي[٦٣].

كما ان " الفلوجة " في عهد العباسيين تعد من أهم المناطق الزراعية التابعة لمدينة " الانبار "، اذ يقع فيها العديد من القرى الزراعية والمنتشرة على ضفة " نهر الفرات " اليسرى، مثل قرية " دمًما " والتي توجد فيها قنطرة كبيرة على هذا النهر ذات " خمسة أبواب " حيث تمر بها السفن الكبيرة[٦٤].

كما يكثر انتاج محصول " الحنطة و الشعير" في المنطقة الجنوبية من " الانبار " وذلك لانبساط ارض السهل الرسوبي و توفر مصدر المياه الدائم، والذي يعد في مقدمة أنتاج

الحبوب التي تزرع، ولكثرة الانتاج الزراعي و وفرة المياه أصبحت " الأنبار " مركزاً لخزن هذه المحاصيل ومنها اتخذت التسمية[٦٥]، كما سنتحدث عنه في مبحث تسمية الأنبار.

وليس ببعيد عنها تقع مدينة عنة، والتي كانت ذات أشجار كثيرة وبساتين، والماء يطوف من عدة جوانب وهي كثيرة الكروم والثمار[٦٦]، وقد وصفها ابن حوقل بقوله (بأنها مدينة صغيرة في وسط الفرات يطوف بها خليج من الفرات وبالفرات غير مدينة فهي في جزيرة قد أحاط بها الماء وقرية حسنة ذات شجر ومساكن وجامع .... وتلتف مشاجرها بالنخيل والكروم)[٦٧]،وهي من البلاد المعمورة ولها رستاق وقرى من جانبي الفرات وهي قرب الحديثة[٦٨]، كما وصفت "عنة" من أحسن البلاد وأخصبها والطرق فيما بينها كثيرة العمارة[٦٩]، وعانات من طسوج الانبار وقيل من أكبر المدن الفراتية التي تقع على الفرات[٧٠].

وكذلك مدينة حديثة التي عرفت بعدة أسماء منها " حديثة النوره و حديثة عنه" وذلك لتمييزها عن حديثة الموصل وهي تقع على الفرات في الانبار[٧١]، ويرى الادريسي أن المسافة بينها وبين ألوسه[٧٢] (١٢) ميلاً[٧٣]، بينما يرى لسترانج انها تقع على مسافة (٣٥ميلاً) اسفل مدينة "عنة"[٧٤]، ولمدينة حديثة قلعة حصينة في وسط الفرات والماء يحيطها ولها جامع واسواق، كثيرة السكان اهل لهم عدد[٧٥]، وهي من كبرى المدن الفراتية[٧٦].

وذكرها ابن حوقل حيث أشار إلى ان مدينة " حديثة " يحيط بها الماء ولها مزارع وقرى تتصف بزراعة كثيرة، ولها قصور على جانبي الفرات ويكثر خيرها ويبين على أهلها نفعها وريعها[٧٧]، ولا تزال تحمل اسمها الى يومنا هذا. وفي اوائل العهد العباسي أعيد ارتباطها في الأستان العالي وألحقت بإقليم الجزيرة الفراتية ويشمل كل من ألوس، والحديثة وعنه وهيت[٧٨].

ومن البلدات أو المدن الأخرى القريبة من هاشمية الأنبار مدينة هيت وتعد من المدن المهمة في الانبار حيث لعبت دوراً بارزاً في تاريخ الانبار وسميت هيت لأنها في هوة الأرض[٧٩].

تحيط بها البساتين والجنان وتزكو فيها أجود الفواكه والأثمار والكروم، كما وتكثر بقربها أبار القار وعيون معدنية شافية لبعض الأمراض الجلدية[٨٠]، وقد وصفها الحموي بقوله (وهي بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الانبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة، وهي مجاورة للبرية)[٨١].

وقد وصف لنا مدينة " هيت " ابن بطوطة في رحلته كما جاء (فوصلت الى مدينة الانبار ثم هيت وهذه البلاد من أحسن البلاد وأخصبها والطريق فيما بينها كثير العمارة وكان الماشي في سوق من هذه الاسواق يتبين له كأنه ماشي في البلاد التي تقع على نهر الصين)[٨٢].

كما وصفها لسترانج بأنها – اي مدينة هيت– عليها سور ولها قلعة حصينة وفيها نخل كثير، وحولها ثلاثين قرية أو أكثر تابعة لها وتكثر فيها فاكهة البلاد الحارة والباردة كالجوز واللوز والتمر والنارنج وغيرها[٨٣]، وقد وصفها أيضاً القزويني بأنها بلدة طيبة على الفرات ذات أشجار ونخيل وخيرات كثيرة وطيبة الهواء والتربة وعذوبة مائها وراض مؤنقة[٨٤].

ومن كل ما تقدم نستنتج أن منطقة الانبار امتازت بخصوبة أرضها و توفر مصدر المياه الدائم " نهر الفرات " واعتدال مناخها و وفرة اليد العاملة ادت كل هذه العوامل على أنتاج محاصيل زراعية ذات قيمة اقتصادية عالية، وقد أشار عدد من البلدانيين والرحالة الى أهمية مدينة الانبار الزراعية بصورة خاصة والى المدن والقرى التابعة لها بصورة عامة، وقيل عنها أنها منطقة عامرة بالزرع وذات نخل كثير وتزرع فيها أشجار القوغ والصفصاف، التي كانوا يستعملونها في بناء بيوتهم وتدخل في صناعة وسائل النقل والاثاث المنزلية المتنوعة[٨٥].

وقد أشارت المصادر التاريخية الى أن قوام الخراج لـ " مدينة الانبار " والتي فرضتها الدولة العباسية، كانت عالية مما يؤكد أهمية المنطقة وارتفاع وارداتها من المحاصيل الزراعية، حيث ذكر ابن خرداذبه ان واردات طسوج الانبار لمحصول زرعها قد بلغ مائتين وخمسين بيدراً، حيث كانت حصة بيت مال المسلمين منها ألفين وثلاثة مائة كُر[٨٦]، من الحنطة وألف وأربعمائة كر من الشعير، ومن الورق[٨٧] مائة وخمسون ألف درهم[٨٨].

كما أشارت المصادر الى واردات المدن التي كانت تابعة لـ " مدينة الانبار " فطسوج " الفلوجة العليا " وعدد رساتيقها خمسة عشر، وبيادرها مائتان وأربعون بيدراً، خمسمائة كر من الحنطة، ومثلها من الشعير أيضاً، والورق سبعين ألف درهم(٨٩).

وطسوج " الفلوجة السفلى " وعدد رساتيقها ستة، وبيادرها أثنان وسبعون بيدراً، ألف كر من الحنطة، وثلاثة ألاف كر من الشعير، ومائتين ألف وثمانين ألف درهم(٩٠).

ج- النبات الطبيعي:

يعد النبات الطبيعي انعكاساً للظروف الطبيعية السائدة في منطقة ما، اذ تلعب العوامل الطبيعية كل من المناخ، والتضاريس، الموارد المائية والتربة دوراً واضحاً في تحديد نوع النبت ومدة النمو لأي نبات(٩١)، كما يؤدي النبات الطبيعي دوراً هاماً كغطاء للتربة وتقليل درجات الحرارة وزيادة كمية التبخر، فضلاً عن قدرة جذوره على ربط مكونات التربة وتثبيتها، مما يجعلها أكثر قدرة ومقاومة لعمليات النحت(٩٢).

وتبرز أهمية النبات الطبيعي من حيث نوعه، و توزيعه في أي منطقة وذلك لكونه أحد الموارد الطبيعية التي يعتمد عليها الإنسان وحيواناته التي تمثل الأساس الاقتصادي المعول عليه في هذه البيئات(٩٣)، ومنها النشاط الصناعي والنشاط الرعوي والنشاط الطبي، كون بعض النباتات الطبيعية تدخل في الاعشاب الطبية، فضلاً عن الفائدة الأساسية تأمين العلف للحيوانات.

يتركز النبات الطبيعي بكثافة عالية في مدينة " الانبار" ومدنها، على الجزر النهرية وضفاف الأنهار ويقل بالابتعاد عن مجرى النهر، وذلك نتيجة الظروف البيئية الجافة(٩٤).

وتميزت النباتات التي تنمو على ضفاف الأنهار وفي الجزر النهرية، بأنها تكون على شكل أشجار، وشجيرات وحشائش ومن أهم أنواعه الشائعة الطرفة(٩٥)، الصفصاف(٩٦)، القصب، البردي، الغرب، الثيل، العوسج(٩٧)، وتنبت هذه على ضفاف " نهر الفرات " وجزره الذي يمر عبر الانبار ومدنها"، وتدخل أغلب هذه النباتات ومنها القصب والبردي و الصفصاف في مجال الحياة اليومية للإنسان وحيواناته.

وهي نباتات مائية وتعد من النباتات المعمرة ذات جذور متدلية وطويلة، وعند أرتفاع منسوب المياه لـ " نهر الفرات " يتعرض قسم منها للأنجراف[٩٨]، ومن أبرز أنواعها الشمبلان، الزهرة النيل، الشوك.

بالإضافة لما تقدم فهناك نباتات طبيعية تنمو في المناطق الصحراوية حيث أستطاعت هذه النباتات تكيف نفسها، لتحمل عوامل الطبيعة كالحرارة العالية و قلة المياه خاصة في فصل الصيف ومن أنواعه السدر، العاقول، القيصوم[٩٩]، الطرطيع، الكعوب[١٠٠]، وتظهر نباتات هذه المنطقة الصحراوية وهي على نوعين[١٠١]:

أ-نباتات حولية: تمتاز هذه النباتات بمدة نمو قصيرة إذ تعتمد على تساقط الأمطار ومن أنواعها[١٠٢]، الشعير البري[١٠٣]، البابونج، الحنظل، الزعتر البري[١٠٤].

ب_ نباتات دائمة: تمتاز كونها معمرة ولها قدرة على تحمل الجفاف وقلة الأمطار ومن أنواعها[١٠٥] الأثل، السدر، السعد.

د- الصناعات المحلية:-

يبدو أن سكان الأنبار كانوا يتقنون مجموعة من الصناعات وذلك بسبب توفر المواد الأولية التي تدخل في مجال الصناعة سواء كانت نباتية، حيوانية وغيرها، كما ان احتياجات السكان المحليين لهذه الصناعات دفعتهم الى إنتاجها، منها ما يستخدم في حياتهم اليومية والقسم الأخر يستخدم لأغراض التجارة.

فقد أشارت بعض المصادر التاريخية عندما تحررت الأنبار ومدنها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣هـ/ ٦٣٣م)، قيل صولحوا أهل الأنبار على طسوجهم على أربع مائة ألف درهم وألف عباءة قطوانية تدفع للمسلمين في كل سنة[١٠٦].

وهذا يدل على ان أهل الأنبار أهتموا بصناعة العباءة القطوانية وتعتبر من أشهر صناعاتهم، واشتهرت " مدينة عنه " بشكل خاص بهذه الصناعة حيث تقوم النساء بنسج القطن والصوف معاً، وكذلك عمل البسط من خلال حياكة الأصواف وكان الرجال يقومون بغزل الصوف، والذي يعد خلافاً للعادات والتقاليد المهنية المتبعة بالعراق قديماً وحديثاً[١٠٧]، فالمعروف أن أعمال غزل الصوف تقع على عاتق النساء، بينما الحياكة تكون من اختصاص النساء.

كما ان المحاصيل الزراعية التي تدخل في الصناعة لعبت دوراُ مهماُ في حياة السكان المحليين و أنتعاشهم وزيادة دخلهم ، اذ تعتمد على زراعة المحصول وكمية الانتاج، وبعد أن يكتفي السكان من حاجتهم للمحصول محلياً أولاً، يدخل الباقي منه في الصناعة، لذا لجأ سكانها الى عمل المعاصر(١٠٨)، التي استخدمت في استخراج الزيت من بعض حبوب النبات ومنها " السمسم، الزيتون والقطن"(١٠٩).

ومن المدن المهمة التي ذكرتها المصادر التاريخية مدينة " هيت " حيث تكثر فيها مادة القار والعيون المعدنية(١١٠)، التي تدخل في علاج بعض الأمراض الجلدية، وتعد مدينة " هيت " منذ أقدم العصور في بلاد وادي الرافدين من المدن المهمة لصناعة مادة القير والتي تعرف محلياً بالزفت، إذ ورد أسمها في النصوص السومرية بصورة " دلدلي " (DULDUL–I)، أما اسمها " هيت " جاء من البابلية، فالبابليون يسمون القار في لغتهم " أدو" وأطلقوا على هذه المدينة اسم " أد " ، " ID " و " ات "، " IT " ومعناها " مدينة القار"(١١١)، كما ورد اسمها في النصوص الأكدية بصورة " أتو" أي القير ومنها اتخذ أصل الاسم العربي " هيت "، واستخدم القير في البناء و تبليط الطرق و طلاء السفن والقوارب وقد قدسه العراقيون القدماء، وهناك اشارات الى أن سرجون الأكدي قصد مدينة " هيت " (٣٣٥ ق.م) كما ذكرت في التوراة(١١٢)، ولعل مادة القير أستخدمت في بلاد وادي الرافدين خاصة وبلاد الشام في رصف حماماتهم و طلاء حيطانهم وجعلت مادة أساسية في البناء(١١٣).

فضلاً عن اشتهار مدن الأنبار في صناعة وسائل النقل النهري وذلك لتوفر المواد الأولية التي تدخل في صناعة السفن والقوارب، كالأخشاب التي تكثر على ضفاف نهر الفرات لصناعة هيكل السفن، وكذلك القير لطلاء بدنها من الداخل والخارج لمقاومة الرطوبة ومنع تدفق الماء لداخل هذه السفن.

وقد أنتجت أنواع مختلفة من السفن منها ما يمكن أن نسميها السفن التجارية التي تستخدم لنقل الحمولة الثقيلة مثل المواد الغذائية والمحاصيل الزراعية والتمور والأعلاف، ونقل المعادن والقير من هيت مروراً بالأنبار، وبغداد، و بابل، وتباع هذه السفن مع بضاعتها ويتم الرجوع براً، ويكون هذا النقل في أوج نشاطه عند أرتفاع منسوب مياه النهر ودفئ المناخ(١١٤)، ولوقوع مدينة " الأنبار " ومدنها على الطرق النهرية الصالحة لمرور

السفن بها دفع سكانها لمزاولة صناعة السفن منذ القدم، وطوروا صناعتها وأهتموا بها بسبب الحاجة إليها، ومنها السفن الكاية[١١٥]، الزيازب، الكندوريات، الحراقات، الطيارات، الشذوات[١١٦]، وأغلبها يكون لها شراع.

وصناعة أيضاً نوع من السفن المخصص لنقل المسافرين من مدينة الى أخرى مع أمتعتهم الخاصة، كما وتستخدم لأغراض السياحة النهرية، ومن أنواعها السيريات، المركبات، الدوب[١١٧].

فضلاً عن صناعة القوارب الصغيرة التي تستخدم للنزهة الخاصة ويملكها أصحاب الأموال وأهل الثروات، ومن أنواعها الطرادة، القفة، القارب" البلم"[١١٨].

ومن الأنهار المهمة في مدينة " الأنبار " التي تصلح للملاحة هي " نهر الفرات، "نهر عيسى"، والذي يتفرع من نهر الفرات عند مدينة " الفلوجة " ويصب في " نهر دجلة"[١١٩]، على العكس من نهر " الصراة " والذي فيه مانع وهي قنطرة الصراة، حيث تحول البضائع الى الجهة الثانية من القنطرة لتنقل الى بغداد بسفن أخرى[١٢٠]، كما وقيل ان مدينة " الأنبار " فيها سفن كثيرة[١٢١].

وبهذا الصدد يذكر لنا ابن الأثير في رواية أنه في سنة(٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م)، أرتفع منسوب ماء نهر الفرات الى تسع أذرع فخربت بعض دواليب " نواعير" مدينة " هيت " كما وخربت فوهة " نهر عيسى "[١٢٢].

وبعد هذا السرد البسيط عن موقع هاشمية الأنبار ومدنها وقصباتها المجاورة يتضح بأنها من المواقع المتميزة والتي تتصف بمواصفات تتوافق وأختيارها أول عاصمة لدولة امتدت أذرعها من الشرق إلى الغرب.

ولذا فمن المستغرب ما يذكره البلاذري في فتوح البلدان ان سبب تحول القائد سعد بن ابي وقاص عن الانبار بسبب كثرة الذباب اذ يذكر ما نصه[١٢٣]. ولعل البلاذري اما ان تكون معلوماته غير دقيقة او انه يعني منطقة اخرى ليست الهاشمية بعينها، ويذهب الى ذات الرأي احد الباحثين الذي يعتقد أن سبب تحول القائد سعد عن الانبار هو لكثرة الذباب _ معتمدا على ما ذكره البلاذري_[١٢٤].

وهذا الرأي لا يتناسب مع ما أورده البلاذري نفسه من أن سعد حينما سار نحو الانبار بنى بها مسجداً[١٢٥]، وبالرغم من عدم معرفتنا بمساحة المسجد وتخطيطه الذي اقامه سعد في الانبار والمادة البنائية التي شيد بها، لكن مما لا يقبل الشك ان مدة البناء لم تكن بالمدة البسيطة الامر الذي استدعى مكوثه بالأنبار مدة زمنية طويله لحين استكمال المسجد، فأن كان سبب ترك المدينة – كما يعتقد البلاذري– كثرة الذباب لكان حرياً بالقائد سعد ترك الموضع قبل بناء المسجد هذا من جانب.

ومن جانب اخر فأن رأي البلاذري يتقاطع مع ما ورثه العرب من ثقافة بيئية القت بضلالها عند اختيار مواضع المدن اذ حرصوا عند بحثهم عن المواضع التي يؤسسون فيها مدنهم ان يكون خالياً من الحشرات والهوام والامراض وغير موبوء ولا وخمة الهواء، وهذه الشروط البيئية خضعت لها كافة المدن منذ المدد المبكرة للإسلام كالبصرة والكوفة والفسطاط[١٢٦].

ثم الامر الاكثر اهمية هو كيف يتم اختيارها كأول عاصمة رسميه للدولة العباسية وهي منزوعة الشروط البيئية والصحية كمنطقة يكثر بها الذباب بينما نجد ان العاصمة الثانية دار السلام قد خضعت الى كافة التحريات الطبوغرافية والصحية والمناخية وهو ذات العرف والنظام الذي سار عليه العرب قبل وبعد اختيار موضع هاشمية الانبار، والسؤال الذي يتبادر للأذهان هل ان الخليفة العباسي ابو العباس السفاح لم يقم بالتحريات البيئية والصحية عند اختيار موضع عاصمته؟. ولكن ان السبب الوجيه –على الارجح– الذي جعل القائد سعد بن ابي وقاص يتحول من الانبار الى الكوفة هو سبب حربي بحت، فأن الانبار لا تصلح من الناحية الحربية خلال– الخلافة الراشدية حصراً– لوجود عائق طبيعي وهو نهر الفرات وهو ما يتعارض مع رؤية الخليفة الثاني عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) وتوجيهاته في اختيار مواضع المدن، ولبعدها عن مقر الخلافة الاسلامية في المدينة المنورة مما يؤخر ويعرقل ارسال الامدادات و المعونات و النجدات اذا ما تجدد القتال[١٢٧]. ومما يؤكد ما ذهبنا اليه من رأي ما يراه المعاضيدي من ان الانبار لا تصلح من الناحية العسكرية– في العصر الراشدي– وذلك لوجود الفرات غربها مما يؤخر ويعرقل الامدادات العسكرية للجيش العربي من عاصمة الخلافة في المدينة المنورة[١٢٨].

ومسألة الاسباب العسكرية والحربية قد انتفت في العصر العباسي كون مقر الخلافة العباسية اصبح في العراق بعد ان كان مقر الخلافة الاموية في بلاد الشام.

ثانيا: التسمية

عرف موضع الانبار بعدة اسماء منذ نشوء الحضارة في بلاد الرافدين مرورا بالحضارات الاسلامية المتعاقبة، ويعتقد الباحثون الآثارين الأوائل أنها ذكرت منذ العصر البابلي القديم بحدود (١٥٠٠ سنة ق. م) على رقيم طيني عثر عليه في خربة الدينية (خردام) الواقعة غرب مدينة عنة احتوى على جدول بأسماء مدن الفرات القديمة ومن بينها أسم (رابيكم او رابيكو) وهو موقع قريب من هاشمية الانبار الاسلامية[١٢٩]، ولكن الأبحاث الحديثة أثبتت بأن (رابيكوم أو رابيقوم) في بعض القراءات قد ورد ذكرها في نصوص سلالة أور الثالثة(٢١١٤-٢٠٠٤ ق.م) باعتبارها جزأً من بلاد سوخو والتي أطلقت على البلاد الممتدة من مدينة " خندانو " شمالاً إلى مدينة " رابيقوم " جنوباً[١٣٠] وهذا دليل على أنها مدينة قائمة منذ سلالة أور الثالثة أو لربما قبله، ويبدو ان موضع مدينة الانبار الحالي اصبح يعرف منذ العصر البابلي الحديث(٦٢٦_٥٣٩ق.م) باسم "مشيك او مسكين"[١٣١].

وعرفت المنطقة باسم فيروز سابور، اذ يعتقد الحموي بأنها اسم لمدينة الانبار وما اتصل بها من قرى بغداد، حيث يقول: (اتخذها سابور موضعا لمدينته الحصينة بعد ان نقل مساكن العرب التي كانت في هذا الموضع الى بقة و العقير، وركب للنضر اليها كي يسميها باسم يختاره فسنحت له ضباء فيها تيس مسن يحميها فقال لمرازبته اني قد تفاءلت بهذه الضباء رتبته في هذه المدينة وجعلته مرزبانا عليها فانبثوا في طلبها..... فأصاب مؤخره ونفذ السهم في جوفه وخرج من صدره فوقع الظبي على باب المدينة ميتاً ..... وتفائله سابور بالنصر وسميت المدينة فيروز سابور اي نصر سابور)[١٣٢]، اضافة الى اسم فيروز سابور فقد عرفت أيضاً باسم " برزج سابور" او " بيروز سابور" وترجح المصادر الحديثة بأن فيروز سابور هي موضع مدينة الانبار الحالية [١٣٣].

وجاءت عند المؤرخين اليونان بأسم (بيري سابور) pirisabisas وذكرها " اميانس مرشلنيس" بشكل: بيري سابور pirisabora وقد عرفها الرومان باسم فيروز سابور[١٣٤].

وسميت كذلك الانبار، وتعني في اللغة (بيت التاجر ينضد فيه المتاع، الواحد: نبر بالكسر، واكداس الطعام، ومواضع بين البر والريف)[١٣٥]، ويقول الزبيدي عن اسم الانبار (وليس في الكلام اسم مفرد على مثال الجمع غير الانبار، والابواء[١٣٦]، والابلاء، وان جاء فإنما يجيء في اسماء المواضع لان شواذها كثيرة)[١٣٧]، وجاء في المعجم الوسيط:(نبر الشيء نبرا: رفعه، ويقال: نبر في قراءته او غنائه: رفع صوته، و انتبر الشي: ارتفع، ويقال: انتبر الجرح: تورم)[١٣٨]، وفي كتاب العين(النبر بالكلام: الهمز، وفي الحديث:" ان رجلا قال: يا نبيء الله، فقال النبي صل الله عليه واله وسلم: لا تنبر بإسمي " اي: لا تهمز)[١٣٩].

ويذكر ابن منظور: ولما حج المهدي قدم الكسائي يصلي بالمدينة فهمز فانكر اهل المدينة عليه وقالو: تنبر في مسجد رسول الله "صل الله عليه وأله وسلم"، بالقرآن. والمنبور: المهموز والنبرة الهمزة. وفي حديث الإمام علي "عليه السلام": اطعن النبر وانظروا الشزر، النبر الخلس، اي اختلس الطعن، ولرجل نبار: فصيح الكلام، ونبار بالكلام: فصيح بليغ، وقال اللحياني: رجل نبار صياح. ويقول ابن الانباري: النبر عند العرب ارتفاع الصوت. يقال نبر الرجل نبر اذا تكلم بكلمة فيها علو، وانشد: اني لأسمع نبرةً من قولها... فأكاد ان يغشى عليَ سرورا)[١٤٠]، ويقول الرازي: (ومعنى الانبار جماعة الطعام من البر والتمر والشعير)[١٤١].

وعرفت الانبار مع ظهور الدولة العباسية " بهاشمية الانبار"، بعد ان اختيرت لتكون العاصمة الرسمية الاولى لهم، وإطلاق كلمة الهاشمية لتكون ملازمة للأنبار مثلما اطلقها على هاشمية الكوفة قبل الانبار وذلك ليكون اعلانا واعلاما بالنسب الهاشمي الرفيع بين انساب العرب، والسبب في اطلاق اسم الهاشمية على عواصم حكمهم لان دولتهم كانت في طور التكوين فلا بد من كسب الانصار، لا سيما ان شعار دعوتهم هو(الرضا من ال محمد)[١٤٢]، كون كلمة الهاشمية يشمل البيت الهاشمي بفرعيه العباسي والعلوي وهي دلالة على ان الحكم هاشمي ولا فرق بين العباسيين و العلويين.

وجاء اصل الهاشمية نسبة لجد الرسول الاكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، اذ سمي هاشم بن عبد مناف كونه كان يهشم الثريد للحجيج، ولكرمه وضيافته لحجيج بيت الله الحرام قبل الإسلام[١٤٣]، بينما اسمه الحقيقي عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، ويصل نسبه الى شيت بن ادم عليه السلام[١٤٤].

الهوامش :

(١) مديرية المساحة العامة، خارطة الكادسترو للواء الدليم، مقاطعة ١٨، الأزركية، بغداد، ١٩٤٥.

(٢) الفلوجة: اسم يطلق على مدينة تقع على ضفة الفرات اليسرى ضمن حدود محافظة الأنبار وتقع الى الغرب من العاصمة بغداد بحوالي (٥٥كم).

– مصطفى، مؤيد حسن، شيخ الآثاريين المهندس محمد علي مصطفى موجز تاريخ مدينة الفلوجة في العهدين العثماني والملكي، بغداد، ٢٠٠٩، ص ١١.

(٣) الجاسم، عبدالعزيز خضر عباس، الأنبار حاضرة بني العباس، ط ١، بيروت، ٢٠١٦، ص ٤٩.

(٤) الهيئة العامة للأثار والتراث، دائرة التحريات والتنقيبات، قسم التحسس النائي، استمارة المسح الآثاري لمدينة الأنبار الآثارية.

(٥) النجفي، علي بن الحسين الهاشمي الخطيب، تاريخ الانبار، بيروت،١٩٧١، ص٢٠.

(٦) الدينوري، ابو حفصة أحمد بن داود(ت: ٢٨٢هـ/٨٩٤م)، الأخبار الطوال، تحقيق: عصام محمد الحاج علي، ط ١، بيروت، ٢٠٠١، ص ٥٦٨.

(٧) السيلحين: بليدة من ارض الجزيرة قرب الانبار ويقام فيها سابقا سوق للعرب وحررت ايام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سنة(١٢هـ/ ٦٣٣م) انظر الحموي، ياقوت الشيخ الامام شهاب الدين عبدالله الرومي البغدادي(ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦، ج٢، ص ٣٩١.

(٨) الرب: قرية تقع على نهر الفرات على بعد سبعة فراسخ جنوب هيت شمال الانبار، وقد وصفها الرحالة الواموسيل في رحلته بأنها بليدة مزدهرة ومحاطة بالمزارع والجنائن الواسعة ، ويقول لسترانج أنها تقع على مسافة أثنتي عشر فرسخاً أسفل هيت، لسترانج، كي، بلدان الخلافة، ترجمة بشير فرنسيس و كوركيس عواد، مطبعة الرابطة، ١٩٥٤، ص ٩٣.

(٩) الناووسة: هي من القرى القديمة وتقع الى الجنوب من مدينة حديثة الحالية على نهر الفرات غرب العراق، للمزيد ينظر: ابن جعفر ، قدامة ، (ت : ٣٢٧هـ/٩٣٨م) ، الخراج وصناعة الكتابة ، تح: محمد حسين الزبيدي، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ١١٦و ٣١٤.

(١٠) ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله ابن عبدالله(ت: ٣٠٠هـ/ ٩١٢م)، المسالك والممالك، طبعة ليدن، ١٨٨٩، ص ٧٣.

(١١) ابن سرابيون، (ت ٩٠٠هـ/١٤٥٦م)، وصف ما بين النهرين وبغداد، مخطوط في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب، جامعة بغداد، تحت رقم ٩٢٤، ص ٣٢٢.

(١٢) قدامه، الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٢٩، المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين(ت ٣٤٥هـ/٩٥٧م)، التنبيه والاشراف، تح، عبدالله اسماعيل الصاوي، بغداد، ١٩٣٨، ص ٤٧.

(١٣) ابن حوقل، ابي القاسم النصيبي(ت ٣٦٧هـ/٩٩٩م)، صورة الارض، بيروت، دار مكتبة الحياة للنشر، (د، ت)، ص ١٨٩.

(١٤) الأصطخري، أبي اسحاق ابراهيم بن محمد المعروف الكوفي(ت ٣٤٠هـ/٩٥٢م)، مسالك الممالك، بريل، طبعة ليدن، ١٩٢٧م، ص ١٣-١٤.

(١٥) قدامه، الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٥٦.

(١٦) البلاذري، ابو الحسن بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي(ت٢٧٩هـ/٨٩١م)، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، بيروت دار الكتب العلمية، ١٩٨٣، ص ٢٤٤.

(١٧) الخطيب، تاريخ الانبار، ص ١١٢.

(١٨) دائرة المعارف الاسلامية، نقل من كتاب " سترك"، طبعة اكسفورد، ١٩٠٠م، ص ٢٥.

(١٩) الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٢١، الخطيب ، تاريخ الانبار، ص ١١٣,

(٢٠) اليعقوبي، احمد بن جعفر بن وهب أبو واضح الكاتب(ت ٢٨٤هـ/٨٩٧مم)، البلدان، بريل، طبعة ليدن، ١٨٩١، ص ٢٥٠، ابن حوقل، صورة الارض، (د. ت)، ص ٢١٧ .

(٢١) الأصطخري، المسالك والممالك، ص ٨٥، ابن حوقل، صورة الارض، ص ٢١٧.

(٢٢) لسترانج، كي، بلدان الخلافة، ص ٩١.

(٢٣) ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ/١٤٣٢م)، تقويم البلدان، تصحيح: وبنود البارون ماك كوكين، باريس، ١٨٤٠م، ص ٥٢.

(٢٤) الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٢٢.

(٢٥) الدواليب " النواعير": تعد من الصناعات المهمة التي عرفت واشتهرت بها " الأنبار ومدنها " على طول امتداد مجرى " نهر الفرات " والأنهر المتفرعة منه وتعرف محلياً بـ" النواعير" تصنع من أخشاب الأشجار وتكون= =على ضفاف الأنهر وما زالت موجودة في مدينتي " هيت و حديثة "، التي تقوم بدورها برفع المياه من الأنهار الى حوض تجمع فيه المياه يسمى محلياً " الطاسه " ويكون محكم ببوابة تفتح عند ملئه، وينقل الماء بواسطة مجرى يعرف محلياً بـ " الشاخة، العامود " الى البساتين والمزارع، مما جعل عملية سقي البساتين والمزارع سهلة لدى الفلاحين والمزارعين، وخاصة في فترة قلة المياه في الأنهر.

(٢٦) أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٥٢.

(٢٧) ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد القرشي(ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، بغداد، ١٩٩٠، ج ٦، ص ٢٨٨.

(٢٨) الخطيب، تاريخ الانبار، ص ١١٤.

(٢٩) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٤، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢ ،، ج ٩، ص ١٩٢ ، ابن حوقل، صورة الارض، ص ٢١٧، الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٢٠.

(٣٠) الجاسم، الانبار، ص ١٩ .

(٣١) الجاسم، الانبار، ص ١٩.

(٣٢) الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٢٠.

(٣٣) الرفيل : ينسب الى معاذ بن خشيش بن أبو ويسز بن خسرون وسمي معاذ بالرفيل لأنه لما قدم على الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) ليجدد اسلامه وكان قد اسلم على يد القائد سعد بن ابي وقاص ودخل على الخليفة عمر(رضي الله عنه) وعليه ثوب ديباج يسحب على الارض فقال له الخليفة(رضي الله عنه) : ذا الرفيل فصار له أسماً علما على هذا النهر.

(٣٤) دمما: قرية عامرة تقع على نهر الفرات قرب مدينة الفلوجة حالياً، للمزيد ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤١٧.

(٣٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٣٢١، قدامه، الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٥٥.

(٣٦) العلي، صالح أحمد، نهر عيسى في العهود العباسية، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ١٧٧.

(٣٧) اسماعيل، حميد نشأت، " ري سواد بغداد في العصر العباسي" منشورات المجمع العلمي العراقي"، بغداد، ١٩٩٩م، ص ٦٣.

(٣٨) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧٣ و ٢٧٤، ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٢٠.

(٣٩) لسترانج، كي، بلدان الخلافة، ص ٩٣.

(٤٠) المحمدي، محمد شاكر حمود، تأريخ الفلوجة دراسة موضوعية من الجذور إلى منتصف القرن العشرين، ط ١، دار الشعاع، دمشق، ٢٠٠٧، ص ٧٧.

(٤١) المحمدي، تأريخ الفلوجة، ص ٧٧.

(٤٢) الجاسم، الانبار، ص ٢٢.

(٤٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٩٣.

(٤٤) الطبري، التاريخ ، ج ٥، ص ٢٠٤.

(٤٥) المحمدي، تأريخ الفلوجة، ص ٧٨.

(٤٦) المحمدي، تأريخ الفلوجة، ص ٧١.

(٤٧) الدليمي، محمد خليفة، السكان والغذاء في العراق، اطروحة دكتوراه غير منشورة، مقدمة الى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨١، ص ٣٦٩.

(٤٨) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري(ت ٦١١هـ/١٢١٤م)، لسان العرب، القاهرة، ١٣٠٠هـ، ج ٧، ص ٣٩.

(٤٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٤٧.

(٥٠) الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٣٢٠و ص ٣٢١.

(٥١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧٣ و ٣٢١.

(٥٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٠٥.

(٥٣) المحمدي، تاريخ الفلوجة، ص ٢٢.

(٥٤) حمدان، جمال، المدينة العربية، القاهرة، (د. ت)، ص ٢١٤.

(٥٥) الطسوج: كلمة أكثر ما تستعمل في سواد العراق والطسوج أقل من كورة وبذلك يكون جزء من أجزاء الكورة، وتعرف عند الجغرافيين بـ الناحية، للمزيد ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٨، الفيروز ابادي، القاموس المحيط، مادة، (الطسج).

(٥٦) ابن خرداذبه، عبيد الله بن أحمد، ت(٣٠٠هـ/٩١٢م)، المسالك والممالك، بغداد، ١٩٦٣، ص ٨.

(٥٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٦٩، الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٦٥.

(٥٨) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٨.

(٥٩) المحمدي، تاريخ الفلوجة، ص ٢١.

(٦٠) الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط ٨، بيروت، ٢٠٠٥م، مادة: فلج.

(٦١) باقر ، وسفر، طه وفؤاد ، المرشد الى مواطن الاثار والحضارة، المرحلة الاولى، وزارة الارشاد، بغداد، ١٩٦٢، ص ٥.

(٦٢) الهيئة العامة للآثار والتراث، مجلة سومر، بغداد، مج ٨، ١٩٥٢م، ص ٢٧١.

(٦٣) المحمدي، تاريخ الفلوجة، ص ٢١.

(٦٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ١١٣، لسترانج، بلدان الخلافة، ص ٩٢.

(٦٥) الجاسم، الأنبار، ص ١١٢.

(٦٦) المقدسي، زيد بن احمد بن سهل البلخي مطهر بن طاهر (ت : ٣٢٢هـ/٩٣٤م) ، البدء والتاريخ ، نشره كلمان هوار ، باريس ، ١٨٩٩ ، ج٤ ، ص ٢٠٦.

(٦٧) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٢٢٩.

(٦٨) الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٧٢.

(٦٩) الجاسم، الأنبار، ص ٢٣-٢٤.

(٧٠) البكري، ابو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد (ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ، معجم ما استعجم، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ ، ج ٣، ص ٩١٤، ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٧٣.

(٧١) ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم الانصاري(ت ١٢٨هـ/٧٤٥م)، الخراج، القاهرة، ١٣٤٦هـ، ص ١٧٥، قدامه، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٣١٤.

(٧٢) ألوسه: قرية قديمة عامرة تقع إلى الجنوب من مدينة حديثة على نهر الفرات، للمزيد ينظر(إبن قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص ١١٦- ٣١٤.

(٧٣) الادريسي، ابو الفضل عبدالله الحسين، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، نابولو، بريل، ١٩٧٠، ج ٥، ص ٦٥٦.

(٧٤) لسترانج، بلدان الخلافة، ص ٨٩.

(٧٥) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٢٠٦، الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٣٠.

(٧٦) المقدسي، ابو عبدالله محمد بن احمد ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط ليدن ، بيروت ، ١٩٩١، ص١٣٨.

(٧٧) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٢٠٦، الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٣٠.

(٧٨) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٧، قدامه، الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٧٧.

(٧٩) المقدسي، ص ٥١، الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٢١، البكري، معجم ما استعجم، ج ٤، ص ١٣٥٧و ١٣٥٨.

(٨٠) الهيتي، رشاد الخطيب، هيت في إطارها القديم والحديث، ط ١، بغداد، ١٩٦٦، ج ١، ص ٧.

(٨١) الهيتي، هيت، ج ١، ص ٨.

(٨٢) ابن بطوطة، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم الطنجي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تحفة النظائر في خرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: علي المنتصر الكناني، ط ٤، بيروت مؤسسة الرسالة، ج ٢، ص ٧٤٥ و ٧٤٦.

(٨٣) لسترانج، بلدان الخلافة، ص ٩٠، باقر، طه، المرشد، ص ٩.

(٨٤) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت : ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) ، آثار البلاد وأخبار البلاد، ط١ ، بيروت ، د.ت ، ص ٢٨١.

(٨٥) الادريسي، نزهة المشتاق، ج ٥، ص ٦٥٦ و ٧٥٧، موسيل، الوا، الفرات الاوسط، ص ٣٧٧.

(٨٦) الكُرك : وحدة وزن ويساوي، ستون قفيزاً، والقفيز ثمانية مكاكيك، والمكوك صاع ونصف، وهو ثلاثة كليجات، للمزيد ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص ١٣٧.

(٨٧) الورق: يقصد بها العملة المضروبة، للمزيد ينظر، الرازي، مختار الصحاح، ج ١، ص ٣٣٦.

(٨٨) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٩.

(٨٩) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١٠.

(٩٠) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١٠.

(٩١) سركيه، سعد يوسف، المراعي الطبيعية في العراق، بغداد، ١٩٧١، ص ١٢٧.

(٩٢) الدليمي، محمد كريم ابراهيم فرحان، التحليل الجغرافي للموارد الطبيعية وامكانيات استثمارها في محافظة الانبار، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة الانبار، ٢٠١٣، ص٥٠.

(٩٣) الراوي، علي، "الثروة النباتية في البادية الشمالية"، الندوة العلمية حول أعمار واستثمار الصحاري، كلية العلوم، جامعة الأنبار، ١٩٩٣، ص ٨.

(٩٤) سركيه، المراعي الطبيعية، ص ٤٩.

(٩٥) الطرفة: الاسم العلمي له(Deene.ex Walp)، ينتمي للعائلة الطرفية الأسماء المحلية طرفة، حطب الأحمر، شجرة معمرة يتراوح ارتفاعها بين ١٥٠-٢٥٠سم، تنمو هذه الشجيرات في الأراضي السبخة (عالية الملوحة)، عند حافات البرك والمستنقعات المحاذية للنهر، وتتواجد على شكل مجموعات سكانية محدودة، لا ترعاه الحيوانات بأستثناء الأبل، وقد أستعمل في مجالات طبية عدة، منها ينفع في معالجة التهاب اللثة عن طريق الغرغرة بمستخلصه المائي، فترة التزهير المثلى : أواخر شهر كانون الأول-أوائل أيار، الانتشار الفلوجة، الحبانية، هيت. للمزيد ينظر: الحمداني، محمد عفان، وأخرون، دراسة تصنيفية بيئية لأنواع النباتات البرية في المنطقة المحاذية لنهر الفرات(من الفلوجة إلى القائم)، بحث مقدم إلى مركز دراسات الصحراء، جامعة الأنبار،٢٠٠٩-٢٠١٠، ص ٤٤.

(٩٦) الصفصاف: الأسم العلمي له(Salix acmophylla Boiss)، ينتمي للعائلة الصفصافية، شجيرات معمرة يتراوح ارتفاعها بين ٣-٦م، ينمو على ضفاف النهر في الترب الطينية والمزيجية وعلى السواقي التي تخترق الأراضي الزراعية ذات الطبيعة الحصوية الجافة أو شبه الجافة، النبات غير رعوي ويحتوي على مادة صمغية ، شموع في قلف النبات، ومن فوائد النبات أستخدامه كمادة قابضة ومخفف للحمى من خلال غلي الأوراق، إضافة إلى الأخشاب تستخدم في صناعات عدة. فترة التزهير المثلى: بداية شباط- أواخر نيسان. للمزيد ينظر: الحمداني، وأخرون، دراسة تصنيفية بيئية.

(٩٧) العوسج: الأسم العلمي له(Lycium barbarum L)، الأسماء المحلية عوسج، صريم، يعد شجيرة معمرة ذات سيقان شوكية، غير منتظمة النمو، ينمو النبات على حافات الطرق الجافة والأماكن المهملة وجانبي السداد الموازية للنهر، كما ينبت في الترب الكلسية والجبسية والرملية الفقيرة، النبات لا ترعاه الأغنام= =بأستثناء الجمال، ومن محتوياته الكيميائية .Tropein, Cholin, Tannin, Lycin ومن أستخداماته الشائعة معالجة التشنجات العظلية، كما أن ثماره تمتلك خصائص مقوية للقدرة الجنسية. فترة التزهير المثلى: أواخر شهر شباط- أواخر آذار، مناطق الأنتشار: الفلوجة، هيت، القائم، آلوس. للمزيد ينظر الحمداني، وأخرون، دراسة تصنيفية بيئية.

(٩٨) دراسة ميدانية للباحث.

(٩٩) القيصوم: الأسم العلمي له(Achillea Frgrantissima)، الأسماء المحلية: كيصوم، كيصون، بعيشران. يعد شجيرة صغيرة جداً معمرة. يتراوح ارتفاعها بين ٤٠-٧٠سم، ذات قاعدة متخشبة، وسيقان رفيعة جداً وكثيفة العدد تنتهي بنورات رأسية صغيرة صفراء اللون. ينمو النبات في مناطق السهوب ذات الترب الطينية، ويتواجد بشكل جماعات سكانية تمتد لمئات الأمتار، كما يتواجد عند حافات الوديان في عمق الصحراء الغربية. نبات ترعاه الأبل في جميع مراحل النمو، وقليل الأستساغة للأغنام، وهو نبات عطري وطبي يستخدم في معالجة التهاب العيون وأضطرابات المعدة وكطارد للديدان المعوية. فترة التزهير: أواخر شهر نيسان- أواسط تموز. للمزيد ينظر: الحمداني، محمد عفان، وأخرون، دراسة تصنيفية بيئية لأنواع النباتات البرية في منطقة الصحراء الغربية، بحث مقدم إلى مركز دراسات الصحراء، جامعة الأنبار، ٢٠١٢، ص ١٢٤.

(١٠٠) الكعوب: الأسم العلمي له(Gundelia tournefortii L)، الأسماء المحلية: كعوب، عكوب، كعوب أبو النجم، يعد عشب معمر، ذو ساق يتفرع في الأعلى إلى عدة نورات رأسية، السيقان والأوراق ذات شعيرات شوكية قاسية، يتراوح ارتفاعه بين ٣٥-٥٠سم. ينمو النبات كأفراد متباعدة عند حافات الأراضي الزراعية المهملة والسواقي التي تغذيها مياه المنازل الريفية، ويفضل المناطق الرطية وحافات السداد الموازية للنهر أحياناً. نبات غير رعوي بسبب مايحتوي من أشواك قاسية، إلا أن ثماره تؤكل بشكل سائغ، كما أن سيقانه تقشر وتطبخ لتأكل كما يؤكل نبات السلق، أما نوراته فتستعمل لتسلقط الشعر حيث يعمل عصير النبات على تقوية البصيلات. فترة التزهير النثلى: أواخر شهر نيسان- أوائل تموز. للمزيد ينظر: الحمداني، وأخرون، دراسة تصنيفية.

(١٠١) الخطيب، محمد رضا، المراعي الصحراوية في العراق، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٣، ص ٢٠٢، ودراسة ميدانية للباحث.

(١٠٢) الخطيب، المراعي الصحراوية، ص ٢٠٢.

(١٠٣) الشعير البري: الأسم العلمي له(Hordeum glaucm Steud)، الأسماء المحلية: شعير بري، شويرب، حنيطه، شعيره، خافور. يعد عشب حولي يتراوح ارتفاعه بين ١٠-٤٨سم. ينمو النبات في السهوب الرملية وأطراف الحقول الزراعية وفرب المناطق الرطبة، كما ينتشر في الترب الطينية. يعد من أهم النباتات الرعوية وخصوصاً في مرحلة النمو الخضري حيث تنخفض قيمته الرعوية بعد ظهور السنابل، وقد أستعمل مغلي النبات في الطب الشعبي كمدرر ولمعالجة التهابات المثانة والمجاري البولية. فترة التزهير المثلى: أوائل شهر شباط- أواخر نيسان. للمزيد ينظر: الحمداني، وأخرون، دراسة تصنيفية بيئية.

(١٠٤) الزعتر البري: الأسم العلمي له(Thymus bovei Benth)، الأسماء المحلية: زعتر، أزعتر. يعد عشب معمر ذو قاعدة خشبية ذات شكل نصف كروي تقريباً، يتراوح ارتفاعه بين ٥-١٥سم. ينمو النبات في بطون الوديان وبين الصخور فقط التي تحتفظ بالماء لفترات أطول، وله أماكن محددة تتواجد فيها أفراد النوع بشكل جماعة سكانية تقل أو تزيد أعدادها أحياناً، النبات عديم القيمة الرعوية، إلا أنه ذات قيمة طبية لأحتوائه على زيتاً طياراً غني بالمركبات الفينولية مثل الثايمول وبعض المعادن. وقد أستعمل لعلاج السعال والقرحة المعدية وحالات الإسهال، ويعد نبات مضاد للأكسدة وطارد للديدان، كما يعد من التوابل المهمة ولا يزال يستخدم مع زيت الزيتون كغذاء. للمزيد ينظر: الحمداني، وأخرون، دراسة تصنيفية بيئية لأنواع النباتات البرية.

(١٠٥) الخطيب، المراعي، ص ٢٠٣.

(١٠٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٤٧.

(١٠٧) المختار، فريال داود، المنسوجات العراقية الاسلامية من الفتح العربي الى سقوط الخلافة العباسية، رسالة ماجستير، غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٦٩، ص ٣٩.

(١٠٨) الجاسم، الأنبار، ص ٢٣-٢٤.

(١٠٩) المياح، والعقيلي، علي محمد ونعمان دهش، الأنبار دراسة في التراث الجغرافي العربي عمرانها وزراعتها، بحث مقدم الى المؤتمر العلمي الأول لجامعة الأنبار، ١٩٩٢\١٤\١٣، ص ٨.

(١١٠) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص ٥١و ٥٢، لسترانج، بلدان الخلافة، ص ٩٠،

(١١١) الهيتي، هيت في إطارها القديم ، ص ١٢.

(١١٢) بدج، سر وليس ، رحلات الى العراق، بغداد ، ١٩٦٨ ، ج ٢، ص ١٧١.

(١١٣) المشهداني، محمد جاسم حمادي، الجزيرة الفراتية والموصل دراسة في التاريخ السياسي الإداري، ١٢٧- ٢١٨هـ/ ٧٤٤- ٨٣٣م، بغداد، ١٩٧٧، ص ٢٢٠.

(١١٤) السري، حسين علي، تجارة العراق في العصر العباسي، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٢، ص ١٧٩و ١٨٠.

(١١٥) الكاية: نوع من السفن النهرية يصنع هيكلها من أخشاب الغرب والصفصاف وجريد السعف، دون استخدام المسامير الحديدية، وبعدها يطلى الهيكل من الداخل والخارج بالقير المصهور، وتكون حركة هذه السفن بشكل مجموعات، وتباع هذه السفن مع بضاعتها.

(١١٦) السري، تجارة العراق، ص ١٨٠.

(١١٧) السري، تجارة العراق، ص ١٨٠.

(١١٨) السري، تجارة العراق، ص ١٨٠.

(١١٩) الأصطخري، مسالك الممالك، ص ٨٤، أبن حوقل، صورة الأرض، ص ٢١٧.

(١٢٠) الأصطخري، مسالك الممالك، ص ٨٥.

(١٢١) متز، آدم ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسلام ، ترجمة : محمد عبد الهادي ابو ريدة ، ط٥ ، بيروت ، د. ت ، ج ٢، ص ٣٩٥.

(١٢٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٥٧.

(١٢٣) البلاذري، فتوح البلدان ، ص٢٢٧؛ العميد، طاهر مظفر، تخطيط المدن العربية الاسلامية ، بغداد ١٩٨٦، ص١٤٧.

(١٢٤) العميد، تخطيط المدن، ص١٤٨.

(١٢٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٧.

(١٢٦) الصبيحاوي، حيدر فرحان حسين، المعالجات التخطيطية لأثر البيئة الطبيعية في المدينة العربية الإسلامية في العراق حتى سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٤، ص٥٥.

(١٢٧) الجنابي، كاظم، تخطيط مدينة الكوفة عن المصادر التاريخية والاثرية خاصة في العصر الاموي، بغداد ١٩٦٧، ص٢٥.

(١٢٨) المعاضيدي، عبدالقادر سلمان،" بناء المدن العسكرية"، الجيش والسلاح، بغداد، ١٩٨٨، ج ٣، ص ٢٦٩.

(١٢٩) الهيئة العامة للأثار والتراث، دائرة الدراسات والبحوث، قسم التوثيق، تقرير بعثة تنقيب مدينة الانبار الاسلامية، الموسم الاول، ١٩٩٩، ص١.

(١٣٠) الزبيدي، كاظم عبدالله عطية، بلاد سوخو في الكتابات المسمارية، ط ١، دمشق، ٢٠١١، ص ١١.

(١٣١) باقر وسفر، المرشد، بغداد، ١٩٦٢، ص ٦.

(١٣٢) الحموي، البلدان، ج ٣، ص٤٥١.

(١٣٣) رشيد، قيس حسين، فيروز شابور تاريخ مدينة الانبار في العراق القديم بين الواح الطين ومتون المخطوطات،ط١، بغداد ٢٠١٤،ص٣٣.

(١٣٤) المحمدي، تاريخ الفلوجة، ص٤٦.

(١٣٥) الفيروز ابادي، القاموس، ص٤٤٥.

(١٣٦) الابواء: موضع بين مكة المكرمة والمدينة المنورة وتذكر المصادر التاريخية بانها الموضع الذي ولد فيه الامام موسى ابن جعفر الكاظم (عليه السلام) .

– السبحاني، جعفر، الامة الاثنا عشر" دراسة موجزة عن شخصيتهم وحياتهم عليهم السلام"، ط ١،بيروت ٢٠٠١، ص ٨١.

(١٣٧)الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبدالعليم الطحاوي، ج ١٤، ص ١٦٦.

(١٣٨) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، قام باخراجه: ابراهيم انيس واخرون، ط ٦، دون مكان الطبع، ١٩٩٤، ج١و٢، ص ٨٩٧.

(١٣٩) الفراهيدي، كتاب العين، ص ٩٣٥.

(١٤٠) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم(ت: ٧١١هـ /١٣١١م)، لسان العرب المحيط، اعداد وتصنيف يوسف خياط، بيروت، د.ت، مج ٣، ص ٥٦٦.

(١٤١) الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر(ت: ٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، مختار الصحاح، بيروت، ١٩٧٩، ص ٦٤٣.

(١٤٢) ابن الاثير، المبارك بن محمد ابو السعادات مجد الدين(ت: ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، الكامل في التاريخ، القاهرة، د.ت، ج ٥، ص ٣٠.

(١٤٣) الحنبلي، عبدالحي ابن العماد(ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٧م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، القاهرة، د.ت، ج ١، ص ١٥.

(١٤٤) المسعودي، علي بن الحسين بن علي(ت ٣٤٦هـ / ٩٥٨م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، القاهرة، ١٩٦٤، ج ١، ص ٢٧٢.

المصادر :

١. ابن الأثير، المبارك بن محمد ابو السعادات مجد الدين (ت: ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، الكامل في التاريخ ، القاهرة ، (د. ت) .

٢. الادريسي، ابو الفضل عبدالله الحسين، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، بريل، ١٩٧٠.

٣. اسماعيل، حميد نشأت، ري سواد بغداد في العصر العباسي، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٩٩.

٤. الأصطخري، ابي اسحاق ابراهيم بن محمد الكوفي (ت:٣٤٠هـ/٩٥٢م)، مسالك الممالك، ليدن، ١٩٢٧.

٥. باقر، و سفر، طه و فؤاد، المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة، المرحلة الأولى، بغداد، ١٩٦٢.

٦. بدج، سر وليس، رحلات إلى العراق، بغداد، ١٩٦٨.

٧. ابن بطوطة، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم الطنجي (ت:٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تحفة النظائر في خرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: علي المنتصر الكناني، ط ٤، بيروت، (د. ت).

٨. البكري، ابو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد (ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ، معجم ما استعجم، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ .

٩. البلاذري، ابو الحسن بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي (:٢٧٩هـ/٨٩١م)، فتوح البلدان، تح: رضوان محمد رضوان، بيروت، ١٩٨٣.

١٠. الجاسم ، عبدالعزيز خضر عباس، الأنبار حاضرة بني العباس، ط ١، بيروت، ٢٠١٦.

١١. ابن جعفر، قدامة(ت: ٣٢٧هـ/٩٣٨م)، الخراج وصناعة الكتابة، تح: محمد حسين الزبيدي، بغداد، ١٩٨١.

١٢. الجنابي، كاظم، تخطيط مدينة الكوفة عن المصادر التاريخية والأثرية خاصة في العصر الأموي، بغداد، ١٩٦٧.
١٣. ابن الجوزي، ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد القرشي (ت:٥٩٧هـ/١٢٠١م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، بغداد، ١٩٩٠.
١٤. حمدان، جمال، المدينة العربية، القاهرة، (د. ت).
١٥. الحمداني، محمد عفان، وأخرون، دراسة تصنيفية بيئية لأنواع النباتات البرية في المنطقة المحاذية لنهر الفرات (من الفلوجة إلى القائم)، بحث مقدم إلى مركز دراسات الصحراء، جامعة الأنبار، ٢٠٠٩-٢٠١٠.
١٦. الحموي، ياقوت الشيخ الأمام شهاب الدين عبدالله الرومي البغدادي (ت:٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان، بيروت، ١٩٨٦.
١٧. الحنبلي، عبد الحي ابن العماد (ت:١٠٨٩هـ/١٦٧٧م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، القاهرة، (د.ت).
١٨. ابن حوقل، ابي القاسم النصيبي(ت:٣٦٧هـ/٩٩٩م)، صورة الأرض، بيروت،(د. ت).
١٩. ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله ابن عبدالله(ت:٣٠٠هـ/٩١٢م)، المسالك والممالك، ليدن، ١٨٨٩.
٢٠. ابن خرداذبة، عبيد الله بن أحمد (ت:٣٠٠هـ/٩١٢م)، المسالك والممالك، بغداد، ١٩٦٣.
٢١. الخطيب، محمد رضا، المراعي الصحراوية بالعراق، بغداد، ١٩٧٣.
٢٢. دائرة المعارف الإسلامية، نقل من كتاب "سترك"، اكسفورد، ١٩٠٠.

٢٣. الدليمي، محمد خليفة، السكان والغذاء في العراق، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨١.

٢٤. الدليمي، محمد كريم ابراهيم فرحان، التحليل الجغرافي للموارد الطبيعية وامكانيات استثمارها في محافظة الأنبار، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الأنبار، ٢٠١٣.

٢٥. الدينوري، ابو حفصة أحمد بن داود(ت:٢٨٢هـ/٨٩٤م)، الأخبار الطوال، تح: عصام محمد الحاج علي، ط ١، بيروت، ٢٠٠١.

٢٦. الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر (ت:٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، مختار الصحاح، بيروت، ١٩٧٩.

٢٧. الراوي، علي، الثروة النباتية في البادية الشمالية، الندوة العالمية حول اعمار واستثمار الصحاري، كلية العلوم، جامعة الأنبار، ١٩٩٣.

٢٨. رشيد، قيس حسين، فيروز شابور، تاريخ مدينة الأنبار في العراق القديم بين ألواح الطين ومتون المخطوطات، ط ١، بغداد، ٢٠١٤.

٢٩. ابن الزبير، القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، تح: محمد حميد عبدالله، الكويت، ١٩٥٩.

٣٠. الزيدي، كاظم عبدالله عطية، بلاد سوخو في الكتابات المسمارية، ط ١، دمشق، ٢٠١٢.

٣١. الزيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبدالعليم الطحاوي، (د.ت).

٣٢. السبحاني، جعفر، الأئمة الأثنا عشر" دراسة موجزة عن شخصيتهم وحياتهم عليهم السلام"، ط ١، بيروت، ٢٠٠١.

٣٣. سركيه، سعد يوسف، المراعي الطبيعية في العراق، بغداد، ١٩٧١.
٣٤. السري، حسين علي، تجارة العراق في العصر العباسي، الكويت، ١٩٨٢.
٣٥. ابن سيرابيون (ت:٩٠٠هـ/١٤٥٦م)، وصف ما بين النهرين وبغداد، مخطوط في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب، جامعة بغداد، تحت رقم٩٢٤.
٣٦. الصبيحاوي، حيدر فرحان حسين، المعالجات التخطيطية لأثر البيئة الطبيعية في المدينة العربية الإسلامية في العراق حتى سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٤.
٣٧. الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط ٤، مصر، ١٩٦٢.
٣٨. العلي، صالح احمد، نهر عيسى في العهود العباسية، بغداد، ١٩٨٥.
٣٩. العميد، طاهر مظفر، تخطيط المدن العربية الإسلامية، بغداد، ١٩٨٦.
٤٠. ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت:٧٣٢هـ/١٤٣٢م)، تقويم البلدان، تصحيح: وبنود البارون ماك كوكين، باريس، ١٨٤٠.
٤١. الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت:٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، ط٨، بيروت، ٢٠٠٥.
٤٢. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت:٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، اثار البالد وأخبار العباد، ط ١، بيروت، (د.ت).
٤٣. لسترانج، كي، بلدان الخلافة، ترجمة: بشير فرنسيس و كوركيس عواد، الرابطة، ١٩٥٤.
٤٤. متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة: محمد عبدالهادي ابو ريدة، ط ٥، بيروت، (د.ت).

٤٥. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، معجم الوسيط، أخرجه: ابراهيم أنيس وأخرون، ط ٦، (دون مكان الطبع)، ١٩٩٤.

٤٦. المحمدي، محمد شاكر حمود، تاريخ الفلوجة دراسة موضوعية من الجذور إلى منتصف القرن العشرين، ط ١، دمشق، ٢٠٠٧.

٤٧. المختار، فريال داود، المنسوجات العراقية الإسلامية من الفتح العربي الى سقوط الخلافة العباسية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٦٩.

٤٨. مديرية المساحة العامة، خارطة الكادسترو للواء الدليم، مقاطعة ١٨، الأزركية، بغداد، ١٩٥٤.

٤٩. المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين(ت:٣٤٥هـ/٩٥٧م)، التنبيه والأشراف، تح: عبدالله اسماعيل الصاوي، بغداد، ١٩٣٨.

٥٠. المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت:٣٤٦هـ/٩٥٨م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محي الدين عبدالحميد، القاهرة، ١٩٦٤.

٥١. المشهداني، محمد جاسم حمادي، الجزيرة الفراتية والموصل دراسة في التاريخ السياسي والإداري " ١٢٧-٢١٨هـ/٧٤٤-٨٣٣م"، بغداد، ١٩٧٧.

٥٢. مصطفى، مؤيد حسن، شيخ الأثارين المهندس محمد علي مصطفى، موجز عن مدينة الفلوجة في العهدين العثماني والملكي، بغداد، ٢٠٠٩.

٥٣. المعاضيدي، عبدالقادر سلمان، بناء المدن العسكرية، الجيش والسلاح، بغداد،١٩٨٨.

٥٤. المقدسي، ابو عبدالله محمد بن احمد، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، بيروت، ١٩٩١.

٥٥. المقدسي، زيد بن احمد بن سهل البلخي مطهر بن طاهر (ت:٣٢٢هـ/٩٣٤م)، البدء والتاريخ، نشره: كلمان هوار، باريس، ١٨٩٩.

٥٦. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت:٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف : يوسف خياط، بيروت، (د.ت).
٥٧. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت:٦١١هـ/١٢١٤م)، لسان العرب، القاهرة، ١٣٠٠هـ.
٥٨. المياح، والعكيلي، علي محمد ومحمد نعمان دهش، الأنبار دراسة في التراث الجغرافي العربي عمرانها وزراعتها، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول لجامعة الأنبار، ١٩٩٢.
٥٩. النجفي، علي بن الحسين الهاشمي الخطيب، تاريخ الأنبار، بيروت، ١٩٧١.
٦٠. الهيتي، رشاد الخطيب، هيت في اطارها القديم والحديث، ط ١، بغداد، ١٩٦٦.
٦١. الهيئة العامة للآثار والتراث، مجلة سومر، بغداد، مج ٨، ١٩٥٢.
٦٢. الهيئة العامة للآثار والتراث، دائرة الدراسات والبحوث، قسم التوثيق، تقرير بعثة تنقيب مدينة الأنبار الإسلامية، الموسم الأول، ١٩٩٩.
٦٣. الهيئة العامة للآثار والتراث، دائرة التحريات والتنقيبات، قسم التحسس النائي، استمارة المسح الآثاري لمدينة الأنبار الأثرية.
٦٤. اليعقوبي، احمد بن جعفر بن وهب ابو واضح الكاتب (ت:٢٨٤هـ/٨٩٧م)، البلدان، ليدن، ١٨٩١.
٦٥. ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم الأنصاري (ت:١٢٨هـ/٧٤٥م)، الخراج، القاهرة، ١٣٤٦هـ.

طرق اعتناق و انتشار المسيحية في شمال شبه الجزيرة العربية وفق طروحات المستشرقين دائرة المعارف الإسلامية انموذجا

الطالبة :هديل شكري محمد العاني

ا.د ليث شاكر محمود

جامعة بغداد /كلية الاداب

طرق اعتناق وانتشار المسيحية في شمال شبه الجزيرة العربية وفق طروحات المستشرقين دائرة المعارف الإسلامية انموذجا

الطالبة :هديل شكري محمد العاني

ا.د ليث شاكر محمود

الملخص :

وتبرز أهمية الموضوع بالموقع الجغرافي المتمثل بشمال الحجاز والعراق والشام من كونها موطن الأنبياء ومهد الرسالات السماوية كونه يسلط الأضواء على المقالات الاستشراقية إزاء الأدوار الرئيسية لطرق اعتناق المسيحية العربية لانهم يحضون بمكانة كبرى في القران لانهم من اهل الكتاب وفي كتب ومصادر التاريخ العربي الإسلامي الاصيلة والمراجع العربية اضافه الى كتب الرهبان المسيحيين لذلك تكتسب الدراسة أهمية وخصوصية مميزة وواضحة في الدراسات التاريخية وبالأخص ما يخص حقل التاريخ الوسيط .

المقدمة:

يتناول هذا البحث (طرق اعتناق وانتشار المسيحية في شمال شبه الجزيرة العربية وفق طروحات المستشرقين دائرة المعارف الإسلامية انموذجا) وتمكن أهميته بما شهدت شمال شبه الجزيرة العربية تحولات عديدة على مر التاريخ اسهمت على نحو فاعل في بلورة الوجود الإنساني والديني بين غالبية سكانها، إذ كانت لتلك التحولات اثرها البالغ في رسم ملامح ابعاد الشخصية الانسانية الجديدة وصيرورة ثقافتها الاصيلة المستمدة من تراثها الفكري الغني أو اصولها الدينية والديانة المسيحية احدى تلك الاوجه التي انصهرت بالشخصية العربية الإسلامية في شمال شبه الجزيرة في صدر الاسلام وطبعت الاخيرة بطابعها الخاص على مرور عدة اجيال متعاقبة, كل ذلك وفق اراء المستشرقين الذين ينتمون الى العديد من المدارس الغربية الاستشراقية المتنوعة كتب هؤلاء المستشرقين مجموعة كبيرة من المقالات الموجودة في دائرة المعارف الإسلامية ومن بينها ابرز الاحداث والشخصيات التاريخية والمواضع المرتبطة بالمسيحية. اضافة على ما احتواه البحث من مواضيع جديدة استخرجت من المقالات .

طرق اعتناق المسيحية في شمال شبه الجزيرة العربية

لم يذكر مصدر الوقت المحدد او السنة الفعلية لانتشار المسيحية في شبه الجزيرة العربية واعتقد من ذلك لأنها تسربت بشكل تدريجي متسامح الا انه خلال القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد لم تكن النصرانية قد انتشرت إلا في المناطق التي عاش فيها العرب جنباً الى جنب مع العناصر اليونانية والرومانية(١). ويعود السبب الرئيسي الى انتشارها بشكل أوسع واسرع الى ثلاث مراكز مسيحية هي سوريا في الشمال الغربي والعراق في الشمال الشرقي والحبشة في الغرب عن طريق البحر الأحمر(٢). اما روافد الانتشار التي ظهرت من هذه المصادر هم المبشرين والتجار والرقيق الأبيض(٣). اما طريق (المبشرين) فكان الأكثر تأثير وذلك بعد انتقال النساك والرهبان الى الجزيرة العربية للعيش فيها بعيداً عن مغريات الحياة. وبفضل ما تميزوا به من علم ومعرفة بالطب وايضاً المنطق وكان لهم أسلوب خاص في الاقناع تمكنوا من استقطاب بعض سادات القبائل فنسب دخول سادات القبائل الى المسيحية بسبب الأطباء المسيح(٤). ومنهم من عاش مع الاعراب في الخيام حتى اطلقت عليهم تسمية أساقفة الخيام ويرتبط بالتبشير ايضاً عامل مهم وهو الاديرة وتشير جغرافية توزيع الاديرة في المنطقة العربية الى انتشار واسع لها حتى في عمق البوادي. فأهتم بذلك رؤساء الكنائس بنشر المسيحية(٥).

١-دور اباء الكنيسة في نشر المسيحية العربية :-

تدين المسيحية بقسم كبير من نجاح انتشارها الى سلسله من المؤلفين المعرفين باباء الكنيسة الذين فسرو عقائد الكنيسة ووسعوها .ويسمى اول سته منهم الإباء الرسوليين لانهم عاصروا الرسل في بعض أدوار حياتهم وكان ابرزهم سوريا يدعى اغناطيوس Ignatius وهو الذي خلف بطرس في اسقفية انطاكيا وتذكر المرويات انه حينما زار تراجان انطاكيا ١٠٧تصرف هذا الاسقف في الحضور بجرئه كبير وكانت نهايته الإعدام وانتشرت سبع رسائل من مصنفاته .(٦) بوستين الشهيد Justin the martyr ولد في نابلس وكان متحمس للفلسفة الأفلاطونية ثم اعتنق المسيحية بعد محاوره له مع اسقف متواضع وكثيرا ما يشار الى بوستين باسم الفيلسوف وهو من ادخل عنصر من الفلسفة الى الاهوت المسيحية .

وينسب له انه افتتح اول مدرسه مسيحيه له في روما وقد تميز بان جعلته الكنيسة الشرقية وحتى الغربية اسقفا .[٧]

اوريجين origen وهو من تراس مدرسه لتعليم الدين المسيحي واسس لنفسه مدرسه أخرى في منطقة قيصريه [٨] يستنتج من ذلك انهم من اعلام المسحية الكبار وكانت لهم إنجازات عظيمه حتى أعطيت اليهم هذا اللقب وهو اباء الكنيسة ورغم كثرتهم الا اني اخترت من اشتهر منهم في شمال شبه الجزيرة العربية لأنه اطار دراستي .

٢-المبشرون المسيحيون الأوائل والتجارة في شمال شبه الجزيرة

انتشرت المسيحية شفاها من خلال الكلمات المنقولة في السنوات الأولى من خلال رسل المسيح الذين كانوا يكررون وينشرون تعاليمه ودينه وهي قبل كل شيء حركة روحيه اعتنقها الناس من كل الطبقات وعندما اتسعت رقعه البلاد التي امنت بالمسيحية اضطر الرسل الى ان يكتبوا الرسائل الى الكنائس التي اسسوها وبلغ عدد الرسائل واحد وعشرين رسالة وهي تشكل الجزء الأكبر من العهد الجديد لقد كان الرومان والدولة البيزنطية أطماع توسيعية في اسيا بشكل عام وطرق التجارة فيها بشكل خاص لانهم ايضاً أرادوا التحكم بالطرق التجارية خاصاً التوابل والحرير والتحكم في توزيعها في المناطق والأسواق العالمية[٩]. لذلك وجد وفي نشر المسيحية وبناء الكنائس والاديرة وسيلة لتحقيق هذا الهدف السياسي الاقتصادي فأهتم رؤساء الكنائس بنشر المسيحية في بلاد الشام والجزيرة العربية مقابل ذلك تدفق الى خزانة الكنيسة الكثير من الهبات والتبرعات[١٠]. ومن ذلك دور بعض التجار الذين يأتون بغرض التجارة لكن مع ذلك يجالسون العرب ويتحدثون عن دينهم وتعالميه فأعتنق الكثير منهم المسيحية. وأن بعض التجار قد استقروا خاصة في بلاد الشام[١١].

فبدأ التأثير يكون بشكل اكبر. وممن يجب نظمهم في سلك نشر المسيحية أولئك المبشرون من الاساقفة الذين تكرر ذكرهم في الشعر العربي المروي سابقاً فإنهم لم ينقطعوا فقط إلى الصلاة والزهد بل كثيراً ما كانوا يختلطون بالعرب ويدعونهم إلى نبذ أديانهم الباطلة ويرشدونهم إلى الصلاح بالخطب والمواعظ.

والكلام البليغ كما ورد في تراجم البعض منهم كالقديس هيلاريون والقديس افتيموس[١٢] بين عرب الشام والقديس جرجنسيوس رسول عرب اليمن وموسى رسول الغسانيين وغيرهم كثيرين..[١٣]

٣-ترجمة الانجيل ساعدت على نشر المسيحية من وجهة نظر استشراقية

يذكر المستشرق كاردافو ((ترجم النصارى العرب الانجيل عن اليونانية والاتينية والقبطية وان الترجمة التي تمت عن اليونانية قد تمت في عهد مبكر جدا والذي يرجع عهدها الى القرن الثامن الميلادي ويعتقد ان هناك ترجمة اقدم من هذه قام بها البطريق يوحنا وهو من القائلين بطبيعة الواحدة , وكتب جرجس وهو اسقف القبائل العربية في بابل وكان معاصرا وصديقا ليعقوب الاهواري الذي كانت له تعليقات على الكتاب المقدس))[١٤] ساعد ذلك على نشر المسيحية لان الكتاب اصبح بالغات متعددة ثم انتشرت كتب أخرى فيها تعاليم المسيحية ويتكون العهد القديم من تسعة وثلاثون كتابًا يطلق عليها اسم أسفار ومنها الأسفار التاريخية وأسفار الأنبياء و الحكمة وكانت الترجمة السبعينية لهذا الكتاب والتي أنجزها لاهوتيون يهود في الإسكندرية خلال القرن الثاني قبل الميلاد باللغة اليونانية النسخة التي لاقت انتشار واسع جدا في العالم العربي وخاصة شبة الجزيرة العربية الأكثر ؛[١٥]

مبتدئين بأسفار بولس نظرًا لما كان له من شهرة ولأنه أوصى بقراءة رسائله بنفسه، وتشير كتابات آباء كنيسة القرن الثاني إلى أنهم يعرفون عددًا كبيرًا من رسائل بولس وأنهم يولونها مكانة الكتب المقدسة، أيضًا فإن أقدم الإشارات التاريخية تثبت أن المسيحيين يقرأون الأناجيل في اجتماعات الأحد وأنهم يعدونها مؤلفات الرسل أو أقله شخصيات تتصل بالرسل بشكل وثيق، وأنهم أخذوا يولونها منزلة الكتاب المقدس.[١٦] يستنتج من ذلك ان المسيحية دين تبشير فقد نشرت كتبهم الدينية على نطاق واسع اضافه الى اقامتهم حلقات دينية في يوم الاحد المحدد عندهم لتعليم فئة من العرب الديانة المسيحية وبرزت الأناجيل الأربعة نظرًا لصحة نسبها إلى الرسل من ناحية ولما تحلّت به صفات تتطابق مع التقليد الشفهي، ومع رسائل بولس التي اعتبرت قبلاً أسفارًا مقدسة، وحوالي عام ١٧٠ كان قانون العهد الجديد قد اكتمل وأضيف إليه سفر أعمال الرسل كمؤلف قانوني لكون مؤلفه هو لوقا مؤلف

الإنجيل الثالث نفسه، ثم ضمّ إلى القانون لاحقًا رؤيا يوحنا والرسالة إلى العبرانيين إضافة إلى رسائل يوحنا الثلاث ورسالتي بطرس فضلاً عن رسالة يهوذا ورسالة يعقوب، وذلك بعد نقاشات طويلة حول صحة نسبتها، إذ لم ينته ضم جميع الأسفار حتى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع.[١٧] يطلق على القسم الأول من العهد الجديد اسم الإنجيل ويشمل أربع كتب هي: إنجيل متى،[١٨] وإنجيل مرقس [١٩] ، أما إنجيل لوقا ثالث[٢٠] ، يطلق على الأناجيل الثلاثة الأولى اسم الأناجيل الإزائية[٢١]، أما الإنجيل الرابع، فهو إنجيل يوحنا[٢٢]، يتميز ببنية خاصة، كذلك يغلب عليه الطابع اللاهوتي من ناحية الخطب والصلوات، ولا يهتم بسرد الأحداث بقدر ما يهتم باستخلاص معانيها . اما بالنسبة لترجمة العربية فقد وضحها المستشرق في مقاله لو في دائرة المعارف الإسلامية ((هناك ترجمة أخرى للإنجيل قديمة جدا نقلت عن السريانية وفيها مخطوطة محفوظة في ليسبك[٢٣] ، وعلى هذا يمكن القول ان المسلمين عرفوا هذا من عهد متقدم اهم كتب العهد الجديد ونقل الى اللغة العربية الى جانب الاناجيل الصحيحة ومنها انجيل الصبوة انجيل القديس يعقوب ورؤيا القديس بولس وعظة القديس بطرس وأخرى رساله في استشهاد القديسين يعقوب وسيمون وان رؤيا القديس بطرس وضعت بالعربية أيضا))[٢٤]، لكن بعد رجوعي الى هذا الكتاب والترجمة عن الفرنسية تبين ان ان هذا الصفحة لا تحتوي على هذه المعلومات اذا المستشرق غير دقيق في نقله للمعلومات عن الكتب الأجنبية ولم يوثق فيما يخص الجانب العربي بمصادر عربية وهذه الصفحة تحوي(الأماكن الموجود فيها بعض نصوص بولس وقصه المجوس)[٢٥]

٤-دور الرقيق الأبيض بنشر المسيحية بين العرب

دخلت المسيحية مع الرقيق المستورد من فارس وبيزنطة واستقر في مناطق مختلفة من جزيرة العرب[٢٦]. تميز هذا الرقيق انهم يعرفون القراءة ويفسرون العهدين القديم والجديد ويقصون على العرب قصص مسيحية وتمكنوا من اقناع اعداد كبيرة من العرب المسيح[٢٧]وان الجانب الاخر الذي ساعد على تنصير العرب هو اخلاق النصارى ورقي أسلوبهم وتعاملهم. فتح الباب للعرب الذين اعتنقوا النصرانية على تطور مستوى حضارتهم وأسلوب حياتهم وذلك من خلال لقائهم بدول كبرى مثل البيزنطية [٢٨]والساسانية[٢٩].

٥- دور الشعر والشعراء المسيحية في نشر تعاليمهم

كان الشعر شفهيٌّ يحفظ في الذاكرة لا في الأوراق، لأن الشعب الذي لا يملك الكتابةِ لاَ يعتمد عليها في حفظ آثاره، يضطر إلى استخدام ذاكرته للحفظ، فتقوى بالاستعمال، ويسهل عليها اختزان مختلف الآثار، وتكثر الرواة في العصور الشفهية وكان لكل شاعر في راوية يحفظ شعره، ويرويه الناس، وربما روى الشعراء بعضهم لبعض، فقد كان زهري راوية لأوس بن حجر، والحطيئة راوية لزهري .وقد تشتهر قصيدة لشاعر فترويها قبيلته [٣٠],ويذكر المستشرق ((ان اقدم ادب للعرب هو الشعر لكن ابعد الاشعار قدما لا يجاوز سنه ٥٠٠م,ولقد خضع الشعر طيلة الفترة التي سبقت الإسلام لجملة من التقاليد كتلك المطالع التي كانت ذات طابع واحد وهذه الاوصاف التي تواضعوا عليها وتلك الذخيرة من التشبيهات وهذه النخبة المحدودة الملتزمة من الموضوعات))[٣١] للشعر الجاهلي أبواب رئيسية مستقلة، وهي الفخر والحماسة، والمدح، والهجاء، والرثاء؛ وأغراض إضافية غير مستقلة أو ثانوية: كالغزل، والطبيعة، والخمريات، والحكم والمواعظ [٣٢] واستعمل شعراء ما قبل الإسلام خمسة عشره بحرا [٣٣] أن النهضة الشعرية كانت خصوصاً في القرن السادس للمسيح أي القرن السابق لظهور الإسلام على التعبير عن كل العواطف البشرية وهي مع ذلك وعلى خلاف ذلك تجد في اشعارهم الدينية أثاراً بينة لاعتقادهم بالإله الواحد وبخلود النفس مع اقتباسات وإشارات واضحة إلى الأسفار المقدسة وإلى الأنبياء وإلى العادات النصرانية[٣٤] وما يؤيد وجود الشعر قبل الإسلام في شمال شبه الجزيرة العربية وتحديديا بين المسيحية هي اقوال لمصادر اصيلة. قال الجاحظ في كتاب الحيوان "أما الشعر فحديث الميلاد صغير السن أول من نهج سبيله وسهل الطرق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة [٣٥] ... فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام"[٣٦]. وذكر السيوطي في المزهر لعمر بن شبة في طبقات الشعراء قوله: "وهؤلاء النفر المدعى لهم التقدم في الشعر متقاربون لعل أقدمهم لا يسبق الهجرة بمائة سنة أو نحوها".[٣٧] قال محمد بن سلام الجمحي في طبقات الشعراء "لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة وإنما قصدت القصائد

وطول الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف"[٣٨] ومن اشهر شعراء المسيحية الشنفري[٣٩]

٦-دور الخطابة الدينية في نشر المسيحية بين العرب

بعد الحديث عن الشعر و الشعراء المسيحية يقتضي أن نبين نفوذ هذا الدين بينهم بما هو أدل على آدابهم. وليس أكثر دلالة على ذلك من فن الخطبة[٤٠]. قد افتخر العرب المسيحية في كل أجيالهم بمقدرتهم على البلاغة والتبسط في كلام وقوة العارضة حتى أنهم لجهلهم آداب ما سواهم من الشعوب كاليونان والرومان نسبوا إلى قومهم الامتياز بفن الخطابة دون سواهم..[٤١] بأن الخطابة الدينية كانت شائعة بين تبعتها لأن الديانة المسيحية تنتشر عادة بالتعليم الشفاهي إذ قال السيد المسيح لرسله "اذهبوا وتلمذوا كل الأمم ... وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به"[٤٢] فلا يجوز استثناء المبشرين بالنصرانية بين العرب من هذا الحكم. ولا سيما أنهم كانوا شيدوا بينهم كنائس عديدة وأقاموا لهم أساقفة . وهؤلاء كلهم في مقدمة واجباتهم الإرشاد والخطابة في عقائد الدين ليرسخوها في عقول رعاياهم ويثبتوها للخوارج وللطالبين التدين بالمسيحية. فليت شعري ماذا بقي من تلك الآثار الطيبة والخطب أو الميامر. ولا ننكر أن اللغة الكنسية كانت في بعض جهات العرب الكلدانية أو اليونانية إلا أنه كان للغة العربية حصتها أيضاً في النواحي التي كان أهلها من أصل عربي محض مثل والحجاز والشام والعراق وبين عرب المدر الساكنين في الخيم حيث كان يسكن بينهم أساقفة يتنقلون معهم في مناجعهم كما صرحت الآثار الكنسية والمجامع الدينية بذلك ودونا أقوالهم[٤٣]

ومثالا على احد الاساقفة الذين خطبوا وانموذجا لأحدى خطبة

فمن ذلك خطيب ديني شاع اسمه في بطون بلاد العرب وانجادها أجمع كل أهل البادية من حضر ومدر على أنه كان آية في البلاغة الخطابية وهو قس بن ساعدة الايادي[٤٤] الذي يدل مجرد اسمه على المسيحية وضرب به المثل في أساليب البيان. ويذكر الشهرستاني ولو لم يكن في جزيرة العرب غير قس اشتهر في البلاغة والخطابة لكفى المسيحية به فخراً.[٤٥] اما ما يروى عنه تأييداً لهذه السمعة العظيمة. ولعلهم أصابوا بقولهم

أنه "كان أسقفاً على الرها وأنه كان زاهدا في الدنيا يلبس المسموح ويتبع السياح على منهاج المسيح" وكذلك قولهم لأنه "كان يتكئ على عصا في خطبه" [٤٦] ((أيها الناس الحلم شرف والصبر ظفر سرور والمعرفة كنز والجهل سفه والعجز ذلة والحرب خدعة والظفر دول والأيام عبر والمرء منسوب إلى فعله مأخوذ بعلمه فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد واستشعروا والجد تفوزوا به ودعوا الفضول يجاريكم السفهاء وأكرموا الجلوس يعمر ناديكم وحاموا عن الحقيقة يرغب في جواركم وأنصفوا من آنفكم يرفق بكم وعليكم بمحاسن الأخلاق وبالأخص الأخلاق الدينية المسيحية فإنها ترفع الشرف وترتقي المجد.))[٤٧] فإن أساقفة المسيحية يمسكون في أيديهم عكازاً وهم يخطبون. وخلاصة الكلام الخطبة أن قساً كان خطيباً مصقعاً أثر كلامه البليغ في قلوب العرب حتى نسبوا إليه من الأقوال والأعمال ما يرده النقد الصحيح ولا يقبله الذوق السليم بين ان الديانة المسيحية فيها العبر والمجد وترفع الشرف فهو أسلوب يبين منها منظور ديني واجتماعي يلامس قلوب العرب في تلك الفترة

٧- دور الكنيسة المنوفزية في نشر المسيحية بين قبائل شمال شبة الجزيرة العربية

كان الدور الذي قام به يعقوب البرادعي في نشر المنوفستية[٤٨] في الشرق بواسطة الأساقفة والكهنة العديدين الذين رسمهم وأرسلهم إلى مناطق مختلفة من الإمبراطورية الفارسية. وقد رسم سنة ٥٥٩ ق م . (حودامه مطرافوليطا)على المشرق، وكان احودامه رجلا يمتاز بعلمه وفضائله وغيرته الحميدة على الديانة المسيحية. وقد دفعته هذه الغيرة إلى هداية كثيرين من الوثنيين، وحتى من الذين ينتمون إلى العائلة المالكة إلا أن تقدم المنوفيزيين لم يتوقف. فقد تغلغلوا في طور عبدين كله وجعلوه منطلَقا لدخولهم في البلاد الفارسية. وكانت القبائل الغسانية في الغرب تمدهم بالحماية والعون المعنوي والمادي وكان السبايا الرومان قد انتشروا في البلاد الفارسية، ولاسيما في المنطقة الجنوبية، حيث حلت أعداد غفيرة منهم من جراء الغزوات الموفقة التي قام بها كسرى الأول في المناطق الرومانية. فكان لمذهب المنوفيزي يلاقي كل القبول والترحاب بين هؤلاء المسببين الذين كانوا يشاطرون ملوك القسطنطينية ميلهم وعطفهم على المنوفيزيين[٤٩]. فانتخبوا قاميشوع الذي كان قس الكنيسة الجديدة التي أقيمت لهم بالقرب من البلاط الملكي، بقوله أن قاميشوع رسم

أساقفة حيثما وجد حاجة إلى ذلك، لأن الأرثوذكس كانوا حينذاك قليلين .ولسنا مطلعين بكفاية على المراكز الجديدة التي أعطيت لهؤلاء الأساقفة الجدد .إنما نعلم أن لمركز الوحيد الذي كان يشغله مطران كان الدير .[٥٠]أما مراكز الرها وديار بكر فلم تعط لهم إلا في فترة لاحقة، خلال الحرب التي دارت بين الملك الفارسي كسرى الثاني والروم، ابتداء من سنة ٦٠٣فكان إذن دير مار متى وما يجاوره من الأماكن أهم مراكز الإشعاع للحركة المنوفيزية، ومنها انطلق المرسلون إلى شتى أرجاء المملكة الفارسية امتدوا إلى القبائل العربية الساكنة على هامش الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية .وانتشر نفوذهم في الشمال أيضا، و سرعان ما أخذوا ياسسون المدارس في كل مركز هام ويزودون هذه المدارس بما تحتاجه من الأساتذة من خريجي مدرسة نصيبين ويمولونها بالأموال الكافية ويهتمون بإعطاء الطلاب ثقافة شرقيةأصلية. [٥١]

الخلاصة :

١-دائرة المعارف الإسلامية مرجع شامل ومهم لمعرفة النظرة الاستشراقية حول جوانب مختلفة وذلك لما حوته من مقالات متنوعة لكبار المستشرقين ويكشف من خلالها زيف الكثير من المستشرقين وافترائاتهم على الإسلام

٢-تعد الديانة المسيحية الموجة الأكبر والأكثر من كتابات المستشرقين وذلك لان الجزء الأعظم من المستشرقين هم مسيحيين لذلك تعتبر من اهم الخلفيات المؤثرة في كتاباتهم إضافة الى دخول بعضهم الإسلام (الاسلمة) عملية تحليل الفكر الاستشراقي ليس عن طريق الاخذ بنتاجهم الفكري والعلمي وحسب بل من خلال تحليل سير المستشرقين

٣-شكلت المنظومة العقائدية ومن ابرزها المسيحية في شمال شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ، والتي تناغمت في محيط اجتماعي متجانس تقبل فيه الجميع هذا بنوع من التعايش قلّ نظيره في بقاع الارض المختلفة.

٤-اهم ما يستنتج من البحث هو المواضيع الجديدة التي استخرجت من المقالات الاستشراقية لان اغلب ما يعرف عن انتشار المسيحية العربية هو عن طريق الاديرة والتجار لكن البحث وضع أمور وطرق أخرى عن انتشار الديانة .

الهوامش :

(١) العلي، صالح احمد، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، (بيروت: شركة المطبوعات لتوزيع والنشر، بلا.ت)، ص٢٦١.

(٢) السقاف، ابكار، الدين في شبه الجزيرة العربية، ط١ (بيروت: الانتشار.),ص٦٧

(٣) علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٦، ص٦٢٦.

(٤) اليسوعي، الاب لويس شيخو، النصرانية وأدابها بين عرب الجاهلية، ط٢ (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٩)، ص٩٤

(٥)طقوش، محمد سهيل، تأريخ العرب قبل الإسلام، ط١ (بيروت: دار النفائس، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) ، ص٢٦٦.

(٦) حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد المنعم رافق، اشرف الدكتور جبرائيل جبور، ط١،(بيروت, دأر الثقافة ، ١٩٥٨م),,ج٢ ,ص٣٦٣

(٧) بيير, المسيحية في سورية ,ص٦٩.

(8) Berdyaev, Nicholas, The Beginning and the End, tr. R.M. French (New York: Harper and Brothers 1952)p22.

(٩) اليسوعي، النصرانية وادابها، ص٥٦.

(١٠) طقوش، تاريخ العرب، ص٢٦٧.

(١١) اليسوعي، النصرانية وادابها، ص٣٣.

(١٢) القديس افتيموس وُلِدَ أفتيموس المعروفُ بالكبير، في ملاطِيَة في أرمينية عام ٣٧٧. سِيمَ كاهنًا ووُكِلَ إليه الاهتمامُ بشؤونِ الأديرةِ في مدينةِ ملاطِيَة. أحبَّ حياةَ النُّسكِ والأماكنَ المقدّسة، فذهبَ إلى القدس, كان كثير النصائح للناس لذلك كانَ الإخوةُ النسَّاك يستمعون بسرورٍ لمِثلِ هذه الإرشاداتِ المتدفِّقةِ من لسانِه الشديدِ العذوبةِ (مقالة منشورة على المعهد الإكليريكي للبطريركية ,على الموقع (http://www.latinseminary.org

(١٣),لويس شيخو, رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب (ت: ١٣٤٦هـ) ٤٩ــ النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية (بيروت :مطبعة الإباء المرسلين اليسوعيين ,١٨٩٠م),
ص١٥٠

(١٤) كاردافو :انجيل ,ترجمة احمد الشنتاوي واخرون ,دائرة المعارف الإسلامية ,مج٣ ,ص١٠.

(١٥) شتيوي, محمد شلبي ,الانجيل دراسة وتحليل ,ط١,(الكويت :مكتبة الفلاح ,١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م), ص١٤.

(١٦) عزيز,القس فهيم ,المدخل الى العهد الجديد ,(القاهرة : دار الثقافة المسيحية , د.ت),ص١٨٥

(١)ماك ,بيترون ل , الانجيل المفقود(كتاب ك والأصول المسيحية),ترجمة :محمد الجوار (دمشق: دار الكلمة, ٢٠٠٧م) ص١٩

(١٨) إنجيل متى، الذي كتب في جبيل أو أنطاكية للمسيحيين من أصل يهودي هم خارج فلسطين حوالي العام ٨٠ أو ٩٠، وينسبه التقليد الكنسي منذ النصف الأول للقرن الثاني لمتى أحد التلاميذ الاثني عشر(ينظر: شتيوي, ,الانجيل دراسة وتحليل , , ص٤٦.; عزيز, ,المدخل الى العهد الجديد,ص ٢٤٢.)

(١٩)وإنجيل مرقس وهو أقدمها تاريخيًا كتب حوالي سنة ٦٠ أو ٦٥ في روما خلال الفترة التي شهدت اضطهاد نيرون، وقد كتب للمسيحيين من أصول وثنية؛ ويعتبر أقصر الأناجيل، يغلب عليه سلسلة روايات قصيرة غير مترابطة فيما بينها، وقد نسب إلى مرقس أو من يدعى في سفر أعمال الرسل يوحنا مرقس ذو الأصول اليهودية، وهو تلميذ ومرافق لبطرس،واعتمد عليه في كتابة إنجيله؛(ينظر: شتيوي, ,الانجيل دراسة وتحليل , , ص٥٢.; عزيز, ,المدخل الى العهد الجديد,ص ٢١٥.)

(٢٠)إنجيل لوقا ثالث الأناجيل، فيوضع تاريخه بعد حصار أورشليم وتدمير هيكل سليمان عام ٧٠ أي بحدود العام ٨٠، وهو موجه بالتحديد إلى إحدى الشخصيات النبيلة اليونانية التي تدعى ثاوفيليوس، ومن ثم للمسيحيين ذوي الثقافة اليونانية بشكل عام، يتميز هذا الإنجيل بأنه الوحيد الذي يفتتح بمقدمة شأنه شأن كثير من المؤلفات اليونانية في تلك الأيام. (ينظر: شتيوي, ,الانجيل دراسة وتحليل , , ص٦١.; عزيز, ,المدخل الى العهد الجديد,ص ٢٧٠.)

(٢١)الأناجيل الإزائية :- هي الأناجيل القانونية الثلاثة الأولى متى ومرقس ولوقا. سميت كذلك لأنه يمكن وضعها بإزاء بعضها البعض فهي متألفة أو متشابهة حيث تخبر نفس القصص عن يسوع وتتبع ترتيب الأحداث نفسه عامة,(ينظر : ماك , الانجيل المفقود,ص٣٤)

(٢٢) إنجيل يوحنا، يتميز ببنية خاصة، كذلك يغلب عليه الطابع اللاهوتي من ناحية الخطب والصلوات،ولا يهتم بسرد الأحداث بقدر ما يهتم باستخلاص معانيها٠(ينظر: شتيوي, ,الانجيل دراسة وتحليل , , ص٧٠)

(٢٣) ليبسِك :-، Leipzig بالألمانية وتلفظ laɪptsɪç هي ثاني أكبر مدن ولاية ساكسونيا في شرق ألمانيا, يعود ذكر تاريخ المدينة إلى العام ١٠١٥، تم منحها صفة المدينة عام ١١٦٥. عرفت ليبسك على مر الزمن بأنها مركز تجاري. يرجع تاريخ معرض ليبسك للتجارة إلى العصور الوسطى(مقالة منشورة على موقع الوكبيديا , لايبزيغ https://ar.wikipedia.org/wiki)

(٢٤) كاردافو :انجيل , ,دائرة المعارف الإسلامية ,مج٣ ,ص١١.

(٢٥): RubenS, DUVAL, littérature syriaque ,(paris, university of Toronto , 2011),p96

(٢٦) علي، المفصل، ج٦، ٥٨٦.

(٢٧) قنواتي، جورج شحاتة، المسيحية والحضارة العربي، بلا.م، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، بلا.ت)، ص٥٨.

(٢٨) بيغو ليفسكيا، نينا فكتورفنا، العرب على حدود بيزنطة وايران من القرن الرابع الى القرن السادس الميلادي، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، (الكويت: اشرف على طبعه قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، ١٩٦٤م)، ص٣٢٤.

(٢٩) الساسانية :-هي اسرة حكت بلاد فارس اتخذوا المسيحية دينا لهم منذ وقت مبكر ثم أصبحت المسيحية الدين الرسمي في الدولة الرومانية الشرقية ونال المسيحيون الحرية الدينية في دولة الفرس (ينظر: بروكلمان ,الساسسانية ,ترجمة: احمد الشنتاوي واخرون ,موجز دائرة المعارف ,مج ١٨, ص ٥٤٣٠)

(٣٠) البستاني ,بطرس ,ادب العرب في الجاهلية وصدر الإسلام(حياتهم اثارهم ونقد اثارهم),ط١(القاهرة :مطبعة هنداوي,٢٠١٤م),ص٣٠

(٣١) ترتون ,الشعر ,ترجمة :احمد الشنتاوي واخرون ,موجز دائرة المعارف الإسلامية ,مج٢٠,ص٦٢٧٢

(٣٢) البستاني, ادب العرب ,ص٤١.

(٣٣) ترتون, الشعر ,مج٢٠,ص٦٢٧٣

(٣٤) لويس شيخو, النصرانية وآدابها,ص١٩٣

(٣٥) المهلهل ابن ربيعة: هو أبو ليلى عديَ بن ربيعة التغلبي أخو كليب. وزعموا أنه سِمَيً مهلهلا لأنه هلهل الشعر أي أرقَّه ومهلهل الشعراء ذاك الأولُ وعرف بالشجاعة والإقدام. أشعار متفرقة في كتب الأدب كلها في رثاء أخيه كليب وتوعد قاتليه، وقد نحله القصاصون ديوان شعر ورواية تعرف «بقصة الزير» فيهما من ركيك العبارة، وسخيف النظم، (ينظر: البستاني, ادب العرب,ص٨٥)

(٣٦) الجاحظ, ابي عثمان ابن بحر (ت: ٢٥٥هـ)الحيوان ,تح: عبد السلام محمد هارون ,ط٢(بلا.م : البابي الحلبي,١٩٦٥م) ج١,ص٢٧ : البستاني, ادب العرب ,١٩١

(٣٧) السيوطي ,عبد الرحمن جلال الدين (ت:٩١١هـ),المزهر في علوم اللغة وانواعها ,شرحه وضبطه وعلق حواشيه :محمد احمد جاد واخرون,(بيروت: منشورات المكتبة العصرية ,بلا.ت)ج٢,ص٢٣٨.

(٣٨) الجمحي :محمد ابن سلام (ت:٣٣١هـ),طبقات الشعراء (بيروت :دار الكتب العلمية , ٢٠٠١م) ص١٨

(٣٩) الشنفري: ثابت بن أوس الأزدي، والشنفرى لقب له لعظم شفتيه له أشعار متفرقة في كتب الأدب، وكلها في وصف غاراته وشدة بأسه، وأشهرها قصيدتهً المعروفة بلامية العرب،(ينظر: البستاني, ادب العرب ,١٨٦)

(٤٠) الخطبة: كلمة عربية هي الخطاب يجاهر بيها الخطيب واصبح منزل الخطيب عملا منتظما ومن ثم صارت الخطبة للخطيب كالوثيقة الخطية لناسخ يبرز احداهما فنه بتزويق الحروف الأولى ويبرزه الاخر بالنثر المسجوع(ينظر: فنسنك ,الخطبة ,ترجمة احمد الشنتاوي واخرون ,موجز دائرة المعارف الإسلامية ,مج١٥,ص٤٦٨٩)

(٤١) لويس شيخو ,النصرانية وادابها ,ص١٤٧

(٤٢) ابونا,تاريخ المسيحية , ص٤

(٤٣) لويس شيخو ,النصرانية وادابها ,ص١٤٩

(٤٤) قس بن ساعدة الايادي:- بن حُذَافة بن زُفر بن إياد، وقيل قُسُّ بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك بن ايدعان بن النمر بن وائلة بن الطمثان بن عوذ مناة بن يقدم بن أفصى بن دعمي بن إياد. يذكر جواد علي أن أدباء العرب ذكروا أن ابن ساعدة كان مسيحيا(وينظر:جواد علي,المفصل,ج٦,ص٥٥٩.)

(٤٥) الشهرستاني, أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد(ت:٥٤٨هـ),الملل والنحل, (دمشق :مؤسسة الحلبي, بلا.ت),ص٨٠

(٤٦) ابن كثير, أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ),البداية والنهاية , (بيروت: دار الفكر , ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م).ص٢١٢

(٤٧) لويس شيخو ,النصرانية وادابها ,ص١٥٩

(٤٨) المنوفستية:- أو الإيمان بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح هي أحد المذاهب المسيحية التي نشأت من خلال الصراع الفلسفي الذي حدث في القرن الخامس والذي نشأ عنه أيضاً المذهب النسطوري القسطنطينية في العام ٤٥١م وقد شاع هذا المذهب بين عرب بلاد الشام وقد اعتنقه أمراء الغساسنة وتعصبوا له،(ينظر :جواد علي ,ج٦,ص٥٩٢ :حسين ,محمد حسين,البحرين في القرن السادس ظهرو الاسابذه ,بحث منشور على موقع الوسط ,العدد ٢٠٢٣, ص١٢)

(٤٩) ابونا,تاريخ الكنيسة ,ص١٧٤.

٥٠)ابونا ,الاب البير , تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية من انتشار المسيحية حتى مجيى الإسلام ,ط٤(بيروت : دار المشرق١٩٩٩ م) ,ص١٢٩

(٥١) ابونا,تاريخ الكنيسة ,ص١٧٦

نوري عبدالحميد العاني ومنهجه وفكره التاريخي

الباحثة: مروة حسين علي علوان الجنابي

أ.د منسي شرموط محمد المسلط

جامعة الانبار/كلية التربية للبنات

نوري عبدالحميد العاني ومنهجه وفكره التاريخي

الباحثة :مروة حسين علي علوان الجنابي
أ.د منسي شرموط محمد المسلط

المقدمة

درس العديد من الباحثين والكتّاب الاكاديميين وغير الاكاديميين جوانب متعددة من تاريخ العراق المعاصر, وتباينت كتاباتهم من حيث الكم والنوع بتباين اهتماماتهم وتنوع مشاريعهم واتجاهاتهم ,فمنهم من توجه الى دراسة الجوانب السياسية وهم يمثلون الاغلبية ,ومنهم من توجه الى دراسة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية وهم اقل عدداً ,في حين ظلت الدراسات محدودة بالنسبة للموضوعات التي تناولت القضايا الفكرية والنخبة المثقفة والمدرسة التاريخية المعاصرة ,ومنهم المؤرخون الرواد الاكاديميون ,وان تلك الدراسات اغفلت الشخصيات التي تدون الاحداث والوقائع على الرغم من ان مسؤولية المؤرخ لا تقل شأناً عن مسؤولية الحاكم ,بل تكون اكثر مسؤولية لان الحاكم سيحاسبه جيل واحد فقط اذا اخطأ في حين ان المؤرخ سيحاسب من الجميع وعلى مدى أجيال متعددة ,وقد شكلت هذه الحقيقة احدى الدواعي الرئيسية لاختيار الباحثة لموضوعها هذا .

برزت في الآونة الاخيرة جهود اكاديمية علمية اهتمت بدراسة شخصيات اكاديمية وثقافية وعلمية افنى اصحابها اعمارهم في خدمة بلدهم من خلال البحث العلمي والمعرفي والتربوي ,لم تقتصر تلك الدراسات على دراسة من توفي منهم, وانما شملت دراساتهم علماء ومؤرخين و شخصيات معاصرة ما تزال على قيد الحياة ,وذلك لتوثيق سيرتها ونتاجها العلمي وبيان مآلها, تخليداً لجهودهم والامة التي لا تخلد ذكرى علمائها ومفكريها لن يكتب لها البقاء .

ولهذا كان لابد من ان نسلط الضوء في هذه الرسالة على تسجيل وتوثيق منهج المؤرخ الدكتور نوري عبدالحميد العاني وفكره التاريخي كشخصية حيادية معتدلة متسامحة وغير منحازة ,قدم للتاريخ كثيراً من البحوث والدراسات التي عدت مرجعاً اساسياً لحقب مهمة من حقب التاريخ الحديث والمعاصر ,ولاسيما وانه تميّز عمن سبقوه او عاصروه بتدوينه لحقب لم

يتطرق اليها احد من قبله ,فهي واضحة في مؤلفاته ,تاركاً بصمات واضحة في مجرى بعض الجوانب ,فأتت دراستنا من هذا المنطلق لتوضيح جانبين مهمين هما : ايجاد منهجية في دراسة تاريخ العراق المعاصر في وسط الظروف الحاضرة التي تعرضت فيها الدراسات التاريخية لكثير من المشاكل اولاً , وبيان الجانب الانساني الذي يتضمن تكريم وتقدير شخصية الدكتور نوري عبدالحميد العاني ثانياً .عسى ان نرد ولو بشيء قليل من الوفاء لهذه الشخصية العلمية القديرة .

ان الهدف الرئيسي للبحث هو تناول منهجهُ وفكره التاريخي في كتابة التاريخ وهو ما تجلى من خلال قراءتنا وفهمنا لمؤلفاته وهذا ما افصح عن اسلوبه ومدى اعتماده المنهجين التقليدي او الحديث في كتابة التاريخ .

نوري عبدالحميد العاني ومنهجه وفكره التاريخي

لا تختلف منهجية الدكتور نوري العاني في كتابة التاريخ عن بقية الباحثين المنتمين الى المدرسة التاريخية العراقية المعاصرة والتي تميزت بعودتها الى الاصول واكتشاف الحدث كما وقع بالضبط ومعرفة اسبابه والخروج باستنتاجات وخلاصات محددة [١] ومن دون شك هناك ثلاث اتجاهات رئيسية تكون اساساً لدارس التاريخ وهي الامكانية الادبية لسرد الوقائع ,والعلمية في منهج البحث التاريخي ,ووفرة المقومات الفكرية لدراسة الحدث التاريخي وتحليله وبيان اسبابه ,وهذا ما توفر في كتابات الدكتور نوري العاني .

اتسمت كتاباته قدر الامكان بالحيادية في التعامل مع المادة التاريخية ,والابتعاد عن المؤثرات الذاتية والدوافع الشخصية كالأهواء او التطلع الى مكسب شخصي او الانحياز لهذا الطرف او ذاك كصاحب سلطة او جاه ,وتميزت كتاباته على الاعم الاغلب بميزة العرض والوصف لمجرى الاحداث او سيّر من تصدى للكتابة عنهم ,عرف عنه الحيادية والتجرد من الاغراض الخاصة والدنيوية وحسن تعامله ودقة طروحاته بأسلوب علمي رصين قائم على التحليل العلمي للأحداث التاريخية والاستنتاج ومحاكاة المعلومة التاريخية في وقت حدوثها في الزمان والمكان, واستخلاص الجوانب الايجابية والابتعاد عن السلبية بطريقة توحي بقدراته العلمية والتاريخية في صياغة الافكار وتقديمها بلغة واضحة تشحن الفكر وتأخذه الى تحليل الاسباب –والعلل وتحديد النتائج ايجابية كانت ام سلبية وتدفعه للبحث عن مدى

توفر الوثائق والمصادر التاريخية الموثوقة التي تساعد على عرض الحقائق العلمية بعيداً عن المؤثرات التي يعتمدها البعض في تفسير التاريخ [٢].وقد ساعده في التحكم بمحددات المصادر والاطلاع على المعلومات الواردة فيها هو اتقانه للغة الانكليزية والمامه باللغتين الفارسية والكردية .

وقد تميز الدكتور نوري العاني بحرصه على المنهج العلمي التاريخي القائم على ربط واستقراء الماضي بالحاضر واستشراف المستقبل انطلاقاً من الوقائع والاحداث التاريخية التي مرت بها الامم والتعمق في دراسة تلك الوقائع والاحداث والابتعاد عن الاحكام الجاهزة ,لان وظيفة المؤرخ وفق توجهاته تقوم على فهم التاريخ فهماً علمياً وموضوعياً انطلاقاً من الظروف التي رافقت تلك الوقائع والاحداث من حيث المكان والزمان كي يصل المؤرخ الى جوهر الحقائق بعد دراسة الكثير من الوثائق والمصادر والمراجع التي تناولت تلك الاحداث التاريخية, وعليه فأن مهمة المؤرخ ليست سهلة في الوصول الى الحقيقة التاريخية والتمسك بها بعيداً عن المبالغة التي يعتمدها البعض من المؤرخين لربط تلك الحقائق التاريخية بالتاريخ الحديث والمعاصر من دون التأكد مدى دقة المعلومات وحقيقتها ,لان الامانة العلمية تلزم الباحث الاكاديمي الحرص كل الحرص على ذكر الحقائق كماهي من دون محاباة او تأويل ويتجرد عن كل غرض اعتماداً على الوثائق والمصادر الاولية وهذا المنهج العلمي وحده هو الذي ينصف التاريخ ورجاله [٣].

وفي ذلك قال المحامي والباحث القانوني والناقد خميس عثمان ان الدكتور نوري العاني قد اعتمد الاسلوب العلمي الفني الاكاديمي ,الذي يعد امتداداً لمنهجية واسلوب الرواد الاكاديميين المؤرخين من الجيل الاول, ومنهم جواد علي وعبدالعزيز الدوري وصالح العلي وفيصل السامر وزكي صالح وفاضل حسين وغيرهم فهم بحق كانوا رواداً للدراسات التاريخية , واضاف في كتابه (اعلام ومنارات) في وصفه لكتاب اعلام عانيون "**ان مدونتكم الراقية البهية البديعة البليغة الرائعة ,اتسمت بحسن التأليف والوصف والبيان في تدوين الالفاظ والعبارات الجذابة الضليعة ,التي تليق بمستواكم العلمي الرفيع التنويري في تطويع الكلمات والجمل الى موسيقى اللغة متعددة الطبقات من جواهر البلاغة في الصوت والصرف والنحو توازن بين الجمل في اللغة شبيه بالعلامة الاستاذ الدكتور الكبير مصطفى جواد**

والاستاذ المتمرس البليغ حميد مخلف الهيتي- عميد كلية الآداب سابقا في الجامعة المستنصرية والاستاذ المتمرس الدكتور صالح السامرائي والاستاذ المتمرس الدكتور عبدالمجيد عبدالحميد العاني والاستاذ الدكتور حقي اسماعيل العاني ..." [٤],اضافة الى اعتماده في كتاباته التاريخية على الوثائق الاصيلة غير المنشورة في كل مؤلفاته التاريخية وهو من دعاة " **لا تاريخ من دون وثيقة** " ويرى ذلك كل من يقرأ او يطلع على مؤلفاته لاستخدامه تلك الوثائق [٥] .

كانت محاضراته التي يلقيها على طلبة الدراسات العليا ممتعة وغنية بمادتها حسب وصف احد طلابه, ففي احدى المحاضرات عن تاريخ العراق الاقتصادي في العهد العثماني لطلاب الدكتوراه وكانت قد تجاوزت الوقت المحدد نهض احد الطلاب واستأذنه مرتجلاً ابيات شعر كان يصف فيها مدى استفادته من محاضراته وطالباً الاستزادة فيقول :

يا شامخاً مثل النخيل فرع واصل أصيل
بلا هز رطباً جنينا غدقا يثني ويميل
فض لنا منك علماً فالورد من اليم قليل
وان جاوزت الصباح بنا فلن نقول الا القليل [٦]

وعلى الرغم من تعدد مناهج دراسة التاريخ ,الا ان مؤرخنا اعتمد منهج البحث العلمي الاكاديمي للوصول الى الحقيقة التاريخية على وفق المكان والزمان الذي حدثت فيه ,والمعروف ان منهج البحث العلمي في الدراسات التاريخية يكاد يكون واحداً ,الا ان الاختلاف بين مؤرخ واخر في الكثير من الاحيان قائم على الرؤى التي يتوصل اليها الباحث بعد ان يطلع على الرؤى التي عرضها المؤرخون السابقون ,لان الحقيقة التاريخية مرتبطة مع وقائع الاحداث التي حدثت ما قبلها وما بعدها في اطار رؤيته للتاريخ على ان اي حدث له اسبابه ونتائجه ,ومرتبط بتطورات الاحداث بين الماضي والحاضر [٧] .

ذكر الدكتور نوري العاني في بحث له بعنوان (نحو مدرسة عراقية لتفسير التاريخ وكتابته) أن اول مناهج البحث العلمي في العراق تشكلت في العصور الاسلامية في مجال تدوين التاريخ الامر الذي ادى الى ظهور كم هائل من المؤلفات التاريخية التي تابعت مسيرة الحضارة العراقية والعوامل التي ادت الى ارتقائها و تواصلها ,وان الهدف من ذلك هو تسجيل

الاحداث وتشخيص بطولات العراقيين و متابعة ابداعاتهم وعطائهم الحضاري والعلمي وايصالها الى الاجيال التالية ,وان الدراسات التاريخية في العراق اليوم تستأثر بأهمية استثنائية لما لها من تأثير في صياغة الواقع الحاضر وعلاقته بالماضي ,وان وحدة الشعب تكمن بأمجاده الماضية وحضارته وسير ابطاله وانتصاراته ,ومنها يستمد القوة والقدرة على تواصل الابداع و الارتباط بالتيارات والاتجاهات العالمية المعاصرة بما فيها من تقدم علمي متسارع وتطورات في مجمل الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الفكرية [٨] واضاف ان المحن والنوائب تؤدي الى توحد ابناء المجتمع وتماسكهم مثلما ان الانتصارات والنهوض الحضاري يؤدي الى اعتزاز المواطن بوطنه وتقوي انتماءه اليه .

واضاف ان المنهجية السليمة في البحث التاريخي هي التي تسعى لصياغة البحث على اسس علمية تستند الى العقل والمنطق في ذكر الحقائق وتحديد اسبابها وتفاعلاتها ,مع الابتعاد عن الآراء الضيقة والانحياز والافكار المسبقة في التحليل وابعاد التاريخ عن تدخلات السياسيين ,ولأننا نخوض تجربة جديدة في هذا الميدان فقد اعتمدنا على ما قدمته الدول التي سبقتنا في ذلك ,وعلى المناهج التي اعتمدها الباحثون الغربيون الذين ابهرت بعضنا تحليلاتهم وقراءتهم للنصوص التاريخية بما فيها من سلبيات ولي للحقائق وطمسها ,واهملنا الاسس التي وضعها لنا المؤرخون المسلمون ,كل ذلك اوقعنا في اشكالات وخلافات كبيرة وراح كل باحث في التاريخ يفهمه ويحلله ويكتبه على وفق المناهج والمعايير والمفاهيم التي تعلمها في الجامعات الاجنبية ,وبعد ان فقدت الضوابط في الكتابة التاريخية وتدريسها في الوقت الحاضر ظهرت جوانب سلبية واخفاقات نحن بحاجة الى رصدها وتشخيصها والوقوف عندها وايجاد الحلول لها , فلابد من تشخيص اشكاليات تفسير التاريخ وتحليله وفهمه وكتابته وتدريسه في الجامعات العراقية ,واقتراح الحلول لها من اجل الوصول الى منهج علمي رصين يمكنّ من قراءة هذا التاريخ قراءة تحليلية نقدية وكتابته بأسلوب علمي بعيداً عن الاهواء الشخصية والمصالح الذاتية وذلك بعد الاتفاق على الثوابت العامة والمشتركات التي تفيد في بناء الاجيال القادمة على اسس من التلاحم والتعاون بدلاُ من الفرقة والانقسام [٩] .

ونبه الباحثين الى عدم الذهاب في تفسير الموضوع الى انه دعوة لصياغة منهج جديد في كتابة التاريخ ,لان التاريخ علم من العلوم الانسانية يخضع لمقومات وشروط البحث العلمي الاكاديمي التي تضعه في مصاف العلوم الاخرى ,وتتم كتابته وتعمل على تطويره على وفق منهج محدد ومعروف عالمياً .هذا المنهج هو واحد في كل دول العالم لا يختلف الا من حيث التحليل والفلسفة والهدف ,فالماركسية تختلف في هذه القضايا عن الرأسمالية وتختلف ايضاً عند الدول الدينية والقومية والدول الشمولية والليبرالية ,وان المقصود بالمدرسة العراقية كيفية تحليل الاحداث وتفسير النصوص تفسيراً عقلانياً ومنطقياً بعيد عن العواطف والانفعالات والانتماءات والولاءات وتصديق الخرافات ,وكذلك عدم تحميل النصوص اكثر مما يجب ,وابعادها عن الاسقاطات التشاؤمية والتأويلات اللامنطقية التي رسخها بعض المستشرقين في اذهان بعض المؤرخين العراقيين والتي تؤدي الى تفكيك المجتمع وتمزيقه بترسيخ المنهج البنيوي في الكتابة التاريخية والتركيز على الجزئيات والسلبيات الكثيرة الجدل والتي تثير الفتن والفرقة .

تميز الدكتور نوري العاني بمنهجه في كتاباته التاريخية بالنظر الى تاريخ العراق بان احداثه ومراحله سلسلة مترابطة ومتداخلة ودعا لربط الاحداث ببعضها والاهتمام والتركيز على حقب التاريخ التي اصابها الضعف والانحطاط ودراسة اسباب ذلك للإفادة منها وتجنبها في الحاضر والمستقبل وهذا ما كان يؤكد عليه فذكر " **ان وحدة التاريخ تفرض علينا الاهتمام بالحقب المجدبة تماما مثلما نفعل مع حقب القوة والعطاء الحضاري والفكري ,ومثلما ان تشخيص عوامل القوة والشموخ ضرورية لفهم مسبباتها وعوامل نموها بهدف الابتعاد عنها وتجنب وقوعها في حياتنا الحاضرة ,فان من الخطأ الفادح الاهتمام بفترات من تاريخ بلدنا وتخطي الفترات الاخرى ذلك ان التاريخ سلسلة مترابطة ومتداخلة وان تخطي احدى الحقب يحول التاريخ الى سلسلة منقطعة وتجعله يفتقر الى حلقات اساسية لابد من اكمالها** " [١٠] وينتقد الباحثين في التاريخ لانهم اهملوا المدة الواقعة بين انتهاء الحكم العباسي وبداية الحكم العثماني في العراق لانهم اعتقدوا عدم وجود ما يستحق الذكر فيها من جوانب ايجابية وعدوها حقبة مظلمة وهو يرى خلاف ذلك اذ انها اظهرت قوة الحضارة

العربية الاسلامية فجعلت المغول وهم قوة منتصرة تقتبس تلك الحضارة وتمثلها بدلاً من ان يفرضوا ثقافتهم وانظمتهم على البلاد التي احتلوها [١١] .

وكان يرى انه لا جدال في ان تدوين تاريخ العراق الحديث والمعاصر يجتاز مخاضاً عسيراً بعد الانفتاح الفكري الذي شهدته البلاد في السنوات القليلة الماضية وتدفق اعداد هائلة من الوثائق والكتب الاجنبية او المؤلفة في الخارج فضلاً عن ازدياد عدد الباحثين في التاريخ وطلاب الدراسات العليا والتوسع الكبير في القبول في اقسام التاريخ مما اتاح لعدد من غير المؤهلين لهذا الاختصاص الى الانتماء اليه ,وذكر بان الامر اللافت للنظر ان الكثير من المؤلفات والدراسات التاريخية قد انطلق كاتبوها من منهجية غير مألوفة تعبر في الغالب عن انتماء مؤلفيها العرقي او الطائفي او العشائري او الحزبي ومن المؤكد ان لذلك مردودات سلبية على تدوين التاريخ وعلى المعنيين به في الحاضر والمستقبل [١٢].

ثمة حقيقة لابد من الاقرار بها حسب رأيه وهي ان من غير الممكن فرض منهجية بعينها والزام الجميع بالأخذ بها ,ولا توجد سلطة قادرة على تنفيذ ذلك في الوقت الحاضر ولا حتى في المستقبل ولكن وضع منهجية منصفة وحيادية ونزيهة معززة بالأمثلة والشواهد بعيداً عن الشطحات والاوهام وما تحتويه بعض المصادر التاريخية من اخطاء قد تكون " **بضاعة مقبولة** " لدى بعض الباحثين ممن يكون رائدهم الوصول الى الحقيقة ولدى المبتدئين في الكتابة التاريخية ,وقد اخذ بيت الحكمة العراقي على عاتقه مهمة ايجاد معالجات لإشكاليات منهج البحث التاريخي بالتعاون مع اصحاب الاختصاص وهو اهل لان يقدم كتاباً شاملاً ومبسطاً معززاً بالأمثلة متناولاً الاطار الزمني لكل من التاريخ الحديث والمعاصر [١٣] وهو يرى قبل كل شيء لابد من وضع كل من هاتين المرحلتين في اطارها الزمني الصحيح لان بعض الباحثين لا يميزون بين التاريخ الحديث والتاريخ المعاصر في حين اعتمد البعض الاخر التقسيم الاوربي الذي استقر في القرنين السابع عشر والثامن عشر وهم يجعلون سقوط بغداد على ايدي المغول سنه ١٢٥٨ بداية للعصور الحديثة في العراق والتي تقابل سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ في أوربا ويقول : ان هذا خطأ واضح وذلك ان أوربا مرت بعد عام ١٤٥٣ بمرحلة تحديث واصلاح شامل من كل جوانب الحياة ,اما في العراق فان ما حدث بعد سقوط بغداد لا ينطبق عليه اي معيار من معايير الحداثة ,في حين اخرون ممن

يعارضون هذا الراي يرون ان تاريخ العراق الحديث يبدأ مع بداية الاحتلال العثماني للعراق سنه ١٥٣٤ حتى الحرب العالمية الاولى . واخرون يرون انه يبدأ مع بداية التغلغل الاوربي وظهور الصناعات الحديثة [١٤] وبعضهم يعد الحقبة الممتدة بين نهاية الحكم العباسي وبداية الحكم العثماني تقع ضمن مرحلة التاريخ الوسيط (الاسلامي) وبعض اقسام التاريخ تجعلها ضمن التاريخ الحديث .و يتساءل هل يمكن ان نفرد مكاناً زمنياً خاصاً بها ام يجعلها ضمن التاريخ الاسلامي وهو الاقرب الى الصواب [١٥] وحقب التاريخ عنده يولد بعضها في رحم البعض الاخر فحقب النهوض والابداع الحضاري والفكري تولد من حقب التخلف والجمود **"فكم من ثورة قامت وسط ظروف القهر والاستبداد والتخلف. وكم من مشروع حضاري نهضوي نما وازدهر في مجتمع متخلف وادارة فاسدة .وكم من مشروع وحدوي انبثق من ظروف التجزئة والانقسام** " ويخلص الى القول " **ان الورود الجميلة تنمو من تحت الرماد** " [١٦] ويؤكد في كل كتاباته وحدة العراق وشعبه وامتداده في اعماق التاريخ ودوره في ارساء الحضارة العالمية .

اما التاريخ المعاصر فيكاد مؤرخو العراق يجمعون على انه يبدأ منذ الحرب العالمية الاولى واحتلاله من قبل البريطانيين حتى الوقت الحاضر فيما ترى بعض المراكز البحثية المعاصرة انه يبدأ منذ الحرب العالمية الثانية وينتهي في العقد الاخير من القرن الماضي وان ما يكتب في السنوات العشرين الاخيرة انما هو في عداد البحث السياسي لان وثائقه لم تنشر بعد وان المشاركين في احداثه لايزالون على قيد الحياة [١٧] .

لذا يمكن القول ان وضع منهجية مقبولة يتطلب قبل كل شيء تحديد الاطار الزمني لكل من التاريخ الحديث والمعاصر ,فضلا عن توضيح معاني المصطلحات والمفاهيم التاريخية .

وهو ينتقد بعض الباحثين الذين يعتقدون ان عملية التدوين التاريخي تقوم على جمع النصوص والمعلومات وربطها ورصفها حسب تسلسلها الزمني دون تحليل لها او لنتائجها ودون ربطها بالعوامل المحركة للحدث ولا بحركة التاريخ العام الامر الذي يدل على عدم فهم للمقصود من تدوين التاريخ وهناك فريق اخر يذهب بعيداً في تحليل النص محملاً اياه اكثر من المقصود محاولاً اسقاط الحاضر عن الماضي على وفق نظرة مسبقة للأمور

حاكما على الاشخاص احكاماً سلبية او ايجابية دون الاحاطة بالظروف السائدة وقت وقوع الحدث او انه يحلل النصوص تحليلاً يرضى السلطات الحاكمة او لإرضاء المجتمع وحماس الجماهير حتى ولو كانت تحليلاته تجافي الحقيقة ,ان المتعمق في دراسة تاريخ العراق الحديث والمعاصر يجد امثلة كبيرة من هذا القبيل وما حوته المصادر من مبالغات واسقاطات يمكن اتخاذها امثلة تحول دون انزلاق الباحثين في مثلها[١٨] .

وقد كشفت مؤلفاته الكثيرة النقاب عن مراحل مهمة من تاريخ العراق الحديث ,وتناول العديد من الاحداث التاريخية التي اغنت المكتبات العراقية والعربية نتيجة لثقافته الواسعة وتنوع مصادره التاريخية ,فقد دّون تلك المؤلفات والاحداث التاريخية بشكل متسلسل ومتصل مع بعضها ,وغير منحازة واحتوت على معلومات هامه ودقيقة [١٩], اعتمد في كتاباته منهج " **التحليل والتفسير والاستنتاج** " لمعرفة الاسباب والعلل واثارها للتمكن من امكانية تجاوزها , فكان يرى ان التاريخ يمر بمراحل تغير وتقدم وقوة وضعف وصعود وهبوط ولتجنب الهبوط والضعف لابد من الافادة من الاخطاء والتجارب السابقة , واستشهد بذلك بمقولة ابن خلدون في مقدمته قبل نحو ستة قرون " **من الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الاحوال في الامم والاجيال ذلك ان احوال العالم والامم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر وانما هو اختلاف على الايام والازمنة وانتقال من حال الى حال**" [٢٠], ولم يكتف في كتاباته بوصف الواقع وصفاً مجرداً فقط ,بل كان يدرس التاريخ ويدونه بمنهجيه جامعة بين التحليل البنيوي والتحليل التاريخي اي يدرس البنى التحتية والجزئيات للمجتمع (كمشكلة اقتصادية او اجتماعية) والبنى الفوقية (النظام السياسي) .

ولذا يمكن القول انه كان واقعياً في تدوين العديد من الاحداث اذ كان يذكر بعضها من غير تعليق او تحليل ما ,اما لكونها حدثت في حقبة تاريخية لم يعاصرها او انه لم يطلع على وثائق ومعلومات تغير من وجهات النظر عن تلك الاحداث ,وفي احيان اخرى تكون له مواقف معينه او وجهات نظر خاصة من حدث ما فيعطي بذلك رأيا يعتمد فيه على معلومات خاصة به او انه اطلع عليها في بعض الاصول التاريخية فينتهج بذلك منهجاً تحليلياً ,وقد اتبع طريقة عرض الحدث التاريخي بشكل متسلسل ومتصل من غير انقطاع او تجزئة , فيتطرق لبداية الحدث ثم يقوم بعرضه وشرحه وتحليله ,ونرى ذلك المنهج واضحاً في

تدوين كتابه تاريخ الوزارات العراقية فقد اختلف عن السيد عبدالرزاق الحسني الذي اعتمد على المنهج السردي في تدوين معلومات كتابه القائم على اعطاء الوثائق والمستندات حرية الكلام دون تعليل او تفسير ,بينما يرى الدكتور نوري العاني في تدوين المعلومات التاريخية لتاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري [٢١] ان طبيعة هذا العهد تفرض اعباء اضافية عن كل فترة من فتراته والاتجاهات السياسية في عهد كل وزارة سواء كان في مقدمة الجزء ام في ثنايا مباحثه ,فلابد من الايضاح والتفسير لإزالة العتمة عن بعض الوثائق والتعرف على الافكار وكشف العلل والنتائج لذا فقد استخدم الاسلوب السردي مع التحليل والاستنتاج وهذا الاسلوب الاول في كتابة تاريخ الوزارات العراقية اما الاسلوب الثاني هو اسلوب التسلسل الزمني للأحداث الامر الذي ميزه عن غيره ويمكن توضيح ذلك على وفق المعادلة التالية:

تسلسل زمني +السرد +تحليل واستنتاج +التوثيق = منهج ناجح [٢٢].

ويمكن تلمس بعض أرائه في جملة من الاحداث التاريخية التي تناولها كتابه تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري بإجزاءه الخمسة والذي غطي الفترة التاريخية من الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ وحتى الثامن من شباط ١٩٦٣ ,وحسب قول الطبيب الدكتور خالد ناجي في مقال صحفي له نشر في جريدة الاتحاد "**ان هناك حقائق مهمة لابد من ذكرها وهي ان السيد الحسني كتب عشرة اجزاء غطت احداث ٣٨ عاما (١٩٢٠-١٩٥٨) اما تاريخ الوزارات في العهد الجمهوري فأنه غطى احداث (١٤تموز ١٩٥٨-١٧ تموز ١٩٦٨) في عشرة اجزاء وان الجزء الاول منها غطى احداث الاشهر السته الاولى من الثورة في حين ان الجزء الاول من كتاب الحسني غطى احداث السنوات الخمس الاولى اي ان تاريخ الوزارات في العهد الجمهوري يعادل في كمية معلومات عشرة اضعاف كتاب الحسني وان الجزء الاول من كتاب الحسني ضم ٢٢٥ هامشا في حين حوى الجزء الاول من تاريخ وزارات العهد الجمهوري ٧٦٠ هامشا اي ان التوثيق اكثر من ثلاثة اضعاف**" [٢٣], وهذا لا يعني التقليل من مجهود السيد الحسني انما لبيان أراء الدكتور نوري العاني وتحليله للعديد من الاحداث التاريخية موثقاً ذلك بأسانيد ووثائق .

اما الدكتور هشام الشيخ عيسى فقد ذكر في مقال صحفي له نشر في جريدة الثورة بان المنهج الذي اختطه بعض المؤرخين في عرض الوثائق والمستندات دون تعليل او

تفسير لا يمكن تطبيقه على كل الحقب والعهود ,الا ان هذا الكتاب (تاريخ الوزارات في العهد الجمهوري) اعتمد صيغاً تفسيرية تضئ جوانب عديدة من تلك المدة وتسلط الضوء على الاتجاهات السياسية التي شاعت فيها في محاولة دائبة لإزالة العتمة والغموض عن العديد من الوثائق والتعرف على الافكار وكشف العلل والنتائج ولاسيما وان الكتاب يعرض ثلاث مراحل مهمة ومثقلة بالأحداث تمتد المرحلة الاولى من الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ الى الثامن من شباط ١٩٦٣, والثانية تمتد من الثامن عشر من تشرين الثاني ١٩٦٣, والثالثة تصل الى السابع عشر من تموز ١٩٦٨ [٢٤] .

اتسم منهجه ايضاً في الكتابة عن الفترات التاريخية الغامضة او المبهمة التي لم يتناولها احد ممن سبقه واصبح رائداً في تدوين معلوماتها ومنها كتابيه العراق في العهد الجلائري ,العراق في القرن الخامس عشر وغيرها ,وقد تمتع بحس مؤرخ شمولي اي انه لم يقتصر في كتاباته على جانب دون سواه ,فلم يقتصر مثلاً على الجانب السياسي وحده دون الاقتصادي او الاجتماعي او الفكري وغيره ,بل تناول كل منها حسب موضعه واهميته[٢٥].

كان اسلوبه سلساً في كتاباته التاريخية بشكل فني وعلمي بعيداً عن التعقيدات واستخدام الالفاظ والتراكيب اللغوية والادبية المعقدة ,التي تؤدي الى تشويش ذهن الباحث او القارئ ,بل اعتمد اسلوباً واضحاً في التنقل بعرض المعلومات والحقائق التاريخية القائمة على الدلائل والتوثيق ,نتيجة لتنوع مصادره في الوصول الى الحقيقة ,فضلا عن التحليل والاستنتاج ,فبأسلوبه المتميز اخذ الكثير من القراء والباحثين يكنون له بالاحترام والتقدير[٢٦].

حرص الدكتور نوري العاني في جميع مؤلفاته على ضبط الاحداث التاريخية التي تناولها من خلال جهوده العلمية في ضبط البعد الزمني لتلك الاحداث التي دونها ,فلم يكتف بذكر الاحداث بالسنوات كتصريح او تلميح بل ذكر ايضاً بعضها محدداً اياها بالأشهر, وان تجاوزت في عددها السنه ,وكان يستند في بعض الاحيان عند تدوينه لحادثة معينه بذكر التاريخ الهجري وبما يقابله بالميلادي [٢٧], وهذا يوضح لنا مدى اهتمامه بضبط الحدث التاريخي ,وبصحة ما دونه من احداث ,فضلاً عن مدى ثقته بالمعلومات التي دونها ,وكان ذلك نتيجة اطلاعه الواسع على العديد من المصادر التاريخية ,فهو لم يتطرق لحدث تاريخي دون ان يذكر تاريخه ,اضافة الى الشواهد التاريخية التي تضم عدد من الاحداث

المترابطة [٢٨],ولم يقتصر على ذكر تاريخ وقوع الحدث التاريخي فقط بل اهتم بأماكن تلك الاحداث وظهرت هذه السمة في اغلب مؤلفاته لما لها من اهمية في التحقق والتثبت من حقيقة ومصداقية تلك الاحداث ,كان يتطرق لأسماء المدن واماكنها وطبيعتها الجغرافية [٢٩], ولم يكتف بذكر الاطار العام للحدث ,بل يتطرق اليه بكل تفاصيله لتكون الصورة واضحة امام القارئ بشكل دقيق ومفصل ,وينتقد من يحاول حرف النصوص الواردة في الكتب, و تفسيرها تفسيراً يتلاءم مع طروحاته ويحمل النص اكثر من المقصود محاولاً اسقاط الحاضر على الماضي او تفسير الحدث على وفق نظرية مسبقة ويقول " **ان الحفاظ على جوهر النص هو المنهج الذي رسمناه لأنفسنا دون ان نحمّله اكثر مما يجب لكن ذلك لم يمنع تجاوز الكثير من النصوص التي وجدناها غير مقبولة اما لأنها لا تأتلف مع الواقع او انها سجلت لزيادة الانتقاص من الاقوام التي حكمت العراق آنذاك .ولم نأخذ بتلك النصوص الا في حالة اجتماع المصادر العربية والفارسية والتركية عليها** " [٣٠].

وضمن اطار موضوع منهجه التاريخي كان يرى ان كل عملية تغير او حدث تاريخي لا يمكن تفسيره بعامل واحد ,بل لابد من توفر عوامل واسباب مجتمعة ادت الى ذلك منها ما هو اقتصادي او ديني او ايديولوجي او جغرافي او توفر القائد ,اضافة الى انه كان حريصاً على تدوين الحقائق كما هي دون اجراء اي تغيير او تعديل عليها ,حتى لو قام بإعادة طبع كتابه مرة اخرى لان التاريخ عنده لا يجوز تغييره او تعديل الحقائق التاريخية مع تغير الزمن ,وقد استخدم ايضاً كتابة الهوامش التوضيحية للتوثيق للعديد من الامور سواء كان توضيح لشخصية مهمة او حدث تاريخي او منطقة جغرافية او لعرض معاهدة او واقعة تاريخية اي انه كان يستخدمه لكل مفردة تكون غير واضحة في بعض الاحيان او غير مطروقة سابقاً [٣١] .

اتسمت كتابات الدكتور نوري العاني بالعديد من السمات الاصيلة والمنهج السديد ,فضلاً عن اطلاعه الواسع لاتجاهين هما المدرسة الادبية والمدرسة الكلامية كان له دور كبير في تدوين كتاباته التاريخية خاصة وانه ملتزم بالتوثيق الرائع ,واعتماده على العديد من النصوص البليغة الرشيدة وعدد من آيات القران الكريم [٣٢], وعدد من الاقوال والمأثر للصحابة والمفكرين وغيرهم ,فضلا عن ابيات وقصائد شعرية ضمنها في بعض مؤلفاته[٣٣].

واستخدم في بعض مؤلفاته اسلوب التساؤلات في عرض المادة التاريخية ,لذا فمن يقرا تلك النصوص التاريخية يجد ان لهذه التساؤلات دور كبير في جذب انتباه القارئ للحدث التاريخي ودفعه للبحث عن اسباب ذلك الحدث وما سيترتب عليه من نتائج [٣٤] فضلاً عن استخدامه الأسلوب الخطابي التاريخي في بعض مؤلفاته وذلك من اجل جلب انتباه القارئ اكثر لسرد الحقائق التاريخية .ولذلك مثلّ في منهجه امتداداً للنهج الحديث في الكتابات التاريخية بما في ذلك العرض والنقد والتحليل ,نتيجة لاعتماده على بعض النظريات في تفسير التاريخ ومنها نظرية ابن خلدون المفكر وعالم الاجتماع العربي التي سبقت الاشارة اليها " **ان من الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الاحوال في الامم والاجيال ذلك ان احوال العالم والامم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر وانما هو اختلاف على الايام والازمنة وانتقال من حال الى حال** " فكان لهذه المقدمة تأثير كبير على منهجه التاريخي وهذا حسب ما ذكره في مقال صحفي منشور في جريدة الرأي " **تجربتي في كتابة التاريخ** " بقوله :"**كنت طالبا في الاعدادية حينما قرات مقدمة ابن خلدون الذي اطرى (فن التاريخ) وقال عنه(في ظاهره لا يزيد على اخبار عن الايام السوابق من القرون الاول ...وفي باطنه نظر وتحقيق وتحليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق) .وقد جذبني هذا النص لدراسة التاريخ والتخصص فيه ورسم لي خطوط المنهج الذي احببته ,ونبهني الى اهمية التاريخ في تحريك المجتمعات والامم مثلما عرفني بوجود صفات خاصة يجب ان يتحلى بها من يختار هذا الطريق**" [٣٥] ومن بين المؤرخين العالميين الذين تأثر بهم الدكتور نوري العاني وبمنحاهم الفكري والتاريخي الفيلسوف والناقد البريطاني توماس كارليل الذي درس سيرته الذاتية والعلمية وكتب عنه [٣٦] فأعجب بكتابه (الابطال) الذي نبه كارليل فيه الى ان التاريخ هو تاريخ الانسان وكل ما احدثه على الارض بمعنى ان الاحداث التاريخية هي من صنع الانسان ومناهج التاريخ تؤكد دور الفرد في حركة التاريخ وقد جاء في كتاب الابطال " **التاريخ هو تاريخ ما احدث الانسان في هذا العالم .انما هو تاريخ من ظهر في الدنيا من العظماء منهم الائمة والمكيفون للأمور وهم الاسوة والقدوة وهم المبدعون لكل ما وفق اليه اهل الدنيا وكل ما بلغه العالم وكل ما نراه قائماً في هذا الوجود كاملاً متقناً فاعلم انه نتيجة افكار اولئك العظماء فروح العالم انما**

هو تاريخ اولئك الفحول " [٣٧] ولذلك يؤكد الدكتور نوري على اهمية دراسة دور الفرد في حركة التغيير وضرورة تخليد ذكرى القادة والابطال والعلماء وان الامة التي لا تخلد ذكرى ابطالها وعلمائها واعلامها معرضة للزوال وهو ما اوحى له بتأليف كتابه اعلام عانيون في خمسة اجزاء .

وعمد في اغلب مؤلفاته وبحوثه واسهاماته التاريخية بان يجعل القارئ متفاعلاً مع الكتاب و البحث ,لكي تصل اليه اراء وافكار المؤلف ,وذلك من خلال استخدامه اسلوب علمي واضح ولغة غنية وسهلة وكما اشرنا سابقاً مبتعداً عن الصياغات اللغوية والفكرية المعقدة ,فكان ناجحاً في ايصال افكاره واراءه بشكل واضح ومفهوم مستخدماً لذلك جملاً سهلة ومفهومة مع حرصه على ان لا يفقد الحدث اي جزء من مكوناته ,وهذا دليل على رصيده الفكري الواسع وقدرته على ايصال افكاره وتوضيحها ,وامتاز منهجه بالدقة والموضوعية والتحليل ونقد المصادر وامانته العلمية المطلقة واسلوبه المتميز وسعة وغنى مصادره وثقافته ودعوته للتجديد لاسيما في مجال تخصصه في الدراسات التاريخية فهو مفكر تاريخي موهوب شبيه بالعلامة الاستاذ المتمرس حسين امين واللواء الركن المتقاعد محمود شيت خطاب (مؤلف التاريخ العسكري) والاستاذ المؤرخ عبدالرزاق الحسني ,والاستاذ المتمرس الدكتور محمد مظفر هاشم الادهمي [٣٨] وفي الندوة العلمية المتخصصة التي اقامها قسم التاريخ بكلية الآداب في جامعة بغداد (نحو ترصين البحث التاريخي في العراق) عام ١٩٩٣ قدم ورقة بالاشتراك مع الدكتور عبد الامير دكسن بعنوان (نحو مدرسة عراقية للدراسات العليا في التاريخ) فيها مقترحات لتطوير هذه الدراسات تضمنت الورقة عدة محاور منها :-

١-شروط القبول وعدد المقبولين في الجامعات العراقية والاجنبية .

٢-الاعداد وتضمين مقترحات حول تدريس اللغة الانكليزية والايفاد الى الخارج والاهتمام بالمكتبات وتطوير دار الكتب والوثائق العراقية وتنظيمها .

٣-الرسائل و الأطاريح واختيار عناوينها ووجوب التنسيق بين الاقسام المتناظرة في الجامعات العراقية حول ذلك منعاً للتكرار واصدار كراس بالموضوعات التي تمت دراستها مع التركيز على الموضوعات الاجتماعية والاقتصادية والادارية والفكرية .

٤-الاشراف على الرسائل والاطاريح ولجان المناقشة .وقد استحسن الجميع الاقتراحات المقدمة لكل الاشكاليات التي تواجهها هذه الدراسة [٣٩] آنذاك .

الخاتمة

عدّ الدكتور نوري عبدالحميد العاني علماً بارزاً ورائداً من رواد اعلام مدرسة التاريخ الحديث والمعاصر في العراق واستاذاً فاضلاً من اساتذتها ,قدم لها العديد من الكتب والبحوث الفريدة في مواضيعها رصينة في منهاجها غنية في مصادرها اغنت المكتبة العراقية ,والتي كانت دراسة قائمة على تناول الموضوعات التاريخية من خلال التحليل وربط الاحداث مع بعضها مبتعداً عن المنهج السردي والنقل المباشر للأحداث ,والميول والاهواء في تفسير الحدث التاريخي ,سواء في الكتب التي كتبها لوحده ام التي اشترك معه في كتابتها اخرون ام في البحوث العلمية ,ظهر ذلك للعيان واضحاً وان مؤلفاته المتعددة اثبتت موسوعيته العلمية التي ميزته بتناوله موضوعات صعبة ومتنوعة وغير مطروقة آنذاك على الاقل داخل العراق ,وان توجهه للكتابة في تلك الموضوعات المهمة ومعالجته لها اظهرت رغبته في ايضاح الجوانب الخفية فيها وجعلها سلسة وسهلة على كل من يقرأ التاريخ خاصة انه كان يبتعد عن استخدام العبارات الغامضة او غير المفهومة ,فلم يقتصر على تأليف الكتب والبحوث فقط بل كانت له العديد من المقالات التي نشرت في الصحف والمجلات والنشرات الشهرية ,وهذا يثبت قدرته على الاندماج في الزمن المعاصر ومعايشته له ,فسدت كتاباته جزء من الفراغ والنقص في المكتبات العراقية.

ومن متابعة كتاباته في التاريخ يبدو انه اعتمد المنهج العلمي القائم على التحليل والاستنتاج واستخلاص الحقائق من مصادر واصول تنوعت كماً ونوعاً واختلفت مضامينها وتنوعت معلوماتها , تعامل معها بمنهج التحقيق والتثبت من موضوعيتها ومصداقية رواياتها , فهو لم يتعامل مع المادة التاريخية بمنهج سردي اي نقل المعلومات دون تدقيقها ,فضلاً على حرصه بالاستعانة بالمعلومات الموثقة المستقاة من السجلات الرسمية او شبه رسمية بكل حيادية وذلك لتأثره بمقولة "لا تاريخ من دون وثيقة " ومعتمداً على بعض النظريات العالمية في تفسير التاريخ ,فضلاً عن انه يرى ان المؤرخين يختلفون في كل زمان ومكان في منهجهم في التدوين التاريخي فلا بد من ان تتوفر فيهم شروط وواجبات, لأنه ليس كل

من يكتب التاريخ يعد مؤرخاً كما يتصوره الناس بل هناك صفات وواجبات ضرورية يجب ان تتوفر فيه فضلاً عن تحقيق الظروف التي تجعله قادراً على دراسة التاريخ وكتابته .

واخيراً يمكن القول ان هناك العديد من الجوانب التي تخص حياة وفكر ومنهج صاحب الترجمة يمكن عدها حالة فريدة ومهمة في شخصية المؤرخ الاكاديمي الناجح والتي يمكن استسقاء العبر والدروس منها لكونها متميزة وفريدة .

الهوامش:

(١) ابراهيم خليل العلاف ,مقابلة الكترونية ,٢٠١٧/١٠/٢١.

(٢) نعيم جاسم محمد, مقابلة الكترونية ,٢٠١٧/٩/٢١؛صباح مهدي رميض ,مقابلة شخصية معه, يوم ٢٠١٧/٨/٢٠.

(٣) نعيم جاسم محمد ,مقابلة الكترونية معه يوم ٢٠١٧/٩/٢١.

(٤) خميس عثمان المعاضيدي الهيتي ,اعلام ومنارات , ج١, مطبعة العين ,بغداد ,٢٠١٦, ص٣٢-٣٣, ٣٨.

(٥) نصير محمود شكر الجبوري ,مقابلة شخصية معه يوم ٢٠١٧/٨/٢٣.

(٦) شاكر محمود مهدي التميمي , نيسان, ٢٠١٠ وقد نال الدكتوراه بأطروحته امين سعيد مؤرخاً من معهد التاريخ العربي عام ٢٠١٢؛ مقابلة الكترونية معه يوم ٢٠١٨/٧/٧.

(٧) ابراهيم خليل المشهداني, مقابلة الكترونية معه , يوم ٢٠١٧/٩/٢٩.

(٨) القي في ندوة اقامها بيت الحكمة بالتعاون مع كلية التربية الاساسية المستنصرية يوم ٢٠١٦/١٢/٢٨ بعنوان نحو مدرسة عراقية للتاريخ نشرته جريدة الزمان كاملاً العدد ٥٦٩٩ في ٦نيسان ٢٠١٧.

(٩) " الزمان " , (جريدة) ,العدد ٥٦٩٩ في ٦ نيسان ٢٠١٧.

(١٠) نوري عبدالحميد العاني , العراق في القرن الخامس عشر, مكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع , بغداد ,٢٠١٤, ص ٨.

(١١) نوري عبدالحميد العاني , من كتاب تاريخ العراق قديمه وحديثه , مجموعة من الباحثين , ص٢٢٢-٢٣٢.

(١٢) " الزمان " , (جريدة) ,العدد ٥٦٩٩ ٦نيسان ٢٠١٧.

(١٣) نوري عبدالحميد العاني ,اشكاليات منهج كتابة تاريخ العراق الحديث والمعاصر, بحث مكتوب بخط اليد محفوظ ضمن اوراقه الشخصية وهو بالأصل مداخلة له في ندوة لبيت الحكمة حول اهمية

الوثائق في كتابة التاريخ, ص٢-٣؛ نوري عبدالحميد العاني , رؤية بيت الحكمة في تحديث منهج كتابة التاريخ ,المطبعة الوطنية ,بغداد, ٢٠٠٨, ص٣-٦.

(١٤) نوري عبدالحميد العاني ,اشكاليات منهج كتابة تاريخ العراق الحديث والمعاصر , ص٢.

(١٥) نوري عبدالحميد العاني , رؤية بيت الحكمة في تحديث منهج كتابة التاريخ ,ص١٦٤.

(١٦) نوري عبدالحميد العاني ,العراق في القرن الخامس عشر ,ص٦-٧.

(١٧) نوري عبدالحميد العاني ,اشكاليات منهج كتابة تاريخ العراق الحديث والمعاصر ,ص٣.

(١٨) نوري عبدالحميد العاني ,اشكاليات منهج كتابة تاريخ العراق الحديث والمعاصر, ص٣.

(١٩) هذا حسب ما ذكره عبدالرحمن محمد عارف رئيس الجمهورية الاسبق وصبحي عبدالحميد عضو حركة الضباط الاحرار ووزير الداخلية والخارجية الاسبق في تقيمهما كتاب تاريخ الوزارات العراقية . نوري عبدالحميد العاني وعلاء جاسم الحربي ,تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ,ج ١, ط٢, بيت الحكمة ,بغداد ,٢٠٠٥, ص٣-٥؛ " الاتحاد " , (جريدة) ,بتاريخ ٢٠٠١/٤/٢٢.

(٢٠) نوري عبدالحميد العاني , العراق في القرن الخامس عشر , ص٦-٧.

(٢١) نوري عبدالحميد العاني وعلاء جاسم الحربي ,تاريخ الوزارات العراقية ,ج١ ,المقدمة.

(٢٢) صادق ياسين الحلو ,مقابلة شخصية معه يوم ٢٠١٧/١١/٢٠.

(٢٣) " الاتحاد " ,(جريدة) ,٢٠٠١/٤/٢٢.

(٢٤) " الثورة " , (جريدة) ,العدد ١٠٠٧٠,بتاريخ ٢٠٠٠/٧/٢٦.

(٢٥) صادق ياسين الحلو, مقابلة شخصية معه يوم ٢٠١٧/١١/٢٠.

(٢٦) عادل تقي البلداوي ,مقابلة شخصية معه يوم ٢٠١٧/٨/٢٦.

(٢٧) ينظر : نوري عبدالحميد العاني , العراق في العهد الجلائري ٧٣٨-٨١٤هـ/١٣٣٧-١٤١١م دراسة في اوضاعه الادارية والاقتصادية ,دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة ,بغداد ,١٩٨٦,صفحات متعددة .

(٢٨) وهذا من خلال اطلاع الباحثة على مؤلفاته.

(٢٩) ينظر :نوري عبدالحميد العاني ,العراق في القرن الخامس عشر ,صفحات متعددة؛ نوري عبدالحميد العاني ,العراق في العهد الجلائري ,صفحات متعددة.

(٣٠) نوري عبدالحميد العاني ,العراق في القرن الخامس عشر ,ص٨.

(٣١) سجاد الغازي, مقابلة شخصية معه يوم ٢٠١٧/٧/٤.

(٣٢) ينظر: نوري عبدالحميد العاني ,اعلام عانيون ,بخمسة اجزاء ,مطبعة انوار دجلة ,بغداد, ٢٠١٢/٢٠١٨ ,صفحات عدة ,بإجزائه الخمسة.

(٣٣) ينظر :المصدر نفسه ؛خميس عثمان المعاضيدي الهيتي , المصدر السابق, ص٣٤-٣٥.

(٣٤) ينظر: نوري عبدالحميد العاني, ,تاريخ الصين الحديث ١٥١٦-١٩١١, مكتبة الكلمة الذهبية ,بغداد ,٢٠٠٣, ص٥-٦.

(٣٥) " الراي " , (جريدة) ,العدد ١٣٨ بتاريخ ٢٣ كانون الاول ٢٠٠١.

(٣٦) نوري عبدالحميد العاني ,المؤرخ توماس كارليل , "المؤرخ العربي" , (مجلة), العدد ٢٧ سنة ١٩٨٦ .

(٣٧) مقابلة شخصية اجرتها معه الصحفية عالية طالب في بيت الحكمة في اذار ١٩٩٩ نسخة منها محفوظ ضمن الاوراق الشخصية وقد زودني بنسخة منها .

(٣٨) خميس عثمان المعاضيدي الهيتي ,المصدر السابق, ص٣٨.

(٣٩) نوري عبدالحميد العاني وعبد الامير حسين دكسن ,نحو مدرسة عراقية للدراسات العليا في التاريخ ,قدمت الى الندوة العلمية المتخصصة التي اقامها قسم التاريخ بكلية الآداب /جامعة بغداد ٣-٤ نيسان ١٩٩٣ شارك في الندوة اساتذة من اقسام التاريخ في جامعات بغداد والموصل والبصرة والمستنصرية والكوفة والانبار وتكريت والقادسية والمجمع العلمي العراقي واتحاد المؤرخين العرب وجمعية المؤرخين والآثاريين العراقيين .

موقف جريدة الأهرام من ثورة ١٤ تموز١٩٥٨

الباحث: ليث نعمة موسى الخفاجي

أ. د. أُسامة عبد الرحمن الدوري

موقف جريدة الأهرام من ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

الباحث: ليث نعمة موسى الخفاجي

أ. د. أُسامة عبد الرحمن الدوري

Abstract

Young Iraqi officers were influenced by the principles of the 23rd of June 1952 revolution in Egypt. A group of Iraqi officers have been activated and try to have the same lines and resolutions like the free officers in Egypt; therefore they form the free officers' organization which state clearly that Iraqi free officers were affected by the Egyptian experience .

14th June 1958 revolution in Iraq was a reflection of the large congestion case of the Arab public in general and Iraq in specific as a result of huge tension on the societies and the outbreak of revolution leads great results. Of the most important results are: being free of tensions and moving towards free expression concerning the leftic and national feelings and other trends in a free and obvious form.

Al-Ihram newspaper was one of the most important papers which represents the change of roles according to the policy of Egyptian government and the situations of the president Abdul-Nasir without being free of this large constriction.

Therefore, we find the situations of Al-Ihram newspaper during the revolution in its first days differs from the period after the revolution or what is called the period of diversity. Thus, our research will be divided into two parts, the first is allocated to the situations of Al-Ihram from the 14th of June revolution before and during the revolution whereas the second is specified to the period after the diversity which lead to the final results based on that policy.

المقدمة :

تأثر الضباط العراقيون الشباب بمبادئ ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ في مصر، فنشط مجموعة من الضباط العراقيين وحاولوا السير على نهج الضباط الأحرار نفسه في مصر

وقراراتهم فشكلوا تنظيم الضباط الأحرار، مما يؤكد تأثرهم بالتجربة المصرية وإنها الملهمة لهم.

كانت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق انعكاس لحالة الاحتقان الكبيرة عند الشعب العربي عامة والعراقي خاصة نتيجة الضغوط الهائلة على المجتمعات، وانفجار الثورة أدى إلى نتائج واسعة أهمها الانفراج نحو الحرية والتحرر من القيود والضغوط والانطلاق نحو التعبير الحر عن المشاعر القومية واليسارية والاتجاهات الأخرى بشكل حر وواضح .

ولكن هذا الانفراج والحرية لم تستمر طويلا، إذ سرعان ما تبدلت المواقف انعكاسا للخلافات بين التيارات المتصارعة، ومن الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى أن تكون الصحف والمجلات متجهة مع هذا التيار أو ذاك تبعاً لسياسات الدول والتيارات الحاكمة .

وقد كانت جريدة الأهرام واحدة من أهم الصحف التي مثلت هذا التبدل في الأدوار تبعاً لسياسة الحكومة المصرية ومواقف الرئيس عبد الناصر من دون القدرة على التحرر من هذا القيد الكبير .

ولذلك نجد أن مواقف الجريدة في أثناء الثورة وفي أيامها الأولى شيء، وفي مرحلة ما بعد الثورة أو ما تسمى مرحلة الخلافات شيء آخر، ولذلك سيكون بحثنا مصنف إلى محورين أساسيين، الأول: يختص بمواقف جريدة الأهرام من ثورة ١٤ تموز قبل وأثناء الثورة، فيما سيكون الثاني مختصاً في مرحلة ما بعد مرحلة الخلافات وصولا إلى مرحلة الخاتمة والنتائج التي ترتبت على تلك السياسة.

أولا : مواقف جريدة الأهرام من ثورة ١٤ تموز قبل واثناء الثورة

اجرى قادة تنظيم الضباط الأحرار، عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، عندما كانا يخدمان في اللواء الموجود في الأردن اتصالات سرية مع حكومة الثورة في مصر متمثلة في وزير داخلية الجمهورية العربية المتحدة عبد الحميد السراج، وقد اجتمع الثلاثة في (الرمثا) على الحدود السورية وحملا رسالة سرية وعاجلة إلى جمال عبد الناصر طالبين دعم وإسناد الجمهورية العربية المتحدة لحركة الضباط في العراق, وكان جواب الرئيس المصري على رسالة الضباط الأحرار العراقيين بقوله:

"أولا اذا كانا جادين حقا فان عليهما أن يحفظا الأمر سراً

حتى عني، ثانيا أننا لا نستطيع أن نساعدهم بخطة ما لأن
الخطة لا يمكن أن يضعها إلاّ أولئك الذين سيقومون بتنفيذها[١]

فهم رد الرئيس عبد الناصر من قبل الضباط الأحرار في العراق, أنه لا يريد أن يتدخل بشكل مباشر حتى لا يعطي لثورة الضباط صبغة قومية تحسب على الجمهورية العربية المتحدة من جانب، ومن جانب آخر حتى لا يثير هذا الحراك الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا؛ لأنه لا يريد أن يعطي لهذه القوى مسوّغاً للوقوف ضد الجمهورية العربية المتحدة فيما إذا دعم الرئيس عبد الناصر الضباط الأحرار في العراق بشكل مباشر.

بعد عامين زحف عبد السلام عارف آمر اللواء العشرين على بغداد في ليلة ١٣ تموز ١٩٥٨، واحتل مواقع حساسة داخل بغداد، وطوقت قواته القصر الملكي ودار نوري السعيد، وسمع المواطنون العراقيون عارف يقرأ البيان الأول للثورة من الراديو صبيحة ١٤ تموز معلناً فيه أن الجيش أقدم على:

"تحرير الوطن من الطغمة الفاسدة التي نصبها الاستعمار" [٢].

وظهر عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف على شاشة التلفزيون للإعلان عن إقامة حكومة شعبية والدعوة للحفاظ على النظام والوحدة، وغصت شوارع بغداد بالاحتفالات التي رفعت شعارات معادية للغرب[٣].

في بغداد رفعت صور جمال عبد الناصر بشكل لافت للنظر؛ لأن عبد الكريم قاسم لم يكن معروفاً بعد الأمر الذي نقلته "الأهرام" فوراً مثلما سارعت "الأهرام" الى نشر اعتراف الجمهورية العربية المتحدة بقيام الجمهورية العراقية بعد ثلاث ساعات من قيام الثورة[٤].

أخذ هذا الاعتراف بعداً سياسياً وثقلاً معنوياً بسبب الدور الفاعل لمصر على المستوى العربي والإقليمي والدولي، إذ ترتب على ذلك أن توالى تأييد الجماهير العربية، كما ونشرت الجريدة اعتراف دول حركة عدم الانحياز ودول المنظومة الاشتراكية بالثورة [٥].

استرسلت "الأهرام" في تغطيتها للثورة بقولها:

" عند سماع نبأ الثورة في بغداد خرجت الجماهير في القاهرة
وتوجهت بمسيرة كبيرة إلى دار الرئاسة لتعبر عن فرحتها وابتهاجها"

ووصفوا ما حدث في العراق بأنه: " انتفاضة شعبية وطنية" [٦].

نشرت جريدة الأهرام تصريح الرئيس عبد الناصر, وهو في زيارة كان يقوم بها إلى يوغسلافيا على أن:

" أي اعتداء على العراق هو اعتداء على الجمهورية العربية المتحدة" [٧]

ذكرت "الأهرام" خبر اعتراف الاتحاد السوفيتي بثورة١٤ تموز ١٩٥٨ وبينت أن راديو موسكو أذاع الاعتراف وأن الزعيم السوفيتي نيكيتا خروشوف Khrushchev [٨].

قد أرسل برقية إلى عبد الكريم قاسم بهذا الشأن [٩].

كما اهتمت "الأهرام" بزيارة فائق السامرائي، سفير العراق لدى الجمهورية العربية المتحدة فيما بعد، إلى دمشق والقاهرة في الأيام الأول للثورة ونشرت تصريحاته التي أشار فيها إلى أن حكومة الثورة تهدف إلى الحصول على دعم عسكري من الجمهورية العربية المتحدة لأن تسليح الجيش العراقي في ميثاق بغداد ليس سوى أكذوبة فضلاً عن الدعم المعنوي [١٠].

أفادت "الأهرام" أن ثورة ١٤ تموز قد غيرت كثيراً من موازين القوى في المنطقة لصالح الحركة القومية، مما أثار حفيظة الغرب الاستعماري وإسرائيل خاصة وأشارت إلى هذه المخاوف فأوضحت أن (بن غوريون) رئيس الوزراء الإسرائيلي قد أبلغ الكنيست بأن دولته تأثرت كثيراً بثورة العراق وأنها ستطلب أسلحة ثقيلة من الغرب وتطالب واشنطن ولندن وباريس تأكيد ضماناتها بشأن حماية أمن (إسرائيل) [١١].

تابعت جريدة الأهرام ما كان يجري من أحداث في المنطقة بعد ثورة تموز ولاسيّما نزول القوات الأمريكية في لبنان وأشارت إلى تصريحات عبد الناصر وتأكيده على أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة قد أعلنت أن أي عدوان على الجمهورية العراقية يُعَدّ في الوقت نفسه عدواناً على الجمهورية العربية المتحدة وفي هذه الحالة سوف تقوم الأخيرة بالتزاماتها كافة تجاه جمهورية العراق وفقاً لميثاق الضمان الجماعي العربي[١٢].

استمرت "الأهرام" بنشر برقيات التهنئة من المنظمات الشعبية والأحزاب السياسية إلى قادة الثورة في العراق، إذ نشرت برقيات جبهة علماء الأزهر, ووزارة التربية والتعليم، ومجلس إدارة نادي ضباط الشرطة وغيرها [١٣].

تخوفت حكومة الجمهورية العربية المتحدة من التدخل الغربي في العراق بعد إنزال الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا لقواتها في لبنان والأردن ولهذا غادر جمال عبد الناصر يوغسلافيا متوجهاً إلى الاتحاد السوفيتي بزيارة سرية لطلب مساندة الثورة في العراق، يسعى من خلالها للحصول على إنذار سوفيتي شبيه بإنذارهم إبان العدوان الثلاثي، لكن خروشوف رفض ذلك، وأشار إلى أنه ليس مستعداً لتحمل أية مخاطر قد تؤدي إلى حرب عالمية, وأوضح خروشوف أن أقصى ما يستطيع الاتحاد السوفيتي عمله هو الإعلان عن إجراء مناورات سوفيتية على الحدود البلغارية التركية(١٤).

واللافت للانتباه أن جريدة الأهرام غطت وباستفاضة مسيرة الثورة وانجازاتها والموقف المتعاطف للقيادة المصرية إزاءها، فضلاً عن أنها كانت السباقة في نشر خطب عبد الناصر المؤازرة للثورة، ففي ١٩ تموز ١٩٥٨ أوردت حرفياً قول الرئيس عبد الناصر:

"إننا نرى اليوم إلى جانبنا إخوةً يحملون مشعل الحرية
في طريق زحفهم المقدس... لقد قاوم شعب العراق دائماً ولم
يضعف... قاوم شعب العراق وقابل القتل ولكنه لم ييئس...".

وقوله:

"إنَّ عبد الكريم قاسم يمثل هذا الشعب يمثلكم أنتم,
يمثل المواطن العربي ويمثل القومية العربية..."١٥.

وأشاد جمال عبد الناصر في خطبه بثورة ١٤ تموز وثوار العراق وأعرب عن مساندتهم للثورة (١٦).

وأصدر الرئيس عبد الناصر في نفس اليوم تعليماته إلى القاهرة ودمشق، بضرورة التعاون مع قادة الثورة في العراق إلى أقصى الحدود بكل الوسائل المباشرة (١٧).

يلحظ هنا بشكل واضح، أن الرئيس عبد الناصر يؤيد قيادة الثورة في العراق ويساند عبد الكريم قاسم، ووقف بجميع إمكانياته وراء الثورة في العراق وكذلك جميع وسائل الإعلام المصرية من غير تحفظ مؤيدة لما حدث في العراق لتعبئة الرأي العام العربي كله دفاعاً معنوياً عن الثورة والثوار في بغداد.

لم تفوت جريدة الأهرام فرصة نشر نص مذكرة عبد الكريم قاسم إلى مجلس الجامعة العربية حول قرار الحكومة العراقية بأنها في حلٍ من الاتحاد العربي الهاشمي المبرم سابقاً بين العراق والأردن، ومن جميع الالتزامات التي قام عليها ذلك الاتحاد, وفي ضوء تلك المذكرة سحبت الجامعة العربية اعترافها بالاتحاد العربي الهاشمي [١٨].

واكبت "الأهرام" كذلك وصول وفد القيادة العراقية برئاسة عبد السلام عارف إلى دمشق ولقاءه بجمال عبد الناصر في ١٨ تموز ١٩٥٨، وأعربت عن رأيها في اللقاءات والاجتماعات كافة بين القيادتين, ونقلت نصوصاً كثيرة من خطبة الرئيس عبد الناصر وإشادته بثورة ١٤ تموز واهم ما قاله:

"هؤلاء هم الثوار في العراق الذين نطقوا اليوم بمنطق الأحرار بعد أن أشعلوا شعلة الحرية ليعلنوا للعالم أجمع أن العراق رفض الذل ورفض العار... إن العراق اعتمد على نفسه وأصر على أن يطهر وطنه وان يرفع بين ربوعه راية الحرية وراية الاستقلال" [١٩].

نقلت "الأهرام"، كذلك، ما قاله جمال عبد الناصر وترحيبه بثورة العراق في أثناء احتفالات ذكرى ثورة ٢٣ تموز(يوليو) ١٩٥٢ في مصر, وبحضور الوفد العراقي، وأبرزت قوله:

"اليوم نحتفل بعيدين عيد ثورة ٢٣ يوليو في القاهرة وعيد ١٤ تموز في بغداد. أن كليهما مكمل للأخر وإن قصة كفاح الشعب العربي قصة واحدة".

واستمرت "الأهرام" في مراقبة موقف الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا من ثورة تموز١٩٥٨ والتحركات التي قامت بها إثرَ إنزال القوات الأمريكية على سواحل لبنان لضرب الثورة [٢٠].

ونشرت "الأهرام" في صفحتها الأولى خبر اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بالثورة العراقية في الأول والثاني من آب ١٩٥٨ وتسليم السفير البريطاني ببغداد اعتراف حكومته الرسمي بالجمهورية العراقية إلى عبد الكريم قاسم [٢١].

أكدت جريدة الأهرام أن الأردن أصبحت مضطرة إلى الاعتراف بهذا الواقع وإلغاء الدستور الاتحادي، وتعديل دستورها مشيرة إلى أن ملك الأردن قد وضع أموال الاتحاد في وصايته [٢٢].

أعلنت جريدة الأهرام فشل تلك المناورات التي قامت بها القوات الأمريكية على السواحل اللبنانية، إذ ذكرت تراجع تلك القوات من لبنان في ٨ آب ١٩٥٨ بعد أن وقف الاتحاد السوفيتي إلى جانب العراق، وأدى ذلك إلى إخفاق السياسة الأمريكية في التخطيط لضرب الحركة الوطنية العربية في العراق [٢٣].

استمرت "الأهرام" بمتابعة الزيارات المتبادلة بين وفود البلدين إلى بغداد والقاهرة، فقد أشارت إلى استقبال جمال عبد الناصر الوفد الثقافي العراقي في القاهرة, وبحث مع المسؤولين في التعليم طرائق توحيد مناهج التعليم بين البلدين، وكذلك حديثه إليهم اذ برَّزت قوله:

"إنَّ التعاون الثقافي والوحدة الثقافية بين الشعب العربي في العراق والجمهورية العربية المتحدة، أساس من أُسس القومية العربية.. وهذا تدعيم يقوي من عضد العرب في كل مكان" [٢٤].

كما نشرت "الأهرام" إجابة الرئيس عبد الناصر عن سؤال حول التعاون بين العراق والجمهورية العربية المتحدة أهو وحدة أم اتحاد فدرالي ؟ فأجاب:

"إنَّ هذا متروك للجمهورية العراقية الجديدة فهي التي تقرره" [٢٥].

عمل الرئيس عبد الناصر على كسب قطبي الثورة (قاسم،عارف) إلاّ أن الوضع السياسي لم يستمر كما خطط له، بسبب الخلافات بينهما، ومن دون أن تبدي "الأهرام" رأياً او موقفاً متعاطفاً مع أي الطرفين, فيبدو أنها كانت تتوجس خيفة من طبيعة ذلك الصراع بين قاسم وعارف، فقد كانت تنقل الأحداث التي تقع في العراق من خلال ما يُنشر بالصحف العراقية، من دون التعقيب أو إظهار ما يجول في ذهنية حكومة الجمهورية العربية المتحدة أو رأي الجريدة نفسها فكانت في حالة ترقب لما سيؤول إليه الأمر, وما سيتمخض عنه من نتائج قبل التسرع والحديث عنها، كي لا تخوض صراعاً هي في غنى عنه.

ثانياً: مواقف جريدة الأهرام من ثورة ١٤ تموز بعد مرحلة الخلافات

لم يدم صفاء الجو بين البلدين، إذ سرعان ما كدرته الخلافات التي كان محورها الجوهري قضية الوحدة العربية وطريقة تحقيقها، على الرغم من أن العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية كانت جيدة في الأسابيع الأولى من الثورة، فبرز في ذلك الوقت اتجاهان متناقضان، الأول يرى إيجاد اتحاد فدرالي بين العراق والجمهورية العربية المتحدة بصورة تضمن للعراق قدراً أكبر من الاستقلالية، وبعيداً عن الهيمنة المصرية، وكان من أنصار هذا الاتجاه الأحزاب ذات التوجه اليساري، أما الثاني فيسعى إلى إقامة اتحاد فعلي تحت القيادة المصرية وكان من أنصار هذا الاتجاه الأحزاب ذات التوجه القومي ٢٦. لم يكن الخلاف شعبياً فحسب، بل امتد إلى القيادة العراقية، إذ مال عبد الكريم قاسم للاتجاه الأول، ومالَ عبد السلام عارف للاتجاه الثاني، مما أدى إلى توتر العلاقة بين قطبي الثورة، فمضى عبد السلام عارف في دعوته للوحدة الاندماجية الفورية غير مبالٍ بتوتر العلاقة بينه وبين عبد الكريم قاسم [٢٧].

تطورت الأوضاع في العراق فعزل عبد السلام عارف من منصبيه نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية، تلاها إلقاء القبض على رشيد عالي الكيلاني [٢٨] لمحاولته الانقلاب ضد الثورة بالتعاون مع الجمهورية العربية المتحدة، وكان لاعتقاله أثراً كبيراً في توتر العلاقة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق، فاتهم عبد الكريم قاسم رشيد عالي الكيلاني بأن جمال عبد الناصر فوضه في أثناء لقاءه به عشية عودته إلى بغداد في ٢ أيلول ١٩٥٨ بالعمل على قلب نظام الحكم في العراق [٢٩]. وكان رشيد عالي الكيلاني قد التقى فعلاً في ذلك اليوم بالرئيس عبد الناصر [٣٠].

بعث عبد الناصر برسالة إلى قاسم بيد السفير العراقي فائق السامرائي جاء فيها:

"إنَّ هناك محاولة لخلق خلاف لا مبرر له بين العراق
والجمهورية العربية المتحدة... وإنَّ الرئيس عبد الناصر
لا يستطيع أن يراقب ما يجري الان ويكتفي بمتابعته
والسكوت عليه, وإنه لا يجد وسيلة غير إن يحاول بنفسه
لقاء الرئيس عبد الكريم قاسم ليحدثه بكل ما في قلبه".

ولم يتلق عبد الناصر ردا على هذه الرسالة [٣١].

يتضح أن عبد الكريم قاسم كان حذراً من دعوات جمال عبد الناصر للاجتماع به, لخوفه من التآمر على الثورة في العراق، لاسيّما أنها لم تثبت جذورها بعد ولازال هنالك من يتربص بها.

انحدرت العلاقة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق انحداراً واضحاً، وذلك عندما ندد جمال عبد الناصر يوم ٢٢ كانون الأول ١٩٥٨علناً بالأحزاب الشيوعية في الوطن العربي [٣٢]، مما أثار غضب واستنكار الشيوعيين في العراق، وعلى أثر هذه التطورات شنت الجمهورية العربية المتحدة حملات عنيفة ضد الشيوعيين العرب عموماً، والشيوعيين في مصر وسوريا خصوصاً، ليتطور الأمر في الأشهر الأولى من عام ١٩٥٩ إلى صراع بين القومية العربية بزعامة عبد الناصر والشيوعيين ٣٣، وعلى أثر هذه التطورات اقترح عبد الحميد السراج على عبد الناصر ضرورة الإطاحة بنظام عبد الكريم قاسم، وإذا لم يتم ذلك فان العراق سوف يقع بأيدي الشيوعيين [٣٤].

اتخذت جريدة الأهرام مساراً قومياً متناغماً مع الحكومة المصرية، فلم تكن حرة في آراءها ولم تتجرد من سيطرة الرئيس عبد الناصر الفكرية، ووفقاً لهذه الحقيقة صاغت الجريدة آرائها من الثورة في العراق، لاسيّما في خضم الصراع العقائدي ما بين التيار القومي العربي بقيادة القوميين من جهة، وبين الشيوعيين المتعاطفين مع حكومة عبد الكريم قاسم من جهة أخرى. كانت مواقف "الأهرام" في البداية مناصرة ومؤيدة لما حققته ثورة ١٩٥٨, من إنهاء الحكم الملكي في العراق، وأقطاب العهد البائد، فضلاً عن تغيير موازين القوى في المنطقة، متأملة بالثورة الخير بما يصب في خدمة التيار القومي العربي.

لم تكتفِ "الأهرام" بالهجوم على الشيوعيين، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك، إذ نقلت وقائع محاكمة عبد السلام عارف [٣٥] التي جرت في المحكمة العسكرية العليا الخاصة "محكمة الشعب" برئاسة فاضل عباس المهداوي [٣٦]، ونشرت ما كان يدور في جلساتها على صفحتها الأولى، لاسيّما تهجم رئيس المحكمة العسكرية العليا فاضل عباس المهداوي وبكلام قاسي على الرئيس عبد الناصر والذي أطلق عليه "ناصر الاستعمار" ووصفه بأنه عميل صهيوني وإنه رئيس رسمي للمحفل الماسوني وشبهه بهتلر وموسوليني؛ لأنه يريد أن ينشأ

إمبراطوريته من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي، ومما أجّج الصراع بين القاهرة وبغداد أن عبد الكريم قاسم أعلن في تصريحه للصحفيين تأييده لكل كلمة نطق بها رئيس المحكمة(٣٧).

ومع تطور الأحداث في العراق، بدأت الجريدة ترسم المعالم باتجاه مضاد نحو سياسة عبد الكريم قاسم والشيوعيين، فشنت حملة تشهير إعلامية ضده متهمة إياه بانتهاج سياسة انعزالية والابتعاد عن الدول العربية (٣٨).

بدأت "الأهرام" تنشر كل ما يخص العلاقات العراقية المصرية، ويبدو أنها كانت تنقل ما يقوله الرئيس عبد الناصر حول الشأن العراقي والعلاقة مع الجمهورية العربية المتحدة بشكل متتابع، فقد نشرت مقاطع من حديثه عن هذه العلاقة:

"إنَّ هناك سياسات أجنبية لا تريد أن ترى الوفاق سائداً بين القاهرة وبغداد"(٣٩)، متهماً السياسة البريطانية التي كان لها الدور الفعَّال قبيل قيام الثورة وبعدها. وأشارت "الأهرام" إلى تنديده بالتغلغل الشيوعي المؤثر في العراق، لكن في الوقت ذاته، أكَّد على أن القومية العربية هي التي تنال تأييد أبناء العراق ولا يمكن لطرف غير مرحب فيه أن يفرض سيطرته على هذه الأمة (٤٠).

بدأ الانعطاف واضحاً في مسيرة مواقف "الأهرام" اعتباراً من يوم ٢ كانون الثاني ١٩٥٩، ويمثل هذا التاريخ نهاية مدة الترقب، إذ بدأت "الأهرام" ومن دون سابق إنذار بإطلاق العنان لأقلامها في مهاجمة عبد الكريم قاسم واتهامه بالانحراف عن أهداف ثورة ١٤ تموز (٤١). ويأتي ذلك تماشياً مع ما أوردته إحدى الوثائق المصرية التي تشير إلى أن الرئيس عبد الناصر أرسل أوامراً سرية إلى عبد القادر حاتم وزير الإرشاد القومي، يطلب منه أن يشن حملة صحفية وإذاعية على عبد الكريم قاسم والشيوعيين في العراق، وأن تكون في الصحف بأقلام محمد حسنين هيكل، ومصطفى أمين، وإحسان عبد القدوس، وحسين فهمي، وكامل الشناوي، على أن تذيع الإذاعة يومياً ما يكتبه هؤلاء وأن تكون الحملة هجومية لا دفاعية، إذ بدأت حملة هجومية بالصحف المصرية عن طريق صحف الأهرام، والجمهورية، وأخبار اليوم، ضد عبد الكريم قاسم (٤٢).

ومما تجدر الإشارة إليه أنه خلال هذه المدة ولغاية تاريخ المحاولة الانقلابية التي قام بها العقيد عبد الوهاب الشواف في الموصل في آذار ١٩٥٩، على الرغم من أن عبد السلام عارف كان معتقلاً كثفت جريدة الأهرام نشر صوره وتصريحاته، وكانت تكتب عنه مشيرة إلى تمتعه بشعبية كبيرة وسط الرأي العام في العراق، وأطلقت عليه زعيم الثورة في محاولة لزيادة هوُة الخلاف بينه وبين عبد الكريم قاسم، إذ أبرزت الجريدة عنواناً كبيراً على صدر صفحتها الأولى أن عبد السلام عارف هو الذي قام بتنفيذ الثورة، وليس "الزعيم الأوحد", وفي العدد نفسه وتحت عنوان" نموذج من وثائقهم "اتهمت فيه الجريدة عبد الكريم قاسم بالتبعية للغرب والاستعمار (٤٣). وواصلت الجريدة تهجمها على عبد الكريم قاسم في عدد آخر وتحت عنوان " حملة إرهابية حول القوميين العرب " قالت فيه:

"إنَّ عبد الكريم قاسم يقوم بمؤامرة مع الشيطان ضد القومية العربية، وعزل العراق، وإن الشيوعيين يبثون الحقد الأسود ضد القومية العربية في العراق" (٤٤).

يتضح مما ذكر أعلاه، حب وتمسك جمال عبد الناصر بالزعامة، محاولاً فرض آرائه وأفكاره على الآخرين، علماً أن خصومه في هذه الآونة كانوا كُثر، لاسيّما من الوطن العربي مثل المملكة العربية السعودية، والمملكة الأردنية الهاشمية، والمملكة المغربية، والدول الإقليمية مثل إيران، فضلاً عن العراق, وكانت "الأهرام" تهاجم بشكل واضح والتي أصبحت لسان حال القيادة المصرية، وتعبر عن أفكارها وسياستها من دون استقلالية أو موضوعية أو حيادية على الأقل.

واللافت للانتباه أن "الأهرام" والزعامة المصرية بدأت تغازل رجال الدين في العراق، في الوقت الذي لم تكن علاقتهما ايجابية مع رجال الدين بمصر, ففي الوقت الذي هاجمت فيه "الأهرام" نشاط الحزب الشيوعي العراقي ووقوفه مع عبد الكريم قاسم في الصراع الداخلي، وقفت مصر مع التيار القومي في العراق، وبهذا وجدت سنداً لمواقفها من خلال نشر آراء رجال الدين العراقيين الداعية إلى مقاومة المد الشيوعي, محذرة من عواقب انجرار عبد الكريم قاسم وراء تصرفاتهم وفعالياتهم، فضربوا على الوتر الحساس وهو العامل الديني، وذلك نتيجة تفاقم حدة الصراع بين الشيوعيين وخصومهم من القوى القومية والدينية في العراق هادفة وراء ذلك إثارة الحس الديني ضد حكومة عبد الكريم قاسم.

فنشرت الجريدة التحذير الذي وجهه المدعي العام لمحكمة الشعب إلى الزعماء الدينيين والذين دعاهم بالمزيفين وحذرهم أن الثورة ستحطم كل من يحاول اعتراض طريقها(٤٥).

استمرت "الأهرام" بسياسة اللعب بعواطف العراقيين الدينية، وإثارتهم ضد الشيوعيين فنشرت النص الكامل للنداء الذي أصدرته الهيأة الإسلامية في العراق والذي دعت فيه الشعب العراقي إلى التمسك بالإسلام، وترك كل ما هو أجنبي وبيَّنت أن الإسلام وحده يستطيع إقامة مجتمع سليم يتفق مع تعاليم الدين، وكان ذلك رداً على دعوة الحزب الشيوعي بأن الانضمام إلى الحزب الشيوعي يخلق مجتمعاً مثالياً (٤٦).

كانت هنالك متعلقات تركها النظام الملكي في العراق للنظام الجمهوري بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨, ومنها ميثاق بغداد، تابعت جريدة الأهرام تطورات هذا الميثاق وأخباره، مشيرة إلى أن هناك اجتماعاً لمجلس الميثاق سيعقد بمدينة كراتشي في باكستان، وسيتخذ قراراً نهائياً بشان موقف الميثاق من العراق، وذكرت أن هنالك أُسس جديدة للميثاق في ضوء الأحداث بمنطقة الشرق الأوسط، وأوضحت الجريدة على لسان الناطق باسم المجلس، أن العراق لم يبلغ مجلس الميثاق عن موقفه رسمياً (٤٧)، فنشرت مقالاً سياسياً تحت عنوان: " نهاية حلف بغداد" أشارت فيه إلى اعتراف أعضاء الميثاق بأن النهاية المحتومة أصبحت واقعة ولا مجال لأي نهوض يمكن أن يعيد الحياة إليه، وكانت تلك النهاية بسبب ما أقدم عليه أبناء شعب العراق من خلال تفجيرهم لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨, وأوضحت "الأهرام" أن كلمة:

"حلف أصبحت لدى الشعوب تعني عصابة من المرتزقة الذين لا يجمعهم مبدأ ولا هدف وإنما تجمعهم حرفة الارتزاق من الشعوب القادرة " (٤٨).

بينما نددت "الأهرام" واتهمت الحكومة العراقية بعدم جديتها من الانسحاب من ميثاق بغداد على الرغم من المطالبات الشعبية متهمة عبد الكريم قاسم بالعمالة(٤٩).

غطت جريدة الأهرام موضوعات عديدة كانت تتعلق بالوضع السياسي في العراق، فمثلاً، عندما وردت أنباء تتعلق بتقديم الرئيس عبد الناصر مشروع اتحاد فيدرالي بين العراق

والجمهورية العربية المتحدة، نقلت "الأهرام" نص تصريح فائق السامرائي سفير الجمهورية العراقية في القاهرة، الذي أوضح فيه بأنه

"لا صحة إطلاقاً لما قيل عن تلك الأنباء ووصفه أنه خبر مختلق لا أساس له, وان الذي أذاعه هو راديو باريس نقلاً عن صحيفة لوريان [اللبنانية]" ٥٠.

استمرت جريدة الأهرام بمتابعة حلقة أخرى من حلقات الصراع الدائرة في العراق والجمهورية العربية المتحدة، ومنها محاكمة عبد السلام عارف والتُهم الموجهة إليه، واتهام رئيس المحكمة الجمهورية العربية المتحدة والرئيس عبد الناصر بمحاولة قلب نظام الحكم وقتل عبد الكريم قاسم، وكانت تنقل وقائع تلك الجلسات وتعلق عليها على أنها ضد حركة القومية العربية, وتردُّ التهم الموجهة إلى الجمهورية العربية المتحدة(٥١). وعند صدور قرار المحكمة العسكرية "محكمة الشعب" في ٥ شباط ١٩٥٩ القاضي بالحكم على عبد السلام عارف بالإعدام، شنت "الأهرام" حملة عنيفة على حكومة عبد الكريم قاسم والشيوعيين، ونشرت قرار المحكمة مدعية أن الأجواء مشحونة في بغداد، وأظهرت "الأهرام" من خلال العناوين الرنانة وقوفها مع عبد السلام عارف، فمن أبرز هذه العناوين:

أزمة بسبب الحكم ضد عبد السلام عارف"،

وعنوان آخر:

"المهداوي اصدر الحكم بالإعدام شنقاً حتى الموت"،

وعززت حملتها هذه بنشر تفاصيل مثيرة عن التطورات التي وقعت بعد إذاعة الحكم على عبد السلام عارف ومنها حضور عدد من الضباط في الجيش العراقي لمقابلة عبد الكريم قاسم وقولهم له:

"إنَّ صدور الحكم يعد تحدياً لشعور الرأي العام في العراق وأن الأثر السيئ لهذا الحكم سوف يقع حتى لو خففته فيما بعد، لكون الرأي العام العراقي الذي تابع المحاكمة كما إذاعتها إذاعة بغداد قد اصدر حكمه ببراءة عارف"،

كما نقلت "الأهرام" النص الكامل لمحامي الدفاع محمد العيطة عن عبد السلام عارف وإيضاحه أنه لم يجد ركناً واحداً للتهمة الموجهة إلى موكله, مخاطباً رئيس المحكمة بقوله:

"إذا حكمتم بالمنطق وبناء على الوقائع والقانون فاحكموا ببراءة موكلي"،

كما أوردت الجريدة نص البرقية التي أرسلتها نقابة المحامين في دمشق إلى نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة العراقي، تناشد عبد الكريم قاسم من أجل الإفراج عن عارف استناداً إلى الوقائع التي جاءت في جلسات المحاكمة التي أكَّدت براءته من أي جرم ينسب إليه وعلى دوره في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ (٥٢).

أخذت "الأهرام" تنقل حالة الفوضى اللامسؤولة، حسب زعم الجريدة، وأوردت، على سبيل المثال، البيان الصادر عن اتحاد الطلبة العام في العراق الذي ادعى أن الجمهورية العربية المتحدة قررت وقف تبادل الزيارات بين الطلبة في العراق وبينها، وردَّت على ذلك بنشر تصريح المسؤولين في وزارة التربية والتعليم في الجمهورية العربية المتحدة أشار فيه إلى حرص الوزارة المذكورة على توثيق أواصر العلاقة بين الطلبة العرب، وإن المسؤولين العراقيين هم الذين تباطؤا في اتخاذ الإجراءات اللازمة لتبادل الزيارات طبقاً للاتفاق الثقافي المبرم وذكرت الجريدة:

"نحن لم نحاول ايجاد اي عراقيل وقد سافر بعض الطلبة
والمدرسين الى العراق، ولم يحضر من العراق اي طالب" (٥٣).

استرسلت "الأهرام" في متابعة مجريات الأحداث السياسية في العراق من استقالة الوزراء القوميين (٥٤)، من الحكومة، فنشرت في صدر صفحتها الأولى خبر استقالة الوزراء الستة ونشرت صورهم وأسماءهم (٥٥)، كما نشرت "الأهرام" مواقف الحكومة العراقية ضد القوميين مشيرة في ذلك إلى خبر إبعاد عميد كلية الحقوق الدكتور عبد الرحمن البزاز عن منصبه ومن مسؤولياته وذلك بحكم مواقفه القومية ورفضه تصاعد النفوذ الشيوعي والسياسة التي ينتهجها عبد الكريم قاسم ضد القوى القومية (٥٦).

طغت أصداء الحكم على عبد السلام عارف عناوين جريدة الأهرام حتى وصفته أنه: "أعجب حيثيات حكم في التاريخ"، مع تفنيد الأسباب التي استندت عليها المحاكمة وأصدرت حكم الإعدام، والتي وصفتها أنها مغالطات صارخة لا أساس للقانون فيها، وأخذت على عاتقها الإجابة عن كل حيثية اعتمد عليها رئيس المحكمة في إدانة عبد السلام عارف بهدف دفع التهمة عنه وإدانة النظام العراقي(٥٧).

واستخفت بقبول قاسم استقالة الوزراء الستة وتعيين ثمانية وزراء جدد [٥٨]، معززة ذلك بأن الاستقالة جاءت بسبب صدور قرار الحكم على عبد السلام عارف فضلاً عن احتجاج صارخ على تحول العراق السريع الى الاتجاه اليساري [٥٩].

اعتمدت "الأهرام" إبراز الجانب السلبي في سياسة عبد الكريم قاسم، إذ نقلت ما أورده راديو باريس بأن استقالة القوميين علامة جديدة على انحراف حكام العراق نحو اليسار[٦٠]. وقيام حكومة العراق باعتقال الوزير المستقيل ناجي طالب، فضلاً عن استقالة محمد مهدي كبة وخالد النقشبندي وهما أعضاء مجلس السيادة، في حملة يشنها ويعكس جانباً من سياسة عبد الكريم قاسم التي تتمثل بالسماح للحزب الشيوعي في السيطرة على الشارع العراقي [٦١].

أقدم وزير الإرشاد حسين جميل على تعطيل صحيفة الحزب الشيوعي العراقي "اتحاد الشعب" عن الصدور بسبب نشرها تعليقاً على استقالة الوزراء القوميين، وأصر عبد الكريم قاسم على مخالفة هذا القرار، فأقدم حسين جميل على الاستقالة من منصبه [٦٢]. تابعت "الأهرام" ذلك الحدث بأهمية كبيرة، إذ أتى بعد أسبوع من استقالة الوزراء القوميين الستة، فكتبت تحت عنوان بارز في صدر صفحتها الأولى: "ستار من الصمت على بغداد"، أوضحت فيه عن توقف صدور أي أنباء عن الموقف من عاصمة العراق، وإن الإذاعة العراقية لا تذيع غير حديث عبد الكريم قاسم خلال لقائه مع رؤساء تحرير الصحف العراقية الموالية لحكومته[٦٣].

وأوضحت "الأهرام" أن هناك تحديات خطرة تهدد القومية العربية وتحاول شل حركتها، وكان الأجدر بالعراق أن يتحمل المسؤولية في مواجهة هذه التحديات قبل أن يطلق العنان في مكافحة النشاط القومي [٦٤].

واصلت "الأهرام" هجومها مستغلة هذه الأحداث كمنفذ للهجوم على سياسة عبد الكريم قاسم التي وصفتها بـ "الاستبدادية والحكم الفردي المطلق"، متهمة إياه بانتهاك صريح للحياة الديمقراطية، وأضافت أن الوزير المستقيل حسين جميل لمس من هذه الحادثة ما يمس كرامته الشخصية وإظهاره أمام الرأي العام بمظهر العاجز عن تطبيق ما صرَّح به علناً ٦٥، مشيرة إلى أن قرار عبد الكريم قاسم سيزيد الرقابة على الصحف من اجل أحكام سيطرته عليها بعد أن سيطر على مفاصل التربية والجيش [٦٦].

نشرت "الأهرام" مقالاً تحت عنوان: "ألان نسوا", مشيرة إلى موقف الصحافة الشيوعية العراقية التي أخذت تظهر بمظهر المعتدى عليها، ونبّهت الجريدة إلى أن هذه الصحف قد نسيت ما كان ينشر على صفحاتها منذ خمسة اشهر حول الهجوم على الجمهورية العربية المتحدة، واتهامها بحياكة المؤامرات مع عبد السلام عارف ضد حكومة عبد الكريم قاسم، وأفادت أن حملة تلك الصحف الشيوعية هي التي أوصلت العراق في علاقاته مع الجمهورية العربية إلى طريقٍ مسدود (٦٧).

يلحظ مما ذكر سلفاً، التدخل غير المسوّغ والهجوم العنيف من قبل جريدة الأهرام التي تمثل رأي حكومة جمال عبد الناصر، على حكومة عبد الكريم قاسم، متجاوزة حدودها في تقييم الأوضاع السياسية في العراق لدرجة أخذ هذا التقييم وهذه الآراء تدنوا من الوصايا على المصالح العراقية بدون تخويل من أحد.

أظهرت الجريدة رغبتها في التأكيد على أهمية زوال الخلافات بين البلدين نظرياً على الأقل، وراب الصدع وإرساء دعائم التضامن العربي، فقد نشرت نص خطاب عبد الناصر لمناسبة الذكرى الأولى لقيام الجمهورية العربية المتحدة امتدح فيها ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨, وأكَّد أن الخلافات لا تخدم بأي حال من الأحوال الامة العربية، ونبَّه على الخطر الذي يقسم شعب العراق بين شعارات الوحدة وشعارات الاتحاد، وقال انه يرى لا بد من حدوث اجتماعات تبحث العلاقة بيننا، ولا يبحث فيها تقرير مصير شعب العراق أو شعب الجمهورية العربية المتحدة(٦٨).

بطبيعة الحال، يتناقض هذا الخطاب الصحفي من جريدة الأهرام مع لهجة التحريض المستمرة ضد حكومة عبد الكريم قاسم، وهذا التناقض يدل على أن الحكومة المصرية كانت تتبنى التحريض من خلال سلطة الإعلام، وتبين العكس من خلال المواقف الرسمية.

استغلت "الأهرام" وجود عبد الناصر في سوريا بتاريخ ٢٠ شباط ١٩٥٩, فقامت الجريدة بنشر خطاباته كاملة عبر صفحاتها، وكان يحيي فيها بطولات الشعب العراقي عبر تاريخه الطويل الممتد منذ آلاف السنين، وكذلك يحيي في خطاباته مقاومة الشعب للاستعمار وسياسة نوري السعيد أبان الحكم الملكي، ويشيد بالروح العالية والتضحية الكبيرة

لأبناء القوات المسلحة العراقية على ما أقدموا عليه في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨, إذ وصف عملهم "بالزحف المقدس" (٦٩).

إنَّ أحاديث وخطب الرئيس عبد الناصر منذ الذكرى الأولى لقيام الوحدة حتى محاولة العقيد عبد الوهاب الشواف الانقلابية يوم ٩ آذار ١٩٥٩. لم تكن فيها أي إشادة أو كلمة ثناء موجهة لعبد الكريم قاسم أو حكومته، بل كانت كلماته موجهة إلى الشعب العراقي والجيش العراقي، مما يدل على أن جمال عبد الناصر كان يشجع القوات المسلحة العراقية والأحزاب القومية بطريقة مبطنة على القيام بانقلاب والاطاحة بعبد الكريم قاسم وكانت "الأهرام" واحدة من اهم ادوات التحريض هذه ضد حكومته، فأعتمد جمال عبد الناصر على مقالات محمد حسنين هيكل, فكان بمثابة رأس الحربة في هذه الحملة الإعلامية. في الوقت ذاته كان الإعلام العراقي ضعيف بمقارنته بالأعلام المصري، ولم يكن هناك صوت قوي يواجه تلك الحملة الإعلامية باستثناء الصحف اليسارية التي كانت تشن حملة مضادة بطريقة هجومية لا تعكس وجهة النظر الحكومية ولكنها حسبت عليها. بالنتيجة أدت الأحداث إلى الصعود الواضح للحركات اليسارية سياسياً وإعلامياً وعلى حساب القوى القومية، مما أدى إلى تعاظم شأنهم وبروز قيادات مهمة أخذت على عاتقها زمام المبادرة في سياسة الحكومة العراقية. وشعور القوميين بأنهم مبعدين عن القرار السياسي والسلطة مما عجل العقيد عبد الوهاب الشواف بتنفيذ انقلاب غير محسوب النتائج في ٩ آذار ١٩٥٩.

الخاتمة:

مما سبق يمكن الوصول إلى مجموعة من الاستنتاجات :

١) تشير مواقف الصحف بشكل عام والقومية بشكل خاص إلى تبعيتها الأولى والأخيرة إلى الحاكمين ولا يمكنهم تبديل المواقف او قول الحقائق من دون أن يكون هناك ثمن باهض للمواقف المستقلة، وعلى هذا الأساس نجد أن مواقف جريدة الأهرام تغيرت وتبدلت حسب المصالح السياسية للحاكم وتوجهاته وبالخصوص الرئيس جمال عبد الناصر الذي عادى الملكية في العراق بشكل كبير جداً وبالأخص ضد نوري السعيد والوصي عبد الإله وتبعته جريدة الأهرام في كل مواقفه تلك، وما أن حدثت ثورة ١٤

تموز ١٩٥٨ حتى أيدها بكل ما أوتي من قوة وتبعته الجريدة أيضاً وذلك دليل على عدم استقلالية الجريدة في مواقفها .

٢) تشير مواقف الجريدة في مرحلة الخلافات بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف بأنها كانت عنصر مؤجج للفتنة ومحرك للمشاعر القومية للتيار المؤيد لعارف على حساب قاسم والمعروف أن الشارع العراقي متأثر جدا بشخصية عبد الناصر ومواقفه القومية العربية ولذلك فان ما يكتب في جريدة الأهرام وهي الجريدة الأوسع انتشارا في تلك المرحلة كان له انعكاسات واضحة في الشارع العراقي.

٣) التناقض الواضح بين المواقف الرسمية والخطاب الصحفي لجريدة الأهرام، إذ إنَّ الخطاب الصحفي من الجريدة مع لهجة التحريض المستمرة ضد حكومة عبد الكريم قاسم، في حين أن المواقف الرسمية للحكومة المصرية تبين عكس ذلك تماماً من خلال اتخاذ الخطاب الهادئ ومحاولات راب الصدع بين الطرفين المتخالفين .

الهوامش :

(١) ليث عبد الحسن الزبيدي، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، مكتبة اليقظة العربية، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٨١، ص ١٤٨.

(٢) ليث عبد الحسن الزبيدي، مصدر سابق، ص ١٩٣.

(٣) ماريون فاروق سلوغت وبيتر سلوغت، من الثورة إلى الدكتاتورية – العراق منذ ١٩٥٨، ترجمة مالك النبراسي، دار الجمل، بيروت، ٢٠٠٣، ص ص ٥٥ – ٥٧.

(٤) الأهرام"، ١٩٥٨/٧/١٥.

(٥) الأهرام"، ١٩٥٨/٧/١٥.

(٦) الأهرام"، ١٩٥٨/٧/١٥.

(٧) الأهرام"، ١٩٥٨/٧/١٥.

(٨) نيكيتا خورشوف (١٨٩٤– ١٩٧١): ولد في مقاطعة كورسك الواقعة على الحدود الفاصلة بين روسيا واوكرانيا، دخل معترك العمل السياسي في سن مبكر، ولما نشبت ثورة ١٩١٧ تطوع في الحرس الأحمر ثم انظم إلى الحزب الشيوعي في العام التالي، تدرج خروشوف في سلم الحزب إلى أن أصبح سكرتيراً للجنة الحزب في كييف عام ١٩٢٨، انتخب عضواً في مجلس السوفييت الأعلى عام ١٩٣٧، انتخب سكرتيراً أولاً للجنة المركزية في أيلول ١٩٥٣، عين رئيساً لمجلس

الوزراء إلى جانب مناصب أخرى في عام ١٩٥٨، وفي تشرين الأول ١٩٦٤ اجتمعت اللجنة المركزية ثم أصدرت بياناً نُحي خروشوف بموجبه عن جميع مناصبه يُنظر:
عبد الوهاب الكيالي وكامل الزهيري، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٤، ص٢٥٦

(٩) الأهرام"، ١٩٥٨/٧/١٧.

(١٠) الأهرام"، ١٩٥٨/٧/١٧.

(١١) الأهرام"، ١٩٥٨/٧/١٧.

(١٢) الأهرام"، ١٩٥٨/٧/١٧.

(١٣) الأهرام، ١٩٥٨/٧/١٨.

(١٤) ليث عبد الحسين الزبيدي, مصدر سابق، ص٢٣٥.

(١٥) الأهرام"، ١٩٥٨/٧/١٩.

(١٦) الأهرام"، ١٩٥٨/٧/٢٠.

(١٧) محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، مركز الأهرام للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الجزء الاول، القاهرة، ١٩٨٨، ص٣٤٣.

(١٨) الأهرام"، ١٩٥٨/٧/٢٠.

(١٩) الأهرام"، ١٩٥٨/٧/٢٠.

(٢٠) الأهرام"، ١٩٥٨/٧/٢٣.

(٢١) الأهرام"، ١٩٥٨/٨/٢.

(٢٢) الأهرام"، ١٩٥٨/٨/٣.

(٢٣) الأهرام"، ١٩٥٨/٨/٩.

(٢٤) الأهرام"، ١٩٥٨/٩/٢٢.

(٢٥) الأهرام"، ٣٠ /٩/ ١٩٥٨.

(٢٦) خيري العمري، يونس السبعاوي، سيرة سياسي عصامي، بغداد، ١٩٨٠، ص٦٦.

(٢٧) هاشم عبد الرزاق صالح الطائي، ثورة الموصل القومية ١٩٥٩، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٩، ص٢٢٤.

(٢٨) رشيد عالي الكيلاني(١٨٩٣-١٩٦٥): سياسي عراقي ولد ببغداد، عين وزيراً للعمل عام ١٩٢٤، تولى رئاسة الوزارة عام ١٩٣٣، اشترك في حكومة ياسين الهاشمي وزيراً للداخلية عام ١٩٣٥، وعاد رئيساً للوزراء في ٢٤ آذار ١٩٤٠. انظر: نجم الدين السهروردي، التاريخ لم يبدأ غداً،

حقائق وأسرار عن ثورتي رشيد عالي الكيلاني ١٩٤١ . ١٩٥٨ في العراق، شركة المعرفة للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٨٩, ص٤٩.

(٢٩) خليل إبراهيم حسين، سقوط عبد الكريم قاسم، موسوعة ١٤ تموز، دار الحرية للطباعة، الجزء الخامس، بغداد، ١٩٨٩، ص ص ١٧-٦٢.

(٣٠) جريدة الحرية، (عراقية)، العدد ١٢٦٩ في ٣ ايلول ١٩٥٨.

(٣١) محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، الجزء الاول ، ص٤٢١.

(٣٢) خليل إبراهيم حسين، ثورة الشواف في الموصل، الصراع بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، موسوعة ١٤ تموز، دار الحرية للطباعة، الطبعة الاولى، الجزء الاول، بغداد, ص٢٤٨.

(٣٣) ارسكين تشايلدرز، الحقيقة عن العالم العربي، ترجمة خيري حماد، بيروت، ١٩٦٠, ص ١٥٣.

(٣٤) هاشم عبد الرزاق صالح الطائي، مصدر سابق، ص٢٢٥.

(٣٥) وزارة الدفاع، المحاكمات، المحكمة العسكرية العليا الخاصة، مطبعة الحكومة، الجزء الخامس، بغداد، ١٩٥٩، ص٤٧٥.

(٣٦) ولد في بغداد عام ١٩١٥، تخرج من الكلية العسكرية عام ١٩٣٩، وفي حرب فلسطين عام ١٩٤٨ اسند اليه منصب امر الفوج الثاني اللواء الاول، بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ اسند اليه منصب امر اللواء الاول، اختير بعد ذلك رئيسا للمحكمة العسكرية الخاصة (محكمة الشعب) التي شاعت تسميتها باسمه " محكمة المهداوي"، حكم عليه بالإعدام في انقلاب شباط ١٩٦٣. للمزيد انظر: حسن لطيف الزبيدي، مصدر سابق، ص ٤٥٢.

(٣٧) حنان عبد الكريم خضير الالوسي، العلاقات السياسية العراقية المصرية بين عامي ١٩٥٨-١٩٦٨ دراسة تاريخية، اطروحة دكتوراه، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٥, ص ٦٢

(٣٨) الأهرام", ١٩٥٨/١٢/٢٨الى ١٩٥٩/١/٣.

(٣٩) الأهرام"، ١٩٥٨/١٢/٢٨.

(٤٠) الأهرام"، ١٩٥٨/١٢/٢٨.

(٤١) الأهرام" من ١٩٥٩/١/٢, الى ١٩٥٩/٣/٨.

(٤٢) وثيقة من ارشيف منشية البكري، في كانون الاول ١٩٥٨ من عبد الناصر الى عبد القادر حاتم عن الحملة ضد عبد الكريم قاسم، نقلا عن عبد الحميد عبد الجليل شلبي، مصدر سابق, ص ٤٤٢.

(٤٣) الأهرام"، ١٩٥٩/١/٢٧.

(٤٤) "الأهرام"، ١٩٥٩/٣/١٨.

(٤٥) "الأهرام"، ١٩٥٩/١/١٤.

(٤٦) "الأهرام"، ١٩٥٩/١/١٥.

(٤٧) "لأهرام"، ١٩٥٩/١/١٧.

(٤٨) "الأهرام"، ١٩٥٩/١/٢٣.

(٤٩) "الأهرام"، ١٩٥٩/١/٢٣.

(٥٠) "الأهرام"، ١٩٥٩/١/٢٤, علما ان الجريدة ذكرت صحيفة لوريان الفرنسية.

(٥١) "الأهرام"، ١٩٥٩/١/١٢، ١٩٥٩/١/١٥، ١٩٥٩/١/٢٣.

(٥٢) "الأهرام"، ١٩٥٩/٢/٦.

(٥٣) "الأهرام"، ١٩٥٩/٢/٦.

(٥٤) الوزراء القوميون المستقيلون هم: (١) ناجي طالب، (٢) فؤاد الركابي، (٣) عبد الجبار الجومرد، (٤) محمد صديق شنشل، (٥) بابا علي، (٦) صالح محمود، انظر: صبحي عبد الحميد، اسرار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق البداية التنظيم التنفيذ الاشراف، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٩٤، ص١٣٥.

(٥٥) "الأهرام"، ١٩٥٩/٢/٧.

(٥٦) "الأهرام"، ١٩٥٩/٢/٧.

(٥٧) "الأهرام"، ١٩٥٩/٢/٨.

(٥٨) "الأهرام"، ١٩٥٩/٢/٨.

(٥٩) "الأهرام"، ١٩٥٩/٢/٩.

(٦٠) "الأهرام"، ١٩٥٩/٢/٩.

(٦١) "الأهرام"، ١٩٥٩/٢/١٣.

(٦٢) ابراهيم الجبوري، سنوات من تاريخ العراق، المكتبة العالمية، بغداد، ١٩٨٥، ص٤٨٤ ؛ عادل تقي البلداوي، الحزب الوطني الديموقراطي في العراق (١٤ تموز ١٩٥٨ – ٨ شباط ١٩٦٣)، شركة الميناء للطباعة، بغداد، ٢٠٠٠، ص ص٥٧-٥٩.

(٦٣) "الأهرام"، ١٩٥٩/٢/١٣.

(٦٤) "الأهرام"، ١٩٥٩/٢/١٤.

(٦٥) "الأهرام"، ١٩٥٩/٢/١٣.

(٦٦) "الأهرام"، ١٩٥٩/٢/١٤.

(٦٧) محمد حسنين هيكل، مقالاً تحت عنوان "الان نسوا" جريدة "الأهرام"، ١٩٥٩/٢/٢٠.

(٦٨) "الأهرام"، ١٩٥٩/٢/٢٣.

(٦٩) "الأهرام" ١٩٥٩/٢/٢٣.

قائمة المصادر

أولا : الرسائل والاطاريح

١) هاشم عبد الرزاق صالح الطائي، ثورة الموصل القومية ١٩٥٩، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٩.

٢) حنان عبد الكريم خضير الالوسي، العلاقات السياسية العراقية المصرية بين عامي ١٩٥٨–١٩٦٨ دراسة تاريخية، اطروحة دكتوراه، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٥ .

ثانيا : الكتب العربية

١) ابراهيم الجبوري، سنوات من تاريخ العراق، المكتبة العالمية، بغداد، ١٩٨٥.

٢) خليل ابراهيم حسين، ثورة الشواف في الموصل، الصراع بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، موسوعة ١٤ تموز، دار الحرية للطباعة، الطبعة الاولى، الجزء الاول، بغداد.

٣) خليل ابراهيم حسين، سقوط عبد الكريم قاسم، موسوعة ١٤ تموز، دار الحرية للطباعة، الجزء الخامس، بغداد، ١٩٨٩.

٤) خيري العمري، يونس السبعاوي، سيرة سياسي عصامي، بغداد، ١٩٨٠.

٥) صبحي عبد الحميد، اسرار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق البداية التنظيم التنفيذ الاشراف، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٩٤.

٦) عادل تقي البلداوي، الحزب الوطني الديموقراطي في العراق (١٤ تموز ١٩٥٨ – ٨ شباط ١٩٦٣)، شركة الميناء للطباعة، بغداد، ٢٠٠٠.

٧) عبد الوهاب الكيالي وكامل الزهيري، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٤.

٨) ليث عبد الحسن الزبيدي، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، مكتبة اليقظة العربية، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٨١.

٩) محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، مركز الاهرام للطباعة والنشر، الطبعة الاولى، الجزء الاول، القاهرة، ١٩٨٨.

١٠) نجم الدين السهروردي، التاريخ لم يبدأ غداً، حقائق واسرار عن ثورتي رشيد عالي الكيلاني١٩٤١ _١٩٥٨ في العراق ، شركة المعرفة للنشر والتوزيع ، بغداد ، ١٩٨٩.
١١) وزارة الدفاع، المحاكمات، المحكمة العسكرية العليا الخاصة، مطبعة الحكومة، الجزء الخامس، بغداد، ١٩٥٩.

ثالثا : الكتب المستعربة :

١) ارسكين تشايلدرز، الحقيقة عن العالم العربي، ترجمة خيري حماد، بيروت، ١٩٦٠.
٢) ماريون فاروق سلوغت وبيتر سلوغت، من الثورة الى الدكتاتورية – العراق منذ ١٩٥٨، ترجمة مالك النبراسي، دار الجمل، بيروت، ٢٠٠٣.

رابعا : الصحف

أ) الصحف العراقية

جريدة الحرية، (عراقية)، العدد ١٢٦٩ في ٣ ايلول ١٩٥٨.

ب) الصحف العربية

١) الأهرام"، ١٩٥٨/٧/١٥.
٢) الأهرام"، ١٩٥٨/٧/١٧.
٣) ال أهرام، ١٩٥٨/٧/١٨.
٤) الأهرام"، ١٩٥٨/٧/١٩.
٥) الأهرام"، ١٩٥٨/٧/٢٠.
٦) الأهرام"، ١٩٥٨/٧/٢٣
٧) الأهرام"، ١٩٥٨/٨/٢.
٨) الأهرام"، ١٩٥٨/٨/٣.
٩) الأهرام"، ١٩٥٨/٨/٩.
١٠) الأهرام"، ١٩٥٨/٩/٢٢.
١١) الأهرام"، ٣٠ /٩/ ١٩٥٨.

١٢) الأهرام", ١٩٥٨/١٢/٢٨الى ١٩٥٩/١/٣.
١٣) الأهرام" من ١٩٥٩/١/٢, الى ١٩٥٩/٣/٨.
١٤) الأهرام"، ١٩٥٩/١/٢٧.
١٥) الأهرام"، ١٩٥٩/٣/١٨.
١٦) الأهرام"، ١٩٥٩/١/١٤.
١٧) الأهرام"، ١٩٥٩/١/١٥.
١٨) الأهرام"، ١٩٥٩/١/١٧.
١٩) الأهرام"، ١٩٥٩/١/٢٣.
٢٠) الأهرام"، ١٩٥٩/١/٢٤.
٢١) الأهرام"، ١٩٥٩/١/١٢، ١٩٥٩/١/١٥، ١٩٥٩/١/٢٣.
٢٢) الأهرام"، ١٩٥٩/٢/٦.
٢٣) الأهرام"، ١٩٥٩/٢/٧.
٢٤) الأهرام"، ١٩٥٩/٢/٨.
٢٥) الأهرام"، ١٩٥٩/٢/٩.
٢٦) الاهرام"، ١٩٥٩/٢/١٣.
٢٧) الأهرام"، ١٩٥٩/٢/١٤.
٢٨) محمد حسنين هيكل، مقالاً تحت عنوان "الان نسوا" جريدة "الأهرام"، ١٩٥٩/٢/٢٠.
٢٩) الأهرام"، ١٩٥٩/٢/٢٣.

قانون الأول من حزيران عام ١٩٧٢ لتأميم شركة نفط العراق (I.P.C)

الباحث. صفاء كاظم عباس
أ.م.د. علي خيري مطرود

قانون الأول من حزيران عام ١٩٧٢ لتأميم شركة نفط العراق (I.P.C)

الباحث. صفاء كاظم عباس

أ.م.د. علي خيري مطرود

المقدمة:-

شكل النفط ومنذ اليوم الاول لاكتشافه عاملاً رئيساً ومهماً اسهم بصورة اساسية في اعادة رسم الكثير من مصائر الدول واقدارها، في مختلف بقاع العالم، فقد خلف سعي الدول الكبرى للحصول على ذلك المورد الحيوي أنماطا مختلفة من العلاقات البينية بين الدول المنتجة له والمستهلكة, تنقلت من التبعية الى الاحتلال المباشر الامر الذي ترتب عليه اعادة بناء المسار الوجودي والتاريخي للعالم بصورة عامة والدول المنتجة بصورة خاصة.

وفي ظل تلك الحقيقة فان النفط خرج عن كونه مورداً اقتصاديا مجرداً ليتحول الى عامل متحكم في مختلف انماط العلاقات العالمية الاخرى وفي مقدمتها السياسية , ويظهر ذلك جليا في محاولات توظيف هذا المورد لتحقيق مصالح وغايات ذاتية او عامة ذات ابعاد سياسية اكثر منها اقتصادية كما هو حاصل في اغلب دول العالم اليوم .

وتعد حركة التأميم من المضامين الرئيسية التي حاولت العديد من الدول خاصة بلدان العالم الثالث التشبث بها للسيطرة على مواردها والخلاص من الاستغلال الاجنبي، إلا أن تلك الحركة وفي المجال النفطي على وجه الخصوص كانت محدودة خاصة بعد فشل حركة التأميم التي قام بها الدكتور مصدق في ايران عام ١٩٥١، لذلك اعتبر العديد من المختصين في شؤون النفط والاقتصاد ان إقدام الحكومة العراقية كانت خطوة خطيرة وغير محسوبة ولا يمكن التكهن بعواقبها وانتظر العديد سقوطها او على الأقل احتوائها بشكل أو بأخر من قبل شركات الكارتل الدولي.

- **اختلاف وجهات النظر بين الحكومة العراقية ووفد شركة الـ (I.P.C)**

بعد ان فشلت الحكومة العراقية في الوصول إلى نتائج مرضية مع الشركات المنتجة للنفط في العراق، وبعد مناقشات طويلة أتسمت بأختلاف وجهات النظر بين الطرفين كان من الطبيعي أن لا يصلا الى حل مرض لكل منهما وجاء رد رئيس وفد الشركات بالتحفظ

على مطاليب الوفد العراقي وعدم رغبته بالأستمرار بالمفاوضات [١]،الأمر الذي دفع رئيس الوفد العراقي تأكيده على عدم جدوى الأستمرار بالمفاوضات وأن باستطاعة ممثل وفد الشركات مغادرة العراق وبالفعل غادر الوفد الأجنبي بعد أن فشلت المفاوضات بين الجانبين وعدم التوصل الى نتيجة تذكر [٢] .

ومن أجل ممارسة ضغط اكبر على الشركات فقد كشف العراق اتصالاته مع الاتحاد السوفيتي لضمان موقفهم ولم يكتف العراق بذلك بل سعى لكسب فرنسا التي كان لها علاقات جيدة أيجابية معه ولديها مصالح نفطية في شركة نفط العراق (I.P.C)، وأبدت الحكومة العراقية أستعدادها لضمان المصالح الفرنسية في العراق مع مراعاة وضعها في الثروة النفطية الأمر الذي لاقى ترحيباً كبيراً من لدن فرنسا[٣] .

وعلى أثر هذه التطورات وجهت الحكومة العراقية أنذاراً الى الشركات في السابع عشر من آيار ١٩٧٢مع إعطائها مهلة أسبوعين للأستجابة للمطالب التي تقدمت بها الحكومة العراقية أثناء المفاوضات جاء فيه :-

١. الاستجابة السريعة لطلب الحكومة العراقية لرفع معدلات الانتاج إلى الطاقة القصوى للأنابيب وان تبادر الشركات فوراً لاتخاذ الأجراءات التي تعكس هذا الاتجاه.
٢. ان تقوم الشركات بالالتزام مع وزارة النفط من اجل وضع منهج أنتاجي ثابت وطويل الأمد وفق الأسس العلمية من الحقول النفطية وأظهار البوادر الإيجابية لتحقيق هذا الهدف.
٣. على الشركات تقديم عرض ايجابي للمطاليب التي قدمتها الحكومة اثناء المفاوضات الأخيرة [٤] .

وأكد البيان أنه رغم أدراك الحكومة لممارسة الشركات لسياسة التسويف والمماطلة وأنعكاس هذه السياسة على وفد المفاوضات المشارك والذي أدى إلى الأضرار بالأقتصاد الوطني إلا أنه بالنتيجة سيتم وضع حد لهذه السياسة التي أطالت أمد المفاوضات وأوصلتها الى طريق مسدود[٥] ، لذلك كانت الحكومة تمهل هذه الشركات من باب التحذير لكي تُنظر الى مطالب العراق وأن على شركات النفط أن تفهم ذلك [٦] .

وقررت الحكومة العراقية وضع حد نهائي لتلك المفاوضات وشهد أخر يوم من شهر آيار عقد الجلسة التاسعة والأخيرة في مساء ٣١/آيار ١٩٧٢ في مبنى المجلس الوطني،تقديم عرض جديد من قبل الشركات لا يختلف من حيث الجوهر عن عروضها السابقة، وحينما لم يتم التوصل لأتفاق نهائي بين الطرفين وجه رئيس الوفد العراقي مرتضى سعيد[٧] كلامه لوفد الشركات بالقول " **إذا كان الوفد غير قادر على تقديم عرض لا يحمل في طياته التعويض فلا جدوى من الأجتماع** "[٨] ، الأمر الذي دفع برئيس وفد الشركات السيد جوفري غلبرت ستوكيل (Jwfry ghlbrt stwkwyl) طلب موعد ثان قائلاً " **هل أفهم من ذلك أن بأستطاعتي أن أطلب في الساعة الحادية عشرة من صباح الغد موعداً جديداً للمفاوضات** " غير ان رئيس الوفد العراقي رفض مسألة تحديد موعد جديد فرد عليه قائلاً " **أبداً لا يمكن ذلك أننا سننتظر حتى الساعة الحادية عشرة من صباح غد الخميس لأستلام موافقتكم على مطالبنا وفي الساعة الحادية عشر والخمس دقائق سنرفض أي شيء وسنقوم بأتخاذ الخطوات الضرورية التي نراها ملائمة لمصالحنا الوطنية** " فما كان امام ستوكويل سوى الإجابة بأنهم سيحاولون " **دراسة الموضوع هذه الليلة وأذا كان لدينا عرض سنخبر وزير النفط بذلك** " وهكذا أنتهت أخر جلسة للمفاوضات بين الحكومة العراقية والشركات الأجنبية النفطية العاملة في العراق ، وعليه اقدم العراق لتأميم القطاع النفطي في البلاد. [٩]

- **<u>التأميم في إطار القانون الدولي</u>**

يعني التأميم وفق المختصين بالقانون الدولي والأقتصاد" **نقل الملكية من ممتلكات وحقوق خاصة معنية بالذات الى الدولة بعمل تشريعي للمصلحة العامة وبغرض استغلالها أو السيطرة عليها من جانب الدولة أو توجيهها لتحقيق هدف جديد تعينه الدولة**"[١٠] .

وقد أفضى هذا التعريف الى عناصر اساسية استند عليها هي:-

١. نقل الملكية أو الحقوق الخاصة الى ملكية الدولة وبعمل تشريعي.
٢. إن هدف التأميم هو تحقيق مصلحة عامة.
٣. أن تعين بالذات الحقوق والممتلكات الواجب نقلها الى حوزة الدولة.

ويعد مبدأ التأميم تغيراً جذرياً في العلاقات بين البلد المنتج والشركات الأجنبية يتمثل في تغيرها بصورة كاملة إذ لم يعد الأمر مجرد مطالبة بزيادة العوائد النفطية وتحسين شروط الأمتياز او المشاركة ، بل أصبح نمطاً مختلفاً وأعلاناً عن بداية مرحلة جديدة[١١] ، تتمثل في السيطرة الفعلية للدولة على هذه المرافق وأبعاد المستثمرين السابقين بشكل نهائي و حصول الدولة على كامل قيمة النفط المصدرة بدون ذهاب أي جزء منها الى الشركات الأحتكارية وهذا لا يتم إلا عن طريق التشريعات الوطنية ذات الطابع المستقل[١٢] .

فضلاً عن أن التأميم يمثل قطع الأرتباط مع هذه الشركات من الناحية الإدارية ، مما يمكن للبلد من تصريف شؤون النفط وفقاً لمقتضيات مصلحته العامة ومن ثم إيجاد أفضل السبل لأستغلاله بصورة كاملة كذلك يستوجب في التأميم الأستثمار المباشر وتدريب الكوادر النفطية وربط الموارد النفطية والقطاع النفطي بالاقتصاد القومي وخطط التنمية [١٣] ،كما يقتضي قيام الحكومة الوطنية بتقديم التعويض المقبول عن المصالح المتضررة [١٤] .ويعد أجراء الدولة في التأميم صميم حقوقها ذات السيادة في التصرف بثروتها[١٥] . لأن الدولة عندما تقوم بعملية التأميم فهي بذلك تمارس **(أختصاصاً يعترف به القانون الدولي العام استنادا الى ما تملكه من حق السيادة الأقليمية)** [١٦] .

ووفقاً لتلك المعطيات وبعد أن شعرت الحكومة العراقية بأن مفاوضاتها مع الشركات الأجنبية لن تأتي بأي نتائج حاسمة فأنها شرعت بأصدار القوانين والتشريعات الخاصة بتأميم القطاع النفطي ومن بينها: قانون الأول من حزيران ١٩٧٢ لتأميم شركة IPC.

<u>قانون الأول من حزيران ١٩٧٢ لتأميم شركة IPC</u>

مما لا شك فيه ان تجربة تأميم النفط العراقي تعد من التجارب المهمة في المنطقة سعت من خلالها الحكومة إلى اعادة رسم طبيعة الأستثمار النفطي في البلاد وحصر ملكيته بيد الحكومة ، وهذا ما دفع بعض الكتاب لوصفها بأنها " **الأشد وقعاً على المصالح الأجنبية**"[١٧] ،فعمدت الحكومة العراقية الى اجراء دراسة شاملة للواقع الأقليمي والعالمي لتحديد فرص نجاح التجربة من عدمها، وأخذة بنظر الأعتبار كل الأحتياجات اللازمة لأنجاح قرار التأميم، بما في ذلك دراسة التجارب السابقة لا سيما تجربة الدكتور محمد

مصدق[١٨] في ايران عام ١٩٥١،وحللت أسباب فشله في الأستمرار بما قام به والتأمر الأجنبي والداخلي الذي قام ضده ، وأستنباط النتائج المتعلقة للإفادة منها[١٩] .

ومن أجل الأعداد لعملية التأميم، استغل الجانب العراقي المدة التي كانت تجري فيها المفاوضات مع الشركات الأجنبية للأعداد لخطة التأميم البديلة إذ كان المسؤولون والخبراء النفطيون العراقيون يجتمعون بصورة دورية لبحث موضع التأميم وأقرار صورته النهائية [٢٠] .

وبناءً على تلك التطورات أقدم مجلس الوزراء العراقي في الساعة العاشرة والنصف من صباح الأول من حزيران عام ١٩٧٢،على عقد أجتماعٍ مشتركٍ مع "مجلس قيادة الثورة" في مبنى القصر الجمهوري برئاسة أحمد حسن البكر، وبدأ الأجتماع بمناقشة ما تم تحقيقه في المفاوضات السابقة مع الشركات الأجنبية وأصرارها على عدم التجاوب مع المقترحات العراقية، ومع ذلك فمن الجدير بالذكر أن رئيس الجمهورية وطوال خطابه لم يشر الى كلمة "تأميم" وعبر عنها بأسلوب أخر فيما صرح قائلاً " **وفي ضوء ذلك فأن الحكومة قد قررت أصدار كل التشريعات اللازمة التي تضمن حقوق الشعب وتحافظ على ثروته النفطية**"[٢١] ،وقد أسهم عدم الحديث بصورة مباشرة الى زيادة حدة الإرباك في الفهم لدى بعض الوزراء ومنهم وزير الزراعة السيد نافذ جلال الذي وجه سؤاله لرئيس الحكومة قائلاً " **سيادة الرئيس، حديثكم معنا قيم ومفيد ، ولكن ما الذي سيحدث، فأجابه الرئيس: (كاكا وتعني أخ باللغة الكردية) ، ألم تفهم ما أعنيه، سنؤمم النفط هذا اليوم** "[٢٢] .

وأخذت الحكومة العراقية كل الأحتمالات اللازمة وأتخذت في الأيام التي سبقت التأميم قراراً مهماً بتحويل موجودات العراق من العملة الصعبة في البنوك الأجنبية، الى بنوك أخرى لا تقع تحت هيمنة الشركات والدول التي سيمسها قرار التأميم تحسباً لمخاطر حجزها من جانب تلك الشركات والدول كما فعلت بريطانيا وفرنسا مع مصر أبان تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ [٢٣]، ومن المحتمل ان الاصول العراقية تم نقلها الى باريس، فقد زار وفد من رجال الاعمال الفرنسيين بغداد نهاية آيار عام ١٩٧٢ لإفتتاح اولى الخطوط الجوية الفرنسية والمباشرة برحلات باريس–بغداد، وكان من بين الوفد الفرنسي اثنين من رؤساء المؤسسات المالية الفرنسية العربية احدهما رئيس بنك اتحاد البنوك العربية الفرنسية (U.B.A.F) والثاني رئيس ابنك الفرنسي العربي (B.F.A)،والذي اثار وجودهم تكهنات لدى البريطانيين

والامريكان بأن الفرنسيين قد عرضوا تسهيلات إتمانية للعراق في حال تأميم الـ (I.P.C) [٢٤] ، هذه الزيارة ربما تكون قد عكست استراتيجية الحكومة العراقية من خلال لقائها للسفير الفرنسي في بغداد السيد بيير سيرليس (Pierr Cerles) وبمندوب (C.F.B) في بغداد السيد رولاند باريل (Roland Bareille)، والتي رحبت بها فرنسا التي كانت تُعاني من عجز مالي يُقدر بـ (٦,١ مليار فرنك) من خلال سعيها لتقويم الاختلال الحاصل في ميزانيتها[٢٥] ، ومن هذا المنطلق سعت باريس لأجل ان يكون لها النصيب الأوفر للحصول على اكبر نسبة ممكنة من المقاولات وتنفيذ المشاريع في العراق، فضلاً عن الحفاظ على حصتها النفطية والمقدرة بـ (٢٣,٧٥%) من أسهم شركة نفط العراق [٢٦] ،وعمدت الحكومة العراقية لإتخاذ كل ما من شأنه الدعوة إلى تحرير الأقتصاد العراقي [٢٧] .

وبعد مناقشات في الأجتماع الأنف الذكر وضعت خطة التأميم وفق مجموعة من العوامل أهمها [٢٨] :

١. كان ممكننا أن تضع الخطة القيام بعمليات التأميم للثروة النفطية في الحقول الشمالية والجنوبية في الوقت نفسه ، أي أن يتقرر التأميم الفوري لكل عمليات الشركات في الشمال وكل عملياتها في الجنوب.
٢. وجود بديل ثان من خلال اتجاه عمليات التأميم الى المناطق الشمالية أو الجنوبية ولكن وفق أهداف جزئية ومدروسة في تحرير بعض المناطق النفطية هنا وبعض المناطق هناك،وأن يكون التأميم لحصة ما من رأس المال وهذا البديل يمكن أن يكون ذو معنويات وأشكال مختلفة مثلاً:-

أ. تأميم جزئي في الشمال (لنسبة من أسهم شركة نفط العراق المحدودة) وتأميم جزئي في الجنوب (لنسبة من أسهم شركة نفط البصرة).

ب. تأميم جزئي في الشمال فقط (وكان هذا بالفعل أقصى ما ذهبت إليه بعض التقديرات).

ج. التأميم يمكن أن ينطبق كمجرد نسبة عامة تضمن الهيمنة،ويمكن أن تحدد النسبة التي ينطبق عليها التأميم وفق اختيارات سياسية،فتؤمم مثلاً حصة الشركات الأميركية فقط.

٣. كان هناك بديل ثالث هو أن تقوم خطة التأميم بالتركيز في هذه المرحلة على أحدى "القلعتين" (في الشمال أو في الجنوب) بهدف الأستيلاء عليها بالكامل، وتأجيل الصدام مع القلعة الأخرى الى مرحلة ثانية وفي هذه الحالة كان لا بد من تحديد اذا ما كان الشمال هو الأنسب أو الجنوب لعملية التأميم الشامل في المرحلة الاولى.

وفي مناقشة لهذه العوامل والبدائل المتاحة إختارت الحكومة العراقية البديل الأخير وبالتحديد اختيار الشمال لعملية التأميم ولم يشمل عمليات شركة نفط البصرة لإعتبارات عدة من بينها :-

١. في حالة التأميم الكامل للشمال والجنوب في آن واحد ستكون الشركات في وضع لم يعد لديها شيء تفقده أو تخشى على مصيره،وهو الوضع الذي يدفع صاحبه الى حرب بلا حدود، إذا ما علمنا ان الشركات صاحبة الأمتياز في العراق ممثلة لمعظم شركات الكارتل الدولي [٢٩]هذا من جانب، من جانب أخر لم تكن هناك مشكلة في اصدار قانون للتأميم ولكن تكمن المشكلة الحقيقية في قدرة الدولة على تنفيذ هذا القانون،فتسويق النفط المؤمم- تنفيذاً للقانون- يتطلب فض الأشكالات القانونية فمشروعية التأميم عند الأطراف المتعامل معها تتوقف مثلاً على تعويض رأس المال المؤمم، وطالما أن هذه المشاكل لم تسوَّ فأن التعامل مع الاسواق الخارجية يبقى عرضة للضغوط كون أن التسويق للنفط العراقي لن يكون في الدول الأشتراكية أساساً[٣٠].

٢. أما في حالة التأميم الجزئي للشمال والجنوب فمن الممكن تحقيقه كون الشركات لم تفقد كل شيء، وفي الوقت نفسه فإن بقاء الشركات في الشمال والجنوب سيضمن استمرار الأنتاج والتسويق مما يقلل مخاطر الخطوة العراقية،هذا في حال عدم شروع الحكومة القيام بالتأميم الكامل والاكتفاء بأرباك الشركات وشل أرادتها في أتخاذ قرارات مضادة وموحدة وكان رد فعل الشركات لن يختلف في هذه الحالة كثيراً عن موقف التأميم الكامل ومن ثم لن يتحقق ما يقال عن ضمان الاستمرار بالانتاج والتسويق ، اي لا تقل المخاطر الفنية والاقتصادية بحيث حتى لو كان التأميم جزئياً

فأنه سيفقد الشركات في الشمال والجنوب خصوصيتها وسيحد من قدرتها على التخطيط المستقل والتدبير [٣١] .

٣. البديل الأخير **(تأميم نفط الشمال بالكامل وتأجيل نفط الجنوب بالكامل)** فأنه البديل الأمثل فقد وضحت كل من النقاط السابقة بعض الحيثيات كون الشركات وفق هذا الأختيار لها قلعة مستقلة اي في قبضتها شيء حقيقي **(هو شركة نفط الجنوب)** ولها مصلحة حقيقية في استمراره مما سيولد تردد قبل كل قرار تتخذه ضد الحكومة ، هذا التردد سيضع الحكومة العراقية في موقف قوة لانتزاع أعتراف الشركات بقانون التأميم وفي مناقشات التسوية والتعويض ، ومن ناحية أخرى تكون الشركات حريصة على أستمرار موقفها في الجنوب منتجاً ومصدراً، فأن الخزانة العراقية ستحصل ايضاًعلى عوائدها المستحقة مما يزيد قدرتها على الأستمرار في حالة التعثر في تسويق نفط الشمال المؤمم [٣٢] .

وفي اثناء تلك المناقشات برز مقترح الأبقاء على حصة فرنسا وأستثنائها من قرار التأميم لأسباب عدة من بينها طبيعة الموقف الفرنسي تجاه القضايا العربية من جهة ومحاولة للأفادة منها في ضرب باقي الشركات الأخرى، وفعلاً طُلب من وزير النفط سعدون حمادي والوكيل الأول فاضل الجلبي[٣٣] اعداد مسودة القانون وفقاً لهذا المقترح،ولكن سرعان ما طرح الوكيل الأول لوزارة النفط تساؤلا حول الوضع القانوني لأي اتفاق مع فرنسا على اعتبار ان العراق سبق وأن وقع عقد أمتياز مع شركة نفط العراق بصفتها شركة قابضة من دون وجود علاقة تعاقدية مع الشركات المالية بصورة منفردة وهي الشركات الأميركية والبريطانية والهولندية بالأضافة الى الفرنسية ومع أن التأميم هو من أختصاص الدولة وفقاً للقانون الدولي،فأن أي أعلان لأجراء يفضل شريكاً معنياً لاسباب سياسية قد يخلق مشاكل قانونية لقرار التأميم ، ضارباً مثالاً لقضية قانونية رفعت ضد الحكومة الليبية اثناء استيلاء ايران على الجزر الثلاثة التابعة للأمارات العربية فأقدمت ليبيا على تأميم الحصة البريطانية في احد المشاريع المشتركة مع الامريكيين وذلك جزاء لموقف بريطانيا في دعم ايران لأحتلال تلك الجزر في الخليج العربي [٣٤] .

ولتجاوز تلك الأشكالية نصح الخبراء بضرورة تأميم مجموعة شركة نفط العراق بكاملها من دون استثناء وان بوسع العراق بعد ذلك ان يعقد اتفاقا جانبياً مع الشركة الفرنسية يجري بموجبه قيام هذه الشركة بسحب حصتها من شركة نفط العراق وفقا لشروط لا تتضمن تأميم حصة الشركة الفرنسية ويمكن ترتيب ذلك بواسطة عقد خاص أو مشروع مشترك بين شركة النفط الوطنية العراقية والشركة الفرنسية ، وقد أتخذ القرار بتوقيع عقد مع الشركة الفرنسية أمده عشر سنوات مع تعيين فاضل الجلبي كمفاوض رئيسي مع ممثل شركة رولاند دي مونتاغو (Roland de Montagu)،وعلى هذا الأختيار صممت الخطة[٣٥] ،وقد وافق المجلس بالأجماع على المشروع المقدم ولا شك ان البعض أدرك يومها طبيعة الحسابات والمناورة المرحلية بتأجيل موضوع شركة نفط البصرة،ولا شك أن البعض أيضاً كان يرى ان خطوة تأميم الشمال لوحده هو مخاطرة كبيرة أكثر من اللازم [٣٦] .

وفي الساعة الثانية عشر ظهراً كان ممثلوا لجنة المتابعة يصلون الى مكتب شركة نفط العراق في بغداد لاستلامه وفي الوقت نفسه وصلت لمحافظ كركوك رسالة تلغراف فيها جملتين فقط هما:

أ. ثروتنا أصبحت لنا.

ب. أحد اعضاء القيادة سيصل إليكم لاستلام المهمات المتعلقة بالموضوع.

وفي ذات الوقت كان غانم عبد الجليل يستعد للأقلاع بطائرة خاصة للإشراف المباشر على الأمور لإدارة الشركة الجديدة من مقرها في كركوك ووصل قبل إعلان بيان التأميم برفقة بعض الفنيين من وزارة النفط وشركة النفط الوطنية من بينهم محمد جابر حسن المدير العام للدائرة الفنية في وزارة النفط بالإضافة الى طارق عزيز المدير العام للحفر والإنتاج في شركة النفط الوطنية [٣٧].

وعلى الفور بادر محافظ كركوك الى التصرف حيث تولى نقل الأجانب وكان عددهم ستة وعشرين شخصاً من مقر الشركة – كأجراء وقائي – الى فندق كركوك وقد عرضت عليهم الإدارة العراقية الجديدة أن يواصلوا عملهم في الشركة ولكنهم رفضوا فأُتخذت تجاههم اجراءات الترحيل [٣٨]،وكان العراقيون يمثلون حوالي ٩٣% من مجموع موظفي شركة نفط

العراق المحدودة مما جعل إدارة عمليات الشركة الجديدة تسير بسلاسة ويسر تامين[٣٩]،والجدول أدناه يمثل لنا عدد موظفي الشركة لدى التأميم.

الموظفون على ملاك الشركة	كركوك	محطة ضخ تي 3	محطة ضخ تي 1	المجموع
الاجانب	٢٠	–	١	٢١
العراقيون	٣٢٤	٤٢	١١	٣٧٧
المجموع	٣٤٤	٤٢	١٢	٣٩٨
موظفون من شركات المقاولة				
الاجانب	٦	–	–	٦
العراقيون	٧	–	–	٧
المجموع النهائي	**٣٥٧**	**٤٢**	**١٢**	**٤١١**

جدول رقم (١) عدد موظفي شركة نفط العراق المحدودة عند تأميمها

كما أن الموظفين الأجانب كان الكثير منهم يعملون في الوظائف الثانوية بالنسبة للعمليات النفطية كأطباء (٢) وممرضات (٣) ومعلمة (١) والادارة (٢) ، الدوائر الهندسية والتشغيلية (١٠) ، الميزانية والحسابات (٣) ،والمقاولون (٥) مما يصبح المجموع (٢٦) موظفاً اجنبياً [٤٠] .

وعلى أي حال وصلت الطائرة الخاصة التي تقل غانم عبد الجليل ومستشاريه من كبار الفنيين بوزارة النفط الى مطار كركوك في حوالي الساعة الخامسة عصراً وعلى الفور انتقلوا الى مقر إدارة شركة نفط العراق يصطحبهم محافظ كركوك الذي قدم تقريراً مختصراً عن الأجراءات المتخذة وهو في طريقه الى الشركة،وفي مقر الشركة،عقد الأجتماع في غرفة قريبة من مكتب مدير الشركة وحضر الاجتماع كبار الموظفين العراقيين،فأبلغ غانم عبد الجليل كل المجتمعين بقرار تأميم عمليات شركة نفط العراق، وأنهم أصبحوا منذ هذه اللحظة موظفين يعملون في خدمة الدولة، ثم شرح المهمات التي تواجه كل مسؤول عراقي في

الشركة وطلب من الجميع الأستمرار بأعمالهم وتحمل مسؤولياتهم [٤١]. وبعد الأجتماع أصدر الرئيس المنتدب غانم عبد الجليل قرارين فيما يتعلق بالعمليات النفطية:

القرار الأول: يحتفظ كل موظف بنفس الصلاحيات السابقة الى حين صدور صلاحيات أو تعليمات جديدة.

القرار الثاني: الأستمرار في الأنتاج بنفس المعدل الذي كان سائداً قبل قرار التأميم مباشرة والذي يقدر بحوالي (٣٥,٣ مليون طن سنوياً) [٤٢] .

وفي الوقت نفسه تم استدعاء السفير السوري في بغداد الى مبنى المجلس الوطني وإبلاغه رسالة عاجلة الى الحكومة السورية من مضمونها ان العراق قرر التأميم وذلك لكي تستعد سوريا لاتخاذ موقف يتماشى مع الخطوة العراقية ، فكان أن عبر السفير عن "شُكره وتهانيه" [٤٣].

وفي الساعة العاشرة مساءً كانت كل الإجراءات المطلوبة قد نفذت وفي مقر الإذاعة والتلفزيون كان الرئيس أحمد حسن البكر يعلن قرار التأميم الذي صدر برقم (٦٩) في الأول من حزيران ١٩٧٢ [٤٤]،فيما أعلنت الحكومة إنشاء شركة حكومية بأسم **(الشركة العراقية للعمليات النفطية)** والتي كان عملها الأشراف على إدارة شركة نفط العراق المؤممة واستلام الموجودات والوثائق من الأخيرة،كما كلفت لجنة للإشراف على عملية الاستلام وأعلن القانون استعداد الحكومة تعويض الشركة المؤممة بعد حسم نسبة الضرائب والأجور المحلية بالإضافة الى الأضرار التي لحقت بالعراق [٤٥].

وقد جاء في نص البيان ما يأتي ،استناداً الى احكام الفقرة (أ) من المادة (٤٢) من الدستور المؤقت قرر "مجلس قيادة الثورة" أصدار القانون بتأميم شركة نفط العراق المحدودة والذي تكون من ست عشرة مادة جاء في المادة الأولى منه " **تؤمم عمليات شركة نفط العراق المحدودة في المناطق المحدد لها بموجب القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٦١ وتؤول الى الدولة ملكية جميع الاموال والحقوق الموجودة المتعلقة بالعمليات المذكورة ، ويشمل ذلك على وجه الخصوص منشأت ومرافق التحري والحفر وأنتاج النفط الخام والغاز والمعالجة والتجميع والضخ والنقل والتصفية والتخزين وخطوط الأنابيب الرئيسية والحقلية وغيرها من الموجودات التي من ضمنها مكتب الشركة المذكورة في بغداد بكافة منشأته**

ومعداته" [٤٦].وتقرر ضمن المادة السادسة عشر أن ينشر القانون في الجريدة الرسمية ويعتبر نافذ المفعول اعتبارا من تاريخه في ١٩٧٢/٦/١ [٤٧] ، ومع نفاذه أصبحت الدولة تسيطر على ما نسبته ٦٥% [٤٨] من حصص الشركات المستثمرة والموزعة على النحو الأتي:

ت	أسم الشركة	النسبة المئوية	عائدية الشركة	موقع الامتياز
١	الشركة البريطانية B.B	%٢٣.٧٥	بريطانيا	شركة نفط العراق I.P.C
٢	مجموعة شل (رويال دوتش)	%٢٣,٧٥	هولندا	شركة نفط العراق I.P.C
٣	شركة انماء الشرق الأوسط (ستاندر أوف نيوجرسي) وشركة (أكسون)	%٢٣.٧٥ الحصة مقسمة على الشركتين الأمريكيتين	الولايات المتحدة	شركة نفط العراق I.P.C
٤	شركة أيراب الفرنسية	%٢٣.٧٥	فرنسا	شركة نفط العراق I.P.C
٥	كولبنكيان	٥ %	البرتغال	شركة نفط العراق I.P.C
	المجموع	**١٠٠ %**		

جدول رقم (٢) يبين نسب الشركات في شركة نفط العراق المؤممة ١٩٧٢

أقدمت الحكومة السورية من جانبها أعلان تأميمها للخطوط الناقلة للنفط والعائدة الى شركة نفط العراق (I.P.C) فقد كان قرار العراق من الناحية القانونية يشمل العمليات النفطية بالأضافة الى الخطوط الناقلة للنفط من الحدود العراقية–السورية،وكان جل أهتمام العراق هو قيام الحكومة السورية أن تبادر بتأميم الخط الواقع ضمن حدودها من أجل إبعاد شركة نفط العراق المؤممة عن التأثير وممارسة الضغط [٤٩]،وبالفعل لم تمض سوى ساعات على اعلان قرار التأميم رسمياً في العراق حتى أعلنت الحكومة السورية في اليوم التالي تأميم خط النفط الذي يمر عبر أراضيها ومرافق تحميل النفط في ميناء بانياس على البحر

المتوسط وسنوضح ذلك في مفاوضات الحكومة العراقية مع الحكومة السورية (كما سيمر فيما بعد) [٥٠].

ومن أجل أن تحتفظ الحكومة العراقية بحالة من التوازن الدولي في علاقاتها بما يساعد في اتمام عملية التأميم فأنها أفردت لفرنسا في قرار التأميم وصفاً خاصاً، إذ جاء فيه **(تقديراً لمواقف فرنسا الإيجابية من القضايا العربية المصيرية،ورغبة من الحكومة العراقية في إدامة وتطوير العلاقات الأقتصادية والسياسية معها، وحرصاً منها على حماية المصالح الفرنسية في نفط العمليات المؤممة وبموجب قانون تأميم عمليات شركة نفط العراق المحدودة رقم ٦٩ لسنة ١٩٧٢ ،تعلن الحكومة العراقية عن أستعدادها للدخول في مباحثات مع الجانب الفرنسي إذا ما أبدى رغبتهُ بذلك،خلال فترة مناسبة بهدف الوصول الى صيغة ملائمة تضمن بقاء تلك المصالح وأستمرارها)** [٥١].

وأراد العراق إحداث فجوة في مواقف الدول التي تنتمي إليها الشركات تجاه خطوة التأميم، بل وجعل فرنسا دولة ضاغطة على الأطراف الأخرى للتوصل الى تسوية وطنية وكانت فرنسا هي الدولة المرشحة لهذه المعاملة المتميزة، فالحكومة العراقية أبدت رغبتها في الدخول في مباحثات مع الجانب الفرنسي وفق البيان الذي أصدر في الأول من حزيران [٥٢].

لقد أستثنى قرار الحكومة العراقية فرنسا من النتائج الإقتصادية لعملية التأميم وليس شركة النفط الفرنسية، فلقد وقع التأميم بنسبة ١٠٠% على حصص شركة نفط العراق ولم تستثنِ شركة النفط الفرنسية حين نص القرار بأستعداد الحكومة العراقية للدخول في مباحثات بهدف الوصول الى صيغة ملائمة تضمن بقاء المصالح الفرنسية،أي أن تمنح الحكومة العراقية لفرنسا فرصة للتعاقد على أسترداد نفس حصتها السابقة من النفط العراقي وبنفس الأسعار الأمتيازية ولمدة عشر سنوات [٥٣] ،ولكن هذه المزايا لا تحصل عليها فرنسا بحكم قانون الامتياز كونه ألغي بقانون التأميم بل يمكن أن تحصل فرنسا عليها بمقتضى عقد تجاري متساهل تقدمه الحكومة العراقية تعبيراً في تدعيم العلاقات العراقية – الفرنسية [٥٤].

هذا وقد وجهت الحكومة العراقية واستناداً ألى أحكام الفقرة (أ) من المادة الثانية والأربعين بجلستها المنعقدة في ١٩٧٢/٦/٤ ، بإصدار القرار رقم (٣٧٩) والذي نص على تشكيل لجنة دائمة تسمى **(باللجنة الإقتصادية)** تتكون من وزير المالية ووزير التخطيط ووزير

الإقتصاد بالإضافة الى محافظ البنك المركزي والدكتور فخري قدوري عضو مكتب الشؤون الأقتصادية وتتكفل هذه اللجنة بوضع الدراسات والمقترحات والتوصيات الخاصة بالوضع الإقتصادي بشكل عام بعد عملية التأميم بالأضافة لوضع التوصيات اللازمة تجاه المباحثات المقترحة من قبل الحكومة العراقية مع الحكومة الفرنسية [٥٥] ،من جانبها عدت فرنسا التأميم منسجماً مع المبادئ الدولية ومبدأ سيادة الدولة وعليه درس مجلس الوزراء الفرنسي المقترح العراقي بأهتمام بالغ وقابل السفير العراقي في فرنسا، نعمة النعمة ،في السادس من حزيران رئيس مكتب الشؤون المالية والأقتصادية كابوا (kabuu)،وأفاد الأخير بأن الحكومة الفرنسية قد أطلعت على القانون رقم ٦٩ لسنة ١٩٧٢ وهي تأسف كون أن المفاوضات مع نفط العراق لم تؤد إلى أتفاق،وبأنها على علم بقرار الحكومة العراقية بشأن ضمان المصالح الفرنسية وستقوم شركة النفط الفرنسية (C.F.P) بالاتصالات الجدية بناءً على ذلك[٥٦] .

وكان ذلك يعني من الناحية العملية أن فرنسا فضلت عدم التجاوب بصورة مباشرة مع المقترح العراقي وارتأت دراسته بصورة معمقة خوفاً على علاقاتها مع بقية الدول ويؤكد هذا الأمر ما نشرته صحيفة لوموند (Lemonde) الفرنسية في مقالها بتاريخ ٩/حزيران والذي جاء في فيه (**أن الحكومة الفرنسية تريثت قبل قبول عرض الحكومة العراقية،ولم تعط جواباً شافياً لها،فالخروج على ارادة الدول الأوربية بهذه الوحدة الإقتصادية خاصة بعد دخول بريطانيا السوق المشتركة مؤخراً وهي اكثر الدول تضرراً،إلا أنه من ناحية أخرى فأن فرنسا تستقبل العرض العراقي وبتأييد الدول الغربية حتى لا يبقى الأتحاد السوفيتي وحده في ميدان الاستثمار في العالم العربي،كما أن فرنسا ومنذ عام ١٩٧٠ كانت المصدر الثالث للعراق والمستورد الثاني للبترول العراقي**) [٥٧].

ونشرت صحيفة نوفيل أوبزرفاتير (Nufil awbizr fayitir) الفرنسية بتاريخ ٦/١٢ حول خلفية التردد الفرنسي من قبول المقترح العراقي مقالاً جاء فيه (**إن الشركة الفرنسية يستحيل عليها ان تخون شركائها في شركة نفط العراق، فهؤلاء الشركاء سبق وأن تضامنوا معها حين أراد العراق في فترة سابقة تأميم حصة فرنسا (أثناء حرب الجزائر) ، كما أن الكارتل الدولي ساند الشركة الفرنسية في الحصار الذي فرض على نفط الصحراء الجزائرية من أجل الحصول على تعويض نافذ، ومن ناحية أخرى فأن شركة النفط الفرنسية**

تشترك مع المساهمين في شركة نفط العراق في العديد من اقطار الشرق الأوسط) [٥٨]،واضاف المقال **(لكن الشركة الفرنسية تحاول الوصول الى تسوية للأمور دون الإساءة لشركائها إذ لا بد من الأفادة من الرصيد الذي قدمه العراق على شكل معاملة تفضيلية بسبب السياسة الفرنسية في الشرق الأوسط)** [٥٩]،وعلى الرغم من التردد الفرنسي،فأن وفداً عراقياً رفيعاً توجه بعد أسبوعين من قرار تأميم النفط الى باريس بدعوة من رئيس الوزراء جـاك شابان دالماس (Jak shaban Dalmas) [٦٠]وضم الوفد بالأضافة الى نائب رئيس الجمهورية كل من وزير الخارجية مرتضى سعيد عبد الباقي ووزير النفط سعدون حمادي ووزير التخطيط جواد هاشم بالإضافة إلى فخري قدوري عضو مكتب الشؤون الاقتصادية وعدنان الحمداني سكرتير لجنة المتابعة لشؤون النفط وتنفيذ الأتفاقيات [٦١]، وفي اليوم التالي اي الخامس عشر من حزيران توجه نائب رئيس الجمهورية لمقابلة الرئيس الفرنسي جورج بو مبيدو (Jurj Bwmbydw) [٦٢] وأتفق الجانبان على عقد مباحثات ثنائية،تمت بأجواء هادئة وطبيعية وتميزت بالشفافية، وفي الثامن عشر من حزيران أي قبل يوم من أختتام زيارة الوفد العراقي صدر بيانٌ مشتركٌ تناول أبرز نتائج الزيارة فضلاً عن توقيع اتفاقية نصت المادة الأولى على موافقة الحكومة العراقية على تزويد فرنسا بكميات من النفط الخام من حقول كركوك تعادل حصتها السابقة التي كانت تحصل عليها قبل التأميم، كما نصت المادة الثانية على تعهد فرنسا بتقديم المساعدة الى العراق في الناحية التقنية والتنموية لتطوير وتوسيع وأنجاز مشاريع جديدة في مناطق نفطية صناعية بشروط ملائمة تحدد بالأتفاق بين الجانبين [٦٣].

أنتهت زيارة الوفد العراقي في التاسع عشر من حزيران ١٩٧٢ وأصبحت فرنسا بعد هذه الزيارة، أهم حليف للعراق في المعسكر الغربي وساهمت في توطيد العلاقة بين الجانبين على مختلف الأصعدة،لاسيما وان العراق كان يحاول خلق نوع من التوازن في علاقاته مع المعسكرين الشرقي والغربي مع التأكيد على حاجته الى دعم غربي تتزعمه فرنسا [٦٤].

الخاتمة

لقد ارادت السلطة التي حكمت العراق عام ١٩٦٨ وفي ظل عدم استقرار داخلي ورفض محلي واقليمي لها وللأيديولوجية التي تحملها، القيام بعمل من شانه ان يحقق لها أهدافاً عدة

من بينها دفع الداخل العراقي للأصطفاف في جهة موحدة ولو ظاهرياً سواء على المستوى السياسي او العسكري، فعلى المستوى الأول نحقق لها ذلك ولو جزئياً عبر عقدها ما اسمته ميثاق العمل الوطني والجبهة الوطنية ، على الرغم من تحفظ بعض القوى السياسية عليه وفي مقدمتها الحزب الشيوعي (القيادة المركزية) والحزب الديمقراطي الكردستاني الذي دخله مرغما عبر ضغوط سوفيتية خارجية وأخرى داخلية ذاتية، وعسكريا عبر محاولة القضاء على الاضطرابات التي شهدتها القوات المسلحة العراقية نتيجة كثرة التغيرات السياسية والعسكرية منذ عام ١٩٦٣، فزرع فكرة امكانية قيام الدول الراعية للشركات النفطية بالتدخل عسكرياً في العراق دفع القيادات العليا في الجيش لتجاوز تلك الاضطرابات والوقوف خلف السلطة.

ومع ان عملية تأميم النفط بحد ذاتها تُعد أنجازاً عملياً مهماً ، لأنها أنهت تحكم الشركات العالمية بمورد مهم من موارد الثروة في العراق، إلا أنها مكنت في الوقت نفسه الحكومة العراقية من الحصول على موارد وقدرة أكبر للتحكم في هذا القطاع ومن ثم توظيفه لترسيخ حكمها في البلد كما حدث حين تم تخصيص حصص بأكملها تودع في البنوك العالمية بحساب خاص بالحزب الحاكم.

إضافة لذلك فأن حصول السلطة في العراق على مردودات مالية كبيرة مكنها من إعادة رسم علاقاتها الأقليمية او العالمية وفق اسس جديدة تتماشى وايدولوجيتها الفكرية وعقيدتها الراديكالية.

الهوامش:

(١) للأطلاع على المفاوضات بين الحكومة العراقية والشركان النفطية الاجنبية يُنظر: ملف المعركة مع الاحتكارات النفطية (المفاوضات والتأميم، النص الكامل لمحاظر المفاوضات مع شركات النفط)، منشورات دار الثورة، بغداد،١٩٧٢

(٢) عادل حسين، النفط من خلال الثورة ، دراسة التجربة العراقية ، المؤسسة العامة للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧، ص١٢٤.

(٣) ملفات وزارة الخارجية العراقية، ملفات عام ١٩٧٢، كتاب سفارة الجمهورية العراقية في باريس الى وزارة الخارجية العراقية برقم د/٦/٢٣١ في ٢٢ حزيران ١٩٧٢ الوثيقة رقم (١٠٢).

(٤) لمعرفة نص البيان يُنظر: صحيفة الجمهورية (التحذير النهائي لشركات النفط) ، العدد ١٣٨٨ في ١٨ ايار ١٩٧٢؛ مجلة النفط والتنمية، العدد التاسع، حزيران، ١٩٧٧، ص١٧.

(٥) صحيفة الثورة، العدد ١١٤١ في ١٨ ايار ١٩٧٢.

(٦) صحيفة الجمهورية، العدد ١٣٩٣ في ٢٣ ايار ١٩٧٢.

(٧) مرتضى سعيد عبد الباقي : من مواليد حديثة، من عائلة بسيطة أكمل تعليمه الأبتدائي والثانوي فيها ثم أنتقل الى بغداد وهناك أنضم الى حزب البعث وأصبح أحد كوادره المهمة لاسيما بعد انقلاب ١٩٦٨ أذ اصبح وزيراً للأقتصاد ومن ثم وزيراً للخارجية، ترأس مفاوضات النفط عام ١٩٧٢ مع الشركات الأجنبية والتي أنتهت بتأميم النفط العراقي، مارس مسؤولياته الوزارية والحزبية كقائد مما أثار حفيظة نائب رئيس الجمهورية الذي بادر الى ارساله سفيراً في أكثر من عاصمة، وفي أخر المطاف أستدعاه الى مؤتمر السفراء في بغداد وتحول هذا المؤتمر بما يعرف مصيدة الفئران أذ أقتيد مرتضى الحديثي الى السجن محكوماً بخمسة عشر سنة في أب ١٩٧٩ ثم توفي في السجن وسلمت جثته الى زوجته في ١٩٨١، يُنظر: حسن العلوي، العراق دولة المنظمة السرية، روح الأمين للنشر ، د.م، ١٩٩٠،ص١٩٠-١٩١.

(٨) نقلاً عن: ملف المعركة مع الأحتكارات النفطية، المصدر السابق، ص ١٣٩.

(٩) أشار رئيس الوفد العراقي (مرتضى سعيد) على وفد الشركات أن يقدم عرضاً يتضمن التعويضات عن أحتياطي النفط في الأراضي العراقية الذي هو ملك للدولة والشعب ، على أن يقدم هذا العرض إذا وافقت عليه قبل الساعة الحادية عشر من يوم ٣١/ايار ١٩٧٢ وليس بعدها، يُنظر: عبد الواحد فهمي المحامي، مائة حقيقة وحقيقة، مطبعة الشمال، كركوك، ١٩٧٣ ، ص٢٤-٢٥.

(١٠) حسن عطية الله ، سيادة الدول النامية على مواردها الطبيعية، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ١٦٧.

(١١) حافظ النكمجي،الاستقلال الاقتصادي والتأميم،مجلة النفط والعالم،العدد السابع،السنة الأولى،آب١٩٧٣، ص٣.

(١٢) المصدر نفسه، ص٤.

(١٣) محمد جابر حسن، تأميم النفط العراق " مضامينه وافاقه المستقبلية" ، مجلة النفط والعالم، العدد ٤٥ ، حزيران ١٩٧٧،ص١٩.

(١٤) فيما يتعلق بمسألة التعويضات يُنظر:- محمد طلعت الغنيمي، الأحكام العامة في قانون الأمم، القاهرة، د.ت ، ص٢٨٨؛محمد مغربي ، التأميم والتعويض، مجلة نفط العرب، العدد ٦، آذار ١٩٧٢، ص٥-٧؛ أندريا جانسودنيا ، مشكلة الشرعية الدولية للتعويض ، بحث مقدم الى ندوة قوانين البترول وسيادة الدول المنتجة المنعقدة في الجزائر ٢٠-٢٢ تشرين الأول ١٩٧١.

(١٥) علي صادق ابو هيف، القانون الدولي، دار المعارف، الأسكندرية، د:ت ، ص١٢٠؛ سيروب استيبانيان، سيادة الدولة على مواردها الطبيعية، مجلة النفط والتنمية، العدد الرابع، كانون الثاني ١٩٧٦،ص١٨.

(١٦) نقلاً عن:عبد العزيز محسن سرحان، القانون الدولي العام، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٩، ص٢٦٠.

(17) Anthony Sampson, Seven sister, The great Companics and the world, London ,1975, p.167.

(١٨) محمد مصدق: هو محمد بن دايت الله بن ميزره حسين كاظم، ولد في قرية احمد اباد من توابع طهران في ١٦ حزيران ١٨٧٨، ينمتي الى عائلة مرموقة من اصول بختيارية، حصل على الماجستير في القانون الدولي من معهد الدراسات السياسية في باريس ثم الدكتوراه في القانون من جامعة نيوشاتيل في سويسرا، بدأ حياته السياسية مع الثورة الدستورية ١٩٠٥-١٩٠٧، وأُنتخب عام ١٩٠٦ نائباً عن اصفهان في البرلمان الجديد الذي سُمي (مجلس ايران) وهو في سن الرابعة والعشرية، تسلم قيادة الجبهة الوطنية (جبهة ملي إيران) عام ١٩٥٥، وفي ايار ١٩٥١ تسلم رئاسة الوزراء وقام بتأميم النفط في ايران إلا انه استقال من منصبه بعد انقلاب عسكري بزعامة فضل الله زاهدي في ١٩ آب ١٩٥٣ وبمساعدة الـ (CIA) والمخابرات البريطانية (M16) في عملية مشتركة سميت بعملية اجاكس، وسجن لمدة ٣ سنوات ثم أُطلقَ سراحه الا انه بقي رهن الاقامة الجبرية حتى وفاته في ٥ اذار ١٩٦٧، يُنظر: ثامر مكي علي، محمد مصدق حياته ودوره السياسي في إيران، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٨.

(١٩) محسن عليوي سلمان ، تأميم النفط العراقي، المبررات والنتائج، مجلة النفط والتنمية، العدد السادس، ١٩٧٣، ص١٦.

(٢٠) كمال هاني، تأميم العراق مرحلة جديدة في الصراع ضد الأحتكارات العالمية، مجلة النفط والتنمية، العدد السابع، تموز ١٩٧٣، ص٨٤.

(٢١) نقلاً عن :جواد هاشم ، مذكرات وزير عراقي مع البكر وصدام (ذكريات في السياسة العراقية ١٩٦٧-٢٠٠٠)، دار الساقي للطباعة والنشر ، بيروت، ٢٠٠٣، ص١٤٦.

(٢٢) المصدر نفسه، ص١٤٧.

(23) Ghanim Anaz, Iraq oil and Gas industry in the Twentieth century, London, 2012,p.233.

(24) David A.styan , Franco – Iraqi relations and fifth Republic foreign policy ," 1958-1990", phd international velation, London school of economic,1999,p.141.

(25) Dersa .L. Agerie en debat, Luttes et developunet ,paris,1981,p.101.

(26) Lamême source,p.102

(٢٧) المقال الأفتتاحي (الأول من حزيران يوم أنتصار الشعب على الشركات الأحتكارية)، جريدة الثورة، العدد ١١٥٦ في ١٩٧٢/٦/١.

(٢٨) عادل حسين، المصدر السابق، ص١٥٤.

(٢٩) بوريس راتشكوف، النفط والسياسة الدولية، تعريب خضر زكريا، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٤، ص١٠٣.

(٣٠) الثورة ومعارك التأميم والنصر، مجلة النفط والتنمية ، السنة الثامنة ، العدد الرابع، ١٩٨٣، ص٧.

(٣١) عدنان حسين ، الأستراتيجية والتخطيط في معركتنا ضد الأحتكارات، مجلة النفط والعالم، العدد٢٦، حزيران ١٩٧٥، ص١٠.

(32) Edith and E.f penrose , Iraq international relations a national Development, London, 1988,p.224.

(٣٣) فاضل الجلبي: خبير نفطي عراقي ولد في بغداد عام ١٩٢٩ في الكاظمية وبعدها انتقل الى عقد التكارتة في جانب الكرخ، ينتمي الى قبيلة طي في شمال العراق في ديار بكر، حصل على شهادة الدكتوراه بأمتياز من جامعة باريس عام ١٩٦٢ عن صناعة النفط العالمية، شغل مناصب متعددة في مواضيع النفط والمالية والأقتصاد ، عضو مجلس ادارة شركة النفط الوطنية العراقية وعضو مجلس إدارة البنك المركزي العراقي، شغل منصب المدير التنفيذي لمركز دراسات الطاقة العالمي المؤسس من قبل الشيخ أحمد زكي اليماني لمدة ٢٢ عام قبل تقاعده عام ٢٠١١، للمزيد يُنظر: فاضل الجلبي، النفط بين السياسات والأوهام (القصة الحقيقية للأوبك)، ت . عطا عبد الوهاب،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،٢٠١٣،ص١٠٨-١٠٩.

(٣٤) المصدر نفسه، ص١٠٩.

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ١١٠-١١١.

(36) Chanim Anaz, op.cit, p.236.

(٣٧) (وهو غير طارق عزيز الذي كان وزيراً للخارجية) نقلاً عن:جواد هاشم،المصدر السابق،ص١٤٧.

(38) Adil husein, Iraq the Eternal fire,1972 Iraq oil Nationalization in perspective , London , 1981,p.161.

(39) Chanim Anaz, op.cit, p.237.

(40) Ibid , op.cit,238.

(٤١) صلاح الدين الشيخلي، تأميم النفط وعلاقته بالتنمية القومية، وزارة النفط ، بغداد ، ١٩٧٥، ص ٥٤ .

(٤٢) عادل حسين، المصدر السابق، ١٦٣.

(٤٣) فاضل الجلبي، المصدر السابق، ص١١٠.

(٤٤) النفط في العراق من الأمتيازات الى الأستثمار الوطني المباشر ١٩١٢-١٩٧٢، منشورات مكتب الأعلام، شركة النفط الوطنية العراقية، دار النجوم، بغداد ، ١٩٧٣، ص٢٥.

(٤٥) المفاوضات والتأميم، ملف المعركة الإحتكارية النفطية، المصدر السابق، ص١٧٥.

(٤٦) الجمهورية العراقية (النفط والمعادن في العراق) كتاب سنوي تصدره وزارة النفط والمعادن وشركة النفط الوطنية العراقية ، ١٩٧٣، ص٨؛ جريدة الوقائع العراقية ، العدد ٢١٤٦ في ١٩٧٢/٦/١ ، ص ٥-٨ ..

(٤٧) المصدر نفسه، ص١٠.

(٤٨) جريدة الثورة، العدد ١١٥٦ في ٢ حزيران ١٩٧٢، همام عبد الغني، أفاق تجربة التأميم الرائدة في العراق، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٠، ص١٠.

(٤٩) فخري قدوري، هكذا عرفت البكر وصدام رحلة ٣٥ عام في حزب البعث، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٦، ص١٢٩.

(٥٠) صحيفة الثورة ، العدد ١١٥٦ في ٢ حزيران ١٩٧٢.

(٥١) جواد هاشم ، المصدر السابق، ص١٦٦.

(52) David A.styan, op.cit.p.141-142

(53) The New Yourk times, june,11,1972.

(54) David A.styan, ,op.cit, p.143

(55) Dersa .L. Agerie en debat, précédent source,p.110.

(٥٦) كانت فرنسا تأخذ من نفط العراق (١٢ مليون طن) مقابل نصيبها في رأسمال الشركة، وهي ٢٣,٧٥% للمزيد حول تفاصيل هذا الموضوع يُنظر: جريدة الأهرام، القاهرة ، ٢٣ حزيران ١٩٧٢؛ David A styan, op.cit, p.145.

(٥٧) وكالة الانباء العراقية، وسنرمز له فيما بعد و.أ.ع ، شؤون النفط في ١٩٧٢/٦/١١، نقلاً عن صحيفة لوموند الفرنسية في ١٩٧٢/٦/٩؛ ولكن ذلك الامر لم يكن يعني ان الشركات الغربية المالكة لشركة الـ (I.P.C) لم تعط لفرنسا الضوء الاخضر للدخول في مفاوضات مع الحكومة العراقية من اجل تأمين التعويضات وتحجيم الخسائر. يُنظر : The Washington post,june,14,1972

(٥٨) و.أ.ع ، شؤون النفط ، في ١٩٧٢/٦/١٣، نقلا عن صحيفة ادبزفاتير في ١٩٧٢/٦/١٢.

(٥٩) المصدر نفسه.

(٦٠) جاك شابان دالماس: ولد في ٧ اذار ١٩١٥ في باريس ودرس القانون والسياسة ، عمل في الخدمة العسكرية بعد تخرجه ثم عمل صحفياً لفترة قصيرة، وفي عام ١٩٤١ عمل في وزارة الانتاج الصناعي للنظام الفيشي، شغل منصب رئيس بلدية بورد في عام ١٩٤٧ وانضم عام ١٩٥٤ الى حكومة بيار منديس فرانس كوزير للاشغال العمومية ، شغل منصب رئيس الوزراء لفترة ١٩٦٩/٦/٢٠ لغاية ١٩٧٢/٧/٦ ، توفي في ٢٠ تشرين الثاني ٢٠٠٠، يُنظر https//: ar.m.wikipedia.org. .

(٦١) لمعرفة تفاصيل الزيارة يُنظر: ملفات وزارة الخارجية العراقية/ ملفات عام ١٩٧٢، كتاب سفارة الجمهورية العراقية في أنقرة الى وزارة الخارجية العراقية، رقم٢٩٩/١/٥ في ١٩٧٢/٦/٢٧. .

(٦٢) جورج بومبيدو: ولد في مونتوديف (كانتال) في وسط فرنسا في ٥/تموز ١٩١١ ، عمل مدرساً ثم موظف في مصرف جي دي روتشيلد اخوان عام ١٩٥٣، ووصل الى منصب مدير المصرف في عام ١٩٥٦ وبقي في هذا المنصب حتى ١٩٦٢، ثم شغل منصب رئيس الوزراء في نيسان من نفس العام أبان حكم شارل ديغول، ثم اعلن ترشحه للرئاسة وفاز بها في ١٩/حزيران ١٩٦٩ وأستمر حتى وفاته في ٢ نيسان ١٩٧٤ . يُنظر: www.marefa.org .

(63) David Astyan, op.cit, p.147.

(٦٤) عدنان حسين ، الحوار العربي الأوربي والأسس السليمة لبناء العلاقات الأقتصادية والدولية، مجلة النفط والعالم ، العدد ٣٤، حزيران ١٩٧٦.

ميناء الجار في العصر النبوي (١-١١هـ/٦٢٢-٦٣٢م)

الطالب :علي فلاح جوحي

أ.م.د. وفاء عدنان حميد

ميناء الجار في العصر النبوي (١-١١هـ/٦٢٢-٦٣٢م)

الطالب :علي فلاح جوحي
أ.م.د. وفاء عدنان حميد

المستخلص

كان لميناء الجار في عصر رسولنا الكريم محمد (ﷺ) له الدور الأهم في الحياة العامة واضافة لذلك ان ديننا الإسلامي أضاف له أهمية اكبر للميناء ولم يكن له عائق بل بالعكس ساهم الإسلام في ازدهاره واستمرار عملهُ وحث على مداولة التجارة وتوصلنا الى ان ميناء الجار كان يستخدم ابعد من التجارة فقط بل في نقل الاموال وخاصة الجزية، ان ميناء الجار اصبح مصدراً اقتصادياً مهماً ولهُ دور كبير بالحياة السياسية والاقتصادية وقد زادت أهميته بعد بزوخ الادين الإسلامي لا نه دين مساوات وعدل ولم يعرف بين الديانات الأخرى ومنها تجارة اليهود مع المسلمين مما ساعد على ازدهار هذا الميناء في العهود التاريخية التالية لأنه اكد على حرية التجارة والتبادل التجاري .

الكلمات المفتاحية: ميناء الجار، الجزية، التجارة، عصر الرسول

Abstract

The port of the ALJaar in the era of our Prophet Muhammad has the most important role in public life. In addition, our Islamic religion added more importance to the port and had no hindrance. On the contrary, Islam contributed to its prosperity and continued its work. Far from the trade only, but in the transfer of funds, especially the tribute, that the port of ALJaar became an important economic source and has a significant role in political and economic life has increased its importance after Bzokh Islamic religion is not a religion of equality and justice did not know between other religions, including the trade of Jews with Muslims, This is the Port in the following historical covenants because it emphasized the freedom of trade and trade.

key words: Port AlJAAR, tribute, trade, the era of the Apostle

المقدمة

ان ظهور الإسلام كان بداية ازدهار التجارة والصناعة، لانه شجع على الكسب الحلال زان المسلم يجب ان يعيش من مصدر حلال يقره الشرع الاسلامي حتى اصبح للمسلمين صلات تجارية مع معظم بلدان العالم واستمر هذا الامر الى ان وصل الى الشرق والغرب وهذا الازدهار شمل المدن الإسلامية اجمع والمدينة المنورة والبحر الاحمر بصورة خاصة .

- الجار في عصر النبوة

كان نشاط التجاري للعرب في البحر الأحمر مستمراً قبل بعثة النبي محمد(ﷺ) وقبل ظهور الإسلام بقرون عديدة وازدهر هذا النشاط بصورة أكبر مع قيام الدولة العربية الإسلامية في المدينة المنورة بحيث اصبح البحر الاحمر هو بحر عربي بعد سيطرت علية العرب المسلمين عليه [١] .

وبظهور الإسلام ازدهرت التجارة والصناعة حتى اصبح للمسلمين صلات تجارية مع معظم بلدان العالم واستمر هذا الامر الى ان وصل الى الشرق والغرب وهذا الازدهار شمل المدن الإسلامية من خلال التطور التجاري وارتباطه مع التجارة البرية والبحرية [٢] ، وبعد ان كان النشاط التجاري ضعيفاً في المدينة يثرب وميناؤها الجار وسبب ذلك يعود الى الأوضاع وظروف الغير مستقرة التي ذكرناها سابقاً لكن استطاعت ان تعيد نشاطها التجاري بعد ان استعادت الاستقرار الداخلي وخصوصاً بعد الهجرة النبوية الشريفة وقيام دولة إسلامية فيها وحل الخلافات بين اهل المدينة المنورة حتى استقر المسلمين بينهم واتجهوا الى التجارة الخارجية مع مزاولتهم لتجارة الداخلية وتنظيمها وازدهارها في المدينة المنورة وميناء الجار[٣].

يتضح مما من هذا ان المدينة المنورة واستقراراها الداخلي كان له اثر كبير في توجيه أهلها الى مزاولة التجارة الداخلية والخارجية مع ميناء الجار والمدن المجاورة .

وكان بعض أهل المدينة المنورة تجارا يخرجون إلى الشام واسواقها من اجل التبادل التجاري وكما ان اليهود قرب المدينة المنورة يتاجرون أيضا ويجلبون الى سكان مدينة المنورة بما يحتاجون إليه من تجارات وكان تجار اهل حي الساقطة يأتون الى المدينة المنورة مع بداية ظهور الاسلام ويأتون بالتجارة من بلاد الشام وما يحتاجه اهل المدينة

المنورة من سلع وبضائع مما يتوفر في بلاد الشام عن طريق ميناء الجار ويتم البيع والشراء مع اهل المدينة المنورة لما فيها من حرية في التبادل التجاري مع بقيه الطوائف الدينة [٤].

وهذا يبين استمرار ازدهار التجاري لأهل المدينة المنورة من خلال ميناء الجار وذهابهم الى الشام من اجل جلب السلع والبضائع كذلك استمرار توافد التجار الى ميناء الجار الى المدينة المنورة لما فيه من حرية التعامل مع بقية الطوائف الدينة .

وان ميناء الجار الذي كان معروفاً سابقاً كما وضحنا الا انه في العصور الاسلامية اكتسب شهرة اكبر واصبح من اشهر موانئ الحجاز[٥] ، وذلك لان المدينة المنورة اصبحت قاعدة الدولة الإسلامية (أي عاصمتها) [٦] ، وهذا ما اثر على ازدهار ميناء الجار بسبب موقعة من المدينة المنورة وقربه منها جعلهُ يصبح ميناء المدينة المنورة [٧] ، وكذلك فرضتها[٨]، وساحلها [٩].

ولهذا يمكن القول ان الحافز لتطور وازدهار ميناء الجار تجاريا يعود الى عاملين الأول العامل الجغرافي وقربه من البحر الأحمر والعاصمة الدولة الإسلامية والأخر العامل السياسي الذي جعل ميناء الجار الميناء الرئيسي للعاصمة الدولة الإسلامية (المدينة المنورة).

وقد حفل ميناء الجار بأهمية كبيره من خلال قيام النبي محمد (ﷺ) بأرسال بعض بعوث سرية قبل انتهاء السنة الأولى للهجرة(أي بعد مضي ٧ اشهر من الهجرة النبوية المشرفة) [١٠] ، وكانت من هذه البعثات السرية بعثة بقيادة حمزة بن عبد المطلب[١١] ، عم النبي محمد(ﷺ) الى ساحل البحر الاحمر عند ميناء الجار في ثلاثمائة راكباً وكان هدفهم اعتراض قافلة تجارية لقريش قادمة من الشام وكان فيها أبو جهل ابن هشام[١٢] ، في ثلاثمائة راكب من اهل مكة [١٣] ، وقبل بلوغهم الى ساحل البحر الاحمر في ميناء الجار[١٤]، التقى مع أبا جهل بذلك الساحل(ميناء الجار)[١٥] ، فلم يقع القتال ورجع أبا جهل الى مكة ورجع الحمزة عم النبي(ﷺ) الى المدينة المنورة من ميناء الجار[١٦].

وبذلك يتضح لنا ان ميناء الجار عبرت فيه اول سرايا بهدف اعترض قوافل قريش وتشرف هذا الميناء بدخول عم رسول الله (ﷺ)اليه واهم الأمور ان قريش كانت تتاجر الى الشام عن طريق ميناء الجار وأدى مرحلة مهمة في بداية قيام الدولة العربية الإسلامية من

خلال تحكم بتجارة اهل مكة بعد ان كانوا يتاجرون عبر ساحل البحر الاحمر عند ميناء الجار الى الشام ولا نعرف سبب ذلك هل هو يعود الى قلة توفر السفن في ميناء الشعيبة في بعض الأوقات! ام لكثرة توفر السفن في ميناء الجار!.

وكان لهذا الميناء دور في توفير الغذاء للمبعوثين من قبل النبي محمد(ﷺ)حيث ذكرت الروايات خروج مبعوثين في سرية من قبل النبي محمد (ﷺ) وكان عددهم ثلاثمائة رجل وكان لدى كل رجل تمر حتى وصلوا الى البحر فوجدوا حوت القاه البحر(في ميناء الجار) ميتاً واخذنا نأكل منه اثنى عشر ليلة ورجعنا الى المدينة المنورة واخبرنا رسول الله (ﷺ) بالأمر فقال النبي محمد(ﷺ) لهم(نعم الجار البحر[١٧]، وهو طهور ماؤه والحل ميتة) [١٨].

وبناءً على ما قاله (ﷺ) بحلال اكل ما مات من الأسماك في ميناء الجار وهذا كان غير معروف سابقاً ولم يقره الإسلام .

وفي شهر ربيع الأول من السنة (٧هـ/٦٢٨م)[١٩] ، كان قد حفل ميناء الجار بعودة المهاجرين من الحبشة ودخلوا الى ساحل بولا(أي ميناء الجار)بحراً ومنه الى المدينة المنورة براً[٢٠].

وهذا يوضح ان ميناء الجار اصبح المنفذ الرئيسي الى المدينة المنورة بحراً للمسافرين والتجار .

وستمرت تجارة اليهود غرب أوربا (الرازانية) في زمن النبي (ﷺ)من والى ميناء الجار وكانوا يأتون بتجارتهم من الغرب الى الشرق و بالعكس ايضاً [٢١].

يتضح مما سبق ان ميناء الجار اصبح مصدراً اقتصادياً مهماً ولهُ دور كبير بالحياة السياسية والاقتصادية وقد زادت أهميته بعد بزوخ الادين الإسلامي لا نه دين مساوات وعدل ولم يعرف بين الديانات الأخرى ومنها تجارة اليهود مع المسلمين مما ساعد على ازدهار هذا الميناء في العهود التاريخية التالية لأنه اكد على حرية التجارة والتبادل التجاري .

وازدهر ميناء الجار اكثر بعد ان وصلت اليه السفن التجارية التي كانت تأتي من والبحرين[٢٢] ، عدن ومصر وشرق افريقيا (الحبشة) والهند والصين من اجل التبادل التجاري وتمويل المدينة المنورة والمناطق المجاورة من ميناء الجار بالمواد التجارية والسلع والبضائع [٢٣] .

وهذا يدل على ازدهار ميناء الجار في العصر النبوي الشريف بشكل كبير من خلال وصول السفن والتجارية من البلدان المختلفة اليه.

وكان اهل المدينة المنورة في هذا العصر يلبسون الثياب التي تأتي من مصر والتي تسمى قباطي مصر حيث كانت تأتي عن طريق ميناء الجار[٢٤] ، كما ان تجار البحرين كانوا يصلون الى المدينة المنورة من اجل بيع السلع والبضائع البحرينية منها الملابس والسراويل وكان رسولنا الكريم (ﷺ) وزوجته السيدة عائشة وعدد من الصحابة (رضي الله عنها)يشترون من ملابس وتجارات البحرين[٢٥]، والتمور وغيرها من البضائع ايضاً [٢٦] ، وكذلك بعض أموال الجزية التي ربما كانت تأتي عن طريق ميناء الجار من خلال السفن البحرين[٢٧] ، وقد كانت السفن المصرية في هذا العصر تأتي الى ميناء الجار محمله ببضائع مصرو الشام واهم سلعها كانت من الثياب[٢٨]،

وكان يحمل البضائع والسلع المجلوبة من البحر بواسطة السفن التجارية تحمل من ميناء الجار براً الى المدينة المنورة والمناطق المجاورة [٢٩].

بعد خوض العميق مع ميناء الجار في عصر رسولنا الكريم محمد (ﷺ) يتبين لنا ان لهذا الميناء كان له الدور الأهم في الحياة العامة واضافة لذلك ان ديننا الإسلامي أضاف له أهمية اكبر للميناء ولم يكن له عائق بل بالعكس ساهم الإسلام في ازدهاره واستمرار عملهُ وحث على مداولة التجارة.

كما ان العرب في هذا العصر كان اهتمامهم بالبحر الأحمر والملاحة من اجل التبادل التجاري لكن هذا الاهتمام كان محدوداً ويعود السبب الى استخدام العرب للحيوانات في الركوب ونقل السلع في الصحراء منذُ القدم واعتادوا على ذلك أي استخدامهم سفينة الصحراء (الجمل) بدلا من سفينة البحر وذلك لوجود الصعوبات الملاحية من حيث هيجان البحر وكثرة الشعاب المرجانية ودوماته [٣٠] ، وذلك لان العرب عاشوا في الجزيرة العرب وهي منطقة صحراوية عودتهم على الحياة البدوية وكانوا بعيدين عن البحر مما جعل ذلك مجهولاً لهم وصعوبة التعامل والتنقل والعمل به او ركوبه مع ذلك زال هذا الحاجز واستخدم العرب البحر في حياتهم اليومية وفي أعمالهم وتجارتهم وحروبهم بعد إرساء دولتهم وتطورها.

الخاتمة:

بعد خوض العميق مع ميناء الجار في عصر رسولنا الكريم محمد (ﷺ) يتبين لنا ان لهذا الميناء كان له الدور الأهم في الحياة العامة واضافة لذلك ان ديننا الإسلامي أضاف له أهمية اكبر للميناء ولم يكن له عائق بل بالعكس ساهم الإسلام في ازدهاره واستمرار عملهُ وحث على مداولة التجارة وتوصلنا الى ان ميناء الجار كان يستخدم ابعد من التجارة فقط بل في نقل الاموال وخاصة الجزية يتضح مما سبق ان ميناء الجار اصبح مصدراً اقتصادياً مهماً ولهُ دور كبير بالحياة السياسية والاقتصادية وقد زادت أهميته بعد بزوخ الادين الإسلامي لا نه دين مساوات وعدل ولم يعرف بين الديانات الأخرى ومنها تجارة اليهود مع المسلمين مما ساعد على ازدهار هذا الميناء في العهود التاريخية التالية لأنه اكد على حرية التجارة والتبادل التجاري .

قائمة المصادر الاصلية :

•ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي (ت٣٢٧هـ/٨٤١م.(

١. العلل لابن أبي حاتم، تحقيق: سعد بن عبد الله الحميد واخرون،ط١،(مطابع الحميضي،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

• الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م).

٢. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، (بيروت : عالم الكتب،١٤٠٩ هـ/١٩٨٨م).

• البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م).

٣.معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط٣، (بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٢م).

• البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني أبو بكر (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م).

٤. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط١،(بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م).

• الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك أبو عيسى(ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م).
٥.سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر ،ط٢،(مصر :شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي،١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥ م).
• ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ /١٢٠٠م).
٦. المنتظم في التاريخ الامم والملوك، تحقيق: محمد عبد الله القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا،ط١،(بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م).
• الحازمي ، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الهمداني زين الدين (ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م) .
٧. الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة ،تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر،١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
• الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ /١٤٩٤م).
٨.الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، (بيروت : دار السراج،١٤٠١هـ/١٩٨٠ م).
• ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت نحو ٢٨٠هـ/٨٩٣م).
٩.المسالك والممالك، (بيروت : دار صادر، ١٣٠٧هـ/١٨٨٩ م).
• خليفة بن خياط، أبو عمرو بن الشيباني العصفري البصري (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م).
١٠. تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢،(دمشق: دار القلم،١٣٩٧هـ/١٩٧٦م).
• ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م).
١١.الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، ط١، (بيروت : دار صادر ،١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨ م).
• السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي نور الدين أبو الحسن (ت٩١١هـ/١٥٠٥م).
١٢.وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

• السيرافي ، أبو زيد حسن بن يزيد (ت بعد ٣٣٠هـ/٩٤١م) .
١٣.رحلة السرافي ، (أبو ظبي : المجمع الثقافي، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩ م).
• السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت٩١١هـ/١٥٠٥م).
١٤. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١،(مصر : دار إحياء الكتب العربية،١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧ م).
• الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني(ت٢١١هـ /٨٢٦م).
١٥. المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي،ط٢،(بيروت: المكتب الإسلامي ،١٤٠٣هـ/١٩٨٢م).
الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م).
١٦. تاريخ الرسل والملوك ،ط٢، (بيروت : دار التراث ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).
• ابن عبد الحق، عبد المؤمن ابن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي صفي الدين (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م).
١٧.مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، (بيروت : دار الجبل ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م).
• القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري (ت٨٢١هـ/١٤١٨م).
١٨.صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (بيروت : دار الكتب العلمية، د.ت).
• ابن كثير القرشي ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م).
١٩.البداية والنهاية ، تحقيق: علي شيري ، ط١، (دار احياء التراث العربي ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).
• مجهول، (ت بعد ٣٧٢هـ/٩٨٢م).
٢٠.حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق وترجمة : السيد يوسف الهادي،(القاهرة : الدار الثقافية للنشر، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢م).
• ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى(ت٧١١هـ/١٣١١م).

٢١. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: روحية النحاس و رياض عبد الحميد مراد و محمد مطيع، ط١،(دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٤م).

• ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، جمال الدين(ت ٢١٣هـ/٨٢٨م).

٢٢.السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي،ط٢،(مصر :شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م).

• الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء المدني أبو عبد الله (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م).

٢٣.فتوح الشام، ط١،(بيروت: دار الكتب العلمية،١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

٢٤.المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، (بيروت : دار الأعلمي ،١٤٠٩هـ /١٩٨٩م).

• ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

٢٥.معجم البلدان ، ط٢، (بيروت : دار صادر ،١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

- المراجع الحديثة

• الجاسر ، حمد .

٢٦.بلاد ينبع لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة ،(بلا).

٢٧.في شمال غرب الجزيرة ،(الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).

• جردات ،الرائد واليد محمود .

٢٨.الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر،ط١،(الدوحة: دار الثقافة للنشر والتوزيع،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

• الشريف، أحمد إبراهيم.

٢٩. مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم،(دار الفكر العربي، د.ت).

• عبد اللطيف، عبد الشافي محمد.
٣٠. السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ط١،(القاهرة : دار السلام، ١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧م).
• عثمان ، شوقي عبد القوي .
٣١. تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (٤١-٩٠٤هـ/٦٦١-١٤٩٨م)،(الكويت : عالم المعرفة ،١٤١١هـ/١٩٩٠م).
•العلي ، صالح احمد.
٣٢. الحجاز في صدر الإسلام دراسات في أحوال العمرانية والإدارية ، ط١، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
• علي ، جواد .
٣٣. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط٤، (دار الساقي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).
• قمر ، محمود احمد محمد .
٣٤. دور البحرين في الملاحة والتجارة الإسلامية من صدر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ، ط١، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).
• مهران ، محمد بيومي .
٣٥. دراسات في تاريخ العرب القديم ، ط٢، (د.م: دار المعرفة الجامعية ، د.ت).

الهوامش:

(١)الشريف ، مكة والمدينة ، ص٨؛ القوصي ، تجارة مصر ، ص٢٠.

(٢)شلبي ، تاريخ الحضارة ، ص٢٧.

(٣)الشريف ، مكة والمدينة ،ص٣٠٥؛علي ، المفصل في تاريخ، ج٧، صص١٤٠-١٤١؛امين،التجارة في الحجاز ، ص٢٠٣؛المديرس، المدينة المنورة صص١١٠-١١١.

(٤)الواقدي، فتوح الشام ،ج١، ص١٥؛علي ، المفصل في تاريخ ، ج٧، ص١٤١؛.

(٥)الجاسر، بلاد ينبع،ص٤٧؛الندوي ،الملاحة عند العرب،ص٥٣؛بن صالح، تاريخ شبه الجزيرة ،ص١٨٣.

(٦)العلي ، الحجاز في صدر ، ص٧؛ مهران ، محمد بيومي ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، ط٢، (د.م: دار المعرفة الجامعية ، د.ت)،ص٣٨٣؛الجاسر ، بلاد ينبع ،ص٤٧ ؛عبد القادر، علي ،الفقه الإسلامي القضاء والحسبة "مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية والإسلامية، ط١، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، ص٢٨؛ عبد اللطيف، عبد الشافي محمد، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ط١،(القاهرة : دار السلام، ١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧م)، ص٣٢.

(٧)ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص٩٢؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع ، ج١، ص٣٠٥؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص١٥٣ ؛السمهودي، وفاء الوفاء ، ج٤، ص٤٧.

(٨)مجهول، حدود العالم ،ص١٧٤؛ الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج١، ص١٤٤؛ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع ، ج١، ص٣٠٥ ؛ اليافعي، مرآة الجنان ، ج٣، ص٥١؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٤، ص٢٩٦؛السمهودي، وفاء الوفاء، ج٤،ص٤٦ ؛ علي ، المفصل في تاريخ ، ج١٣، ص٢٧٢؛السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٣١١.

(٩)البكري، معجم ما استعجم ، ج٢، ص٣٥٥؛ البكري، المسالك والممالك ، ج١، ص١٤٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج٤، ص٣٨٧؛ الحميري، الروض المعطار ، ص١٦٤؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ج٤،ص ٤٦.

(١٠)الواقدي، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، (بيروت : دار الأعلمي ،١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ج١، ص٩؛ ابن الجوزي، تلقيح فهوم أهل الأثر، ص٤٢؛ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، (بيروت : مؤسسة الرسالة ،١٤١٥هـ /١٩٩٤م)، ج٣، ص١٤٦؛ ابن كثير القرشي، البداية والنهاية ، تحقيق: علي شيري ، ط١، (دار احياء التراث العربي ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) ،ج٣،ص٢٨٦.

(١١)حمزه بن عبد المطلب: حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ابن قصي بن كلاب وكان يقال له أسد الله وأسد رسوله أسلم في السنة الثانية من المبعث وقيل بل كان إسلام حمزة بعد دخول رسول الله(ﷺ)دار الأرقم في السنة السادسة من مبعثه(ﷺ)واستشهد بمعركة احد ولقبه النبي محمد (ﷺ)بسيد الشهداء .ينظر: البغوي، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه(ت٣١٧هـ/٩٢٩م)، معجم الصحابة، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني،ط١،(الكويت: مكتبة دار البيان،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)،ج٢،صص٣-٤؛ الأصبهاني، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل

بن يوسف العزازي،ط١،(الرياض: دار الوطن للنشر،١٤١٩هـ/١٩٩٨م)،ج٢،صص٦٧٢-٦٧٣؛ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)،الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي،ط١،(بيروت: دار الجيل،١٤١٢هـ/١٩٩٢م)،ج١،ص٣٧٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج٣، صص١١١-١١٤؛بن حجر العسقلاني ،الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد،ط١،(بيروت : دار الكتب العلمية،١٤١٥هـ/١٩٩٤م)،ج٢، صص١٠٥-١٠٦.

(١٢)أبو جهل ابن هشام: عكرمة بن أبي جهل ابن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أمه أم خالد امرأة من بني هلال أسلم عام الفتح واستشهد في خلافة عمر بن الخطاب باليرموك وقيل بأجنادين كان إذا اجتهد في اليمين قال والذي نجاني يوم بدر وكان يضع المصحف على وجهه فيقول كلام ربي وفر يوم الفتح فركب البحر فأدركته امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام بأمان من رسول الله(ﷺ) فانصرف معها إلى مكة فبايع رسول الله(ﷺ) على الإسلام. ينظر: الأصبهاني، معرفة الصحابة،ج٤،ص٢١٧١.

(١٣)ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد جمال الدين (ت ٢١٣هـ/٨٢٨م)،السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي،ط٢،(مصر :شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)،ج١،ص٥٩٥؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ ،ج٣، ص٨٠؛ابن حبيب الحلبي ،المقتفى ،صص١٢٠-١٢١؛ الحرضي، يحيى بن أبى بكر بن محمد بن يحيى العامري (ت٨٩٣هـ/١٤٨٧م)،بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل،(بيروت : دار صادر ، د.ت)، ج١، ص١٧٧.

(١٤)البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني أبو بكر (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط١،(بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، ج٥، ص٤٦٣؛ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: روحية النحاس و رياض عبد الحميد مراد و محمد مطيع، ط١،(دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٤م)، ج٢، ص١٨٩.

(١٥)ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١، ص٥٩٥؛ خليفة بن خياط، أبو عمرو بن الشيباني العصفري البصري(ت٢٤٠هـ/٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢،(دمشق: دار

القلم،١٣٩٧هـ/١٩٧٦م)،ص٦٢؛البلاذي ، جمل من انساب ، ج١، ص٣٧١؛ابن كثير القريشي، البداية والنهاية ، ج٣، ص٣٠٠.

(١٦)خليفة بن خياط، تاريخ الخليفة ، ص٦٢؛ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ، ج٣، ص٨٠؛ ابن كثير القرشي، البداية والنهاية،ج٣، ص٣٠٠؛السمهودي، وفاء الوفاء، ج١، ص٢١١.

(١٧)يبدو ان المصادر التاريخية تذكر ميناء الجار من خلال كلمة البحر او ساحل البحر الاحمر للمدينة المنورة هو ميناء الجار لان ميناء الجار هو ساحل المدينة المنورة وهو بحرها كما انها سميت هذه المنطقة من البحر ببحر الجار كما ذكرنا سابقاً وتذكر المصادر ان قول رسول الله (ﷺ) عن البحر (هو الطهور ماؤه، الحل ميتته) . ينظر: الامام مالك ، بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت١٧٩هـ/٧٩٥م)، موطأ الإمام مالك، تصحيح : محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت : دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥ م)،ج١، ص٢٢،ج٢، ص٤٩٥ ؛ الشافعي، المسند،(بيروت :دار الكتب العلمية،١٤٠٠هـ/١٩٧٩م)،ص٧؛ الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني(ت٢١١هـ/٨٢٦م)،المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي،ط٢،(بيروت: المكتب الإسلامي،١٤٠٣هـ/١٩٨٢م)،ج١، ص٩٣؛ ابن حنبل، مسند الإمام ،ج١٤،ص٣٤٩؛ الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد التميمي السمرقندي (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط١،(المملكة العربية السعودية :دار المغني للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/ ٢٠٠٠ م)، ج١، ص٥٦٧؛ ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،(دار إحياء الكتب العربية، د.ت)،ج١،ص١٣٦؛ أبو داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجِستاني (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،(بيروت : المكتبة العصرية، صيدا، د.ت)،ج١،ص٢١؛الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)،سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر،ط٢،(مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي،١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥ م)،ج١،ص١٠٠؛ النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت٣٠٣هـ/٩١٥م)،المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة،(حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية،١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)،ج١، ص٥٠،ص١٧٦؛ ابن حبان ،

الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١،(بيروت: مؤسسة الرسالة،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)،ج٤، ص٤٩؛ ابن البيع ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (ت ٤٠٥هـ/١٠١٤م)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠م)، ج١، ص٢٣٧.

(١٨)ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري، (المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)،ج٢٣، ص١٥.

(١٩)الواقدي، المغازي، ج١، ص٥؛ السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت٥٨١هـ/١١٨٥م)،الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي،ط١،(بيروت: دار احياء التراث العربي،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)،ج٧ ،ص٨٦.

(٢٠)ابن سعد ، الطبقات ، ج١، ص٢٠٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ،ط٢، (بيروت : دار التراث ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ج٢، ص٦٥٤؛ابن حبان ، الثقات ، ج٢، ص٢٣؛ الثعلبي، الكشف والبيان،ج٤،ص٩٩؛المقريزي، امتاع الاسماع،ج١،ص٣٢٠.

(٢١)ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١٥٣؛ القوصي ، تجارة مصر ، ص٢٩.

(٢٢)البكري ، معجم ما استعجم ، ج٢، ص٣٥٥؛ الحازمي ، الأماكن ص١٧٧؛العلي ، الحجاز في صدر ، ص١٠٨؛قمر ، دور البحرين ، ص٦١.

(٢٣)البكري، معجم ما استعجم ، ج٢، ص٣٥٥؛ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ ، ج١، ص١٤٣؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص٩٣؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع ، ج١، ص٣٠٥السمهودي، وفاء الوفاء، ج٤، ص٤٧؛ الزبيدي، تاج العروس، ج١٠،ص٤٨٠؛ هارون ، نوادر المخطوطات ، ج٢، ص٣٩٨؛ الشريف ، مكة والمدينة ، ص٣٠٥؛ بن صالح ، تاريخ شبه الجزيرة ، ص١٨٣.

(٢٤)ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ط١، (دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ج٢، ص١٤٤.

(٢٥)ابن أبي حاتم الرازي، العلل لابن أبي حاتم، تحقيق: سعد بن عبد الله الحميد واخرون،ط١،(مطابع الحميضي،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)،ج٦،ص٦٥٧؛البيهقي، معرفة السنن والآثار، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي،ط١،(دمشق: دار قتيبة،١٤١٢هـ/١٩٩١م) ،ج٨،ص٢٠٩؛الخزاعي، علي بن محمد بن أحمد بن موسى ابن مسعود أبو الحسن ابن ذي الوزارتين (ت٧٨٩هـ/١٣٨٧م)، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عصر رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق: إحسان عباس،ط٢،(بيروت : دار الغرب الإسلامي،١٤١٩هـ/١٩٩٨م)،ص٥٨٦؛النجدي، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد ، تطريز رياض الصالحين، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد،ط١،(الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢ م)، ص٧٥٢.

(٢٦)العيني، عمدة القاري،ج١، ص٣٠٩؛المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير،ط١ ،(القاهرة :المكتبة التجارية الكبرى ،١٣٥٦هـ/١٩٣٧م)،ج٧،ص٢؛قمر، دور البحرين ، ص٦٦.

(٢٧)الكاندهلوي ، محمد يوسف بن محمد إلياس بن محمد إسماعيل ، حياة الصحابة، تحقيق: بشار عواد معروف، ط ١، (بيروت : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ج ٢، ص٥٣٣.

(٢٨)ابن سيد ، عيون الأثر ، ج٢،ص٣٧٧ ؛ الكناني ، المختصر الكبير ، ص١١٦؛ المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ج١، ص ٥٦؛القوصي ، تجارة مصر ، ص٢١.

(٢٩)البكري، معجم ما استعجم ، ج٢، ص٣٥٥؛قمر، دور البحرين ، صص٦١-٦٦؛ العلي ، الحجاز في صدر ، ص١٠٨؛الجاسر،في شمال غرب ، ص١٩٥.

(٣٠)السيرافي ، أبو زيد حسن بن يزيد (ت بعد ٣٣٠هـ/٩٤١م) ، رحلة السرافي ، (أبو ظبي : المجمع الثقافي، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩ م)، ص٨٩؛ المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ط١، (بيروت: دار الاندلس،١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)،ج١، ص١١٢؛ الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص٢٩؛ ابن حوقل ، صور الأرض ، ج١، ص ؛المقدسي، احسن التقاسيم ، ص١٠؛ ابن الوردي، سرج

الدين أبو حفص عمر بن المظفر البكري القرشي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، خريدة العجائب وفريد الغرائب، تحقيق: أنوار محمود زناتي ، ط١،(القاهرة : مكتبة الثقافية الإسلامية ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م)، ص٢٢٩؛ عثمان ، شوقي عبد القوي ، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (٤١-٩٠٤هـ/٦٦١-١٤٩٨م)،(الكويت : عالم المعرفة ،١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ص١٤٣، ص٢٤٩؛جردات ، الأهمية الاستراتيجية ، صص٥٨-٥٩.

نماذج مختارة من المباخر المعدنية الاسلامية

(المحفوظة بالمتحف العراقي)

Selected models of Islamic metal incense burners
(Saved by the Iraqi Museum)

الباحث: عمار شاكر عبيد

أ.م. د. فاروق محمد علي

جامعة بغداد / كلية الاداب / قسم الآثار

Ammarshakir232@gmail.com

نماذج مختارة من المباخر المعدنية الاسلامية
(المحفوظة بالمتحف العراقي)

الباحث: عمار شاكر عبيد

أ.م. د. فاروق محمد علي

الملخص العربي

تعد المباخر المعدنية الاسلامية واحدة من الصناعات الفنية العريقة التي ابدع بها الصناع المسلمين ، اذ صمموها على هيأت مختلفة منها هندسية وحيوانية ، فضلاً عن استخدام الاشكال العمارية في تصميمها ، واستخدموا مختلف انواع المعادن في صناعتها ، وقد ضم المتحف العراقي بعض النماذج من هذه المباخر، والتي يرجع تاريخها لفترات زمنية مختلفة من العصر الاسلامي ، تمت دراستها وتحديد فتراتها الزمنية في ضوء نتائج التنقيبات الاثرية لبعضها ، والبعض الاخر أُرخ من خلال المقارنات من حيث المادة التي صنعت منها ، والشكل العام والزخارف التي نفذت عليها.

Abstract

The Islamic metal incense burners are one of the most prestigious artistic industries created by the Muslim industries. They designed them in different forms including geometric and animal, as well as the use of architectural forms in their design used various types of metals in their manufacture, and the Iraqi Museum included some models of these incense burners, dating from different periods of the Islamic era They were studied and their time periods were determined in the light of the results of some archaeological excavations Others are dated through comparisons in terms of the material from which they were made, the shape and decorations on which they were made.

المباخر المعدنية (المحفوظة بالمتحف العراقي)

مبخرة من البرونز[١]، يرجع تاريخها للحقبة الزمنية الواقعة ما بين القرن الاول قبل الميلاد والقرن الثالث الهجري / السادس والتاسع الميلادي[٢]، يبلغ ارتفاعها(٩سم) ، وعمقها (٨سم) وقطر فوهتها (١٢,٥سم) ، وسمكها (٠,٤سم) ، وقطر بدنها (١٣,٥سم) ، تستند

على قاعدة مجوفة يبلغ ارتفاعها(٠,٩سم) وقطرها ض(٥,٧سم) ، والمبخرة ذات بدن نصف كروي ينتهي من الاعلى بفوهة عريضة تتصل بها ثلاث حلقات (لوح١) (شكل١) ، لغرض الحمل او التعليق بواسطة خطاف[٣] (لوح٢) (شكل٢) ، وضمت المبخرة زخارف ورسوم ناتئة تعتبر من اجمل ما وصل الينا ، رتبت بثلاث اشرطة افقية ، تفصل فيما بينها حزان ناتئان ، ضم الشريط العلوي على الرقبة غصن متموج يخرج من جانبيه اوراق ثلاثية الفصوص ، اما الشريط الاوسط وهو اكبرها فضم رسوم مترابطة ومتلاحمة عن مسيرة ودعوة السيد المسيح عليه السلام وهي مرتبة من اليسار الى اليمين من دون فواصل ، تمثل عدة مشاهد منها مشهد البشارة الذي تظهر به السيدة العذراء وهي تجلس على كرسي تحمل بيدها رداء طفل ويقف الى جانبها على جهة اليمين الملاك جبرائيل وهو يحمل عصى البشارة[٤] ، والمشهد الاخر يمثل الميلاد وتظهر به السيدة العذراء مستلقية على فراش الولادة والى جانبها طفلها الرضيع ، وقد صور المشهد داخل اسطبل او مغارة ، اما المشهد الثالث فضم السيدة العذراء وهي جالسة على كرسي تحتضن السيد المسيح ، فضلاً عن مشهد اخر يظهر به السيد المسيح وهو يدخل بيت المقدس ، ومشهد يمثل صلب السيد المسيح والملائكة ترفرف فوق راسه وهو محاط بمجوعة من الاشخاص[٥] ، ومشاهد اخرى يظهر بها السيد المسيح[٦].

مبخرة من النحاس[٧]، تم العثور عليها اثناء التنقيبات الاثرية في العراق[٨] ، يبلغ ارتفاعها (٨,٧سم) ، وعمقها(٧,٥سم) ، وقطر الفوهة (٨سم) ، وسمكها(٠,٤سم) ، قاعدتها مستديرة ، يبلغ ارتفاعها(١,٧سم) وقطرها(٤,٦سم) ، والفوهة عريضة مستوية بارزة الى الخارج قليلا تحتوي على ثلاث نتوءات بارزة ، بين نتوء واخر يوجد حلقة دائرية ، ترتفع عن الفوهة بواسطة بروز على هيأة صليب على الاغلب الغرض منها ، لتربط بسلاسل لغرض الحمل او التعليق ، ضمت رقبة المبخرة رسوم هندسية عبارة عن خطوط واشكال بيضوية متجاورة بشكل افقي كل ثلاثة اشكال متجاورة تربط بينها خطوط او اغصان ذات اوراق نباتية تمتد من اليسار الى اليمين ، والزخرفة ذاتها مكرره على قاعدة المبخرة الا انها تمتد من اليمين الى اليسار، ويوجد على الكتف تحت الرقبة ، نتوء بارز محزز بحزوز مائلة نحو اليمين يلتف حولها ، ثم ينتفخ البدن المزين بأشكال بارزة ، ربما تمثل مشاهد لاشخاص رجال ونساء بوضعيات مختلفة ، مثلوا بشكل بعيد عن تمثيل الطبيعة ، (لوح٣) (شكل٣) ،

على الارجح ان هذه المبخرة ترجع الى القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، وذلك من خلال مقارنتها بمبخرة اخرى تعود الى هذا القرن ، من حيث الشكل العام ورسوم الاشخاص ، محفوظة بمتحف القابضة بكوبنهاكن بالدنمارك[٩] ، وهذه المبخرة تنسب الى سوريا او فلسطين على الاغلب ، ومما يوكد ذلك وجود كتابة فريدة في اوائل الخط الكوفي اسفل قاعدتها ، يمكن قراءتها على النحو التالي " بسم الله الرحمن الرحيم ، يعقوب بن اسحاق من دمشق (لوح ٤) (لوح ٥)[١٠].

ومبخرة من النحاس[١١]، تم العثور عليها اثناء التنقيبات الاثرية في هاشمية الانبار[١٢] تعود للقرن السادس او السابع الهجري / الثاني او الثالث عشر الميلادي[١٣] على الارجح ، لاتزال تحمل اثار الحرق بداخلها ، اسطوانية الشكل، يبلغ ارتفاعها(٣,٥سم) ، ذات فوهة دائرية ، يبلغ قطرها (٥سم) ، تبرز بحدود(٠,٢سم) عن البدن ، يبلغ عمق المبخرة (٣سم) ، وسمكها(٠,٢سم) ، ترتكز على قاعدة دائرية الشكل ، يبلغ ارتفاعها(٠,٥سم) ، وقطرها(٣,١سم) ، ويلاحظ على حافة المبخرة بقايا نتوءات من ثلاث جهات ، ربما كانت بمثابة حلقات تعرضت للكسر، كان الغرض منها لتربط بسلاسل لتحمل او تعلق منها (لوح٦)(شكل٤) [١٤].

مبخرة من النحاس[١٥] ، تعود الى العصر العباسي المتأخر [١٦]، تم العثور عليها اثناء التنقيبات الاثرية في هاشمية الانبار ذات بدن نصف بيضوي ، يبلغ ارتفاعها(١,١سم) ، وعمقها(٠,٧سم) ، ذات فوهة واسعة حافتها بارزة يبلغ قطرها(٣,٣سم) ، يبرز منها اربع بروزات ، ثلاثة منها بطول (٠,٦سم) وبعرض (٠,٨سم) ، اما الرابع فيبلغ طوله (٠,٨سم) وعرضه (١,١سم) وهو بمثابة مقبض لها ، وهي لاتزال تحمل اثار الحرق من الداخل ، (لوح٧) (شكل٥).

مبخرتان من النحاس ، تم العثور عليهما في مدينة بلد (اسكي موصل) [١٧]، تعودان الى العصر العباسي المتأخر [١٨] ، الاولى[١٩]، بيضوية الشكل ، يبلغ ارتفاعها (٤,٥سم) ، وعمقها (٤سم) ذات فوهة دائرية واسعة ، حافتها صغيرة مستوية بارة ، يبلغ قطرها (٩سم) ، يعلوها ثلاث نتوءات ، بارزة في كل منها ثقب نافذ ، تستند على قاعدة دائرية بارزة يبلغ ارتفاعها (٠,٥سم) وقطرها (٤,٦سم) ، زخرف بدن المبخرة بحزوز دائرية ، تلتف حول البدن

من الاعلى ومن الوسط واسفل البدن ، (لوح٨) (شكل٦). والثانية [٢٠]، دائرية الشكل ، يبلغ ارتفاعها(١,٥سم) ، وعمقها (١,٣سم) ، وقطر فوهتها (١٠سم) ، ذات مقبض طويل ، يبلغ طوله (١٠,٥سم) ، وعرضه (١,٥سم) ينتهي بحلقة دائرية الشكل ، ذات نتوء بارز قليلا ، زخرف باطن المبخرة بثمانية حزوز دائرية الشكل ، اربعة في مركزها ، واثنان في طرفها ، واثنان على ارتفاع المبخرة من الداخل ، وهي نفس الزخرفة الموجودة على بدن المبخرة الاولى(لوح٩)(شكل٧)[٢١].

وثمة مبخرة اخرى من النحاس[٢٢] ، تم العثور عليها في مدينة حربى الاثرية[٢٣] ، ترجع بتاريخها الى الفترة الممتدة ما بين القرن الخامس او السابع الهجري / الحادي عشر او الثالث عشر الميلادي[٢٤] ، يبلغ طولها مع المقبض (٢٠سم) ، لا تزال تحمل اثار الحرق بداخلها ، دائرية الشكل تشبه المقلاة ، لها قاعدة مسطحة قليلة الارتفاع ، وهي تحمل بواسطة مقبض طويل يزين نهايته زخرفة نباتية ، والمبخرة مزينة بحزوز بسيطة اختفى معظمها نتيجة الحرق (لوح١٠) (شكل٨).

ومبخرة اخرى من النحاس[٢٥] ، تم العثور عليها في مدينة حربى الاثرية[٢٦]، تعود للفترة المحصورة بين القرن السادس او الثامن الهجري / الثاني عشر او الرابع عشر الميلادي[٢٧]، لاتزال تحمل اثار الحرق بداخلها ، اسطوانية الشكل ، يبلغ ارتفاعها(٤,٨سم) ، ذات فوهة واسعة دائرية الشكل ، يبلغ قطرها (٦,٥سم) ، تبرز قليلا الى الخارج ، يوجد على حافتها بروزان في وسطهما ثقبان دائريان لغرض الحمل او التعليق (لوح١١)(شكل٩).

ومبخرة اخرى من النحاس[٢٨] ، تعتبر من اجمل القطع الفنية الاسلامية ، ترجع الى للفترة الزمنية الممتدة ما بين القرن السابع الى الثامن الهجري / الثالث عشر او الرابع عشر الميلادي على الاغلب ، تتكون من ثلاث قطع ، القطعة الاولى ، وهي الخطاف الذي تعلق به المبخرة ، يبلغ ارتفاعه (١٢سم) ، وقطره (٦سم) ، وهو مكون من ثلاثة اجزاء ، الجزء الاول العلوي على شكل سنارة تعلق من خلالها المبخرة ، والجزء الثاني عبارة عن قطعة نحاسية صغيرة تنتهي من الطرفين بحلقة دائرية الشكل ، الغرض منها لربط الجزء العلوي(السنارة) بالجزء الاخير من الخطاف ، الذي عمل على شكل غطاء صغير مقبب ، ضم ستة ثقوب كبيرة نافذة ، تمثلت بثلاثة دوائر تحصر بينه ثلاثة اشكال ربما شرفات او صلبان

(لوح١٢)(شكل١٠) ، اما القسم الثاني الذي يمثل بدن المبخرة والذي صمم على شكل قبة[٢٩] تضيق من الاعلى بشكل ، ينتهي ببروز في قمته شكل بيضوي صغير ذو حلقة صغيرة ، استخدمت لربط بدن المبخرة بالكلاب. ويبلغ قطر بدن المبخرة حوالي(٢٣,٢سم) ، وهو مزين بنقوش وكتابات عربية مخرمة ومحلى بالمينا الملونة ، والكتابات جميلة تفصل فيما بينها اربعة دوائر كبيرة ، موزعة بالتساوي على البدن ، ضمت بداخلها زخارف عبارة عن اغصان وفروع نباتية ملتوية ، ونص الكتابة كما يلي(مما عمل برسم الخباب العالي ، المولوي المالكي ، الجمال الاشرقي ، الامير الكبير ايد عدي)[٣٠] ، وينتهي بدن المبخرة بحافة بارزة الى الخارج ، في اسفلها صف من المثلثات المتجاورة تلتف بصورة كاملة حول الجزء السفلي البارز من بدن المبخرة. اما القسم الاخير من المبخرة فيمثل قاعدة المبخرة وهي دائرية الشكل مخرمة بأشكال هندسية ، وتحتوي على تجويف دائري الشكل في وسطها ، لغرض وضع البخور والجمر بداخله ، يبلغ قطره (٨,٢سم) ، وارتفاعها(٥,٥سم) ، وهو مخرم بأشكال هندسية من الجوانب وعلى اطراف القاعدة يوجد ثلاث حلقات دائرية الشكل بارزة الغرض منها لربط القاعدة بالبدن بواسطة سلاسل التي على ما يبدو مفقودة[٣١] (لوح١٣) (شكل١١).

الهوامش

١- محفوظة بالمتحف العراقي ، بالرقم المتحفي ، (١/ ١١٢٤٣ – ع).

٢- حميد ، د. عبد العزيز ، "مشاهد دينية مسيحية على مجامر محفوظة في المتحف العراقي" ، مجلة النهرين ، العددان ٧٧- ٧٨ ، مطبعة الاديب البغدادية ، بغداد ، ١٩٩٢ ، ص٥٠.

٣- محفوظ بالمتحف العراقي ، بالرقم المتحفي ، (٢/ ١١٢٤٣-ع).

٤- حميد ، د. عيسى سلمان ، مبخرة تكريت ، موسوعة مدية تكريت ، دار الحرية للطباعة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٩٦ ، ج٢ ، ص٢٢٣-٢٢٤.

٥- حميد ، د. عبد العزيز ، مشاهد دينية ، ص٥١-٥٢.

٦- تم اقتناء هذه المبخرة من السيد عبد الرزاق خيرالله صالح وهو كاتب في متوسطة تكريت لقاء اكرامية ، بموجب قرار اللجنة الفنية المرقم (٢٨٣) في ١٩٧٢/٦/٦، وكان قد عثر عليها في مدينة تكريت.

٧- محفوظة بالمتحف العراقي ، بالرقم المتحفي (١١٢٣٥- ع).

٨- تم العثور عليها في مدينة بابل الاثرية ، بحفريات المصطبة . سجل حفريات بابل ، رقم السجل ٢٧/٢٥ ، تسلسل (٨٩) ، ١٩٧١-١٩٧٢ ، ص٢٠.

٩- محفوظة بالرقم المتحفي (Inv.no 7/1994).

www.Http://www.museumwnf.org/thematicgalle؛ EPM؛dn؛ Mus21؛ 10-itemld=object

2؛En&id=metalwork

١١- محفوظة بالمتحف العراقي بالرقم المتحفي (١٨٦٢٠٦- م ع).

١٢- مدينة بناها أبو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ)(٧٥٠-٧٥٤م)، أول خلفاء بني العباس قرب الانبار واقام بها حتى مات ودفن فيها ، واستخلفه المنصور(١٣٦-١٥٨هـ) (٧٥٤-٧٧٥م) ، فنزلها أيضا واكمل بناءها وزاد فيها على ما اراد ، ثم تحول عنها فبنى مدينة بغداد وسماها مدينة السلام ".(الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٣ ج٥ ، ص ٣٨٩). وتقع حاليا على بعد (٦٨كم) غرب العاصمة بغداد والى الشمال الغربي من مدينة الفلوجة ، وبالتحديد في ناحية الصقلاوية على ضفة نهر الفرات. الهيتي ، عدي دحام حماد ، الصناعات المحلية في هاشمية الانبار في ضوء التنقيبات الاثارية (دراسة آثارية – فنية) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ٢٠١٩ ، ص٦.

١٣- الصبيحاوي ، حيدر فرحان ، " فخاريات مدينة الانبار الاثرية تنقيبات الموسم الاول/١٩٩٩" ، مجلة سومر ، مج٥٣ ، ٢٠٠٦ ، ج١-٢ ، ص٤٢٩. وجدت المبخرة في النقطة الوسطية (ب) على عمق (٢,٢سم) ضمن المربع (H8) . سجل تنقيبات هاشمية الانبار ، رقم السجل (٨٣/٧) ، الموسم الثالث ، ٢٠٠٢ ، ص٢١٤.

١٤- عثر عليها في النقطة الوسطية (أ) ، على عمق (١,٥سم) ، ضمن المربع (H8). سجل تنقيبات محافظة الانبار – قضاء الفلوجة ، رقم السجل (٨٣/٧) ، الموسم الثالث ، ٢٠٠٢ ، تسلسل (١٠٥٣) ، ص٢٣١.

١٥- محفوظة بالمتحف العراقي بالرقم المتحفي (١٦٢٦٦٠-م ع).

١٦- تم العثور على العديد من المسكوكات ، اغلبيتها تعود الى العصر العباسي المتأخر ، (القرن السادس والسابع الهجريين).الصبيحاوي ، حيدر فرحان حسين ، الصناعات المعدنية في مدينة الانبار في القرنيين السادس والسابع الهجريين في ضوء التنقيبات الحديثة" ، مجلة الاستاذ ، عدد١٦٦ ، ٢٠١١ ص ٢٧٥. ضمن نفس المعثر في التل الشمالي وعلى عمق (٢م) . سجل تنقيبات مدينة الانبار ، رقم السجل (٨٣/٢)، ١٩٩٩ ، تسلسل (٤٠) ، ص٧.

١٧- وتعني الموصل القديمة ، تقع على بعد (٥٠كم) شمال غرب مدينة الموصل ، تبلغ مساحتها (٤٣٣دونم) ، وهي مقسمة الى قسمين ، الاول يعرف بالقلعة نسبة الى القلعة العثمانية ، والقسم

الثاني يشمل غرب وجنوب القلعة ، والمدينة يحدها من الشمال وادي المر الذي ينبع من قرية ابو ماريا ، ومن الشرق يحدها نهر دجلة ، ومن الجهات الاخرى تحيط بها المرتفعات الجبلية. آغا ، عبدالله امين ، بلد (اسكي موصل) ، تاريخها وآثارها مطابع الجمهور ، الموصل ، ١٩٧٤ ، ص١٣. سليمان ، برهان شاكر ، نتائج اعمال التنقيب في مدينة بلد (اسكي موصل) لعام ١٩٩٦ ، مجلة سومر ، المجلد الخمسون ، بغداد ، ١٩٩٩ ،ج١-٢ ، ص٢٥٠.حسين ، يونس سالم ، التنقيب في موقع بلد(اسكي موصل) لموسم ١٩٩٦ ، مجلة سومر ، مجلد٥٣ ، ٢٠٠٥-٢٠٠٦ ، ج١-٢ ، ص٣٨٧.

١٨- الهيأة العامة للآثار والتراث ، دائرة الدراسات والبحوث ، قسم التوثيق ، نتائج التنقيبات في مدينة بلد(اسكي موصل) ، ١٣ /هـ ت ، ١٩٩٨ ، ص١.

١٩- محفوظة بالمتحف العراقي بالرقم المتحفي (١٥٥٣٨٠- م ع).

٢٠- محفوظة بالمتحف العراقي بالرقم المتحفي (١٥٥٣٨١-م ع).

٢١- المبخرتان تم العثور عليهما في البيت الثاني ، الغرفة الاولى ، دفن الغرفة الشرقية ، سجل تنقيبات مدينة بلد (اسكي موصل) ، رقم السجل (١٥٣/٩) ، ١٩٩٨، ص١٠٠.

٢٢- محفوظة بالمتحف العراقي بالرقم المتحفي(١٨٧٠٥٣- م ع).

٢٣- تقع على الطريق العام ، بين بغداد وسامراء ، وعلى بعد (٥كم) غرب قضاء بلد ، على الضفة الغربية ، لنهر دجلة القديم ، الذي يعرف بالوقت الحاضر بالشطيط . الصبيحاوي والدجيلي ، حيدر فرحان وحسين عبيد، مدينة حربى الاسلامية (دراسة تاريخية آثارية) ، مطبعة دار الحوراء ، بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص١٣.

٢٤- رشيد ، علي رائد ، المكتشفات الأثرية المعدنية في مدينة حربى في ضوء التنقيبات الآثارية ، رسالة ماجستير غير منشوره مقدمة الى مجلس كلية الأداب ، جامعة بغداد ، ٢٠١٩ ، ص٤٦-٤٧.

٢٥- محفوظة بالمتحف العراقي بالرقم المتحفي(١٩٥٤٩٩- م ع).

٢٦- في النقطة الثانية على عمق (٢,٢٥م) . سجل تنقيبات مدينة حربى الاثرية ، رقم السجل (١٤٤/١٥) ، الموسم الرابع ، ٢٠٠٢ ، تسلسل(٥١٩٦) ، ص٢٩.

٢٧- تم تحديد تاريخ المبخرة استناداً الى ما تم العثور عليه من مسكوكات مختلفة خلال التنقيبات ، منها خمسون ديناراُ ذهبياً ، سكت زمن الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ) (١١٨٠- ١٢٢٥ م) ، فضلاً عن الدراهم الفضية الأيلخانية (٦٥٦- ٧٣٨هـ) (١٢٥٨-١٣٣٨م) والجلائرية (٧٣٨-٨١٣هـ)(١٣٣٨- ١٤١٠م) ،. الهيأة العامة للآثار والتراث ، دائرة الدراسات والبحوث ، قسم التوثيق ، نتائج تنقيبات مدينة حربى الأثرية ، الموسم الرابع ، ٢٠٠٢ ، ص١٤-١٥-١٦.

٢٨- محفوظة بالمتحف العراقي بالرقم المتحفي (٥٨٥٢-ع).

٢٩- ظهرت صناعة المباخر المقببة ، في مدينة الموصل ، اذ اشتهرت مدينة الموصل بهذه الصناعة ، وكان العديد من منتوجاتهم تصدر الى الخارج ، وهي تحمل كتابات بأسماء الاشخاص التي من اجلهم صنعت هذه المباخر. وارد ، راشيل ، الاعمال المعدنية الاسلامية ، ترجمة: ليديا البريدي ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، ١٩٩٨، ص٩٨ .

٣٠- بعض كلمات هذا النص (المولوي ، المالكي) ظهرت على ابريق من النحاس من صناعة الموصل في القرن السابع الهجري ، محفوظ بمتحف كليفلاند ، وهو مزين بزخارف وكتابات مطعمة بالفضة. العبيدي ، د. صلاح حسين ، الفنون الزخرفية العربية الاسلامية ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص٢٨.

٣١- تم اقتناء المبخرة عن طريق الشراء من السيد عبد الكريم جارالله. السجل العربي من(٣٠٠١-٦٠٠٠-ع) ، (٢/٢) ، تاريخ التسجيل ١٩٤٠/٢/١٨.

المصادر

١- آغا ، عبدالله امين ، بلد (اسكي موصل) ، تاريخها وآثارها ، مطابع الجمهور ، الموصل ، ١٩٧٤.

٢- حميد ، عبد العزيز ، مشاهد دينية مسيحية على مجامر محفوظة في المتحف العراقي ، مجلة النهرين ، العددان ٧٧- ٧٨ ، مطبعة الاديب البغدادية ، بغداد ، ١٩٩٢ ، ص٥٠.

٣- حميد ، عيسى سلمان ، مبخرة تكريت ، موسوعة مدية تكريت ، دار الحرية للطباعة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٩٦ ، ج٢ ، ص٢٢٣-٢٢٤.

٤- الحموي ، شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (ت:٦٢٦هـ-١٢٢٧م) ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٣ ، ج٥ ، ص ٣٨٩.

٥- رشيد ، علي رائد ، المكتشفات الأثرية المعدنية في مدينة حربى في ضوء التنقيبات الآثارية ، رسالة ماجستير غير منشوره مقدمة الى مجلس كلية الأداب ، جامعة بغداد ، ٢٠١٩.

٦- سجل حفريات بابل ، رقم السجل ٢٧/٢٥ ، تسلسل (٨٩) ، ١٩٧١-١٩٧٢ ، ص٢٠.

٧- سجل تنقيبات محافظة الانبار – قضاء الفلوجة ، رقم السجل (٧/٨٣) ، الموسم الثالث ، ٢٠٠٢ ، تسلسل (١٠٥٣) ، ص٢٣١.
٨- سجل تنقيبات مدينة الانبار ، رقم السجل (٨٣/٢)، ١٩٩٩ ، تسلسل (٤٠) ، ص٧.
٩- سجل تنقيبات مدينة بلد (اسكي موصل) ، رقم السجل (١٥٣/٩) ، ١٩٩٨، ص١٠٠.
١٠- سجل تنقيبات مدينة حربى الاثرية ، رقم السجل (١٤٤/١٥) ، الموسم الرابع ، ٢٠٠٢ ، تسلسل(٥١٩٦) ، ص٢٩.
١١- سليمان ، برهان شاكر ، نتائج اعمال التنقيب في مدينة بلد (اسكي موصل) لعام ١٩٩٦ ، مجلة سومر ، المجلد الخمسون ، بغداد ، ١٩٩٩ ،ج١-٢.
١٢- الصبيحاوي ، حيدر فرحان ، " فخاريات مدينة الانبار الاثرية تنقيبات الموسم الاول/١٩٩٩" ، مجلة سومر ، مج٥٣ ، ٢٠٠٦ ، ج١-٢ ، ص٤٢٩
١٣- _____ ، المسارج الاسلامية في المتحف العراقي غير المنشورة ، رسالة ماجستير غير منشورة في الاثار مقدمة الى مجلس كلية الآداب ، جامعة بغداد ،١٩٩٧.
١٤- الصبيحاوي والدجيلي ، حيدر فرحان وحسين عبيد، مدينة حربى الاسلامية (دراسة تاريخية آثارية) ، مطبعة دار الحوراء ، بغداد ، ٢٠٠٧.
١٥- العبيدي ، صلاح حسين ، الفنون الزخرفية العربية الاسلامية ، بغداد ، ١٩٨٧.
١٦- الهيتي ، عدي دحام حماد ، الصناعات المحلية في هاشمية الانبار في ضوء التنقيبات الاثارية (دراسة آثارية – فنية) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ٢٠١٩ ، ص٦.
١٧- الهيأة العامة للآثار والتراث ، دائرة الدراسات والبحوث ، قسم التوثيق ، نتائج التنقيبات في مدينة بلد(اسكي موصل) ، ١٣ /هـ ت ، ١٩٩٨.
١٨- الهيأة العامة للآثار والتراث ، دائرة الدراسات والبحوث ، قسم التوثيق ، نتائج تنقيبات مدينة حربى الأثرية ، الموسم الرابع ، ٢٠٠٢.

١٩- وارد ، راشيل ، الاعمال المعدنية الاسلامية ، ترجمة: ليديا البريدي ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، ١٩٩٨.

٢٠- يونس سالم ، التنقيب في موقع بلد(اسكي موصل) لموسم ١٩٩٦ ، مجلة سومر ، مجلد٥٣ ، ٢٠٠٥-٢٠٠٦ ، ج١-٢.

www.http://www.museumwnf.org/thematicgalle؛ EPM؛dn
22-itemld=object
؛2؛En&id=metalwork
؛Mus21

الالواح والاشكال



لوح رقم -١-



شكل رقم – ١-



لوح رقم-٢-



شكل رقم-٢-



لوح رقم –٣–



شكل رقم–٣–



لوح رقم–٤–



لوح رقم–٥–



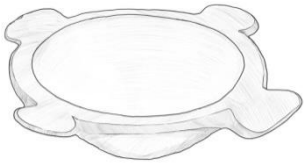
لوح رقم –٦–



شكل رقم–٤–



لوح رقم–٧–



شكل رقم–٥–



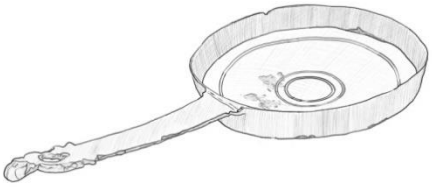
لوح رقم–٨–



شكل رقم–٦–



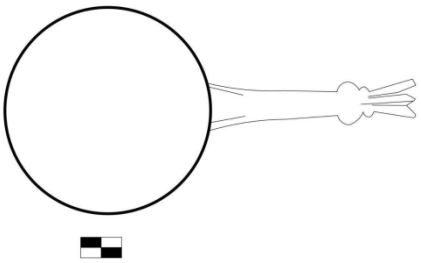
لوح رقم -٩-



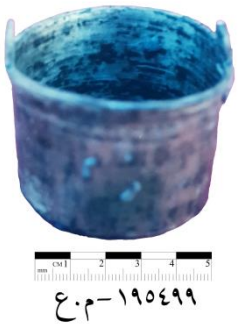
شكل رقم -٧-



لوح رقم -١٠-



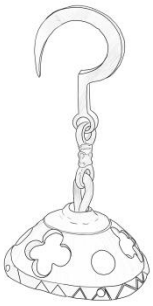
شكل رقم -٨-



لوح رقم -١١-



شكل رقم -٩-



شكل رقم –١٠–



لوح رقم –١٢–



شكل رقم –١١–



لوح رقم –١٣–

واقع التعليم في لبنان(١٩٤٣-١٩٥٨)

الطالبة :رئام صاحب علي

أ.د. سعد نصيف جاسم

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

واقع التعليم في لبنان(١٩٤٣-١٩٥٨)

الطالبة :رئام صاحب علي

أ.د. سعد نصيف جاسم

المقدمة

تعد الحركة التعليمية من أبرز مظاهر ومقدمات التطور الفكري والحضاري والانساني، بالإضافة الى انها تساهم في تقوية الوعي والنهوض الفكري للأجيال الناشئة للقيام بدورها الرئيسي في بناء الدولة الحديثة وتوطيد الوحدة الوطنية ونشر العلم والمعارف فان النظام التربوي اعطى للطوائف استقلالها في قطاع التربية والتعليم مما ادى الى حدوث تنافر بين مختلف طوائف الشعب اللبناني بسبب اختلاف الانتماءات الفكرية والثقافية واخذ ذلك التنافر يزداد حتى أصبح النظام عاجزاً عن كبح هذه القوى التي شكلت لقيامه.

ان نمو القطاع التعليمي الخاص على حساب القطاع الرسمي يخفي وراءه انتماءات فكرية وثقافية متباينة ومتنافرة ادت الى تفتيت المجتمع وخلقت دويلات ثقافية الى جانب الدويلات الطائفية القائمة، التي تتداخل فيها وتشكل القاعدة العقائدية لها.

ومما ينبغي الإشارة اليه، اعتمدت في البحث على العديد من المصادر وفي مقدمتها كتاب المدلول الطائفي لنظام الحكم في لبنان ١٩٤٣-١٩٥٢ الجزء الثاني لمؤلفه محمد خير حسين الحجار، بالإضافة الى أطروحة الدكتوراه بعنوان الحركة الفكرية في لبنان ١٩٢٠-١٩٥٨ للباحث عداي مجيد حوران التي اغنت البحث بالمعلومات القيمة.

اولاً: المؤسسة التعليمية في لبنان ١٩٤٣-١٩٥٨

مثلت الحركة التعليمية في لبنان المؤسسة الرئيسية التي تعد الاجيال الناشئة للقيام بأدوارها الاجتماعية والثقافية والمهنية والفكرية والسياسية في المجتمع، بالإضافة الى دورها في بناء الدولة الحديثة فتكسبها المعارف وتنمي القيم والمواقف[١].

من الضروري ان نشير الى، ان هناك علاقة وطيدة بين تاريخ لبنان وتاريخ التعليم فيه، نظراً لاهتمام اللبنانين بهذه الناحية الانسانية والحضارية منذ اقدم العصور وان التمعن

بنظرة متأنية وعلى مكث في واقع الانشطة التربوية التعليمية يظهر مدى شدة الصراع الثقافي والتربوي بين الجماعات الطائفية وتأثير ذلك على تفاعلات التركيب البنيوي للمجتمع اللبناني المعاصر، حيث توالت على المجتمع اللبناني عوامل متنوعة تميزت بانفتاح اللبنانيين على الخارج وافرزت نظاماً تعليمياً جاء نتيجة التطور الذي شمل حقل التربية والتعليم نلتمس من خلاله بصمات الواقع الطائفي للبنان(٢).

اختلفت الحركة التعليمية في لبنان عن غيرها من البلدان العربية، فأن معظمه تعليم خاص هيمن على التعليم الرسمي تنازعه الثقافات الاجنبية من فرنسية والانكلو–امريكية ويشرف عليها مؤسسات دينية أو هيئات غير حكومية ويقف في وجهها الثقافة العربية، وتعد الثقافة الفرنسية اقوى الثقافات الاجنبية في لبنان، التي اخذت تنازع وتنافس اللغة العربية في الحديث العامي عند بعض الفئات اللبنانية(٣).

وعندما وضع الدستور اللبناني إبان فترة الانتداب، كرس حرية التعليم، وحرية انشاء المدارس الخاصة، ولاسيما الدينية منها، التي كانت في غالبيتها طائفية(٤) فجاءت المادة العاشرة من الدستور تكرس حرية التعليم بصورة عامة من جهة وحق كل طائفة في فتح مدارسها وادارتها، ضمن اطار الانظمة النافذة بصورة خاصة من جهة اخرى(٥).

وبتعبير ادق، اصبحت المدارس اللبنانية اداة تمييز طائفي، وظيفي، اقليمي، اجتماعي اثرت تأثير كبير في انقسام المجتمع اللبناني على المستويين التربوي والاجتماعي(٦).

ومع بداية الانتداب كانت المؤسسات التعليمية الفرنسية الرائدة للنفوذ الفرنسي في لبنان وسوريا، فأن أغلب المتعلمين في هذين البلدين كانوا يتقنون اللغة الفرنسية فبذلك استطاع الفرنسيون ان يمهدوا في السيطرة على القطاع الفكري والثقافي(٧)، وان تركيز الفرنسيين على الثقافة الفرنسية في لبنان ومحاولتهم تغريب الطلبة اللبنانيين عن محيطه العربي الذي يعيش فيه كطالب له تراثه وحضارته لهما اثر سلبي على مستقبل لبنان وطلبتها الذين تلقوا علومهم في تلك المدارس، فأن اول ما فكرت فيه الارساليات الفرنسية عندما امن هذه البلاد هو نشرها الفضائل التي تحلى بها ملوكها ورجالها العسكريون فكان لهذا اثر كبير في تفكير المسيحين(٨).

اتبعت الحكومة الفرنسية سياسة ذات وجهين: الاول اختص بتنظيم المناهج وتحديد مضامين التعليم ومستوياته والتأكيد على الالتزام بتعليم اللغة الفرنسية تمهيداً لإشاعة الثقافة الفرنسية وحجب الثقافة العربية، اما الوجه الثاني فترك الحبل على الغارب بالنسبة لحرية فكر كل طائفة في افتتاح المدارس الخاصة بها وكان قصد الحكومة من ذلك طبع التعليم بالطابع الفرنسي والتخفيف عن كاهلها من ثقل الاعباء المالية التي يقتضيها توسيع التعليم وكان من نتائج هذه السياسة ان تكاثر اعداد المدارس وازداد الاقبال على التعليم بمعدلات كبيرة لكن دون ان يؤدي ذلك الى التقريب بين فئات المجتمع اللبناني، فكان هناك فارق كبير بين حجم كل من الانواع الثلاث من التعليم (الحكومي والاهلي والاجنبي) وبقي كل نوع يستقطب فئات وطوائف مختلفة من اللبنانيين[٩] مما قسم المجتمع اللبناني تربوياً وتعليمياً وثقافياً[١٠].

ساعد على ذلك المادة ال(١٠)[١١] من الدستور اللبناني الذي منح لكل طائفة الحق في انشاء مدارس خاصة بها وفقاً للأنظمة العامة السائدة في لبنان، ونتج عن ذلك انتشار التعليم الاهلي الخاص واضعاف التعليم الحكومي[١٢].

نتيجة لذلك، اهتمت السلطات الفرنسية في التعليم الخاص فأرتفع عدد تلك المدارس من (٩٩٣) عام ١٩٢١ الى (١٣٤١) عام ١٩٣٩، مقابل الدعم المادي الكبير للمدارس الخاصة، كان التعليم الرسمي حسب ما تسمح به مداخيل الدولة من اعتمادات، هذه المداخيل كانت تعاني من انخفاضاً مستمراً في موازنات التعليم الرسمي التي بلغت عام ١٩٢١(٧,٣%) من الميزانية العامة واستمرت بالانخفاض حتى بلغت (٤,٠٢%) عام ١٩٢٧ ثم ارتفعت قليلاً حتى عام ١٩٣٥ لتعود الى (٧,٥%) وظلت تراوح حول (٨%) حتى عام ١٩٤٣ حين بلغت (٨,٣%)، وبهذا احتل التعليم الرسمي المرتبة الثانية بعد التعليم الخاص كانت غاية الدولة المنتدبة من ذلك هو تمكين أبناء الطوائف الذين لم تحتضنهم مدارس الطوائف الانتقال من الامية الى امتلاك مهارات القراءة والكتابة والحساب, ولاسيما باللغة الفرنسية ليسهل ربطهم بإدارة الانتداب واجراءاتها مما يسهل انخراطهم في مشروعها، وان احصاء عام ١٩٣٢ يشير الى ان نسبة الامية في لبنان بلغت (٥٤%) وارتفعت هذه النسبة في المناطق التي الحقت بلبنان والتي كانت معظم سكانها من المسلمين، فبلغت عند

الشيعة (٨٤%) وعند السنة (٦٦%) اما عند الموارنة فبلغت (٤٨%) وعند الكاثوليك (٣٩%)[١٣].

بقيت هذه الفروقات في نسبة الامية واضحة حتى اواخر العهد الانتدابي كما في الاحصاءات الفرنسية التي اجريت عام ١٩٤٢-١٩٤٣: (٣١.٥%) عند الطوائف المسيحية الكاثوليكية و (٦٨,٩%) عند الشيعة و(٤٧%) عند السنة و (٣٥,٦%) عند الدروز[١٤] ونلاحظ ان السياسة الفرنسية التعليمية كانت تقوم على دعم التعليم الخاص المحلي والاجنبي[١٥].

هكذا اسهمت المدارس الخاصة بفرعيها الاجنبية والمحلية اسهاماً فعالاً في توسيع الحركة التعليمية في لبنان، الا انها اتخذت من اللغة الفرنسية اساساً في التعليم، فاستطاعت السلطات الفرنسية ملئ وظائف كثيرة بواسطة خريجي هذه المدارس[١٦].

وعندما انبثق عهد الاستقلال واجهت الحكومة اللبنانية مشاكل عدة في تربية النشئ اللبناني تربية تتطابق مع روح الاستقلال والحرية والسيادة[١٧] نتيجة لذلك، حاولت حكومة الاستقلال الاولى برئاسة بشارة الخوري ان ترسم لنفسها سياسة تربوية تعليمية جديدة غايتها توحيد كافة الاتجاهات التربوية في جميع المدارس اللبنانية، وحدد البيان الوزاري لحكومة رياض الصلح الاولى في ٧ تشرين الاول عام ١٩٤٣ هذا التوجيه بالعبارات التالية: "وتتجه انظار الحكومة الحاضرة نحو التبعات الجسام التي يفرضها عهد الاستقلال الحالي في شتى مبادئ التربية الوطنية فتسعى الحكومة بأن تربي النشء تربية وطنية صحيحة، وبأن يوجه منذ الآن توجيهاً صحيحاً نحو الحرية والعزة والاستقلال ونتخذ الوسائل اللازمة لتعزيز اللغة العربية لغة الوطن اللبناني في جميع المعاهد الموجودة في بلادنا وفي جميع فروع التعليم... وسنجعل التعليم الابتدائي اجبارياً ونعمل على نشره وتعميمه في القرى اللبنانية حتى يقضي على الامية قضاء تاماً"[١٨].

ومما سبق يبدو واضحاً، ان القطاع التعليمي في لبنان مع بدابة الاستقلال لم يكن افضل من عهد الانتداب الفرنسي[١٩] لذلك اخذ رجال الحركة الفكرية ومنهم اسكندر الرياشي[٢٠] وسليم خياطة[٢١] يدعون الحكومة الى الاهتمام بقطاع التعليم لما له اهمية في تطوير البلاد، والقضاء على الامية التي تعتبر حجر عثر امام تقدم الانسان وتحسين

اوضاعه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وقد بين بعض المفكرين عن طريق صحفهم الى ارتفاع نسب الامية في المجتمعات العربية ولاسيما لبنان، لذلك اكدوا ان هناك صراع فكري بين حقوق كل امة مهتمة بصيانة قيمها الوطنية والحفاظ عليها وحقوق كل انسان في اكتساب التعليم الحر وما ينتج عنه من افكار رائدة في الفنون والعلوم والآداب التي تساعد على نهوض وبناء دولة حديثة موحدة علمياً في كافة الاختصاصات العلمية، لذلك حاول المفكرين من خلال أبياتهم القيام بحملة واسعة للتخفيف من نسبة الامية[٢٢] التي ظلت مرتفعة جداُ، ولاسيما بين الطبقات الفقيرة[٢٣] بالإضافة الى ارتفاع نسبتها بالأوساط الاسلامية عن الاوساط المسيحية، والجدول التالي يمثل نسبة الاميين المسلمين والمسيحيين في المجتمع اللبناني عام ١٩٤٤:

جدول رقم(١) [٢٤]

	رجال	نساء	بنين	بنات
الطائفة المسيحية	%٢٣	%٤٥	%٢٢	%٢٩
الطائفة الاسلامية	%٣٩	%٦٩	%٢٨	%٣٣

ويتبين من خلال الجدول اعلاه ان نسبة الامية مرتفعة عند الطائفة الاسلامية، ولاسيما عند الرجال والصبيان، وهذا يعود الى الحالة الاقتصادية المزرية التي كانت تسود مناطق عيشهم واضطرار معظم الاولاد بعمر الدراسة ترك مدارسهم وذهابهم للعمل[٢٥].

ثانياً: بنية التعليم في لبنان

ينقسم التعليم في لبنان الى قسمين:

١-التعليم الرسمي: هو التعليم الذي تشرف عليه الدولة بواسطة وزارة التربية الوطنية، وكان اغلب طلابه من الفئات المسلمة.

٢-التعليم الخاص: هو التعليم الذي لا يقوم على كاهل الدولة، وانما يقوم به الافراد وتقوم به مؤسسات غير حكومية او جمعيات خيرية او طوائف دينية مجاز لها من قبل وزارة التربية الوطنية، وذلك تحقيقاً لأهدافها المادية ورغبة في قضاء حاجات الطوائف الدينية[٢٦].

اما مراحل التعليم، فتشمل (التعليم الابتدائي، التعليم الثانوي، التعليم الجامعي):[٢٧]

وفيما يخص التعليم الابتدائي، فقد حافظ لبنان خلال الحقبة (١٩٤٣–١٩٥٨) على الوضع التربوي من حيث تشكيلات المدارس الاساسية، الا انه اختط لنفسه سياسة تربوية جديدة اراد من خلالها زيادة اعداد المدارس الرسمية والخاصة، تمهيداً لإلزامية التعليم، ولما كانت اغلب المدارس خاصة تكلف الاهالي نفقات باهظة، والزامية التعليم يقتضي مجانيته اقدمت على تلك الخطوة لتؤمن تعليم كافة الاميين ولتستطيع فرض التعليم ولديها وسائل كافية[٢٨] لذلك تطور عدد المدارس والتلاميذ في المدارس الرسمية والخاصة ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الجدول التالي:

جدول رقم(٢) [٢٩]

السنة الدراسية	التعليم الرسمي		التعليم الاهلي		التعليم الاجنبي	
	المدارس	التلاميذ	المدارس	التلاميذ	المدارس	التلاميذ
١٩٤٣-١٩٤٤	٣٠٤	٢٦٣١٠	٩٥٣	٧٢٦١٧	٣٢٦	٤٦٧٢٦
١٩٤٤-١٩٤٥	٣٠٨	٣٠١١٣	٩٦٣	٧١٥٢٤	٣٢٦	٤٨٣٣٧
١٩٤٥-١٩٤٦	٤٥٥	٤١٤٢٣	٨٩٢	٦٥٤٦٩	٣١١	٥٠٠١٣
١٩٤٦-١٩٤٧	٦٣١	٥٣١٩٠	٨١٥	٦٤٧٦٩	٣٠٦	٥٠١١١
١٩٤٧-١٩٤٨	٦٣٦	٥٥٦١٢	٨١٩	٦٨٩٤٧	٢٧٥	٤٨٧٩٤
١٩٤٨-١٩٤٩	٧٤٣	٦٠٩٠٥	٨٠٨	٧٥٤٧٥	٢٧٩	٥٣٢٠٨
١٩٤٩-١٩٥٠	٨٣٦	٧٠١٩١	٧٢٢	٨١٩٩٦	١٩٧	٤٥٧٦٥
١٩٥٠-١٩٥١	٩٩٧	٨٤٤٤٦	٦٤٣	٨٧١١٩	١٤٨	٤٤٢٠١
١٩٥١-١٩٥٢	١٠٩٢	٩٨٦١٩	٦٠٣	٨٥٧٣٨	١٥٢	٤٢٢٥٢
١٩٥٢-١٩٥٣	١٠٧٠	١٠٢٧١٠	٦٥٠	٨٩٢٠٧	١٤٠	٤٠١١٠
١٩٥٣-١٩٥٤	١٠٧٠	١٠٨٢٥٧	٦٥٠	٩٣٧٠٣	١٤٠	٣٩٠٧٠
١٩٥٤-١٩٥٥	١٠٥٤	١١٢٧٨٩	٧٢٠	٩٥٦٦٩	٩٣	٣٧٤٢٠
١٩٥٥-١٩٥٦	١١٠٨	١٠٢٧٣٨	٩١٧	١١٠٩٦٦	١١١	٣٩١٤٨
١٩٥٦-١٩٥٧	١٠٣٩	٨٨٤٣٨	٩٢٤	١٢٨٧٨٩	١٠٤	٢١٣٢٥
١٩٥٧-١٩٥٨	١٠٦٥	٨٩٣٧٠	٩٤١	١٣١٠٤٠	١٠٤	٢٢٢٤٧

ومن خلال الجدول اعلاه، نلاحظ انتشار التعليم الرسمي الابتدائي وازدياد الاقبال على المدارس الرسمية، فبعد ان كان عدد المدارس الرسمية (٣٠٤) بداية الاستقلال ارتفعت الى (١٠٦٥) مدرسة عام ١٩٥٨ بالإضافة الى ازدياد عدد تلامذتها، ووصلت هذه المدارس الى القرى النائية والارياف اللبنانية فارتفعت نسبة التلاميذ اللذين نالوا تعليماً ابتدائياً في قرية (بحنين والقلمون) الى ٢٣,٥%، اما اللذين وصلوا الى المرحلة الجامعية فبلغت نسبتهم حوالي٩% وبذلك نلاحظ تبدل المفاهيم القروية في الريف اللبناني من حيث النظرة الى التعليم عامة وتعليم الاناث خاصة[٣٠] وازاء ذلك كانت المدارس الخاصة والاجنبية في هذه القرى تتقلص شيئاً فشيء لتركيز اهتمامها على التعليم الثانوي والمتوسط في المدن اللبنانية[٣١].

ومن الضروري ان نشير، ان في فترة الاربعينيات حدثت زيارات طلابية بين لبنان والعراق للقيام بمباريات رياضية بين الفريقين[٣٢] فضلاً عن قيام بعض اساتذة لبنان بالتدريس في المعاهد العراقية العالية مستجيبة بذلك لطلب وزارة المعارف العراقية[٣٣].

وبالرغم من تطور التعليم الرسمي خلال الفترة (١٩٤٣–١٩٥٨) والذي اقتصر فعلياً على شكله الابتدائي، فقد بقي التعليم الخاص الاجنبي والاهلي يهيمن بشكل واضح على التعليم الابتدائي في لبنان والجدول التالي يوضح توزيع المدارس والتلاميذ في التعليم الرسمي والخاص على المحافظات اللبنانية خلال العام الدراسي (١٩٥٥–١٩٥٦):

جدول رقم(٣) [٣٤]

المحافظة	التعليم الرسمي		التعليم الخاص	
	عدد المدارس	عدد التلاميذ	عدد المدارس	عدد التلاميذ
بيروت	٢٧	١١٩٨٨	٢١٢	٦١٦٤٧
جبل لبنان	١٧٥	٢٤٥٦٣	٤٣٠	٤٤٦٢١
البقاع	٣٦٨	١٥٩٠٠	١٢٧	١٢٩٣٦
لبنان الجنوبي	٢٥٧	٢١٩٦٤	٨٢	٩١٥٥
لبنان الشمالي	٢٨١	٢٨٣٢٣	١٧٣	٢١٦٩٥
المجموع	١١٠٨	١٠٢٧٣٨	١٠٢٨	١٥٠١١٤

ومما سبق يبدو واضحاً، ان التعليم الرسمي اتسع بشكل كبير في المرحلة الابتدائية وكان هذا التعليم من نصيب الفئات المسلمة، اما الطوائف المسيحية فنظراً لحالتهم المادية الجيدة بقيت تلتحق بالمدارس الخاصة وان اغلب المدارس الرسمية كانت تتركز في الارياف اللبنانية[٣٥] وان نسبة المنتسبين الى التعليم الرسمي في محافظات الشمال والجنوب والبقاع بلغت (٦٤,٤)% عام ١٩٥٦ وهذا يعني ان الريف اللبناني غلب عليه طابع التعليم الرسمي بشكله الابتدائي وان اكثر التلاميذ التابعيين للمدارس الرسمية هم من عوائل عمالية وفلاحية ليست لديهم قدرة على تحمل نفقات التعليم الخاص لذلك كان اكثرهم يضطر الى التوقف عن الدراسة حال حصوله على شهادة الابتدائية بسبب سيطرة التعليم الخاص على المدارس الثانوية وما كان يتطلبه ذلك التعليم من نفقات باهظة[٣٦].

وفي ضوء ذلك، استقطبت بيروت وحدها عام ١٩٤٦ (٤١)% من اعداد التلاميذ المنتسبين الى التعليم الخاص بينما هبطت هذه النسبة الى (١١,٦)% في التعليم الرسمي وهذا يعكس الوجه الطبقي لمدينة بيروت التي اصبحت المركز الرئيسي للدولة، وان مسألة الاستيعاب كانت ترتبط بقضية السن الدراسي في المرحلة الابتدائية فليس المهم ان يكون في الصفوف الابتدائية عدد كبير من التلامذة من جميع الاعمار، انما المهم ان يكون فيها جميع التلامذة الذين هم في السن القانوني للدراسة الابتدائية وان السن القانوني هو السادسة للصف الاول ثم ترتفع كل صف، وفي عام ١٩٥٥ بلغ عدد التلاميذ الذين تجاوزوا السن القانوني في كافة مدارس لبنان الابتدائية (٦٩)%[٣٧] وبالرغم من تطور التعليم الرسمي والخاص خلال الفترة (١٩٤٣–١٩٥٨) الا ان المدارس الابتدائية كانت عاجزة عن استيعاب (٥٢٠٠٠) الف صبي وفتاة كانوا بدون مدارس حتى عام ١٩٥٨ اي بنسبة ١٣% من السكان الذين هم في سن التعليم[٣٨].

اما التعليم الثانوي، فكان حتى بداية الاستقلال جميعها خاصة اهلية واجنبية وحتى عام ١٩٥١ لم يكن للحكومة اللبنانية مدارس ثانوية، اذ كان التعليم الثانوي تحت سيطرة المدارس الخاصة، وكان دور وزارة التربية الوطنية يقف عند حد اعداد الامتحانات الرسمية حسب المنهاج الرسمي وفي عام ١٩٥٢ انشأت وزارة التربية الوطنية ثلاث مدارس ثانوية

رسمية اثنان للذكور وواحدة للإناث، والجدول ادناه يوضح تطور عدد المدارس والتلاميذ في المدارس الثانوية

جدول رقم(٤) [٣٩]

السنة الدراسية	مدارس ثانوية رسمية		مدارس ثانوية خاصة	
	عدد المدارس	عدد التلاميذ	عدد المدارس	عدد التلاميذ
١٩٥١-١٩٥٢	٣	٦٦٨	٧٧	٣١٥١
١٩٥٨-١٩٥٩	١٠	٢٨٥٠	١٢٢	٣٧٥٥٠

ويتضح من خلال الجدول، ان التعليم الثانوي بقي حتى عام ١٩٥٨ خاضع لهيمنة التعليم الخاص (الاهلي والاجنبي) بشكل كامل تقريباً، اذ شكل التعليم الثانوي الرسمي في الفترة الدراسية (١٩٥١-١٩٥٢) نسبة (١,٧%) من مجمل التعليم الثانوي في لبنان[٤٠].

وفيما يخص التعليم الجامعي، يجمل قسطنطين زريق [٤١] وظائف الجامعة المتعددة بثلاث وظائف رئيسية: التعليم والتربية، البحث عن الحقيقة لأنماء تراث المعرفة، خدمة المجتمع وتزويده بالعناصر البشرية المدربة والمثقفة التي يحتاج اليها وبالإسهام في شتى وسائل تطوره الاخرى، وبإيجاز: تعليم، بحث، خدمة عامة[٤٢].

وقد اسهمت الجامعات اللبنانية بالنهوض العلمي في لبنان، نتيجة لما قدمته تلك المؤسسات التعليمية من بيئة ومناخ ثقافي فكري، برزت ثمرته في تخريج الكثير من العلماء والمفكرين والادباء والساسة[٤٣] والجدير بالذكر، ان جميع اللذين شغلوا منصب رئاسة الجمهورية اللبنانية قبل الانتداب وبعده كانوا من خريجي المدارس اليسوعية التابعة لجامعة القديس يوسف اليسوعية بشكل عام وكلية الحقوق بشكل خاص، فكانت الاغلبية من الوزراء والمفكرين والمدراء وكبار موظفي الادارة واطباء ومحامين ومعلمين واساتذة هم من بين خريجي هذه الجامعة، فمثلاً تخرج من كلية الحقوق في الجامعة اليسوعية (٦٥٢) طالباً حتى

عام ١٩٤٧، منهم (٣٩٠) لبنانياً و(١١٦) سورياً و(٢١) فرنسياً و(١٢٥) طالباً من تسع جنسيات مختلفة وشغل هؤلاء الخريجين المناصب المرموقة في الدولة والادارة الاستقلالية قي لبنان[٤٤].

شغل منصب رئاسة الجامعة الدكتور بيادر جورج (Bayard Dodge)[٤٥] الذي استمر في منصبه حتى عام ١٩٤٨ وخلفه بعد ذلك ستيفن بنرو(stephen B.L. penrose) [٤٦] الذي بقي في منصبه حتى وفاته عام ١٩٥٤ وتولى بعده قسطنطين زريق بالوكالة وبقي فيها حتى عام ١٩٥٧ فجاء بعده جان بول لينارد(J. Paul Leonard) [٤٧] الذي اكد ان اهم مهام الجامعة ان تجاري الزمن فيما يتعلق بحاجات الطلاب والبيئات التي تخدمها[٤٨].

ومن الملاحظ، ان بيروت تعرفت الى الجامعة كمؤسسة للتعليم العالي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث قام الاجانب من تأسيس فروع التعليم العالي، فكانت لاحقاً الجامعة الامريكية[٤٩] وجامعة القديس يوسف (الجامعة اليسوعية)[٥٠]، ولم تنشأ الجامعات والمعاهد والكليات الاخرى الا في الاربعينيات من القرن العشرين، فقد اعطي الكسي بطرس[٥١] في ١٥ آيار عام ١٩٤٣ رخصة فتح الاكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة[٥٢] وهي اول مؤسسة اهلية للتعليم العالي في لبنان، حيث اعتبرت هذه الاكاديمية من المنافع العامة بموجب المرسوم رقم (٢٢٠٥) الصادر عام ١٩٤٤ واصبح وزير التربية يوقع شهاداتها النهائية بعد ان تشرف وزارة التربية الوطنية على الامتحانات التي تقيمها الاكاديمية لهذه الغاية[٥٣] اما الجامعة الامريكية لعبت دوراً بارزاً في الحركة التعليمية فقد ساعدت على توسيع مدارك العقول فساهمت بدور رائد بالحركة التعليمية، فلم يقتصر دورها على لبنان فقط وانما شمل العراق ومصر وفلسطين وشرقي الاردن وبلدان اخرى وتشير بعض الاحصائيات ان تعداد الاساتذة في الجامعة الامريكية بلغ بين عامي (١٩٢٧-١٩٢٨) (٢١٤) استاذاً بينهم (٨٤) استاذاً عربياً وتجاوز تعداد الطلاب فيها للعام نفسه (١١١٧) طالباً، بينهم (٣٩٩) منهم من الدول الواقعة تحت الانتداب الفرنسي و(٢١٣) فلسطينياً و(١٤١) ارمنياً و(٨٥) مصرياً و(٤٥) فارسياً و(١٤٢) عراقياً و(٢٨) يونانياً و(٦٤) من جنسيات مختلفة[٥٤].

ضمت الجامعة مدرسة الطب والحق بيها مستشفى بأربعة اسرة، كما فتحت الجامعة مدرسة الصيدلة ثم الفرع التجاري وتبعها تأسيس مدرسة الممرضات، كما تم فتح مدرسة طب الاسنان وتم تأسيس قسم الموسيقى والقسم الزراعي وكلية الهندسة والعمارة وكلية العلوم الزراعية، وكلية الآداب واصبحت هذه المدارس فيما بعد كليات كما ارتبطت هذه الجامعة بعدة دوائر[٥٥] ومن خلال الجدول التالي نستطيع ملاحظة التوزيع الطائفي للجامعة الامريكية والجامعة اليسوعية خلال الفترة (١٩٥٢-١٩٥٤):

جدول رقم (٥) [٥٦]

	ارثوذكس	سنة	دروز	شيعة	موارنة	بروتستانت	كاثوليك
١٩٥٢							
الجامعة الامريكية	٢٠	٢٤	٧	٣	٣	٩	٢
الجامعة اليسوعية	١٤	٥	٢	٤	٣٢	١	١٧
١٩٥٤							
الجامعة الامريكية	٢٦	١٢	٦	٥	٣	٨	١
الجامعة اليسوعية	٩	١٣	١	٥	٤٦	٣	١٢

ويروي الكاتب حليم سعيد ابو عز الدين في مذكراته دور الجامعة الامريكية في تقدم الحركة التعليمية واليقظة الادبية والعلمية فيقول" كانت الجامعة دوماً ميداناً قومياً لحركة الفكر التحرر العربي، وخلق شباب ينبضون بالحياة وبالآمال وحملوا الغريزة بالعلم"[٥٧] ويختم ابو عز الدين قولاً للمندوب السامي الفرنسي الجنرال غورو ذكر فيه: **"ان للانتداب الفرنسي خصمين عنيفين في سوريا ولبنان، اولهما الوطنيون المتطرفون في ذنك البلدين، وثانيهما الكلية السورية الانجيلية في بيروت (الجامعة الامريكية)"** [٥٨].

تألف هذه الجامعة خلال مدة الدراسة من قسمين، الاول يدعى القسم التحضيري ومدته (٦) سنوات وهو مخصص للدراسة الابتدائية، وتكون الدراسة فيه باللغة العربية ثم تبدأ الدراسة باللغة الانكليزية في السنة الرابعة، اما القسم الثاني الاستعدادي فيشمل الدراسة

المتوسطة والثانوية ومدة دراستهما (٦) سنوات ولغة التدريس فيه هي اللغة الانكليزية، باستثناء مادتي اللغة الفرنسية واللغة العربية، ويلتحق خريجو ذلك القسم بالكلية الدولية التي تشمل قسماً متوسطاً لمدة سنتين السنة الاولى تسمى المبتدئون الذين يدرسون جميع المواد والسنة الثانية تسمى طالب السنة الثانية وفيها يتم توزيع الطلبة الى شعبتين الاولى شعبة الآداب، والثانية شعبة العلوم ويمنح الطلبة المتخرجين من هاتين القسمين شهادة المتوسطة للآداب او العلوم، واذا استمر الطالب في السنة الثالثة يسمى طالب في الصف ما قبل الاخير والسنة الرابعة يسمى طالب في صف التخرج يمنح شهادة بكالوريوس علوم، اما القبول في الكليات فقد اشترط على ان تكون معدلات الشهادة الثانوية متناسبة مع شروط التخصص الذي يرغب الطالب في دراسته، وبهذا كانت الجامعة تمنح الطالب حرية اختيار تخصصه الدراسي[٥٩].

وبالرغم من ذلك، بقي التعليم الجامعي فترة من الزمن حكراً للطبقات الغنية القادرة على تعليم ابنائها في الجامعتين اليسوعية والامريكية في بيروت بعد غياب الجامعات الرسمية، مما ساعد الحركة الفكرية ان تقوم بدورها في اقامة المؤسسات التعليمية والفكرية في لبنان[٦٠] فكانت الاقساط السنوية تختلف من كلية لأخرى فمثلاً كان القسط السنوي للسنة الدراسية الاولى في كلية الهندسة (٢٥٠٠) ليرة لبنانية، ولكليتي الآداب والعلوم والزراعة (٢٠٠٠) ليرة لبنانية[٦١].

كما تأسست جامعة روح القدس في الكلسيك عام ١٩٥٠ على يد رجال الدين الموارنة في منطقة الكلسيك، وتعتمد في هذه الجامعة الافكار والثقافات الامريكية وتحاول ترسيخ افكارها وتنشئة العقول اللبنانية، ولاسيما المسيحية المارونية، فقامت بتزويد الطلبة بمهارات وثقافات مختلفة من خلال اقسامها التي ضمت كلية الفلسفة والعلوم الانسانية وكلية الآداب ومعهد ادارة الاعمال وكلية الحقوق وكلية الموسيقى وكلية الفنون الجميلة وكلية اللاهوت، فضلاً عن مركز الابحاث والدراسات اللبناني التي تعني بالشؤن الفكرية والثقافية والتعليمية فيها[٦٢].

اهتم رواد الحركة الفكرية اللبنانية اهتماماً خاصاً بالتعليم العالي بكل مستوياته وفروعه، فأخذوا بانتقاد الحكومة اللبنانية في نتاجاتهم الادبية ومقالاتهم

الصحفية في ضرورة بناء جامعة وطنية تضم ابناء الطبقات الفقيرة وتقف بوجه الجامعات الاجنبية (الفرنسية والامريكية) التي كانت حكراً لأبناء العائلات الميسورة [٦٣] نتيجة لذلك، انشأت الجامعة اللبنانية عام ١٩٥٢ بتأثير تيار قوي كان يطالب أنشاء جامعة وطنية، فقد استقبلت الجامعة عدد من الطلاب بلغوا (٦٨) طالباً وتولى رئاسة الجامعة فؤاد البستاني خلال الفترة (١٩٥٣-١٩٧٠) وقد رأت السلطة اللبنانية ان تكتفي حينذاك بمعهدين عاليين الاول دار المعلمين العليا الذي استحدث بموجب المرسوم رقم ٥١/٦٢٦٧ لتأمين بعض الاساتذة للتعليم الثانوي في المدارس الرسمية، واتخذت فيما بعد اسم معهد المعلمين العالي وذلك بمقتضى المرسوم الاشتراعي رقم ٥٣/٢٥ والجدول التالي يوضح تطور اعداد الطلاب المنتسبين الى الجامعات اللبنانية خلال الفترة (١٩٥١-١٩٥٨):

جدول رقم(٦) [٦٤]

السنة الدراسية	الجامعة اللبنانية	الاكاديمية اللبنانية	الجامعة الامريكية	الجامعة اليسوعية
١٩٥١-١٩٥٢	١٢٩	٤٥٢	١٤٥٦	١٤٤٦
١٩٥٢-١٩٥٣	٢٠٦	٣٤٢	١٧٨٢	١٥٠٦
١٩٥٣-١٩٥٤	٢٦٠	٢٧١	١٩٤٠	١٥١٨
١٩٥٤-١٩٥٥	٢٤٤	٣٠٢	٢٠٠٥	١٥٦٩
١٩٥٥-١٩٥٦	٢٠٧	٣١٣	٢٠٢٦	١٥٧٩
١٩٥٦-١٩٥٧	٢٣٣	٣١٣	٢٠٨٧	١٥٨٧

١٨٠٧	٢٢٦٩	٣٢٧	٢٩٨	١٩٥٧-١٩٥٨

ثالثاً: المناهج الدراسية واعداد المعلمين

بعد ان تم تعديل المادة (١١) من الدستور عام ١٩٤٣ واصبحت اللغة العربية هي لغة البلاد الرسمية، وضعف اثر اللغة الفرنسية في قطاع الادارة اللبنانية وجب ذلك التعديل تعريب البرامج الدراسية فتسبب ذلك جدل بين المسلمين واصحاب الفكر القومي من جهة وبين المتشددين من دعاة اللهجة اللبنانية من جهة اخرى في الوقت الذي اصبح فيه نبذ اللغة العربية الفصحى يترجم في محاولات ترويج اللهجة اللبنانية المحكية[٦٥].

نتيجة لذلك، تألفت في وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة بين عامي (١٩٤٤-١٩٤٥) عدة لجان، اذ تألفت في ٢٤ آب عام ١٩٤٤ لجنتان لدراسة مشروع ايجاد منهاج موحد للتعليم الابتدائي والثانوي ومن اعضائها ميشال شيحا[٦٦] وقسطنطين زريق وشارل الحلو[٦٧] وزكي النقاش[٦٨] وسليم الخوري[٦٩] وتألفت لجنة اخرى في ٢٣ حزيران عام ١٩٤٥[٧٠] كان ابرز اعضائها الاب يوحنا مارون[٧١] وفؤاد عمون[٧٢] مهمتها : درس برامج التعليم واقتراح الانظمة المناسبة لرفع المستوى التعليمي وتقرير الكتب المدرسية التي تقضي الضرورة بتدريسها بالإضافة الى اقتراح منهاج للتربية الوطنية اللبنانية[٧٣].

وبحكم ذلك، قامت الحكومة بوضع مناهج جديد للامتحانات والتربية والتعليم حرصاً منها على التراث اللبناني واشعاع ثقافته ورسالته، موفقة بينها وبين حاجات لبنان وحالة ابنائها مستندة الى المبادئ الاساسية الاتية:

١-توحيد الاهداف والنزاعات للتحرر النهائي من كل قيد.

٢-الاهتمام باللغة العربية والعناية بيها.

٣-تعزيز الشخصية الانسانية في تنشئة الجيل اللبناني.

٤-اعداد الشعور بالجمال وتنشيط الفنون الجميلة.

٥-الاهتمام بالتربية الاخلاقية والاجتماعية والبدنية والوطنية [٧٤].

وبعد تشكل حكومة السيد سعدي المنلا[٧٥] عين فيليب تقلا[٧٦] وزيراً للتربية الوطنية [٧٧] فأصدر في الاول من تشرين الاول عام ١٩٤٦ المرسوم رقم (٧٠٠) الذي حدد في مادته الثانية الشروط المتوجبة في فتح المدارس الخاصة ومراقبتها في الوقت الذي اطلقت حرية الطوائف في انشاء مدارسها الخاصة بموجب المادة العاشرة من الدستور، لم يتعرض المرسوم المذكور لحرية الطوائف وتقييد حقها في انشاء مدارسها، بل عمق هذه الظاهرة بأعطائه الحق للمؤسسات الدينية بتأسيس معاهدها الخاصة في مجال التربية والتعليم، الا انه وضع بعض الشروط الشكلية لأنشاء تلك المدارس، حيث فرض عليها ان تحصل على اجازة مسبقة من وزارة التربية، اما المدارس الخاصة والمعاهد المرخص لها قبل صدوره فأنه اعفى مدرائها من تلك الاجازة، على ان يقدموا بيان خاص بمدارسهم ومعاهدهم الى وزارة التربية[٧٨]، وبعد استقالة حكومة السيد سعدي المنلا في ١٤ كانون الاول١٩٤٦ تشكلت حكومة السيد رياض الصلح الذي اصبح رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للتربية الوطنية في الاول تشرين الاول عام ١٩٤٩[٧٩] قام بتعديل بعض جوانب مرسوم رقم (٧٠٠)، ولاسيما فيما يتعلق بتنظيم التعليم الخاص فأصدر في ٢٣ آذار عام ١٩٥٠مرسوم رقم (١٤٣٦) الذي قضى بتنظيم المدارس الخاصة فعدل بعض احكام المرسوم رقم (٧٠٠) فنص ذلك التعديل:" **منهج التعليم في المدارس الخاصة، الوطنية والاجنبية، هو المنهج الرسمي، ولكن مع الاحتفاظ بالمستوى العلمي المحدد في كل مرحلة من مراحل ذاك المنهج غير انه لمديري هذه المدارس ان يختاروا الاساليب الفنية التي يرون مصلحة في اتباعها وان يضيفوا عليها مواضيع غير منصوص عنها في المنهج الرسمي، كما يحق لهم ان يعطوا متخرجي تلك المدارس شهادات مدرسية بأسمها**"[٨٠].

حققت مناهج التعليم الجديدة تدريس مادة التاريخ باللغة العربية بصورة اجبارية مع امتحانات خطية في نهاية المرحلة الابتدائية ونهاية المرحلة التكميلية واصبح امتحان مادة التاريخ خطياً في المرحلة الابتدائية وشفوياً في المرحلتين المتوسطة والثانوية[٨١] بالإضافة الى ذلك، اصرت الحكومة على ان يكون تدريس مادتي التاريخ والجغرافية في المدارس الرسمية باللغة العربية وحدد المنهاج الجديد توزيع تعليم مادة التاريخ في المرحلة الابتدائية على اربع سنوات تبدأ بحكايات

شفوية عن الحياة القروية اللبنانية وبعض المظاهر الكونية ثم تنتقل للتعريف عن تاريخ لبنان والعالم العربي عبر مختلف الازمنة[٨٢]، وكذلك اشترطت تدريس جميع المواد في القسم الابتدائي باللغة العربية ماعدا اللغة الاجنبية، وبالنسبة للتعليم الثانوي تقديم التاريخ والجغرافية باللغة العربية، اما الرياضيات والعلوم فعلى المرشح الاختيار بين العربية والاجنبية، يضاف الى ذلك، زيادة عدد الساعات المخصصة للغتين العربية والاجنبية في المرحلة الابتدائية العالية الى ست ساعات في السنتين الاولى والثانية وخمس ساعات للثالثة والرابعة بعد ان كانت سابقاً اربع ساعات في السنتين الاولى والثانية وخمس ساعات في السنة الثالثة[٨٣] كما تم توسيع مادتي الرياضيات والعلوم في منهاج ١٩٤٦، فما قرره منهاج ١٩٤٦ يساوي ضعف ما قرره منهاج ١٩٢٨ بخصوص الرياضيات، وما قرره الاول بخصوص العلوم يساوي ثلاثة اضعاف ما قرره منهاج ١٩٢٨[٨٤] اما مادة الزراعة التي وضعت للتدريس في المناهج التعليمية لعام ١٩٤٦ فأنها لم تدرس بشكل جدي، وهذا يعود الى دور الحكومة اللبنانية التي لم تحدث تغييراً جذرياً في البنى التربوية والتعليمية، وانما اعتمدت على الكثير من المناهج القديمة التي تعتمد على التكثيف الكمي، فلم يترك للطالب مجال في التفوق والابداع[٨٥].

بالإضافة الى ذلك، اصدرت الحكومة مرسوماً في الاول من تشرين الاول عام ١٩٤٦ يتعلق بتنظيم الاشراف على جميع المدارس الخاصة من اجنبية ووطنية وحصر منح اجازات المدارس الخاصة بالحكومة وحدها [٨٦].

ومما ينبغي الاشارة اليه، بقيت معظم المدارس الخاصة لا تدرس مادتي التاريخ والجغرافية باللغة العربية بسبب النقص الحاد للمعلمين المختصين، وفي حال قررت تعليمها كانت توكل هذه المهمة الى اساتذة من حملة شهادة الادب العربي واستمرت المدارس الفرنسية تعلم مادة الجغرافية والتاريخ باللغة الفرنسية وفي كتب مستوردة من دور النشر الفرنسية وقد جعلت المناهج الجديدة مادتي الجغرافية والتاريخ متلازمتين[٨٧].

والجدير بالذكر، عدم اهتمام الحكومة اللبنانية بعد الاستقلال بالتعليم، ولاسيما في تجديد المناهج التعليمية وعدم الاهتمام بالمدارس الحكومية، بالإضافة الى انها لم تعتمد

المناهج الجديدة الى وضع تربية وطنية تهدف الى تمسك اللبناني بوطنه وارضه اذ لا يقدم على النزوح والهجرة الى الداخل والخارج، فضلاً عن ذلك ان المدارس الخاصة والاجنبية لم تلتزم بالمناهج الجديدة، وعلى الرغم من ذلك تواضع التعديلات التي طرأت عليها في ظل غياب السلطات التربوية ورقابتها على تلك المدارس، اذ اجاز المرسوم الجمهوري الصادر عام ١٩٥٠ للمدارس الخاصة ان تضيف على مناهجها مواد جديدة تثقيفية فكرية للنشيء ذات اهداف استعمارية غير منصوص عليها في المناهج الرسمية اللبنانية(٨٨).

وخلال مرحلة الاستقلال عمدت وزارة التربية الوطنية في لبنان على فصل مادتي التاريخ والجغرافية الى كتابين بعد ان كانتا في كتاب واحد، كما واحترمت مبدأ التعليم الحر الذي اكدت عليه المادة العاشرة من الدستور، وبموجبه أصبح للمؤلفين ودور النشر الحرية في اصدار الكتب التاريخية بشرط عدم التقرب للنعرات الطائفية والسياسية وعلى ان تقوم بتنشئة الوطنية السليمة، وكانت المدارس الخاصة والرسمية حرة في اختيار اي المواد المتوفرة في دور النشر اللبنانية(٨٩).

وبعد الانفتاح على الثقافة العربية والعلمية والسعي نحو ترسيخ المواطنة اللبنانية بقيت المناهج على النحو التالي:

١-هيمنة الاتجاه اللغوي والموروث عن مناهج القرن الثامن عشر والمعاد توظيفه بنجاح في العلاقات الاقتصادية التجارية.

٢- الاتجاه نحو الجميع والاثقال، اي الانطلاق من نظرية الترويض الفعلي في حشو المنهج بكل شيء.

٣-جمع عنصرين انقسما مع الثورة الصناعية: الدين والمعرفة العلمية.

٤-التغذية الهامشية للمناهج مبتعدة عن العملية التربوية نفسها ومتطلبات التقدم الاجتماعي ومرتهنة بالمناهج الغربية القديمة، لذلك عدلت المناهج في فترات متسارعة وادخل اليها مادة جديدة هنا او هناك (الرياضيات الحديثة) او حاول البعض تعديلها ورفض البعض الاخر كل ذلك دون علاقة عضوية بالتطور الاجتماعي ولا بالتجربة التربوية ولا بالمتطلبات الديمقراطية، وعلى الصعيد الواقعي بقيت المناهج في مكان والكتب في مكان اخر(٩٠).

وفي ضوء ذلك، اكد المؤرخ اللبناني (حسان حلاق) حقيقة مهمة في جانب التعليم فيقول انه لم تكن المناهج الجديدة بعد الاستقلال مستمدة من دراسة علمية تأخذ بعين الاعتبار حاجات لبنان وامكاناته الابداعية والثقافية والنهضوية ووجود الطبقة الفكرية المثقفة بين صفوف ابناءها آنذاك، وتوسيع المدارس والصحف المتنوعة التي نبهت الاذهان وحركت الافكار بالنهوض العلمي والفكري، وانما اخذت الحكومة اللبنانية وفي مقدمتها وزارة المعارف العديد من المناهج عن المناهج الفرنسية، ورفضت الدعوات من قبل رجال الحركة الفكرية والثقافية العربية في ايلاء الثقافة العربية اهتماماً اكبر في مناهج اللغة العربية والتاريخ والتربية الوطنية والجغرافية كما رفضت انتشار الافكار الفكرية القومية العربية، مما جعل المسألة تأخذ بعداً فكرياً سياسياً من قبل بعض المثقفين والمفكرين المسيحيين وافكارهم القومية اللبنانية (الفينيقية) التي ارادوا تكريسها وثبوت صحتها في اطروحاتهم ومنشوراتهم وكتبهم الفكرية[٩١].

طالبت الحكومة اللبنانية من وزير التربية الوطنية اميل لحود ارسال البعثات الدراسية الى الخارج من ابناء المدارس للتخصص في مختلف العلوم والفنون ليعودوا وهم على اتم الاستعداد لاستلام أعنة الادارات والاحكام في الوقت المناسب، كما طالبته باتخاذ اجراءات خاصة لمراقبة المدارس من جهة التربية القومية ومن جهة التثقيف الفلسفي كي لا يكون هذا التثقيف مغايراً للتعاليم الاساسية التي ترتكز عليها الامة اللبنانية، بالإضافة الى ذلك طالبت منه تعديل البرامج المدرسية بتخفيف العلوم النظرية وادخال بعض المواد العلمية وتحسين حالة المعلمين المادية[٩٢] فكانت أولى المشاكل التي واجهت الحكومة اللبنانية بعد الاستقلال هي مشكلة تأمين المعلمين فكانت احد شروط تعين المعلمين ان يكون حاصلاً على شهادة التعليم اللبنانية، اي خريج احدى مدارس المعلمين، او حاصلاً على البكالوريا القسم الثاني، او المتوسطة فيعين معلماً تحت التمرين لمدة سنتين، اما عن إعداد المعلمين في المرحلة الثانوية فقد عهد الى كلية التربية في الجامعة اللبنانية منذ عام ١٩٥١ بالإضافة الى مهمة اعداد الكوادر التربوية من مدراء ومفتشين واساتذة ثانويين وغيرهم، وفي عام ١٩٥١ كان هناك داران للمعلمين في بيروت احدهما للذكور والاخر للإناث تقسمان الى قسمين ابتدائي

وعالي، الابتدائي يدخله حاملوا البروفيه (المتوسطة)، والعالي يدخلوه حاملوا البكالوريا القسم الثاني (الاعدادية) ومدة الدراسة في كل منهما سنتان[٩٣].

حاولت وزارة التربية الوطنية حل مشكلة تطوير واعداد المعلمين، فأعدت دار المعلمين والمعلمات الابتدائية عام ١٩٥٦ لاستيعاب اكثر من ٥٠٠ طالب على ان تخرج سنوياً من (١٠٠) الى (١٢٥) مدرساً، وكان للتعليم الخاص ثلاث معاهد لأعداد المعلمين الاول في الجامعة الامريكية والثاني في كلية بيروت للبنات والثالث في المدرسة الانجيلية الانكليزية[٩٤].

والجدول التالي يوضح تطور المعلمين في المدارس الرسمية:

جدول رقم(٧) [٩٥]

السنة الدراسية	عدد المعلمين في المدارس الرسمية
١٩٤٣-١٩٤٤	٦١٢
١٩٤٤-١٩٤٥	٨٨٧
١٩٤٥-١٩٤٦	١٠٢٠
١٩٤٦-١٩٤٧	١٣٣٢
١٩٤٧-١٩٤٨	١٤٤٤
١٩٥١-١٩٥٢	٢٧١١
١٩٥٢-١٩٥٣	٨٠٠
١٩٥٣-١٩٥٤	٦٦٨
١٩٥٤-١٩٥٥	١٥٠
١٩٥٥-١٩٥٦	٣٤٥٧

ومن الضروري ان نشير الى، ان للمعلم الدور الاساسي الاول في اذكاء النهضة التربوية وتحقيقها، وكانت حالة المعلمين غير مستقرة ويعانون من ضعف مرتباتهم كونها غير كافيه لسد احتياجاتهم المعاشية وسط ارتفاع مستوى المعيشة وغلاء الاسعار فكان الاقبال على مهنة التدريس لا حباً ولا رغبة فيه وانما لسببين: اما عدم توفر فرصة عمل اخرى، او انهم يريدون متابعة تحصيلهم العالي فيرتضون مؤقتاً بعمل يسد نفقاتهم اما المعلمون المدربون الذين اختاروا التعليم مهنة دائمة فنسبتهم قليلة لا تتعدى (١٧%) من مجموع معلمي تلك لفترة[٩٦].

لقد كانت فكرة تدريب المعلمين اثناء الخدمة تراود اذهان المسؤولين في وزارة التربية الوطنية وقد جرت اول محاولة لتنظيم دورات تربوية في عام ١٩٥٢ بالتعاون مع النقطة الرابعة الامريكية[٩٧] وذلك اثناء الصيف في ندوات ودورات[٩٨] لكن هذه المحاولات لم تأتي بالنتيجة المطلوبة، مما ادى الى توقفها ولم يبقى منها الا الدورات الصيفية التي تقام في الجامعة الامريكية ويشترك فيها معلمون للتعليم الابتدائي والثانوي ومدراء مدارس ومفتشون تربويون[٩٩].

وعلى الرغم من ذلك، ساءت حالة التعليم في لبنان إبان فترة الرئيس كميل شمعون فالتعليم في لبنان يعاني من عدة مشاكل اهمها سيطرة المدارس الخاصة، ولاسيما الاجنبية منها، يضاف الى ذلك صدور المرسوم الاشتراعي رقم (٢٦) الصادر في ١٨ كانون الثاني ١٩٥٥ الذي حدد شروط السن الدراسية كما يأتي:

١-ابتداء من تشرين الاول عام ١٩٥٦ لا يقبل التلاميذ في المدارس الرسمية الابتدائية والتكميلية الا إذا كانوا في السن القانوني التي تحددت ب(٦) اعوام للصف الاول الابتدائي، ويجوز في حالات المرض او الحالات الاستثنائية التي يقدرها مجلس المعلمين ان يمدد السن القانوني سنتين او أكثر.

٢-لا تطبق القاعدة السابقة على التلاميذ الذين ينتسبون الى المدارس الرسمية قبل تشرين الاول عام ١٩٥٦ وتحفظ لهم حقوقهم في متابعة دراستهم مهما كانت اعمارهم بشرط ان لا يعيدوا صفهم الا لعذر شرعي.

فلم تحقق تلك التشريعات الزامية التعليم الابتدائي فقد عجزت المدارس عن استيعاب الالاف من صغار اللبنانيين في المدارس الابتدائية[١٠٠].

رابعاً: التأثير الطائفي على الواقع التعليمي

بلغ توزيع المدارس الخاصة على الطوائف الكبرى خلال الفترة (١٩٤٥-١٩٤٦) وفق الجدول ادناه:

جدول رقم(٨) [١٠١]

الطائفة	عدد المدارس
الطائفة المارونية	**٣٩٧ مدرسة**
الطائفة الارثوذكسية	**١٣٤ مدرسة**
الطائفة الكاثوليكية	**١٢٧ مدرسة**
الطائفة السنية	**١٠٨ مدرسة**
الطائفة الشيعية	**٣٢ مدرسة**
الطائفة الدرزية	**٣١ مدرسة**

فأخذت المدارس الرسمية تستقطب طلابها الذين كانوا غالبيتهم من الفئات المسلمة، الا ان هذه المدارس بقيت تعاني من التخلف عن المدارس الخاصة التي شكلت القسم الاكبر من عبء التعليم[١٠٢].

ويمكن ملاحظة، توزيع التلاميذ حسب الطوائف الكبرى في المدارس الرسمية الابتدائية والتكميلية خلال الفترة الممتدة من (١٩٤٥-١٩٤٨) من الجدول التالي:

جدول رقم(٩) [١٠٣]

المذهب	عدد التلاميذ في السنة الدراسية (١٩٤٥-١٩٤٦)	عدد التلاميذ في السنة الدراسية (١٩٤٦-١٩٤٧)	عدد التلاميذ في السنة الدراسية (١٩٤٧-١٩٤٨)
السنة	**١٢٤٤١**	**١٣٢٧٩**	**١٤٥٥٧**
الشيعة	**٨٩٥١**	**١١٩٤٢**	**١٢٠٣٥**
دروز	**٣٣٠٢**	**٤٠٦٠**	**٤٦٠٤**
الموارنة	**٨١٧٩**	**١٢٣١٦**	**١٣٠٠٧**
روم ارثوذكس	**٥٩٦٦**	**٧٧١٧**	**٧٤٠٨**
روم كاثوليك	**١٧٩٧**	**٢٧٩٢**	**٢٦٦٨**

بقي التعليم في لبنان يخضع لتأثير الطوائف فمن بين مائة مدرسة ثانوية لاتدير الحكومة سوى خمس مدارس منها، اما المدارس الاخرى فتخضع لأشراف الطوائف الدينية ومعظمها ارساليات[١٠٤].

ومن الملاحظ، ان حقل التعليم شهد تطوراً ملحوظاً خلال الاستقلال وبرز في سيطرة القطاع الخاص للتعليم وازدياد في التعليم الرسمي لكن هذا الامر يجب ان لا يفسر على انه تقليل من دور الطائفية وتأثيرها في المدارس الرسمية، اذ ان المعلمين هم مواطنون ينتمون الى احدى الطوائف وهم يعينون على الاغلب في مدارس قراهم، وفي اكثر الاحيان يكونون من طوائف تلامذتهم، وهم في هذه الحالة ينقلون مفاهيمهم وقيمهم الى تلامذتهم ويعززونها، فنستنتج من ذلك ان وجود الطائفية في المدارس الرسمية هي اقل من وجودها في المدارس الخاصة، ومن هنا كانت اهمية التربية في بناء المواطن وتطوير مفاهيمه الفكرية والاجتماعية والسياسية واهمية دور المعلم في انتاج مجتمع متماسك موحد الرؤى والمفاهيم[١٠٥].

ومن المعلوم، ان حرية التعليم اصبحت مصدراً لكثير من المشاكل السياسية والاجتماعية وتجارة رابحة ولم يعد رسالة انسانية ووطنية وذلك بسبب نسبة الاقساط المدرسية المرتفعة التي كانت لا تتناسب مع الحالة المعيشية للمواطن وبالتالي شكلت عبأ اقتصادياً لأغلبية الشعب اللبناني، مما زادت من تدهور الاوضاع التعليمية في لبنان[١٠٦].

ومن الملاحظ، ان الحرية التي منحها الدستور للمؤسسات التربوية والتعليمية في حقلي التعليم والثقافة خلال الفترة (١٩٤٣–١٩٥٨) دفعت بلبنان الى فوضى من الثقافة التربوية واضعفت التربية الوطنية، وادت بالنتيجة الى انعدام التوازن على المستوى التعليمي، فأن تعدد المؤسسات في النظام التربوي وتنوعه اخذ يشكل مصدراً للتصدع في بنية المجتمع اللبناني في تاريخ لبنان المعاصر لسببين:[١٠٧] الاول يمثل بنظرة الطوائف الى خريجي مدارس الطوائف الاخرى بعين الارتياب، والثاني يبرز من خلال السماح لكل طائفة ان تغذي ابنائها على نفس قيامها ومفاهيمها من خلال المؤسسات التعليمية التابعة لها التي كانت اسيرة الفكر الطائفي الذي تحكم بأهدافها ومنطلقاتها فقوي الارتباط والولاء لطائفتهم على حساب الارتباط والولاء للوطن[١٠٨].

لقد جاء تعيين المدرسين في ملاك وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة على اساس التوازن طائفي وكانت على الاساس التالي: عبد الكريم البيضاوي (سني)، الياس حنا حداد (كاثوليك)، موريس جرجيس عبيد (ماروني)، اميل مخايل كرم (ارثوذكس)، حسن محمد نزهة (شيعي)، وحليم هاني القنطار (درزي)، بالإضافة الى ذلك نستطيع ملاحظة التوزيع الطائفي لعام ١٩٤٨ في بعض المدارس من خلال الجدول التالي:

جدول(١٠) [١٠٩]

المدرسة	المدير	الاساتذة
مارفرنسيس	**الاب بيرار الكبوشي**	**الاب صالح، جوزف عون، خليل عيد، جوزف صايغ**
مار لويس	**الاب افرام الكبوشي**	**موسى البعيني، أديبة خوري، مادي دوستان**
الاكليريكية	**الاب رينيه الكبوشي**	**الاب الياس، جبرايل طربيه، جورج نون، إيلي شما، فيتال، فيليب**
ميتم غزيز	**الام مرتا**	**الاخت فينص، الاخت ليوني**

يلاحظ من الجدول اعلاه، ان اسماء افراد الهيئة التعليمية والادارية والتي ترعى شؤون المعاهد الكبوشية وتتولى التربية والتعليم فيها هم جميعاً من الطوائف المسيحية وهذا يعود الى كون المؤسسات التربوية الخاصة ومعاهد التعليم التابعة لها هي مؤسسات طائفية في اهدافها وتعاليمها(١١٠).

وينبغي ان نشير هنا، ان التعليم اصطبغ بصبغة طائفية شكلت عائقاً كبيراً في خلق المواطن الواحد المتجانس كما ان اختلاف رسالة المدرسة اللبنانية يعتبر من اهم عوامل الضعف في تركيبة المجتمع اللبناني فهناك مدارس ذات رسالة مسيحية وهي التي تديرها الارساليات الاجنبية والرهبان والافراد الدائرين في فلكها وتعتمد في اتجاهها على الاثار الغربية ورسالة الكنيسة واثار المسيحين وتعطي الاولوية للغة الغربية، ومدارس ذات رسالة اسلامية تديرها المقاصد(١١١) والدائرين في فلكها وجاءت كرد فعل على المدارس ذات الرسالة المسيحية، اذ كان اتجاهها عربي تعتمد في نصوصها على نسبة كبيرة من آثار وامجاد العرب وتعطي الاولوية للغة العربية، بالإضافة الى تلك المدارس كانت هنالك المدارس الرسمية التي كانت تتأثر بالأولى او الثانية حسب موقعها الجغرافي وهي ليست لفئة دون الاخرى رسالتها وطنية وتعبر عن الرأي الرسمي(١١٢).

ومن خلال الجدول ادناه نبين نسبة عدد الطلاب وطوائفهم في بعض معاهد التدريس التابعة للمعاهد الكبوشية لعام ١٩٤٨:

جدول رقم(١١) (١١٣)

المدرسة	ماروني	سني	شيعي	روم ارثوذكس	درزي	روم كاثوليك	ارمني	بروتستانت	يهودي
مار لويس ابتدائي	٢٨	–	–	٩	–	٧	–	–	–
مار فرنسيس ابتدائي	٥١	٧	٢	١٦	٩	٦	–	٢	١
الاكليريكية	٢٨	–	–	–	–	٢	–	–	–

ثانوي									
ميتم غزير ابتدائي	٤٤	٢	–	٢	–	٦	٣	–	–
المجموع العام	١٥١	٩	٢	٢٧	٩	٢١	٣	٢	١

نلاحظ، تفوق عدد الطلاب الموارنة على عدد طلاب بقية الطوائف والسبب في ذلك، ان الطائفية حاولت دون استيعاب التحولات التي تفرضها حركة تطور البنى الاجتماعية، واعتماد ما يناسبها من مفاهيم جديدة، الامر الذي عرض لبنان لهزات عنيفة من قبل القوى الفاعلة خارج الحكم وفي الواقع، ان مؤسسات الحكم لم تكن قادرة على حسم المسائل النزاعية المحورية وازالة اسبابها لان الحل الذي ارتكزت عليه كمخرج للمسألة الطائفية يقوم على تركيب بنيوي يؤمن مشاركة جميع الطوائف على اساس محدد من التوازنات المتوازية للجماعات الطائفية المختلفة، مما انتج وضعاً يصعب معه تطوير نظام الحكم حتى باتت الطائفية منذ الاستقلال من جهة نظر ناصيف نصار: "**ايديولوجية الدولة اللبنانية واساساً عاماً للتوازنات والاستقرار**"[١١٤] هكذا افضت الانتماءات الثقافية والفكرية المختلفة والقائمة على ايديولوجية متنافرة الى علاقة موسومة بسمة التشابك في ظل انتظام دويلات تنتصب الى جانب الدويلات القائمة تتداخل فيها وتشكل القاعدة العقائدية والفكرية لها[١١٥].

من خلال عرض التعليم في لبنان في الفترة(١٩٤٣–١٩٥٨) نستنتج بروز اتجاهان مختلفان للتربية والتعليم، سيطرتا بشكل بارز على المدارس الرسمية والخاصة بكافة المراحل، هما الاتجاه اللاتيني الفرنسي التي تعتنقه الجامعة اليسوعية والاتجاه الانكلو–اميركي الذي تدين به الجامعة الامريكية، فبرزت الجامعة اليسوعية بالأساليب التي تتبعها المدارس الحكومية والاجنبية واللاتينية وبعض المدارس الخاصة المتأثرة بها، في حين برزت الجامعة الامريكية في اساليب المدرسة البروتستانتية الانكليزية والامريكية التي تسير على منهج الجامعة الامريكية، وان الاختيار بينهما في نظر اللبنانيين لا يستند الى الاسس العلمية التي تقوم عليها كل من الجامعتين، وانما تستند الى الاسس الطائفية التي يخضع الطلاب واولياؤهم لها والمذاهب الدينية التي يدينون بها، وفي الواقع ان نظام هذا البلد بدأ بمثابة كتل

طائفية متباعدة في مفاهيمها وتوجهاتها تسودها روح التعصب والتنابذ ادخل العلاقات المجتمعية في سلسلة تنافسات ضاربة القيم والاعراف التي يستند عليها المجتمع عرض الحائط.

الخاتمة

كرس الدستور اللبناني الذي وضع عام ١٩٢٦حرية التعليم وحرية انشاء المدارس الخاصة، ولاسيما الدينية منها، الامر الذي يفسر تخلي الدولة اللبنانية عن مسؤولياتها في مجال التربية والتعليم للمؤسسات التعليمية الخاصة التي كانت في غالبتها مؤسسات طائفية ومن الضروري ان نشير، الى ان المدارس الرسمية جاءت لتسد الفراغ في المناطق التي تقطنها اكثرية اسلامية، عندما كانت المدارس الخاصة تتركز في المناطق التي تقطنها اكثرية مسيحية.

ومن الملاحظ، ان الحركة التعليمية في عهد الاستقلال لم تكن افضل من عهد الانتداب الفرنسي، فالقرارات التربوية استمرت قرارات طائفية عشوائية، سياسية غير مرتبطة بخطط مدروسة بالإضافة الى انها لن ترتبط بالأمن التربوي وبالتالي فأنها غير مرتبطة بمسألة التنمية في لبنان، لان ميثاق ١٩٤٣ لم يستطيع احداث تغييرات اساسية في البناء التربوي، لأنه اهتم بإصدار تشريعات تتعلق بتنظيم الطوائف الدينية اللبنانية، وكانت هذه القوانين تسمح لتلك الطوائف تنظيم اوضاعها الاجتماعية والتربوية والدينية بشكل لا يتناقض مع القوانين العامة، حيث كانت تلك القوانين مستمدة من عهد الانتداب، ولاسيما بين عامي (١٩٣٦-١٩٣٨).

ومن خلال هذا الواقع التعليمي، وبتأثير اليقظة التي شهدتها الاوساط اللبنانية، اضافة الى العامل الطائفي الذي مزق وحدة المجتمع اللبناني، سعت بعض الطوائف اللبنانية، ولاسيما الطوائف الاسلامية الى تأسيس مدارس خاصة لأبنائها، فشكل هذا الواقع الحافز المباشر للمسلمين خوفاً من ارتداد أولادهم عن دينهم وامتصاصهم ثقافياً، وتهديدهم في عقائدهم الدينية.

الهوامش :

(١) رؤوف الغصيني، دور البرامج المدرسية في بناء المواطنة، بحث منشور في كتاب قضايا المواطنة في لبنان ابعاد وتحديات راهنة، ط١، المركز اللبناني للدراسات، بيروت، ٢٠٠٤، ص٩٧.

(٢) محمد خير حسين الحجار، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٧.

(٣) حمدي الطاهري، المصدر السابق، ص٣٩.

(٤) محمد خير حسين الحجار، المصدر السابق، ج٢، ص١٥٣.

(٥) حنا زيادة، دوامة الدم الطائفية وبناء الوطن في لبنان، ترجمة: بوادي ونغم سفراوي، ط١، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠١٠، ص٢٣٤.

(٦)مسعود ضاهر، تاريخ لبنان الاجتماعي١٩١٤-١٩٢٦، ص٢٦٠.

(٧) مسعود ضاهر، المصدر نفسه، ص٢٢٢.

(٨) الياس ابو شبكة، روابط الفكر والروح بين الشرق والغرب، بيروت، ١٩٤٥، ص٥٧.

(٩) منير بشور، تردي النظام التربوي في لبنان، المستقبل العربي، (مجلة)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ١٢١، آيار ١٩٨٨، ص٣٧-٣٨؛ هشام نشابه، تطوير المدارس في لبنان، رسالة التربية، (مجلة)، بيروت، العدد٦، السنة ٣، نيسان ١٩٦٢، ص٨١.

(١٠) للمزيد ينظر الملحق رقم (٣).

(١١) نصت المادة العاشرة من الدستور على التعليم حر ما لم يخل بالنظام العام او يناف الادب او يتعرض لكرامة احد الاديان او المذاهب، ولا يمكن ان تمس حقوق الطوائف من جهة انشاء مدارسها الخاصة على ان يشير في ذلك وفقاً للأنظمة العامة التي تصدرها الدولة في شأن المعارف العمومية؛ للمزيد ينظر، يوسف مزهر، المصدر السابق، ص١١١٢.

(١٢) حمدي الطاهري، المصدر السابق، ص٨٦-٨٧.

(١٣) حسان قبيسي، الدولة والتعليم في لبنان، بحث منشور في كتاب الدولة والتعليم في لبنان، ط١، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، بيروت، ١٩٩٩، ص١١٩.

(١٤) مسعود ضاهر، لبنان الاستقلال، الميثاق والصيغة، ص٢٩٢.

(١٥) حسان قبيسي، المصدر السابق، ص١٢١.

(١٦) عداي ابراهيم مجيد حوران، الحركة الفكرية اللبنانية١٩٢٠-١٩٥٨، ص١٥٩-١٦٠.

(١٧) المؤتمر الثقافي العربي الاول، لبنان في عهد الاستقلال، دار الاحد، بيروت، ١٩٤٧، ص٧٥-٧٦.

(١٨) البيانات الوزارية ومناقشاتها في مجلس النواب اللبناني ١٩٢٦-١٩٨٤، المجلد الاول، ص١٣٠-١٣١.

(١٩) حسان حلاق، قضايا ومشكلات العالم العربي، ط١، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٤، ص٣٠٠-٣٠١. ص٣٠-٣١.

(٢٠) اسكندر الرياشي:(١٨٨٨-١٩٦١) مفكر لبناني، ولد في قرية الخنشارة في لبنان، أكمل تعليمه في الكلية الشرقية في زحلة، اتقن اللغة الفرنسية في باريس، سافر عام ١٩١٣ الى نيويورك وأنشأ صحيفة الوطن الجديد، وعاد الى لبنان عام ١٩١٤، توفي في بيروت، وله عدة كتب فكرية واجتماعية، اهمها نساء من لبنان، رؤساء لبنان كما عرفتهم، سيف الدولة واهل الغرام، للمزيد ينظر: عداي مجيد حوران، الحركة الفكرية اللبنانية ١٩٢٠ -١٩٥٨، ص١٨٨.

(٢١) سليم خياطة:(١٩٠٩-١٩٦٥) مفكر لبناني الاصل، اكمل دراسته الاولى في طرابلس، ثم اكمل دراسته في الجامعة الامريكية في بيرو لمدة عامين، انتقل بعدها الى دمشق لدراسة الحقوق فيها، عام ١٩٢٨ بدأ ممارسة الكتابة في مجلة الحديث السورية التابعة لسامي الكيالي، ومن هذه المجلة انطلقت كتاباته ومقالاته في المجلات والصحف السورية واللبنانية، الا ان شخصيته الفكرية برزت في مجلة الدهور ثم مجلة الطليعة، فضلاً عن ذلك دوره القيادي والفكري للحزب الشيوعي اللبناني السوري، بالإضافة الى ذلك كتبه ومقالاته الجريئة ذات المواضيع الفكرية والاجتماعية اهمها "حميات في الغرب"، "على ابواب الحرب" وغيرها؛ للمزيد ينظر: كريم مروة، سليم خياطة مفكر ومناضل من القرن الماضي، فنون وعلوم(جريدة)، بيروت، العدد ١٦، كانون الاول ٢٠١١.

(٢٢) عداي ابراهيم مجيد حوران، الحركة الفكرية اللبنانية ١٩٢٩-١٩٥٨، ص١٧٠.

(٢٣) مسعود ضاهر، تاريخ لبنان الاجتماعي ١٩١٤-١٩٢٦، ص٢٥٦.

(٢٤) محمد خير حسين الحجار، المصدر السابق، ج٢، ص١٥١.

(٢٥) حسان قبيسي، المصدر السابق، ص١٢٠.

(٢٦) محمد محمود احمد حسن، التعليم الخاص في لبنان (معناه –اهدافه –مشكلاته)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بيروت العربية، ١٩٧٥، ص١٩.

(٢٧) حسان قبيسي، المصدر السابق، ص١٣٠.

(٢٨) المؤتمر الثقافي العربي الاول، لبنان في عهد الاستقلال، ص٧٦.

(٢٩) قاسم مصطفى، التعليم في لبنان ومشاكله، (د.م)، ١٩٧٩، ص٢٣.

(٣٠) عداي ابراهيم مجيد حوران، الحركة الفكرية اللبنانية ١٩٢٠–١٩٥٨، ص١٧١.

(٣١) منير بشور، المصدر السابق، ص٣٨.

(٣٢) "الزمان"، جريدة، بغداد، العدد ٢٧٩٣، ١٨ كانون الاول ١٩٤٦.

(٣٣) "الامة"، جريدة، بغداد، العدد٢٤٢ ، ٣ آب١٩٤٩.

(٣٤) قاسم مصطفى، المصدر السابق، ص٢٥.

(٣٥) منير بشور، تردي النظام التربوي في لبنان، ص٣٨.

(٣٦) قاسم مصطفى، المصدر السابق، ص٢٦.

(٣٧)"الجريدة الرسمية"، بيروت، العدد ٣٧، ٣٠ ايلول ١٩٤٦.

(٣٨) محمد محمود احمد حسن، المصدر السابق، ج٢، ص٢٢.

(٣٩) قاسم مصطفى، المصدر السابق، ص٢٨.

(٤٠) جمال سعد نوفان، المصدر السابق، ص٤٢.

(٤١) قسطنطين زريق: ولد في دمشق عام ١٩٠٩، اكمل دراسته الابتدائية والثانوية فيها، تخرج من الجامعة الامريكية في بيروت عام ١٩٢٨بكالوريوس تاريخ، ثم نال شهادة الدكتوراه من جامعة هيوستن في الولايات المتحدة الامريكية، واصبح استاذاً لمادة التاريخ العربي في الجامعة الامريكية، تقلد عدة مناصب منها مستشاراً اول للمفوضية السورية في واشنطن عام ١٩٤٧، ووزيراً مفوضاً لسوريا في واشنطن، ورئيساً للجامعة السورية في دمشق خلال الفترة (١٩٤٨–١٩٥٢) له مؤلفات عدة منها "نظرات في الحياة القومية المتفتحة في الشرق العربي"، و "نحن والتاريخ"؛ للمزيد ينظر: هاني احمد فارس، قسطنطين زريق داعية العقلانية في الفكر العربي الحديث، شؤون عربية(مجلة)، بيروت، العدد ١٤، نيسان ١٩٨٢، ص٢٧–٥٨.

(٤٢) قسطنطين زريق، الجامعة ومستقبل الفكر العربي، مقالة منشورة في كتاب الجامعة وانسان الغد، منشورات الجامعة الامريكية، بيروت، ١٩٦٨، ص١٧٥.

(٤٣) جمال سعد نوفان، المصدر السابق، ص٣٢.

(٤٤) مسعود ضاهر، تاريخ لبنان الاجتماعي١٩١٤-١٩٢٦، ص٢٣٦-٢٤٢

(٤٥) بيادر جورج: ولد في نيويورك عام ١٨٨٨، نال شهادة الدكتوراه في علم اللاهوت والفلسفة، اصبح استاذ مساعد لرئيس جمعية الشبان المسيحيين إبان الفترة (١٩٠٣-١٩٢٠)، تميز بدفاعه عن العرب، فضلاً عن تمنياته ان تعيش البشرية بسعادة تامة، تقاعد عن العمل الوظيفي بعد ان خدم ٢٥ عام بدون مرتب مالي حسب رغبته؛ للمزيد ينظر: محمد حديد، مذكرات الصراع من اجل الديمقراطية في العراق، تحقيق: نجدة فتحي صفوة، ط١، مكتبة الحضارات، بيروت، ٢٠١٠، ص٢٠٨؛ Brian Van Demark, American Sheikhs Tow Families, Four Generation and the story of Americans influence in the Middle East, New York, 2011,p.107-108.

(٤٦) ستيفن بنرو: ولد عام ١٩٠٨، درس العلوم الطبيعية في الجامعة الامريكة في بيروت، اكمل دراسته العالية في جامعة كولومبياو فنال شهادة الدكتوراه في الفلسفة، عمل في مكتب كليات الشرق الادنى الذي كان يدير سبع كليات امريكية في العالم بعدها استقال من هذا المكتب ودخل في خدمة الحكومة الامريكية فعمل كمساعد لوزير الدفاع جيمس فوريستال وبقي في منصبه حتى تم تعينه رئيساً للجامعة الامريكية؛ للمزيد ينظر:دليل لبنان والعراق. رجال خدموا بلادهم، اعداد: مصباح امين قليلات، ج٢، مطابع الحسيني، بيروت، ١٩٤٨، ص١١٠.

(٤٧) جان بول لينارد: ولد في ولاية ميسوري الامريكية، نال الماجستير عام ١٩٢٧ من جامعة كولمبيا، وبعد عامين تمكن من نيل شهادة الدكتوراه، تسنم منصب رئاسة الجامعة الامريكية في بيروت عام ١٩٥٧، افنى حياته المهنية في خدمة التعليم في لبنان والولايات المتحدة الامريكية فنال عدة اوسمة تقديراً لأعماله المشرفة، تقاعد عن العمل عام ١٩٦٠؛ للمزيد ينظر: Menahem Mansoors, Political and Diplomatic History of th Arab world 1900-1967, vol.4, p.2.

(٤٨) نقلاً عن منار عبد المجيد عبد الكريم، المصدر السابق، ص٣٣-٣٤.

(٤٩) الجامعة الامريكية: وهي اقدم الجامعات الاجنبية في العالم العربي، تأسست تحت اسم الكلية السورية الانجيلية على يد البروتستانتي دانيال بلس عام ١٨٦٦، حيث سجل الجامعة وفقاً لأحكام ولاية نيويورك وتعتمد على اللغة الانكليزية في التدريس، بالإضافة الى اعتمادها على الاساليب الامريكية في الحصص والوحدات (الساعات المعتمدة) وتعد كلية الطب اقدم كلياتها، كما تضم كلية العلوم والآداب والهندسة والطبية والعمارة والزراعة وادارة الاعمال ويقدر طلابها بخمسة الاف طالب وحجم مكتبتها اكثر من نصف مليون مجلد؛ للمزيد ينظر: منار عبد المجيد عبد الكريم، المصدر نفسه، ٢٠١٤.

(٥٠) جامعة القديس يوسف: اسست عام ١٨٥٥، وهي تضم اليها معاهد للطب والصيدلة وطب الاسنان والتمريض، وكليتين للآداب والعلوم، وفيها فرعان للهندسة والتجارة، ومعهد للموسيقى ولها متحف للأثار ومرصد فلكي ومكتبة؛ للمزيد ينظر: المؤتمر الثقافي العربي الاول، المصدر السابق، ص٧٨.

(٥١) الكسي بطرس: احدى الشخصيات المثقفة الذي قام بتأسيس الاكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة، التي اصبحت عام ١٩٤٨ تضم اربعة اقسام علمية وهي النحت والتصوير والموسيقى والآداب وفن العمارة فأسهمت بدور ريادي في الحركة التربوية العلمية؛ للمزيد ينظر: حسان حلاق، دراسات في تاريخ لبنان المعاصر١٩١٣ –١٩٤٣ من جمعية بيروت الاصلاحية الى الميثاق الوطني اللبناني، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٨، ص٢٤٠–٢٤٥.

(٥٢) "الجريدة الرسمية"، بيروت، العدد٤٥ ، بتاريخ ٨ تشرين الثاني١٩٤٤.

(٥٣) المؤتمر الثقافي العربي الاول، المصدر السابق، ص٧٨–٧٩.

(٥٤) عداي ابراهيم مجيد حوران، الحركة الفكرية اللبنانية١٩٢٠–١٩٥٨، ص١٧٧–١٧٨.

(٥٥) نقلاً عن منار عبد المجيد عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٣٧–٣٨؛ عيدا محمد زين الدين، المصدر السابق، ص٣٠١.

(٥٦) مسعود ضاهر، تاريخ لبنان الاجتماعي١٩١٤–١٩٢٦، ص٢٤٠–٢٥٩.

(٥٧) عداي مجيد حوران، الحركة الفكرية اللبنانية ١٩٢٠–١٩٥٨، ص١٧٨.

(٥٨) د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، ٣١١\٢٦٨٦، تقارير السفارة الملكية العراقية في بيروت، المرقم س٣٤٨\٢١٤، المؤرخ في ١ تشرين الثاني ١٩٥٤، ص٧–٨.

(٥٩) نقلاً عن منار عبد المجيد عبد الكريم، المصدر السابق، ص٣٩–٤١.

(٦٠) عداي ابراهيم مجيد حوران، الحركة الفكرية اللبنانية ١٩٢٠ –١٩٥٨، ص١٧٩.

(٦١) نقلاً عن منار عبد المجيد عبد الكريم، المصدر السابق، ص٤٣.

(٦٢) جمال سعد نوفان، المصدر السابق، ٣٣.

(٦٣) عداي ابراهيم مجيد حوران، الحركة الفكرية اللبنانية ١٩٢٠–١٩٥٨، ص١٨٠.

(٦٤) محمد محمود احمد حسن، المصدر السابق، ص١٦٧.

(٦٥) نصت المادة (١١) من الدستور اللبناني ان اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية في جميع دوائر الدولة الى جانب اللغة الفرنسية؛ للمزيد ينظر: جمال سعد نوفان، المصدر السابق، ص٣٤–٤٠.

(٦٦) ميشال شيحا: وهو أحد الاثرياء من عائلة مسيحية كاثوليكية، انتخب نائباً عن بيروت بعد اعلان دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠، وكان يؤخذ رأيه في الشؤون العليا، كان من الداعين الى التعاون مع فرنسا للحفاظ على الكيان اللبناني وحمايته من الذوبان في القومية العربية؛ للمزيد ينظر: ماهر جبار محمد علي محمود الخليلي، المصدر السابق، ص١٣.

(٦٧) شارل الحلو: رئيس الجمهورية اللبنانية، ولد عام ١٩١٣ في بيروت من عائلة مارونية مسيحية متوسطة الحال، تلقى علومه في بيروت والتحق بكلية الحقوق بجامعة القديس يوسف الفرنسية عام ١٩٣٠، ومن اولى المناصب التي تسلمها وزارة العدل عام ١٩٥٤، الا انه استقال بعد اقل من سنة، وفي عام ١٩٦٤ أصبح وزيراً للمعارف وفي السنة ذاتها انتخب رئيساً للجمهورية خلفاً للرئيس فؤاد شهاب؛ للمزيد ينظر: مفيد الزيدي، المصدر السابق، ص٧٤.

(٦٨) زكي النقاش: ولد في بيروت عام ١٨٩٦، تخرج من الجامعة الامريكية، حمل شهادة البكالوريوس في التاريخ والتربية، كان له نشاطات دراسية في جمعية المقاصد الخيرية في بيروت، نال شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة، وله عدد من المؤلفات ابرزها كتاب سلسلة تاريخ سوريا ولبنان؛ للمزيد ينظر: مجموعة مؤلفين، مؤرخون اعلام من لبنان، ط١، دار النضال، (د.م)، ١٩٩٧، ص٣٦.

(٦٩) سليم الخوري: ولد في بلدة رشيما عام ١٨٩٤، تلقى علومه في مدرسة الاباء اليسوعيين في بيروت، كان له دور مهم في السياسة اللبنانية حيث اطلقت عليه المعارضة لقب السلطان سليم لمداخلاته في جميع شؤون الدولة اللبنانية، ولاسيما في فترة رئاسة شقيقه بشارة الخوري، انتخب نائباً في دورة عام ١٩٤٧ ودورة عام ١٩٥١، بعد استقالة شقيقه بشارة الخوري من رئاسته عام ١٩٥٢

اعتزل سليم السياسة واعتكف في داره، توفي عام ١٩٨٩؛ للمزيد ينظر: عدنان محسن ضاهر ورياض غنام، المصدر السابق، ص٢٠٥.

(٧٠)"الجريدة الرسمية"، بيروت، العدد ٣٥، ٣٠ آب ١٩٤٤.

(٧١) يوحنا مارون: هو اول بطريرك ماروني على انطاكيا، هاجر مع تلامذته الى لبنان بسبب الهزائم التي الحقت بهم من الجيوش الرومانية والاسلامية، فأنتقل على أثر ذلك الكرسي البطريركي الى كفرحي البترون، حيث شيد (ريش مرو) ومعناه (رأس مارون) بتوضع فيه جمجمة مار مارون، في عهد رئاسته حقق الموارنة انتصاراً حاسماً ادى الى التفاف المسيحين في لبنان حوله، له مؤلفات عدة عن العقيدة اللاهوتية، توفي في آذار ٧٠٧؛ نقلاً عن: ماهر جبار محمد على محمود الخليلي، المصدر السابق، ص٣٣.

(٧٢) فؤاد عمون: ولد في ٢٦ تشرين الثاني عام ١٩٠٠ ودرس الحقوق في جامعة القديس يوسف، تخرج محامياً عام ١٩٢٣، ثم عين قاضياً في المحاكم البدائية، نال شهادة الدكتوراه في باريس عام ١٩٢٩ ثم عين مستشاراً قانونياً في وزارة الخارجية عام ١٩٤٤ بعد ذلك عين وزيراً للاقتصاد الوطني عام ١٩٦٤، وفي آيلول من العام نفسه عين وزيراً للخارجية؛ للمزيد ينظر: عدنان محسن ضاهر ورياض غنام، المصدر السابق، ص٢٧٦-٢٧٧.

(٧٣) " الجريدة الرسمية"، بيروت، العدد ٢٧، ٢٤ تموز ١٩٤٥.

(٧٤) المؤتمر الثقافي العربي الاول، المصدر السابق، ص٧٧.

(٧٥) سعدي المنلا:ولد في طرابلس عام ١٨٩٠ وتلقى علومه في مدارسها، سافر الى اسطنبول عام ١٩١١ ودرس الحقوق فيها، عين متصرفياً على لواء حماه عام ١٩٢٠ من قبل الملك فيصل، عرف بمواقفه الاستقلالية، انتخب نائباً عن الشمال في دورة عام ١٩٤٣ واعيد انتخابه في دورة عام ١٩٥١ عن الشمال قضاء طرابلس، عين وزيراً للعدلية ورئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للاقتصاد، توفي عام ١٩٧٣؛ للمزيد ينظر: عدنان محسن ضاهر ورياض غنام، المصدر السابق، ص٤٩٩-٥٠٠.

(٧٦) فيليب تقلا: ولد عام ١٩١٥، تلقى دروسه في مدرسة الفرير بجونيه، تابع دراسته في جامعة القديس يوسف للإباء اليسوعيين في بيروت تخرج منها عام ١٩٣٥ حاملاً شهادة الحقوق، انتخب نائباً عن جبل لبنان عام ١٩٤٥ واعيد انتخابه في دورتي ١٩٤٧ و ١٩٥١ وعن دائرة بعلبك عام ١٩٥٧، تولى عدة مناصب وزارية من بينها وزير التجارة والصناعة عام ١٩٤٦ ووزيرا للاقتصاد

الوطني والبريد البرق عام ١٩٤٨، ووزيراً للاقتصاد الوطني ووزيراً للخارجية عام ١٩٤٩، بعد ذلك اصبح وزيراً للمالية والاقتصاد الوطني عام ١٩٥١، ثم وزيراً للخارجية عام ١٩٥٢ وظل في منصبه الى عام ١٩٧٥، توفي عام ٢٠٠٦؛ للمزيد ينظر: عدنان محسن ضاهر ورياض غنام، المصدر السابق، ص٧٩-٨٠.

(٧٧) البيانات الوزارية ومناقشاتها في مجلس النواب اللبناني١٩٢٦ -١٩٨٤، المجلد الاول، ص١٦١.

(٧٨) محمد خير حسين الحجار، المصدر السابق، ج٢، ص١٥٧-١٥٨.

(٧٩) البيانات الوزارية ومناقشاتها في مجلس النواب١٩٢٦-١٩٨٤، المجلد الاول، ص٢٠٠،١٦٠.

(٨٠) محمد خير حسين الحجار، المصدر السابق، ج٢، ص١٥٧-١٥٨.

(٨١) توفيق كفوري، الشهابية وسياسة الموقف، ط١، بيروت، ١٩٨٠، ص١١٠.

(٨٢) جمال سعد نوفان، المصدر السابق، ص٤٢-٤٣.

(٨٣) قاسم مصطفى، المصدر السابق، ص٣٥.

(٨٤) اتحاد الكتاب اللبنانين، الثقافة الوطنية على خط المواجهة، ط١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩، ص١٤٨.

(٨٥) حسان حلاق، قضايا ومشكلات العالم العربي، ص٣٠٤-٣٠٥.

(٨٦) المؤتمر الثقافي العربي الاول، المصدر السابق، ص٧٧.

(٨٧) شفيق جحا، تاريخ المدارس الابتدائية والثانوية في لبنان، رسالة ماجستير غير منشورة، تقدم بيها الى دائرة التاريخ في الجامعة الامريكية، ١٩٤٤، ص١٣٦.

(٨٨) حسان حلاق، قضايا ومشكلات العالم العربي، ص٣٠٥.

(٨٩) جمال سعد نوفان، المصدر السابق، ص٤٢-٤٣.

(٩٠) اتحاد الكتاب اللبنانيين، المصدر السابق، ص١٤٩.

(٩١) حسان حلاق، قضايا ومشكلات العالم العربي، ص٣٠٥-٣٥٥.

(٩٢) البيانات الوزارية ومناقشاتها في مجلس النواب اللبناني١٩٢٦-١٩٨٤، المجلد الاول، ص٢٣٩.

(٩٣) حسان قبيسي، المصدر السابق، ص١٥٥،١٤٤.

(٩٤) نجاح الفاعور، اعداد المعلم الابتدائي في بعض الاقطار العربية: لبنان، الاردن، مصر، سوريا، العراق على ضؤ التربية الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٥٩، ص٤٧-٤٨.

(٩٥) حسان قبيسي، المصدر السابق، ص١٣٧.

(٩٦) جورج المر، دراسة تحليلية لمناهج اعداد المعلمين الابتدائية في لبنان، رسالة ماجستير غير منشورة، دائرة التربية، الجامعة الامريكية، بيروت، ١٩٦٢، ص٢٩-٣٠.

(٩٧) النقطة الرابعة: اطلق عليها النقطة الرابعة لأنها جاءت في المقام الرابع بين المبادئ الاربعة التي ذكرها الرئيس الامريكي هاري ترومان في خطبة رئاسية، وقال انها مبادئ السياسة الخارجية التي تنوي حكومته ان تسعى لتحقيقها، فهو برنامج مساعدات فنية وادارية من قبل امريكا مخصص لبلدان الشرق الاوسط المهددة بالمد الشيوعي، ومنها بالإضافة الى تركيا، كل من العراق والاردن ولبنان وإيران والسعودية والباكستان ، وفي الحقيقة كان هدف هذه الخطوة هو ضم بلدان الشرق الاوسط الى معاهدة الدفاع المشترك التي تجعل من اراضي المنطقة مستباحة امام جيوش الحلف الاطلسي، للقضاء على الانظمة المعارضة للنظام الاستعماري الرأسمالي الجديد؛ للمزيد ينظر: فهد حجازي، لبنان من دويلات فينيقيا الى فيدرالية الطوائف رهانات فوق جغرافيا ملعونة، ج٣، ط١، دار الفارابي، لبنان، ٢٠١٣، ص٦٧؛ للمزيد ينظر: راشد البرادي، النقطة الرابعة في الميزان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٣، ص١٧؛ إيمان فرحات ، الأبعاد السياسية والعسكرية لدور النقطة الرابعة الامريكية في لبنان ١٩٥١-١٩٦٤، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بيروت العربية ، ٢٠٠٧ ،ص٢٢٦.

(٩٨) حسان قبيسي، المصدر السابق، ص١٥٦.

(٩٩) جورج المر، المصدر السابق، ص٣٠.

(١٠٠) "الجريدة الرسمية"، بيروت، العدد ٣، ١٩ كانون الثاني ١٩٥٥.

(١٠١) الجدول من عمل الباحث استناداً الى محمد خير حسين الحجار، المصدر نفسه، ج٢، ص١٥٥.

(١٠٢) هاني فارس، النزاعات الطائفية في تاريخ لبنان الحديث، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٠، ص١٥٠.

(١٠٣) محمد خير حسين الحجار، المصدر السابق، ج٢، ص١٥٤.

(١٠٤) صلاح العقاد، المشرق العربي ١٩٤٥-١٩٥٨، مطبعة الرسالة، ١٩٦٦، (د.م)، ص١٨٩.

(١٠٥) محمد خير حسين الحجار، المصدر السابق، ج٢، ص١٥٦-١٥٧.

(١٠٦) قاسم مصطفى، المصدر السابق، ص٤٧.

(١٠٧) هاني فارس، المصدر السابق، ص١٥٦-١٥٧.

(١٠٨) محمد خير حسين الحجار، المصدر السابق، ج٢، ص١٦٧.

(١٠٩) محمد خير حسين الحجار، المصدر السابق، ج٢، ص١٦٤,٨٦.

(١١٠) المعاهد الكبوشية هي من المؤسسات التربوية التي تعني بنشر الثقافة الفرنسية؛ للمزيد ينظر: محمد خير حسين الحجار، المصدر نفسه، ج٢، ص١٦٤.

(١١١) المقاصد: جمعية انشأها جمع من الفعاليات الثقافية والاجتماعية أواخر القرن التاسع عشر في دمشق، لنشر العلم بين المسلمين بعد ان كان معظم ابنائهم يتلقون العلم في المدارس القرآنية؛ للمزيد ينظر: محمد خير حسين الحجار، المصدر السابق، ج٢، ص١٥١.

(١١٢) قاسم مصطفى، المصدر السابق، ص٥١-٥٢.

(١١٣) محمد خير حسين الحجار، المصدر السابق، ج٢، ص١٦٣.

(١١٤) ناصيف نصار، نحو مجتمع جديد مقدمات اساسية في نقد المجتمع الطائفي، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٠، ص١٠٨.

(١١٥) محمد خير حسين الحجار، المصدر السابق، ج٢، ص١٦٩.

الفن القصصي عند العرب قبل الإسلام

رواء عبد الستارعلي

كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد

yasa28_2008@yahoo.com

هديل غالب عباس

كلية التربية - ابن الرشد للعلوم الانسانية، جامعة بغداد

hadeel.abbas@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

الفن القصصي عند العرب قبل الإسلام

رواء عبد الستار علي
هديل غالب عباس

مستخلص البحث:

تناول البحث الحالي موضوع الفن القصصي عند العرب قبل الإسلام، إذ عد هذا الفن أسلوبا نثريا أدبيا، التجا أليه العرب قبل الإسلام لتصوير واقع حياتهم الاجتماعية والطبيعية، فالحاكي كان يهدف إلى تسخير أو توظيف جل إمكاناته وطاقاته لإخراج إبداعاته الفنية لبلوغ الهدف الذي يرمي له من سرده للقصة.

ولقد حاولنا في بحثنا الحالي عرض موضوعات متعددة، والتي رأينا مدى أهميتها لإعطاء النقطة الرئيسة التي يدور حولها البحث مناط استحقاقها، ألا وهي الفن القصصي قبل الإسلام، إذ استعرضنا في هذا البحث مقدمة عامة، ومن ثم تطرقنا إلى تقديم مجموعة من المفاهيم لمعنى الفن القصصي، وبعدها عرضنا اهم المميزات المهمة الذي اتصف به الفن القصصي عند العرب قبل الإسلام، ومن ثم انتقلنا إلى أنواعه، إذ وضحنا خلاله كيف مارس العرب قبل الإسلام أنواع هذا الفن وفقا للأحداث والوقائع التي كانوا يمرون فيها.

الكلمات المفتاحية: الفن القصصي؛ العرب قبل الإسلام.

Abstract

The current research dealt with the subject of story art of Arabs before Islam, this art considered a natural and linguistic method, which used by the Arabs before Islam to portray the reality of their social and natural life, the author of the story, intended to harness or employ most of his potential and energies to bring out his artistic creations to achieve his goal of telling the story.

In our current research, we have tried to present several topics, of which we have seen how important it is to give the main point on which the research based, which is the story art in the pre-

Islamic period, in this research has reviewed a general introduction, then we discussed the introduction of a set of concepts for the meaning of story art, then presented the most important features that characterized the art of fiction of the Arabs before Islam, then moved to the types, as we explained how the Arabs before Islam practiced the types of this art according to the events and facts in which they were passing.

Keywords: The story art; The Arabs before Islam.

مقدمة البحث:

ارتبطت القصة في أول نشأتها عند العرب قبل الإسلام بالشعوب الإنسانية القديمة منذ بدايات حياتها، حينما اخذوا يتسامرون بالاستماع لحكايات وأحداث من وحي معتقداتهم الدينية الوثنية، فقد كانت القصص حينذاك تعد سجلا لحضاراتهم، والتي كانت تجسد أمجادهم، ولا سيما من خلال أساطيرهم الدينية التي جسموا فيها الإلهة، ومظاهر الكون والطبيعة، فأضافوا على المعنويات أشكالا مادية، فبرزت بصورة واضحة فكانت سهلة المأخذ [١].

وامتاز المجتمع العربي قبل الإسلام بكتابة القصص، إذ كانت تعد من فنون النثر الممتعة حينذاك، كما اشتهرت عندهم كتابة القصص بشكل واسع، وذلك لعلاقتها بالأسمار، والأساطير، والحكايات، التي تناثرت في كتب الأدب والتاريخ والأمثال، وأنواع التفسير، وما اتصل بكتب الشواهد النحوية والبلاغية، فتعددت المؤلفات القصصية، وهذا ما أدى إلى ظهور نتاج ذخيرة قصصية غزيرة، احتلت في مضمونها جوانب مختلفة من حياة المجتمع العربي قبل الإسلام، أو ما هو قريب منه [٢].

لقد لازمت القصة الأنسان العربي قبل الإسلام منذ بدايات ظهور أدراكه وتفكيره الفني بما يحيط بعالمه من أحداث، والتي قسمت إلى نوعين: الأول تضمن كتابة عما جرى من أحداث عاشها الإنسان في ظل مجتمعه؛ والثاني للحصول على المتعة ولتحقيق التسلية لمستمعيها، فهي لا تعود للفترة التي سبقت الإسلام فقط، وإنما تعد قديمة قدم الحياة الاجتماعية، التي خضعت لسنوات التطور مثلما يخضع لها كل شيء في الوجود، كما أنها قد نمت بنمو المجتمع وتطوره وتوسع الحياة فيه [٣].

ولقد شغف العرب قبل الإسلام بالقصص شغفًا كبيرًا، وساعدهم على ذلك ، مما كانوا يمتلكونه من فراغ الوقت، إذ كان الراوي (القصاص) يبهر سامعيه بما يضيفه من خياله وفنه المبدع على القصة ، فتارة يقوم بإضحاكهم وتارة أخرى يقوم بأحزانهم ، وقد استمد العرب مادة قصصهم من الأساطير والخرافات السائرة المتنقلة من مجتمعهم ومن المجتمعات الأخرى التي يسافرون لها، ومن أخبار الناس واحاديثهم التاريخية المأثورة، ولا شك أن الكثير من هذه القصص قد تم تغييرها وتحريفها عن أصول حقيقتها، أما بسبب الموانع الدينية ولتغيير العادات والتقاليد الاجتماعية حينذاك، أو لطول المسافة والزمن بين الفترة الممتدة قبل الإسلام والعصور الإسلامية التي جاءت من بعده، ولكنها مع ذلك ظلت تحتفظ بسمات قصصها القديمة [٤].

مفهوم الفن القصصي:

للفن القصصي جذور عميقة في التراث الأدبي العربي القديم، إذ عرفه الإنسان وأولع به منذ أقدم العصور، لأنه كان هو نفسه مصدر الأساس لخلق هذا الفن، لهذا أصبح الأنسان في الوقت نفسه مبدعه وبطله. وعدت الحياة بأوسع معانيها وتجاربها؛ مسرح لوقائع الأحداث التي جسدها هذا الفن، كما كانت خيالاته وأحلامه وإدراكاته وتفكيره منبع لأبداع شخصياته ومأساته. ولقد نما الفن القصصي مع تطور حياة الإنسان، إذ واكب كفاحه وصراعه مع محيطه الطبيعي والاجتماعي. وعكس صراعه المستمر والمزدوج مع الطبيعة وتحدياتها المتقلبة من جهة، ومع أخيه الإنسان من جهة أخرى[٥].

ولقد قدم "**روبرت لويس ستيفنسون**" [٦] والذي يعد من أشهر رواد القصص في العالم، مفهوما عاما لتعريف الفن القصصي بقوله: " **بانه سرد يكون أما واقعيا أو خياليا لأفعال قد تكون على شكل نثرا أو شعرا؛ الهدف منها إثارة الاهتمام والاستمتاع أو لتثقيف السامعين أو القراء**". كما ويضيف " ستيفنسون " بانه يوجد ثلاث طرق فقط لكتابة القصة، فقد يأخذ الكاتب في الطريقة الأولى حبكة ثم يجعل شخصياتها مناسبة لأحداثها؛ أو يأخذ شخصية ما في الطريقة الثانية ويختار لها الأحداث والمواقف التي ترفع من قيمتها؛ أو قد يأخذ الكاتب في الطريقة الثالثة جوا معينا (حدثا ما) ويعمل على أن تكون الأفعال والشخصيات معبرة عنه أو مجسدة له[٧].

ولقد عرفت القصة لغويا بمعاني مختلفة، إذ عرفها " **ابن منظور**": " **بانها قد اشتقت من الفعل الثلاثي قص؛ وجاء في اللغة العربية: قص أثره يقصه قصا وقصصا تتبعه، والقص تتبع الأثر** " (٨).

كما وعرفها " **العزب**": " **بانها ذلك التعبير عن الحياة، بكل تفصيلاتها وجزئياتها كما تمر في الزمن، ممثلة في الحوادث الخارجية والمشاعر الداخلية، مع فارق واحد، وهو أن القصة اختيار وتنسيق، اختيار لحادثة أو عدة حوادث، تبدأ وتنتهي في زمن محدود، وتصور غاية معينة، وتساق جزئياتها سياقا معينا يؤدي إلى تصوير هذه الغاية** " (٩).

وأشار " **ابن عاشور** ": " **بانها تعني الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها ... وجمع قصة وقصص بكسر القاف، وأما القصص بفتح القاف فاسم الخبر المقصوص وهو مصدر سمي به المفعول** " (١٠).

وأضاف " **الجندي** " بان الفن القصصي: **يعد فن من فنون القول النثري يسعى للتأثير على مجموعة من السامعين بالاعتماد على أسلوب فني معين، كما أنها لابد من أن تمتلك خصائص معينة بحيث تتوافر في الحاكي وخطبته، ويمتاز الفن القصصي بتعدد أنواعه ومناسباته. ولقد وصل الفن القصصي قبل الإسلام إلى ذروة إبداعه ورقيه كخطبة قس بن ساعدة الإيادي .... وغيره**" (١١).

كما واكد " **اللقاني والجمل** " بقولهما: " **بانه مجموعة من الحقائق تقدم للإنسان بطريقة ممتعة ومشوقة من خلال عرضها لبعض المواقف والأحداث والموضوعات المتعلقة بشخصيات مختلفة، وتتميز بانها تتألف من أنواع متعددة، منها: القصة الواقعية؛ القصة التمثيلية؛ القصة التاريخية**" (١٢).

وقدم " **نصر** " مفهوما أخر للفن القصصي: **بانه مجموعة من الحكايات التي تعتمد على الوقائع والأحداث والحبكة القصصية، والأشخاص والخط الدرامي والعقدة، ولها زمان ومكان، والتي تهدف إلى التثقيف والتعليم والإمتاع والتسلية**" (١٣).

وعرفها " **أبو الشامات** "على أنها: **فن من فنون الأدب يقوم على عناصر ومقومات فنية، يتم فيها تجسيد الحدث من خلال شخصية واحدة أو عدة شخصيات، تتواجد في ظل بيئة زمانية ومكانية معينة، تساعد على شحذ انتباه المستمعين بشكل**

يجعله يستحضر أحداث القصة في خياله وفكره ووجدانه، كما لو كان يشاهد أحداث القصة أمامه فعلا" (١٤).

خصائص الفن القصصي في المجتمع العربي قبل الإسلام:

يرى أدباء الغرب بان العرب قبل الإسلام لم يعرفوا القصة أو الفن القصصي، وكانت حجتهم التي دعتهم إلى هذا القول، بان مزاولة هذا الفن يتطلب من الشخص الرؤية والفكرة والارتجال، والعرب قبل الإسلام كانوا يتصفون بانهم أهل بديهة، إذ كان اهتمامهم منصب على معرفة طبائع الناس، وقد شغلوا بأنفسهم من النظر فيمن عداهم، وهم يفتقرون إلى عناصر التحليل والتطويل، ويصفون بانهم اشد الناس اختصارا في الكلام والحديث ؛ وأقلهم تعمقا في البحث، كما يقل تعرضهم للأسفار البعيدة والأخطار الشديدة، وان طبيعة أرضهم، وبساطة دينهم، وضيق خيالهم قد حرمتهم من ممارسة هذا الفن(١٥).

أما السبب الأخر في دعوتهم بفقر العرب قبل الإسلام بممارسة هذا الفن، هو أن هذا الفن يعد أحد أنواع النثر، كما يمتاز بانه فن كتابي أو نثر فني، لهذا فقد ظل ظهور هذا الفن في حكم العدم لدى العرب قبل الإسلام .. حتى أواخر العصر الأموي، عندما وضع ابن مقفع الفارسي مناهجا لكتابة النثر، عندها فكر في تدوين شيء من كتابة نثر الفن القصصي (١٦).

لكن أدباءنا العرب قد كان لهم رد حازم على ما أثاره بعض الأدباء الغرب من جدل حول معدومية توافر هذا الفن لدى العرب قبل الإسلام، إذ تصدى الكاتب المصري " **احمد موسى سالم** " (١٧) اتهامات الغرب وهذا يتضح في قوله: " **أن مثل هذا الدعاء فيه الكثير من الافتراء والمغالطة لحقائق التاريخ الأدبي في اللغة العربية، وان مثل هذا الدعاء والإنكار سواء من الغربيين أو من نقاد العرب، أنما جاء لأنهم وضعوا القصة الغربية بمفهومها الغربي، وصياغتها الخاصة كأنموذج، فبحثوا عن هذا اللون في التراث العربي فلم يجدوه، وهذا بحد ذاته يعد مقياس خاطئ في عدم وجود الفن القصصي في الأدب العربي قبل الإسلام ، وذلك لان القصة العربية حينذاك كانت تتميز بخصائص ومناهج والوان وأشكال مختلفة في تصوير المجتمع العربي بآماله والأمه وأحلامه وتطلعاته**" (١٨).

كما كان للكاتب " **عمر الدسوقي** " ردا أخر عندما قال: " **أن ما كتبه العرب وما ترجموه من قصص في القديم والحديث ينبئ بجلاءٍ عما يتمتعون به من خيال ومهارة فنية في هذا السبيل** " [١٩]. وأضاف الكاتب " **أحمد أمين** " رايا أخر والذي يظهر في قوله: " **بانه كانت هناك صلة بين العرب قبل الإسلام وآداب غيرهم من الأمم؛ كالإغريق والفُرس، تمثلت في أنهم أخذوا بعض القَصص فاحتفظوا بها يروونها ويتسامرون بها على الحال التي نقلوها عليها دون تبديل، أو صاغوها في قالب يتفق وذوقهم، علاوة على قَصصهم الأصيلة التي لم يأخذوها من غيرهم مما نجده في أيام العرب، وما يسميه بـ (أحاديث الهوى)** " [٢٠].

وأضاف " **الشاروني** " بان العرب قبل الإسلام قد عرفوا الفن القصصي، وان اختلف مفهوم القصة لديهم عن مفهوم القصة الغربية، وان حقيقة هذا الاختلاف يعود لتباين خصائص المجتمع الغربي عن المجتمع العربي، فضلا عن تباين طبيعة الحياة في كلا المجتمعين. وما دام الفن إذا نبع في أمة ما فانه يظهر معه مكونات وادأب والتطور الحضاري، والمقومات الحضارية، والجذور الثقافية لهذه الأمة، لهذا فقد كان الاختلاف ملحوظا بين مميزات وخصائص الفن القصصي عند العرب والغرب، والذي هو بالتأكيد جاء نتيجة للتباين الفكري والحضاري بينهما. وبغض النظر عن نوعية القصة أو اسمها وعدد الكلمات التي تحتويها، وعدد الأدوار التي يمثلها شخوصها، فانه في الوقت نفسه قد امتازت بكثرة أشكالها عند العرب قبل الإسلام، إذ نجدها تأتي على شكل حكاية؛ رواية، نبأ، خبر؛ أسطورة؛ مقامة. وجميعها تعد أصولا قامت عليها بناء القصة الغربية، والذي يرفض كتاب الغرب الاعتراف بوجودها لدى العرب، ولم يقفوا عند هذا الحد، بل رفضوا قياس فن القصة عند العرب قديما بمقاييس الأدبية الذي وصل أليها هذا الفن في العصر الحديث [٢١].

لقد اتسم الفن القصصي عند العرب قبل الإسلام بانه كان اقل بكثير من الفن الشعري، إذ أن الغالبية العظمى مما وصلنا من التراث العربي القديم هو فنا شعريا ، مع أن العكس إذ ينبغي أن يكون نثرا أدبيا ، وان الواقع يحتم بان يكون النثر الأدبي اكثر من القصيدة الشعرية ، وذلك لسهولة أداء الفن الأول وخلوه من التحديد والتقيد بالقواعد الأدبية ، لان الشعر يحتاج إلى موهبة خاصة ، وإمكانية لغوية عالية ، ومن ثم فالفن القصصي اكثر

دورانا على الألسنة ، واسهل تأليفا من الشعر ، ولعل سبب قلة الموروث من الفن النثري الذي سبق الإسلام يرجع إلى أن الأدب القصصي في هذه الفترة كان يحفظ ويتناقل بطريق السماع والحفظ والرواية ولم يتم تدوينه ألا بعد انتهاء الفترة التي سبقت الإسلام بمدة طويلة ، بينما الأدب الشعري كان يعلق بالذهن بسهولة ، وذلك لما يتمتع من نغمات موسيقية منتظمة (٢٢).

لكن على الرغم من ذلك، فلقد احتل الفن القصصي مساحات واسعة في الأدب العربي قبل الإسلام، إذ كان يجمع بين المتعة والمنفعة، فقد تميز حينها بانه كان يؤدي إلى وظيفة منفعية غير مقصودة، وذات توجيه عميق وتأثير فاعل بحيث يؤدي إلى غرس القيم، وان الوقائع التي حدثت من قبل أشخاصها قد جاءت في غير إرادة فنية أو تأطير جمالي. لذا فان القصة أو الحكاية قديما، تميزت بانها قد رصدت الأقوال والسلوكيات من واقعية الحدث، وهي عكس ما نلحظه اليوم إذ نجد أن القصة الأن تنبع من إرادة البناء الشكلي، أي أن الأدباء قد نظروا للقصة العربية القديمة من محتواها المنفعي والغرضي أكثر من محتواها الفني أو الشكلي، وهو عكس ما نراه الأن في القصة الحديثة التي تهتم بالجانب الشكلي في مضمونها العام (٢٣).

أن الفن القصصي عند العرب قبل الإسلام قد استمد موضوعاته الأولى من البيئة العربية، فهو يحتوي في مضمونه أشكالا درامية من خلال سرد حادثة أو حوادث مع الميل إلى وصف أو الإفصاح عن شعور ومواقف وأراء، وكان الحاكي يقوم بتطوير حكاياته كلما وجد الدافع لتقديم وسرد الرواية أو التوصل إلى إدراك أبعاد الأجناس والأنواع والأقسام الأدبية المختلفة (٢٤).

ولقد تميزت القصة قبل الإسلام أيضا بانها كانت من أكثر الأساليب الأدبية وأمكنها على تنمية الفضائل الإنسانية في نفوس الأخرين، وتمثيل مكارم الأخلاق وتشكيل العادات والتقاليد المقبولة في المجتمع، واستخراج خلجات النفوس وانفعالاتها، كما أنها نتيجة لشرف غرضها، ونبل مقاصدها، ولكرم غايتها، تؤدي إلى تهذيب الطباع، وترقيق القلوب، وحث الناس بالاقتداء بالمثل العليا، من الصدق والحق والمحبة والتضحية والكرم والشرف والإيثار (٢٥).

وهذا لا يعني بان كل رواية أو قصة أو طرفة جاءتنا من العرب قبل الإسلام، أنما هي موثوقة المصدر من حيث أحداثها ومواقفها، لكن أن قيمتها الأدبية تنبع أساسا من كونها مأخوذة من صلب التراث، وليس من حواشيه أو إضافاته. فكثير مما منحته لنا الكتب التراث التاريخية من موضوعات أنما كانت ملفقة أو منسوبة إلى التراث العربي بنسبة غير حقيقية، غير أن هذا الأمر لا ينفي حقيقة أهمية الفن القصصي عند العرب قبل الإسلام (٢٦).

ويرى الكاتب المصري " **فاروق خورشيد** " في كتابه المعروف بالعصر الجاهلي، بان الفن القصصي الأول قبل الإسلام قد كان يمثل القصة والرواية معا، وما عدا ذلك من الصور –كالخطابة والسجع – فأنها لا تعدو أن تكون عبارة عن استجابة لحاجة مؤقتة لدى الناس من حاجات الحياة، ومجالها أقرب إلى جوانب اللغة منه إلى جوانب الأدب(٢٧).

وإذا أردنا أن نعود إلى تاريخ العرب قبل الإسلام وأخباره، نجد أن هذا الضرب من الفنون الأدبية كان يلعب دورا مهما في حياة العرب حينذاك، إذ شغف العرب بكتابة القصص عن فرسانهم ووقائعهم وأشراف ملوكهم وقبائلهم، ولقد كان الغرض من قصصهم هذه هو لقطع أوقات سمرهم في الليل والبقاء في خيامهم، وقد دارت فيما بينهم أطراف مختلفة من أخبار الأمم المجاورة لهم والتي كانت ممتزجة بالخرافات والأساطير، وان أكثر ما كان يستهوي العرب من القصص، هي تلك المتعلقة ببطولاتهم في أيام حروبهم ، كما تميز الفن القصصي عند العرب قبل الإسلام بانه عبارة عن كتابات أو روايات لم تكن تؤدي إلى جانب أغراضها السياسية والتجارية والاجتماعية أغراضا أخرى أدبية أو فنية ، إذ لم تكن بوصفها اكثر من كتابة ساذجة وبديهة أدت أهدافا خاصة قبل الإسلام وانتهت بانتهاء هذه الأهداف (٢٨).

كما تتسم فضاءات الذات في قصص العرب قبل الإسلام نزوعا نحو الموضوعية، إلا أنها في الأصل ليس إلا اكتفاء بعملية النظم وترتيب الوقائع والأحداث، فالذات تتجه لصالح الوقائع التي تنوب عنها، وليس باتجاه موضوعاتها والتي يحركها السارد أو الحاكي كمسؤول عن السرد. ولعل نوع الأدب الذي يدخل الحدث في ظل إطاره لا يتحدد

إلا بالطريقة أو الكيفية التي يتم الكتابة عنه، وبما أن الأدب يتصف بانه إبداع، لذا فإن ناقل الحقائق إلى حقل الأدب لا يمكن أن يتجاوز الذاتي والموضوعي؛ لأنه ضروري على مستوى السامع المتلقي (٢٩).

ومن خلال ملاحظتنا للقصة قبل الإسلام ، نرى بان الظاهرة الفنية التي برزت فيه ظاهرة القصة لم تظهر بمفهومها الاصطلاحي الدقيق باعتبارها فن أدبي له شكله ونوعه وقواعده وشروطه ووظيفته، ولكن من حيث وصفها بانها قصة طريفة تسجل لنا كل ما يقع على أعين السارد أو الحاكي من وقائع وأحداث ضمن مجتمعه، إذ يقوم الحاكي بسرد قصة حياة ذلك المجتمع الذي يعيش فيه خلال فترة من الفترات التاريخية التي عاشها قبل الإسلام، أو انه يقص مغامرة عاشها كحوادث متتابعة جرت له، لاسيما عندما يتعلق الأمر بنمط معين من صيغ الحياة وأساليب العيش فيها (٣٠).

أنواع الفن القصصي في المجتمع العربي قبل الإسلام:

أن المتأمل في الفن القصصي أباء العصر الذي سبق الإسلام، يلحظ أنماطا قصصية متشابهة المحاور، قام بسردها الحاكي كما يتبين لنا في قصة الطلل أو في مشهد الطبيعة أو في قصة الحيوان الوحشي، وكل ذلك يظهر لنا أنواع العناصر البيئية الزمانية والمكانية، فضلا عن التحولات التي تشهدها الأحداث والصراعات بين الشخصيات، وهذه بدورها تلقي ظلالا من الحركة تصل إلى أقصاها أحيانا، كما وتتجلى في أنواع القصص، مثل قصة الضيافة، والحمار الوحشي، والثور الوحش (٣١).

ولقد تناول الفن القصصي قبل الإسلام حادثة أو واقعة واحدة؛ أو عدة وقائع والتي تعلقت في مضمونها بشخصيات إنسانية منها – وأخرى غير إنسانية، كما أنها قد انقسمت إلى نوعين وفقا لطبيعة أحداثها: حقيقية (واقعية)، وخيالية (خرافية). أما بالنسبة للقاص (الحاكي) قبل الإسلام فقد كان يتخذ مجلسه في الليل، إذ تبدأ الأماسي لديه عند مضارب خيام القبائل البدوية المتنقلة، وكانت موضوعاته القصصية تدور حول مواضيع متعددة ومتنوعة لأجل تسلية وإمتاع المستمعين أو لغرض تقديم الوعظ والإرشاد لهم، ولقد تم تناقل تلك القصص إلى المجتمع العربي قبل الإسلام عبر الرواية من الأسلاف (٣٢).

ولقد كان القاص أو السارد يجلس ومن حوله يلتف المستمعون، إذ يقوم بسرد أجمل القصص والحكايات عليهم، وكان ذلك يتم في مضارب الخيام العربية الخاصة بالقبائل البدوية، فضلا عن مجالس أهل الحضر والقرى، لذا فالقصة حينها كانت من فنون النثر المتميّزة، والتي يكثر فيها حكاية الأساطير والخرافات والخيال وقصص الحروب التي تحدث ما بين الفرس والروم [٣٣].

وخلال سرد القصة يقوم الحاكي بسرد أحداث متتالية وفقا للأثر الذي تركته تلك الذكريات في نفسه، فأحيانا يسرد مقطعا سرديا أو جملة من قصة عابرة وأحيانا يتعدى عدة مقاطع سردية معتمدا على أشكال السرد من فضاء وزمان وحوار وأحداث ومشاهد[٣٤].

أن القصص قبل الإسلام قد تنوعت بتنوّع الأحوال وظروفهم الطبيعية والاجتماعية، فكانوا في كلّ جلسة من جلسات سمرهم، يروون قصصًا متعددة ومختلفة، فمنها الواقعية ومنها من وحي خيالهم الإبداعي، وقد امتازت القصص قبل الإسلام بالمتعة والتشويق والموعظة، وتصوير الواقع الحالي الذي كانوا يعيشون فيه، ومن الموضوعات التي كان يتداولها الناس في قصصهم في ذلك العصر: –

ا–تصوير أيام حروبهم.

ب–تسجيل انتصارات أبطالهم.

ج–ما أصابت به بعض قبائلهم المعروفة من هزائم منكرة.

د–موضوعات القصص التي تدور حول ملوكهم من الغساسنة والمناذرة.

هـ–موضوعات القصص التي تدور حول الكهنة والشعراء والسادات المشهورين في إيامهم.

و–قصص الجن والعفاريت والشياطين.

ز–القصص عن ألسنة الحيوانات [٣٥].

ويمكن أن نبرز اهم أنواع القصص التي انتشرت عند العرب قبل الإسلام من خلال الموضوعات القصصية الأتية: –

١-القصة الخرافية قبل الإسلام:

لقد عرف العرب في قبل الإسلام القصص التي تتحدث عن تلك المخلوقات غير مرئية ، مثل قصص الشياطين والغول والعنقاء وغيرها ، وهذا النوع من القصص تميز بانه من نتاج الصنع الخيالي الجاهلي ، والذي جاء نتيجة خوف الأنسان من الطبيعة والحذر من إغضابها ، أو إشباعا منه للتطلع إلى عالم آخر تطمح بالوصول أليه النفس البشرية ؛ تعويضا لطول المكوث على الأرض ولانعدام معرفة ما موجود في السماء ، ولقد ساعدهم حينذاك السحرة القادرين الذين كانوا قادرين للقيام بتمثيل أعمال خارقة كتحويل المناديل البيضاء إلى حمام بطريقة بهلوانية ، كما وتميزت هذه الحكايات والقصص بترابط حوادثها المشدودة فيها بطريقة توصف بالوهن والضعف ؛ وهي كانت جافة مقصورة على حادثة أو اثنتين. وقد أولع العرب القدماء بكتابة القصص حول حيوانات العنقاء والهدرة ذو تسعة رؤوس، وكذلك التنين الذي كان حارس الكنوز المتموضعة في بلاد اليمن وكذلك فكرة الصراع بين الإنسان والجن [٣٦].

وتعد القصص الخرافية عبارة عن حكايات سردية قصيرة، والتي تنتمي إلى عالم الوهم والخيال، إذ يسردها الحاكي بالاعتماد على سحب شخصيات خيالية، وجعل قبولها لدى الناس على الرغم من مخالفتها للطبيعة «الخوارق»، ومن ثم تصوير العالم بصورة غير واقعية سواء كانت فنتازيا أو أسطورية أو خرافية، مع التقييد بالتصورات الموروثة، كما أنها تروى في بعض الأحيان على لسان الحيوان أو استنادا على بعض الظواهر الطبيعة، وتنطوي عادة على مضامين أخلاقية والتي تكون المغزى من سردها [٣٧].

ولقد خلط العرب قبل الإسلام معنى الدهر بالقضاء والقدر ونمت هذه العقيدة عندهم حتى خضعوا لسلطان (مناة وعوض)، وهي عبارة عن أصنام تعني الدهر، فأصبح الدهر يمثل إلها من آلهة العرب، وكانت غايتهم من ذلك الخلود. وفي الأساطير العربية القديمة أن الملك ذو القرنين أراد الخلود، ووصل مع الخضر (عليه السلام) إلى عين الدهر، ليشرب منها الماء الذي سوف يعطيه حياة أبدية، لكنه منع من ذلك، كما وطمح لقمان بن عاد كذلك إلى الخلود، إذ ارتبط خلوده ببقاء سبعة من النسور على قيد الحياة، وكان آخر

نسر اسمه (لبد) ويعني الدهر، لكن النسور ماتت كلها واحدا تلو الآخر حتى جاء دور لبد الذي مات وانتهت حياة لقمان بموته [٣٨].

٢-القصة المثلية قبل الإسلام:

قام العرب قبل الإسلام باختزال العديد من قصصهم على شكل أمثال وحكم، والتي كانت من صميم تجاربهم، ولقد تميزت أمثال وحكم العرب القصصية بانها لم تترك جانبا من جوانب حياتهم ومجتمعهم إلا وطرقته وتحدثت عنه من بين (٣٥٠٠) صيغة مثلية الذي قام بجمعها وشرحها الميداني، كما وتجد المئات منها ذات قصص وحكايات متنوعة كما في الصالة لقمان الحكيم وأكثم بن صيفي وزرقاء اليمامة [٣٩].

ويمكن القول بان العرب قبل الإسلام قد اعتنوا بالقصص المثلية عناية خاصة، فقد أحاطوها في كل ميادينهم تقريبا، فكان لكل ضرب من جوانب حياتهم مثل أو حكمة يلهج به، كما بلغت عناية اللغويين مستوى مميزا عن غيرهم، لان الأمثال بالنسبة إليهم كانت تجسد اللغة الصافية إلى حد كبير، فتوارثوا منها شواهد جمة، وبنوا على أساسها شاهقات بنائهم اللغوي [٤٠].

وتقسم القصص المثلية عند العرب قبل الإسلام إلى خمس أنواع وهي:

ا-الأمثال الناجمة عن حادثة: وهي التي تقال بعد انتهاء الحادث ما، كقولهم ((وافق شن طبقة)) وتعود قصتها إلى رجل اسمه (شن) وجد ضالته فتاة اسمها (طبقة) فتزوجها.

ب-الأمثال الناجمة عن التشبيه: وهي التي تمتص مادتها من اتخاذ قصة وصف شخص ما، أو شيء ماء، أو حدث ما، مثالا يحتذي به كقولهم ((أجود من حاتم)).

ج-الأمثال الناجمة عن قصة: والمقصود بالقصة هنا تلك المروية أو المتداولة على السنة الناس، كقصة أحياء النبي عيسى (عليه السلام) الموتى التي أنتجت المثل ((لمسة نبي)).

د-الأمثال الناجمة عن حكمة: كقول زهير بن أبي سلمى (البحر الطويل)

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطى يعمر فيهرم

هـ-الأمثال الناشئة عن قصة شعرية: كقولهم (البحر الرجز)

هذا أوان الشد فاشتد زيم .....الخ[٤١].

٣-القصة التعليلية قبل الإسلام:

وهي نوع من القصص التي تتحدث عن التراث الديني ، الخاص بالآلهة الذي انتشر على مساحة واسعة من أرض العرب ، إذ تعرض في طياتها مظهر جبل أو انحدار واد أو نتوء صخرة أو اكتشاف سبب تكوين مخلوق عجيب ، ومنها قصة نبينا إبراهيم عندما أراد أن يضحي بابنه إسماعيل (عليهما السلام) ، وقصة نصب رجل لأصنام في وادي منى والتي تمثل الشيطان الأكبر الذي يقوم برجمه الحجاج قبل الإسلام ؛ أو قصتي طوق الحمامة وطوق الهدهد اللتان تم ذكرهما في كتاب الحيوان للجاحظ ، فضلا عن قصة الصرح الذي تم بنائه من قبل هامان بأمر من فرعون ، وكذلك قصور ثمود في وادي القرى؛ وقصة خراب سد في اليمن وغيرها من القصص [٤٢].

وتذكر المصادر التاريخية بان قصة خراب سد قد ارتبط باسم (سد مأرب) وهي قصة تاريخية قديمة ومشهورة، إذ يحكى بانه قد عاش سابقا رجل يطلق عليه اسم المملكة "سبأ"، وكان سيد قومه حينذاك، ويتبع لحكمه الكثير من القبائل في عصره، واشتهر بانه كان صاحب ثروة كبيرة ، أما بلاده فكانت غنية بالماء والكلأ، وهذا الماء كان يمر بين جبلين عظيمين، فما كان من ذلك السيد إلّا أن أمر أبناء قومه ببناء سد عظيم بين الجبلين يحبس الماء خلفه، وبعد أن حصل ذلك، حتّى اخذ الماء بالارتفاع إلى أعلى الجبل وانحصر بالسد العظيم الذي تم بناؤه، وسمّي ذلك السد بعد ذلك بـ(سد مأرب) ، عندئذ توفرت المياه واخضرت الأغصان وتفاقمت البساتين ، وعاش أهل تلك المملكة برخاء وراحة[٤٣].

٤-القصة الغرامية قبل الإسلام:

لم يذكر لدى العرب في ظل حياتهم قبل الإسلام توافر قصص تتغنى بالحب والغرام سواء منه العفيف أو الصريح دون تكريس معنى نوعية هذا الحب بشكل ظاهرة خاصة، فقد اتسمت كتابات الكثير من الشعراء بانها عبارة عن قصائد قصصية كقصة دار جلجلة الخليعة لأمرئ القيس، وكذلك قصة رحيل امرئ القيس إلى بلاد الروم لاستعادة ملكه وقصة ملحمة الحب والصراع لعنترة الذي خلفه لونه الأسود [٤٤].

أن فن الأداء القصصي قد عرف بصورته السردية في القصيدة قبل الإسلام، وهذا الفن هو فنا عريقا، لأنه يتخذ من مجاريه التراثية في بعض مشاهده لوحات القصص الغرامية، واهم ما يميز هذه القصص الشعرية في انه يدور حول المرأة، إذ كان للشعراء مع محبوباتهم قصصا والتي حرصوا على تخليدهن في أشعارهم لإعلاء شانهن ولإظهار مكانتهن في نفوسهم [٤٥].

وتعد معلقة أمرؤ القيس (قصة قفا نبك) من ذِكرى حبيب ومنزل التي تم أخذها منها تلك الأبيات من أشهر المعلقات، وقد كتب الشعر في القرن السادس الميلادي، ومن أبيات هذه القصيدة ما يأتي:

أغرك مني أن حبك قاتلي وأنك مهما تأمري القلب يفعل
أجارتنا إنّ الخطوب تنوب واني مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا إنّا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب
فأن تصلينا فالقرابة بيننا وإن تصرمينا فالغريب غريب[٤٦].

٥-قصص اللصوص وقطاع الطرق (الشطار):

يميل الناس في هذا النوع من القصص بشكل عام للغرائب الممتعة والمضحكة، والعرب كغيرهم من المجتمعات، قد مالوا لهذا النوع من القصص لأنها تؤدي بهم إلى الفكاهة المصبوغة بالجد، كما تتصف بان قصصها كثيرة ومدهشة [٤٧].

وتعد قصص اللصوص المدخل الذي يكشف عن الملامح الرئيسة للحاكي أو السارد، فالقصة تحدد شخصيته، ومن ثم جوانب أدائه الفني للقصة، كما ساعدت الظروف أبان الفترة التي سبقت الإسلام على أبداع سرد حكايات اللصوص من جودة وإتقان، فالأحداث التي كانت تقع بين القبائل وبين الشعوب المجاورة لها؛ والصلات الاجتماعية التي كانت تحكم العادات والتقاليد، كل هذه الأمور تتطلب فيها الاعتماد على فصيح القول وبليغ العبارات الأدبية، ومن ثم إبرازها في مجالس السمر التي كانت تعقد ليلا ، حينما كانوا ينتهون من مشاكلهم اليومية ، وبعدها يميلون لاسترجاع علاقاتهم الاجتماعية وتقوية روابط الصداقة من خلال سرد بعض قصص اللصوص أثناء جلوسهم في هذه المجالس من اجل المتعة والضحك والفكاهة [٤٨].

ولقد اعتاد بعض القصاصين سرد قصصهم أثناء سفرهم مع جملهم، إذ حاولوا وصف جملهم بأبيات شعرية ومنهم شاعر اللصوص (ذا القتال الكلابي) الذي وقف موقف المعجب من ناقته فنعتها بصفات تستحقها بلا غرور فهي التي أعانته على تجاوز طريق السفر بأبيات: –

أشميل ما يدريك أن رب ماجن طام عيالمه مخوف المرصد

جاهرته بزمام ذات براية وحدى سوى أجد وسيف مفرد(٤٩).

٦–القصة قبل الإسلام على لسان الحيوان:

لم يبخل العصر الذي سبق الإسلام من تقديم القصص على لسان الحيوان، لغرض إظهار عبرة أو حكمة أو نوع من الفكاهة والتندر، كما نلحظه في قصة ابن آوى والثعلب رمز المهارة، والتيس والضبع رمز السذاجة، وأيضا قصة الهدهد رمز الألمعية والعبقرية والذكاء، فضلا عن قصة الغراب رمز الحيلة وقصة الديك والنعامة رمز الخدوعين وقصة براقش تمثل إلى مرافقة الغبي (٥٠).

ويعد هذا النوع من القصص من أقدم نواع القصص التي عرفها العرب قبل الإسلام، ومن الأنماط القصصية الضاربة في جذور تراثنا السردي العربي، إذ تعزى فيها الأقوال والأفعال للحيوان، بهدف التهذيب الخلقي والوصول إلى الإصلاح الاجتماعي، أو اللجوء إلى النقد السياسي، فضلا عن التمتع الفني الذي تحققه غرائبية هذه القصص وعجائبها، ومدى قدرتها على الإدهاش والأثارة، ومن ثم الوصول إلى قلب المتلقي (٥١).

ولعل أجل ما اتسم به الحيوان من الفضائل الدالة على نبله أنه لا يقدم على قتل بني جنسه، ولا تسول له نفسه الاعتداء وإظهار عدوانيته عليهم، " فالوحوش لا تقتل المخلوقات الأخرى، ولا تعذب الوحوش أبناء جنسها " وهذا ما أظهره الشاعر الشنفرى الأزدي مطَّلعاً على خصال الحيوان حين قرر الانسلاخ من المجتمع البشري إلى الجماعة الحيوانية التي أعلن عن هوية أفرادها بقوله:

ولي دونكم أهلون سيد عملَّس وأَرقَطُ زهلولُ وعرفاءُ جيأَلُ

هم الرهطُ لا مستودع السر شائع لديهم ولا الجاني بما جر يخذلُ؟ (٥٢).

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين الذي وفقنا ومنحنا الفكر العلمي في تقديم بحثنا الحالي، وهذه هي قطراتنا الأخيرة في مشوار بحثنا، والذي كان يتمركز عن (الفن القصصي عند العرب قبل الإسلام)، إذ بذلنا كل جهدنا المتواضع كي يخرج البحث على أفضل شكل.

وبعد إكمالنا لمحاور البحث، توصلنا إلى عدة نتائج مهمة والتي يمكن أن يستفيد منها الباحثين المهتمين بموضوعنا الحالي، والتي يمكن أن نستعرضها بالنقاط الأتية: –

١–ارتبطت القصة في أول نشأتها عند العرب قبل الإسلام بالشعوب الإنسانية القديمة منذ بدايات حياتها، حينما اخذوا يتسامرون بالاستماع لحكايات وأحداث من وحي معتقداتهم الدينية الوثنية.

٢–يعد الفن القصصي أسلوبا نثريا أدبيا، التجا أليه العرب قبل الإسلام لتصوير واقع حياتهم الاجتماعية والطبيعية، فالحاكي كان يهدف إلى تسخير أو توظيف جل إمكاناته وطاقاته لإخراج إبداعاته الفنية لبلوغ الهدف الذي يرمي له من سرده للقصة.

٣–لقد واجه العرب قبل الإسلام ادعاءات زائفة من قبل بعض أدباء الغرب، وربما أدباء العرب أيضا، بأنهم لم يعرفوا الفن القصصي ولم يزاولوه، لأنهم كانوا أهل بديهة، إذ كان اهتمامهم منصب على معرفة طبائع الناس، وقد شغلوا بأنفسهم من النظر فيمن عداهم، وهم يفتقرون إلى عناصر التحليل والتطويل، ويصفون بأنهم اشد الناس اختصارا في الكلام والحديث؛ وأقلهم تعمقا في البحث.

٤–يعد فن من فنون القول النثري يسعى للتأثير على مجموعة من السامعين بالاعتماد على أسلوب فني معين، كما أنها لابد من أن تمتلك خصائص معينة بحيث تتوافر في الحاكي وخطبته، ويمتاز الفن القصصي بتعدد أنواعه ومناسباته.

٥–ان القصة أو الحكاية قديما، تميزت بانها قد رصدت الأقوال والسلوكيات من واقعية الحدث، وهي عكس ما نلحظه اليوم إذ نجد أن القصة الأن تتبع من إرادة البناء الشكلي، أي أن الأدباء قد نظروا للقصة العربية القديمة من محتواها المنفعي والغرضي أكثر من محتواها الفني أو الشكلي، وهو عكس ما نراه الأن في القصة الحديثة التي تهتم بالجانب الشكلي في مضمونها العام.

٦-لقد شغف العرب بكتابة القصص عن فرسانهم ووقائعهم وأشراف ملوكهم وقبائلهم، ولقد كان الغرض من قصصهم هذه هو لقطع أوقات سمرهم في الليل والبقاء في خيامهم.

٧-أن القصص قبل الإسلام قد تنوعت بتنوّع الأحوال وظروفهم الطبيعية والاجتماعية، فكانوا في كلّ جلسة من جلسات سمرهم، يروون قصصًا متعددة ومختلفة، فمنها الواقعية ومنها من وحي خيالهم الإبداعي، وقد امتازت القصص قبل الإسلام بالمتعة والتشويق والموعظة، وتصوير الواقع الحالي الذي كانوا يعيشون فيه.

الهوامش:

١- تيمور، محمود (١٩٧١): القصة في الأدب العربي، الناشر: مكتبة ومطبعة الآداب للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، ص (١٨).

٢- ناصف، علي النجدي (١٩٧٦): القصة في الشعر العربي إلى أوائل القرن الثاني الهجري، الناشر: دار النهضة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، ص (١٨).

٣- القيسي، نوري حمودي؛ وآخرون (١٩٨٩): تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، الناشر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الطبعة الأولى، موصل، العراق، ص (٢٢).

٤- النجار، محمد رجب (١٩٩٥): التراث القصصي في الأدب العربي، الناشر: دار السلاسل للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الكويت، ص (١٦).

٥- المشوح، محمد بن صالح احمد (٢٠١٣): البناء الفني للقصة القصيرة عند عبد العزيز الصقعبي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، القصيم، المملكة العربية السعودية، ص (١٣٠).

٦- روبرت لويس ستيفنسون: هو روائي وشاعر وكاتب مقالات أسكتلندي، ولد في عام (١٨٥٠) وتوفي عام (١٨٩٤) تخصص في أدب الرحلات، واهتم بكتابة فن القصصي وخصائصها وأنواعها،

7- Stephen, Leslie (1902). "Robert Louis Stevenson", Studies of a Biographer, 4th, London: Duckworth & Co. p. 208.

٨- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين (١٩٧٢): لسان العرب: مادة قصص أو قص، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الجزء (١٢)، بيروت، لبنان، ص (١٢١).

٩- العزب، محمد احمد (١٩٨٠): عن اللغة والأدب والنقد: رؤية تاريخية ورؤية فنية، الناشر: دار المعارف للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، ص (٤٨).
١٠- ابن عاشور، محمد طاهر (١٩٨٤): تفسير التحرير والتنوير، الناشر: دار سجون للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزء الأول، تونس، ص (٦٤).
١١- الجندي، علي (١٩٩١): في تاريخ الأدب الجاهلي، الناشر: مكتبة دار التراث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، ص (١٢).
١٢- اللقاني، احمد حسين؛ والجمل، علي احمد (٢٠٠٣): معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرائق التدريس، الناشر: علم الكتب للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، مصر، ص (٢٢٣).
١٣- نصر، نفين مصطفى (٢٠٠٦): دور القصص في تنمية التفكير الناقد لدى الأطفال، مجلة التربية الوجدانية للطفل، المؤتمر السنوي لرياض الأطفال، المقيم في (٢٢) نيسان، كلية التربية، جامعة القاهرة، مصر، ص (٦٦٥).
١٤- أبو الشامات، العنود بنت سعيد بنت صالح (٢٠٠٧): إثر استخدام قصص الأطفال كمصدر للتعبير الفني في تنمية مهارات التفكير الإبداعي لدى طفل ما قبل المدرسة، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص (٢٤).
١٥- العبودي، ضياء غني لفته (٢٠٠٥): البنية السردية في شعر الصعاليك، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة البصرة، العراق، ص (٤٧).
١٦- ضيف، شوقي (١٩٦٠): تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي، الناشر: دار المعارف للطباعة والنشر، الجزء الأول، الطبعة (١١)، القاهرة، مصر، ص (٣٩٣).
١٧- احمد موسى سالم: (١٩١٥-١٩٩٤) وهو كاتب وصحفي ومحرر للشؤون الدينية بجريدة الأخبار المصرية، وعضو عن مجلس الأمة عن دائرة السويس، له مؤلفات عديدة من أشهرها (القصص القرآني في مواجهة اضب الرواية والمسرح).
١٨- العبودي، البنية السردية في شعر الصعاليك، ص (٤٧).
١٩- الدسوقي، عمر (١٩٤٨): في الأدب العربي الحديث، الناشر: مطبعة الرسالة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، ص (٣٣١).
٢٠- أمين، احمد (١٩٦٩): فجر الإسلام، الناشر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الطبعة العاشرة، بيروت، لبنان، ص (٦٦).
٢١- الشاروني، يوسف (١٩٧٧): القصة القصيرة، الناشر: دار الهلال للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، ص (٧).

٢٢- البشير، أيمان السماني الطيب (٢٠١٠): الشعراء اللصوص في العصر الجاهلي: دراسة وصفية تحليلية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة أم درمان الإسلامية، الخرطوم، السودان، ص (٨).

٢٣- العطوي، مسعد بن عيد (١٩٩٤): الاتجاهات الفنية للقصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، الناشر: نادي القصيم الأدبي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القصيم، المملكة العربية السعودية، ص (٤).

٢٤- الأيوبي، ياسين (١٩٩٤): أفاق الشعر العربي في عصر المماليك، الناشر: دار جروس برس للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، طرابلس، لبنان، ص (٣٣).

٢٥- شمس الدين، إبراهيم (٢٠٠٢): قصص العرب: موسوعة تراثية جامعة لقصص ونوادر وطرائف العرب في العصر الجاهلي والإسلامي، الناشر: دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء الأول، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ص (٥).

٢٦- مكي، الطاهر (١٩٧٨): القصة القصيرة، الناشر: دار المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة، مصر، ص (٤٦).

٢٧- خورشيد، فاروق (١٩٨٢): في الرواية العربية، الناشر: دار الشروق للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، عمان، الأردن، ص (٢٧).

٢٨- ضيف، شوقي (١٩٦٠): الفن ومذاهبه في النثر العربي، الناشر: دار المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة (٩)، القاهرة، مصر، ص (١٥ – ١٦).

٢٩- علقم، صبحة أحمد (٢٠٠٦): تداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ص (١٩).

٣٠- خليف، مي يوسف (١٩٩٨): بطولة الشاعر الجاهلي وأثرها في الأداء القصصي، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، ص (١٥).

٣١- بوفاس، عمر (٢٠١٢): القصيدة الجاهلية بين الحس القصصي وتجلي السردي، مجلة النص، العدد (١٢)، المجلد الأول، كلية الآداب، جامعة جيجل، الجزائر، ص (٢٢٧).

٣٢- مناع، هاشم صالح (١٩٩٣): النثر في العصر الجاهلي، الناشر: دار الفكر العربي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، ص (٧).

٣٣- الأيوبي، أفاق الشعر العربي في عصر المماليك، ص (٣٧).

٣٤- عبد المالك، بوتيوتة (٢٠٠٧): تجليات السرد في القصيدة الجاهلية، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري قسنطينة، بسكرة، الجزائر، ص (٢٧).

٣٥- علقم، تداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية، ص (٢٢).

٣٦- خورشيد، في الرواية العربية، ص (٣٠ -٣١).

37-Zipes, Jack (2013): Fairy tale as myth/myth as fairy tale, University of Kentucky Press, USA, pp. 20-21.

٣٨- خان، محمد عبد المعيد (١٩٩٣): الأساطير والخرافات عند العرب، الناشر: دار حداثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، ص) ٢١.(

٣٩- خليف، بطولة الشاعر الجاهلي وأثرها في الأداء القصصي، ص (٢١).

٤٠- أبو علي، محمد توفيق (١٩٨٨): الأمثال العربية والعصر الجاهلي: دراسة تحليلية، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ص (٣١).

٤١- أبو علي، محمد توفيق (١٩٨٨): الأمثال العربية والعصر الجاهلي: دراسة تحليلية، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ص (٤٥).

42-Jawad .Ali (1970): History of Arab before Islam, Bruit Laban Vol (5), p186.

٤٢- العلامات، محمود جلال (١٩٨٤): السبئيون وسد مأرب، الناشر: مطبعة تهامة للطباعة والنشر: الطبعة الأولى، جدة، المملكة العربية السعودية، ص) ١٢٤ – ١٢٥).

٤٣- حميدة، عبد الرزاق (١٩٥١): قصص الحيوان في الأدب العربي، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، ص (٣٨).

٤٤- جواد، رعد عبد الجبار؛ وحسين، ياسين عباس (٢٠٠٩): القصص الغرامي في العصر الجاهلي، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد (٥٧)، المجلد (٣)، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق، ص (٢٩٣).

٤٥- الشنقيطي، احمد بن الأمين (٢٠١٧): المعلقات العشر وأخبار شعرائها، الناشر: مؤسسة الهنداوي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، ص (١٥).

٤٦- خورشيد، في الرواية العربية، ص (٤٠).

٤٧- البشير، الشعراء اللصوص في العصر الجاهلي: دراسة وصفية تحليلية، ص (٦).

٤٨- طريفي، محمد نبيل (٢٠٠٤): ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، الناشر: دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، الجزء الأول، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ص (٥٠ – ٥٣).

٤٩- محمود، علي عبد الحليم (١٩٩٨): القصة العربية في العصر الجاهلي، الناشر: دار المعارف المصرية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، ص (٣٤).

٥٠- حميدة، قصص الحيوان في الأدب العربي، ص (٢٦).

٥١- العرفي، سعد عبد الرحمن (١٩٩٥): سلوك الحيوان في الشعر الجاهلي دراسة في المضمون والنسيج الفن، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص (٢٥).

المصادر العربية:

- ابن عاشور، محمد طاهر (١٩٨٤): تفسير التحرير والتنوير، الناشر: دار سجون للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزء الأول، تونس.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين (١٩٧٢): لسان العرب: مادة قصص أو قص، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الجزء (١٢)، بيروت، لبنان.
- أبو الشامات، العنود بنت سعيد بنت صالح (٢٠٠٧): إثر استخدام قصص الأطفال كمصدر للتعبير الفني في تنمية مهارات التفكير الإبداعي لدى طفل ما قبل المدرسة، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- أبو علي، محمد توفيق (١٩٨٨): الأمثال العربية والعصر الجاهلي: دراسة تحليلية، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان.
- أمين، احمد (١٩٦٩): فجر الإسلام، الناشر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الطبعة العاشرة، بيروت، لبنان.
- الأيوبي، ياسين (١٩٩٤): أفاق الشعر العربي في عصر المماليك، الناشر: دار جروس برس للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، طرابلس، لبنان.
- البشير، أيمان السماني الطيب (٢٠١٠): الشعراء اللصوص في العصر الجاهلي: دراسة وصفية تحليلية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة أم درمان الإسلامية، الخرطوم، السودان.
- بوفاس، عمر (٢٠١٢): القصيدة الجاهلية بين الحس القصصي وتجلي السردي، مجلة النص، العدد (١٢)، المجلد الأول، كلية الآداب، جامعة جيجل، الجزائر، ص (٢٢٧ – ٢٣٧).

- ♣ تيمور، محمود (١٩٧١): القصة في الأدب العربي، الناشر: مكتبة ومطبعة الآداب للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر.
- ♣ الجندي، علي (١٩٩١): في تاريخ الأدب الجاهلي، الناشر: مكتبة دار التراث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر.
- ♣ جواد، رعد عبد الجبار؛ وحسين، ياسين عباس (٢٠٠٩): القصص الغرامي في العصر الجاهلي، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد (٥٧)، المجلد (٣)، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق، ص (٢٩٣ – ٣١٢).
- ♣ حميدة، عبد الرزاق (١٩٥١): قصص الحيوان في الأدب العربي، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر.
- ♣ خان، محمد عبد المعيد (١٩٩٣): الأساطير والخرافات عند العرب، الناشر: دار حداثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، عمان، الأردن.
- ♣ خليف، مي يوسف (١٩٩٨): بطولة الشاعر الجاهلي وأثرها في الأداء القصصي، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر.
- ♣ خورشيد، فاروق (١٩٨٢): في الرواية العربية، الناشر: دار الشروق للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، عمان، الأردن.
- ♣ الدسوقي، عمر (١٩٤٨): في الأدب العربي الحديث، الناشر: مطبعة الرسالة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر.
- ♣ الشاروني، يوسف (١٩٧٧): القصة القصيرة، الناشر: دار الهلال للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر.
- ♣ شمس الدين، إبراهيم (٢٠٠٢): قصص العرب: موسوعة تراثية جامعة لقصص ونوادر وطرائف العرب في العصر الجاهلي والإسلامي، الناشر: دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء الأول، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان.
- ♣ الشنقيطي، احمد بن الأمين (٢٠١٧): المعلقات العشر وأخبار شعرائها، الناشر: مؤسسة الهنداوي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر.

- ضيف، شوقي (١٩٦٠): الفن ومذاهبه في النثر العربي، الناشر: دار المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة (٩)، القاهرة، مصر.
- ضيف، شوقي (١٩٦٠): تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي، الناشر: دار المعارف للطباعة والنشر، الجزء الأول، الطبعة (١١)، القاهرة، مصر.
- طريفي، محمد نبيل (٢٠٠٤): ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، الناشر: دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، الجزء الأول، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان.
- عبد المالك، بوتيوتة (٢٠٠٧): تجليات السرد في القصيدة الجاهلية، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري قسنطينة، بسكرة، الجزائر.
- العبودي، ضياء غني لفته (٢٠٠٥): البنية السردية في شعر الصعاليك، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة البصرة، العراق.
- العرفي، سعد عبد الرحمن (١٩٩٥): سلوك الحيوان في الشعر الجاهلي دراسة في المضمون والنسيج الفن، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- العزب، محمد احمد (١٩٨٠): عن اللغة والأدب والنقد: رؤية تاريخية ورؤية فنية، الناشر: دار المعارف للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر.
- العطوي، مسعد بن عيد (١٩٩٤): الاتجاهات الفنية للقصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، الناشر: نادي القصيم الأدبي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القصيم، المملكة العربية السعودية.
- علقم، صبحة أحمد (٢٠٠٦): تداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان.
- العلامات، محمود جلال (١٩٨٤): السبئيون وسد مأرب، الناشر: مطبعة تهامة للطباعة والنشر: الطبعة الأولى، جدة، المملكة العربية السعودية.
- القيسي، نوري حمودي؛ وآخرون (١٩٨٩): تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، الناشر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الطبعة الأولى، موصل، العراق.

- ♣ اللقاني، احمد حسين؛ والجمل، علي احمد (٢٠٠٣): معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرائق التدريس، الناشر: علم الكتب للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، مصر.
- ♣ محمود، علي عبد الحليم (١٩٩٨): القصة العربية في العصر الجاهلي، الناشر: دار المعارف المصرية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر.
- ♣ المشوح، محمد بن صالح احمد (٢٠١٣): البناء الفني للقصة القصيرة عند عبد العزيز الصقعبي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، القصيم، المملكة العربية السعودية.
- ♣ مكي، الطاهر (١٩٧٨): القصة القصيرة، الناشر: دار المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة، مصر.
- ♣ مناع، هاشم صالح (١٩٩٣): النثر في العصر الجاهلي، الناشر: دار الفكر العربي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر.
- ♣ ناصف، علي النجدي (١٩٧٦): القصة في الشعر العربي إلى أوائل القرن الثاني الهجري، الناشر: دار النهضة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر.
- ♣ النجار، محمد رجب (١٩٩٥): التراث القصصي في الأدب العربي، الناشر: دار السلاسل للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الكويت.
- ♣ نصر، نفين مصطفى (٢٠٠٦): دور القصص في تنمية التفكير الناقد لدى الأطفال، مجلة التربية الوجدانية للطفل، المؤتمر السنوي لرياض الأطفال، المقيم في (٢٢) نيسان، كلية التربية، جامعة القاهرة، مصر.

المصادر الأجنبية:

- ♣ Jawad .Ali (1970): History of Arab before Islam, Bruit Laban, Vol (5), pp.181-195.
- ♣ Stephen, Leslie (1902): Robert Louis Stevenson, Studies of a Biographer, 4th, London: Duckworth & Co. pp. 206–246.

♣ Zipes, Jack (2013): Fairy tale as myth/myth as fairy tale, University of Kentucky Press, USA.

ترجمة المصادر العربية:

♣ Ibn Ashour, Muhammad taher (1984): Explanation of Liberation and Enlightenment, Publisher: Dar Sgoun for Publishing and Distribution, First Edition, Part I, Tunisia.
♣ Ibn Manzoor, Muhammad ibn Makram ibn Ali Abu al-Fadl Jamal al-Din (1972): The Tongue of the Arabs: Material of Stories or Cut, Publisher: Dar Sader for Printing and Publishing, First Printing, Part (12), Beirut, Lebanon.
♣ Abu Al-Shamat, Al-Anoud Bint Saeed Bint Saleh (2007): Following the use of children's stories as a source of artistic expression in developing the creative thinking skills of preschool children, Master Thesis, College of Education, Umm Al-Qura University, Riyadh, Saudi Arabia.
♣ Abu Ali, Muhammad Tawfiq (1988): Arabic Proverbs and the Pre-Islamic period: Analytical Study, Publisher: Dar Al-Nafais Publishing and Distribution, First Edition, Beirut, Lebanon.
♣ Amin, Ahmad (1969): Dawn of Islam, Publisher: Dar al-Kitab al-Araba for Printing and Publishing, 10th Edition, Beirut, Lebanon.
♣ AL-Ayubi, Yassin (1994): The Horizons of Arabic Poetry in the AL-Mamluk Era, Publisher: Dar Gross Press and Publishing, First Edition, Tripoli, Lebanon.
♣ Al-Bashir, Ayman Al-Samani Al-Tayeb (2010): Poet poets in the pre-Islamic period: descriptive study, Master Thesis, Graduate School of Education, Omdurman Islamic University, Khartoum, Sudan.
♣ Boufass, Omar (2012): The Pre-Islamic Poem Between the Sense of Stories and the Transfiguration of the Narrative, Al-Nass

Magazine, No. 12, Volume I, Faculty of Arts, Jijel University, Algeria, pp. 227-237.

- ♣ Taimour, Mahmoud (1971): The Story in Arabic Literature, Publisher: Library and Arts Press For Printing and Publishing, First Edition, Cairo, Egypt.
- ♣ Al-Gendy, Ali (1991): In the History of Pre-Islamic Literature, Publisher: Dar Al-Turath Printing and Publishing House, First Edition, Cairo, Egypt.
- ♣ Jawad, Raad Abdul-Jabbar; Hussein, Yasin Abbas (2009): The Grammar of the Pre-Islamic period, Journal of the College of Basic Education, No. 57, Vol. (3), Mustansiriya University, Baghdad, Iraq.
- ♣ Hamida, Abdel Razak (1951): Animal Stories in Arabic Literature, Publisher: The Anglo-Egyptian Library, First Edition, Cairo, Egypt.
- ♣ Khalif, Mai Youssef (1998): Starring the poet Pre-Islamic and its impact on the performance of stories, Publisher: Dar Quba for printing, publishing and distribution, first edition, Cairo, Egypt.
- ♣ AL-Dessouki, Omar (1948): In Modern Arabic Literature, Publisher: Al-Resala Printing and Publishing, First Edition, Cairo, Egypt.
- ♣ Sharouni, Youssef (1977): The Short Story, Publisher: Dar Al Hilal for Printing and Publishing, First Printing, Cairo, Egypt.
- ♣ Shams al-Din, Ibrahim (2002): Arab Stories: A Heritage Encyclopaedia of Arab, Islamic and Islamic History and Traditions, Publisher: Dar al-Kitab al-Sallami for Printing, Publishing and Distribution, Part 1, First Edition, Beirut, Lebanon.
- ♣ Deif, Shawqi (1960): Art and its Mideast in Arabic Prose, Publisher: Dar Al Maaref Publishing and Distribution, 9th edition, Cairo, Egypt.

- Deif, Shawqi (1960): A History of Arabic Literature: The Pre-Islamic Period, Publisher: Dar Al Maaref for Printing and Publishing, vol.1, 11th edition, Cairo, Egypt.
- Abdel-malek, Boututte (2007): Reflections of narration in the Pre-Islamic Period poem, Master Thesis, Faculty of Arts and Languages, Montoury University of Constantine, Biskra, Algeria.
- Al-Aboudi, Dia Ghani Laftah (2005): Narrative Structure in the Poets of the Tramps, Master Thesis, College of Education, University of Basra, Iraq.
- Al-Azab, Muhammad Ahmad (1980): On Language, Literature and Criticism: A Historical Perspective and a Technical Perspective, Publisher: Dar Al Maaref for Printing and Publishing, First Edition, Cairo, Egypt.
- Al-Atwi, Mus'ad Bin Eid (1994): Technical Trends of the Short Story in Saudi Arabia, Publisher: AL-Qassim Literary Club for Printing and Publishing, First Printing, AL-Qassim, Saudi Arabia.
- Alqam, Sabha Ahmed (2006): The Interference of the Literary Species in the Arab Novel, Publisher: The Arab Foundation for Studies and Publishing, First Edition, Beirut, Lebanon.
- Al-Qaisi, Nouri Hamoudi; et al. (1989): A History of Pre-Islamic Arabic Literature, Publisher: Ministry of Higher Education and Scientific Research, First Printing, Mosul, Iraq.
- Allagani, Ahmed Hussein; AL-Camel, Ali Ahmed (2003): Glossary of educational terms defined in the curriculum and teaching methods, Publisher: Science books for printing and publishing, second edition, Cairo, Egypt.
- Mahmoud, Ali Abdel Halim (1998): The Arabic Story in the Pre-Islamic Period, Publisher: Dar Al -Maaref Egyptian Printing and Publishing, First Printing, Cairo, Egypt.
- Al-Mashouh, Mohammed Bin Saleh Ahmad (2013): The Technical Construction of the Short Story by Abdul Aziz Al-Saqabi, Master

Thesis, Faculty of Arabic Language and Social Studies, AL-Qassim University, AL-Qassim, Saudi Arabia.

- ♣ Makki, Eltaher (1978): Short Story, Publisher: Dar Al Maaref Publishing and Distribution, Second Edition, Cairo, Egypt.
- ♣ Manna, Hashim Saleh (1993): Prose in the Pre-Islamic Period, Publisher: Dar Al-Fikr Al-Arabi for Printing and Publishing, First Edition, Cairo, Egypt.
- ♣ Nasif, Ali Najdi (1976): The Story in Arabic Poetry to the Early 2nd Century AH, Publisher: Dar Al-Nahda for Printing and Publishing, First Printing, Cairo, Egypt.
- ♣ Najjar, Muhammad Rajab (1995): The Literary Heritage in Arabic Literature, Publisher: Dar Al Sallasel for Printing and Publishing, First Edition, Kuwait.
- ♣ Nasr, Nafin Mustafa (2006): The Role of Stories in the Development of Critical Thinking in Children, Journal of Emotional Education for Children, Annual Conference of Kindergarten, April 22, Faculty of Education, Cairo University, Egypt.

الاكل الحرام في الماضي والحاضر دراسة مقارنة

الباحثة/ سمر عباس عبد الكريم
جامعة بغداد/ كلية الاداب

الاكل الحرام في الماضي والحاضر دراسة مقارنة

الباحثة/ سمر عباس عبد الكريم

المقدمة

لقد اختلفت الأمم والشعوب قديما وحديثا في أمر ما يأكلون وما يشربون وما يجوز لهم وما لا يجوز لهم ان اغلب معلوماتنا عن الاكل الحرام في الماضي هو ما ذكرته النصوص المسمارية وبعض القوانين القديمة حيث ذكرت نوع من المحرمات على أنواع من المأكولات في أيام معينة من الشهر وكان هذا التحريم يصدر من الكهنة ووجوب الالتزام بها كونها أوامر الهية كما تم الإشارة الى قيود التحريم التي كان يخضع لها الملك ربما استكمالا لبعض الطقوس الدينية او حماية من فأل بيوم او حدث ما وقد يفرض على الملك ان يصوم عدد من الأيام حتى يظهر الهلال اما في الوقت الحاضر فان الإسلام (القرءان الكريم) ذكر أصناف من الأطعمة والاشربة المحرمة ويجب الالتزام بها كونها شرائع سماوية منزلة من الله سبحانه وتعالى.

التحريم في النصوص المسمارية

وردت كلمة تحريم في اللغات القديمة السومرية والاكدية بلهجتها (البابلية والاشورية) بعدة صيغ اذا جاءت باللغة السومرية بالصيغة (nig–nig) ويقابلها باللغة الاكدية المصطلح(ikkibu–ekkebu) لتدل على معنى المحرم او الممنوع بالإضافة الى المصطلح السومري se–bi–da الذي يعني الخطيئة الدينية التي تثير غضب الالهة وان كلمة nam–tag تعني معصية مرتكبة ضد القوانين ويرادفها باللغة الاكدية annu تعني الإساءة او العقوبة او القصاص.[١]

الحرام في الإسلام

هو الامر الذي نهى الشارع عن فعله نهيأ جازما بحيث يتعرض من خالف النهي لعقوبة الله في الاخرة وقد يتعرض لعقوبة شرعية في الدنيا أيضا .[٢]

ذكرت النصوص المسمارية ان الحرام في الاكل هو الممنوع من الاستعمال منها الامتناع عن اكل لحوم او خضراوات معينة في يوم معين من الشهر بسبب انه محرم لاله معين

فهناك عدة أوامر (الهية) يجب احترامها خلال يوم السبت البابلي بوصفه فترة محرمة منه

١-لا يأكل اللحم المطبوخ على الفحم والمدخن

٢- لا يشرب خمرا

وفي العصر الأكدي يوجد يوم لاستراحة النفس وقد حرم فيه طبخ الطعام.[٣]

٣- تحريم اكل الخنزير

عرف الخنزير بالصيغة السومرية Sah وبالاكدية Sahu شخو .[٤]

على الرغم من ان سكان بلاد الرافدين قد استخدموا لحوم الخنازير وشحومها كمواد غذائية مهمة وجاء ذكرها في الامثال السومرية (ان الخنازير ذات الشحوم لا يمكن إعطائها للاماء اللاتي كان عليهن ان ياكلن اللحم الهزيل الذي لا يحتوي شحوم).[٥]

الا انه وصف محرم من قبل جميع الالهة وهذا حدث بعد عام ١٤٠٠ قبل الميلاد الا ان أجزاء من بلاد اشور كانت تاكل شحم الخنزير.[٦]

وجاء ذكر شحم الخنزير في المادة الأولى من قانون اشنونا في تحديد سعره"١ سوت و ٥ قا من شحم الخنزير سعره واحد منا من الفضة"[٧]

٤-تحريم البيرة

حرم شرب البيرة لفئة معينة من الناس فقد جاء بالمادة (١١٠) من قانون حمورابي "اذا لم تقم الناديتوم والاينتوم (وهي صنف من الكاهنات) في الدير وفتحت حانة للخمر او دخلت حانة خمر لشرب البيرة فعليهم ان يحرقوا تللك المرءة" [٨]

كما ذكرت بعض الامثال الشعبية ان الافراط في تناول المسكرات يعد من الظواهر المكروهة.[٩]

"لذة الطريق تذهب وعشاء الطريق".[١٠]

٥- الأسماك

عرفت الأسماك باللغة السومرية KU6 او HA باللغة الاكدية

وقد جاء ذكرالاسماك في احد نصوص الفأل بانها من الاكلات المحرمة التي لايجب تناولها ربما في أوقات معينة ولا بد من الإشارة انه لا زال التحذير موجود في مجتمعنا في الوقت الحاضر من اكل السمك مع ماكولات أخرى كاللبن والذي يعتقد انه يسبب حساسية مفرطة في بشرة الانسان

KI-MA,DINGIR a-na[x]nun[xxx]a-na e2 lu2.Tin.na Tu TI.LA.ut-tar ninda ZIZ.Am ku2 Kas ZIZ.am NAG UZU GUD UDU MUSEN KU2 SUM SAR GA RAS SAR KU6 NU KU2

ترجمة نص الفال : دعه يدخل حانه انه سيطيل حياته انه يجب ان يأكل حنطة عيمارواته يجب ان يشرب خمر حنطة عيمار انه يجب ان يشرب خمر حنطة عيمار انه يجب ان لا ياكل لحم البقر او ضان انه يجب ان لا ياكل الثوم او الكراث او البصل او السمك

٦- كما جاء تحريم الثوم والكراث [١١] البصل

فنحن نقرأ في نص فأل الذي يذكر أنواع من المحرمات في شهر تشريت

في اليوم الأول....لا يأكل الرجل الثوم والا لسعته العقرب ولا يأكل البصل والا أصيب بالاسهال [١٢]

جاء ذكر البصل في اللغة الاكدية بلهجتها الاشورية والبابلية بالفظة بصرو وهي مضاهية لكلمة بصل بالعربية ويكتب اسم البصل في نظام الخط المسماري بالعلامة الرمزية التي يكتب بها الكراث وهو نوع من البقوليات من فصيلة الزنبقيات وهو يشبه الثوم واطلق على الكراث لفظة كرشو او كراش بالاكدي وكان من النباتات التي زرعها الملك مردوخ بلادن في بستانه [١٣]

وفي اليوم الثاني.....سوف لن يأكل الثوم والا مات شخص مهم من العائلة

وفي اليوم الخامس....سوف لن يأكل لحم الخنزير والا كانت هناك دعوى ضده وسوف لن يأكل لحما مطبوخا والا ضربه العفريت

ولا يأكل لحم البقر والا وضع عفريت عليه[١٤]

اطلق على الثوم بالاكدي شومو ويكتب بالعلامة المسمارية شي-شار She-Shar ومعناها الحرفي بصل-البستان .[١٥]

الاكل الحرام في الإسلام

ان الأطعمة والاشربة النباتية فلم يحرم منها الإسلام الا ما صار خمرا سواء اتخذ من عنب او تمرا او شعيرا او أي مادة أخرى ما دامت قد تخمرت وكذلك حرم ما يحدث الخدر والفتور وكل ما يضر الجسد [١٦]

الخمر / هو ماء العنب اذا غلى وأشتد فهو خمر ودليل تحريم الخمر قال تعالى "يا أيها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فأجتنبوه لعلكم تفلحون "

وان حكم شارب الخمر هو الجلد ثمانين جلدة [١٧]

اما الأطعمة الحيوانية قال تعالى "حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقودة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما زكيتم وما ذبح على النصب" المائدة:٣

حرم الإسلام من الحيوانات ما هو

١-ميت/أي الحيوان الذي مات بدون عمل من الانسان

٢-الدم المسفوح/ أي السائل والسبب في تحريمه كونه مستقذر

٣-لحم الخنزير/لانه يأكل القاذورات والنجاسات كما ان أكله ضار ويسبب الدودة الوحيدة القاتلة وغيرها من الديدان

٤-ما اهل لغير الله به/أي ما ذبح وذكر عليه اسم غير اسم الله

٥-الميتة

وهي على أربعة أنواع

المنخنقة /أي التي تموت خنقا

الموقوذة/أي التي تضرب بالعصا حتى تموت

المتردية/التي تتردى من مكان عالي فتموت

النطيحة/التي ينطحها حيوان اخر فتموت

٦-ما أكل السبع /السبع هو حيوان مفترس أي يأكل جزءا منها فتموت

٧-ما ذبح على النصب /أي الشي المنصوب من اصنام او حجارة تقام امارة للطاغوت وكان اهل الجاهلية يذبحون عليها او عندها.[١٨]

الخلاصة//

ان التحريم بصورة عامة هي أوامر ونواهي الهية وضعها الانسان لغايات معينة قد تكون حقيقية او وهمية لتصبح بمرور الزمن عرف وقانون شعبي مستمدا قوته من بعده الديني

قائمة المصادر

١-الاعرجي,حسين سيد نور," دور السلطة السياسية ومكانتها في التحريم في الفكر العراقي القديم", مجلة لاراك ,ج٢,(واسط:٢٠١٨),ص٧٣

٢-القرضاوي,يوسف,الحلال والحرام في الإسلام,ط١,(القاهرة:٢٠١٢),ص١٦

٣-الأسود,حكمت بشير,"فعل المحرم (التابو)الذي يؤدي الى اللعنة في حضارة بلاد الرافدين",مجلة بين النهرين,العددان ٦٣-٦٤,ص٨٩-٩٢

٤-باسل اياد سعيد, الثروة الحيوانية في العراق القديم, رسالة ماجستير ,جامعة الموصل ,كلية الاداب, قسم الاثار ,(الموصل:٢٠٠٨),ص٦٩

٥-سهيلة مجيد احمد, صناعة الأغذية في العصور العراقية القديمة, رسالة ماجستير , جامعة الموصل, كلية الاداب, قسم الاثار ,(الموصل:١٩٩١),ص٧٢

٦-قيس حازم ,العواصم الاشورية, رسالة ماجستير , جامعة بغداد, كلية الاداب, قسم الاثار ,(بغداد:٢٠٠٨),ص١٩٥

٧-طه باقر , "قانون لبت عشتار" مجلة سومر ,مج٤,(١٩٤٨),ص٦١

٨-فوزي رشيد, الشرائع العراقية القديمة,ط١,(بغداد:١٩٧٣),ص١٠٧

٩-عامر سليمان ,العراق في التاريخ القديم,ج٢,(الموصل:١٩٩٣),ص١٧٣

١٠-طه باقر ,مقدمة في ادب بلاد الرافدين ,(بغداد:١٩٧٦),ص١٥٨

١١-النعيمي,شيماء علي, الأسماك في ضوء المصادر المسمارية والمنحوتات الاثرية الاشورية, أطروحة دكتوراه , جامعة الموصل, كلية الاثار ,(الموصل:٢٠١٨),ص١٤١

١٢-ساكز ,هاري,عظمة بابل, ترجمة وتعليق :عامر سليمان ,ط١,(الموصل:١٩٧٩),ص٣٥٧
١٣-طه باقر , من تراثنا اللغوي ,(بغداد:١٩٨٠),ص٢٩-١٢٧
١٤-ساكز ,هاري,عظمة.....,ص٣٥٧
١٥-طه باقر, من تراثنا.....,ص٢٤
١٦-القرضاوي,يوسف,الحلال.....,ص٥٢-٥٣
١٧-الزحيلي,وهبة,الفقه الإسلامي وادلته,ج٦,ط٢,(دمشق:١٩٨٥),ص١٥٤
١٨-القرضاوي يوسف, الحلال....,ص٦٠-٦٦

الاصول التاريخية للتركمان

الباحث: : محمد خيري رزا عبد المجيد
أ.م.د. عبد صالح محمد

جامعة الأنبار/كلية الآداب

الاصول التاريخية للتركمان

الباحث: محمد خيري رزا عبد المجيد

أ.م.د. عبد صالح محمد

الملخص:

بدأ ظهور التركمان في الأناضول، وان الدور الكبير والفعال الذي قام به التركمان والذي سجله التاريخ، والمهمة الكبيرة التي حملوها على كواهلهم منذ أن جاءوا من وسط آسيا إلى الشام والأناضول من حماية البلاد والصد عن ثغورها .

وكان للتركمان دور كبير في هذا الجهاد ضد الحملات الصليبية، لردِّ هذه الحملات ومقاومتها سواء كانوا قادة أو جنودًا.

وانطلاقًا من هذا فإننا أردنا أن نلقي الضوء على هذه المشاركة الفعالة وهذا الجهاد العظيم الذي قدمه التركمان في هذه المرحلة المهمة من تاريخ الإسلام، سعيًا إلى مزيد من دراسة هذه الحقبة التاريخية وإلقاء الضوء على مزيد من الأبطال والجنود الذي بذلوا وضحوا وجاهدوا في سبيل الله عز وجل.

وتأتي هذه الدراسة لتلقي الضوء على دور التركمان في الجهاد ضد الصليبين، سواء كانوا أمراءً وأتباعاً ، ولتسليط الضوء على تلك الحقبة و الوقوف على دور المصلحين الذين نهضوا بالأمة من ضعفها وأحيوها من رقادها للتصدي لأعدائها.

Abstract:

The Turkmen appeared in Anatolia, and the great and effective role that the Turkmen played and recorded by history, and the great task that they carried on their shoulders since they came from Central Asia to the Levant and Anatolia from protecting the country and repelling its gaps.

The Turkmen played a major role in this jihad against the Crusades, to repel and resist these campaigns, whether they were leaders or soldiers.

Based on this, we wanted to shed light on this effective participation and this great jihad presented by the Turkmen at this

important stage in the history of Islam, in order to further study this historical period and shed light on more heroes and soldiers who made sacrifice and struggled in the way of God Almighty .

This study comes to shed light on the role of the Turkmen in the jihad against the two crosses, whether they are princes and followers, and to shed light on that era and stand on the role of reformers who rose from the nation from its weakness and revived it from its rest to confront its enemies.

اصل التركمان:

تعتبر سيبريا هي الموطن الأكثر قدماً للاتراك والتي تمتد بين نهري أنغارا وينيسي وبين بحيرة بايقال، حيث امضى النسل التركي حياة الصيد والقنص وكان ذلك قبل الميلاد بمئات السنين، بعد ذلك بدأت هجرات نحو الجنوب حيث الحياة الصحراوية وكانت هذه الهجرات على فترات زمنية متفرقة.(١)

يتكون الترك من قبيلتين هما الاويغور(٢) والأوغوز (الغز)، فالاويغور لم يستطيعوا الحفاظ على وجودهم القومي بسبب الاستيلاء المغولي، أما الأوغوز فهم أحدى الاقوام التركية التي كانت تخضع لأمبراطورية الغوك، ترك، بين النصف الثاني من القرن السابع والنصف الأول من القرن الثامن الميلادي، والأوغوز هم القوم التركي الوحيد الذي حافظوا على وجودهم وذكرياتهم التاريخية بعد ان استولوا المغول عليهم، واستخدم اسم التركمان ابتداءً من القرن الحادي عشر الميلادي بدلاً من كلمة الأوغوز.(٣)

أما ان أصل تسمية التركمان فهناك خلاف عن اصل هذه الكلمة، فقد بينت بعض الآثار ان التركمان ينحدرون من جملة بلاد الصين(٤)، وهناك رواية أخرى تبين أنه كل الناس هم من ذرية نوح (عليه السلام)، فبعد الطوفان نجا نوح وزوجته وثلاث نسوة وابناءه الثلاثة (سام، يافث، حام)، فسام ابو العرب والعجم، اما الترك والخزر والصقائبة فهم أولاد يافث، وابنه الآخر هو أبو الحبش، وكانت بلاد الاتراك ثلاثة آلاف فرسخ من اصل الارض التي هي أربعة وعشرون الف فرسخ(٥).

والترك هم من ولد كومر بن يافث أحد السبعة الذين ذكروا في التوراة وهم ماذاي وماغوغ وقطوبال وماواق وماشخ وطبراش، وقيل ان الترك سمو بذلك بعد بناء الاسكندر المقدوني للسد وألجأ إليه يأجوج ومأجوج.

وجاء تسمية التركمان من (تُرْك إيمان) ثم خُفِّف اللفظ بعد ذلك، فقيل تركمان، وأن هؤلاء التركمان هم أساس نشأة دولة السلاجقة[٦]،وقد تطور هذا الاسم ليحل محل اسم الأوغوز بعد ذلك[٧]. ومنهم من قال أن اسم التركمان يطلق على قبيلة الغزية وهي واحدة من القبائل التركية[٨] العظيمة التي سكنت في بلاد ما راوء النهر ،وتفرعت منها اثنتا عشرة قبيلة وحينما جاء الإسلام أسلم بعضهم فسمّوا التركمانية[٩]. ويقول كلود كاهن [١٠] "إن اسم التركمان ظهر نتيجة لجماعات الأتراك القبلية لكن لاتوجد أسباب واضحة يمكن الاعتماد عليها حول سبب هذه التسمية ". بينما يُرجع بعضهم ذلك إلى اللغة الفارسية ، فنقلاً عن الكاشغري والبيروني ان أصل كلمة تركمان يرجع الى مصطلح فارسي وهو (ترك مانند)[١١]. وهناك رأي آخر من ان اسم قوم تُرك (ترك) جاءت من مشتقات الفعل ، وكما ان كلمة يوروك من كلمة المشي ، اذ ان هذه قبيلة تركمانية متنقلة[١٢].

وقال الصمانجي[١٣] نقلا عن ادمونس " لقد استعملت كلمة " التركمان " للإشارة إلى القرويين أو سكان المدن من الطبقات العامة في المجتمع والذين لغتهم هي التركية و(الاتراك) الموظفين والضباط والمنتمين إلى العائلات الاستقراطية ممن أصبحوا عثمانيين". على أن عدم التفريق بين (الترك) و(التركمان) أمر سائد عند المؤرخين المحدَثين وغير المسلمين، يقول غلوب باشا[١٤] بهذا الصدد: "إن الفرق بين الترك والتركمان غير واضح على العموم لذا استعملت كلمة الترك لهؤلاء الذين دخلوا في الامبراطوريات العربية وكلمة التركمان للقبائل التي ظلت خارجها".

ويتفرع التركمان من عدة أصول أهمها (الغز) أو (الأوغوز) [١٥]، وهي أعظم قبائل الترك عددًا وتاريخًا، وقد كان لهما أثر بالغ وتأثير كبير في التاريخ الإسلامي والتركي، وقد صعد هذا الفرع إلى الحكم بداية من حكم السلاجقة مرورًا بالزنكية ثم العثمانين[١٦].

وهم قبيلة تتكون من ٢٢ بطنًا، أول من احصاها من المؤلفين العرب الكاشغري[١٧] في "ديوان لغات العرب" . ويتفرع من الأصل التركي فروع أخرى، مثل الإيغور، والمغول[١٨]. والكيماك[١٩] والقارلوق[٢٠]، والقيرغيز[٢١]، البلغار[٢٢]، والميجار، والبشناق[٢٣]، والبشكرت[٢٤]، فالترك بصورة عامة أمة مستقلة، تتألف من قبائل و أقوام كثيرة تندرج تحت العنصر التركي[٢٥].

وجنح صاحب (شجرة الترك) أمير خيوه أبي الغازي (بهادرخان) ، إلى أن الترك أقوام وقبائل، تجمعها التركية، ولم يرجح أحد من قبائلها على الآخر[٢٦].

موطنهم الأصلي :

ورد ذكر الأوغوز في نقوش أورخون على شكل وثيقة مكتوبة بحروف الكوك تورك[٢٧] ، وهذه الكتابات تظهر بانهم من أهم الاقوام في الاتحاد التركي بعد الكوك تورك[٢٨]. كان الأوغوز يعيشون على ساحل نهر سلنغه في أواخر القرن السابع و أوائل القرن الثامن الميلادي يتفرع منه نهر اورخون ، وكان على رأسهم باز قاغان الدولة والذين اتخذوا موقف المعارضة إزاء الكوكتورك الآخرين من أجل الإستحواذ على السلطة في الدولة التركية الكبرى، مما أدى إلى إسقاط الكوكتورك من قبل دوقوز اوغوز– اون اويغور انتقل عرش الدولة بعد ذلك لى الاوغوز و الاويغور[٢٩] .

كان الأوغوز يسكنون في الأماكن الممتدة من بحر الخزر ومناطق فارياب[٣٠] التي تقع على الحوض الأوسط لنهر سيحون وإلى المناطق الممتدة حتى شمالي نهر سيجون في اواسط القرن العاشر الميلادي ، وفي أوائل القرن العاشر استولى الأوغوز على شبه جزيرة قرة (الجبل الأسود) التي تقع على الشاطئ الشرقي من بحر الخزر وأتخذت الجزيرة فيما بعد إسم مانغشلاق[٣١].

واشار المروزي[٣٢] إلى مواطنهم الأصلية فقال أنهم "سكنوا المدن و بعضهم سكن البراري والصحارى ، وأن براريهم تحاذي بلاد ما وراء النهر و بعضها يحاذي أراضي

خوارزم، و أنهم بعد إسلامهم انتشرو في بلاد الإسلام وأحسنو فيها حتى أنهم ملكوا أكثرها و صاروا ملوكا و سلاطين".

وتمتد حدود الاوغوز مع البلاد الإسلامية في الجنوب فتبدأ في بلدة جت (Cit) في الشمال الغربي لمدينة جرجان (Gurgeny) [٣٣]على الحدود مع بلاد الخارزم الواقعة في الجنوب الغربي وبارثكين الواقعة جنوب بحيرة أرال[٣٤]، وفي ما وراء النهر التي تبدأ حدودها من الصحراء في شمالي بخارى[٣٥] و تمتد حتى مدينة اسفيجاب[٣٦].

وعلى الرغم من ان منطقة سكن الاغوز لم تذكر عندما ارسلت حملة ضدهم في زمن والي خراسان العباسي عبد الله بن طاهر ٢١٣-٢٣٠هـ/ ٨٢٨-٨٤٤م) ، لكن مما لاشك فيه أنهم كانوا يعيشون في مناطق سيحون السفلى ، ويذكر أن هذا الجيش أرسل عامي (٢٢٤-٢٢٦هـ/ ٨٣٨-٨٤٠م) بقيادة طاهر بن عبد الله بن طاهر والذي حقق انتصاراً على الاغوز وأسر ما يقارب (١٠٠٠) أسير وقام ببيعهم[٣٧].

العلاقات بين القبائل التركمانية :

تفرعت القبائل التركمانية حسب ماورد في ديوان لغات الترك من قبيلة الغز إلى اربع وعشرون قبيلة، حيث تفرعت منهم البارانية والبايندارية والافشار وقنق وتفرعت من القنق سلالة السلاجقة العظام . وقيل أن الغز مخفف من أغز ، وهذا مخفف من وغدوز، ومنهم أتراك الأناضول[٣٨] والقفقاس[٣٩] واذربيجان[٤٠]، وكذلك العثمانيون وأن جدهم الاعلى كوك خان أحد أولاد اوغوز خان[٤١].

ويوضح المروزي[٤٢] علاقة هذه القبائل ببعضها،" فيذكر اثنتي عشرة قبيلة من قبائل الغُزّية و التي يسمى بعضها التّغُزغُز و يسمى ملكهم تغزخاقان، و منهم القون الذين قدموا من أرض قتاي الذين اتبعهم قبيلة القاي الذين أخرجوهم من مراعيهم ، وذلك لكثرة عددهم وقوتهم فارتحلوا إلى أرض الشارية الذين تم اجلاؤهم إلى اراضي التركمانية، ومنهم قبيلة الخرخيز الذين يسكنون بين المشرق و الصيفيّ و بين الشمال و كيماك الى الشمال منهم و يمتاز الخرخيز أنهم كانو يحرقون موتاهم فلما جاورو المسلمين صاروا يدفنون الموتى،و

منهم كذلك الكيماك الذين يعيشون رُحّل و لا بيوت و لا قرى لهم ويربون الأغنام والبقر و تكثر في أراضيهم الثلوج حيث يهجرونها ويلجأون إلى الغُزّية اذا كان بينهم صلح. و منهم قبيلة البجناكية قوم رحل يحيط بهم من الشمال بلاد خفاق وفي ناحية الجنوب بلاد الخَزَر ومن ناحية المشرق بلاد الغُزّيّة ومن ناحية المغرب بلاد الصقالية وبينهم و بين الخَزَر طريق غير مسلوكة مسيرتها عشرة أيام يقطعونها بالعلامات وكانت هذه الأمم يغزون البجانكة لما لهم من ثروات وأسلحة وغنم و دواب وذهب وفضّة[٤٣]. وقد تكاثر عددهم في عهد الكوك تورك حتى وصلوا الخمسة آلاف جندي وقد تكاثر عددهم بانضمام كتل تركية أخرى إليهم حتى وصل الملايين وفي سنة (١٣٤هـ/ ٧٥١م) أخرجهم القارلوق من إقليم بحيرة بالقاش ورحلوا إلى شمال شرق بحيرة أورال[٤٤]، و منهم من زحف إلى السواحل الشمالية الشرقية لبحر الخَزَر الذي أخرجهم منه فيما بعد الأوغوز فنزحو إلى سواحل نهر ايتيل (أورال)، وقد أسس البجنك اتحاداً قوياً في سنة (٣٣٩هـ/ ٩٥٠م) يضم القبائل التركية بعد أن كانوا خاضعين لدولة الخَزَر ثم أسسوا فيما بعد دولتهم العظمى في أوربا الشرقية بين نهر أورال وجبال كاربات و كان ذلك في سنة (٣٩١هـ / ١٠٠٠م) [٤٥].

وفي سنة (٤٥٧هـ / ١٠٦٤م) دحر البجنك الأوغوز من في مورا و سلانيك حتى أصابهم المجاعة و الاوباء فالتجأ الأوغوز إلى البيزنطيين واستقروا في استانبول[٤٦] ومقدونيا[٤٧] والأناضول وبقي قسم منهم في دوبروجه، ومما يجدر ذكره أن زمرة كاكاوز القائمة الآن ينتسبون إليهم . وبلاد الخَزَر عريضة يحدها جبل عظيم يسكنه فرقتان من الأتراك طولاس و لوعرة ولهم مدينتان يسكنوهما شتاء سارعس وجبلع وفي الربيع يخرجون إلى الصحارى يمضون فيها الصيف كلّه، ومن الأوغوز قوم برداس وهم من الخَزَر[٤٨] وفي طاعة ملكهم وبينهم و بين الخَزَر مسيرة خمسة عشر يوما و كانو يغيرون على بلكار والبجناكيّة، والصّقالية[٤٩] من الإوغوز وبينهم و بين البجناكية مسيرة عشرة أيام ويغير عليهم في الشتاء المجغرية ولذلك لهم رقيق كثير لكثرة إغارتهم على بعض، ومن الأوغوز الرّوسية الذين يسكنون جزيرة في البحر مسيرتها ثلاثة أيام، وملكهم بولادمير، رغبو بالإسلام فأرسلوا رسلاً إلى صاحب خوارزم[٥٠] ، فسر بهم خوارزمشاه فأنفذ إليهم من علمهم شرائع الإسلام فأسلموا، وهم قوم أقوياء أشداء يسافرون في السفن في بحر الخزَر فيغصبون المراكب و

يسلبون الأموال، ويسافرون في بحر بُنطُس إلى قسطنطينية[٥١] ويسافرون في بحر الخَزَر واستولوا على بَردَعَة[٥٢].

الهوامش:

(١) سومر، فاروق، الأوغوز (التركمان) تاريخهم – تنظيماتهم القبلية، سيرتهم، ترجمة: أحمد حمدي، مطبعة تركماني، دمشق، ص١٧.

(٢) الاويغور: هم قوم من الاتراك، وهم بالتحديد من اتراك الجنوب، وعدد قبائل قد بلغ عشرة، وبعض المصادر تذكر بأن عددهم تسع، وكلمة الأويغور لفظت بأشكال عديدة منها أيغري، أيغر، الأيغور، وتعود أصل الكلمة الى كلمة تركية Uyqur ، ومعنى الكلمة من مقطعين الاول "أوي" والثاني "غور" ومعناها الارتباط والتعاون واتحاد الجماعات، الطائي، سعاد هادي حسن إرحيم، الأويغور،، دراسة في أصولهم التاريخية واحوالهم العامة.

(٣) الاويغور: هم قوم من الاتراك، وهم بالتحديد من اتراك الجنوب، وعدد قبائل قد بلغ عشرة، وبعض المصادر تذكر بأن عددهم تسع، وكلمة الأويغور لفظت بأشكال عديدة منها أيغري، أيغر، الأيغور، وتعود أصل الكلمة الى كلمة تركية Uyqur ، ومعنى الكلمة من مقطعين الاول "أوي" والثاني "غور" ومعناها الارتباط والتعاون واتحاد الجماعات، الطائي، سعاد هادي حسن إرحيم، الأويغور،، دراسة في أصولهم التاريخية واحوالهم العامة.

(٤) سومر، الأوغوز (التركمان) تاريخهم، تنظيماتهم القبلية، سيرتهم، ص١٨.

(٥) الكريزي، ابو سعيد عبد الحق بن الضحاك بن محمد (ت٤٤٣هـ)، زين الاخبار ، ترجمة: عفاف السيد زيدان ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٦، ص٣٧٠.

(٦) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي(ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري ، ط١، دار إحياء التراث العربي، (بيروت ،١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ج١١، ص٢٦٨.

(٧) أوزطونا، يلماز، المدخل إلى التاريخ التركي، ترجمة : أرشد الهرمزي، الدار العربية للموسوعات ، (بيروت ، ٢٠٠٥ م) ، ص ٦٣،

(٨) للاطلاع على مخطط يوضح قبائل الترك ينظر الملحق رقم (٣).

(٩) المروزي، شرف الزمان طاهر (ت٥١٨هـ)، طبائع الحيوان المقالة الأولى في أحوال الإنسان وحضارته ،تحقيق وتقديم الدكتور: عبد الحميد صالح حميدان، ص ٦٧، ابن كثير ،البداية والنهاية ج١٥،ص٦٨١.

(١٠) الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية، حسين جواد قبيسي، ط١،المنظمة العربية للترجمة، (بيروت، ٢٠١٠م)،ص٤١٣.

(١١) تركماني، أسامة أحمد، جولة سريعة في تاريخ الأتراك والتركمان ما قبل الاسلام وبعده ، دار الارشاد للنشر ، ص ٦٣.

(١٢) سومر، فاروق، الأوغـــوز " التركمان " تاريخهم- تنظيماتهم القبلية - سيرتهم ، أنقـــرة، (أنقرة ١٩٦٧م) ص٣٥.

(١٣) عزيز قدر، التاريخ السياسي لتركمان العراق، ص ٢٨.

(١٤) الصمانجي ، التاريخ السياسي لتركمان العراق، ص ٣٠.

(١٥) الأيغور: وهم قوم من الاتراك ، هم بالتحديد من اتراك الجنوب ،وعدد القبائل قد بلغت عشر وقيل تسع، وكلمة الايغور لفظت باشكال عدة منها أبغرى، ايغز ،الايغور، تعود اصل الكلمة الى كلمة تركية uygur وتتكون الكلمة من مقطعين الاول: (أوي) والثاني (غور) ومعناها الارتباط= =والتعاون او اتحاد الجماعات. الطائي ، سعاد حسن رحيم، الايغور –دراسة في اصولهم التاريخية واحوالهم العامة ، (١٢٧-٦٥٦هـ/٧٤٤-١٢٥٨م)، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي، بغداد، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م، ص١٣-١٦.

(١٦) مصطفى، أحمد عبد الرحيم، في أصول التاريخ العثماني، ط٢، (دار الشروق، ١٩٨٦م) ص١٤.

(١٧) تركماني ، جولة سريعة ...، ص ٥٧.

(١٨) المغول: من الأ قوام التي نشأت في أواسط آسيا في المنطقة منغوليا، ظهرو في اواخر القرن السادس الهجري، ثم برزو كقوة عالمية خلال العقدين الاول و الثاني من القرن السابع الهجري واستطاعو ان يؤسسو اكبر امبراطورية عالمية، وعاشت قبائلهم في وسط اسيا بين نهير سيحون وجيجون حتى حدود الصين الجبلية الشرقية ممتدة إلى اقصى الشمال الشرقي لاسيا. محمد الصلابي،علي محمد دولة المغول و التتار بين الانتشار والانكسار، موسوعة الحروب الصليبية دار المعرفة،(بيروت، ٢٠٠٩م)، ص ٢٨-٢٩.

(١٩) **الكيماك:** ولاية واسعة في حدود الصين واهلها ترك يسكنون الخيام ويتبعون الكلأ، وبينها وبين طراربند وهي آخر ولاية للمسلمين أحد وثلاثون يوماً، ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥، ج٤، ص٤٩٨ ..

(٢٠) **القارلوق:** قبيلة تركية كان موطنهم على الطرف الايمن من قره – ايرتش بين بحيرة اورونغو وبحيرة زايصان، وكان لهم دور كبير في سقوط دولة الغوك الشرقية، ووضعوا نهاية لدولة تورغش فقد =

=احتلوا عاصمتها صياب SUYAB ٧٦٦م، وكان زعيمهم يحمل لقب إيل – تبر، سومر، الاوغوز (التركمان)، ص٣٨.

(٢١) **قيرغيز**: من القبائل التركية التي كانت تعيش في الشمال وبشكل رئيسي في سهوب آبلقان، وقد حمل حكامهم لقب الكاغان وهذا يدل على قوتهم لذلك لم يتمكن لا الغوك – ترك ولا ألاويفور من إنهاء وجودهم السياسي، وقد تمكن القيرغيزيون في عام ٨٤٠م من اسقاط دولة الاويغور وفتح منطقة اورهون، وقد ورد اسم قيرغيز في المخطوطات على شكل قيرغز، سومر، الأوغور (التركمان)، ص٣٧.

(٢٢) **البلغار**: هم من الصقالبة استطاع البيزنطي باسيل لأول القضاء على سلطتهم وضمنهم الى املاك بيزنطية بعد ان توسعت الامبراطورية البيزنطية الى الادرياني وهم نسبة الى مدينة لهم في الصدمة الشمالية، أبن خلدون، العبر ديوان المبتدأ والخبر، ج٢، ص٢٧٧، العريني، السيد الباز، الشرق الاوسط والحروب الصليبية، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٠، ج١، ص٤٦.

(٢٣) البشناق: وهم من القبائل البربرية ذات الاصول التركية عرفهم البيزنطيون قبل القرن الحادي عشر، وهم القبيلة التركية التي كانت تجوب البلاد مـ ن وراء نهر الدانوب فكانوا يجتازون هذا النهر من اجل الاغارة. رنسيمان، ستيفن، الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، مطبعة التاليف والترجمة والنشر، (القاهرة ، ١٩٦١م)، ص١٢٣ .

(٢٤) البشكرت: (باشغرد) هي بلاد للاتراك تقع بين القسطنطينية و بلغار و تسكنها قبائل تسمى الباشغرد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٢٢.

(٢٥) العـزاوي، عباس، موسوعة تاريــخ العراق بين الاحتلالين، الدار العربية للموسوعات، (بيروت د، ت)، ص٥٣– ٥٤. تركماني، جولة سريعة في تاريخ الأتراك والتركمان ص٥٧– ٥٨.

(٢٦) الصمانجي، التاريخ السياسي لتركمان العراق، ص ٢٦.

(٢٧) بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة الدكتور أحمد سعيد السليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ، ١٩٩٦م) ، ص: ٤٤

(٢٨) أوزطونا، يلماز، المدخل إلى التاريخ التركي، ص ٢٤١.

- الأويغور: عرفت في التاريخ الإسلامي بدولة التغزغز=الطوغوز–أوغوزTokuz–oguz، وهي امبراطورية تركية عظيمة ورثت امبراطورية الغزّ، عاصمتها قره–بلغاسون في منغوليا على نهر أورخون دامت خمسة قرون منذو تأسيسها سنة (٧٤٥م) وحتى سنة (١٢٥٠م) . تركماني، جولة سريعة ..... ،ص ٤٩.

(٢٩) أوزطونا، المدخل الى التاريخ التركي، ص ٢٤٢.

(٣٠) فارياب: ناحية صغيرة من نواحي البلخ ، وتقع على الحوض الاوسط من نهر سيحون . الغزويني، زكريا بن محمد بن محمود ،(ت٦٨٢هـ)، اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر ، بيروت، ص٥٤٨.

(٣١) سومر، الأوغوز "التركمان" تاريخهم–تنظيماتهم القبلية– سيرتهم، ص ٧٠ .

(٣٢) طبائع الحيوان، ص ٦٧.

(٣٣) **جرجان:** مدينة تقع على نهر الديلم افتتحها سعيد بن عثمان في ولاية معاوية بن ابي سفيان (رضي الله عنه)، ثم ارتد أهلها عن الاسلام حتى فتحها يزيد بن المهلب في ولاية سليمان بن عبدالملك بن مروان، اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢هـ) البلدان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ج١، ص٢.

(٣٤) **بحيرة أرال:** كانت تسمى بحيرة خوارزم ويصب فيها نهر سيحون وجيجون، وماؤها مالح والموضع الذي يصب فيه ماء جيجون يسكنه صيادون، وهذا الموضع ليس فيه قرية أو ابناء ويسمى هذا الموضع خلجان، وعلى شطه من مقابل خلجان أرض الغزية من الترك. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٥٣.

(٣٥) **بخارى:** من أعظم مدن ما وراء النهر، بينها وبين جيجون يومان وبينها وبين خوارزم أكثر من خمسة عشر يوماً وبينها وبين سمرقند سبعة أيام، طولها سبع وثمانون درجة وعرضها إحدى واربعون درجة، وهي مدينة كثيرة البساتين واسعة الفواكه وكانت قاعدة ملك السامانية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٥٣.

(٣٦) **اسفيجاب:** اسم بلدة كبيرة من أعيان بلاد ما وراء النهر في حدود تركستان، طولها ثمان وتسعون درجة وسدس وعرضها تسع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة، وهي بلدة واسعة خصبة فيها أشجار كثيرة ومياه جارية ورياض مزهرة، ولم يكن بخراسان ولا بما وراء النهر بلد لإخراج عليه إلا أسفيجاب لأنها كانت ثغراً عظيماً، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٧٩.

(٣٧) سومر، الأوغوز "التركمان" ، ص ٧٠ .

(٣٨) الاناضول: وهي الجزء الاكبر من تركيا، وهي شبه جزيرة جبلية بين البحر الاسود شمالا والبحر المتوسط جنوبا وبحر ايجه غربا وايران و روسيا شرقا، سكانها مسلمون جلهم من الشعب التركي ومنهم اكراد، وفيها انقرة عاصمة تركيا حاليا. الحميري ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ) الروض المعطار في خبر الاقطار ، ط٢ ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص٤٣٣.

(٣٩) القفقاس: هي البلاد الواقعة بين بحر الخزر في الشرق و البحر الاسود في الغرب و بين نهر ترك ونهر قوبان في الشمال، وتمتد جبال القوقاز فيها على امتداد (١٢٠٠) كم. البكري ، ابو عبد الله بن

عبد العزيز بن محمد (ت٤٨٧هـ) ، المسالك والممالك ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ج١ن ص١٨.

(٤٠) اذربيجان: أقليم يقع في اقصى الجنوب الغربي من بحر قزوين ويمتد ساحله ويتصل حده من جهة الجنوب ببلاد الديلم ، ومن الغرب والشمال بأرمينية ، ويجري في شماله نهر الرس في وسط الجبال ونظن انها قلعة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١،ص١٢٨.

(٤١) الصمانجي، التاريخ السياسي لتركمان العراق، ص٣٠؛ مدينة اسيجاب (اسفيجاب): اسم بلدة كبيرة من اعيان بلاد ما وراء النهر في حدود تركستان، ولها ولاية واسعة وقرى، واراضيها خصبة ومياهها جارية و رياضها مزهرة. الحموي ، معجم البلدان، ج١، ص١٧٩ .

(٤٢) طبائع الحيوان، ص ٦٧-٦٩.

(٤٣) طبائع الحيوان، ص ٧٠ .

(٤٤) بحيرة اورال: اورال هي سلسلة جبال شرقي روسيا الاوروبية تعتبر حدا جغرافيا بين اسيا و اوروبا وتمتد من الشمال الى الجنوب. و بحيرة ارال هي من اهم البحيرات في تركستان على ارتفاع ٤٨ متر عن سطح البحر . المعجم الكبير ، ج١، ص ٦٠٤.

(٤٥) أوزوطونا، المدخل إلى التاريخ التركي، ص ٢٢٦.

(٤٦) **استانبول:** هي مدينة بيزنطية (بيزانس) القديمة وقد أطلق الامبراطور قسطنطين الاكبر أسمه عليها حين نقل عاصمة الدولة الرومانية من مدينة روما بايطاليا ٣٢٤م. وفي عام ١٤٥٣م فتحها السلطان العثماني محمد الفاتح واتخذها عاصمة للدولة العثمانية وهي تقع على ضفتي مضيق البوسفور الآسيوي والاوربي، وسميت بهذا الاسم نسبة الى اسمها البيزنطي (استن بوليس)..

(٤٧) **مقدونيا:** تقع شمال بلاد اليونان حكمت اليونان في عهد الملك المقدوني فيليب الثاني ومن بعده ابنه الاكبر الاسكندر الثالث، ثم استولى عليها الرومان سنة ١٤٦ ق.م ابن فضل الله، شهاب الدين احمد بن يحيى القرشي العدوي (ت ٧٤٩هـ)، مسالك الابصار في ممالك الامصار، ط١، المجمع الثقافي (ابو ظبي، ١٤٢٣هـ)، ج٩، ص٣٣.

(٤٨) **الخزر:** هي بلاد واسعة في حدود السند، خلف باب الأبواب الذي يسمى الدربند لهم ملك عظيم يسمى بلك وساكنها من صنفان صنف أبيض ذات جمال فائق وصنف اسمر يقال لهم قراخزر، أما ديانتهم فهي متنوعة بين مسلمين ونصارى ويهود وعبدة الاوثان، القزويني آثار البلاد واخبار العباد، ص٥٨٥..

(٤٩) **الصقالبة:** هي أرض كبيرة واسعة من ناحية الشمال بها مدن وقرى ومزارع ولهم بحر حلو يجري من ناحية المغرب الى المشرق، ونهراً آخر يجري من ناحية البلغار ليس لهم بحر مالح لأن بلادهم بعيدة

عن الشمس ولهم على البحر مدن وقلاع حصينة. ابن الوردي، سراج الدين (ت ٨٦١هـ) عجائب البلدان من خلال مخطوط فريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: أنور محمود زناتي، جامعة عين شمس..

(٥٠) **صاحب خوارزم:** هو بهاء الدين ابو المظفر غازي علاء الدين، وحكم ثمانية وعشرون عاماً حين وفاته سنة (٥٥١هـ/١١٥٦م)..

(٥١) **قسطنطينية:** مدينة قديمة بنيت في القرن السابع قبل الميلاد على مضيق البوسفور، ثم أضحت عاصمة الدولة البيزنطية أو الدولة الرومانية الشرقية، وسميت بهذا الاسم نسبة الى الامبراطور الروماني قسطنطين الاول الذي جدد بنائها سنة ٣٢٤ للميلاد، تمكن السلطان محمد الثاني من فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م ومن أجل ذلك لقب بالسلطان الفاتح وتخذها ملوك بني عثمان عاصمة لهم حتى سقوط دولتهم ١٩٢٢م وكانت القسطنطينية في جميع العهود مركزاً دينياً وثقافياً عظيماً وهي مستقر ملوك الروم والمواضع ذو التجارات الكثيرة. مجهول (ت ٣٧٢هـ) حدود العالم من المشرق الى المغرب، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ص١٨٤.

(٥٢) أوزوطونا، المدخل إلى التاريخ التركي، ص ٢٢٧.

زعامة صموئيل آدمز لحفلة شاي بوسطن

عام ١٧٧٣

الباحثة:د .رواء حيدر صالح
أ.د.هاشم صالح التكريتي
كلية الاداب –جامعة بغداد

زعامة صموئيل آدمز لحفلة شاي بوسطن عام ١٧٧٣

الباحثة: د .رواء حيدر صالح

أ.د.هاشم صالح التكريتي

المقدمة :

تعد حفلة شاي بوسطن من بين اهم الحوادث في التاريخ الامريكي بل واكثرها شهرةَ، حتى ان بعض المصادر الامريكية عدتها من العوامل الرئيسة لقيام حرب الاستقلال الامريكية . ولطالما جاء ذكر تلك المصادر اليها ، مقترنا بذكر اسم زعيمها الثوري صموئيل آدمز[١] (Samuel) Adams) . ولاجل التعرف على دور آدمز فيها، لابد من اعطاء نبذة تعريفية عن اسبابها وحيثيات وقوعها.

عد الشاي المشروب الأكثر شعبية لدى سكان المستعمرات الأمريكية ، إذ تصل نسبة استهلاكهم السنوي منه قرابة (١,٢٠٠,٠٠٠) رطل اي بمعدل ثلاثة أرباع الرطل للفرد الواحد. لاجل ذلك وادراكاً من الحكومة البريطانية لما تشكله المتاجرة به من مصدر مهم للدخل فقد واظبت خلال القرن الثامن عشر على فرض الرسوم الجمركية على استيراده و بيعه ، وكان اخرها الرسوم المفروضة عليه بموجب قوانين تاونشيند ، والتي قابلها آدمز وغيره من القادة الوطنيين بتصعيد حملاتهم لمقاطعته حتى غدت الاسواق الامريكية شبه خالية من الشاي الانجليزي في منتصف عام ١٧٦٩[٢] .

اثرت السياسة التي اتبعتها الحكومة البريطانية وما قابلها من حملات للمقاطعة على الواردات المتأتية عن مادة الشاي لشركة الهند الشرقية البريطانية[٣] من المستعمرات الامريكية ، لاسيما بعد ان وجدت نفسها في منافسةً مريرة مع الشاي الهولندي الذي كان يجري تهريبه الى هناك من قبل التجار الامريكيين والذي كثيرا ما انخفض سعره بمقدار نصف سعر الشاي الانجليزي . تضافرت تلك العوامل مع عوامل اخرى تتعلق بتراجع ايرادات الشركة من البنغال وبسوء الادارة والفساد المستشري بين مؤسساتها ، لتدخل في ضائقة مالية اوصلتها الى حافة الافلاس، بعد ان احتوت مخازنها على فائض من الشاي

يقدر بحوالي(١٧,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) رطل[٤]. ولاجل انقاذ شركة الهند الشرقية واسترداد ماعليها من ديون مستحقه للحكومة البريطانية[٥]اصدرت وزارة اللورد نورث[٦](Lord North) في السابع والعشرين من نيسان عام ١٧٧٣ قانون الشاي، وبموجبه مُنحت الشركة حق المتاجرة المباشرة مع المستعمرات من خلال وكلاء تتولى اختيارهم بنفسها هناك ، وعلى الرغم من ان هذا الاجراء قد وفر للشركة مبالغ طائلة كانت تنفقها على وسطائها من تجار لندن ، إلا أنه كان بمثابة الصاعقة بالنسبة للتجار الامريكيين، إذ عنى احتكار الشركة لعملية توزيع الشاي وبيعه في المستعمرات من خلال وكلائها[٧] .

اعفى القانون ايضاً شركة الهند الشرقية البريطانية من رسوم تصدير الشاي الى المستعمرات الامر الذي اتاح لها امكانية بيعه باسعار تنافسية بل واقل بكثير من تلك التي يدفعها الامريكيون لشراء الشاي الهولندي المهرب . وهذا ماهدد بدوره ايضاً تجارة التهريب التي حقق من خلالها التجار الامريكيون ولسنوات عدة ارباحاً هائلة[٨] .والاهم من هذا وذاك بالنسبة لآدمز هو ذلك البند من القانون المتعلق بإبقاء ضريبة الثلاثة بنسات المفروضة على رطل الشاي المباع في امريكا بموجب قوانين تاونشيند[٩].إذ اعتقد اللورد نورث أن مثل هذا المبلغ الرمزي للضريبة من شأنه ان لا يشكل شيئاً يذكر إزاء اسعار الشاي المنخفضة ، إلا أن الامر بالنسبة لآدمز لم يكن متعلقاً بمقدار الضريبة بقدر ما هو متعلق بما تعنيه عملية دفعها من تأكيد لسلطة البرلمان البريطاني في فرض الضرائب على المستعمرات[١٠].

ارسلت شركة الهند الشرقية في اطار خطتها الجديدة سفناً محملة بـ (٢٠٠٠) رطل من الشاي إلى أربعة موانئ أمريكية ، اذ خصصت السفن دارتموث(Dartmouth) واليانور(Eleanor) وبيفر (Beaver) ووليم (William) لميناء بوسطن، والسفينة نانسي(Nancy) الى ميناء نيويورك، والسفينة بولي (Polly) الى ميناء فيلادليفيا، واخيراً السفينة لندن الى ميناء تشارلستون[١١].

دور آدمز في التصدي لعملية انزال الشاي في ميناء بوسطن :

استقبلت المستعمرات الامريكية قانون الشاي بمعارضةً شديدة ومنذ منتصف تشرين الاول وحتى اوائل كانون الاول عام ١٧٧٣، تمكن ابناء الحرية في كلٍّ من فيلادليفيا ونيويورك من اقناع وكلاء الشاي في مستعمراتهم بتقديم استقالتهم قبل وصول سفن الشاي إليها [١٢]. كما تبنت مستعمرة فيلادليفيا عزائم عدة ، عدت من خلالها اي شخص يقوم بإنزال الشاي الى الميناء او نقله من سفينة الى اخرى ، او تأجير منزله او قبوه لتخزين الشاي أو يساهم باي شكل من الأشكال في بيعه وشرائه عدواً للحريات في أمريكا[١٣].

اما في بوسطن فقد كان الوضع مختلفاً إذ ارتبط وكلاء الشاي هناك بشخص حاكم المستعمرة توماس هتشنسون[١٤] (Thomas Hutchinson) ، فاثنان منهم كانا ابناه توماس(Thomas) وإليشا(Elisha) هتشنسون ، بينما ارتبط ريتشارد كلارك(Richard) Clarke معه بعلاقة مصاهرة ، اما باقي الوكلاء فكانوا اصدقاء له ، الامر الذي جعل مهمة ابناء الحرية في اقناعهم بتقديم استقالتهم في غاية الصعوبة. لاجل ذلك عقد آدمز وابناء الحرية الاجتماعات المتواصلة في إطار من السرية، وضعت خلالها الخطط المختلفة لتحقيق استقالة وكلاء الشاي في بوسطن اسوةً بالمستعمرات الاخرى[١٥] .

وجاءت محاولتهم الاولى يوم الاول من تشرين الثاني من العام نفسه ، عندما استيقظ وكلاء الشاي في فجر ذلك اليوم ، ووجدوا عند ابواب منازلهم رسائل من ابناء الحرية تدعوهم للحضور ظهيرة يوم الاربعاء المصادف الثالث من الشهر نفسه عند شجرة الحرية لتقديم استقالتهم علناً من وظيفتهم وكلاء لبيع الشاي . وفي الوقت نفسه نشرت إشعارات مطبوعة في مدينة بوسطن ، تدعو سكانها وسكان المدن المجاورة للاجتماع في المكان نفسه ، ليشهدوا مراسيم الاستقالة . وفي اليوم المحدد ، ترأس آدمز وهانكوك الاجتماع الذي حضره قرابة الخمسمائة شخص ، ولما تغيب الوكلاء عن الحضور ، عُينت لجنة برئاسة وليم مولنيوكس (William Molineux) مساعد آدمز ، لتتولى مهمة الذهاب إليهم في متاجرهم وسؤالهم تقديم استقالتهم ، وصل مولنيوكس الى متجر ريتشارد كلارك وقرأ عليه قرار اجتماع المدينة بضرورة تقديمه استقالته ، وكان رد الاخير بالرفض[١٦].

سرعان ما أخذ آدمز زمام المبادرة في اجتماع آخر للمدينة عقد في الخامس من الشهر نفسه بسؤاله المجتمعين عن ما اذا كانوا سيعتمدون عزائم فيلاديفيا السابقة الذكر ، فجاء جوابهم مدويا بـ "نعم" ، وهكذا اقرت البلدة ثمانية عزائم مستنبطة من عزائم فلاديفيا عرفت بعزائم بوسطن، أبرز ماجاء فيها التأكيد على حق الملكية الخاصة باعتباره حقاً طبيعياً يتمتع به مواطنو جميع الدول الحرة ، وبالتالي لايمكن اخذ ملكية اي شخص على شكل ضريبة او غيرها دون موافقته ، كما وينبغي ان يكون الغرض من فرض الضريبة على الأمريكيين هو دعم حكومتهم المحلية، لا إقامة حكومة تعسفية تمارس جورها عليهم(١٧) .

واخيراً عدت العزائم قانون الشاي بمثابة محاولةً واضحة من قبل الوزارة البريطانية للهجوم على الحريات في أمريكا ، لذلك فان اي شخص يبادر للمساعدة في وضعه موضع التنفيذ من خلال تفريغه لشحنات الشاي او بيعها يعد عدواً لأمريكا(١٨). كما وتقرر خلال الإجتماع ارسال اللجان الى وكلاء الشاي مرة اخرى لمطالبتهم بالاستقالة ، فتولى آدمز ترؤس اللجنة الموفدة الى ابني هتشنسون اللذين كانا قد فرا مع والدهما الى منزله الريفي في بلدة ميلتون(Milton) التي تبعد مسافة سبعة اميال عن بوسطن ، وعلى الرغم من ذلك تمكن آدمز ولجنته من تعقبهما وحصلوا منهما على اجابة مماثلة لاجابة كلارك برفضهم الاستقالة(١٩).

امام اصرار وكلاء الشاي على عدم الاستقالة ، رأى آدمز أن بوسطن يجب ان لا تقف في محنتها لوحدها ، فوجه من خلال لجنة بوسطن للمراسلة الدعوة الى لجان مراسلات كلٍ من شارلستون وكامبريدج وبروكلين وروكسبري ودورتشستر للاجتماع يوم الثاني والعشرين من الشهر نفسه ، بهدف تقديم المشورة ، وتحديد الأسلوب الأكثر فعالية لمنع تفريغ الشاي وبيعه . وفي اليوم المقرر طرح آدمز امام اللجان تسأولاً عن مدى استعدادهم لمساعدة هذه البلدة ، وقد جاءت اجابتهم بالايجاب(٢٠). ثم قررت اللجان المجتمعة ارسال تعميم باسمها الى مدن المستعمرة الأخرى تلتمس فيه موافقتها بهذا الشأن(٢١). وعن هذا الاجتماع اشار هتشنسون الى دارتموث(٢٢)(Dartmouth) وزير

المستعمرات الجديد بالقول "**دُعي لعقد اجتماع للبلدة بأسرها عن طريق الإشعارات المطبوعة ، والرجل الذي تكلم نيابة عن السلكتمن كان آدمز ، حتى انني لم اعرف من هو سلكتمن ذلك الاجتماع** "(٢٣).

تولى آدمز صياغة التعميم الذي دعا من خلاله مدن المستعمرة الى ضرورة التعاون بالقول "**أيها السادة نعتقد ان من واجبنا استخدام مساعينا الحثيثة لدرء الشر الوشيك ، خطر الشاي الذي يأتي الينا الان أكبر من خطر الطاعون وغيره من الأوبئة ، ففي حين يمكن لهذه الاخيرة تدمير اجسامنا الهالكة ، إلا انها لم تستعبدنا ، الخسائر في الارواح افضل بكثير من فقدان الرجل لحريته**"(٢٤) ، ومن ثم استعرض آدمز سلسلة من الحجج لمعارضة قانون الشاي لعل من ابرزها، حجته المعتادة في فرض البرلمان البريطاني للضرائب على المستعمرات دون موافقتها ، فضلاً عن المخاطر المترتبة على وضع قانون الشاي موضع التنفيذ من احتكار تجارة المستعمرات ، وتصريف ما فيها من عملة نقدية مقدراً انفاقها لما يقارب من (٣٦٠,٠٠٠) جنيه استرليني على شراء ارطال الشاي سنوياً . ثم اضاف الى حججه السابقة حجة جديدة مفادها ، ان شركة الهند الشرقية وبسبب تراجع مبيعاتها في امريكا حاولت في بداية الامر إلغاء رسم تاونشيند المفروض على الشاي ، إلا أن الوزارة البريطانية اصدرت بدلاً من ذلك قانون الشاي ، وبالتالي اذا ما نجحت البلدات في منع الشركة من جني الارباح التي تتوقعها ، ستصر الاخيرة على الإلغاء الكلي للضريبة وعندها ستمتثل الوزارة لمطلبها(٢٥). سرعان ما اعلنت مدن ماساتشيوستس تضامنها مع ما جاء في التعميم ، واستعدادها للقبول باي اجراء تتخذه لجنة بوسطن لانقاذ المستعمرة وابنائها. وقد واظب آدمز على نشر اجابات المدن على تعميمه في صحيفة بوسطن كازيت، فضلاً عن نشره الإجراءات المتخذة بحق قانون الشاي في المستعمرات الآخرى ليبين ان القضية مشتركة(٢٦).

لم يكد الشهر ينقضي حتى وصلت السفينة البريطانية دارتموث بعد رحلة استغرقت تسعة أسابيع من لندن الى ميناء بوسطن ، وذلك في الثامن والعشرين من تشرين الثاني من عام ١٧٧٣ وهي محمله بمائة وأربعة عشر صندوق من الشاي. وكانت هذه اول شحنة

شاي تصل من شركة الهند الشرقية البريطانية الى المستعمرات الامريكية في اطار خطتها الجديدة[٢٧].

اجتمعت لجنة المراسلات بزعامة آدمز في ذلك اليوم وحصلوا على وعد من فرانسيس روتش(Francis Rotch)، قائد السفينة دارتموث، بعدم ادخال سفينته دائرة الجمارك وذلك للحفاظ على إمكانية إعادة الشاي إلى بريطانيا دون دفع الضريبة المفروضة عليه ، ثم طلبوا منه جلب سفينته من قلعة وليم حيث رست هناك في اول الامر الى مرفأ غريفين(Griffin's Wharf) احد مرافئ ميناء بوسطن، للحيلولة دون اقدام هتشنسون على تفريغ بضاعتها تحت حماية الاسطول البريطاني المتواجد في القلعة[٢٨].

اعلن آدمز في اليوم التالي وخلال اجتماعاً للمدينة حضره قرابة الستة آلاف شخص ان بلدته وبعد استشارتها بلدات المستعمرة الاخرى قررت بذل اقصى جهودها لمنع انزال الشاي وبيعه ، ومن ثم طرح مقترحه الخاص بضرورة ارسال الشاي الى بريطانيا دون دفع الضريبة، وان يتم ذلك على متن السفنية نفسها التي جاءت به ، لضمان عدم ملامسته لارض الميناء فيصبح واجب الضريبة [٢٩]. إذ اقتنع صموئيل آدمز وغيره من القادة الوطنيين أنه وبمجرد انزال الشاي على الارض فان وكلاء الشركة سيدفعون الضريبة المقررة عليه وبالتالي سرعان ما سيجد طريقه إلى السوق الامريكية ، وللحيلولة دون حصول ذلك ، عين الاجتماع خمسة وعشرين شخصاً لحراسة السفينة ليلاً ، ومنع أي محاولة من جانب روتش أو الوكلاء لتفريغ حمولتها من الشاي . وأتُخذ الاجراء نفسه مع سفينتي الشاي اليانور وبيفر اللتين وصلتا بوسطن في أوائل كانون الاول من العام نفسه ، إذ نقلتا ايضاً إلى مرفأ غريفين وخضعتا للحراسة[٣٠]. إلا أن هذا الحل الذي اوجده آدمز وزملاؤه لم يتعد كونه حلاً وقتياً ، فموجب قانون الجمارك ، فان اي سفينة لاتقوم بدفع الرسوم الجمركية تكون عرضةً للمصادرة بعد انقضاء مدة عشرين يوماً على وصولها الميناء . مما يعني ان السفينة دارتموث ستكون عرضة للاستيلاء عليها من قبل موظفي الجمارك يوم السابع عشر من كانون الاول، وهؤلاء سيبادرون بلا شك الى تفريغ شحنتها واجبة الضريبة وعرضها في السوق الامريكية في مزاد علني[٣١] .

ازداد حماس آدمز لإيجاد حل للازمة كلما قاربت مدة العشرين يوماً على الانقضاء ، ففي الوقت الذي ترأس فيه اجتماعات شبه يومية للجنة بوسطن للمراسلة، استُدعي خلالها وكلاء الشاي وطلب منهم مجدداً تقديم استقالتهم والعمل على إعادة الشاي الى لندن(٣٢). عقد ايضاً اجتماعات سرية مع رفاقه السياسيين وابناء الحرية بهدف إعداد خطة بديلة في حال فشلت المناشدات السلمية في تحقيق اهدافها ، وتستند المصادر في تأكيد ذلك الى رسالة كان قد بعث بها الى آرثر لي قبل اسابيع عدة من حفلة شاي بوسطن ، كتب فيها " **أتمنى ان يعلم اللورد دارتموث أن الناس هنا قد تحملوا القمع لمدة طويلة ، وإذا كان لديه خطة للمصالحة، عليه ان يقدمها دون تأخير ، على ان يراعي حصولها على رضى الامريكيين ... لا يمكن للمرء أن يتوقع الأحداث ، ولكن في جميع الاحوال استطيع ان أوكد لك ان رسالتي المقبلة لن تحتوي على موضوع تافه [عبثي]** "(٣٣).

اصر وكلاء الشاي على ان مسألة اعادة الشاي الى لندن لا تقع ضمن اطار صلاحياتهم، وقدموا حلاً بديلاً يقضي بتخزين الشاي لحين انتهاء الازمة ، لكن ذلك لم يرض آدمز ، فترأس الاخير في الرابع عشر من كانون الاول من العام نفسه لجنة مؤلفة من عشرة اشخاص مهمتها مرافقة روتش الى منزل مسؤول الجمارك ريتشارد هاريسون(Richard Harrison)، بهدف الحصول على ترخيص منه بمغادرة السفينة دون دفع الضريبة ، إلا أن هذه المحاولة ايضاً لم يكتب لها النجاح بعد ان اصر هاريسون على ان ذلك يتعارض مع واجبه(٣٤).

آدمز يعطي الضوء الاخضر لبدء حفلة شاي بوسطن :

مع بقاء يوم واحد على انقضاء مدة العشرين يوماً ، ترأس آدمز اجتماعا اخيراً للمدينة عقد في قاعة فانيويل في السادس عشر من كانون الاول من العام ١٧٧٣ ، حضره قرابة(٧٠٠٠) شخص من بوسطن و شارلستون، وكامبريدج، وبروكلين وروكسبري ودورتشستر . ومع تزايد اعداد الحاضرين ، جرى نقله وكما جرت العادة في مناسبات مماثلة الى دار الاجتماعات في كنيسة الجنوب القديمة ، وخلال الاجتماع صوت الحضور بالإجماع على إرسال قائد السفينة روتش الى حاكم المستعمرة هتشنسون للحصول منه على

رخصة الابحار كمحاولة اخيرة لاعادة الشحنة لبريطانيا. ولان الحاكم كان بمنزله الريفي في ميلتون، فقد استغرقت رحلة روتش إليه ساعات عدة ، ألهب خلالها آدمز وغير من القادة الوطنيين مشاعر الحضور بإلقائهم الخطب والشعارات الوطنية(٣٥). عاد روتش مع حلول المساء ، وابلغ الحضور رفض الحاكم منحه الرخصة ، عندها ارتقى آدمز المنبر واطلق الكلمات التي علم مسبقاً انها ستكون كفيلة بتغيير مصيره ومصير مستعمرته الى الأبد دون امكانية العودة الى الوراء اذ ابلغ الحضور "هذا الاجتماع لا يمكنه ان يفعل شيئاً أكثر لحفظ البلاد! "(٣٦). وقد بدت هذه الكلمات اشارةً واضحةً منه الى ما يقارب الاربعين الى الخمسين رجلاً كانوا قد تجمعوا عند ابواب القاعة وهم يرتدون زي الهنود الحمر و يلطخون اجسادهم بالطلاء، ويحملون الفؤوس بأيديهم للتوجه الى مرفأ غريفين حيث ترسوا سفن الشاي الثلاثة ، وبدء حفلة شاي بوسطن(٣٧) .

بدت حفلة شاي بوسطن عملية في غاية التنظيم ، واثبت حسن تنظيمها حقيقة الاعداد المسبق لها من قبل آدمز وزملائه الوطنيين ، فعند وصول الرجال المتنكرين بزي الهنود الحمر الى مرفأ غريفين وجدوا بانتظارهم ثلاثة من القادة الذين لم يجر التعرف على اسمائهم بسبب السرية الكبيرة التي احيطت بالعملية ، ثم قام هؤلاء القادة بتقسيمهم الى ثلاث مجموعات ، كل مجموعة تولت مهمة الصعود على متن سفينة من سفن الشاي الثلاثة وإلقاء حمولتها في المياه بشكل متزامن . وفي غضون ثلاث ساعات تم القاء (٣٤٠) صندوقاً من الشاي في المياه ، تقدر قيمتها بحوالي (٩,٠٠٠) جنيه استرليني(٣٨).

جانب آخر يعكس مستوى التنظيم التي اتسمت به حفلة الشاي ، و بعدها كل البعد عن العشوائية ، هو عدم مرافقتها لاي من اعمال الشغب المتمثلة في نهب لممتلكات السفن الآخرى او تخريبها او حتى ايذاء الاشخاص المتواجدين على متنها(٣٩). وهذا ما اوضحه آدمز في رسالة بعث بها في اليوم التالي الى بلدة بليموث ذكر فيها " **نود أبلاغكم ان كل صناديق الشاي على متن السفن الثلاثة في هذه المدينة قد دمرت الليلة الماضية دون أقل خسائر في الممتلكات... يجب أن يعترف أعداؤنا بأن هؤلاء الناس قد تصرفوا بناءً على مبادىء نقية ومستقيمة** " (٤٠).

كان للحشود المجتمعة على رصيف الميناء لمشاهدة الحدث ، دور كبير في الحيلولة دون تدخل البحرية البريطانية ومهاجمتها للقائمين بالحفلة ، وهذا ما اوضحه مونتاجو قائد الاسطول البريطاني ، الذي ذكر في وقت لاحق انه كان بإمكانه وبسهولة توجيه الاوامر لاسطوله باطلاق النار على المتمردين ، ولكنه كان سيعرض بذلك حياة العديد من الناس الأبرياء المتواجدين هناك للخطر(٤١) . إلا أن الامر لم يخل ايضاً من بعض السلبيات ، منها محاولة البعض من هؤلاء المجتمعين حمل كميات صغيرة من الشاي في قبعاتهم وجيوب معاطفهم ، وهو الامر الذي تمت معالجته من قبل منظمي العملية بتجريد الشخص المعني من ملابسه واخراج ما لديه من الشاي وركله الى خارج السفينة ليكون عبرةً لغيره . وحتى في اليوم التالي للحفلة عندما تم اكتشاف كميات كبيرة من الشاي طافية على سطح الماء ، تولت قوارب صغيرة للبحارة عملية تفريقها وتنقيعها بالمياه باستخدام المجاذيف بهدف اتلافها(٤٢).

على الرغم من السرية التي احيطت بهويات اعضاء حفلة شاي بوسطن ، ألا أن معظم المصادر قد اتفقت على ان اغلب المشاركين فيها كانوا من العمال والحرفيين والتجار والشباب ممن هم في أوائل العشرينيات ، ورجحت ايضاً مشاركة الحراس الذين تولوا مهمة حراسة السفن ليلاً ، لما امتلكه هؤلاء من إحاطة بطوابق سفن الشاي ومحتوياتها. اما من أبرز الزعماء الوطنيين الذين تأكدت مشاركتهم فعلياً في عملية اغراق الشاي فهم بول ريفير ومولنيوكس وتوماس يونغ(Thomas Young) ، اما صموئيل آدمز فعلى الرغم مما تذهب إليه بعض المصادر من تأكيد وجوده على متن سفن الشاي وتزعمه لعملية إفراغها ، إلا أن بعضها الآخر تنفي تواجده فعلياً على متن تلك السفن ، وتؤكد ان زعامته لحفلة شاي بوسطن قد جاءت من خلال اعداده المسبق لها ، ومن خلال اعطائه الضوء الاخضر لأبناء الحرية المتنكرين بزي الهنود الحمر للتوجه نحو سفن الشاي وإفراغ حمولتها (٤٣) . كما لم تقتصر المشاركة في حفلة شاي بوسطن على البوسطنيين انفسهم ، إذْ تتحدث المصادر عن وجود مشاركين من مين(Maine) التي جاء منها وطنيون وضباط متقاعدون امثال ديفيد كيننيسون(David Kinnison) وآدم كولسون(Adam Colson) (٤٤).

اتهم هتشنسون فيما بعد آدمز بالتخطيط لحفلة الشاي منذ اللحظات الاولى لدخول أول سفينة محملة به وهي دارتموث الى مياة خليج ماساتشيوستس ، بدليل استدعائه ولجنة المراسلات لقائد هذه السفينة ومطالبته بنقلها من قلعة وليم الى ميناء بوسطن ، وبالتالي فانها وبمجرد دخولها الأخير اصبحت بضاعتها واجبة الضريبة على العكس من بقائها في قلعة وليم حيث كانت امكانية اعادتها الى لندن دون دفع الضريبة اكبر بكثير(٤٥).وعند سؤاله عن سبب عدم تكليفه لاحدى الافواج البريطانية بمهمة حراسة السفن في الميناء ، أشار الى ما حدث عام ١٧٧٠ عندما تمكن الشعب بعد مذبحة بوسطن من إجبار فوجين من القوات البريطانية على مغادرة المدينة. الامر الذي جعل تولي تلك القوات مهمة حراسة السفن امراً محفوفاً بالمخاطر(٤٦).

دافع آدمز من جانبه عن قضية بلاده بالقول انه وغيره من الوطنيين لم يلجأوا لحفلة شاي بوسطن إلا بعد ان استنفذوا جميع الخيارات السلمية للحيلولة دون انزال الشاي واجب الضريبة وبيعه في المدينة ، وبعد ان اصر هتشنسون وموظفو الجمارك على وضع العقبات التي تحول دون تحقيق ذلك ، من خلال رفضهم لجميع الحلول التصالحية ، على الرغم من أن الحل التصالحي الوحيد المقبول لدى آدمز وغيره من الوطنيين كان عودة الشاي إلى بريطانيا (٤٧). وضمن هذا السياق كتب آدمز بعد بضعة ايام من الحادث إلى جيمس وارن من بلدة بليموث "**قرارات الرجال العقلاء في السلطة هي المسؤولة عن تدمير الشاي، فعنادهم جعل ذلك ضرورياً**"(٤٨)، معتقداً بذلك انه قد وضع عدوه في الخطأ. ويشارك فرانسيس برنارد(٤٩) (Francis Bernard) الحاكم السابق لماساتشيوستس آدمز في وجهة نظره السابقة ولكنه عبر عنها باسلوبه الخاص، إذ كتب في الاول من كانون الثاني عام ١٧٧٤" **بعد ان حاول مغتصبو الحكومة بكل الطرق إعادة الشاي الى بريطانيا، ولكن من دون جدوى، تركوا ما يدعونه اجتماعهم القانوني وتوجهوا الى مرفأ غريفين، وفي غضون ساعتين أو ثلاث ساعات دمروا ثلثمائة وأربعين صندوق من االشاي** ". ويواصل "**إذا ما كان هناك لوم فيجب أن يقع على عاتق الحاكم ، الذي رفض منح السفن تراخيص المرور** "(٥٠). كما لم ينس آدمز إضفاء الطابع الديني على الاحداث، ففي الإشارة الى مصير السفينة وليم وهي سفينة الشاي الرابعة التي كان من المقرر وصولها الى بوسطن،

ذكر آدمز" **السفينة الوحيدة المتبقية والتي كان من المتوقع ان تصل بتلك السلعة البغيضة قذفت بواسطة تدخلات السماء الحكيمة على الشاطئ في خليج كود** "[٥١].

كانت لاخبار حفلة شاي بوسطن اصداؤها في جميع انحاء المستعمرات الامريكية التي استقبلتها بحماس شديد ، وبفضلها واجه الوطنيون في كلً من نيويورك و فيلاديفيا ، القليل من الصعوبة في اقناع قادة سفن شايهم بإعادتها مع حمولتها إلى لندن. اما في مدينة تشارلستون في ولاية كارولينا الجنوبية ، فقد تم تخزين الشاي ولكن لم يسمح ببيع رطلاً واحداً منه [٥٢].

- **الخاتمة واهم الاستنتاجات**

اثبت البحث ان حفلة شاي بوسطن لم تكن بالحادثة العشوائية او العرضية ، وانما كانت عملية في غاية التنظيم والاتقان وقد اثبت حسن تنظيمها حقيقة الاعداد المسبق لها ، كما اثبت ايضا ان زعامة آدمز لحفلة شاي بوسطن ، لم تأت من خلال صعوده شخصياً على متن سفن الشاي وإلقائه ما بحوزتها من صناديق في مياه البحر ، وانما كانت من خلال اعداده المسبق لها ، ومن خلال اعطائه الضوء الاخضر لأبناء الحرية المتنكرين بزي الهنود الحمر للتوجه صوب سفن الشاي. اذ جاء ذلك منسجما مع ما اتسمت به تلك الشخصية من تفضيلها للعمل من وراء الستار ، وتوجيهها الاحداث بدلاً من المشاركة فعلياً بها .

الهوامش:

(١) ولد في ١٦ / ايلول / ١٧٢٢ في مدينة بوسطن ، في مستعمرة ماساتشيوستس ، تخرج من كلية هارفرد عام ١٧٤٠ ، نال على درجة الماجستير في الاداب عن رسالته الموسومة " ما اذا كان مشروعاً مقاومة الحاكم الاعلى ، اذا اصبح من غير الممكن الحفاظ على الكومنولث بخلاف ذلك" . آدى دورا مهما في الاعداد للثورة الامريكية حتى وصفته المصادر بـ" ابي الثورة " ، وفي الدفع

ببلاده نحو اعلان استقلالها في تموز عام ١٧٧٦ من خلال تمثيله لماساتشيوستس في المؤتمرين القاريين الاول والثاني .كما اسهم في كتابة بنود الاتحاد الكونفدرالي وفي صياغة دستور ولاية ماساتشيوستس عام ١٧٨٠ . شغل منصب نائب حاكم ماساتشيوستس ونائبا للولاية للمدة (١٧٨٩-١٧٩٧). توفي في ٣/ تشرين الاول / ١٨٠٣. انظر :

William Vincent Wells , The Life and Public Services of Samuel Adams: Being A Narrative of his Acts and Opinions and of his Agency in Producing and Forwarding the American Revolution With Extracts from his Correspondence State Papers and Political Essays , Little and Brown Company, Boston , Vol.1,Vol.2,Vol.3,1865.

([2]) Benjamin W. Labaree, Catalyst for Revolution The Boston Tea Party 1773 , Bicentennial Commission Publication, Massachusetts,1973,PP.5-7.

([٣]) تأسست هذه الشركة عام ١٧٠٩ نتيجة اندماج شركتين الاولى شركة الهند الشرقية في لندن، التي تأسست في ١٦٠٣ [كذا] (التاريخ الصحيح في ٣١/كانون الاول/١٦٠٠)، وتمتعت باحتكار التجارة الإنجليزية إلى الشرق الأقصى ، والثانية شركة الهند الشرقية الإنجليزية الجديدة التي تأسست ١٦٩٠ ، المنافسة بين الشركتين هددت بتدميرهما ، وتركت تجارتهما عرضة للإختراق من قبل الشركات التجارية التابعة للدول الأخرى ، لذلك قررتا الاتحاد ، تحت تسمية الشركة المتحدة للتجارة الى جزر الهند الغربية ، منحت الشركة حقوق الاحتكار لجميع أنواع التجارة الإنجليزية ما وراء رأس الرجاء الصالح ، وفي غضون القرن الثامن عشر نمت الشركة حتى اصبحت من بين المؤسسات المالية الأقوى في بريطانيا العظمى. للتفاصيل انظر :

Benjamin W. Labaree , The Boston Tea Party , Northeastern University Press , Boston ,1964,P.58.

([4]) Labaree, Catalyst...,P.6,9.

([٥]) بلغت نسبة ديون الشركة الى الحكومة البريطانية (١,٠٠٠,٠٠٠) جنيه استرليني .

Labaree , The Boston..., P.61.

([٦]) سياسي بريطاني ، ولد في ١٣ / نيسان / ١٧٣٢ في لندن ، درس في كلية إيتون وفي كلية ترينيتي في جامعة أكسفورد إذ حصل عام ١٧٥٠ على درجة الماجستير . اصبح عضواً في البرلمان البريطاني في نيسان عام ١٧٥٤. وعين عام ١٧٥٩ وزيراً للخزانة ، وفي ظل وزارة وليم بت (William Pitt) الثانية عين مديراً للمرتبات كما واصبح مستشار الملك الخاص .وفي كانون الاول

عام ١٧٦٧، تولى وزارة الخزانة ورئاسة مجلس العموم البريطاني. اصبح رئيساً لوزراء بريطانيا في ٢٨ / كانون الثاني / ١٧٧٠ وفي عهده اندلعت الحرب الثورية الامريكية عام ١٧٧٥ ، وقدم استقالته من منصبه في ٢٠ / اذار / ١٧٨٢ ، في اعقاب وصول أنباء استسلام قوات الجنرال كورنواليس. تقلد في نيسان عام ١٧٨٣ منصب وزير الداخلية . توفي في ٥/ آب / ١٧٩٢.انظر:
I.R.C., "Frederick North ", Encyclopaedia Britannica, Vol.16, 1966, P.587.

([7])Benjamin H. Irivn, Samuel Adams Son of Liberty Father of Revolution, Oxford University Press, 2002,P.105.

([8]) كفاح احمد محمد احمد نجار ، توماس جيفرسون ودوره السياسي في التاريخ الامريكي حتى عام ١٨٠١، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب، جامعة بغداد ، ٢٠١١، ص١٠٣.

([9]) Steven C. Bullock, The American Revolution: A History in Documents, Oxford University Press ,2003, P.34.

([10]) Labaree, Catalyst...,P.9 ; Irvin ,Op.Cit.,P.106.

([11]) Labaree , The Boston..., PP.76,79.

([12]) William M . Fowler , ,Samuel Adams (Radical Puritan),Oscar Handlin (Ed.), An Imprint of Addison Wesley Longman ,New York ,1997,P.122.

([13]) Bullock,Op.Cit.,P.36.

([١٤]) توماس هتشنسون : تاجر ومؤرخ وسياسي امريكي ، ولد في ٩/ ايلول / ١٧١١ في بوسطن ، تخرج من كلية هارفرد عام ١٧٢٧. دخل ميدان السياسة عام ١٧٣٧ عندما انتخب في اجتماع المدينة لوظيفة السلكتمن، وقد عارض بشكل علني الاستمرار في اصدار العملة النقدية الورقية . وفي عام ١٧٤٢ انتخب هتشنسون عضواً في المحكمة العامة ، إذْ خدم في منصبه هذا حتى ١٧٤٩. واصبح بعدها عضواً في مجلس الحاكم ، ومن ثم نائباً لحاكم المستعمرة فرانسيس برنارد (Francis Bernard) عام ١٧٦٠ ومن ثم حاكماً ملكياً لها للمدة (١٧٦٩-١٧٧٤) ، جمع عدداً كبيراً من الوثائق التاريخية الخاصة بالمدة الاستعمارية ، وكتب من خلالها تاريخ مستعمرة ماساتشيوستس في ثلاثة مجلدات غطت مدة حكمه للمستعمرة ونشرت بعد وفاته عام ١٧٨٠. للتفاصيل انظر :
"Thomas Hutchinson" , The Encyclopedia Americana, Vol.14,1949, PP.529-532; James K. Hosmer, The Life of Thomas Hutchinson :Royal Governor

of the Province of Massachusetts Bay ,Houghton Mifflin and Co., New York,1896.

([15]) Fowler, Op.Cit.,PP.122-123.

([16])Albert W. Mann , Walks & Talks About Historic Boston , Puritan Linotype, Boston , 1917,PP.151-152.

([17]) Resolutions of The Town of Boston,5/ Nov./1773 , The Writing of Samuel Adams 1773-1777 ,1907, Vol.,3,PP.68-69(Hereafter Cited as the Writing 1773-1777); Mark Puls, Samuel Adams Father of the American Revolution ,Palgrave Macmillan ,New York ,2006, P.145.

([18]) Resolutions of The Town of Boston,5/ Nov./1773 , Op.Cit.,P.68.

([19]) Labaree,The Boston... , P.112.

([20]) Fowler, Op.Cit.,P.126.

([21]) John Stetson Barry , The History of Massachusetts, His General Agent Henry Barry ,Boston , 1857,PP.469-470.

([٢٢]) دارتموث: رجل دولة بريطاني ، ولد في ٢٠ / حزيران / ١٧٣١ في بريطانيا ، تلقى تعليمه في كلية ترينيتي في جامعة أوكسفورد، اصبح عضواً في مجلس اللوردات في ايار عام ١٧٥٤ ، وشغل منصب رئيس مجلس التجارة للمدة (١٧٦٥-١٧٦٦) وقد عارض خلالها قانون الطابع ، وعمل على إلغائه . تولى منصب وزير الدولة لشؤون المستعمرات عام ١٧٧٢ حاول في بداية الامر اتباع سياسة توافقيه مع المستعمرات ، ولكنه و بعد حفلة شاي بوسطن سعى إلى إعادة فرض رقابة صارمة على المستعمرات الامريكية ، استقال من منصبه في تشرين الثاني عام ١٧٧٥ . وتوفي في ١٥ / تموز / ١٨٠١ ، عن عمر ناهز ٧١ عاماً .انظر:

"Dartmouth ",Encyclopaedia Britannica,1966,Vol.7, P.82.

([23]) Quoted In : William Vincent Wells , The Life and Public Services of Samuel Adams: Being A Narrative of his Acts and Opinions and of his Agency in Producing and Forwarding the American Revolution With Extracts from his Correspondence State Papers and Political Essays , Little and Brown Company, Boston , 1865,Vol.2,P.105.

([24]) Quoted In :Ibid.

([25]) Labaree,The Boston... , P.117.

([26]) Barry,Op.Cit.,P.470; Wells, Op.Cit.,Vol.2 ,P.108.

([27]) Labaree, Catalyst..., P.13.

([28]) Charles Knight , Popular History of England from the Accession of George I. 1714 to the Close of the American War 1783,Bradbury Evans & Co., London , Vol.6,P.337; Labaree,The Boston... , P.130.

([29]) James K. Hosmer ,American Statesman Samuel Adams ,Houghton Mifflin and Company , Boston and New York ,1899,PP.247-248.

([30]) Labaree, Catalyst..., P.13.

([31]) William E. Barton, When Boston Braved the King A Story of Tea Party Times, W. A. Wilde & Company ,Boston and Chicago,1899,P.277.

([32]) Barry,Op.Cit.,P.472.

([33]) Massage to Arthur Lee , 9/Nov./1773, The Writing (1773-1777),P.70.

([34]) Mann ,Op.Cit.,P.155.

([35]) James K. Hosmer, Samuel Adams The Man of the Town-Meeting , John Murphy & Company , Baltimore ,1884,PP.46-47.

([36]) William E. Barton , When Boston Braved the King A Story of Tea Party Times, W. A. Wilde & Company , Boston and Chicago ,1899,PP.301-302.

([37]) Ibid.

([38]) Bullock,Op.Cit.,P.37.

([39]) Irivn,Op.Cit.,P.110.

([40]) The Committee of Correspondence of Boston to the Committee of Plymouth, 17/Dec./1773, The Writing (1773-1777),PP.71-72.

([41]) Labaree, The Boston... , P.145.

([42]) Bullock,Op.Cit.,P.38.

([43]) Labaree, Catalyst..., PP.15-17.

(44) Henry C. Watson, The Boston Tea Party and Other Stories of the American Revolution, Lee and Sheppard Publishers, Boston ,1888,PP.10-13.

(45) Labaree, The Boston... , PP.127-128.

(46) Ibid ,P.147.

(47) Puls, Op.Cit.,P.145; Labaree,The Boston ..., PP.147-148.

(48) Massage from Samuel Adams to James Warren , 28/ Dec. / 1773 , Warren – Adams Letters (Being Chiefly A Correspondence Among John Adams ,Samuel Adams and James Warren(1743-1777) , The Massachusetts Historical Society 1917, Vol.1,P.20.

(٤٩) فرانسيس برنارد : سياسي ورجل دولة بريطاني ، ولد في ١٢/ تموز/١٧١٢ في بلدة برايتويل (Brightwell) في بريطانيا ، نال درجة الماجستير في الاداب من جامعة اكسفورد عام ١٧٣٦ . شغل منصب حاكم مستعمرة نيوجرسي عام ١٧٥٨، وفي عام ١٧٦٠ تولى منصب حاكم مستعمرة ماساتشيوستس، تسببت سياساته المتشددة وأساليبه القمعية ومحاولاته تطبيق الضرائب التي فرضها البرلمان البريطاني على المستعمرة باستخدام القوة ، في زيادة غضب سكانها وتصاعد روحهم الثورية ، وفي نهاية الامر تمت اقالته من منصبه في آب عام ١٧٦٩ بناءً على طلب تقدمت به جمعية ماساتشيوستس التشريعية الى الحكومة البريطانية .عين بعد عودته الى بريطانيا مستشاراً لرئيس الوزراء البريطاني اللورد نورث(Lord North) في ما يتعلق بشوؤن المستعمرات ، وبقي متبنياً لمواقفه المتشددة ذاتها. توفي عام ١٧٧٩، بعد نوبة صرع.انظر :

"Francis Bernard ",The Encyclopedia Americana, Vol.3, 1948, PP.569-570.

(50) Quoted In :Bernhard Knollenberg, Did Samuel Adams Provoke the Boston Tea Party and the Clash at Lexington?, Publisher by: Literary Licensing ,N.D. 2011, P.5.

(51) Quoted In : Ira Stoll , Samuel Adams: A Life ,Free Press ,New York ,2008, P.117.

(52) Labaree, Catalyst..., P.19.

الكتاتيب والمكتبات في العصر الايوبي

٥٦٧هـ-٦٤٨هـ/ ١١٧٢-١٢٥٠م

الباحث: فرات محمود ميران

أ.د. قصي اسعد عبد المجيد الراوي

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

الكتاتيب والمكتبات في العصر الايوبي (٥٦٧هـ-٦٤٨هـ/ ١١٧٢-١٢٥٠م)

الباحث: فرات محمود ميران

أ.د. قصي اسعد عبد المجيد الراوي

المقدمة

الى جانب المدارس وجدت في العصر الايوبي الكتاتيب[١]والمكتبات ، فمن المعروف ان الكُتَّاب ظهر كمؤسسة تعليمية منذ أوائل العصر الاسلامي في المجتمع الاسلامي، ليقوم بتعليم الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن الكريم، ومبادئ الحساب[٢].

وارتبط التعليم منذ بداية العصر الاسلامي بالمساجد، ولكن تعليم الصبيان بالمساجد كان مكروهاً، فقد ورد في كتب الحسبة انه لا يجوز تعليم الصبيان في المسجد، لأنهم يسودون حيطانها، وينجسون أرضها إذ لا يحترزون من سائر النجاسات[٣]، ومن الأمور التي حرص عليها الايوبيون الى جانب عنايتهم بانشاء الكتاتيب هو انشاء المكتبات والذي كان لازدهار الحركة الفكرية في العصر الايوبي اثر كبير في ظهورها وتزايد عددها.

اولاً- الكتاتيب:

كان الكُتَّاب في بعض الأحيان يتخذ من المسجد مقراً له، كما هو الحال بالنسبة للجامع الأموي في دمشق[٤]، إذ أشار الى ذلك الرحالة ابن جبير[٥] بقوله " ودهليز الباب الشمالي فيه زوايا... ، وهي محاضر لتعليم الصبيان " ويقول ايضاً: " ومرافق هذا الجامع لأهل الطلب كثيرة وواسعة... وعند الفراغ من القراءة صباحاً يستند كل انسان منهم الى سارية ويجلس أمامه صبي يلقنه القرآن، وللصبيان على قراءتهم جراية معلومة ".

وغالباً ما تركزت المكاتب في اطراف الاسواق والحوانيت، واماكن الكثافة السكانية[٦].

وكان الايوبيون سباقين في عمل الخير ، فالسلطان صلاح الدين الايوبي(٥٦٧هـ - ٥٨٩هـ/١١٧٢م-١١٩٣م) انشأ مكاتب للصبيان لتعليمهم لاسيما لأبناء الفقراء والايتام، وقد اشار الرحالة ابن جبير[٧] الى ذلك لقوله " أمر

بعمارة محاضر الزمها معلمين لكتاب الله عز وجل يعلمون ابناء الفقراء والايتام خاصة وتجرى عليهم الجراية الكافية لهم ".

حتى عدَّ ابن جبير[٨] ذلك "من مآثره الكريمة المعربة عن اعتنائه بأمور المسلمين كافة".

كما وأشار ابن جبير[٩] الى الكُتّاب في مدينة دمشق وعدها من مفاخر هذه البلاد بقوله "وللأيتام من الصبيان محضرة كبيرة بالبلد لها وقف كبير، يأخذ منه المعلم لهم ما يقوم به وينفق منه على الصبيان ما يقوم بهم وبكسوتهم".

وقد سار امراؤه وقادته، وابناء رعيته على منهجه في بناء الكتاتيب ، فقد بنى القاضي الفاضل (ت:٥٩٦هـ/١٢٠٠م) الى جانب مدرسته الفاضلية في القاهرة كُتّاباً واوقف عليه "الخيرات الدارة على الايتام"[١٠].

كما واسهم الامير فخر الدين عثمان بن قزل[١١] (ت: ٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م)، في عهد السلطان الكامل ببناء مكتب لصغار الأيتام بالقرافة واوقف عليه وقفاً كبيراً[١٢].

ولم تكن الكتاتيب جميعها تحت اشراف الدولة أو من انشائها، فقد كان بعضها مؤسسات خاصة باصحابها، يعلمون فيها الاطفال وليس للدولة دخل في انشائها او الاشراف عليها، ويتولى عادة آباء الابناء دعمها حيث يدفعون لشيخها اجر تعليم ابنائهم[١٣]، واحياناً تلجأ الأسر الغنية الى الاستعانة بمؤدب خاص ليقوم بتعليم ابنائهم في منازلهم مقابل اجر شهري[١٤].

وكان أول ما ينبغي للمؤدب ان يعلمه للصبيان في هذه الكتاتيب، السور القصار من القرآن الكريم بعد ضبطه الحروف، ثم بعده يعلمه احاديث النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا يتكلم مع الصبيان في العقائد بل يدعهم الى أن يتأهلوا حق التأهل، ثم يبدأ ويعرفه عقائد السنن، ثم اصول الحساب، فضلاً عن تعليمهم حسن الخط، وكانوا يتعلمون الخط في الاشعار وغيرها، ومن كان عمره سبع سنين من الصبيان امره المؤدب بالصلاة ، وبر الوالدين[١٥].

وكان اكثر المؤدبين في الكتاتيب من المقرئين، كما كان بينهم من الفقهاء والمحدثين والادباء وعلماء النحو وبعضهم امتهن هذه المهنة تطوعاً لوجه الله تعالى ، وآخرون امتهنها رغبة في الحصول على الأجر، ولاسيما اولئك الذين
يعانون الفقر وكانوا بحاجة الى الأجر لإدامة معيشتهم(١٦).

ولما كان للكتاتيب دور مهم في وضع المبادئ الاساسية للتعليم عند الصبيان، كان لابد ان يكون في مؤدب الكتاتيب شروطاً منها، ينبغي ان يكون صحيح العقيدة(١٧)، متديناً عاقلاً عالماً بأمور الدين عارفاً بالقراءة والكتابة وحسن الخط، وان يكون رفيع الخلق والادب اميناً على التلاميذ(١٨).

من مؤدبي الصبيان في مصر عهد الايوبيين، المقرئ الشيخ ابو القاسم عبد الغني بن علي ابراهيم (ت: ٥٩٥هـ/ ١١٩٩م)، وكان مُؤدّباً بزقاق القناديل في مصر(١٩)، والشيخ الصالح الاديب ابو الذكاء ورد بن ابي المكارم حاتم بن عبد الغالب بن سلامة النحوي المؤدب في القاهرة – ولد عام ٥٤٦هـ/ ١١٥١م، في القاهرة وكان من أهل الخير، يعلم الصبيان في القاهرة توفي عام ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م، ودفن بسفح المقطم (٢٠) (٢١).

وايضاً من مؤدبي الصبيان في مصر في هذا العصر الشيخ الفقيه ابي القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الرحمن بن عبد الغني الشافعي، الذي كان يؤدب الصبيان بالمسجد المعروف بمسجد المنارة في الفسطاط لمدة طويلة حتى وفاته عام ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م(٢٢)، والمؤدب الشيخ الصالح ابو الطاهر اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان بن علي الصبري الجميلي الزفتاوي المنعوت بالعفيف في مصر، تفقه على مذهب الامام الشافعي، وصحب جماعة من الشيوخ وأدب الصبيان مدة، ثم انقطع آخر عمره بقرافة مصر بضريح الامام الشافعي، وكان احد المقرئين فيها حتى وفاته عام ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م(٢٣).

والشيخ أبو القاسم عبد الرحمن ابن محمود بن ابي علي الكناني العسقلاني الاصل المصري المولد والدار المؤدب في مصر، ولد عام (٥٨١هـ/ ١١٨٦م) وكان حافظاً للقرآن الكريم، وأدب الصبيان مدة، وكان على طريقة حسنة، توفي عام ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م(٢٤).

ثانياً- المكتبات:-

تشبه الايوبيون بالفاطميين في عنايتهم بانشاء المكتبات[٢٥]، فقد كانت خزانة الكتب في القاهرة في العصر الفاطمي من أهم مستودعات الكتب والمخطوطات في العالم في العصور الوسطى[٢٦]، فيورد المقريزي تفصيلاً مستفيضاً لمحتويات المكتبة منذ انشائها على يد الخليفة الفاطمي العزيز بالله[٢٧] (٣٦٥هـ-٣٨٦هـ /٩٧٦م-٩٩٧م)، حيث كانت تضم اكثر من مائتي الف كتاب من المجلدات في الفقه على سائر المذاهب الاسلامية، والنحو واللغة، وكتب الحديث النبوي، وسير الملوك، والتواريخ، والروحانيات والكيمياء من كل صنف النسخة والعشرة، فضلاً عن المصاحف الكريمة في كل مكان فيها[٢٨].

كما واتبع الايوبيون سياسة الملك نور الدين محمود زنكي (٥٤١-٥٦٩هـ/١١٤٦م-١١٧٤م) في العناية بالمكتبات مثلما اقتفوا اثره في بناء المدارس، فقد وقف لمدرسته النورية الكبرى كتباً كثيرة على أهل العلم وقد تخصصت في علم الحديث النبوي الشريف [٢٩].

أنواع المكتبات في الدولة الايوبية:

كان لازدهار الحركة الفكرية في العصر الايوبي اثر كبير في ظهور المكتبات وتزايد عددها، حيث احتوت اغلب المدارس والمساجد خزائن للكتب، فضلاً عن خزائن الملوك، والمكتبات الخاصة التي شيدت من قبل أهل العلم من الفقهاء والعلماء، فضلاً عن الانواع الاخرى من المكتبات، وعرفت الدولة الايوبية نوعاً آخر من المكتبات أقل شهرة وهي المكتبات التي تُلحق بالمقابر التُرب[٣٠].

١- مكتبات المساجد:

وتعد المكتبات الملحقة بالمساجد والجوامع أولى المكتبات نشوءاً[٣١] وما بالمساجد من الكتب انما جاءت من الهدايا والهبات، فصار كل عالم ان جعل ما لديه من الكتب للمسلمين وأهل العلم[٣٢]، فضلاً عن ان عامة الناس كانوا يودعون عدداً من نسخ القرآن الكريم، فضلاً عن بعض الكتب الدينية النافعة في المسجد ايضاً، فظهرت مكتبة المسجد خاصة عندما اتخذ المسلمون المسجد مكاناً للصلاة والدراسة لانه لا دراسة بدون وجود الكتب[٣٣].

وقد ضمت مكتبات المساجد فضلاً عن الكتب الدينية، كتباً في مختلف العلوم والآداب التي لا تتعارض مع الاسلام(٣٤).

فقد كان لجامع عمرو بن العاص في مدينة الاسكندرية خزانة كتب محبوسة، كان يتولى الاشراف عليها ابو الحسن بن زرارة(٣٥).

كما كانت لجامع دمشق خزانة كبيرة في محرابها في الركن الشرقي منها، وتفتح الخزانة كل يوم اثر الصلاة، وكان الزحام يكثر فيه(٣٦).

وكان للمسجد الأقصى ايضاً خزانة، فعندما حرر السلطان صلاح الدين الايوبي بيت المقدس عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، رتب في قبة الصخرة اماماً حسن القراءة ووقف عليها الأوقاف، وحمل اليها والى محراب المسجد الاقصى مصاحف وختمات، وربعات معظمات، وبشكل عام كانت المصاحف الشريفة اهم الكتب التي أوقفها السلاطين والامراء على مكتبات المساجد في بيت المقدس(٣٧).

٢- مكتبات المدارس ودور الحديث:

ومن المكتبات ما صار له صفة المكتبة العامة، وهي بذلك تكمل مكتبات المساجد التي احتوت على الكتب الدينية، ومكتبات المدارس التي يرجع اليها المدرسون والطلاب ويعتمدون عليها في التحصيل والاستزادة من العلم(٣٨).

ومن أبرز مكتبات المدارس في مصر، مكتبة المدرسة الفاضلية التي انشأها القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني في القاهرة عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م ، حيث اوقف فيها مائة الف مجلداً أخذها من جملة خزانة الكتب التي كانت بالقصر الفاطمي(٣٩)، كما كان القاضي الفاضل مهتماً بالكتب يعمل على جمعها من سائر البلاد وكان له نساخون ومجلدون يعملون طوال الوقت(٤٠).

ومن مكتبات مصر العامة ايضاً مكتبة المدرسة الصاحبية التي انشأها ابن شكر الصاحب الوزير(٤١) (ت: ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) في القاهرة، حيث وقف فيها خزانة كتب جليلة(٤٢).

كما احتوت مدارس بلاد الشام على خزائن كتب افاد منها طلاب العلم الذين كانوا يتوافدون عليها للتحصيل، فقد احتوت مكتبة المدرسة الشيخية العمرية التي بناها الشيخ ابو

عمر المقدسي[٤٣] (ت: ٦٠٧هـ/ ١٢١١م)، بالصالحية[٤٤] في مدينة دمشق[٤٥]، على خزائن كتب متعددة موقوفة من اناس عدة، وكان أعظمها كتب السيد الحسيني، ومنها كتب الشيخ قوام الدين الحنفي، وكتب الشمس البانياسي، ومنها كتب المحدث جمال الدين بن عبد الهادي، وفي هذه الكتب مصحف بخط الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)[٤٦].

ومن مكتبات بلاد الشام ايضاً الملحقة بالمدارس، مكتبة المدرسة الرواحية[٤٧] في مدينة حلب التي انشأها ابو القاسم زكي الدين هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن ابي الوفاء الحموي (ت: ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، كان من اكابر التجار وأولي ثروة، بنى المدرسة للفقهاء المسلمين واوقف عليها اوقافاً حسنة[٤٨]، والى الغرب منها تقع خزانة الكتب وفيها اوقف كتب جليلة[٤٩].

ولم يقتصر وجود المكتبات العامة على ما هو متوفر في المدارس وحدها، بل امتد ليشمل دور الحديث الشريف ايضاً، ومنها دار الحديث الضيائية، ويقال لها دار السنة، وتقع في سفح جبل قاسيون شرقي الجامع المظفري في مدينة دمشق، وبانيها الفقيه الضياء ابو عبد الله محمد المقدسي[٥٠] (ت: ٦٤٣هـ/ ١٢٤٦م)، وقد وقف كتباً كثيرة بخطه بخزانة الدار، وقد وقفها على أهل الحديث والفقهاء[٥١].

ومن مكتبات دور الحديث ايضاً مكتبة دار الحديث الاشرفية التي انشأها صاحب دمشق الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل (٦٢٦هـ- ٦٣٥هـ/ ١٢٢٩م – ١٢٣٨م) عام ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م، في مدينة دمشق، حيث نقل الملك الاشرف موسى كتبه النفيسة الى مكتبة الدار[٥٢].

كانت الكتب في مكتبات المدارس اما مجموعة كبيرة او مجموعة صغيرة، وذلك تبعاً لمكانة وشهرة المدرسة ومقدار الوقف المصروف عليها، وحسب ما يوقفه الواقف عليها من كتبه الخاصة، ولاسيما اذا كان الواقف من العلماء[٥٣].

وقد شمل وجود المكتبات العامة في مدارس الطب ايضاً ومنها، مكتبة المدرسة الدخوارية في مدينة دمشق، التي الحقها الشيخ مهذب الدين عبد الرحيم بن علي الدخوار شيخ الطب[٥٤] (ت: ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م) بمدرسته (الدخوارية) التي بناها في داره وجعلها مدرسة يدرّس فيها من بعده صناعة الطب، ووقف لها الضياع واماكن عدة تصرف في

مصالح المدرسة وفي جامكية[٥٥] المدرس وجامكية المشتغلين فيها، وكان الشيخ مواضب على الاشتغال والنسخ، وكان خطه حسناً فكتب كتباً كثيرة بخطه وكان له مائة مجلد أو اكثر في الطب وغيره[٥٦].

٣ - مكتبات الترب (المقابر):

ومن المكتبات العامة ايضاً تلك المكتبات التي تلحق بالترب، إذ جرت العادة ان تلحق بقبور العظماء والملوك والاغنياء مكتبة صغيرة لقراءة القرآن والكتب الدينية، وكانت هذه المكتبات مفتوحة امام الناس جميعاً ويحصلون على الكتاب بأنفسهم او بمساعدة المناولين الذين يعملون في المكتبة[٥٧].

ومن مكتبات الترب والمقابر مكتبة التربة البهنسية، وتقع في سفح قاسيون بمدينة دمشق، وقد دفن في تربته وزير الملك الاشرف موسى، مجد الدين البهنسي[٥٨] (ت: ٦٢٨هـ/ ١٢٣٣م)، الذي جعل كتبه وقفاً فيها[٥٩].

ومكتبة التربة الاشرفية وتقع بجوار الكلاسة بمدينة دمشق، وقد دفن فيها الملك الاشرف موسى ابن السلطان العادل (٦٢٦هـ - ٦٣٥هـ/ ١٢٢٩م - ١٢٣٨م) فيما بعد، وقد وضع فيها قبل وفاته الكتب النفيسة فوضع من كل كتاب نسخاً عديدة[٦٠].

٤- المكتبات الخاصة:

الى جانب المكتبات العامة التي عرفتها الدولة الايوبية، ظهر نوع آخر من المكتبات هي المكتبات الخاصة التي شيدها أهل العلم، فقد كان اكثر العلماء لهم خزانة كتب خاصة بهم يرجعون اليها، فعلى سبيل المثال، مكتبة ابي طاهر احمد بن محمد السلفي[٦١] (ت: ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م)، كان السلفي مغرماً بجمع الكتب، وما حصل من المال يخرجه في ثمنها، فقد كانت عنده خزائن كتب لا يتفرغ للنظر فيها من كثرتها[٦٢].

ومن المكتبات الخاصة ايضاً، مكتبة الوزير عماد الدين الكاتب الاصفهاني[٦٣] (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠٢م)، الذي أصبح نائباً عن القاضي الفاضل للسلطان صلاح الدين الايوبي في كتابة الانشاء[٦٤]، وكانت مكتبته من ابرز المكاتب في مصر، وكانت غالبية كتبه قد حصل عليها من مكتبة القصر الفاطمي[٦٥]، وقد صنف فيها الكثير من التصانيف الأدبية[٦٦].

ومكتبة الحكيم موفق الدين ابو نصر اسعد ابن ابي الفتح بن جرجيس المطران(ت:٥٨٧هـ/١١٩١م)، الذي اشتغل بصناعة الطب في عهد السلطان صلاح الدين الايوبي، وكانت له همة عالية في تحصيل الكتب الطبية، فقد كانت في خزانته ما يناهز عشرة الاف مجلدٍ من الكتب الطبية، وكانت له كتباً كثيرة بخطه فضلاً عن عنايته البالغة في استنساخ الكتب، حيث كان في خدمته ثلاثة من النساخين يكتبون له، ولهم جامكية ، وبعد وفاته بيعت كتبه جميعها [٦٧].

ومكتبة ياقوت ويقال له يعقوب بن عبد الله نجيب الدين (ت: ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م)، وهو مولى الشيخ تاج الدين الكندي، وقد كانت خزانة كتبه في الزاوية الشمالية من جامع دمشق، وقد حوت سبعمائة واحدى وستين مجلداً، وكانت وقفاً عليه من شيخه تاج الدين الكندي، ثم جعله وقفاً على اولاده من بعده، ثم اصبحت وقفاً الى علماء المسلمين، وقد بيعت اكثر كتبها، ولم يبقَ بالخزانة الا القليل[٦٨].

وكان للشيخ الفاضل ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محمد المرادي السبتي (ت: ٦٢٧هـ/ ١٢٣٠م)، الذي تولى إمامة مسجد الجوزة بدمشق، مكتبة فيها مائة مجلدا" بخطه ، فضلاً عن الكتب الاخرى التي حصل عليها[٦٩].

وكان للصاحب امين الدولة الحسن بن غزال (ت: ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م) وزير الملك الصالح اسماعيل ابن السلطان العادل ابن ايوب[٧٠] (٦٣٥ هـ - ٦٤٣هـ / ١٢٣٧م - ١٢٤٥م) صاحب دمشق وبعلبك ، همة عالية في جمع الكتب وتحصيلها، كما واقتنى كتباً كثيرة فاخرة في العلوم المختلفة وكان في خدمته ناسخون يكتبون له، حتى انه في احدى المرات اراد نسخة عن تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر (ت: ٥٧١هـ/ ١١٧٦م)، والتي تقع في ثمانين مجلداً، ففرقه على عشرة نساخ لكل واحد منهم اعطى ثمان مجلدات فكتبوه له في نحو سنتين[٧١].

ومكتبة الفقيه ابو محمد عبد الله بن علي بن محمد القروي (ت: ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م) المقرئ الضرير، وقد حدث في مسجد بزقاق البركة الواقعة ظاهر القاهرة، وكانت له همة عالية في تحصيل الكتب، وحصل منها ما تيسر له[٧٢].

وكان للقاضي الاشرف بهاء الدين ابو العباس احمد بن القاضي الفاضل (ت: ٦٤٣هـ/ ١٢٤٦م)، مكتبة وقد ذكره ابن سعيد[٧٣] بقوله "واجتمع عنده من خزائن كتب ابيه، وما استفاده من الكتب ما هو مشهور في البلاد". كما واشار اليها ابو شامة[٧٤] بقوله "حوط القاضي احمد بن عبد الرحيم البيساني عام ٦٢٧هـ/ ١٢٣٠م، درابزيناً[٧٥]، شمالي بركة الكلاسة شمالي جامع دمشق، وجعل داخله مكاناً يقرأ فيه القرآن والسنة، ووقف خزانة كتب في المقصورة التي تليها التي انشأها والده، واضيف ذلك كله الى المسجد لما بنيت التربة الاشرفية، وبقى يقرأ فيه الحديث وفيه خزائن الكتب".

٥- مكتبات السلاطين والملوك:

اهتم بعض سلاطين بني ايوب لاسيما المتأخرين منهم باقتناء الكتب، وانشاء مكتبات خاصة بهم ومنها:-

المكتبة التي عنى بها السلطان الكامل محمد بن السلطان العادل سيف الدين في قلعة الجبل، وكانت في الاصل تؤلف مكتبة للقاضي الفاضل التي آلت الى ابنه القاضي الاشرف احمد، حيث امر السلطان الكامل في شهر جمادي الاولى عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م، بنقل خزائن الكتب جميعها من دار القاضي الاشرف الى قلعة الجبل، ثم في شهر جمادى الاخرة من نفس العام، قام بنقل خشب خزائن الكتب وحملها على تسع واربعون جملاً، اما الكتب حملها على ثلاث دفعات، على تسعة وخمسون جملاً [٧٦]، واصبحت هذه الكتب نواة مكتبة كبرى [٧٧].

وفي مدينة حماة شيد الملك المنصور محمد[٧٨] بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب (٥٨٧هـ - ٦١٧هـ/ ١١٩١م - ١٢٢٥م)، صاحب حماه، مكتبة "جمع فيها من كتب العلوم ما لا مزيد عليه واعتنى بها جداً"[٧٩]، وفيها بعض مصنفاته ، فقد صنف كتاب "مضمار الحقائق في التاريخ" وكان في عشرين مجلداً، كما وجمع تاريخاً على السنين في مجلدات عدة، وقد ذكر ان الملك المنصور كان يكثر في مطالعة هذه الكتب ومراجعتها ودعوة العلماء والبحث معهم، حتى كان في خدمته ما يناهز مائتين من الفقهاء والادباء والكتاب والمشتغلين بالحكمة والتنجيم[٨٠].

وكان للملك المعظم عيسى ابن السلطان العادل سيف الدين (٦١٥هـ – ٦٢٤هـ/ ١٢١٨م – ١٢٢٧م) صاحب دمشق، ولع في اقتناء الكتب، حيث اسس مكتبة كبيرة تضم كتباً نادرة[٨١]، فقد كان "عالماً فاضلاً متفنناً في الفقه والنحو وغيرها[٨٢].

وكانت له مصنفات في العروض[٨٣]، وشرح "الجامع الكبير" في مجلدات عدة بمعاونة غيره، وله ديوان شعر[٨٤]، وأمر ان يجمع له كتاب في اللغة يشمل "صحاح الجوهري" و"جمهرة اللغة"لابن دريد ابو بكر محمد بن الحسن(ت: ٣٢١هـ / ٩٣٣م)،وكتاب "تهذيب اللغة" للأزهري ابو منصور محمد بن احمد(ت: ٣٧٠هـ / ٩٨١م)، كما وأمر ان يرتب له. "مسند الامام احمد ابن حنبل" للامام احمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)[٨٥] ، كما كان الملك داود ابن الملك المعظم عيسى[٨٦] (٦٢٦ هـ – ٦٣٧هـ / ١٢٢٩م – ١٢٣٩م) صاحب الكرك[٨٧] ، معتنياً بتحصيل الكتب النفيسة[٨٨]، وقد انشأ مكتبة في داره وقد ضمت مجموعات من الكتب النادرة[٨٩].

ادارة وتنظيم المكتبات في العهد الايوبي:

كانت للمكتبات سواء تلك الملحقة بالمدارس والجوامع او المكتبات الخاصة عدد من الموظفين، ومهمتهم المحافظة على خزائن الكتب وصيانتها، وتقديم الخدمات لكل من يتردد على المكتبة من العلماء وطلاب العلم وعامة الناس من المحبين للعلم[٩٠]، وكان في مقدمتهم:

١- الخازن (خازن الكتب):

الذي يقوم بمهمة الاحتفاظ بالكتب وترميمها وتنظيمها، وبذلها للمحتاج اليها، وعليه ان يقدم في الاعارة الفقراء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتب على الاغنياء[٩١]، ولاهمية وظيفة الخازن، يتولى امور بعض المكتبات العامة في العصر الايوبي علماء يشترط فيهم سعة الاطلاع والمعرفة بشؤون الكتب[٩٢].

٢- النُساخ:

مهمتهم يقومون بالنسخ من المخطوط أو النسخ من الكتاب، والشرط الأساس لهذه المهنة هو جودة الخط وصحته، وقد الحقت بأغلب المكتبات غرفة اعدت لجلوس الناسخ ليقوم بعمله وقد زودت الغرفة بما يحتاج اليه من أقلام ومحابر وورق، وكان من أهم صفات

الناسخ، ان يتحلى بالامانة فيما ينقل وينسخ فعليه ان ينقل طبق الأصل[٩٣]، ولا يكتب الكتاب على عجلة او يحذف من الكتاب

أثناء الكتابة لسرعة انجازها، وان لا يُكتب الكتب التي لا تنفع الناس وليس لديهم بها حاجة[٩٤].

٣- المجلدون:

كانت المكتبة تحوي قسم للتجليد، فترسل الكتب اليها لتجليدها بعد الفراغ من نسخها للمحافظة على الكتاب، واستخدموا لذلك الجلود لحماية الكتاب من التلف[٩٥].

٤- المناولون:

ومهمتهم احضار الكتب للمترددين على المكتبة، او ارشاد القراء الى اماكن الكتب التي يحتاجونها[٩٦].

وهناك عمال آخرون يتولون مهمة التنظيف في المكتبة وصيانتها من أجل خدمة القراء وهم البوابون والخدم والفراشون[٩٧].

قدمت المكتبات في العصر الايوبي خدمات جليلة للراغبين بالعلم والمعرفة، فقد اطلقت حرية الإطلاع داخل هذه المكتبات، وكانت الاوراق والاقلام والحبر، التي كانت تشترى من ريع الوقف المحبوس عليها، تقدم احياناً بالمجان لمن يريد استنساخ شيءٍ من مقتنيات المكتبة، كما كانت استعارة الكتب متاحة للمترددين عليها، ولكن بشروط وضمانات لصيانة الكتب من الضياع[٩٨] ، وكثير من الاحيان يشترط الواقف الا يخرج الكتاب الا مقابل رهن يحرز قيمته[٩٩].

وقد أدى تقديم الخدمات للمترددين على المكتبات من الاعارة والمطالعة والاستنساخ وسهولة الوصول الى الكتب، الى استغناء اكثر العلماء وطلبة العلم في تلك الفترة عن شراء الكتب لارتفاع كلفتها[١٠٠].

وقد كانت هناك طرائق متعددة لاغناء المكتبات بالكتب والمخطوطات اهمها شراء الكتب ، حيث ازدهرت تجارة الكتب في العالم الاسلامي ازدهاراً واسعاً منذ معرفة الورق وانتشار استعماله، وظهور اسواق وحوانيت الوراقين والتي كانت تحوي على نفائس الكتب ونوادر المخطوطات وتبيع هذه الكتب كأية سلعة[١٠١].

فقد احتوت مدينة القاهرة على سوق للكتب، وكان موضعه تجاه الجانب الشرقي من جامع عمرو بن العاص، وكانت هناك سوق اخرى بالقاهرة، وكانت بالقرب من المدرسة الصالحية[١٠٢]، وقد أشار ابو شامة [١٠٣] الى سوق بيع الكتب في مدينة القاهرة وكان عريف هذا السوق الشريف محاسن ابن الصوري[١٠٤]، ويبدو ان هذا السوق كانت تعرض فيه نفائس الكتب.

حرص الايوبيون على ان يكون لسوق الكتب هذه محتسب[١٠٥] مهمته مراقبة ما يرد الى السوق من الكتب التي تتعارض مع التوجهات الفكرية للدولة الايوبية[١٠٦].

ويعد وقف الكتب مصدراً آخر لاغناء المكتبة بالكتب، فقد قام السلاطين والامراء والعلماء والاغنياء واهل الخير من المسلمين على وقف الكتب على مكتبة الوقف سواء كان الوقف مسجداً أو مدرسة، ابتغاء الثواب والأجر في الآخرة[١٠٧].

فقد وقف القاضي الفاضل (ت: ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م) ، مائة الف مجلد على المدرسة الفاضلية عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م[١٠٨]، كما أوقف السيد الحسيني خزانة كتبه على المدرسة الشيخية العمرية[١٠٩].

كما ان الشيخ أبو محمد عبد العزيز التاجر المعروف بابن الراقدة (ت: ٦١٠هـ/ ١٢١٤م)، الذي جدد المسجد بسوق بربر في مصر تجديداً حسناً، جعل كتبه وقفاً في المسجد[١١٠].

وتعد الهدايا والهبات من مصادر رفد المكتبة بالكتب من خلال إهداء العلماء والمؤلفين الكتب اليها[١١١] ، فالشيخ ابو الطيب السبتي اهدى كتبه الى مكتبة جامع قوص[١١٢]، وقد كان يتصدر التدريس في هذا الجامع[١١٣].

وكان للنساخ دور ايضاً في رفد المكتبات بما تحتاجه من الكتب ، فالناسخ احمد بن عبد الدائم زين الدين ابو العباس المقدسي الحنبلي المعمر (ت: ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م)، كتب بخطه الجيد والسريع ما لا يوصف، لنفسه وبالأجرة لغيره، حتى كان يكتب اذا تفرغ في اليوم الواحد تسع كراريس او أكثر، ويكتب الكراسين والثلاثة في يوم واحد مع اشتغاله، ولازم النسخ مدة خمسين سنة، وقد كتب الكثير من التصانيف[١١٤].

وبذلك تبين لنا ان الدولة الايوبية قد عرفت الانواع الكثيرة من المكتبات، وفتحتها لعامة المسلمين، ونظمتها، وحرصت على ان تقدم الخدمات المختلفة للمترددين عليها وذلك بهدف نشر الثقافة بينهم.

الخاتمة :

١-الكتاتيب والمكتبات من المؤسسات التعليمية التي لبت متطلبات المجتمع.

٢-كان الايوبيون سباقين في عمل الخير ، فالسلطان صلاح الدين الايوبي (٥٦٧هـ - ٥٨٩هـ/١١٧٢م-١١٩٣م) انشأ مكاتب للصبيان لتعليمهم لاسيما لأبناء الفقراء والايتام.

٣-لم تكن الكتاتيب جميعها تحت اشراف الدولة أو من انشائها، فقد كان بعضها مؤسسات خاصة باصحابها، يعلمون فيها الاطفال وليس للدولة دخل في انشائها او الاشراف عليها.

٤-اكثر المؤدبين في الكتاتيب من المقرئين، كما كان بينهم من الفقهاء والمحدثين والادباء وعلماء النحو وبعضهم امتهن هذه المهنة تطوعاً لوجه الله تعالى ، وآخرون امتهنها رغبة في الحصول على الأجر.

٥- عرفت الدولة الايوبية انواع من المكتبات سواء تلك الملحقة بالمدارس ودور الحديث والمساجد والمكتبات الخاصة التي شيدت من قبل أهل العلم من الفقهاء والعلماء فضلاً عن خزائن الكتب للملوك والمكتبات التي تُلحق بالمقابر التُرب.

٦- ان تقديم الخدمات للمترددين على المكتبات من الاعارة والمطالعة والاستنساخ وسهولة الوصول الى الكتب، كان دافعا" لاكثر العلماء وطلبة العلم الى الاستغناء في تلك الفترة عن شراء الكتب المرتفع كلفتها.

<u>الهوامش :</u>

(١) (مفردها كُتّاب أو إكتاب، مجمع الصبيان لتعليمهم الكتاب، كالتكتيب والاملاء). ينظر: الفراهيدي ، الخليل بن احمد (١٧٠ هـ / ٧٨٦ م)، العين ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية،ط١، (بيروت ،٢٠٠٣م) ،ج٤، ص٨ ؛ الفيروز ابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧ هـ /١٤١٤م)، القاموس المحيط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ، ١٩٧٨م) ، ص١٢٨.

(٢) رمضان، عبد المحسن طه ، تاريخ مصر الاسلامية وحضارتها في العصرين الايوبي والمملوكي، دار الفكر، ط١، (عمان، ٢٠١٠م)، ص١٣٥؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح، الايوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، (القاهرة، د.ت)، ص١٥٨؛ كاشف، سيدة اسماعيل وآخرون، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور – تاريخ مصر الاسلامية – ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (مصر، ١٩٩٣م)، ص٣٨٢.

(٣) الشيرزي، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، (د.م ، د.ت)، ص١٠٣ ؛ ابن بسام، محمد بن أحمد (ت: ق ٩هـ/ ١٥م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: محمد حسن اسماعيل، وأحمد فريد الزيدي، دار الكتب العلمية، ط١، (لبنان، ٢٠٠٣م)، ص٣٦٢.

(٤) احمد ، احمد عبد الرزاق الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ، دار الفكر العربي ، ط ١، (القاهرة ، ١٩٩١م) ، ص١٨.

(٥) ابي الحسن محمد ابن احمد الاندلسي ، (ت: ٦١٤هـ / ١٢١٧م)، رحلة ابن جبير المعروفة بـ- اعتبار الناسك في ذكر الاثار الكريمة والمناسك- ، ، قدم له ووضع حواشيه : ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، (بيروت ، ٢٠٠٣م) ، ص٢١٠- ٢١١.

(٦) الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٣؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص٣٦٢؛ الجعيدي، شلبي ابراهيم، دراسات في تاريخ الايوبيين والمماليك، مكتبة الاداب، ط١، (القاهرة، ٢٠١٠م)، ص١٤١.

(٧) رحلة ابن جبير، ص٤٣ ؛ كاشف، موسوعة تاريخ مصر، ص٣٨٢؛ العسلي ،كامل جميل ، مؤسسة الاوقاف والمدارس ، بيت المقدس ، منشورة ضمن ندوة مؤسسة الاوقاف في العالم العربي الاسلامي، معهد البحوث والدراسات العربية، (بغداد، ١٩٨٣م)، ص١٦٩.

(٨) رحلة ابن جبير، ص٤٣؛ كاشف، موسوعة تاريخ مصر، ص٣٨٢.

(٩) رحلة ابن جبير، ص٢١١.

(١٠) ابو شامة ، ابو محمد شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت : ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م) ، عيون الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق: احمد البيسومي ، وزارة الثقافة ،أحياء التراث العربي ، (دمشق ،١٩٩٢م)، ق٢، ص٣٢٩.

(١١) هو ابو الفتح الكاملي الامير فخر الدين عثمان بن قزل، ولد بحلب، كان من خيار امراء السلطان الكامل، وقف المدرسة الفخرية بالقاهرة والمسجد المقابل لها، كان معروفاً بالصدقات توفي في حران عام ٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م. ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله

(ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) ،الوافي بالوفيات ، تحقيق : احمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، دار احياء التراث العربي، ط١، (بيروت ، ٢٠٠٠ م) ، ج١٩، ص٣٣١.

(١٢) ابن العميد ، المكين جرجس (ت :٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م) ، اخبار الايوبيين ، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية ، المركز الاسلامي للطباعة ،(مصر، د.ت) ، ص١٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٩، ص٣٣١.

(١٣) البرزنجي، تريفة احمد عثمان ، اسهامات العلماء الأكراد في بناء الحضارة الاسلامية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (١٣-١٤م) ، دار الكتب العلمية ، ط١، (لبنان ، ٢٠١٠م) ،ص١٢٣؛ الجعيدي، دراسات في تاريخ الايوبيين، ص١٤٠.

(١٤) أحمد، الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، ص٢٠؛ شميساني، حسن، مدارس دمشق في العصر الايوبي ، دار الافاق الجديدة ، ط ١، (بيروت ، ١٩٨٣م)، ص٤٠.

(١٥) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١٠٣؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢١١؛ السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت: ٧٧١هـ/ ١٣٧٦م)، معيد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، (بيروت، ١٩٨٦م)، ص١٠١؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص٣٦٢.

(١٦) الاتروشي، شوكت عارف محمد ، الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الايوبي ، دار دجلة ، ط ١، (عمان، ٢٠٠٧م)، ص٣١٧؛ شميساني، مدارس دمشق، ص٤٥.

(١٧) السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، ص١٠١.

(١٨) ابن جماعة، بدر الدين محمد بن ابراهيم الكناني الشافعي (ت: ٧٣٣هـ/ ١٣٣٨م)، تذكرة السامع والمتكلم في ادب العالم والمتعلم، اعتنى به: محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر الاسلامية، ط٣ (بيروت، ٢٠١٢م)، ص٤٧-٨٢؛ احمد، الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، ص١٩؛ البرزنجي، اسهامات العلماء الاكراد، ص١٢٤.

(١٩) المنذري، زكي الدين ابو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت: ٦٥٦هـ/ ١٢٧١م)، التكملة لوفيات النقلة، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط٣، (بيروت، ١٩٨٤م)، مج١، ص٣٢٤؛ الاتروشي، الحياة الفكرية، ص٣١٨.

(٢٠) جبل يتصل بمصر، أوله من ديار مصر فيمر بالصحراء وينتهي قرب اسوان، ويعلو من مكان وينخفض في مكان. ينظر: الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٦ م)، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق : احسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط ٢ ، (بيروت ، ١٩٨٤م) ، ص٥٥٧.

(٢١) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، مج٣، ص٢٨؛ الاتروشي، الحياة الفكرية، ص٣١٨.

(٢٢) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، مج٣، ص٥١٥؛ الاتروشي، الحياة الفكرية، ص٣١٨.

(٢٣) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، مج٣، ص٥٣٢.

(٢٤) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، مج٣، ص٥٦٥.

(٢٥) الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص٢٢٦.

(٢٦) نبيل، دي ماكنزي، القاهرة الايوبية – دراسة طبوغرافية – ترجمة: عثمان مصطفى عثمان، المجلس الاعلى للثقافة، ط١، (القاهرة، ٢٠٠٧م)، ص١١٤.

(٢٧) هو ابو المنصور نزار ابن المعز لدين الله ابي تميم معد ابن المنصور بنصر الله ابن القائم بامر الله ، ولد في عام ٣٤٤هـ/٩٥٥م وتولى الخلافة بعد وفاة والده المعز لدين الله عام ٣٦٥هـ-٩٧٦م . ينظر:ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م)،وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ، (بيروت ،١٩٧٠م)،ج٥،ص٣٧١-٣٧٥ ؛المقريزي ، تقي الدين ابو العباس احمد بن علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥ هـ / ١٤٤٠ م) ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : محمد حلمي ، مطابع الاهرام التجارية ، (القاهرة ،١٩٧٣م)، ج١، ص٢٣٦.

(٢٨) المقريزي، المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بـ – الخطط المقريزية – ، تحقيق: محمد زينهم ومديحه الشرقاوي ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة ، ١٩٩٨ م)، ج٢، ص١٦٥.

(٢٩) النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت ٩٧٨هـ/١٥٧٠م)، الدارس في تاريخ المدارس، اعد فهارسه : ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٩٩٠م)، ج١، ص٤٦٧؛ عاشور، الايوبيين والماليك، ص١٥٧.

(٣٠) الاتروشي، الحياة الفكرية في مصر، ص٣٦٩.

(٣١) عليان، ربحي مصطفى، المكتبات في الحضارة الاسلامية، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط١، (عمان، ١٩٩٩م)، ص١١٤.

(٣٢) العريني، السيد الباز ، مصر في عصر الايوبين ، مطبعة الكيلاني الصغير ، (القاهرة ،١٩٦٠م) ، ص٢٢٨.

(٣٣) عليان، المكتبات، ص١١٤.

(٣٤) عليان، المكتبات، ص١١٥.

(٣٥) بدوي، احمد احمد، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، (القاهرة ، د. ت) ، ص٨٥.

(٣٦) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٠٨- ٢٠٩.

(٣٧) ابو شامة، عيون الروضتين، ق٢، ص١٥٧؛ النعيمي، الدارس، ج١، ص٢٥١.

(٣٨) النشار، السيد السيد، تاريخ المكتبات في مصر العصر المملوكي، تقديم: محمد فتحي عبد الهادي، وجوزيف نسيم، الدار المصرية اللبنانية، ط١، (القاهرة، ١٩٩٣م)، ص٧١- ٧٢.

(٣٩) ابو شامة، عيون الروضتين، ج٢، ص٣٢٩؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج٢، ص١٦٥؛ الاتروشي، الحياة الفكرية، ص٣٧٠؛ حسن، سعيد احمد، انواع المكتبات في العالمين العربي والاسلامي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط١، (عمان، ١٩٨٤م)، ص٧٠.

(٤٠) الاتروشي، الحياة الفكرية، ص٣٧٠.

(٤١) هو صفي الدين ابو محمد عبد الله بن علي الحسيني بن عبد الخالق الدينوري المالكي، ولد عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، ويسمع الحديث وتفقه، تولى الوزارة للملك العادل ثم الوزارة للسلطان الكامل، توفي عام ٦٢٢هـ/ ١٢٢٧م، ينظر: ابو شامة، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، المعروف بالذيل على الروضتين ، صححه: محمد زاهد بن الحسن ،عني بنشره :عزت العطار الحسني ، دار الجبل ، ط ٢، (بيروت ، ١٩٧٤م) ،ص١٤٧؛ الذهبي، الحافظ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) العبر في خبر من غبر، ، تحقيق : ابو هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية ،ط١، (بيروت ، ١٩٨٥م) ، ج٣، ص١٨٧.

(٤٢) المقريزي، الخطط المقريزية، ج٣، ص٤٥٨؛ بدوي، الحياة العقلية، ص٤٥؛ شميساني، مدارس دمشق، ص٤٨.

(٤٣) هو محمد بن أحمد بن قدامة بن مقدام الحنبلي اخو العلامة موفق الدين، ولد عام ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م، وهاجر الى دمشق لاستيلاء الفرنجة على الارض المقدسة، كتب الكثير بخطه وحفظ القرآن والفقه والحديث، اجتهد في تعليم العلم والخدمة والتواضع، خطب بجامع الجبل الى وفاته عام ٦٠٧هـ/ ١٢١١م، ينظر: الذهبي، العبر، ج٣، ص١٤٧.

(٤٤) (قرية في سفح قاسيون شمال مدينة دمشق، كانت تعرف بقرية الجبل انشأها بنو قدامة اواخر ق٥ الهجري / ق١١ الميلادي، بعد نزوحهم من بيت المقدس في عهد الملك نور الدين محمود زنكي من جور الصليبيين، وقيل سميت بالصالحية لانها بجبل الصالحين، وقيل لان بنو قدامة اقاموا قبل الصالحية في مسجد ابي صالح فنسبت القرية الى المسجد). ينظر: ابن طولون، محمد بن طولون الصالحي (ت:٩٥٣هـ / ١٥٥٨م) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، القسم الاول، تحقيق : محمد احمد دهمان ، ط ٢، (دمشق ، ١٩٨٠م) ، ق١، ص٤٢- ٤٣؛ الشهابي،قتيبة، معجم دمشق التاريخي ، منشورات وزارة الثقافة ، (دمشق ، ١٩٩٩م) ، ج٢، ص٦٩.

(٤٥) النعيمي، الدارس، ج٢، ص٧٧ – ٧٨.

(٤٦) ابن طولون، القلائد الجوهرية، ق١، ص٢٧٣- ٢٧٤.

(٤٧) عن المدرسة الرواحية ينظر:ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم (ت: ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م)،الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، تاريخ مدينة حلب – ، تحقيق : يحيى زكريا عبادة ، منشورات وزارة الثقافة ، ط ١، (دمشق ، ١٩٩١م) ج١، ق١، ص٢٥٥.

(٤٨) الذهبي، العِبر، ج٣، ص١٨٩؛ التكريتي، محمود ياسين احمد، الايوبيون في شمال الشام والجزيرة (٥٦٤هـ – ٦٤٨هـ)، دار الرشيد للنشر، (بغداد، ١٩٨١م)، ص٤١٢.

(٤٩) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص١٤٩؛ النعيمي، الدارس، ج١، ص٢٠٠.

(٥٠) هو ابو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن احمد المقدسي الحنبلي الحافظ، أحد الاعلام، ولد عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م، حفظ القرآن وتفقه، رحل الى مصر ثم الى دمشق ثم اصبهان ونيسابور ومرو، وقدم دمشق بعد خمسة اعوام بعلم كثير واكب على التصنيف والنسخ انتفع الناس بتصانيفه والمحدثون بكتبه، توفي عام ٦٤٣هـ/ ١٢٤٨م. ينظر: الذهبي، العِبر، ج٣، ص٢٤٨؛ ابن طولون، القلائد الجوهرية، ص١٣٢.

(٥١) ابن طولون، القلائد الجوهرية،ق١، ص١٣١.

(٥٢) الصفدي، تحفة ذوي الالباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب ، تحقيق : احسان غست سعيد وزهير حميدان ،احياء التراث العربي ، (دمشق ،١٩٩٢م).، ق ٢، ص١٢٧؛ النعيمي، الدارس، ج٢، ص٢٢٥.

(٥٣) شميساني، مدارس دمشق، ص٤٧– ٤٨.

(٥٤) هو شيخ الاطباء في زمانه في مدينة دمشق عرف بالدخوار، ولد عام ٥٦٥هـ/ ١١٧٥م بدمشق، توفي في صفر عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٣م، ينظر: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص١٥٩.

(٥٥) (بسكون الميم وكسر الكاف، والجمع منها الجوامك والجامكيات، هي الرواتب الدائمة سواء أكانت لشهر او لأكثر)، ينظر: عمارة، محمد، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية ، دار الشروق ، ط ١، (بيروت ، ١٩٩٣م) ، ص١٤١.

(٥٦) ابن ابي اصيبعة، موفق الدين ابي العباس، أحمد بن القاسم (ت: ٦٦٨هـ/ ١٢٧٣م)، عيون الانباء في طبقات الاطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت)، ص٧٢٨؛ الذهبي، العبر، ج٣، ص٢٠١؛ النعيمي، الدارس، ج٢، ص١٠٠– ١٠٤.

(٥٧) الاتروشي، الحياة الفكرية في مصر، ص٣٧٣.

(٥٨) وهو الحارث بن مهلب بن حسن المهلبي، كان والده نحوياً اديباً فقيهاً، كان قد وزر للملك الاشرف موسى، اقام في دمشق الى ان توفي بها ودفن في التربة التي وقفها عليه اخوه بجبل قاسيون. ينظر: المنذري، التكملة لوفيات النقلة، مج٤، ص٢٨٢؛ ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص١٦٠.

(٥٩) ابن كثير، عماد الدين ابوالفداء الحافظ اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن ، مركز البحوث والدراسات العربية الاسلامية ، ط ١ ، (د.م ، ١٩٩٨م) ، ج١٧، ص١٨٩؛ النعيمي، الدارس، ج١، ص١٦٢؛ ج٢، ص١٨٣؛ ابن طولون، القلائد الجوهرية،ق١، ص٣١١.

(٦٠) الصفدي، تحفة ذوي الالباب ق ٢، ص١٢٧؛ النعيمي، الدارس، ج٢، ص٢٢٥.

(٦١) هو الحافظ ابو طاهر احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم سِلفه الاصبهاني الملقب صدر الدين، أحد الحفاظ المكثرين رحل في طلب الحديث، كان شافعي المذهب وقد كتب الكثير. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص١٠٥؛ الاسنوي، جمال الدين عبد الرحيم (ت: ٧٧٢هـ/ ١٣٧٧م)، طبقات الشافعية، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط١، (لبنان، ١٩٨٧م)، ج١، ص٣٣٩.

(٦٢) السلفي، ابي طاهر أحمد بن محمد (ت: ٥٧٦هـ/ ١١٨١م)، معجم السفر، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر للطباعة والنشر، (لبنان، ١٩٩٣م)، ص٧.

(٦٣) هو العلامة ابو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن محمد الاصفهاني ولد عام ٥١٩هـ/ ١١٢٤م، في اصفهان، درس في المدرسة النظامية في بغداد، ولاه الوزير ابن هبيرة نظر البصرة ثم الواسط وبعد وفاة الوزير فقد مكانته واودع السجن ثم اطلق سراحه فانتقل الى دمشق وتولى ديوان الانشاء عهد الملك نور الدين محمود زنكي ، توفي عام ٥٩٧هـ/ ١١٠٣م، ودفن في مقابر الصوفية . ينظر: الاصفهاني ، عماد الدين ابو عبد الله محمد بن محمد بن حامد (ت:٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)، حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس ، المسمى – الفتح القسي في الفتح القُدسي – ، مكتبة دار المنار، ط١ ،(د. م ،٢٠٠٤م)، ص٥ ؛ الذهبي، العبر، ج٣، ص١٢٠.

(٦٤) ابو شامة، عيون الروضتين، ج٢، ص٢٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٦، ص٧١١.

(٦٥) ابو شامة، عيون الروضتين، ج١، ص٢٦٨.

(٦٦) ابن عماد الحنبلي، شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن احمد الدمشقي (ت: ١٠٨٩هـ/ ١٦٩٥م) ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق : محمود الارناؤوط ، دار بن كثير ، ط ١ ، (دمشق ، ١٩٩١م) ، ج٦، ص٥٤١.

(٦٧) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص٦٥٥.

(٦٨) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص٩٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص٥٤، ١٥٧.

(٦٩) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، مج٤، ص٢٦٧.

(٧٠) هو سادس ملوك الايوبيين في دمشق، وخامس الملوك الايوبيين في بعلبك، وهو الصالح اسماعيل الاول عماد الدين ابن السلطان العادل سيف الدين، وفي عام ٦٢٧هـ/١٢٣٠م استخلف اخاه الملك الاشرف موسى على دمشق ، قتل في مصر عام ٦٤٨هـ/ ٢٥٠م. ينظر: ابو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص ١٥٨؛ الشهابي، قتيبة، معجم القاب ارباب السلطان في الدول الاسلامية من العصر الراشدي حتى بدايات القرن العشرين ، وزارة الثقافة ، (دمشق ، ١٩٩٥م)، ص١٣٠.

(٧١) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص٧٢٣- ٧٢٥.

(٧٢) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، مج٤، ص٤٩٤.

(٧٣) علي بن موسى (ت: ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، المغرب في حلى المغرب، القسم الخاص بالقاهرة – النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب، (د.م، ١٩٧٠م)، ص٢٤١.

(٧٤) الذيل على الروضتين، ص١٥٩.

(٧٥) (كلمة فارسية، عربيتها حُلفق او جلفق، وهو ما يثبت من حديد او خشب او غير ذلك في جانب السلم او السطح ليقي من السقوط)، ينظر: رضا،احمد، معجم متن اللغة – موسوعة لغوية حديثة – دار مكتبة الحياة (بيروت ، ١٩٥٨م)، مج٢، ص٣٩٤.

(٧٦) يذكر المقريزي في يوم الثاني عشر من شهر رجب من عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م، حملت الكتب والخزائن من القلعة الى دار القاضي الاشرف، وقيل ان عددها كان احد عشرة الف وثمانمائة وثمانية كتابا" ، ومن جملة الكتب المأخوذة كتاب "الايك والغصون" لأبي العلاء المعري، وتقع في ستين مجلدا". السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه ووضع حواشيه : محمد مصطفى زيادة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ط ٢، (مصر ، ١٩٥٦ م) ، ج١، ق١ ، ص٢٣٣.

(٧٧) المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٢٣٢؛ حمودة، عبد الوهاب، صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي، الدار المصرية للتأليف، (القاهرة، ١٩٦٥م)، ص٤٤؛شميساني، مدارس دمشق، ص٤٨.

(٧٨) هو ناصر الدين محمد بن الملك عمر بن شاهنشاه بن ايوب ، كان عالماً فاضلاً يحب العلماء والفضلاء واهل الادب والشعر، تولى حكم مدينة حماه، وكان له اعمال خير كثيرة مثل بناء جسر وسور وخندق، تولى الحكم من بعده ولده المظفر ابن المنصور، توفي عام ٦١٧هـ/ ١٢٢٢م. ينظر: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص١٢٤؛ ابن كثير، الدباية والنهاية، ج١٧، ص١٠١.

(٧٩) ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت: ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م) ، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، تحقيق: جمال الدين الشيال ،دار القلم للطباعة (القاهرة ، ١٩٦٠م)،ج٤، ص٨٠ .

(٨٠) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٤، ص٧٧- ٨٠؛ الكتبي، محمد بن شاكر (ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٧٠م)، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، (بيروت، د.ت)، مج٤، ص١٢؛ التكريتي، محمود ياسين احمد ،الايوبيين في شمال الشام والجزيرة(٥٦٤هـ-٦٤٨هـ)، دار الرشيد للنشر ، (بغداد، ١٩٨١م) ، ص٤١٤.

(٨١) التكريتي، الايوبيون في شمال الشام والجزيرة، ص٤١٤.

(٨٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٤، ص٢١٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص١٦٨.

(٨٣) عروض الشعر لان الشعر يعرض عليه ، وهو علم وزن الشعر . الفراهيدي ،العين ،ص١٣٤؛ رضا ، معجم متن اللغة ،مج٤،ص٧٤.

(٨٤) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٤٩٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٣، ص١٦٥.

(٨٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص١٦٨.

(٨٦) هو الملك داود ابن المعظم عيسى ابن السلطان العادل سيف الدين اخو السلطان صلاح الدين الايوبي، ملك دمشق بعد ابيه مدة ثم اخذها عمه السلطان الكامل محمد منه وعوض عنها الكرك والصلت وعجلون ونابلس توفي عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٨٤.

(٨٧) (بفتح اوله وثانيه، اسم لقلعة حصينة في طرف الشام بين ايلة وبحر القلزم –البحر الاحمر – وبيت المقدس وهي على سفح جبل عال تحيط بها اودية، وقيل قرية قرب بعلبك). ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله البغدادي(ت: ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) ،معجم البلدان، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٧٧م) ، مج٣، ص٤٥٣.

(٨٨) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص٣٠٨؛ الكتبي، فوات الوفيات، مج١، ص٤٢٦.

(٨٩) شميساني، مدارس دمشق، ص٤٨.

(٩٠) شميساني، مدارس دمشق، ص٤٨- ٤٩؛ غنيم، اسمت، الدولة الايوبية والصليبون ، دار المعرفة الجامعية ،(الاسكندرية ، ١٩٩٠م) ، ص١٣٩؛ النشار، تاريخ المكتبات في مصر العصر المملوكي ، تقديم : محمد فتحي عبد الهادي ، وجوزيف نسيم ، الدار المصرية اللبنانية ، ط ١، (القاهرة ، ١٩٩٣م)، ص١٧١.

(٩١) السبكي، معيد النعم، ص٨٧- ٨٨؛ احمد، الحضارة الاسلامية، ص٣٠.

(٩٢) حمودة،عبد الوهاب، صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي ، الدار المصرية للتأليف ، (القاهرة ، ١٩٦٥م) ، ص٤٤؛ فرغلي، الحركة التاريخية، ص٦٨.

(٩٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤١٣م)، تاريخ ابن خلدون ، المسمى– ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر– ، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، ط٢، (بيروت، ١٩٨٨م)، مج١، ص٥٢٤؛ عليان، المكتبات، ص١٧٠، ١٧٢.

(٩٤) السبكي، معيد النعم، ص١٠١– ١٠٢.

(٩٥) الاتروشي، الحياة الفكرية، ص٣٧٣؛ عليان، المكتبات، ص١٧٢.

(٩٦) عبد الدايم، عبدالله ، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى اوائل القرن العشرين، دار العلم للملايين، (لبنان، د.ت)، ص١٦٠.

(٩٧) عليان، المكتبات، ص١٦٤؛ الخالدي، رغيد كمر مجيد، الاحباس في مصر من القرن الخامس الهجري وحتى القرن الثامن الهجري – دراسة تاريخية–، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية،(الجامعة المستنصرية، ٢٠١١م)، ص٢٢١؛ الدوسكي، عبير عنايت سعيد، الخدمات العامة لدولة المماليك البحرية في مصر (٦٤٨هـ– ٧٨٤هـ)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ، ابن رشد، (جامعة بغداد، ٢٠١٠م)، ص٢٨٠.

(٩٨) حمودة، صفحات في تاريخ مصر، ص١٠٢؛ فرغلي، الحركة التاريخية، ص٦٩.

(٩٩) السبكي، معيد النعم، ص٨٨؛ عليان، المكتبات، ص١٦٧.

(١٠٠) عليان، المكتبات، ص١٦٧.

(١٠١) البرزنجي، اسهامات العلماء الاكراد، ص١٧٩؛ عليان ، المكتبات، ص١٦٨؛ مصطفى، شاكر، المدن في الاسلام حتى العصر العثماني، دار السلاسل، ط١، (د.م ، ١٩٨٨م)، ج٢، ص٧١٤؛ الخالدي، رغيد كمر مجيد، الوقف والخدمات العامة في العراق في العصر العباسي، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب، (جامعة بغداد، ٢٠٠٤م)، ص١٤٤.

(١٠٢) بدوي، الحياة العقلية، ص٨٥– ٨٦.

(١٠٣) الذيل على الروضتين، ص٢٣٤.

(١٠٤) هو دلال الكتب في القاهرة، ولد عام (٥٥١هـ/ ١١٥٦م)، تولى بيع الكتب التي كانت في مكتبة القصر الفاطمي بأمر من السلطان صلاح الدين الايوبي، توفي عام ٦٦٣هـ/ ١٢٦٧م، وقد عمر مائة واثنا عشرة سنة. ينظر: ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص٢٣٤؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ص١٣٩– ١٤٠.

(١٠٥) هو متولي وظيفة الحسبة، له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتقع على عاتقه مهمة النظر والتنظيم والتنفيذ والمراقبة وكشف غمة المسلمين وله نواب واعوان. ينظر: الماوردي،ابو الحسن علي بن محمد بن محمد البصري (ت: ٤٥٠هـ/ ١٠٥٥م)، الاحكام السلطانية والولايات

الدينية، دار الحديث، (القاهرة، د.ت)، ص٣٤٩؛ السبكي، معيد النعم، ص٥٦؛ عمارة، قاموس المصطلحات، ص٥١٧.

(١٠٦) الاتروشي، الحياة الفكرية، ص٣٧٦.

(١٠٧) عليان، المكتبات، ص١٧٠.

(١٠٨) ابو شامة،عيون الروضتين، ج٢، ص٣٢٩؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج٢، ص١٦٥؛ حسن، انواع المكتبات، ص٧٠.

(١٠٩) ابن طولون، القلائد الجوهرية، ص٢٧٣- ٢٧٤.

(١١٠) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، مج٢، ص٢٨٠.

(١١١) عليان، المكتبات، ص١٦٨.

(١١٢) (مدينة كبيرة من مدن الصعيد بمصر بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً، وهي محط التجار القادمين من اليمن). ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٤١٣.

(١١٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧، ص٦.

(١١٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧، ص٢٢- ٢٣.

المصادر

- الاسنوي، جمال الدين عبد الرحيم (ت: ٧٧٢هـ/ ١٣٧٧م)

طبقات الشافعية، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط١، (لبنان، ١٩٨٧م)

- الاصفهاني ، عماد الدين ابو عبد الله محمد بن محمد بن حامد (ت:٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)، حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس ، المسمى – الفتح القسي في الفتح القُدسي – ، مكتبة دار المنار، ط١ ،(د. م ،٢٠٠٤م).

- ابن ابي اصيبعة، موفق الدين ابي العباس، أحمد بن القاسم (ت: ٦٦٨هـ/ ١٢٧٣م)

عيون الانباء في طبقات الاطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت)

- ابن بسام، محمد بن أحمد (ت: ق ٩هـ/ ١٥م)

نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: محمد حسن اسماعيل، وأحمد فريد الزيدي، دار الكتب العلمية، ط١، (لبنان، ٢٠٠٣م)

- ابن جبير ، ابي الحسن محمد ابن احمد الاندلسي ، (ت: ٦١٤هـ / ١٢١٧م)

رحلة ابن جبير المعروفة بـ- اعتبار الناسك في ذكر الاثار الكريمة والمناسك- ، ، قدم له ووضع حواشيه : ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، (بيروت ، ٢٠٠٣م)

- ابن جماعة، بدر الدين محمد بن ابراهيم الكناني الشافعي (ت: ٧٣٣هـ/ ١٣٣٨م)

تذكرة السامع والمتكلم في ادب العالم والمتعلم، اعتنى به: محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر الاسلامية، ط٣ (بيروت، ٢٠١٢م)

- الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٦ م)

الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق : احسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط ٢ ، (بيروت ، ١٩٨٤م)

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤١٣م)

تاريخ ابن خلدون ، المسمى- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر- ، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، ط٢، (بيروت، ١٩٨٨م).

- ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م)

وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ، (بيروت ،١٩٧٠م).

- الذهبي ، الحافظ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)

العبر في خبر من غبر، ، تحقيق : ابو هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية ،ط١، (بيروت ، ١٩٨٥م)

- السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب (ت: ٧٧١هـ/ ١٣٧٦م)

معيد النعم ومبيد النقم ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط ١، (بيروت، ١٩٨٦م)

- السلفي، ابي طاهر أحمد بن محمد (ت: ٥٧٦هـ/ ١١٨١م)

معجم السفر، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر للطباعة والنشر، (لبنان، ١٩٩٣م)،

- ابو شامة ، ابو محمد شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت : ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م)

– تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، المعروف بالذيل على الروضتين ، صححه: محمد زاهد بن الحسن ،عني بنشره :عزت العطار الحسني ، دار الجبل ، ط ٢، (بيروت ، ١٩٧٤م).

– عيون الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق: احمد البيسومي ، وزارة الثقافة ،أحياء التراث العربي ، ق١ (دمشق ، ١٩٩١م) ، ق٢(دمشق ،١٩٩٢م).

- ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم (ت: ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م)

الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، تاريخ مدينة حلب – ، تحقيق : يحيى زكريا عبادة ، منشورات وزارة الثقافة ، ط ١، (دمشق ، ١٩٩١م)

- الشيزري ، ابوالنجيب جلال الدين عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر (ت:٥٩٠هـ/١١٩٤م)

نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، (د.م ، د.ت).

- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)

– تحفة ذوي الالباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب ، تحقيق : احسان غست سعيد وزهير حميدان ،احياء التراث العربي ، (دمشق ،١٩٩٢م)

– الوافي بالوفيات ، تحقيق : احمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، دار احياء التراث العربي، ط١، (بيروت ، ٢٠٠٠ م)

- ابن طولون، محمد بن طولون الصالحي (ت:٩٥٣هـ / ١٥٥٨م)

القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، القسم الاول، تحقيق : محمد احمد دهمان ، ط ٢، (دمشق ، ١٩٨٠م)

- علي بن موسى (ت: ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)

المغرب في حلى المغرب، القسم الخاص بالقاهرة – النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب، (د.م، ١٩٧٠م) .

- ابن عماد الحنبلي ، شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن احمد (ت: ١٠٨٩هـ/ ١٦٩٥م)

شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق : محمود الارناؤوط ، دار بن كثير ، ط ١ ، (دمشق ، ١٩٩١م)

- ابن العميد ، المكين جرجس (ت :٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م)

اخبار الايوبيين ، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية ، المركز الاسلامي للطباعة ،(مصر، د.ت)

- الفراهيدي ، الخليل بن احمد (١٧٠ هـ / ٧٨٦ م)

العين ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية،ط١، (بيروت ،٢٠٠٣م)

- الفيروز ابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧ هـ /١٤١٤م)

القاموس المحيط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ، ١٩٧٨م)

- المقريزي ، تقي الدين ابو العباس احمد بن علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)

– اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : محمد حلمي ، مطابع الاهرام التجارية ، (القاهرة ،١٩٧٣م).

– السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه ووضع حواشيه : محمد مصطفى زيادة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ط ٢، (مصر ، ١٩٥٦ م)

- المواعظ والأعتبار في ذكر الخطط والاثار المعروف بـ - الخطط المقريزية - ، تحقيق: محمد زينهم ومديحه الشرقاوي ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة ، ١٩٩٨ م).

- الكتبي، محمد بن شاكر (ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٧٠م)

فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، (بيروت، د.ت).

- ابن كثير، عماد الدين ابوالفداء الحافظ اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)

البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن ، مركز البحوث والدراسات العربية الاسلامية ، ط ١ ، (د.م ، ١٩٩٨م)

- الماوردي،ابو الحسن علي بن محمد بن محمد البصري (ت: ٤٥٠هـ/ ١٠٥٥م)،

الاحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الحديث، (القاهرة، د.ت)

- المنذري ، زكي الدين ابو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت:٦٥٦هـ/١٢٧١م)

التكملة لوفيات النقلة، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣، (بيروت ، ١٩٨٤م).

- ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)

لسان العرب ، مطبعة بولاق ، (القاهرة ، د.ت)

- النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت ٩٧٨هـ/١٥٧٠م)

الدارس في تاريخ المدارس، اعد فهارسه : ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، جزءان، ط١، (بيروت، ١٩٩٠م).

- ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت: ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م)

مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، تحقيق: حسنين محمد ربيع وسعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب ،(القاهرة ،١٩٧٥م).

- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله البغدادي (ت: ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)

معجم البلدان ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٧٧م)

المراجع

- الاتروشي، شوكت عارف محمد

الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الايوبي ، دار دجلة ، ط ١، (عمان، ٢٠٠٧م)

- احمد ، احمد عبد الرزاق

الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ، دار الفكر العربي ، ط ١، (القاهرة ، ١٩٩١م)

- بدوي، احمد احمد

الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، (القاهرة ، د. ت)

- البرزنجي، تريفة احمد عثمان

اسهامات العلماء الأكراد في بناء الحضارة الاسلامية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (١٣-١٤م) ، دار الكتب العلمية ، ط١، (لبنان ، ٢٠١٠م)

- التكريتي ، محمود ياسين احمد

الايوبيون في شمال الشام والجزيرة (٥٦٤هـ-٦٤٨هـ)، دار الرشيد للنشر ، (بغداد، ١٩٨١م)

- الجعيدي ، شلبي ابراهيم

دراسات في تاريخ الايوبين والمماليك ، مكتبة الاداب ، ط ١، (القاهرة ، ٢٠١٠م)

- حسن، سعيد احمد

انواع المكتبات في العالمين العربي والاسلامي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط١، (عمان، ١٩٨٤م).

- حمودة، عبد الوهاب

صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي، الدار المصرية للتأليف، (القاهرة، ١٩٦٥م)،

- عبد الدايم، عبدالله

التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى اوائل القرن العشرين، دار العلم للملايين، (لبنان، د.ت)

- دي ماكنزي، نبيل

القاهرة الايوبية – دراسة طبوغرافية – ترجمة: عثمان مصطفى عثمان، المجلس الاعلى للثقافة، ط١، (القاهرة، ٢٠٠٧م).

- رضا،احمد

معجم متن اللغة – موسوعة لغوية حديثة – دار مكتبة الحياة (بيروت ، ١٩٥٨م)،

- رمضان، عبد المحسن طه

تاريخ مصر الاسلامية وحضارتها في العصرين الايوبي والمملوكي، دار الفكر، ط١، (عمان، ٢٠١٠م).

- شميساني، حسن

مدارس دمشق في العصر الايوبي ، دار الافاق الجديدة ، ط ١، (بيروت ، ١٩٨٣م)

- الشهابي،قتيبة

- معجم القاب ارباب السلطان في الدول الاسلامية من العصر الراشدي حتى بدايات القرن العشرين ، وزارة الثقافة ، (دمشق ، ١٩٩٥م).
- معجم دمشق التاريخي ، منشورات وزارة الثقافة ، (دمشق ، ١٩٩٩م).

- عاشور، سعيد عبد الفتاح

الايوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، (القاهرة، د.ت).

- العريني، السيد الباز

مصر في عصر الايوبين ، مطبعة الكيلاني الصغير ، (القاهرة ،١٩٦٠م)

- عليان، ربحي مصطفى

المكتبات في الحضارة الاسلامية، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط١، (عمان، ١٩٩٩م)،

- عمارة ، محمد

قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية ، دار الشروق ، ط ١، (بيروت ، ١٩٩٣م).

- غنيم، اسمت

الدولة الايوبية والصليبون ، دار المعرفة الجامعية ،(الاسكندرية ، ١٩٩٠م)

- كاشف، سيدة اسماعيل وآخرون

موسوعة تاريخ مصر عبر العصور – تاريخ مصر الاسلامية – ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (مصر، ١٩٩٣م) .

- مصطفى، شاكر

المدن في الاسلام حتى العصر العثماني، دار السلاسل، ط١، (د.م ، ١٩٨٨م)، .

- النشار، السيد السيد

تاريخ المكتبات في مصر العصر المملوكي، تقديم: محمد فتحي عبد الهادي، وجوزيف نسيم، الدار المصرية اللبنانية، ط١، (القاهرة، ١٩٩٣م).

الندوات

- عاشور ، سعيد عبد الفتاح، المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، منشورة ضمن المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام في الجامعة الاردنية ،الدار المتحدة للنشر ، ط١ ،(بيروت ،١٩٧٤م).
- العسلي ،كامل جميل ، مؤسسة الاوقاف والمدارس ، بيت المقدس ، منشورة ضمن ندوة مؤسسة الاوقاف في العالم العربي الاسلامي، معهد البحوث والدراسات العربية، (بغداد، ١٩٨٣م).

الاطاريح

- الخالدي، رغيد كمر مجيد

– الاحباس في مصر من القرن الخامس الهجري وحتى القرن الثامن الهجري – دراسة تاريخية–، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية،(الجامعة المستنصرية، ٢٠١١م).

– الوقف والخدمات العامة في العراق في العصر العباسي، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب، (جامعة بغداد، ٢٠٠٤م).

- الدوسكي، عبير عنايت سعيد

الخدمات العامة لدولة المماليك البحرية في مصر (٦٤٨هـ– ٧٨٤هـ)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ، ابن رشد، (جامعة بغداد، ٢٠١٠م).

العيني ومنهجيته في النقل من المصادر في كتابه" عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان" عن عصر سلاطين الايوبيين

(٥٦٥-٦٢٨هـ/ ١١٦٩ - ١٢٣٠م)

الباحث: فياض احمد زعيان

أ.د.مثنى فليفل سلمان الفضلي

العيني ومنهجيته في النقل من المصادر في كتابه" عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان" عن عصر سلاطين الايوبيين (٥٦٥- ٦٢٨هـ/ ١١٦٩ - ١٢٣٠م)

الباحث: فياض احمد زعيان

أ.د.مثنى فليفل سلمان الفضلي

الملخص:

تهدف هذه الدراسة الى الكشف عن حياة العيني ومنهجيته في النقل من المصادر في كتابه"عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان" عن العصر الايوبي للفترة(٥٦٥- ٦٢٨هـ/ ١١٦٩ - ١٢٣٠م) وقسمت الدراسة الى سبعة محاور، تناولت فيها السيرة الذاتية للعيني من حيث اسمه ونسبه وكنيته والقابه وولادته ونشأته، ومنهجيته واساليبه في النقل من الموارد في كتابه"عقد الجمان" والذي احتوى على الالفاظ والصيغ المستخدمة في النقل والتي تعددت وتنوعت واجاد في ذكرها سواء كانت نقول من مصدر ام من غير مصدر وتطرقت الى كيفية نقله للنص (حرفيا ام بتصرف)، وتناولت موقفه من الرواية من حيث اضافاته وردوده ودحضه للرواية، وتتبعه لأوهام المؤرخين، كما شملت هذه الدراسة على خاتمة تضمنت اهم النتائج التي توصلنا اليها، وقائمة بالمصادر والهوامش.

Abstract:

The study aims at investigating the life of Al-A'yeni and his methodology in citation in the sources of his book Uqd Al-Joman fi tareekh Ahl Azzaman about the Ayybid era for the period from (565-628 AH/1169-1230 AC). The nature of study requires the division into four pivots: the biography of Al-A'yeni in terms of name, nickname, pedigree, surnames, and foundations, his methodology in his Uqd Al-Joman fi tareekh Ahl Azzaman which includes the utterances, and the formula in the transmission which were varied whether with or without a source. This paper tackled the manner of transmission about the narrations in terms of addition and refutation of the sources, followed by the illusions of historians. The study also includes a conclusion the most important findings and a list of references.

المقدمة

الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان، الذي سدد فأرشد إلى الإيمان والإسلام، والصلاة والسلام التامان الأكملان على سيدنا ونبينا ومولانا محمد الآتي بالهدى والإيمان، والآيات الواضحات البيان، الناسخ بدينه القويم كل الأديان، والرضى عن آله الأبرار وعن التابعين لهم بإحسان.

مما لاشك فيه ان بعض الدراسات العلمية ولأجل ان تصل الى درجة من التكامل نرى انه للمتعرض لها ان يتعرف بشكل جلي على موارد واساليب ومنهجية تلك الدراسة، فكان ذلك مع احد كبار التأليف للتأريخ الاسلامي في العصر المملوكي الا وهو مؤرخنا "محمود بن احمد بن موسى بن احمد بن حسين بن يوسف بن محمود المعروف والمشهور بلقب العيني"، الذي برز في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، اذ اكتسب مكانة مرموقة في الاسلام والبناء لمنظومة الفكر التأريخي العربي الاسلامي وفي مجالات شتى من العلوم، وقد تجلى ذلك واضحا من خلال مصنفاته المتنوعة والذي حملت طابع ذلك العصر الذي عاش فيه وهو الميل الى التأليف الجامع لموضوعات مختلفة، وكان من اضخم مؤلفاته كتاب"عقد الجمان" وهو موضوع دراستنا.

واقتضت طبيعة الدراسة ان تقسم الى خمسة محاور: تناولت فيها السيرة الذاتية للعيني من حيث اسمه ونسبه وكنيته والقابه وولادته ونشأته، ومنهجيتة واسلوبه في النقل من الموارد في كتابه "عقد الجمان" والذي احتوى على الالفاظ والصيغ المستخدمة في النقل والتي تعددت وتنوعت واجاد في ذكرها سواء كانت نقول من مصدر ام من غير مصدر، وتطرقت الى كيفية نقله للنص(حرفيا ام بتصرف) فضلا عن ذلك تناولت موقفه من الرواية من حيث اضافاته وردوده ودحضه للرواية، وتتبعه لأوهام المؤرخين، كما شملت هذه الدراسة على خاتمة تضمنت اهم النتائج التي توصلنا اليها،وقائمة بالمصادر والهوامش.

اولا:- سيرته الذاتيه

١- اسمه ونسبه:

اجمعت المصادر التي ترجمت للعيني والتي اطلعنا عليها على ان اسمه: محمود بن احمد بن موسى بن احمد بن حسين بن يوسف بن محمود ([١]).

٢- كنيته والقابه:

اشارت اغلب المصادر الى انه كني بـ (ابو محمد) ([٢])، وبـ (ابو الثناء) ([٣]) ، ولقب بـ (العيني او العينتابي)([٤])، نسبة الى بلدة عينتاب وهي قلعة حصينة بين حلب وانطاكيا، وموقعها الان في جنوب تركيا، بالقرب من الحدود السورية وتسمى اليوم "غازي تاب اوغازيناتاب" ([٥])، ولقب بـ (الحنفي) لانه حنفي المذهب([٦])، ونسبة الى مدينة حلب لقب بـ (الحلبي)([٧])، وعرف بـ (القاهري) نسبة الى مدينة القاهرة المعزية([٨])، فضلا عن ذلك فقد لقبه بعض من ترجم له بـ (المصري) ([٩]) ولتدينه وورعه لقب بـ "بدر الدين"([١٠]).

٣- ولا دته ونشاته:

اتفقت المصادر على سنة ولادة العيني في الشهر والسنة الا انها اختلفت في اليوم الذي ولد فيه وهي على ثلاثة اقوال:

القول الاول: ولد في السادس والعشرين من رمضان سنة (٧٦٢هـ/١٣٦٠م) ([١١]).

القول الثاني: ولد في السابع والعشرين من رمضان سنة (٧٦٢هـ/١٣٦٠م) ([١٢]).

القول الثالث: ولد في منتصف رمضان سنة (٧٦٢هـ/١٣٦٠م)، بدرب كيكين في بلدة عين تاب على بعد ثلاث مراحل من حلب([١٣])، ونشأ بها نشأة ابناء العلماء في زمانه، فحفظ القران صغيرا، وتعلم القراءة والكتابة، ومنذ بلوغه التاسعة تفقه على والده الذي تولى قضاء عين تاب واسمعه من افاضل علمائها[١٤].

٤- وفاته

توفي بدر الدين العيني في القاهرة، ليلة الثلاثاء[١٥] الرابع من ذي الحجة سنة (٨٥٥هـ / ١٤٥١م)[١٦]، وصُلي عليه في الجامع الأزهر، ودفن بمدرسته التي تقع في حارة كتامة بحي الأزهر، وقد خلف علما نافعا وكتبا خالدة تشهد له بالعلم والفضل[١٧].

ثانيا: الاساليب والصيغ المستخدمة في النقل من المصادر

استخدم العيني عدة اساليب في النقل من المصادر وبالفاظ متنوعة سواء مصادره المدونة التي نقل عنها مباشرة او التي نقل عنها بالواسطة او موارده المجهولة التي جاءت هنا وهناك في ثنايا كتابه:

١ـ نقله من المصادر المدونة: وجاءت بعدة صيغ وبألفاظ منوعة رغم انها ذكرت في موارده من هذه الاطروحة، الا اني سوف افصل المنهج الذي استخدمه فيها وكيف كان يشير للمورد الذي يقتبس منه :

أ. ذكره لشهرة المؤلف ثم كتابه: "وقال السبط في المرأة"[١٨]، "قال الشيخ شهاب الدين ابو شامة في الروضتين"[١٩] ، "وفي تاريخ ابن كثير"[٢٠]، "وقال ابن كثير في تاريخه"[٢١]، "وقال ابو شامة صاحب الذيل"[٢٢]، "وقال ابن الاثير في تاريخه"[٢٣]، "وقال ابن المستوفي في تاريخ اربل"[٢٤]، "ذكره ابن عساكر في تاريخه"[٢٥]، "قال ابو الفتح المنشئ في كتابه الذي وضعه في سيرة جلال الدين"[٢٦]، "وقال ابن الاثير مؤلف الكامل"[٢٧]، "قال العماد في الخريدة"[٢٨]، "قال ابن حوقل في كتابه "المسالك والممالك"[٢٩].

ب ـ ذكره لكنية المؤلف وشهرته عند الاقتباس: "قال ابو المظفر السبط"[٣٠].

ج ـ ذكره لشهرة المؤلف فقط عند اقتباسه: قال السبط[٣١]، قال ابو شامة[٣٢]، قال ابن كثير[٣٣]، ذكر ابن كثير[٣٤]، ذكره ابن الاثير[٣٥]، قال ابن خلكان[٣٦]، قال ابن الجوزي[٣٧]، قال ابن ابي طي[٣٨]، "قال ابن شداد"[٣٩]، "وذكر بيبرس"[٤٠]، "قال ابو الفتح المنشئ"[٤١]، "وقال ابن ميسر"[٤٢]، "وذكر القاضي عبد الجبار"[٤٣]، "قال الجويني"[٤٤].

دـ ذكره لشهرة المؤلف وانتسابه: "قال ابو ذر الهروي"[٤٥]، "قال ابن ابي طي الحلبي"[٤٦]، "وقال سيف الدين الامدي"[٤٧].

هـ ـ ذكره للكتاب فقط عند الاقتباس: "وفي تاريخ الدولتين"[٤٨]، "وفي النوادر"[٤٩]، "وذكر في النوادر السلطانية"[٥٠]، "وفي المرأة"[٥١]، "وفي تاريخ قضاة مصر"[٥٢]، "وذكر في عبرة اولي الابصار"[٥٣]، "وذكر في طبقات الحنفية"[٥٤]، "وفي عيون المعارف"[٥٥].

و- ذكره الكنية والاسم والانتساب فقط عند الاقتباس: " ذكره ابو يوسف محاسن بن سلامة بن خليفة الحراني"[٥٦]، "قال ابو الفتح محمد بن احمد النسائي"[٥٧]،

ز- ذكره للكتاب ثم المؤلف: "وفي تاريخ النويري"[٥٨]، "وفي تاريخ بيبرس"[٥٩]، "وفي تاريخ ابي الفداء"[٦٠]، "وفي تاريخ ابن العميد"[٦١]؛ "وفي تاريخ المؤيد"[٦٢]، "وفي تاريخ ابن الاثير"[٦٣].

ح - ذكره للصفة المهنية والدينية ولقب المؤلف عند الأقتباس: قال قاضي القضاة بهاء الدين[٦٤]، واحيانا يذكر فقط صفته الدينية بقوله: قال قاضي القضاة[٦٥]، و قال القاضي الفاضل"[٦٦]وفي احيان اخرى نراه يذكر الى جانب ذلك لقبه واسمه الصريح وكتابه مثل: قال قاضي القضاة بهاء الدين ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم صاحب النوادر[٦٧]، واحيانا يصرح باللقب الديني واسم الشهرة ثم اسم الكتاب نحو قوله: وبدأ بذكره شرف الدين بن المستوفي في تاريخ اربل[٦٨]، "وقال الشيخ موفق عبد اللطيف في كتاب "اخبار مصر"[٦٩]. واحيانا الصفة الدينية والاسم والشهرة كقوله: وقال القاضي جمال الدين ابن واصل[٧٠].

اضف الى ذلك فانه عند استمرار الرواية للمورد المقتبس منه فانه يستخدم الفاظا اخرى تدل على المورد، تجنبا للتكرار الذي يؤدي الى الملل احيانا، فانتهج اسلوب الاختصار بقوله: " قال"[٧١] للدلالة على قول العماد، و"قال"[٧٢] للدلالة على قول ابن شداد، و"قال"[٧٣] للدلالة على قول ابن خلكان، و"قال"[٧٤] للدلالة على قول الجويني..." والفاظ اخرى كقوله: "ومنها ما ذكره ايضا" "ومنها ما ذكره وقال"[٧٥] للدلالة على قول ابن الجوزي، "وذكر ايضا"[٧٦] للدلالة على قول ابن الاثير، "وقال فيه ايضا"[٧٧] "وقال ايضا" [٧٨] للدلالة على قول ابو شامة في الروضتين.

٢- نقول من دون مصدر:

لقد استوعب كتاب العيني نصوصا لم يسندها الى مصدر وانما جاءت عائمة، واستخدم للدلالة عليها عبارات والفاظ متنوعة، وكلها توحي الى تشككه وعدم تيقنه من ما جاء بها من اخبار ومنها: (قيل . يقال . حكى - وقال غيره...) والامثلة كثيرة ومتنوعة في هذا الخصوص:

ففي لفظ" قيل": ما ورد في خبر الوزير ابن المهدي العلوي الذي سجنه الخليفة بسبب تأمره على الخليفة حسب الادعاء سنة (٦٠٤هـ / ١٢٠٧م) اذ قال: (وقد قيل انه كان عفيفا عن الاموال، حسن السيرة، جيد المباشرة)[٧٩]، وعندما ذكر ابتداء ملك جنكيز خان[٨٠] في احداث سنة(٥٩٩هـ / ١٢٠٢م) قال:(... وقد قيل انه يحويه سور واحد لم ينقطع الا عند الجبال المنيعة والانهار الواسعة، وكان في قديم الزمان ستة اجزاء، كل جزء منها مسيرة شهر...)[٨١]، وفي خبر وفاة جلال الدين منكبرتي قال: (... وقيل: قتل سنة وتسع وعشرين وستمائة)[٨٢].

وفي لفظ "يقال": ما جاء في ذكر شجاعة نور الدين: (كان "يقال" انه لم ير على ظهر الفرس احسن ولا اثبت منه...)[٨٣]، وقوله في ترجمة النحوي عيسى بن عبد العزيز الجزولي المغربي(ت: ٦١٠هـ / ١٢١٣م): (... "ويقال" انه كان يدري شيئا من المنطق...)[٨٤]، وفي كلامه عن الملك المعظم بن العادل بن ايوب قال: (... "ويقال": ولد في سنة ست وسبعين وخمسمائة بالقاهرة، ونشأ بالشام...)[٨٥].

ولفظ" قال غيره ـ ذكر غيره" نحو قوله في احداث سنة (٥٩٠هـ / ١١٩٣م): (... "وقال غيره": لما استقر الملك الافضل مكان ابيه صلاح الدين في ملك دمشق بعث بهدايا سنية فيها تحف الى باب الخلافة من ذلك سلاح ابيه وحصانه...)[٨٦]، وفي وفاة ابي الهيجاء السمين سنة(٥٩٣هـ / ١١٩٦م) قال: (... "وذكر غيره": انه توفي في هذه السنة...)[٨٧]، وفي مدح الكامل انشد الشعراء قصائد التهاني، (فمنها ما قاله شرف الدين بن جبارة: ... "وقال غيره": يمتدح فيها الكامل...)[٨٨].

ولفظ "حكى" ما ورد في سيرة ابن الظريف الواعظ محمد بن عبد الله قوله: (... "وحكى" انه نقل الى الخليفة انه يعاشر النساء ويرتكب المحرمات...)[٨٩]، وفي اثناء كلامه عن القاضي الفاضل(ت: ٥٩٦هـ / ١١٩٩م) قال: (... "وحكى" عن الملك المحسن بن صلاح الدين انه قال: اتفق يوم وفاة الفاضل يوم دخول العادل الى القاهرة...)[٩٠] ج٣، ص١١٨.

الفاظ متنوعة اخرى: في الوقعة التي دارت بين الملك العادل والافرنج سنة (٥٨٦هـ / ١١٩٠م) والتي انتصر فيها على الافرنج قال: (قال الراوي: فلم يكن الا ساعة حتى رأينا

القوم فيها صرعى ...)[٩١]، وقوله في القاب نور الدين زنكي: ("وروى" انه كتب رقعة بخطه الى وزيره خالد بن القيسراني، يأمره ان يكتب له صورة ما يدعى له به على المنابر...)[٩٢]، وفي سيرة نور الدين ايضا قال: ("وقال صاحب التاريخ": ما كان يبذل اموال المسلمين الا في الجهاد، وما يعود نفعه على العباد...)[٩٣].

واستخدم ايضا في مصادره المجهولة صيغة التضعيف[٩٤] الى مجهول: نحو قوله في نسب نجم الدين ايوب: (... "واجمع الجماعة" ... انهم من بني مروان بن محمد الجعدي[٩٥] اخر خلفاء بني امية . كذب...)[٩٦]، وفي ذكر ما صدر من صلاح الدين بعد دخوله القاهرة سنة (٥٧٢هـ / ١١٧٦م) قال: (...انه امر ببيع الكتب في القصر كل اسبوع يومان... وكانت كتبا كثيرة جدا... "قالوا": انها كانت اكثر من مائة الف مجلد)[٩٧]، وقوله في سيرة صاحب الغرب يعقوب بن ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن(ت: ٥٩٥هـ / ١١٩٨م): (... وقد اثنى عليه "ارباب السير"...)[٩٨]، وفي وفاته قال: ("قال علماء الاندلس": مرض يعقوب مرضا اشفى منه على الموت...)[٩٩]،وقوله في وصف غلاء سنة (٥٩٧هـ / ١٢٠٠م): (... "قالوا": ان الغلاء والفناء اللذين وقعا في هذه السنة لم يقع مثلهما في السنين الماضية في الاسلام، الا ما وقع في ايام المستنصر العلوي[١٠٠] ...)[١٠١].

ثالثا ـ كيفية نقله للنص:

لقد نقل العيني مادته العلمية من عدة مصادر، ولبيان منهجه في النقل عقدنا مقارنة بين المنقول والاصل، فتبين من خلالها انه استخدم طريقتين في نقل النصوص منها نقله للنص من الاصل كما هو حرفيا ومنها تصرفه في النص، ومن ذلك ما يلي:

١ـ تصرفه بالنص:

ويعني عدم التزامه بالنص الاصلي، وانما تصرف به بحسب ما يراه مناسبا، شريطة ان لا يخل بمضمون الرواية، وفي هذا النوع من النقل تكون الرواية قابلة للإسهاب وللاختصار، وسأبين هنا ما جاء بالاصل اولا ثم ما نقله العيني ثانيا، فحول غدر الفرنج بالمسلمين بعد ان عاهدوهم سنة (٥٦٧هـ /١١٧١م) قال ابن الاثير: (وفي هذه السنة خرج مركبان من مصر إلى الشام فأرسيا بمدينة لاذقية[١٠٢]، فأخذهما الفرنج، وهما مملوءان من

الأمتعة...، وكان بينهم وبين نور الدين هدنة، فنكثوا وغدروا، فأرسل نور الدين إليهم في المعنى وإعادة ما أخذوه من أموال التجار، فغالطوه، واحتجوا بأمور منها أن المركبين كانا قد انكسرا ودخلهما الماء...)[١٠٣]. ونقل العيني هذه الرواية فقال: (خرجت مراكب من مصر الى الشام، فأخذ الافرنج من اللاذقية مركبين منها مملوئين، من الامتعة والتجار، وغدروا بالمسلمين، وكان نور الدين قد هادنهم، فنكثوا، فلما سمع نور الدين الخبر استعظمه، وارسل الفرنج في ذلك، وامرهم باعادة ما اخذوه، فغالطوه واحتجوا بامور لا طائل تحتها ...)[١٠٤]، وفي ذكر اخبار الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين زنكي سنة (٥٧٠هـ / ١١٧٤م) قال النويري: (فأرسلوا إلى ابن الداية يطلبون سعد الدين كمشتكين[١٠٥] ليأخذ الملك الصالح، فجهزه إليهم، فسار إلى دمشق فى المحرم سنة سبعين وخمسمائة، فأخذ الملك الصالح وعاد به إلى حلب...)[١٠٦]، ونقل لنا العيني الرواية فقال: (وفي تاريخ النويري: وفي هذه السنة ارسل شمس الدين بن الداية المقيم بحلب، كمشتكين الطواشي، يستدعي الملك الصالح بن نور الدين من دمشق الى حلب ليكون مقامه بها...)[١٠٧] فاستغرقت تفاصيل هذا الحدث صفحتين عند النويري، الا ان العيني لخصه بصفحة واحدة او اقل، وفي فتوحات صلاح الدين وغزواته قال ابن شداد: (ووصل إلى جبلة[١٠٨] في الثامن عشر ولما استتم نزول العساكر حتى أتى البلد وكان فيه مسلمون مقيمون فيه وقاض يحكم بينهم...)[١٠٩]، الا ان العيني نقل هذه الرواية بقوله: (ولما وصل السلطان الى جبلة في التاريخ المذكور، اخذ البلد يوم وصوله، وكان فيها مسلمون يقيمون فيها، وقاض يحكم بينهم...)[١١٠].

٢ـ النقل الحرفي:

هونقل النص من المصدر كما هو دون زيادة او نقصان، ففي نزول الفرنج على دمياط واهتمام نور الدين بذلك سنة(٥٦٥هـ / ١١٦٩م) قال: (قال صاحب تاريخ الدولتين: وبلغني من شدة اهتمام نور الدين "رحمه الله" بأمر المسلمين حين نزل الفرنج على دمياط...)[١١١]، وفي ذكر اعمال نور الدين زنكي نقل العيني رواية عن ابن الاثير في بناء المارستان حرفيا فقال:(وقال ابن كثير: ويقول بعض الناس: انه لم تخمد النار منه منذ بني الى زماننا هذا)[١١٢]، وفي جواز قضاء الاعمى يقول: (قال ابن خلكان: ورأيت في كتاب

"الزوائد" تأليف ابي الحسين العمراني، وجها انه يجوز وهو غريب...)[١١٣]، وفي خبر انتزاع دمشق من الملك الافضل بالتعاون بين الملك العزيز وعمه العادل سنة(٥٩٢هـ / ١١٩٥م) ساق لنا العيني رواية ابو الفداء كاملة بقوله: (قال المؤيد في تاريخه: ولما بلغ الملك العادل في مصر والملك العزيز اضطراب الامور على الملك الافضل، اتفق العادل مع العزيز على ان يأخذا دمشق، وان يسلمها العزيز الى العادل لتكون الخطبة والسكة على سائر البلاد للعزيز...)[١١٤].

رابعا: موقفه من الرواية:

اما موقفه من الاحداث فكانت له ايضا بعض الاضافات بعد استعراض الرواية، فبعد ان اسهب في الكلام عن الطائفة الرفاعية مستعينا بالكثير من الموارد وبمختلف الروايات قال: (قلت: ولطائفتهم موسم عظيم في كل سنة يسمونه المحيى، بموضع يقال له تريب، بين عينتاب والبيرة[١١٥] التي على الفرات، يجتمع هناك كل سنة امم لا يحصون ... فتقام هناك اسواق عظيمة فيها بيع وشراء، وينصبون الخيام...)[١١٦].

ان كلام العيني يدل على ان هذه المواسم قد استمرت، وربما قد حضرها ونقل لنا هذه المعلومات كشاهد عيان، ثم يقوم بعد ذلك بذكر بعض المعلومات عنها من سماعه الشخصي بقوله: (فأخبرني اناس ان طائفة منهم يأكلون الحيات وهي حية، ويأكلون جمرات النار...)[١١٧].

وفي هلاك ملك الالمان سنة (٥٨٦هـ / ١١٨٩م)، يقول: (... واخذت انفاسه، وراحت روحه الى الهاوية، واراح الله المسلمين منه...)[١١٨].

فضلا عن ذلك فانه كان يدحض بعض الروايات وينسفها بتاتا عندما يكون متأكد من عدم صحتها كما ورد في قول بعض الشعراء، في الخليفة الفاطمي الحاكم[١١٩]:

ما شئت لا ما شاءت الاقدار فاحكم فأنت الواحد القهار[١٢٠]

فرد قائلا: وهذا كفر محض، وليس مثله الا قول فرعون[١٢١]: (... أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)[١٢٢].

فحكم عليها بالكفر، لان لها مساس بالخالق اذ انه كان ورعا متدينا زاهدا وهذا هو حال الورع والتقوى في الرد والذود عن رب العزة والجلال.

وفي ذكره لأحداث سنة (٥٧٠هـ / ١١٧٤م) ومنها قول ابن الجوزي بانه اكمل تفسير القران في هذه السنة، وقال: لم اعرف احدا فسر القران كله غيري، فرد العيني على ذلك واستدرك كلام ابن الجوزي وعكسه على شخصه بقوله: (قلت: وكان شيخي ابو الروح عيسى السرمادي رحمه الله قد فسر القران على المنبر في عينتاب مرتين كاملتين، وفي المرة الثالثة لما وصل الى قوله تعالى: (وَالسَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ)[١٢٣] ادركته المنية[١٢٤]؛ وكذا في من قتل نفسه قال: ("قلت" مذهب ابي يوسف[١٢٥] من اتباعنا ان لا نصلي على قاتل النفس)[١٢٦] .

خامسا: اوهام المؤرخين:

كثيرا ما اتصف العيني بانه ذي دراية بما ينقله، ويتحرى موارده اثناء النقل، لذا نجده يعين مواطن الخلل والوهم الذي وقع به بعض المؤرخين في موارده التي اعتمدها، وان دل ذلك على شيء فيدل على سعة اطلاعه وتبحره في شتى العلوم، وهذه من الصفات الرائعة الواجب توفرها في المؤرخ لثبت الحقائق التاريخية، ومن هذه الاوهام ما ورد في احداث سنة (٥٨٣ هـ / ١١٨٧م) اذ قال: (وقال ابن القادسي في ذيله: ان صلاح الدين خطب بالبيت المقدس، "وهو وهم منه")[١٢٧]، وقوله في نسب صلاح الدين: ("وهذه من هنات ابن القادسي"، ما كان شادي مملوكا قط...)[١٢٨]، وكذا في ذكر وفاة الوزير صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر اذ قال: (قال ابو شامة: قال السبط: توفي في سنة ثلاثين وستمائة "وهو وهم"، وانما توفي في سنة ثنتين وعشرين وستمائة...)[١٢٩].

وفي بعض الاحيان نجد موارده التي اعتمدها يعقب احداها على الاخر، كما ورد في الحديث عن وفاة السلطان صلاح الدين سنة (٥٨٩هـ / ١١٩٣م) وسيفه الذي اصبح جدل المؤرخين فقال: (وقال ابن القادسي: ودفن معه سيفه... وقال السبط في المرأة: هذا وهم من ابن القادسي، لان سيفه بعث به ولده الافضل الى بغداد)[١٣٠].

سادسا: اسس اختيار التراجم:

١- الشمول المكاني(الجغرافي):

شملت تراجم العيني مختلف اصقاع الدولة العربية الاسلامية، ولم يتخذ التمييز بينها منهجا من مناهجه الذي بنى عليها كتابه، لأي سبب كان، فهو يترجم لأهل العراق امثال: الحاجب حسام الدين علي الموصلي (ت:٦٢٦هـ/١٢٢٨م)[١٣١]، والشيخ ابو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن صدقة (ت:٥٩٦هـ/١١٩٩م) البغدادي المولد والدار والوفاة[١٣٢]، ولأعيان مصر امثال: الوزير صفي الدين ابو محمد عبد الله بن علي(ت:٦٢١هـ/١٢٢٤م)[١٣٣]، وقاضي القضاة جمال الدين يونس بن بدران المصري(ت:٦٢٣هـ/١٢٢٦م)[١٣٤] وترجم لعلماء الشام امثال: القاضي جمال الدين بن عبد الصمد بن محمد الدمشقي(ت:٦١٤هـ/١٢١٧)[١٣٥]، والشيخ فخر الدين عبد الرحمن بن الحسن(ت:٦٢٠هـ/١٢٢٣م) [١٣٦]، ولأهل الحجاز امثال: امام الحنابلة بمكة الشيخ نصر بن بن ابي الفرج(ت:٦١٩هـ/١٢٢٢م)[١٣٧]، ولأهل اليمن امثال: الشاعر عمارة اليمني (ت: ٥٦٩هـ/١١٧٣م)[١٣٨]وترجم لاعيان افريقية والمغرب العربي امثال الاديب عبد الله بن احمد بن الحسين الطرابلسي (ت:٥٦٧هـ/١١٧١م)[١٣٩] وبعض اعلام الاندلس امثال: صاحب شرق الاندلس ابن مردنيش محمد بن سعد بن محمد بن سعد(ت:٥٦٧هـ/١١٧١م)[١٤٠]، وابن بشكوال ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى(ت:٥٧٨هـ/١١٨٢م)، فضلا عن ذلك فانه ترجم لاعيان بلاد المشرق على سبيل المثال: الفقيه طاهر بن محمد بن طاهر(ت: ٥٦٦هـ/١١٧٠م) الرازي المولد الهمداني الدار[١٤١]، والمحدث رضي الدين المؤيد بن محمد بن علي النيسابوري(ت:٦١٧هـ/١٢٢٠م)[١٤٢] وترجم لأعيان بلاد ما وراء النهر امثال: الفقيه الحنفي احمد بن محمد بن محمد السمرقندي (ت: ٦١٥هـ/١٢١٨م)[١٤٣]، وترجم لبعض المجاورين في مكة امثال: المحدث المبارك بن علي بن الحسين بن عبد الله نزيل مكة ومجاورها[١٤٤]، وبعض قادة وامراء الروم امثال: ملك الافرنج مري صاحب عسقلان الذي قتل بسروج[١٤٥] سنة (٥٦٩هـ / ١١٧٣م)[١٤٦]، وملك الالمان وابن ملك

الالمان الذين هلكوا في سنة (ت:٥٨٦هـ / ١١٩٠م)[١٤٧]، وكندهري ملك الافرنج الذي هلك في سنة (٥٩٣هـ / ١١٩٦م)[١٤٨].

٢- الشمول النوعي(المهني):

تنوعت الاحداث لدى العيني في كتابه "عقد الجمان"، فهي سياسية عسكرية وعلمية واجتماعية واقلها اقتصادية، فضلا عن ذلك فقد شملت مختلف فئات المجتمع من فقهاء امثال: ابراهيم بن علي ابو اسحق السلمي(ت:٥٧٥هـ/١١٧٩م)[١٤٩] ومحدثين امثال: شيخ الحديث ابن طبرزد عمر بن محمد بن معمر بن يحيى(ت:٦٠٧هـ/١٢١٠م)[١٥٠]، ومفسرين ووعاظ امثال: احمد بن اسماعيل بن يوسف ابو الخير القزويني الشافعي(ت: ٥٩٠هـ / ١١٩٣م)[١٥١]، وادباء مثل: محمد بن مسعود ابو المعالي بن القسام الاصفهاني (ت:٥٧٢هـ/١١٧٦م)[١٥٢]، ونحويين امثال: المجد المطرزي الخوارزمي(ت:٦٠٦هـ/١٢٠٩م)[١٥٣]، ونقباء علويين امثال: ابو علي الحسن بن ابي المحاسن زهرة بن علي بن زهرة العلوي الحسيني(ت:٦٢٠هـ/١٢٢٣م)[١٥٤]، وقضاة امثال: قاضي القضاة هبة الله بن عبد الله بن كامل (٥٦٩هـ/١١٧٣م)[١٥٥]، وقراء امثال: المقريء علي بن العساكر بن المرحب بن العوام (ت:٥٧٢هـ/١١٧٦م)[١٥٦]، ومؤدبين مثل: يحيى بن نجاح المؤدب (ت: ٥٦٩هـ/١١٧٣م)[١٥٧]، وخلفاء امثال: الخليفة العباسي الظاهر بامر الله(٦٢٢- ٦٢٣هـ/١٢٢٥- ١٢٢٦م)[١٥٨]، وملوك امثال: الملك المؤيد تجم الدين مسعود بن السلطان صلاح الدين(ت: ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)[١٥٩] ، وامراء مثل: صاحب اربل زين الدين يوسف بن زين الدين علي(ت: ٥٨٦هـ/١١٩٠م)[١٦٠]، ونائب دمشق الصفي بن الفائض:(ت: ٥٨٧هـ/ ١١٩١م)[١٦١]، وترجم ايضا لسلاطين امثال: السلطان السلجوقي طغريل شاه بن ارسلان شاه بن طغريل بن محمد بن ملكشاه (ت: ٥٩٠هـ/١١٩٣م)[١٦٢]، ونواب سلاطين امثال: شمس الدين بن محمد بن عبد الملك بن المقدم احد نواب السلطان صلاح الدين(ت: ٥٨٣هـ/١١٨٧م)[١٦٣]، ووزراء امثال: الوزير ابن القصاب محمد بن علي بن محمد (ت:٥٩٢هـ/١١٩٥م)[١٦٤]، وابن حديدة الوزير سعيد بن علي بن احمد(ت: ٦١٠هـ/١٢١٣م)[١٦٥]، وكتاب مثل: جعفر بن محمد بن قطرا(ت: ٥٨٩هـ/١١٩٣م)[١٦٦]،

ونساخ وحجاب امثال: ابو طالب نصر بن علي بن محمد (ت: ٥٩٢هـ/١١٩٥م)[١٦٧]، ومحمد بن سليمان بن قتلمش (ت:٦٠٦هـ/١٢٠٩م)[١٦٨]، وترجم لبعض خدام الخليفة او السلطان فضلا عن ذلك فقد ترجم لتجار على سبيل المثال: التاجر محمد بن علي بن المبارك البغدادي(ت:٦١٣هـ/١٢١٦م)[١٦٩]، واطباء مثل: الموفق اسعد بن المطران (ت:٥٨٧هـ/١١٩١م)[١٧٠]، وعبد العزيز الطبيب(ت: ٦٠٤هـ/١٢٠٧م)[١٧١] وشعراء امثال:ابن التعاويذي الشاعر(ت:٥٨٣هـ/١١٨٧م)[١٧٢]، ونساك[١٧٣]امثال:ناصر الجوني(٥٦٧هـ/١١٧١م)[١٧٤]، وبهاء الدين احمد بن ابي الفضائل (ت: ٦١٤هـ/١٢١٧م)[١٧٥]، وزهاد[١٧٦]امثال: الشيخ علي بن خطاب بن طغر(ت:٥٨٣هـ/١١٨٧م)[١٧٧]، ومحمد بن القائد الزاهد (ت: ٥٨٤هـ/١١٨٨م)[١٧٨]، ونحويين امثال: ابو البركات عبد الرحمن بن ابي الوفاء محمد بن عبيد (ت:٥٧٧هـ/١١٨١م)[١٧٩]، وابو الحرم مكي بن ريان الماكسيني (ت:٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م)[١٨٠].

اضف الى ذلك فانه قد ترجم للمشهورين من مختلف المذاهب فعلى سبيل المثال لا الحصر : الفقيه الحنفي احمد بن محمد بن محمود الغزنوي[١٨١]، والحسن بن منصور بن ابي القاسم احد السادات الحنفية[١٨٢]، والفقيه الشافعي عبد الله بن اسعد بن علي بن عيسى المعروف بابن الدهان الموصلي، والفقيه الشافعي ابو العباس نصر بن عقيل بن نصر الاربلي[١٨٣]، والشيخ احمد بن محمد بن علي القادسي الضرير الحنبلي[١٨٤]، والفقيه الحنبلي ابراهيم بن علي بن محمد[١٨٥]، والفقيه المالكي جمال الدين ابو محمد عبد الله بن نجم بن شاش السعدي، وامام المالكية بدمشق برهان الدين علي بن علوش المغربي[١٨٦].

كما ان هذا التنوع قد وظفه ايضا في موارده التي اعتمدها فلم يكن موارد المذهب الحنفي اكثر استخداما من غيرها، فعلى العكس من ذلك نراه يستأنس بمصادر ارباب المذهب الشافعي اكثر، وارى بان المادة العلمية هي التي فرضت عليه ذلك، فكان اينما يجدها يغرف منها بشغف مما زاد في رصانة كتابه، واعتبر مصدرا مهما من مصادر التاريخ الاسلامي فضلا عن اخذه من الحنابلة والمالكية لكن بشكل قليل، فعلى سبيل المثال: ابو ذر

الهروي(ت: ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م) كان مالكي المذهب[١٨٧]، والقاضي عبد الجبار(ت: ٤١٥هـ / ١٠٢٤م) صاحب كتاب" تثبيت دلائل النبوة" شافعي المذهب[١٨٨]، وابن عساكر: (ت: ٥٧١هـ / ١١٧٦م)، صاحب كتاب" تاريخ دمشق" شافعي المذهب[١٨٩]، وابي الوفاء القرشي(ت: ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م) صاحب كتاب" الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية" حنفي المذهب[١٩٠]، وتاج الدين الكندي(ت:٦١٣هـ / ١٢١٦م) حنفي المذهب[١٩١]، وابن المارستاني(ت: ٦٣٩هـ / ١٢٤١م) حنبلي المذهب[١٩٢].

ومن الجدير ذكره ان تراجمه لم تقتصر على الرجال فقط، بل ترجم للكثير من النساء الزاهدات العالمات امثال: الزاهدة فاطمة بنت نصر بن العطار[١٩٣]، والكاتبة شهدة بنت احمد بن الفرج بن عمر الابري[١٩٤]، والزاهدة علم بنت عبد الله بن المبارك[١٩٥]، وسلجوقة بنت قليج ارسلان بن مسعود[١٩٦]، والست زبيدة بنت الامام المقتفي[١٩٧] لأمر الله[١٩٨]، والشيخة فاطمة خاتون بنت محمد بن الحسن[١٩٩].

سابعا: تنوع عناصر المترجم لهم:

ترجم العيني لـ (٤٦٠) شخصية في مدة دراستنا، عدا ما ذكر في بطون حوادث بعض السنين والذي اشرنا الى قسم منه في دراستنا للعلاقة بين الحوادث والتراجم، وتنوعت تراجمه بين محدث وفقيه ومفسر ونحوي ولغوي واديب، وسلطان واميرء ووزير وكاتب وحاجب ... فضلا عن ذلك فقد شملت تراجمه مختلف اصقاع الدولة العربية الاسلامية، ومختلف المذاهب.

وبما ان العيني قد رتب كتابه وفق المنهج الحولي، لذا فجاءت تراجم كل سنة متباينة من حيث طبيعة الاحداث وعدد المترجم لهم فتراوحت ما بين الترجمة الواحدة وكانت في احداث سنة (٥٧٧هـ / ١١٨١م)[٢٠٠]، والثمانية عشر ترجمة والتي كانت في احداث سنة (٥٩٣هـ / ١١٩٦م)[٢٠١]، واحتوت سنة (٥٩١هـ / ١١٩٤م) على ترجمتين فقط[٢٠٢]، وسنة (٥٧٦هـ / ١١٨٠م) على خمسة تراجم[٢٠٣]، وسنة (٦٢٤هـ / ١٢٢٦م) على اربعة تراجم[٢٠٤]، وسنة(٦٠٢هـ / ١٢٠٥م) على ستة تراجم[٢٠٥]، وسنة (٥٩٩هـ / ١٢٠٢م) على ثلاثة عشر ترجمة[٢٠٦]... .

ويبدو ان هنالك عدة اسباب ادت الى حصول هذا التفاوت في ذكر الوفيات، فبعضها مرتبط بتوافر المصادر وندرتها، او ان المصادر قد اغفلت ذكر الكثير من العلماء بسبب ظروف سياسية في فترة ما من الفترات، او ان راويتنا نفسه قد اهمل الكثير من العلماء ولم يترجم لهم بسبب ظروف خاصة كان يمر بها ذات علاقة بالسلطة سيما وانه كان من المقربين للسلاطين وقد ذكرنا ذلك مفصلا في الفصل الاول ، او انه اقتصر على ترجمة المشهورين فاراد الاختصار وعدم الاطالة، ومهما يكن من امر فلم يبررما قام به العيني سيما وان العصر الذي عاش فيه تميز بنشاط الحركة العلمية وبروز الكثير من العلماء، وكثرة التأليف في مختلف مجالات العلوم والمعرفة.

ـ اسم المترجم ونسبه وكنيته ولقبه ونسبته.

من خلال دراستنا لكتاب "عقد الجمان" تبين بان العيني اراد ان يعرف بالمترجم له بصورة كاملة وبأشد الوضوح من خلال ما يتوفر لديه من معلومات وحرص على ذلك كثيرا من خلال اعتماده على مصادر متنوعة كان لها الدور الكبير في اظهار قيمة المترجم له العلمية والادبية، الا انه لم يستخدم منهجا واحدا في تراجمه، بل استخدم عدة اساليب في عرضها تبعا لتوافر المعلومات حول المترجم له سواء كان محدث او مفسر او فقيه او لغوي او نحوي او كاتب...

وكثيرا ما نراه يعتمد التخصص التأليفي في تراجمه، الا اذا تعذر ذلك فيستعين بمصادر اخرى ويعزز ذلك بأيراد عدة روايات في سبيل الوصول الى الحقيقة المتوخاة.

واعتبر العيني شهرة المترجم له هي الاساس لأغلب تراجمه سواء كانت الشهرة بالكنية او اللقب او عرف بشهرة معينة غيرها او شهرة الانتساب الى الاسرة او القبيلة او المدينة، سيما وانه ذكر اسم المترجم له واسم ابيه او جده في اول الترجمة... الا انها كانت في حالات قليلة. وسأبين ذلك مفصلا مبتدئا بالاسم الصريح للمترجم.

فعادة يقوم بذكر اسم المترجم له واسم والده ثم جده وسلسلة نسبه ثم كنيته ولقبه، ويتضح ذلك في ترجمة: (احمد بن عمر بن محمد ابو الفضل الجيلي[٢٠٧])[٢٠٨]، وترجمة: (الحسن بن احمد بن الحسن بن احمد بن محمد العطارابو العلاء الهمذاني)[٢٠٩]، وكذا: (

المبارك بن علي بن الحسين ... ابو محمد البغدادي)[٢١٠]، وايضا: (يحيى بن سعيد بن فارس ابو العباس البصري النصراني)[٢١١]، وهكذا الامر في ترجمة : (ابراهيم بن احمد بن محمد ابو طاهر العكبري[٢١٢])[٢١٣].

واحيانا يذكر فقط كل ذلك دون ذكر اسم جده نحو قوله في ترجمة الفقيه: (حامد بن حامد ابو الفضل الحراني)[٢١٤]،وكما في احداث سنة(٦٠٤هـ / ١٢٠٧م)، وذهب ايضا في ترجمة (اسماعيل بن علي ابو محمد الحطيري)[٢١٥].

ومرة اخرى مع ما تقدم تجده لا يذكر كنيته كما جاء في ترجمة:(عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلي)[٢١٦].

وتارة اخرى لا يذكر لقبه كما هو الحال في ترجمة: (رستم بن سرهنك ابو القاسم)[٢١٧]، وفي ترجمة الكاتب: (يحيى بن جعفر ابو الفضل)[٢١٨].

وذهب باتجاه اخر في موضوع الترجمة وهو الاكتفاء بذكر الاسم واسم الاب وهذا واضح في ترجمة: (مالك بن علي)[٢١٩]، وترجمة: (قايماز بن عبد الله)[٢٢٠]، وكذا في ترجمته لصاحب المخزن: (محمد بن جميل)[٢٢١]، وترجمة:(جلال الدين الحسن... من اولاد الحسن الصباح مقدم الاسماعيلية)[٢٢٢].

كما ويلاحظ انه استخدم اسلوبا اخر وهو بذكر الاسم الثلاثي فقط للمترجم له، وذلك ما نلاحظه في ترجمة : (علم بنت عبد الله بن المبارك)[٢٢٣]، وترجمة: (سعيد بن عبد الله بن القاسم)[٢٢٤].

واحيانا يذكر فقط الكنية واللقب نحو ترجمة: (ابو المعالي الكتبي)[٢٢٥]، وترجمة: (ابو السعود الحريمي الطاهري)[٢٢٦].

ومن اساليبه الاخرى في الترجمة ذكر اسمه واسم ابيه وجده وكنيته فقط، مثل ترجمة: (جعفر بن محمد بن قطرا ابو الحسن)[٢٢٧]، او يذكر في الترجمة الاسم الاول واللقب فقط مثل ترجمة: (يزدن التركي)[٢٢٨]، و(البدر الجعبري[٢٢٩])[٢٣٠]. او ذكراللقب ثم الكنية ثم الاسم الصريح كما في ترجمة: (الخبوشاني، ابو البركات، محمد بن الموفق بن سعيد بن علي...) [٢٣١]، وترجمة: (مجد الدين ابو محمد طاهر بن نصر الله بن جهبل)[٢٣٢]، و(

الصدر الحراني ابو الثناء حماد بن هبة الله بن حماد الحراني التاجر)[٢٣٣]، وترجمة: (اللمعاني ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم بن عبد الرحمن)[٢٣٤]، وترجمة الفقيه: (العميدي ابو حامد محمد بن محمد بن محمد)[٢٣٥].

ويستخدم في اللقب احيانا لفظ"الملقب" نحو قوله في ترجمة ابو الحجاج يوسف بن محمد (ت: ٥٦٦هـ / ١١٧٠م): (الملقب الموفق)[٢٣٦]، وترجمة محمد بن يوسف بن محمد بن قائد اذ قال: (الملقب موفق الدين)[٢٣٧]، وقوله في ترجمة الكاتب ابو الدر ياقوت بن عبد الله الموصلي(ت: ٦١٨هـ / ١٢٢١م): (الملقب امين الدولة)[٢٣٨].

وكان كثيرا ما يضيف الى المترجم له القاب دينية مثل (عز الدين ـ تاج الدين . شهاب الدين ـ قطب الدين ...)، كما في ترجمة: (عز الدين ابو القاسم نصر بن عقيل بن نصر)[٢٣٩]، وترجمة: (شهاب الدين بشير الخادم)[٢٤٠]، وترجمة: (شهاب الدين السهروردي الحكيم المقتول بحلب)[٢٤١]، وترجمة: (قطب الدين ايلغازي صاحب ماردين)[٢٤٢]، وترجمة: (تقي الدين طرخان بن ماضي بن جوشن الشاغوري)[٢٤٣].

او يقوم بأضافة القاب دنيوية للرفعة وعلو المنزلة[٢٤٤] مثل (عضد الدولة ـ تاج الملوك . شبل الدولة، تاج الامناء، ...) كما في ترجمة: (عضد الدولة ابو الفرج الوزير محمد بن عبد الله بن هبة الله...)[٢٤٥]، وترجمة: (تاج الملوك بوري بن ايوب...)[٢٤٦]، وترجمة: (تاج الامناء ابو الفضل احمد بن محمد بن الحسن)[٢٤٧]، وترجمة: (شبل الدولة كافور الحسامي)[٢٤٨].

وجنح العيني الى ذكر الكنية قبل الاسم الصريح في كثير ممن ترجم لهم، كما هو الحال في ترجمة: (ابو العباس الخضر بن نصر بن عقيل بن نصر الاربلي)[٢٤٩]، وترجمة الشاعر: (ابو عبد الله محمد بن بختيار بن عبد الله البغدادي)[٢٥٠]، وترجمة القاريء: (ابو الثناء محمود بن هبة الله بن ابي القاسم الحلي البزاز)[٢٥١]، وترجمة الفقيه: (ابو المعالي اسعد بن يحيى بن موسى بن منصور...)[٢٥٢].

ونجد العيني احيانا يتجاهل ذكر الاسم الاول للمترجم له ويضع الكنية بدلا عنه، ويبدو ان استخدامه لهكذا منهج بسبب عدم حصوله على اسمه او التوصل اليه من

المصادر المتوافرة لديه فعمد الى ذلك، او من باب الاختصار، كما هو الحال في ترجمة: (ابو نصر بن المستظهر)[٢٥٣]، وفي ترجمة: (ابو بكر بن حلبة الموازيني البغدادي)[٢٥٤]،

ومن اساليبه في ذكر الكنى، ذكره لكنيتين في ان واحد كما هو حال الأمام: (السهيلي "ابو القاسم وابو زيد" عبد الرحمن بن الخطيب...)[٢٥٥]، والفقيه: (محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري، العلامة "ابو عبد الله وابو المعالي")[٢٥٦].

واحيانا يذكر ثلاثة كنى للمترجم له نحو قوله في ترجمة المحدث منصور بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمد النيسابوري(ت: ٦٠٨هـ / ١٢١١م): (ابو القاسم ابو بكر ابو الفتح)[٢٥٧].

وعمد العيني الى ذكر شهرة المترجم له بالفاظ دالة على ذلك ("المعروف" "المنعوت" "ويعرف" "ويقال له") نحو قوله: (الحافظ ابن عساكر علي بن ابي محمد الحسني بن ابي الحسن هبة الله بن عبد الله بن الحسين، "المعروف بابن عساكر" الدمشقي...)[٢٥٨]، وقوله: (الفقيه ابو الفتوح نصر بن فتيان بن مطر الحنبلي، "المعروف بأبن المنى")[٢٥٩]، وقوله: (محمد بن احمد بن منصور "ويعرف بأبن باقة")[٢٦٠]، وقوله: (ابو الفضل وسران بن منصور بن وسران الكردي، "المعروف بالمثقف")[٢٦١]، وقوله: (ابو عبد الله الحسين بن محمد ... "ويعرف بابن الجهني")[٢٦٢]، وقوله: (ابو القاسم، عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن حمدان الطيبي، "المعروف بالصائن")[٢٦٣]، وقوله: (الشيخ الصالح ابو البركات الحسن بن محمد بن الحسين... "المعروف بزين الامناء")[٢٦٤]، وقوله: (ابو الغنائم سعيد بن حمزة بن احمد "ويقال له ابن ساروح")[٢٦٥].

وفي بعض الاحيان يسهب في الترجمة ويذكر اكثر من شهرة للمترجم له، كما في ترجمة الفقيه: (ابو الفرج عبد الله بن اسعد بن علي بن عيسى "المعروف بأبن الدهان الموصلي"، "ويعرف بالحمصي" ايضا، الفقيه الشافعي "المنعوت بالمهذب")[٢٦٦]،

ولم يقف العيني عند هذا الحد في ذكر اسم الشهرة وانما تعدى الى ابعد من ذلك مستخدما اسلوبا اخر وهو ذكره لاسم الشهرة قبل الاسم الصريح وبعده في ان واحد، كما ورد ذلك في ترجمة المحدث: ("ابن الخراساني" ابو عبد الله محمد بن محمد بن

الحسين...)[٢٦٧]، وفي ترجمة الفقيه: ("ابن الماشطة" الشيخ ابو محمد اسماعيل بن علي بن الحسين)[٢٦٨]، وفي ترجمة كاتب الانشاء: ("ابن الجهني" ابو عبد الله الحسين بن محمد ...الموصلي، ويعرف بابن الجهني)[٢٦٩]، وفي ترجمة النحوي: ("ابن معطي" يحيى بن معطي بن عبد النور الزواوي)[٢٧٠].

وكثيرا ما استخدم الصفات المادحة او التي تدل على مكانة المترجم له العلمية مثل: (المحدث ـ الفقيه ـ الشيخ[٢٧١] ـ الامام[٢٧٢] ـ الحافظ[٢٧٣] ـ العلامة[٢٧٤] ـ الواعظ[٢٧٥]، المسند[٢٧٦]، الحجة[٢٧٧]...)، وجاءت بطريقتين: احداهما تسبق الترجمة نحو قوله:(الفقيه مهذب الدين عبد الله بن اسعد الموصلي،)[٢٧٨]، وقوله: ("الشيخ" احمد بن الرفاعي...)[٢٧٩] ، وقوله: ("الامام" الشاطبي ابو محمد القاسم)[٢٨٠]، وقوله: ("الشيخ المسند المعمر رحلة الوقت" ابو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب...)[٢٨١]، وقوله: ("الشيخة العالمة الزاهدة شيخة العالمات" بدمشق وتلقب بدهن اللوز)[٢٨٢]، وقوله: (الحجة علي بن نصر بن هارون النحوي الحلي)[٢٨٣] وقوله: ("الشيخ الامام العلامة" جمال الدين ابو محمد عبد الله بن نجم ... السعدي)[٢٨٤]، وقوله: ("المحدث البارع" تقي الدين ابو طاهر اسماعيل بن عبد الله الانماطي)[٢٨٥] ("الامام" الرافعي ابو القاسم عبد الكريم)[٢٨٦]، وقوله: ("الشيخ" الصالح ابو البركات الحسن بن محمد... الشافعي)[٢٨٧].

والاخرى بعد ذكر اسمه نحو قوله: (ابو طاهر البرقي "الواعظ")[٢٨٨]، وقوله: (ابو العباس الخضر بن نصر بن عقيل بن نصر، الاربلي، "الفقيه" الشافعي)[٢٨٩]، وقوله: (ابو موسى محمد بن ابي بكر عمر بن ابي عيسى... "الحافظ المشهور")[٢٩٠]، وقوله: (ابن طبرزد "شيخ الحديث")[٢٩١]، وقوله: (مظفر بن شاشير "الواعظ الصوفي" البغدادي)[٢٩٢]، وقوله:(رستم بن سرهنك ابو القاسم الواعظ)[٢٩٣].

ويسبق الترجمة احيانا ببعض الالفاظ الدالة على المناصب الدنيوية مثلا: (القاضي ـ قاضي القضاة "شيخ الشيوخ" ـ الامير ـ الحاجب[٢٩٤] . الوزير[٢٩٥] ـ السلطان[٢٩٦] ـ الملك[٢٩٧] ـ الكاتب) نحو قوله: ("شيخ الشيوخ" صدر الدين عبد الرحيم بن اسماعيل)[٢٩٨]، وترجمة: ("الامير" سليمان بن جندر، من اكابر امراء حلب...)[٢٩٩]، وقوله: ("الملك"

مظفر الدين غزل ارسلان)[٣٠٠]، وقوله: ("الملك" المؤيد نجم الدين مسعود بن السلطان صلاح الدين يوسف)[٣٠١] وقوله في وفيات سنة(٥٨٨هـ /١١٩٢م): ("السلطان" عز الدين قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان بن سليمان بن قطلومش ... بن سلجوق صاحب بلاد الروم)[٣٠٢]، وقوله: ("قاضي القضاة" محي الدين محمد بن محمد بن عبد الله)[٣٠٣]، وقوله: ("القاضي" ابن الزكي)[٣٠٤]، وقوله: ("الخطيب" الدولعي)[٣٠٥]، وقوله: ("الوزير" ابن القصاب، محمد بن علي بن محمد) [٣٠٦]، وقوله: ("الوزير" ابن شكر صفي الدين ابو محمد عبد الله بن علي)[٣٠٧]، وقوله: ("الحاجب" حسام الدين علي الموصلي)[٣٠٨].

واذا حدث ان ترجم لاحد من ذوي البيوتات العريقة[٣٠٩] او الاصيلة النسب ذكر الفاظ تدل على اصالة او عراقة ذلك البيت او الاسرة، نحو قوله في ترجمة المحدث: (احمد بن علي بن المعمر بن محمد بن عبيد الله ابو عبد الله "الحسيني، نقيب العلويين")[٣١٠]، وقوله في ترجمة الاديب: (نقيب الطالبيين ببغداد ابو محمد الحسن بن علي بن حمزة... بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب "العلوي الحسيني")[٣١١]، وقوله في ترجمة الفقيه: (ابو المجد علي بن علي بن ناصر "السيد العلوي" مدرس الحنفية ببغداد)[٣١٢]، وقوله في ترجمة الفقيه:("الشريف" افتخار الدين عبد المطلب بن الفضل "العلوي")[٣١٣].

اما ذكره لنسبة المترجم له فقد اولاها اهمية قصوى بحيث ذكر نسبته العامة اوالخاصة او انتسابه الى الاسرة او المهنة او الصنعة او ما شابه ذلك.

وتفاوتت تراجمه في الانتساب فبعضها احتوى على النسبة العامة كالنسبة الى القبيلة وفروعها، او نسبة خاصة وهي الانتساب الى الاسرة، ومن ثم الانتساب الى البلد، وبعضها نسبه الى صنعته او حرفته او مذهبه... ، وبعض تراجمه تضمن اكثر من نسبة، وبعضه احتوى على اغلب عناصر الانتساب وكل ذلك جاء تبعا لتوافر المعلومات من المصادر التي اعتمدها. فالانتساب الى القبيلة وجدناه في ترجمة الاديب: (عبد الله بن احمد بن الحسين بن اسحق ابو محمد الحميري)[٣١٤]، وترجمة القاضي: (محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز ابو المعالي القرشي)[٣١٥].

اما النسبة الى البلد فوجدناه في ترجمة قاضي القضاة: (علي بن احمد بن علي بن محمد الدامغاني[٣١٦])[٣١٧]، وترجمة المحدث: (ابو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن سويدة التكريتي)[٣١٨]. وترجمة المقريء: (حمزة بن علي بن حمزة، ابو يعلى الحراني)[٣١٩]، واحيانا الانتساب الى المحلة ثم البلد كما في ترجمة الفقيه: (احمد بن محمد بن عمر ابو نصر العتابي البخاري)[٣٢٠].

وفي بعض الاحيان ينسب راويتنا صاحب الترجمة الى اكثر من بلد نحو قوله في ترجمة النحوي: (عبد الله بن ابي الوحش... المقدسي ثم المصري)[٣٢١].

وهناك وجه اخر للانتساب اتبعه العيني في كتابه وهو الانتساب الخاص الى العام في القبيلة وهذا ما وجدناه في ترجمة الامير: (اسامة بن منقذ... الكناني، الكلبي)[٣٢٢]، وهناك انتساب من القبيلة الى فروعها، نحو قوله في ترجمة الفخر الرازي محمد بن عمر بن الحسين بن علي(ت:٦٠٦هـ / ١٢٠٩م): (القرشي، التيمي البكري)[٣٢٣].

واحيانا اخرى يكون الانتساب للبلد ثم الديانة كما في ترجمة الاديب: (يحيى بن سعيد بن فارس ابو العباس البصري النصراني)[٣٢٤].

وهناك انتساب الى احدى العلوم التي اشتهر بها صاحب الترجمة نحو قوله في وفيات(٥٦٧هـ / ١١٧١م): (عرقلة الشاعر)[٣٢٥]، وقوله في ترجمة الشيخ ابو الخير مصدق بن شبيب(ت: ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م): (النحوي)[٣٢٦]، وقوله: (المهذب الطبيب المشهور)[٣٢٧]، واحيانا ينسبه الى اكثر من علم اشتهر به نحو قوله في ترجمة الحسن بن علي بن بركة بن عبيدة (ت: ٥٨٢هـ / ١١٨٦م): (المقريء... النحوي)[٣٢٨].

واحيانا يكون الانتساب بالجمع بين القبيلة والموطن، كما في ترجمة القاضي: (شرف الدين ابو طالب عبد الله بن زين القضاة... القرشي الدمشقي)[٣٢٩].

وفي بعض تراجمه يذكر اصل المترجم له، نحو قوله في ترجمة الشيخ حسن بن مسلم بن ابي الحسن (ت: ٥٩٤هـ / ١١٩٧م): (الفارسي)[٣٣٠]، وقوله في ترجمة قاضي القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس(ت: ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م): (الكردي)[٣٣١]، وقوله في ترجمة الامير ابراهيم بن احمد: (الكردي)[٣٣٢].

وتظهر براعة العيني عندما يحدد الانتساب الى مكان ولادته نشأته ووفاته، فأحيانا يلد في مكان، ويدرس ويصبح شيخا في مكان، وتكون وفاته في مكان اخر، او ان ذلك لكثرة رحلاته وولعه في طلب العلم، او ان يكون قد عركته الحياة ساعيا وراء لقمة العيش...، وهذا ما وجدناه في: (طاهر بن محمد بن طاهر ابو زرعة المقدسي الاصل، الرازي المولد، الهمداني الدار)[٣٣٣]، وترجمة الشيخ تاج الدين الكندي(٦١٣هـ / ١٢١٦م) قوله: (البغدادي المولد والمنشأ، الدمشقي الدار)[٣٣٤]، وكما في ترجمته لابو سعيد محمد بن محمود بن محمد (ت: ٦١٦هـ / ١٢١٩م) اذ قال: (المروزي الاصل، الهمذاني المولد، البغدادي المنشأ والوفاة)[٣٣٥]، وقوله في ترجمة رضي الدين المؤيد بن محمد بن علي(ت: ٦١٧هـ / ١٢٢٠م): (الطوسي الاصل، النيسابوري الدار)[٣٣٦].

ومن الملاحظ اهتمام العيني بذكر المذهب الذي ينتمي اليه المترجم له فهذا: (ابراهيم بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن بكروس ... الحنبلي)[٣٣٧]، وترجمة الواعظ: (محمد بن علي بن نصر الحنبلي)[٣٣٨]، وترجمة الفقيه: (العميدي ابو حامد محمد بن محمد بن محمد... الحنفي المذهب)[٣٣٩]، وترجمة الاديب: (عبد القادر بن داود ابو محمد ... الشافعي)[٣٤٠].

وتمثلت دقة العيني بانه كان يتابع المترجم له في تحوله من مذهب الى اخر دون الاشارة الى الاسباب التي ادت الى ذلك التحول، ووجدنا ذلك واضحا في ترجمة الفقيه: (ابو الحسن علي بن سعيد بن الحسن البغدادي... كان حنبليا ثم اشتغل شافعيا... ويقال انه صار بعد هذا كله الى مذهب الامامية[٣٤١])[٣٤٢]، وفي ترجمة النحوي: (الوجيه الاعمى ابو بكر المبارك بن ابي طالب المبارك بن ابي الازهر سعيد بن الدهان ... كان حنبليا فأنتقل الى مذهب ابي حنيفة، ثم صار شافعيا)[٣٤٣]، وترجمة الامام: (الشيخ تاج الدين الكندي، زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن... وكان حنبليا ثم صار حنفيا...)[٣٤٤].

ولم تغب عن صاحبنا المهنة اوالحرفة واثرها في ان يكون المترجم له قد اشتهر بها، فكانت من الاساليب الواضحة لديه، نحو قوله في ترجمة المحدث: (محمد بن نسيم بن عبد الله ابو عبد الله "الخياط")[٣٤٥]، وفي ترجمة العالم: (يحيى بن اسعد بن يحيى بن

بوش، ابو القاسم "الخباز" البغدادي)[٣٤٦]، وترجمة القارئ: (ابو الثناء محمود بن هبة الله بن ابي القاسم الحلي "البزاز")[٣٤٧].

واحيانا تحتوي الترجمة على اكثر من نسبة، كما في ترجمة الشيخ: (ابو شجاع محمد بن علي بن شعيب بن الدهان الفرضي الحاسب المؤرخ البغدادي)[٣٤٨]، ووجدناه في ترجمة النحوي: (ابو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين، العكبري... البغدادي... الحنبلي، الحاسب، الفرضي، النحوي، الضرير)[٣٤٩]، وترجمة الامير: (ابو عزيز قتادة بن ادريس بن مطاعن بن عبد الكريم العلوي الحسني الزيدي)[٣٥٠]، وترجمة الرئيس: (عز الدين مظفر بن الاسعد بن حمزة التميمي القلانسي)[٣٥١].

كما وان بعض تراجمه فقط نوه الى اسم المترجم له كما مر بنا في الكثير من الامثلة. وفي ترجمة الامير صاحب تل باشر[٣٥٢]: (دلدروم بن ياروق)[٣٥٣]، وترجمة: (قطب الدين بن العادل)[٣٥٤].

المصادر والهوامش:

---

(١) ينظر ترجمته: المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين (ت: ٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧م، ج٤، ص١٤٥؛ ابن حجر العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت: ٨٥٢هـ)، رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ص٤٣٢؛ العيني: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين العيتابى الحنفى بدر الدين (ت: ٨٥٥هـ)، مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، مقدمة المحقق، ج١، ص٣؛ السخاوي: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (ت: ٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ج١٠، ص١٣١؛ ابن شاهين: زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين الظاهريّ الملطيّ ثم القاهري الحنفيّ (ت: ٩٢٠هـ)، نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر،

بيروت، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م، ج١، ص١٠؛ السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت : ٩١١هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، مصر، ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م، ج١، ص١٠؛ ابن طولون: شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه الدمشقي الصالحي الحنفي (ت: ٩٥٣هـ) : إنباء الأمراء بأنباء الوزراء، تحقيق: مهنّا حمد المهنّا، ط١، دار البشائر الاسلامية، بيروت، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م، ص ٦٥.

(٢) العيني: شرح سنن أبي داود، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ –١٩٩٩ م، مقدمة المحقق، ج١، ص٧؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص١٣١؛ الداوودي: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين المالكي (ت: ٩٤٥هـ)، طبقات المفسرين، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ج١، ص٤٣٢؛ ابن طولون، انباء الامراء، ص٦٥.

(٣)العيني: شرح سنن أبي داود، ج١، ص٧؛ ابن تغري بردي: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي أبو المحاسن جمال الدين (ت: ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، د.ت، ج١٦، ص٨؛السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٣١؛ خليفة: مدرسة الحديث في مصر، ص٥٧.

(٤) ابن حجر العسقلاني، رفع الاصر، ص٤٣٢؛ السخاوي، الضوء اللانع، ج١٠، ص١٣١؛ السيوطي: ؛ نظم العقيان في اعيان الاعيان، تحقيق: فيليب حتي، المكتبة العلمية، بيروت،د.ت، ص١٧٤؛ نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، السعودية، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٥ م ، ج١، ص١١٤؛ ابن شاهين، نيل الامل، ج١، ص ١٠؛ الداوودي: طبقات المفسرين، ج١، ص٤٣٢.

(٥) ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٤، ص١٧٦؛ ابن عبد الحق: ، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين (ت: ٧٣٩هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ج٢، ص٩٧٧.

(٦) العيني: نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، مقدمة المحقق، ج١، ص١؛ ابن حجر العسقلاني: رفع الاصر، ص٤٣٢؛ الزرقاني: أبو عبد الله محمد بن عبد

الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد المالكي (ت: ١١٢٢هـ)، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ج١، ص٤٢٤؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص٢٩٤.

(٧) العيني: نخب الافكار، مقدمة المحقق، ج١، ص١؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج٢، ص٢٩٤؛ البغدادي: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني (ت: ١٣٩٩هـ)، ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمور الدين والمعلم رفعت بيلكه الكليسى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤، ص١١٩.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٣١؛ ابن شاهين: نيل الامل، ج١، ص١٠؛ كحالة: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي (ت: ١٤٠٨هـ)، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج١٢، ص١٥٠.

(٩) عبد الحي الكتاني: محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني (ت: ١٣٨٢هـ)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢م، ج٢، ص٨٣٩؛ البغدادي: ايضاح المكنون، ج٤، ص١١٤.

(١٠) سبط بن العجمي: أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل، موفق الدين، أبو ذر (ت: ٨٨٤هـ)، كنوز الذهب في تاريخ حلب، ط١، دار القلم، حلب، ج١، ص٥١٣؛ القسطلاني: احمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: ٩٢٣هـ)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د. ت، ج١، ص١٢٦، هامش(٢)؛ الداوودي: طبقات المفسرين، ج١، ص٤٣٢؛ ابن طولون، انباء الامراء، ص٦٥.

(١١) العيني: مغاني الاخيار، مقدمة المحقق، ج١، ص٣؛ العيني: عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، ط٢، تحقيق: محمود رزق محمود، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠، ج١، ص١٨؛ ابو جليدان: موسى سالم ابراهيم، بدر الدين العيني ومنهجه النحوي في كتابه" عمدة القاري شرح صحيح البخاري" دراسة نحوية تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، الجامعة الاسلامية، غزة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص٩.

(١٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٣١؛ الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج٢، ص٢٩٤.

(١٣) ابن حجر العسقلاني: رفع الاصر، ص٤٣٢؛ الداوودي: طبقات المفسرين، ج١، ص٤٣٢؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٤٧٣؛ نظم العقيان، ص١٧٤؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج٢، ص٢٩٤؛ اللكنوي: محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري الهندي، أبو الحسنات (ت: ١٣٠٤ هـ)، الانصاف في حكم الاعتكاف، حققه وخرج نصوصه وعلق عليه: مجد بن أحمد مكي، ط٣، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص٢٤.

(١٤)العيني: نخب الافكار، مقدمة المحقق، ج١، ص١١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٨؛ السخاوي: نظم العقيان، ص١٧٤؛ سركيس: معجم المطبوعات، ج٢، ص١٤٠٢؛ شكري: ايمان عمر، السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة من خلال مخطوط عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان (٧٨٤- ٨٠١هـ/ ١٣٨٢- ١٣٩٨م)، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة،٢٠٠٢م، ص١٧.

(١٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٨؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٣٣؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج١٢، ص١٥٠.

(١٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٨؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٣٣؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٤٧٤؛ نظم العقيان، ص١٧٤؛ ابن شاهين: نيل الامل، ج١، ص١٠؛ القسطلاني: المواهب اللدنية، ج١، ص١٢٦؛ الداوودي: طبقات المفسرين، ج١، ص٤٣٢؛ ابن طولون: انباء الامراء، ص٦٥.

(١٧) العيني: شرح سنن ابي داوود، مقدمة المحقق، ص١٢؛ نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م، مقدمة المحقق، ج١، ص١٧؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٣٣.

(١٨) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢٧٥.

(١٩) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٨١.

(٢٠) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٤١.

(٢١) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ٣٨.

(٢٢) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ٨٤.

(٢٣) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٥٤.

(٢٤) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ٩٠.

(٢٥) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ١٥٦.

(٢٦) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٢٣٧.

(٢٧) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ١٦٣.

(٢٨) العيني: عقد الجمان، ج١، ص ١٠٧.

(٢٩) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢٦.

(٣٠) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ١٣٤.

(٣١) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٧١، ج٣، ص٦٨، ٧٤، ٧٧.

(٣٢) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٨١.

(٣٣) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٥٤.

(٣٤) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٤١.

(٣٥) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص١٤٤.

(٣٦) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢٦.

(٣٧) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٦٧.

(٣٨) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٨٦.

(٣٩) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٧٠.

(٤٠) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٣٤٠.

(٤١) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٧٥.

(٤٢) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٢٧.

(٤٣) العيني: عقد الجمان، ج١، ص ٩٠.

(٤٤) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص١٨٣.

٤٥ العيني: عقد الجمان، ج١، ص٩١.

(٤٦) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١١٢.

٤٧ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢١٩..

(٤٨) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٨٨.

(٤٩) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٩٧.

(٥٠) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢٩.

(٥١) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٧٤، ١٤١، ١٥٠، ج٣، ص ٥٠، ١٣٢.

(٥٢) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٦٢.

(٥٣) العيني: عقد الجمان، ج١، ص ٧٢.

(٥٤) العيني: عقد الجمان، ج١، ص ٢٦٧.

(٥٥) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص١١٦.

٥٦ العيني: عقد الجمان، ج٤، ص١٢٦.

(٥٧) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٢٣٧.

(٥٨) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص١٩٧.

(٥٩) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٥٢.

(٦٠) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ٩٩.

(٦١) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٢١٩.

(٦٢) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٥٤.

(٦٣) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص١٢٨.

(٦٤) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٩٩، ٢٠٢.

(٦٥) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٩٩.

(٦٦) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢٧٥.

(٦٧) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٢٩.

(٦٨) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص١٩٨.

(٦٩) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص١٣٠.

(٧٠) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص١٩٤.

(٧١) العيني: عقد الجمان، ج١، ٢٤٧.

(٧٢) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٣٠، ج٢، ص ١١٧، ص٢٦٤.

(٧٣) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ٢٨٠.

(٧٤) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص١٨٣.

(٧٥) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٥١.

(٧٦) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص١٤٤.

(٧٧) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٧٠.

(٧٨) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٤٤.

(٧٩) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ٢١٥.

[٨٠]جنكيزخان: هو جنكز بن بيسوكى بن بهادر بن تومان بن برتيل خان بن تومينه بن باد سنقر بن تيدوان ديوم بن بقا بن مودنجه، من قبيلة تركية تسمى قيات من أشهر قبائل المغل، وأكثرهم عددا، ولد سنة (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م) وكان اسمه حين بلغ من العمر ١٣ سنة تموجين لان اباه سماه بهذا الاسم بعد ان هزم اميرا اسمه تموجين، ثم ابدل هذا الاسم بـ - جنكيز - و - خان - تمام الاسم، وهو بمعنى الملك عندهم، وجنكيز خان ملك المغول الاول الذي انشأ دولتهم فملكوه عليهم واطاعوه، فكون منهم جيشا قويا دمر به الدولة الخوارزمية وبلاد ما وراء النهر وزحف الى الشرق الاسلامي واحتل بغداد وقتل معظم سكانها، توفي جنكيز خان سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٦م). : ابن واصل: محمَّد بن سالم بن نصرالله بن سالم، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، جمال الدين (ت: ٦٩٧هـ)، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تحقيق: حسنين محمد ربيع وسعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، المطبعة الأميرية، القاهرة،١٣٧٧- ١٩٥٧م، ج٤، ص٣٦؛ ابن كثير: ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط١، دار احياء التراث العربي،١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج١٣، ص ١٣٧- ١٣٨؛ ابن خلدون:عبد الرحمن بن محمد بن محمد، أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، ج٧، ص ٧٢٤؛ سبط بن العجمي: كنوز الذهب، ج١، ص٦٠٤؛ بياني: شيرين، المغول التركيبة الدينية والسياسية، ترجمه عن الفارسية: سيف علي، راجعه وقدم له: نصير الكعبي، المركز الاكاديمي للابحاث، بيروت، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، ص٢٨- ٢٩.

[٨١] العيني: عقد الجمان، ج٣، ص١٦٦.

[٨٢] العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٢٧٠.

[٨٣] العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٥٤.

[٨٤] العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ٢٧٧.

[٨٥] العيني: عقد الجمان، ج٤، ١٦٤.

[٨٦] العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ١٧.

[٨٧] العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ٥١.

[٨٨] العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٥٩.

[٨٩] العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ١١٠.

(٩٠) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ١١٨.

(٩١) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٥٢.

(٩٢) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٥٠.

(٩٣) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٥٢.

(٩٤) التضعيف: هو ان يزاد على اصل الشيء فيجعل مثلين او اكثر، وكذلك الإضعاف والمضاعفة. يقال ضعفت الشئ وأضعفته وضاعفته، وضعف الشيء: مثله، وضعفاه: مثلاه، واضعافه: امثاله. ينظر: الجوهري: الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ج٤، ص١٣٩٠.

(٩٥) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن عبد شمس الاموي الدمشقي، القرشي، آخر خلفاء بني أمية ، يقال له الحمار لشجاعته وصبره، ويلقب بالجعدي نسبة لمؤدبه جعد بن درهم،. ولد بالجزيرة سنة اثنتين وسبعين، وكانت خلافته من سنة (١٢٧هـ/٧٤٤م) الى سنة(١٣٢هـ/٧٤٩م). ينظر: ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (ت: ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى ـ القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، تحقيق: زياد محمد منصور، ط٢، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م، ص١٥٢؛ ابن تغري بردي: مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ت، ج١، ص١١٠.

(٩٥) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٢٥.

(٩٦) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٢٥.

(٩٧) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٤٢.

(٩٨) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ٨٥.

(٩٩) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ٨٨.

(١٠٠) المستنصر العلوي: أبو تميم معد الملقب المستنصر بالله بن الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بن العزيز بن المعز لدين الله ، بويع له بالخلافة بعد وفاة والده الظاهر سنة(٤٢٧هـ/١٠٣٥م) وكان له من العمر سبع سنين، توفي سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م). ينظر: ابن خلكان: ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م، ج٥، ص٢٢٩ ؛ الذهبي: شمس

الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: ٧٤٨هـ)، سير اعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ج١١، ص٤٤١.

(١٠١) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص١٣٢.

١٠٢ اللاذقية: مدينة رومية قديمة في ساحل بحر الشام غربي جبلة تعد من أعمال حمص، والآن من أعمال حلب. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٥- ٦.

(١٠٣) الكامل، ج٩، ص٣٦٩.

(١٠٤) عقد الجمان، ج١، ص ٩٥.

١٠٥ سعد الدين كمشتكين، نائب حلب للملك الصالح إسماعيل بن نور الدين ومدبر دولته، توفي سنة(٥٧٣ هـ/١١٧٧م). ينظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي،١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج١٢، ص٥٢٧.

(١٠٦)نهاية الارب ، ج٢٧، ص١٦٩- ١٧٠.

(١٠٧) العيني: عقد الجمان، ج١، ص ١٩٨.

١٠٨ جبلة: قرية بالشام من أعمال اللاذقيّة قرب حلب. ينظر: الهمداني: ابو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي زين الدين (ت: ٥٨٤هـ)، الأماكن، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص ١٩٠؛ ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع، ج١، ص٣١٢.

(١٠٩) يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي أبو المحاسن بهاء الدين (المتوفى: ٦٣٢هـ)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م، ص١٤٤.

(١١٠) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٩٨.

(١١١) ابو شامة: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (المتوفى: ٦٦٥ هـ)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م، ج٢، ص١٤٣؛ العيني: عقد الجمان، ج١، ص٣٦.

(١١٢)البداية والنهاية، ج ١٢، ص٣٤٦؛ عقد الجمان، ج١، ص١٦٦.

(١١٣) وفيات الاعيان، ج٣، ص٥٤؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ١٣٣.

(١١٤)عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المؤيد(ت: ٧٣٢هـ)، المختصر في اخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية المصرية، د.ت، ج٣، ص٩٢؛ العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٣٧- ٣٨.

(١١٥) البيرة: وهي كورة كبيرة بالأندلس، ومن قواعدها الجليلة، بينها وبين قرطبة تسعون ميلا، وبينها وبين غرناطة ستة اميال، وأرضها كثيرة الأنهار والأشجار، وفيها معادن ذهب وفضة وحديد ونحاس، من مدنها: قسطيلية. ينظر: معجم البلدان، ج١، ص٢٤٤؛ الحميري: الروض المعطار، ص٢٨.

(١١٦) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٣٢٦.

(١١٧) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٣٢٦.

(١١٨) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٤٦.

(١١٩) الحاكم: أبو علي المنصور الملقب الحاكم بأمر الله بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم ابن المهدي، تولى الحاكم العهد من أبيه في حياته، وذلك في شعبان سنة ثلاث (٣٨٣هـ / ٩٩٣م)، ثم استقل بالأمر بعد وفاة والده، توفي سنة (٤١١هـ / ١٠٢٠م). ينظر: ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج٥، ص٢٩٢؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، ج٩، ص ١٩٨.

(١٢٠) بعد التحري ظهر لنا ان قائل هذا البيت هو محمد بن هاني أبو الحسن الأزدي المهلبي الأندلسي المولود بإشبيلية، يقال أنه من ذرية المهلب بن ابي صفرة، وكان أبوه شاعرا أيضا، وكان ابن هاني مقربا من صاحب إشبيلية، ونظمه بديع في الذروة، وكان حافظا لأشعار العرب وأيامها، ولقب بشاعر العصر، لكنه فاسق خمير، يتهم بدين الفلاسفة، وديوانه كبير، وفيه مدائح تفضي به إلى الكفر، وهو من نظراء المتنبي، توفي في رجب سنة (٣٦٢هـ / ٩٧٢م). ينظر: الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج١٢، ص٢٠٩.

(١٢١) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٧٧.

(١٢٢) سورة النازعات/ الاية ٢٤.

(١٢٣) سورة البروج/ الاية ١.

(١٢٤) العيني: عقد الجمان، ج١، ص ٢٠٧.

(١٢٥) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن بجير ابن معاوية بن قحافة ابو يوسف القاضي، البجلي الانصاري الكوفي الحنفي، ولد سنة (١١٣هـ/ ٧٣١م)، قاضي موسى الهادي، وفي عهد الرشيد ولي قضاء القضاة، وهو أول من خوطب بقاضي القضاة وكان قد استخلف ابنه يوسف على

الجانب الغربيّ وكان يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب والفقه توفي سنة (١٨٢هـ / ٧٩٨م) . ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٢٣٨؛ وكيع الظبي: ابو بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة البغدادي(ت:٣٠٦هـ / ٩١٨م)، أخبار القضاة، تحقيق:عبد العزيز مصطفى المراغي، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر،(١٣٦٦هـ /١٩٤٧م)،ج٣، ص٢٥٤- ٢٥٦؛ الصيمري: الحسين بن علي بن محمد بن جعفر، أبو عبد الله الحنفي (ت: ٤٣٦هـ)، أخبار أبي حنيفة وأصحابه، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص٩٧؛ ابن الفوطي الشيباني: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف (ت: ٧٢٣ هـ)، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد الكاظم، ط١، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ج٣، ص٣١٥.

(١٢٦) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ١٨٣.

(١٢٧) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٧٨.

(١٢٨) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٢٥٩.

(١٢٩) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ٣٣٩.

(١٣٠) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٢٧٥.

(١٣١) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص ٢٢٨.

(١٣٢) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص١٠٧.

(١٣٣) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص١٢٦.

(١٣٤) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص١٤٥.

(١٣٥) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٣٢٤.

(١٣٦) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٩٩.

(١٣٧) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٨٥.

(١٣٨) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٨٢.

(١٣٩) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٠١.

(١٤٠) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٠٣.

(١٤١) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٦٥.

(١٤٢) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٣٨.

(١٤٣) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٣٥٣.

(١٤٤) العيني: عقد الجمان، ج١، ص ٢٨٨.

(١٤٥) سروج: بلدة قديمة بين الجبال قريبة من حران من ديار مضر، كثيرة الكروم، فتحها الصحابي عياض بن غنم صلحا في ايام الخليفة عمرﷺ سنة (١٧هـ/٦٣٨م)، ونسب اليها جمع من العلماء. ينظر: البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت: ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٧٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣١٦.

(١٤٦) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٨٩.

(١٤٧) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ١٧٣.

(١٤٨) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٥٩.

(١٤٩) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٨٧.

(١٥٠) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٥٢.

(١٥١) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢١.

(١٥٢) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٥٤.

(١٥٣) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٤٠.

(١٥٤) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٩٦.

(١٥٥) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٨٢.

(١٥٦) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٥٣.

(١٥٧) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٨٢.

(١٥٨) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص١٣٥.

(١٥٩) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٤٠.

(١٦٠) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٧٢.

(١٦١) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٢٢٢.

(١٦٢) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٣.

(١٦٣) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٩٤.

(١٦٤) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٤٦.

(١٦٥) العيني: عقد الجمان، ج٣، ٢٧٨.

(١٦٦) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٢٩٤.

(١٦٧) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٤٧.

(١٦٨) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص١٠٠.

(١٦٩) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٣٠٣.

(١٧٠) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٢٢١.

(١٧١) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٢٠.

(١٧٢) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٩٣.

(١٧٣)الناسك: من ألقاب الصّوفية وأهل الصلاح، ومعناه العابد وهي مأخوذه من النّسك وهو العبادة. ينظر: الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت: ١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت، ج٥، ص٣١٤؛ القلقشندي: احمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري (ت: ٨٢١هـ)، صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج٦، ص٣٢.

(١٧٤) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٠٤.

(١٧٥) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٣٢١.

(١٧٦) الزاهد: من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، وهو خلاف الراغب، والمراد به القليل الرغبة في الدنيا. ينظر: ابو بكر الانباري: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار(ت : ٣٢٨هـ)، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م،ج١، ص١٠٨؛ القلقشندي: صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، ج٦، ص١٣.

(١٧٧) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٩٠.

(١٧٨) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١١١.

(١٧٩) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٣١٣.

(١٨٠) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص١٩٨.

(١٨١) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ٥٤.

(١٨٢) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٥٤.

(١٨٣) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٨٣.

(١٨٤) العيني: عقد الجمان: ج٤، ص١١٠.

(١٨٥) العيني: عقد الجمان: ج٣، ص٢٨٥.

(١٨٦) العيني: عقد الجمان: ج٤، ص٢٠.

(١٨٧) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٩١.

(١٨٨) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٩٠.

(١٨٩) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٣٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٨، ١٧١، ١٨٣، ٢٩٩، ٣٢٤.

(١٩٠) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٦٧، ج٣، ص٥٥، ج٤، ص١٦٥، ٢٧٧.

(١٩١) العيني: عقد الجمان، ج ١، ص ١٤٧.

(١٩٢) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٩٢.

(١٩٣) العيني: عقد الجمان، ج١، ص ٢٧٠.

(١٩٤) العيني: عقد الجمان، ج١، ص ٢٨١.

(١٩٥) العيني: عقد الجمان، ج١، ٢٨٩.

(١٩٦) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١١٤.

(١٩٧) المقتفي لأمر الله: ابو عبد الله محمد بن المستظهر بالله احمد بن عبد الله بن محمد القائم بأمر الله العباسي. ولد سنة (٤٨٩هـ / ١٠٩٥م)، وتولى الخلافة سنة (٥٣٠هـ / ١١٣٥م)، وكان عالما فاضلا شجاعا ورعا تقيا، اعاد للخلافة هيبتها وقوتها، فكان يتولى الامور بنفسه، وغزا اكثر من مرة، توفي سنة (٥٥٥ هـ / ١١٦٠م). ينظر: الاربلي : المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي (ت: ٦٣٧هـ)، تاريخ اربل، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، ط١، وزارة الثقافة والإعلام، العراق،١٤٠١هـ - ١٩٨٠م، ج٢، ص٥٢٤؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ، ج٦، ص٢٣٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٥٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٠٠.

(١٩٨) العيني: عقد الجمان، ج٢، ٢٩٥.

(١٩٩) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٢٩٦.

(٢٠٠) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٣١٣-٣١٤.

(٢٠١) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٥٣- ٥٩.

(٢٠٢) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٣٥- ٣٦.

(٢٠٣) العيني: عقد الجمان، ج٢٩٦- ٣٠٤.

(٢٠٤) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص١٨٨- ١٨٩.

(٢٠٥) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص١٨٣- ١٨٦.

(٢٠٦) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص١٦٦- ١٧١.

(٢٠٧) الجيلي: نسبة الى جيلان وهي بلاد متفرقة من بلاد العجم وراء طبرستان، وأصلها بالعجمية كيلان فعربت إلى جيلان. ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٠١؛ الفيومي: أحمد بن محمد بن علي الحموي أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت، ج١، ص١١٦.

(٢٠٨) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٤٦.

(٢٠٩) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٨١.

(٢١٠) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٩٧.

(٢١١) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢٩٥.

(٢١٢) العكبري: نسبة إلى عكبرا، وهي بليدة من نواحي الدجيل على بعد عشرة فراسخ من بغداد. ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٤٢؛ البعلي: محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل أبو عبد الله شمس الدين (ت: ٧٠٩هـ)، المطلع على ألفاظ المقنع، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، ط١، مكتبة السوادي للتوزيع، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م، ص ٥٥١.

(٢١٣) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٤٥.

(٢١٤) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢١١.

(٢١٥) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص١٩٩.

(٢١٦) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص١٩٨.

(٢١٧) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٨٢.

(٢١٨) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢١١.

(٢١٩) العيني: عقد الجمان، ج١، ص ١٨٩.

(٢٢٠) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢١٣.

(٢٢١) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٢١.

(٢٢٢) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٧٢.

(٢٢٣) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٨٩.

(٢٢٤) العيني: عقد الجمان، ج١، ص ٢٩٦.

(٢٢٥) العيني: عقد الجمان، ج١، ص ١١٨.

(٢٢٦) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٥٢.

(٢٢٧) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢٩٤.

(٢٢٨) العيني: عقد الجمان، ج١، ص ١٢١.

(٢٢٩) الجعبري: نسبة الى قلعة جعبر، وتقع على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين، وكانت قديما تسمى دوسر فملكها رجل من بني قشير أعمى يقال له جعبر بن مالك فنسبت اليه، وهي ذات خيرات وفيرة واسواق عامرة كثيرة. ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١٤٢؛ ابن عبدالحق: مراصد الاطلاع، ج١، ص٣٣٥.

(٢٣٠) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص١٤٩.

(٢٣١) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢١٥.

(٢٣٢) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص١٠٨.

(٢٣٣) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص١٦٠.

(٢٣٤) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٣٤.

(٢٣٥) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٣٥٣.

(٢٣٦) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٦٥.

(٢٣٧) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٣٦.

(٢٣٨) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٧٣.

(٢٣٩) العيني: عقد الجمان، ج١، ص ١٨٣.

(٢٤٠) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٣٢.

(٢٤١) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢١٧.

(٢٤٢) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٣٢.

(٢٤٣) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٩٦.

٢٤٤ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١، ص٤٦.

(٢٤٥) العيني: عقد الجمان، ج١، ص ٢٦٨.

(٢٤٦) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢٢.

(٢٤٧) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٧٦.

(٢٤٨) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص١٤٨.

(٢٤٩) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٨٣.

(٢٥٠) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٩.

(٢٥١) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢١٩.

(٢٥٢) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص١٨٨.

(٢٥٣) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٦٥.

(٢٥٤) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص١١١.

(٢٥٥) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٣٧.

(٢٥٦) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٣٧.

(٢٥٧) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ٢٦٠.

(٢٥٨) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٣٢.

(٢٥٩) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٩٢.

(٢٦٠) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٤٦.

(٢٦١) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٣٠٥.

(٢٦٢) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٣٨.

(٢٦٣) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص ١٨٩.

(٢٦٤) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٢٥٧.

(٢٦٥) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص ٣٠٦.

(٢٦٦) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٣٩.

(٢٦٧) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٣٤.

(٢٦٨) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٧٤.

(٢٦٩) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٣٨.

(٢٧٠) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٢٧٦.

(٢٧١) الشيخ: من ألقاب العلماء والصلحاء ويطلق على الكبير في السّن، ولقّب به أهل العلم والصّلاح توقيرا لهم كما يوقّر الشيخ الكبير. القلقشندي: صبح الاعشى، ج٦، ص١٧.

(٢٧٢) الإمام: هو كل من اقتدي به لقول الله عز وجل في ابراهيم عليه السلام(... إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً...) (سورة البقرة/الاية ١٢٤)، والامام تطلق ايضا على أكابر العلماء. ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين(ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج١، ص٢٨؛ القلقشندي: صبح الاعشى، ج٦، ص٨.

[٢٧٣] الحافظ: الحفظ نقيض النسيان، وحفظ الشيء حفظا، ورجل حافظ من قوم حفاظ، والحافظ من ألقاب المحدّثين، والمراد به حفظ الحديث. ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي [ت: ٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ج٣، ص٢٨٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٦، ص٥٠.

[٢٧٤] العلّامة: بالتشديد من ألقاب أكابر العلماء، وهو العالم للغاية والهاء للمبالغة. الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٥، ص١٩٩٠؛ القلقشندي: صبح الاعشى، ج٦، ص٢١.

[٢٧٥] الواعظ: مفرد وعاظ، وهو من ينصح ويذكر ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. مصطفى: إبراهيم واخرون، دار الدعوة، القاهرة، د.ت، ج٢، ص١٠٤٣.

[٢٧٦] المسند: مأخوذة من سند وهي مفرد اسانيد، والاسناد في الحديث ما أسند إلى قائله أي اتصل إسناده حتى يسند إلى النبي صلى الله عليه واله وسلم، والراوي للحديث عن طريق السند يسمى المسند. ينظر: الجرجاني: علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: ٨١٦هـ)، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، ص٢١٢؛ الزبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض(المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت، ج٨، ص٢١٦- ٢١٧.

[٢٧٧] الحجّة: وهو الذي أحاط علمه بثلاثمائة ألف حديث. التهاوني: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي (ت: بعد ١١٥٨هـ)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، بيروت، ج١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص٣٧.

[٢٧٨] العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٣٩.

[٢٧٩] العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٣٢٦.

[٢٨٠] العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢١.

[٢٨١] العيني: عقد الجمان، ج٣، ص١٠٧.

[٢٨٢] العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٣٢٦.

[٢٨٣] العيني: عقد الجمان، ج٣، ٣٥٣.

[٢٨٤] العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٢٠.

[٢٨٥] العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٧١.

[٢٨٦] العيني: عقد الجمان، ج٤، ص١٨٩.

[٢٨٧] العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٢٥٧.

(٢٨٨) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٦٤.

(٢٨٩) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٨٣.

(٢٩٠) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٣٩.

(٢٩١) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٥٢.

(٢٩٢) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٥٣.

(٢٩٣) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٨٢.

٢٩٤ الحاجب: وهي وظيفة ادارية يقوم صاحبها بمنع الناس من الدخول على الخليفة او السلطان او الملك او الامير، ويقوم بحفظ باب الخليفة والاستئذان للداخلين عليه بحسب مراكزهم الاجتماعية واهمية عملهم. الفيومي: المصباح المنير، ج١، ص١٢١؛ ابن خلدون: العبر، ص٢٩٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٢٩٦.

٢٩٥ الوزير: هو عون الخليفة، بحمل عنه اعباء السياسة، ويرجع الى رأيه واستشارته عند الضرورة. ينظر: الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٢، ص٨٤٥؛ مجد الدين ابو السعادات: المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج٥، ص١٧٩- ١٨٠.

(٢٩٦)السلطان: مشتقة من السليط، وهو ما يضاء به ومن ذلك قيل للزيت السليط، والسلطان الحجة والبرهان، ولذلك قيل للأمراء: سلاطين لأنهم الذين تقام بهم الحجج والحقوق، ودليل ذلك قوله تعالى: (مَا أَغْنى عَنِّي مالِيَهْ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطانِيَهْ) (سورة الحاقة/ اية ٢٨،٢٩)؛ الهروي: تهذيب اللغة، ج١٢، ص ٢٣٥.

(٢٩٧) الملك: مَلِكٌ ومالِكٌ ومَلِيك ومَلْك وَالْجمع أَمْلَاك ومُلاَّك ومُلُوك ومُلْكاهُ، و مالِكٌ لَيْسَ بمبالَغٍ فِيهِ عَن مَلِك ولكنَّ مَلِكا أعمُّ فَكل مَلِك مالِكٌ وَلَيْسَ كُلُّ مَالك مَلِكاً، والملك هو من اتسعت مقدرته على أشياء كثيرة. ينظر: العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران(ت: نحو ٣٩٥هـ)، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ص٢٨٢؛ ابن سيده: المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ج١، ص ٣٢٢.

(٢٩٨) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٣٢.

(٢٩٩) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢٢١.

(٣٠٠) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٢٢١.

(٣٠١) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٤٠.

(٣٠٢) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢٥٥.

(٣٠٣) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ١٧٠.

(٣٠٤) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص١٥٧.

(٣٠٥) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص١٥٨.

(٣٠٦) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٤٦.

(٣٠٧) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص١٢٦.

(٣٠٨) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٢٢٨.

(٣٠٩) العراقة: ماخوذة من "العريق" وهو من ألقاب ذوي الأصالة، والمراد من له عراقة في كرم الأصل. القلقشندي: صبح الاعشى، ج٦، ص٢٠.

(٣١٠) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٨١.

(٣١١) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٥٣.

(٣١٢) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٦٨.

(٣١٣) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٢٠.

(٣١٤) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٠١.

٣١٥ العيني: عقد الجمان، ج٣، ص١٥٧.

(٣١٦) الدامغاني: نسبة الى دامغان بلد كبير بين الري ونيسابور كثير الفواكه والمياه والأشجار. ينظر: القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣٦٥؛ ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع، ج٢، ص٥١٠.

(٣١٧) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٩١.

(٣١٨) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١١٣.

(٣١٩) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ١٨٤.

(٣٢٠) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٧٠.

(٣٢١) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص ٥٢.

(٣٢٢) عقد الجمان، ج٢، ص١١٢.

(٣٢٣) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ٢٣٧.

(٣٢٤) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢٩٥.

(٣٢٥) العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٠٢.

(٣٢٦) العيني: عقد الجمان، ج٣، ٢٢٧.

(٣٢٧) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٧٧.

(٣٢٨) العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٥٣.

(٣٢٩) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٣٥٢.

(٣٣٠) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ٦٨.

(٣٣١) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٢٧.

(٣٣٢) العيني: عقد الجمان، ج٣، ٢٢٨.

(٣٣٣) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٦٥.

(٣٣٤) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٣٠٧.

(٣٣٥) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص١٩.

(٣٣٦) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٣٨.

(٣٣٧) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٨٥.

(٣٣٨)عقد الجمان، ج٣، ص ٢٨٦.

(٣٣٩) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ٣٥٣.

(٣٤٠) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٨٤.

(٣٤١) الإمامية: هم القائلون بانهم اثنا عشر إماما: أولهم الامام علي ﷺ، وآخرهم المنتظر في آخر الزمان، وهم الذين خالفتهم الإسماعيلية، فقالت الإسماعيلية بإمامة إسماعيل بن جعفر وقال هؤلاء بإمامة موسى الكاظم ابن جعفر. ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، ص٢٠١.

(٣٤٢) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٤٥- ٤٦.

(٣٤٣) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ٢٩٤.

(٣٤٤) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٣٠٧.

(٣٤٥) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٢٧٩.

(٣٤٦) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٥٥.

(٣٤٧) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢١٩.

(٣٤٨) العيني: عقد الجمان، ج٣، ٤٦.

(٣٤٩) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص١٨.

(٣٥٠) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٤٣.

(٣٥١) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٩٦.

(٣٥٢) باشر: قلعة حصينة، وكورة واسعة فى شمال حلب بينها وبين حلب يومان، سكانها مزيج من النصارى والارمن، فيها اسواق عامرة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٠؛ ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع، ج١، ص٢٦٩.

(٣٥٣) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص ٢٨٧.

(٣٥٤) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٨٥.